

الكنوز الملية الجامعة
لشروح
العقيدة الواسطية

شرح جامع لحواشي وتعليقات لجلة من العلماء، وهم:

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

الشيخ محمد بن خليل هراس — الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك — الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

جمع وتأليف

سعد بن شايم الحضيري

المجلد الأول

مدار الوطن للنشر

الكنوز الملية الجامعة

لشروح

العقيدة الواسطية

المجلد الأول

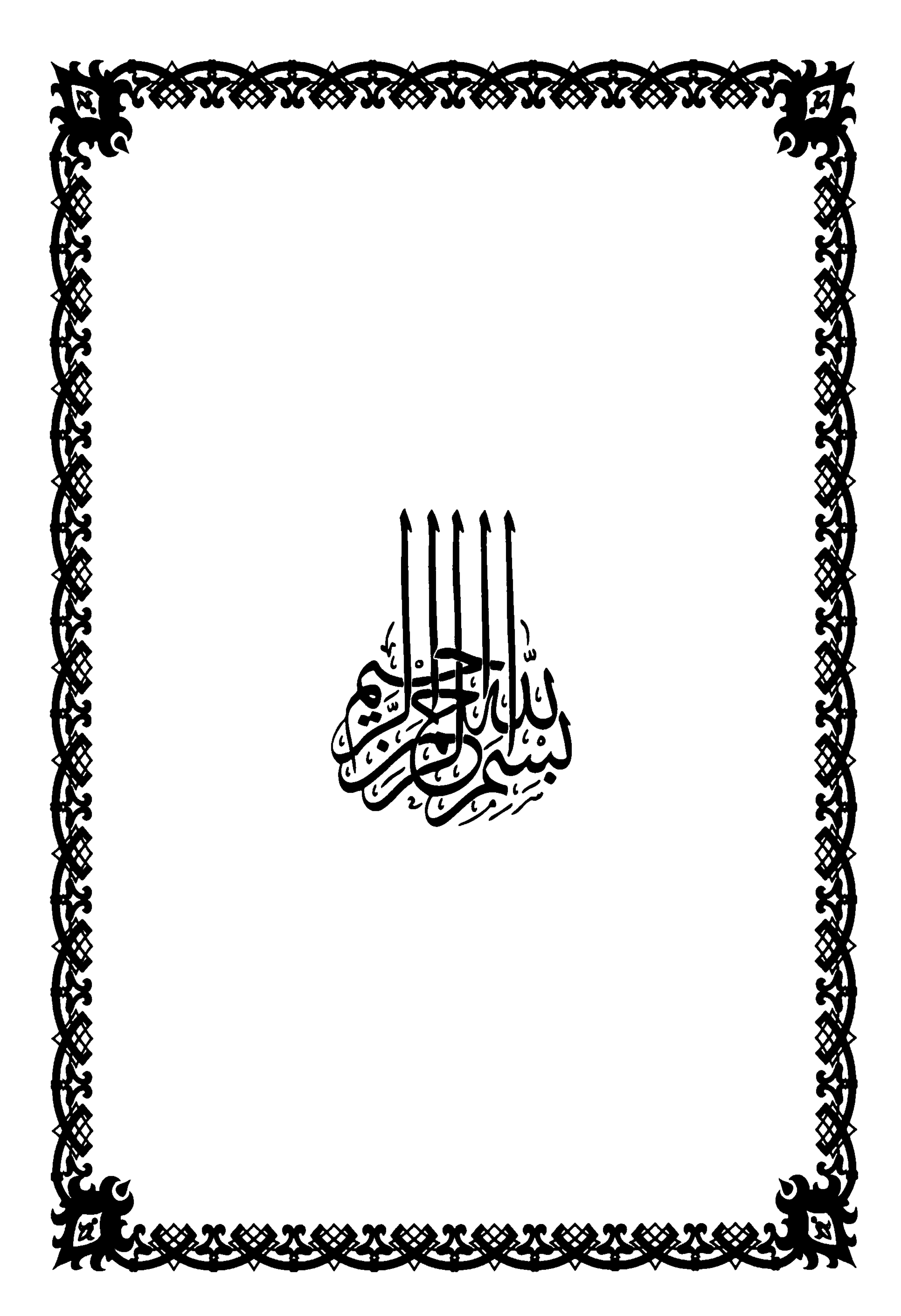
ح مدار الوطن للنشر ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحضيري، سعد شايم
الكنوز الملية الجامعة لشروح العقيدة الواسطية. / سعد شايم الحضيري - الرياض، ١٤٣٥هـ
٢مج
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)
١- التوحيد - مجموعات ٢- العقيدة الإسلامية - مجموعات أ - العنوان
ديوي ٢٤٠.٨ ١٤٣٥/٩١٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٩١٣٧
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



الرياض - الروضة - مخرج ١١
شارع أبي سعيد الخدري
متفرع من شارع خالد بن الوليد
هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ / ٣ خطوط - ٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٠٩٦
www.madaralwatan.com
pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com
فرع السويدي / هاتف: ٠١١٤٢٦٧١٧٧ فاكس: ٠١١٤٢٦٧٣٧٧
مندوب الرياض ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ مندوب الغربية ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مندوب الشرقية والدمام ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
مندوب الجنوبية ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ مندوب الشمالية والقصيم ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مسؤول التوزيع الخيري ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ - ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ لطلبات الجهات الحكومية ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذا شرح مجموعٌ من تعليقات وحواشٍ علمية، على الرسالةِ الواسطيةِ لشيخِ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لـجُلَّةٍ من علماءِ أهلِ السنةِ والجماعةِ المحققين وهم: الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز بن مانع، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ العلامة فيصل بن عبد العزيز بن مبارك، والشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ العلامة محمد خليل هراس، والشيخ العلامة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح العثيمين- رحمهم الله تعالى ورضي عنهم- جمعتها مما كتبوه وعلقوه على هذه الرسالة من حواشٍ وتقريرات وتعاليق، وآلفت بينها، ورتبتها في مواضعها من مباحث تلك الرسالة؛ ليجدها من رغب في تحصيلها مزبورة في كتاب واحد يجمع له دررَ العلوم، وتحقيقَ المسائل من أئمةِ أعلامٍ، شَهِدَ لهم علماء السنة بالدراية والفهم والهداية، وليس لي فيها إلا الجمع والتأليف بينها، وأضفت إليها مباحث مهمة من كلام المؤلف ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله، على مباحث هذه العقيدة، وهذا الجمع داخل في مقاصد التصنيف «السبعة التي لا يؤلف عاقل إلا في أحدها، كما قال الحافظ أبو محمد ابن حزم رحمه الله وهي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء

طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه يصلحه» اهـ.(١).

والله الموفق، لا رب سواه، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه جامعه

سعد بن شايم الحضيري عفا الله عنه

السعودية - عرعر

شوال ١٤٣٤هـ



(١) انظر: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن رسائل ابن حزم، ت إحسان عباس (٢/ ١٨٦).

مدخل

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في بيان أصل هذه الحواشي:

أصل هذه الحواشي شروح وتعليقات لهؤلاء المشايخ، علقوها على هذه الرسالة وهي كالتالي:

١- حاشية الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، وهي عبارة عن تعليقات كتبها عند طبعه للواسطية.

٢- حاشية الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، وهي شرح على الواسطية طبع بعنوان: «التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة».

٣- حاشية الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك، وهي عبارة عن شرح لمواضع منها، وتفسير شامل للآيات التي أوردها الشيخ المصنف في دلائل مسائل العقيدة.

٤- تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، جمع تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- شرح الشيخ محمد خليل هراس على الواسطية، وهو مشهور مطبوع، وعليه تعليقات للشيخ إسماعيل الأنصاري استفدنا منها في التحشية، معزوة إليه.

٦- حاشية وتقريرات الشيخ عبد العزيز بن باز، وهي شيئان: الأول حاشية لطيفة وتعليقات على متن الواسطية وعلى شرح الشيخ ابن سعدي الآنف الذكر، وطبعت معه. والثاني: شرح وتقريرات درسية موسّعة على الواسطية فرّغت من التسجيل في كتاب طبعته مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية. وميّزت بينهما بوضع علامة (*) نجمة عند الحاشية اللطيفة، وهي عبارة عن تعليقات معدودة.

٧- تعليقات الشيخ محمد بن عثيمين، وهي تعليقات كتبها الشيخ رحمه الله لطلاب المعاهد العلمية، وهو غير شرحه الكبير الماتع على الواسطية.

وقد حرصت أن أنقل كلامهم بحروفه دون زيادة أو نقص، ولو كان فيه تكرار وهو قليل، حتى إن الناظر فيها يظن أن هذه الحواشي كتبت تكميلًا لبعضها، وهذا من لطيف التوافق؛ فلذلك رأيت ضرورة جمعها، إضافة لما رأيت من كثيرٍ من طلاب العلم من غفلة عمّا فيها من الفوائد والتقريرات المهمة؛ استغناء بالشروح المطولات.

المطلب الثاني: في ترجمة المصنف وأصحاب الحواشي رحمهم الله تعالى:

أولاً: ترجمة مصنف الواسطية شيخ الإسلام ابن تيمية:

هو شيخ الإسلام الحبر البحر الإمام المجتهد المطلق تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني الدمشقي.

ولد في حران في عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده رحمه الله إلى دمشق، فنشأ بها أتم إنشاء وأزكاه، وأنبته الله أحسن النبات وأوفاه، وكانت مخايل النجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة.

قال صاحبه الشيخ عمر بن علي البزار في «الأعلام العلية»: ولم يزل منذ إبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد، وختم القرآن صغيرًا، ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية، حتى برع في ذلك، مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار، ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية، أما دواوين الإسلام الكبار: كمسند أحمد، وصحيح البخاري، ومسلم، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود السجستاني، والنسائي وابن ماجه، والدارقطني. فإنه -رحمه الله ورضي عنهم وعنه- سمع كل واحد منها عدة مرات، وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع

بين الصحيحين للإمام الحميدي، وقل كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه، وكان الله قد خصه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان، لم يكن يقف على شيء، أو يستمع لشيء -غالبا- إلا ويبقى على خاطره إما بلفظه أو معناه، وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره... حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا بقوله: **«إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها»**. فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد، واستنباطه لدقائقه، ونقله لأقوال العلماء في تفسيره، واستشهاده بدلائله وما أودعه الله تعالى فيه من عجائبه، وفنون حكمه، وغرائب نوادره، وباهر فصاحته، وظاهر ملاحته، فإنه فيه من الغاية التي ينتهي إليها، والنهاية التي يعول عليها.

أما معرفته وبصره بسنة رسول الله، وأقواله، وأفعاله، وقضاياه، ووقائعه، وغزواته، وسراياه، وبعوثه، وما خصه الله تعالى من كراماته ومعجزاته، ومعرفته بصحيح المنقول عنه وسقيمه، والمنقول عن الصحابة ﵃ في أقوالهم، وأفعالهم، وقضاياهم، وفتاويهم، وأحوالهم، وأحوال مجاهداتهم في دين الله، وما خصوا به من بين الأمة، فإنه كان ﵀ من أضبط الناس لذلك، وأعرفهم فيه، وأسرعهم استحضارًا لما يريده منه.

ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه، صنف عدة كتب صغار وكبار، وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث، والآثار، وأقوال العلماء، وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم، وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها، وأي موضع هو منها، كل ذلك بديهة من حفظه؛ لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه، ونقبت، واختبرت، واعتبرت، فلم يوجد فيها -بحمد الله- خلل ولا تغير، ومن جملتها كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وهذا من الفضل الذي خصه الله تعالى به.

مؤلفاته:

وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها كثيرة جدًّا كبار وصغار، فمنها: «تلخيص التلبيس على أساس التقديس»، و«الجمع بين العقل والنقل»، و«منهاج الاستقامة والاعتدال» و«الرد على النصارى» و«نكاح المحلل وإبطال الحيل» و«شرح العقيدة الأصبهانية»، وكتاب «الإيمان الكبير» و«الأوسط»، و«التدمرية» و«الحموية» و«الواسطية»، و«شرح العمدة في الفقه»، و«الصارم المسلول» وغير ذلك كثير.

فتاويه:

قال البزار: وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر، لكن دوَّن بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدا، وهذا ظاهر مشهور، وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة، وقلَّ أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة بما بهر واشتهر، وجمع كثير من كتبه وفتاويه في «مجموع الفتاوى» لابن قاسم و«الفتاوى الكبرى».

منهجه ومقاصده من التأليف:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ داعية إلى الحق وقائمًا بإظهاره والدفاع عنه بكل ما أوتي من قوة، فأكثر كتبه وتصانيفه كانت لسبب من هذا الباب: إما ردًّا على ضلالة، وإما جوابًا عن سؤال.

وأما ما خصَّه الله تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم، وأهل الأهواء في أهوائهم، وما ألّفه في ذلك من دحض أقوالهم، وتزييف أمثالهم وإشكالهم، وإظهار عوارهم وانتحالهم، وتبديد شملهم، وقطع أوصالهم، وأجوبته عن شبههم الشيطانية، ومعارضتهم النفسانية للشريعة الحنيفية المحمدية بما منحه الله تعالى به من البصائر الرحمانية، والدلائل النقلية، والتوضيحات العقلية، حتى ينكشف قناع الحق، وبان بما جمعه في ذلك إلفه الكذب من الصدق، حتى لو أن أصحابها أحياء، ووفقوا لغير الشقاء؛ لأذعنوا له بالتصديق، ودخلوا في الدين العتيق.

قال البزار: ولقد أكثر رَحِمَهُ اللَّهُ التصنيف في الأصول[١]، فضلًا عن غيره من بقية العلوم، فسألته عن سبب ذلك، والتمست منه تأليف نص في الفقه يجمع اختياراته وترجيحاته؛ ليكون عمدة في الإفتاء، فقال لي ما معناه: الفروع أمرها قريب، وإذا قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلَّدين جاز له العمل بقوله، ما لم يتيقن خطأه، وأما الأصول فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء: كالمتفلسفة، والباطنية، والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية، والنصيرية، والجهمية، والحلولية، والمعطلة، والمجسمة، والمشبهة، والراوندية، والكلابية، والسالمية، وغيرهم من أهل البدع- قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيرًا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية على كل دين، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم؛ ولهذا قل أن سمعت، أو رأيت معرضًا عن الكتاب والسنة مقبلًا على مقالاتهم إلا وقد تزندق، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده.

فلما رأيت الأمر على ذلك بان لي أنه يجب على كل من يقدر على دفع شبههم وأباطيلهم، وقطع حجتهم وأضاليلهم- أن يبذل جهده؛ ليكشف رذائلهم، ويزيف دلائلهم؛ ذبًّا عن الملة الحنيفية والسنة الصحيحة الجلية. ولا والله ما رأيت فيهم أحدًا ممن صنف في هذا الشأن، وادعى علو المقام إلا وقد ساعد بمضمون كلامه في هدم قواعد دين الإسلام، وسبب ذلك إعراضه عن الحق الواضح المبين وعما جاءت به الرسل الكرام عن رب العالمين، واتباعه طرق الفلسفة في الاصطلاحات التي سموها بزعمهم حكميات وعقليات، وإنما هي جهالات وضلالات، وكونه التزمها معرضًا عن غيرها أصلًا ورأسًا، فغلبت عليه حتى غطت على عقله السليم، فتخبط حتى خبط فيها عشوا، ولم يفرق بين الحق والباطل، وإلا فالله أعظم لطفًا بعباده أن لا يجعل لهم عقلًا يقبل الحق ويثبته، ويبطل الباطل وينفيه، لكن عدم التوفيق، وغلبة الهوى أوقع

(١) أي: أصول الدين.

من أوقع في الضلال، وقد جعل الله تعالى العقل السليم من الشوائب ميزانًا يزن به العبد الواردات، فيفرق به بين ما هو من قبيل الحق، وما هو من قبيل الباطل، ولم يبعث الله الرسل إلا إلى ذوي العقل، ولم يقع التكليف إلا مع وجوده، فكيف يقال: إنه مخالف لبعض ما جاءت به الرسل الكرام عن الله تعالى؟ هذا باطل قطعا، يشهد له كل عقل سليم، لكن ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، قال الشيخ الإمام قدس الله روحه: فهذا ونحوه هو الذي أوجب أني صرفت جُلَّ همي إلى الأصول، وألزمني إن أوردت مقالاتهم، وأجبت عنها بما أنعم الله تعالى به من الأجوبة النقلية والعقلية.

عبادته وتألهه:

قال البزار: أما تعبده رَحِمَهُ اللَّهُ فإنه قل إن سمع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى، لا من أهل ولا من مال، وكان في ليله متفردًا عن الناس كلهم، خاليا بربه عَزَّ وَجَلَّ، ضارعًا، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، يأتي بسنتها قبل إتيانه إليهم، وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تنخلع القلوب؛ لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة، وكان إذا قرأ يمد قراءته مدًّا، كما صح في قراءة رسول الله، وكان ركوعه وسجوده وانتصابه عنهما من أكمل ما ورد في صلاة الفرض، وكان يخفف جلوسه للتشهد الأول خفة شديدة، ويجهر بالتسليمة الأولى حتى يسمع كل من حضر، فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عَزَّ وَجَلَّ هو ومن حضر بما ورد، ثم يقبل على الجماعة.

كان رَحِمَهُ اللَّهُ في الغاية التي ينتهي إليها في الورع؛ لأن الله تعالى أجراه مدة عمره كلها عليه، وكانت بضاعته مدة حياته، وميراثه بعد وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ العلم؛ اقتداء بسيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما زهده في الدنيا ومتاعها؛ فإن الله تعالى جعل ذلك له شعارا من صغره، ولقد اتفق كل من رآه -خصوصا من أطال ملازمته- أنه ما رأى مثله في الزهد في الدنيا،

حتى لقد صار ذلك مشهورا، بحيث قد استقر في قلب القريب والبعيد من كل من سمع بصفاته على وجهها.

كرمه وإيثاره:

كان رَحِمَهُ اللهُ مع شدة تركه للدنيا، ورفضه لها، وفقره فيها، وتقلله منها مؤثرًا بما عساه يجده منها، قليلًا كان أو كثيرًا، جليلًا أو حقيرًا، فقد كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه المحتاج إليه فيصل به الفقير، وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه.

وكان رَحِمَهُ اللهُ مجبولًا على الكرم، لا يتطبعه، ولا يتصنعه، بل هو له سجية، وكان لا يرد من يسأله شيئا يقدر عليه من دراهم، ولا دنانير، ولا ثياب، ولا كتب، ولا غير ذلك، بل ربما كان يسأله بعض الفقراء شيئا من النفقة، فإن كان حينئذ متعذرا لا يدعه يذهب بلا شيء، بل كان يعمد إلى شيء من لباسه فيدفعه إليه.

سمته وتواضعه:

وأما تواضعه فكان يتواضع للكبير والصغير، والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح، ويكرمه، ويؤنسه، ويباسطه بحديثه المستحلَى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى أنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته؛ جبرا لقلبه، وتقربا بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة، ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه، كبيرًا كان أو صغيرًا، رجلا أو امرأة، حرًّا أو عبدًا، عالمًا أو عاميًّا، حاضرًا أو باديًا، ولا يجبهه ولا يحرجه، ولا ينفره بكلام يوحشه، بل يجيبه ويفهمه، ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط، وكان يلزم التواضع في حضوره من الناس ومغيبه عنهم في قيامه، وقعوده، ومشيه، ومجلسه، ومجلس غيره.

جهاده وشجاعته:

قال البزار: كان رَحِمَهُ اللَّهُ من أشجع الناس وأقواهم، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم، وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكة أمورا من الشجاعة يعجز الواصف عن وصفها، قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله، ومشورته، وحسن نظره.

وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال البزار: إن الشيخ -قدس الله روحه- مرض أياما يسيرة، وقال ما معناه: إني قد أحللت السلطان الملك الناصر من حبسه إياي؛ لكونه فعل ذلك مقلدا غيره معذورا، ولم يفعله لحظ نفسه، بل لما بلغه مما ظنه حقًّا من مبلغه، والله يعلم أنه بخلافه، وقد أحللت كل واحد مما كان بيني وبينه، إلا من كان عدوا لله ورسوله، وأحللت جميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق.

ثم إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقي إلى ليلة الاثنين والعشرين من ذي القعدة الحرام، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه في بكرة ذلك اليوم، وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، وهو على حاله مجاهدا في ذات الله تعالى، صابرا، محتسبا، لم يجبن، ولم يهلع، ولم يضعف، ولم يتتعتع، بل كان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حين وفاته مشتغلا بالله عن جميع ما سواه.

فما هو إلا أن سمع الناس بموته، فلم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه وأراده إلا حضر لذلك، وتفرغ له حتى غلقت الأسواق بدمشق، وعطلت معايشها حينئذ، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم، وخرج الأمراء، والرؤساء، والعلماء، والفقهاء، والأتراك، والأجناد، والرجال، والنساء، والصبيان، من الخواص والعوام.

قال البزار: ولم يتخلف أحد من غالب الناس إلا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته، فاختفوا من الناس؛ خوفا على أنفسهم، بحيث غلب على ظنهم أنهم متى خرجوا رجمهم الناس فأهلكوهم، وغسل رَحِمَهُ اللَّهُ، وكفن، ثم أخرجت جنازته حتى

أدخلت جامع بني أمية المحروس؛ ظنا منهم أنه يسع الناس، فبقي كثير من الناس خارج الجامع، وصلي عليه رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع، ثم حمل على أيدي الكبراء والأشراف ومن حصل له ذلك من جميع الناس إلى ظاهر دمشق، ووضع بأرض فسحة متسعة الأطراف، وصلى عليه الناس.

قال أحدهم: وكنت أنا قد صليت عليه في الجامع، وكان لي مستشرف على المكان الذي صلى فيه عليه بظاهر دمشق، فأحببت أن أنظر إلى الناس وكثرتهم، فأشرفت عليهم حال الصلاة، وجعلت أنظر يمينا وشمالا ولا أرى أواخرهم، بل رأيت الناس قد طبقوا تلك الأرض كلها. واتفق جماعة ممن حضر حينئذ وشاهد الناس والمصلين عليه على أنهم يزيدون على خمسمائة ألف. وقال العارفون بالنقل والتاريخ: لم يسمع بجنازة بمثل هذا الجمع إلا جنازة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

ثم حمل بعد ذلك إلى قبره فوضع، وقد جاء الكاتب شمس الدين الوزير، ولم يكن حاضرا قبل ذلك فَصلَّى عليه أيضا، ومن معه من الأمراء والكبراء، ومن شاء الله من الناس.

ولم ير لجنازة أحد ما رئي لجنازته: من الوقار، والهيبة، والعظمة، والجلالة، وتعظيم الناس لها، وتوقيرهم إياها، وتفخيمهم أمر صاحبها، وثنائهم عليه بما كان عليه من العلم، والعمل، والزهادة، والعبادة، والإعراض عن الدنيا، والاشتغال بالآخرة، والفقر، والإيثار، والكرم، والمروءة، والصبر، والثبات، والشجاعة، والفراسة، والإقدام، والصدع بالحق، والإغلاظ على أعداء الله، وأعداء رسوله، والمنحرفين عن دينه، والنصر لله، ولرسوله، ولدينه، ولأهله، والتواضع لأولياء الله، والتذلل لهم، والإكرام، والإعزاز، والاحترام لجنابهم، وعدم الاكتراث بالدنيا وزخرفها ونعيمها ولذاتها، وشدة الرغبة في الآخرة والمواظبة على طلبها، حتى لتسمع ذلك ونحوه من الرجال، والنساء، والصبيان، وكل منهم يثنى عليه بما يعلمه من ذلك، ودفن في ذلك اليوم رَحِمَهُ اللَّهُ.

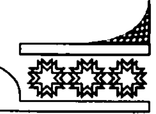
وما وصل خبر موته إلى بلد فيما نعلم إلا وصلي عليه في جميع جوامعه ومجامعه خصوصًا أرض مصر، والشام، والعراق، وتبريز والبصرة، وقراها، وغيرها.

ثانيًا: ترجمة الشيخ العلامة محمد ابن مانع:

هو العلامة الفقيه الكبير، والحبر الفهامة النحرير الشيخ: محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله آل مانع الوهبي التميمي نسبًا، النجدي العُنيزي موطنًا.

ولد رَحِمَهُ اللَّهُ في بلدة عنيزة في نجد عام ١٢٩٨هـ، ونشأ رَحِمَهُ اللَّهُ في بيت علم وشرف ودين، وأدخله والده عند مقرئ يعلمه القرآن، فحفظه وجوده، وتوفي أبوه وله من العمر تسع سنين، فكفله عمه الشيخ عبد الله، واعتنى به، وشرع بطلب العلم في نهمة ونشاط، فقرأ على عمه الشيخ عبد الله، وعلى الشيخ صالح القاضي، وعلى الشيخ محمد بن عبد الله بن سَلِيم في بريدة، والشيخ عبد الله بن عايض، والشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، والشيخ عبد الله بن محمد بن دخيل في المذنب، ثم رحل إلى بغداد، فلازم الحنابلة هناك وعلماءها من آل الآلوسي وغيرهم، ثم رحل إلى دمشق واتصل بعلمائها من حنابلة آل الشطي وغيرهم، كالشيخ جمال الدين القاسمي، وعبد الرزاق البيطار وغيرهم، ثم رحل إلى مصر فقرأ في الأزهر على علمائه، ورحل إلى الحجاز ودرس على علمائه، ورحل إلى بلدة الزبير فدرس على الشيخ محمد بن عوجان في الفرائض والفقه، ثم عاد إلى بغداد ولازم الآلوسيين، فحصل من رحلاته علومًا جمة متنوعة في الفقه، والعربية، والأصول، والحديث، والفرائض، وغيرها، مع ما كان عليه من النباهة، والذكاء، والحفظ، وأكبَّ على كتب الشيخين: ابن تيمية، وابن القيم، فنهل من معينهما الصافي علمًا كثيرًا.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ ذكيًّا لوذعيًّا، أدرك في مدة يسيرة علمًا جمًّا اشتهر به في الأوساط العلمية والاجتماعية حتى صار مقصد الطلاب والحكام والناس، وتولى مناصب شرعية كبيرة في الدولة السعودية ودولة قطر، وكان سببًا في نشر كثير من الكتب العلمية في الفقه والعقيدة وغيرها وإخراجها من دفين المخطوطات إلى رفوف المكتبات بين طلاب العلم، وسعى في ذلك إلى الحكام والوجهاء لطبعها، وسعى أيضًا في إنشاء كثير من المدارس ودور العلم في السعودية ودول الخليج، وتولى رئاسة التعليم برهة من الزمن.



وله مؤلفات كثيرة ماتعة، وحواش مفيدة مذكورة مع سيرته في كتاب «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» للشيخ محمد بن عثمان القاضي حفظه الله، وكتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسام رَحِمَهُ اللهُ.

أصيب بمرض فتوفي بسببه إثر عملية جراحية أجريت له في بيروت في ١٧ رجب عام ١٣٨٥هـ، ونقل جثمانه إلى الدوحة وصُلي عليه في جامعها، ودفن هنالك رَحِمَهُ اللهُ، وأسكنه واسع جنانه.

ثالثًا: ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي:

هو الشيخ العلامة المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، النحرير، البحر، الحبر، القدوة الإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي من النواصر من بني عمرو، أحد أفخاذ تميم الكبار، وأمه من آل عثيمين من آل مقبل من الوهبة، أحد أفخاذ تميم، ولد في عنيزة في محرم عام ١٣٠٧ هجرية، وكفلته زوجة أبيه بعد وفاة أمه، وكانت أمه حين حملت به رأت رؤيا في المنام كأنها تبول في محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك، فقصت رؤياها على زوجها، وكان عنده طرف من علم التعبير، فقال لها: إن صدقت رؤياك فستلدين غلاما يكون إماما فيه. وفعلا صدقت الرؤيا وصح التعبير، فماتت أمه وله أربع سنين، ومات أبوه وله سبع سنين، وقد أوصى به إلى زوجته أم أخيه الأكبر حمد، وإلى أخيه حمد بن ناصر، فقاما برعايته وتربيته أتم قيام، حتى كأنه لم يفقد أبويه، ونشأ نشأة صالحة، وقرأ القرآن وحفظه وهو صغير لم يبلغ الحلم، ثم حبب إليه العلم، وجد، واجتهد، ودرس على عدة علماء في عنيزة، وقد أخذ العلم عن عدة مشايخ منهم: محمد العبد الكريم ابن شبل، ومحمد بن عبد الله بن سَليم، والشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر، وعبد الله بن عائض، وعلي المحمد السناني، وعلي أبو وادي، وصعب التويجري، ومحمد أمين الشنقيطي في مدة إقامته في عنيزة، وإبراهيم بن صالح بن عيسى، وله من بعضهم إجازات، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، وهو الذي لازمه ملازمة تامة.

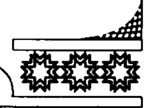
وقد جلس للتدريس بطلب من زملائه حين رأوا تفوقه عليهم في العلوم، وذلك في حياة شيخه الشيخ صالح، ولما توفي شيخه استقل بالتدريس، ولم يكن هناك من ينافسه فيه، وأقبل عليه الطلبة إقبالا كاملا، ثم إنه اهتم بمطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقد يسرها الله له مع قلة وجودها فلما أقبل عليها نوَّر الله بصيرته، وانتفع بها وازدادت علومه، وتوسعت دائرة معارفه، ووصل إلى درجة الاجتهاد ونبذ التقليد، وصار يرجح بالدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونفع الناس، وسهل عليهم الأمور المعقدة، فصار المرجع في جميع الفتاوى داخلا وخارجا، تأتيه الأسئلة من أماكن نائية فيجيب عليها، وقد بذل نفسه للخاص والعام، فعقود الأنكحة والكثير من الوثائق هو المعتمد فيها، وكثرت حلقات الدروس حتى بلغت خمسة أوقات في اليوم، وابتدأ بالتأليف، ولم ينقطع عن زيارة الداعين له يوميا إلى محلاتهم، وبارك الله في وقته، ولم يتضجر، ولم يسأم، ولم يُر الغضب في وجهه، بل كان سمحا طلقا بشوشا مع الصغير والكبير والمعارف وغيرهم، حتى الذين جاهروه بالعداوة يقابل إساءتهم بالإحسان القولي والفعلي، وبالجملة فأخلاقه من أعلى الأخلاق، وصفاته من أكرم الصفات، ولم يلتفت إلى الدنيا من صغره إلى أن توفاه الله، وإذا جلس في مجلس فيه جملة من الحضور يعطي كلا على مشربه، كأنه دارس لأحوال الناس، ولا يحتقر أحدًا مهما كان، ولا يخلو مجلسه من فائدة.

مؤلفاته:

ومؤلفاته تربو على أربعة وأربعين مؤلفا، أكثرها في التوحيد والعقائد السلفية، ويتلوها في الكثرة الفقة، ثم التفسير، وكلها مفيدة ونافعة، خالية من الحشو والأقوال الزائفة، منها:

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

٢- وتيسير اللطيف المنان، والدلائل القرآنية في العلوم العصرية.



٣- وفوائد مستنبطة من قصة يوسف.

٤- والقواعد الحسان.

٦- والمواهب الربانية.

٧- وبهجة قلوب الأبرار.

٨- والقول السديد في مقاصد التوحيد.

٩- والحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين.

١٠- وتوضيح الكافية الشافية.

١١- والأدلة القواطع والبراهين.

١٢- والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

١٣- والتنبيهات اللطيفة على الواسطية.

١٤- وسؤال وجواب في أهم المهمات.

١٥- والرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة.

١٦- والمختارات الجلية.

١٧- ومنهج السالكين.

١٨- والإرشاد إلى معرفة الأحكام.

١٩- والفتاوى السعدية.

٢٠- ورسالة في أصول الفقه.

٢١- وطريق الوصول إلى العلم المأمول.

٢٢- والقواعد والأصول الجامعة.

تلاميذه:

تلاميذه الذين تخرجوا به كثيرون، وصار منهم طائفة كبيرة أئمة مشاهير وقضاة كبارًا، منهم الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام رحمهما الله.

مرضه ووفاته:

في آخر عمره أصيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمرض ضغط الدم، وسببه على ما زعموا كثرة التفكير، كان المرض يتزايد معه حتى ألزمه الفِراش وذلك في عام ١٣٧٣هـ، وبعد المعالجة خف عنه المرض، ونصحه الأطباء بعدم إرهاق نفسه بالتفكير، فعاوده المرض إلى آخر حياته. وكانت وفاته ليلة الخميس ٢٣ جمادي الآخرة عام ١٣٧٦، عن تسعة وستين عاما وخمسة أشهر وتسعة أيام، قضاها في عبادة الله، ونفع عباد الله، أجزل الله له المثوبة.

رابعًا: الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك:

هو الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك، من بطن الرباع من السلقا، من قبائل العمارات من قبيلة عنزة الوائلية، محدث، فقيه، أصولي، مفسِّر، نحوي، فرضي، عالم، عامل، زاهد، ورع، من مشاهير علماء نجد.

مولده وطلبه للعلم:

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حريملاء عام ١٣١٣هـ، وطلب العلم على علماء حريملاء في وقته، ومنهم جدُّه لأُمِّه الشيخ العالم ناصر بن محمد الراشد، وعمُّه العلاَّمة الشيخ محمد بن فيصل المبارك.

ثمَّ طلب العلم على علماء الرياض، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبداللطيف مفتي الديار النجدية، والعلاَّمة سعد بن حمد بن عتيق، محدِّث الديار النجدية، وأجازه الشيخ سعد في التفسير، وكذلك أجازه في تدريس أمهات كتب الحديث ومذهب الإمام أحمد،

وأجازه الشيخ عبد العزيز النمر إجازة الفتوى عام ١٣٣٣هـ، وهو في العشرين من عمره، وأخذ علم النحو عن سيبويه عصره الشيخ حمد بن فارس، وعلم الفرائض عن أفرض أهل زمانه الشيخ عبد الله بن راشد الجلعود الصقري العنزي، وغيرهم من أفذاذ العلماء رحمهم الله أجمعين.

له عِدَّة مؤلفات في جميع العلوم الشرعيَّة تصل إلى أكثر من ثلاثين مؤلفًا، فمن كتبه المطبوعة:

١- توفيق الرحمن في دروس القرآن.

٢- السبيكة الذهبية في علم الفرائض.

٣- كلمات السداد على متن الزاد في علم الفقه.

٤- خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام في علم الحديث.

٥- تطريز رياض الصالحين في علم الحديث.

٦- مفاتيح العربية شرح الآجُرُّوميَّة في علم النحو.

و له رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكثير من المؤلفات التي لم تطبع بعد.

ولي القضاء في عِـدَّة بلدان، كان آخِـرها منطقة الجوف، والتي توفي بها عام ١٣٧٦هـ، عن ثلاثةٍ وستين عامًا قضاها في الجهاد، وفي العلم والتعليم والتصنيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

خامسًا: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ(١)

هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من بني تميم.

وُلد في مدينة الرياض عام ١٣١١هـ، وتلقى القرآن وهو ما بين الثامنة والعاشرة من عمره، وفي السادسة عشرة من عمره أصيبت عيناه بالرمد فكف بصره.

* شيوخه:

جدّ في طلب العلم، وقرأ على عدد من المشايخ منهم:

والده الشيخ إبراهيم، قرأ عليه الفرائض.

والشيخ عبد الله بن راشد، قرأ عليه الفرائض أيضًا.

عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، تلقى عليه علم العقائد والحديث.

والشيخ حمد بن فارس، أخذ عنه الفقه والنحو.

والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، أخذ عنه الفقه والحديث والمصطلح.

والشيخ محمد بن محمود، قرأ عليه الفقه.

حفظه وذكاؤه:

كان رحمه الله حاد الذكاء، سريع الحفظ، قوي الذاكرة، يحفظ المتن من قراءته عليه من المرة الثالثة، وربما الثانية، وكان يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها، ذاكرًا رقم الصفحة أحيانًا، وكان يحفظ متونًا عديدة في مختلف العلوم، ويدرك تقدير الوقت بالساعة لا يكاد يخطئ الحقيقة في بضع دقائق، مع أنه لم يستعمل الساعة في حياته.

---

(١) انظر مقدمة الشيخ عبد المحسن القاسم على شرح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وترجمة الشيخ محمد بن قاسم للشيخ ابن إبراهيم في مقدمة «مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ».

اشتغاله بالتدريس:

حين توفي عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف أخذ سماحته مجلسه، فبدأ بالتدريس في المسجد في مختلف العلوم، ولما توفي الشيخ حمد بن فارس والشيخ سعد بن عتيق، توسّع في مجالس التدريس، وعمر أكثر نهاره به، فكان يجلس ثلاث جلسات منتظمة للتدريس، الأولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس. والثانية: بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين إلى أربع ساعات. والثالثة: بعد صلاة العصر، وهناك جلسة رابعة، ولكنها ليست مستمرة، وهي بعد صلاة الظهر، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، وقد استمر يدرِّس على هذه الحال إحدى وأربعين سنة.

عبادته وورعه وزهده:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد الخشية من الله، كثير الذكر له سبحانه والاستغفار، وتذرف عيناه دمعًا حين يكون في مناجاة الله، أو يسمع ما يحرك القلوب، يقوم من الليل ما يقرب من الساعة والنصف، لا يترك ذلك لا سفرًا ولا حضرًا، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حافظًا للسانه من الغيبة، وعُرف بذلك منذ حداثة سِنِّه حتى فارق الحياة، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم، وكان يكره أن يمدحه أحد، أو يثني عليه.

ولم يُعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

ولم يُعرف عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه اشتغل بالبيع أو الشراء، لا بالاستقلال، ولا بالمشاركة، بل كان مقتصرًا على ما يتقاضاه من عمله، وكان يشغل عدة أعمال ولا يتقاضى إلا ما كان يأخذه قبل إحداث هذه الأعمال، ولم يكن يأخذ انتدابًا، ولم يُعرف عنه أنه طلب من المسؤولين شيئًا يخصه.

صفاته:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يتحلى بأخلاق فذة جمّة، أنيسًا عند المخالطة ألوفًا لمعاشريه، لا يتصف بشيء من الغلظة أو الفضاضة، مهيبًا في قلوب الناس، شجاعًا قوي الشكيمة، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أيا كان المخاطب به، بعيد النظر قوي الاستنباط، كريمًا، سخيًّا، معروفًا بالبذل والعطاء، سليم الصدر، لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله منه أذى، بل كان ديدنه الصفح والتجاوز، بل المحافظة عليهم والدفاع عنهم أن ينالهم أحد بما يعرف أنه باطل.

وفاته:

نزل به مرض عام ١٣٨٩هـ، ثم اشتد به حتى دخل في غيبوبة تامة انتهت به إلى الوفاة في الرياض في ١٣٨٩/٩/٢٤هـ، وكان طيلة مرضه يكثر من ذكر الله والاستغفار حتى أخذته الغيبوبة، وقد صُلي عليه في الرياض، وأمّ المصلين الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وحضر الصلاة عليه جمع كثير من المسلمين.

تغمده الله برحمته، ونفع بعلومه، وأسكنه جنات النعيم.

سادسًا: الشيخ محمد خليل هراس:

هو العلامة الشيخ الدكتور محمد بن خليل حسن هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٩١٥م في بلدة الشين، مركز قطور، محافظة الغربية ثم بدأ تعليمه في الأزهر الشريف عام ١٩٢٦م ثم تخرج في كلية أصول الدين عام ١٩٤٠م وكان موضوع الرسالة (ابن تيمية السلفي) ثم شغل وظيفة أستاذ بكلية أصول الدين، ثم طلبه سماحة العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛ لكي يدرس العقيدة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة فشغل منصب رئيس قسم العقيدة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة أم القرى.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سلفي العقيدة، شديد التمسك بها، وناصرًا لها، كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شوكة في حلوق المبتدعة، قال عنه فضيلة الشيخ محمد رشاد الشافعي: «كان يلاقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عنت الجبارين، وكيد المبتدعين، وزندقة الملحدين ما لا يطيقه إلا الصابرون والمحتسبون».

وظل رَحِمَهُ ٱللَّهُ طوال حياته مدافعًا عن الحديث الشريف الصحيح من اعتداءات منكري السنة، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أول من رد عليهم كيدهم، فتعرض رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمحاولات عديدة للقتل من متشددي الصوفية ومنكري السنة، ولكن الله أعلم بمكائدهم، فنجاه الله؛ حتى يكون شوكة في حلوقهم.

وقد ركز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كتابة كتب العقيدة مثل «الصفات الإلهية عند ابن تيمية»، «شرح العقيدة الواسطية»، «ابن تيمية السلفي».

وتتصف مؤلفات الشيخ بغزارة العلم، ووضوح الأسلوب، والفهم الدقيق لما عليه المخالفون لعقيدة السلف، مما يجعل القيام لإبراز هذه الجهود فيه خير عظيم ونفع عميم.

وتميز بقوة الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، مما يدل على رسوخه وتمكنه في العلم.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قدر كبير من التميز في دراسة العقيدة السلفية، وملما إلماما دقيقا بفكر الفرق الضالة المختلفة، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ له القدرة على أن يتكلم في موضوعات تحسبها لأول وهلة أنها من أعقد قضايا الاعتقاد، ولكن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان له القدرة على أن يجلي غامض الأمور.

وفاته:

توفى رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر سبتمبر عام ١٩٧٥م بعد حياة حافلة بالعطاء، حيث كان له نشاط ملحوظ في العام الذي توفي فيه، حيث ألقى عدة محاضرات في طنطا، والمحلة الكبرى، والمركز العام لأنصار السنة، وكانت آخر خطبة له بعنوان التوحيد وأهمية العودة إليه.

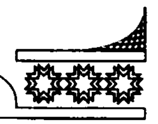
توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعدها مباشرة، بعد أن خدم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

سابعًا: الشيخ عبد العزيز ابن باز:

هو العَلَمُ المفرد، والعلامة الأثري المجتهد، البحر الغزير، والحبر النحرير، والإمام الكبير، مَن جمع الله له العلوم الأثرية وثاقب الفكر النظرية، حتى أقرَّ له أربابها بتميزه في بابها، وأعطاه الله الفضل التام، والقبول العام في الدين، والفتوى، والثقة، والأمانة لدى العام والخاص، والموافق والمخالف، فسبحان من يهب لمن يشاء بلا حساب. شيخنا وشيخ الجيل الإمام عبدُ العزيز بنُ عبدِ الله بنِ عبد الرحمن بن محمدِ بنِ عبد الله آل باز.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ. وكان بصيرًا في أول الدراسة، ثم أصيب بالمرض في عينيه عام ١٣٤٦ هـ، فضعف بصره بسبب ذلك، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠ هـ فعوضه عنه بالبصيرة في الدين والعلم، ونسأل الله له حسن الجزاء في الآخرة.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكيًّا حافظًا نهمًا في العلم مع صدق النية وحسنها، فلازم العلماء كثيرًا حتى حصَّل كثيرًا.



وقد بدأ الدراسة منذ الصغر، وحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض من أعلامهم:

١- الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

٢- الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. قاضي الرياض رحمه الله.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رحمه الله.

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رحمه الله.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري من علماء مكة المكرمة رحمه الله، أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥ هـ.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله، وقد لازم حلقاته نحوا من عشر سنوات، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧ هـ إلى سنة ١٣٥٧ هـ، حيث رشح للقضاء من قبل سماحته.

مؤلفاته وفتاويه:

مؤلفاته، فإنها على كثرة مشاغله وأعماله وتصدره للفتوى والتعليم والإدارة نافعة كثيرة، جمعت في الكتاب الكبير «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة»، و«فتاوى نور على الدرب».

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ، وصلى عليه الشيخ محمد بن سبيل في جمع كبير جدًّا في الحرم المكي على رأسهم الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله.

ثامنًا: ترجمة الشيخ محمد العثيمين:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة في المملكة العربية السعودية.

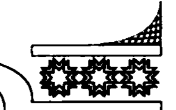
نشأته العلمية:

ألحقه والده رَحِمَهُ اللهُ ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه، المعلِّم عبد الرحمن بن سليمان الدامغ رَحِمَهُ اللهُ، ثمَّ تعلَّم الكتابة، وشيئًا من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الدامغ حفظه الله، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلِّم علي بن عبد الله الشحيتان رَحِمَهُ اللهُ، حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولّما يتجاوز الحادية عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده رَحِمَهُ اللهُ أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ، وقد رتَّب من طلبته الكبار؛ ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ اللهُ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقته، حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم- معرفةً وطريقةً- أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتِّباعه للدليل.



وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعضُ إخوانه أن يلتحق به، فاستأذن شيخَه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢/ ١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع خلال السنتين اللّتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي بالعلماء الذين كانوا يدرِّسون فيه حينذاك، ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدِّث عبد الرزاق الأفريقي رحمهم الله تعالى.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمه الله، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث، والنظر في آراء فقهاء المذاهب، والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثُّر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ، وصار يَدرُسُ على شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابة وسرعة التحصيل العلمي، فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقته، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولّما تخَرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع، وهي التي أسسها شيخه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها، حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

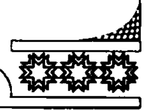
بقي الشيخ مدرِّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان يدرِّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج، ورمضان، والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ حتى وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وللشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقي الدروس والمحاضرات بهمَّة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم، وتقريبه إلى الناس.

آثاره العلمية:

خلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثروة كبيرة من العلم في الكتب والتسجيلات جمعت، وتسابق الناس على تحصيلها ضمن كثير طبع منها «مجموع فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين»، و«الشرح الممتع»، و«شرح رياض الصالحين»، و«شرح بلوغ المرام»، و«الأصول من علم الأصول»، وشرحه والتعليق على «صحيح البخاري»، وعلى «صحيح مسلم»، وعلى «المنتقى لابن تيمية»، و«شرح السفارينية»، و«شرح الواسطية الكبير»، وغير ذلك كثير.



وفاته:

تُوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيّعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُلِّي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومَنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيرًا.



المطلب الثالث: ذكر مقدمات أصحاب الشروح والحواشي رحمهم الله:

قصدت بذكر مقدماتهم رحمهم الله أن يطلع الناظر في هذه الحواشي على جميع ما زبره أولئك العلماء، وما ذكروه في تقديم شروحهم من علوم واصطلاحات.

أولاً: مقدمة الشيخ محمد ابن مانع:



قال رحمه الله:

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، ووفق من أراد سعادته لطاعته، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابته.

أما بعد:

فإن العقيدة الواسطية تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، التي ألفها إجابة لطلب القاضي رضي الدين الواسطي، من أحسن ما ألفه الأئمة في بيان معتقد أهل السنة، فليس في أيدي الطلبة اليوم أحسن منها، ولا مثلها، فإنه رحمه الله بيّن فيها القول الحق في مسألة القرآن، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق، وأن ألفاظه وحروفه ومعانيه عين كلام الله، وأن الله يتكلم بمشيئته وإرادته، كما أنه رحمه الله بيَّن القول الصحيح في وجوب إثبات الصفات الإلهية: كاستواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة، ومجيئه يوم القيامة، ونظر المؤمنين إليه سبحانه في عرصات القيامة، وبعد دخولهم الجنة. ووضَّح معنى قرب الله من عباده، ومعنى كونه معهم أينما كانوا، وبيَّن أن ذلك كله حق ثابت على ما يليق بعظمة الله تعالى، وذكر قول أهل الحق في إثبات الإيمان بالقدر، ورد قول المعتزلة والجبرية، وبيَّن أصول أهل السنة التي بنوا عليها عقائدهم وأعمالهم، إلى غير ذلك من قواعد العقائد المؤيَّدة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فهي جديرة بالاعتناء بها تحفظًا، ودرسًا، ومطالعة؛ فلهذا علقتُ عليها

حواشي تفَصِّلُ مجملَها، وتوضِّح مشكلَها، وتسهل فهمها لقرائها، وقد امتازت هذه الطبعة الأخيرة بزيادات لم توجد في الطبعات التي قبلها، لاسيما ما ذكرناه من نظم عبد العزيز بن عدوان الحنبلي، أحد علماء الوشم رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنه نظم هذه العقيدة من الطويل، جزاه الله خيرًا، وأثابه الجنة بمنه تعالى وكرمه، وسمت همة الفاضل النجيب الشيخ عمر عبد الجبار لطبعها، فجزاه الله خيرًا، ووفقه لنشر أمثالها من مؤلفات أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية الذين لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى يوم القيامة، كما أخبر به النبي الصادق المصدوق ﷺ تسليما كثيرًا.

قاله بلسانه وكتبه ببنانه: محمد بن عبد العزيز بن مانع. اهـ



ثانيًا: مقدمة الشيخ عبد الرحمن السعدي:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الموصوف بصفات العظمة والكبرياء والكمال، المنزه عن الشريك والنقص والشبه والمثال، وأشهد أنه المتفرد بالوحدانية، المستحق لإفراده بالعبودية في كل الأحوال، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم في العقائد، والأخلاق، والأقوال، والأفعال.

أما بعد:

فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة «بالواسطية» التي جمعتْ -على اختصارها ووضوحها- جميعَ ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة، وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني، تحتاج إلى تعليق يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتبين وجه دلالتها على المقصود، وبيان وجه ارتباط بعض المسائل ببعض، وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج إلى تنبيه عليه. وأرجو الله أن يكون هذا التعليق على هذا الوصف، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم، مقربًا إليه، نافعا، سهلا في ألفاظه ومعانيه. آمين. اهـ



ثالثًا: مقدمة الشيخ فيصل بن مبارك:



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الكتاب هو العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن تيميّة الحرَّاني، شيخ الإسلام والمسلمين، وقامع أهل البدع والملحدين، ولد سنة إحدى وستين وستمائة، وتوفي سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة رَحِمَهُ اللَّهُ. اهـ



رابعًا: مقدمة الشيخ محمد خليل هراس:



قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد، عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلما كانت (العقيدة الواسطية) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ من أجمع ما كتب في عقيدة أهل السنة والجماعة، مع اختصار في اللفظة، ودقة في العبارة، وكانت تحتاج في كثير من مواضعها إلى شرح يُجلِّي غوامضَها، ويزيح الستار عن مكنون جواهرها، ويكون مع ذلك شرحًا بعيدًا عن الإسهاب والتطويل والإملال بكثرة النقول، حتى يلائم مدارك الناشئين، ويعطيهم زبدة الموضوع في سهولة ويسر. فقد استخرت الله تبارك وتعالى، وأقدمت على هذا العمل، رغم كثرة الشواغل، وزحمة الصوارف، سائلا الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع به كل من قرأه، وأن يجعله خالصًا لوجهه، إنه قريب مجيب. اهـ



خامسًا: مقدمة تقريرات الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

قال رحمه الله:



الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أمَّا بعد:

فهذه الرِّسالة القيِّمة العظيمة، وهي المسماة بـ«العقيدة الواسطية» كتبها المؤلف شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيمية الحرَّاني رحمه الله وهو إمام، وأبوه كذلك، وجده كذلك، كُلُّهم من أئمة العلم والهدى.

والمتوفى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة (٧٢٨هـ) وكان مولده سنة إحدى وستين وستمائة هجرية (٦٦١هـ) فقد عاش رحمه الله ثمانية وستين عامًا (٦٨).

جمع هذه العقيدة، وكتبها إلى أهل واسط، من جهة العراق، وسميت «الواسطية»؛ لأنها كتبت لهم، كما قيل: «الحموية»؛ لأنه كتبها لأهل حماة، وقيل: «الرسالة التدمرية»؛ لأنه كتبها إلى أهل تدمر.

والتَّدمرية رسالة عظيمة، وهي أوسع من هذه، وهكذا الحموية فيها نقولات كثيرة عن أئمة السَّلف رحمهم الله.

وأما هذه العقيدة الواسطية، فهي مختصرة مفيدة جامعة لا أعلم لها نظيرًا، فيما أَلَّفه الناس؛ لاختصارها وجمعها لعقيدة السَّلف الصالح بعبارات واضحة وأساليب حسنة رحمه الله. اهـ

سادسًا: مقدمة الشيخ محمد العثيمين:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:



الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه مذكرة للمهم من مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية في التوحيد على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها، إنه جواد كريم.

شيخ الإسلام بن تيمية: هو العالم العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية.

ولد في حران في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ.

ثم تحولت عائلته إلى دمشق، فكانت موطن إقامته.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالمًا كبيرًا، وعلمًا منيرًا، ومجاهدًا شهيرًا، جاهد في الله بعقله، وفكره، وعلمه، وجسمه، وكان قوي الحجة لا يصمد أحد لمحاجته، ولا تأخذه في الله لومة لائم إذا بان له الحق أن يقول به، ومن ثَمَّ حصلت له محن من ذوي السلطان والجاه فحبس مرارًا.

وتوفي محبوسًا في قلعة دمشق في ٢٠ من شوال ٧٢٨ هـ.

العقيدة الواسطية:

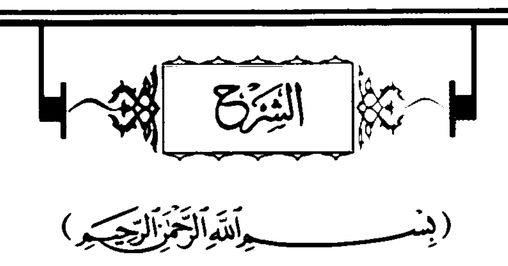
كتاب مختصر جامع لخلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة: من أسماء الله، وصفاته، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وما يتصل بذلك من طريقة أهل السنة العملية.

وسبب تأليفها أن بعض قضاة واسط شكوا إلى شيخ الإسلام ما كان عليه الناس من بدع وضلال، وطلبوا منه أن يكتب عقيدة مختصرة تبين طريقة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وغير ذلك، مما سيذكر في تلك العقيدة؛ ولذلك سميت العقيدة الواسطية. اهـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لِله الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى الله عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.



(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

الابتداء والبسملة وكتابتها في الكتب

❁ **قال الشيخ**: ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة؛ اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيًا بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، وعملًا بحديث «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**»، وفي رواية: «**أجذم**»، وفي رواية: «**أبتر**»[١]، والمعنى: ناقص البركة. اهـ

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٢٨)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وصححه ابن حبان (رقم ١)، وأبو عوانة في «المستخرج»، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٥٥٩) بلفظ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**». ورواه أبو داود (٤٨٤٠)، بلفظ: «**كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع**». ورواه الإمام أحمد (٨٦٩٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٣١) بلفظ: «**كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أبتر**»، أو قال: «**أقطع**»، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٧٢١٩) وحسنه الحافظ أبو عمرو بن الصلاح، والنووي وابن الملقِّن في «البدر المنير» (٧/ ٥٢٨)، قال الشيخ ابن باز: جاء هذا الحديث من طريقين أو أكثر عند ابن حبان وغيره، وقد ضعفه بعض أهل العلم، والأقرب أنه من باب الحسن لغيره، وبالله التوفيق. اهـ من «مجموع فتاوى ابن باز» (٢٥/ ١٣٥).

❁ **قال المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: وتكتب البسملة أوائل الكتب كما كتبها سليمان، وكتبها النبي ﷺ في صلح الحديبية، وإلى قيصر وغيره، فتذكر في ابتداء جميع الأفعال، وعند دخول المنزل، والخروج منه للبركة، وهي تطرد الشيطان، وإنما تستحب إذا ابتدأ فعلا تبعا لغيرها لا مستقلة فلم تجعل، كالهيللة والحمدلة، ونحوهما. اهـ(١)

هل البسملة آية من القرآن؟ وبيان معناها

❁ **الهراس**: اختلف العلماء في البسملة، هل هي آية من كل سورة افتتحت بها، أو هي آية مستقلة أُنزلت للفصل بها بين السور، وللتبرك بالابتداء بها؟

والمختار: القول الثاني.

واتفقوا على أنها جزء آية من سورة النمل، وعلى تركها في أول سورة (براءة)؛ لأنها جعلت هي والأنفال كسورة واحدة.

والباء في «بسم» للاستعانة، وهي متعلقة بمحذوف، قدّره بعضهم فعلًا، وقدره بعضهم اسمًا، والقولان متقاربان، وبكلٍ ورد في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا﴾ [هود: ٤١].

ويحسن جعل المقدر متأخرًا؛ لأن الاسم أحق بالتقديم، ولأن تقديم الجار والمجرور يفيد اختصاص الاسم الكريم بكونه متبركًا به.

والاسم هو اللفظ الموضوع لمعنى، تعيينًا له، أو تمييزًا.

واختلف في أصل اشتقاقه، فقيل: إنه من السمة، بمعنى: العلامة، وقيل: من السمّو. وهو المختار، وهمزته همزة وصل.

---

(١) الاختيارات الفقهية (ص/ ٥١: ط الفقي) ومع «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٣٣ط: عطا).

هل الاسم هو المسمى؟

وليس الاسم نفس المسمى كما زعم بعضهم، فإن الاسم هو اللفظ الدال، والمسمى هو المعنى المدلول عليه بذلك الاسم.

وليس هو كذلك نفس التسمية، فإنها فعل المسمى، يقال: سميت ولدي محمدًا، مثلًا.

وقول بعضهم(١): إن لفظ الاسم هنا مقحم؛ لأن الاستعانة إنما تكون بالله ﷻ لا باسمه، ليس بشيء؛ لأن المراد ذكر الاسم الكريم باللسان، كما في قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. أي: سبّحه ناطقًا باسم ربك، متكلمًا به. فالمراد التبرك بالابتداء بذكر اسمه تعالى.

تفسير اسم الجلالة «الله»

واسم الجلالة: قيل إنه اسم جامد غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فهو كسائر الأعلام المحضة، التي لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها.

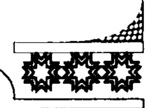
والصحيح أنه مشتق، واختلف في مبدأ اشتقاقه، فقيل: من أَلَهَ يَأْلَهُ أُلُوْهَةً وإلاهَةً وأُلوهية. بمعنى: عبد عبادة.

وقيل: من أَلِهَ -بكسر اللام- يأْلَهُ -بفتحها- أَلها: إذا تحير.

والصحيح الأول، فهو إله، بمعنى مألوه. أي: معبود؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين.

---

(١) كأبي عبيدة في «مجاز القرآن».



وعلى القول بالاشتقاق يكون وصفًا في الأصل، ولكن غلبت عليه العلمية، فتجري عليه بقية الأسماء أخبارًا وأوصافًا، يقال: اللهُ رحمنٌ، رحيمٌ، سميعٌ، عليمٌ، كما يقال: الله الرحمن الرحيم.. إلخ. اهـ

❁ **قال المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية**(١): قوله: «بسم الله» جملة، تامة إما اسمية على أظهر قولي النحاة، أو فعلية. وتقديره: قراءتي بسم الله. أو: اقرأ بسم الله. ومن الناس من يضمر في مثل هذا: ابتدائي بسم الله. أو: ابتدأت بسم الله. والأول أحسن؛ لأن الفعل كله مفعول «بسم الله»، ليس مجرد ابتدائه، كما أظهر المضمر في قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وفي قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. وفي قول النبي ﷺ: «**من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى، ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله**»(٢). ومن هذا الباب قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبي سلمة: «**سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»(٣)، فالمراد أن يقول بسم الله، ليس المراد أن يذكر الاسم مجردًا، وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم: «**إذا أرسلت كلبك المعلَّم وذكرت اسم الله فكل**»(٤)، وكذلك قوله ﷺ: «**إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله، وعند خروجه، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء**»(٥)، وأمثال ذلك كثير. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «بسم الله» الجار والمجرور متعلقان بمحذوف، والمختار كونه فعلًا خاصًا متأخرًا، والتقدير: أؤلف حال كوني مستعينًا بذكر الله متبركًا به(٦).

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٢٣٠) و«الفتاوى الكبرى» (٥/ ٢١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٠٠)، ومسلم (١٩٦٠) عن جندب بن سفيان البجلي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢) عن عمر بن أبي سلمة.

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٨٣، ٥٤٨٧، ٧٣٩٧)، ومسلم (١٩٢٩) عن عدي بن حاتم.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠١٨) عن جابر.

(٦) سيأتي تخريجه قريبًا.

ولفظ الجلالة دال على الصفة القائمة به تعالى، وهي الإلهية، قال ابن عباس: الله ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين(١). اهـ

تفسير «الرحمن الرحيم»

❁ **ابن مانع:** قوله: «الرحمن الرحيم» صفتان لله، فالرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، يظهر ذلك بتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. اهـ

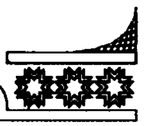
❁ **الهراس:** و«الرحمن الرحيم»: اسمان كريمان من أسمائه الحسنى، دالان على اتصافه تعالى بصفة الرحمة، وهي صفة حقيقية له سبحانه، على ما يليق بجلاله، ولا يجوز القول بأن المراد بها لازمها، كإرادة الإحسان ونحوه، كما يزعم المعطلة، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله.

واختلف في الجمع بينهما: فقيل: المراد بـ«الرحمن» الذي وسعت رحمته كل شيء في الدنيا؛ لأن صيغة «فعلان» تدل على الامتلاء والكثرة، و«الرحيم» الذي يختص برحمته المؤمنين في الآخرة، وقيل العكس.

وقد ذهب العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن «الرحمن» دال على الصفة القائمة بالذات، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم؛ ولهذا لم يجئ الاسم الرحمن متعديًا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ولم يقل: رحمانًا، وهذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ١٢١، ١٢٨، ١٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٥، ٢٦).



وروي عن ابن عباس أنه قال: «الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر»[١]، وأوسعهما الرحمن؛ ولهذا جاء في التفسير رحمن الدنيا والآخرة، فلولا رحمته العامة ما بقي أحد على وجه الأرض، أما الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين. اهـ

ومنع بعضهم كون «الرحمن» في البسملة نعتا لاسم الجلالة؛ لأنه علم آخر لا يطلق على غيره، والأعلام لا ينعت بها، والصحيح أنه نعت له باعتبار ما فيه من معنى الوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، ولا تنافي اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة جرى تابعا على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. اهـ



قوله: (الحَمْدُ لله).

* **الهراس**: (الحمد لله): روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو أقطع، أبتر، ممحوق البركة**»[٢] وورد مثل ذلك في البسملة؛ ولهذا جمع المؤلف بينهما عملًا بالروايتين، ولا تعارض بينهما؛ فإن الابتداء قسمان: حقيقي وإضافي.

---

(١) أخرجه البيقي في «الأسماء والصفات» (٨٢)، بسندٍ ضعيف جدًا.

(٢) عزاه الحافظ السخاوي في «القول البديع من الصلاة على الحبيب الشفيع» إلى فوائد ابن عمرو بن منده بلفظ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله، ثم الصلاة علي فهو أقطع ممحوق من كل بركة». ثم قال السخاوي: والحديث مشهور، لكن بغير هذا اللفظ، وذكر أنه صحيح. اهـ من تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، وتقدم تخريجه.

تفسير الحمد والشكر

والحمد ضد الذم، يقال: حَمِدتُ الرجل أحمده حمدًا ومحمدًا ومَحمدة، فهو محمود وحميد.

ويقال: حَمَّدَ اللهَ بالتشديد: أثنى عليه المرة بعد الأخرى وقال: الحمد لله. والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري، نعمة كان أو غيرها، يقال: حمدت الرجل على إنعامه، وحمدته على شجاعته. اهـ

* **السعدي**: «الحمد لله» أي: جميع أوصاف الكمال ثابتة لله، على أكمل الوجوه وأتمها، ومما يحمد عليه نعمه على العباد التي لا يحصي أحد من الخلق تعدادها، وأعظمها: إرساله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين. اهـ

* **ابن مانع**: قوله: «الحمد لله» (الحمد) نقيض الذم، وهو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون باللسان، والجنان، والأركان، كما قال الشاعر[1]:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً * يدي ولساني والضميرَ المحجبَا. اهـ

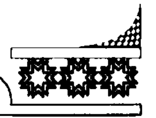
* **آل الشيخ**: قال المصنف: الحمد هو ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله[2]. وقال معناه أيضًا ابن القيم[3]. اهـ

---

(١) لا يعرف، وهو من شواهد الزمخشري في الكشاف وغيره.

(٢) انظر رسالة «الحسنة والسيئة» لشيخ الإسلام (ص/ ٧٨) ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣١٢) وسيأتي إن شاء الله ذكره في سياقه.

(٣) في بدائع الفوائد (٢/ ٩٢).



الشكر

* **الهراس**: وأما الشكر فعلى النعمة خاصة، ويكون بالقلب، واللسان، والجوارح، قال الشاعر:

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثةً * يدي ولساني والضميرَ المحجبَا

الفرق بين الحمد والشكر

وعلى هذا فبين الحمد والشكر عموم وخصوص من وجه، يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة، وينفرد الحمد في الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختياري، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة، فالحمد أعم متعلقا، وأخص آلة، والشكر بالعكس.

الفرق بين الحمد والمدح

وأما الفرق بين الحمد والمدح فقد قال ابن القيم: إن الحمد إخبار عن محاسن المحمود، مع حبه، وتعظيمه، فلا بد فيه من اقتران الإرادة بالخير، بخلاف المدح، فإنه إخبار مجرد[1].

ولذلك كان المدح أوسع تناولًا؛ لأنه يكون للحي والميت وللجماد أيضًا.

و«أل» في «الحمد» للاستغراق؛ ليتناول كل أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وقيل: للجنس، ومعناه: أن الحمد الكامل ثابت لله، وهذا يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله ونعوت جماله، إذ من عدم صفات الكمال؛ فليس بمحمود على الإطلاق،

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٩٢).

ولكن غايته [أنه محمود من وجه دون وجه لا] أن يكون محمودًا من كل وجه وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد، إلا من حاز صفات الكمال جميعها[١]. اهـ

* **قال المصنف**: الحمد يتضمن: إثبات المحامد المتضمن لنفي نقائضها... والحمد مفتاح الكلام، كما في سنن أبي داود عن النبي ﷺ: «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم**»[٢]. ولهذا كانت السنة في الخطب أن تفتتح بالحمد، ويختم ذكر الله بالتشهد، ثم يتكلم الإنسان بحاجته... كلما حمد العبد ربه تحقق حمده في قلبه ومعرفة بمحامده، ومحبة له، وشكرًا له.

والألف واللام في قوله: «الحمد لله» فيها قولان:

قيل: هي للجنس كما ذكره بعض المفسرين من المعتزلة وتبعه عليه بعض المنتسبين إلى السنة.

والثاني: -وهو الصحيح- أنها للاستغراق، فالحمد كله لله، كما جاء في الأثر: «لك الحمد كله، ولك الملك كله»[٣]. فله الحمد حمد مستقل، وله الملك ملك مستقل، ولكن هو سبحانه يؤتي الملك من يشاء، والذي يؤتيه هو مِن مُلكه، وكل ما تصرف فيه العبد

---

(١) عبارة ابن القيم في «مدارج السالكين»: «وغايته أنه محمود من وجه دون وجه، ولا يكون محمودا بكل وجه، وبكل اعتبار بجميع أنواع الحمد إلا من استولى على صفات الكمال جميعها فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبها» هذا نص عبارة ابن القيم، وقد حصل في نقل المؤلف لها خلل ظاهر، فليتنبه لذلك. اهـ من تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري. وانظر «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٦٤)، وما بين المعكوفين منه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤١) والترمذي (١١٠٦) وأحمد (٢/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٥، ٣٩٦) بإسناد منقطع من حديث حذيفة أنه أتى النبي ﷺ فقال: بينما أنا أصلي إذ سمعت متكلمًا يقول: اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، بيدك الخير كله، إليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأَهْلٌ أن تحمد، إنك على كل شيء قدير، اللهم اغفر لي جميع ما مضى من ذنبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني عملًا زاكيًا ترضى به عني، فقال النبي ﷺ: «**ذاك مَلَكٌ أتاك يعلمك تحميد ربك**».
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٩٦): «رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات. اهـ

فهو من مُلك الرب، وهو مستقل بالملك، ليس هذا لغيره. كذلك الحمد هو مستقل بالحمد كله؛ فله الحمد كله، وله الملك كله، وكل ما جاء به الإذن من موجود فله الحمد عليه، وكل ما يجعله للعباد مما يحمدون عليه فله الحمد عليه، وإذا ألهمهم الحمد فهو الذي جعلهم حامدين.

والمعتزلة لا يقرون بأنه جعل الحامد حامدًا، والمصلي مصليًّا، والمسلم مسلمًا، بل يثبتون وجود الأعمال الصالحة من العبد لا من الله، فلا يستحق الحمد على تلك الأعمال على أصلهم؛ إذ كان ما أعطاهم من القدرة، والتمكين، وإزاحة العلل قد أعطى الكفار مثله، لكن المؤمنون استقلوا بفعل الحسنات، كالأب الذي يعطي ابنيه مالا، فهذا ينفقه في الطاعة وهذا ينفقه في المعصية؛ فهو عندهم لا يمدح على إنفاق هذا الابن كما لا يذم على إنفاق الآخر.

وأما أهل السنة، فيقولون كما أخبر الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧]. وقال أهل الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وقال الخليل: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤]. وقال هو وابنه إسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ويحمدون الله حمد النعمة، وحمد العبادة، وهو سبحانه جعل من شاء من عباده محمودًا، ومحمدًا سيد المحمودين، ومحمد تكون صفاته المحمودة أكثر، وأحمد يكون أحمد من غيره، فهذا أفضل، وذاك أكثر، وهو سبحانه جعل محمدًا وأحمد، فهو المحمود على ذلك. وحَمْد أهل السموات والأرض جزء من حمده، فإن حمد المصنوع حمد صانعه، كما أن كل مُلْك هو جزء من ملكه، فله الملك وله الحمد.

والحمد إنما يتم بالتوحيد، وهو مناط للتوحيد، ومقدمة له؛ ولهذا يفتتح به الكلام، ويثنّى بالتشهد، وكل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء.

وأما أهل السنة فيقولون: الحمد لله كله... وإنما للعبد حمد مقيد؛ لكون الله تعالى أنعم به عليه، كما للعبد ملك مقيد، وأما الملك المستقل، والحمد المستقل، والملك العام، والحمد العام فهو لله رب العالمين لا إله إلا هو، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وفي «السنن» عن النبي ﷺ: «**من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد. فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قال مثل ذلك إذا أمسى فقد أدى شكر تلك الليلة**»[١]...

وفي «السنن» نوعان من الدعاء، يقال في كل منهما لمن دعا به إنه دعا الله باسمه الأعظم:

أحدهما: «**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، أنت الله المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام**»[٢].

والآخر: «**اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**»[٣].

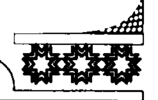
والأول: سؤال بأنه المحمود، والثاني: سؤال بأنه الأحد. فذاك سؤال بكونه محمودًا، وهذا سؤال بوحدانيته المقتضية توحيدًا، وهو في نفسه محمود يستحق الحمد، معبود يستحق العبادة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في الكبرى (٩٨٣٥) من حديث عبد الله بن غنام البياضي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (٣/ ٥٢)، وفي الكبرى (١١٣٢)، والترمذي (٣٥٤٤)، وأحمد (٣/ ١٢٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه ابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١/ ٥٠٣، ٥٠٤)، ووافقه الذهبي من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٩٣، ١٤٩٤)، والنسائي (٣/ ٥٢)، والترمذي (٣٤٧٥)، وأحمد (٥/ ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦٠)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، والبغوي (١٢٩٥، ١٢٦٠)، وصححه ابن حبان (٨٩١، ٨٩٢)، والحاكم (١/ ٥٠٤)، ووافقه الذهبي، الألباني من حديث بريدة ﷺ.



والنصف الأول من الفاتحة -الذي هو نصف الرب- أوله تحميد وآخره تعبيد. وقد بسط مثل هذا في مواضع[١] وبُيِّن أن التحميد والتوحيد مقرونان ولابد منهما في كل خطبة...

والحمد مقرون بالتسبيح، ولا إله إلا الله مقرون بالتكبير، فذاك تحميده، وهذا توحيده، قال تعالى: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، ففي أحدهما: إثبات المحامد له، وذلك يتضمن جميع صفات الكمال ومنع النقائص، وفي الآخر: إثبات وحدانيته في ذلك، وأنه ليس له كفؤ في ذلك...

فهو محمود على كل ما خلق، له الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد ذلك، فله الحمد حمدًا يملأ جميع ما خلقه ويملأ ما شاء خلقه بعد ذلك، إذ كان كل مخلوق هو محمود عليه، بل هو مسبح بحمده، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الاسراء: ٤٤]. والتوحيد يقتضي نفي كل ند، ومثل، ونظير، وهو كمال التحميد وتحقيقه، ذاك إثباته بغاية الكمال ونفي النقص، وهذا نفي أن يكون له مثل أو ند... إلخ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

الحمد أعمُّ من الشكر

❁ **قال المصنف**: كثير من الناس يقول: الحمد أعم من الشكر من جهة أسبابه، فإنه يكون على نعمة وعلى غير نعمة، والشكر أعم من جهة أنواعه، فإنه يكون بالقلب واللسان واليد، فإذا كان كل مخلوق فيه نعمة لم يكن الحمد إلا على نعمة والحمد لله على كل حال؛ لأنه ما من حال يقضيها إلا وهي نعمة على عباده، لكن هذا فهم من عرف ما

---

(١) راجع: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٤)، (١٦/ ١١٨)، (٢٤/ ٢٣٥).

(٢) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات لشيخ الإسلام (ص/ ٣٠-٤٧ تحقيق أشرف عبد المقصود) باختصار.

في المخلوقات من النعم، والجهميةُ والجبريةُ بمعزل عن هذا(١).

وكذلك كل ما يخلقه ففيه له حكمه، فهو محمود عليه باعتبار تلك الحكمة، والجهمية أيضا بمعزل عن هذا، وكذلك القدرية الذين يقولون: لا تعود الحكمة إليه. بل ما ثَمَّ إلا نفع الخلق، فما عندهم إلا شكر، كما ليس عند الجهمية إلا قدرة، والقدرة المجردة عن نعمة وحكمة، لا يظهر فيها وصف حمد، كالقادر الذي يفعل ما لا ينتفع به ولا ينفع به أحدًا، فهذا لا يحمد.

فحقيقة قول الجهمية- أتباع جهم- أنه لا يستحق الحمد، فله عندهم مُلك بلا حمد، مع تقصيرهم في معرفة ملكه، كما أن المعتزلة له عندهم نوع من الحمد، بلا ملك تام؛ إذ كان عندهم يشاء ما لا يكون، ويكون مالا يشاء، وتحدث حوادث بلا قدرته.

وعلى مذهب السلف له الملك وله الحمد تامين، وهو محمود على حكمته، كما هو محمود على قدرته ورحمته، وقد قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، فله الوحدانية في الهيئة، وله العدل، وله العزة والحكمة.

وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم، فمن قصّر عن معرفة السنة فقد نَقَصَ الربَّ بعضَ حقه.

والجهمي الجبري لا يثبت عدلًا، ولا حكمةً، ولا توحيدَ إلهيةٍ، بل توحيد ربوبيته، والمعتزلي أيضًا لا يثبت في الحقيقة توحيد إلهيةٍ، ولا عدلا في الحسنات والسيئات، ولا عزةً ولا حكمةً في الحقيقة، وإن قال: إنه يثبت الحكمة بما معناها يعود إلى غيره، وتلك لا يصلح أن تكون حكمة من فعل، لا لأمر يرجع إليه، بل لغيره، هو عند العقلاء قاطبة بها ليس بحكيم بل سفيه.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٥٢)، (٢٤/ ٢٢٩، ٢٣٠).

وإذا كان الحمد لا يقع إلا على نعمة، فقد ثبت أنه رأس الشكر، فهو أول الشكر.

والحمد وإن كان على نعمته وعلى حكمته، فالشكر بالأعمال هو على نعمته، وهو عبادة له؛ لإلهيته التي تتضمن حكمتَه، فقد صار مجموع الأمور داخلًا في الشكر، ولهذا عظَّمَ القرآنُ أمر الشكر، ولم يعظم أمر الحمد مجردًا؛ إذ كان نوعًا من الشكر، وشرع الحمد الذي هو الشكر المقول أمام كل خطاب مع التوحيد، ففي الفاتحة الشكر والتوحيد، والخطب الشرعية لابد فيها من الشكر والتوحيد، والباقيات الصالحات نوعان: «فسبحان الله وبحمده» فيها الشكر والتنزيه والتعظيم، و«لا إله إلا الله والله أكبر» فيها التوحيد والتكبير، وقد قال تعالى ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وهل الحمد على كل ما يحمد به الممدوح وإن لم يكن باختياره، أو لا يكون الحمد إلا على الأمور الاختيارية كما قيل في الذم؟ فيه نظر ليس هذا موضعه.

وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**ربنا ولك الحمدُ ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[1]. هذا لفظ الحديث «أحق» أفعل التفضيل، وقد غلط فيه طائفة من المصنفين فقالوا: «حق ما قال العبد» وهذا ليس لفظ الرسول ﷺ، وليس هو بقول سديد، فإن العبد يقول الحق والباطل، بل حق ما يقوله الرب كما قال تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ [ص: ٨٤]، ولكن لفظه «**أحق ما قال العبد**»، خبر مبتدأ محذوف. أي: الحمدُ أحقُّ ما قال العبد، أو هذا -وهو الحمد- أحق ما قال العبد، ففيه بيان أن الحمد لله أحق ما قاله العباد؛ ولهذا أوجب قوله في كل صلاة، وأن تفتتح به الفاتحة، وأوجب قوله في كل خطبة، وفي كل أمر ذي بال.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٧٧) عن أبي سعيد الخدري.

والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له، كما أن الذم يكون على مساويه مع البغض له... إلخ(١).

قوله: (الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ).

* **السعدي وآل الشيخ**: «الذي أرسل رسوله» محمدًا ﷺ «بالهدى» هو العلم النافع «ودين الحق» هو العمل الصالح. اهـ

* **ابن باز**: كما قال جل وعلا: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣] «الهدى»: العلم النافع والأخبار الصادقة، يقال لها هدى، و«دين الحق» الشرائع المستقيمة العادلة من الأوامر والنواهي، والله قد أرسله بعلم نافع، وعمل صالح، وشرائع مستقيمة. اهـ

معنى الرسول

* **الهراس**: الرسول في اللغة هو من بعث برسالة، يقال: أرسله بكذا إذا طلب إليه تأديته وتبليغه، وجمعه: رُسْل بسكون السين، ورُسُل بضمها. وفي لسان الشرع: إنسان، ذكر، حر، أوحي إليه بشرع، وأمر بتبليغه.

فإن أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي، فكل رسول نبي، ولا عكس، فقد يكون نبيًّا غير رسول.

والمراد بالرسول المضاف إلى ضمير الرب هنا محمد ﷺ.

---

(١) قاعدة الحسنة والسيئة (ص/ ٧٥-٧٨) ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣٠٨-٣١٢).

معنى الهدى

و«الهدى» في اللغة: البيان والدلالة كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧]. فإن المعنى: بينّا لهم. وكما في قوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

والهدى بهذا المعنى عام لجميع الناس؛ ولهذا يوصف به القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. ويوصف به الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد يأتي الهدى بمعنى التوفيق والإلهام، فيكون خاصًّا بمن يشاء الله هدايته، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ولهذا نفاه الله عن رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

والمراد بالهدى هنا: كل ما جاء به النبي ﷺ من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، والعمل الصالح.

معنى الدين

و«الدين» يأتي لعدة معان: منها: الجزاء كما في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، ومنه قولهم: كما يدين الفتى يدان. ومنها: الخضوع والانقياد، يقال: دان له بمعنى: ذل وخضع. ويقال: دان اللهَ بكذا، أو كذا بمعنى اتخذه دينا يعبده به.

والمراد بالدين هنا: جميع ما أرسل الله به رسول الله ﷺ من الأحكام والشرائع، اعتقادية كانت، أم قولية، أم فعلية.

وإضافته إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته. أي: الدين الحق، والحق: مصدر حَقَّ يَحِقُّ[(١)] إذا ثبت ووجب، فالمراد به: الثابت الواقع، ويقابله الباطل الذي لا حقيقة له. اهـ

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]: «فالهدى»: كمال العلم، و«دين الحق»: كمال العمل، كقوله: ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص: ٤٥]، وقوله: ﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [التين: ٦]، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر: ١٠]، وفي خطبة النبي ﷺ: «**إن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد**»، لكن النظر النافع أن يكون في دليل، فإن النظر في غير دليل لا يفيد العلم بالمدلول عليه، والدليل هو الموصل إلى المطلوب، والمرشد إلى المقصود، والدليل التام هو الرسالة والصنائع، وكذلك العبادة التامة فعل ما أمر به العبد، وما جاءت به الرسل، وقد وقع الخطأ في الطريقين، من حيث أخذ كل منهما، أو مجموعهما مجردًا في الابتداء عن الإيمان بالله، وبرسوله ﷺ...[(٢)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)]: أرسل الله رسوله إلى جميع الخلق: إنسهم وجنهم، وعربهم وعجمهم، وفرسهم وهندهم، وبربرهم وررومهم، وسائر أصناف العجم أسودهم وأبيضهم. والمراد بالعجم من ليس بعربي على اختلاف ألسنتهم، فمحمد ﷺ أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن، كتابيهم وغير كتابيهم، في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة، في عقائده، وحقائقه، وطرائقه، وشرائعه، فلا عقيدة إلا عقيدته، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا طريقة إلا طريقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا يصل أحد من

---

(١) بكسر حاء المضارع وضمها، قال في «القاموس»: حقَّ الأمرُ يَحِقُّ، ويَحُقُّ حَقَّةً بالفتح: وَجَبَ، ووقع بلا شكٍّ، لازمٌ متعدٍّ. اهـ

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٣٠).

الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته، باطنًا وظاهرًا، في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، في أقوال القلب وعقائده، وأحوال القلب وحقائقه، وأقوال اللسان وأعمال الجوارح، وليس لله وليٌّ إلا من اتبعه باطنًا وظاهرًا، فصدّقه فيما أخبر به من الغيوب، والتزم طاعته فيما فرض على الخلق، من أداء الواجبات وترك المحرمات، فمن لم يكن له مصدقًا فيما أخبر، ملتزمًا طاعتَه فيما أوجب وأمر به، في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان- لم يكن مؤمنًا، فضلًا عن أن يكون وليًّا لله، ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل. اهـ

معنى ظهور الدين

قوله: (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ).

❁ **السعدي**: قوله: «ليظهره على الدين كله» على جميع الأديان بالحجة والبرهان وبالعز والسلطان. اهـ

❁ **ابن باز**: «ليظهره على الدين كله» بما أرسله من الهدى. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «ليظهره على الدين كله» ليعليه وينصره على سائر الأديان، من اليهودية، والنصرانية، والوثنية، وغير ذلك، ولما بعث الله نبيه ﷺ، وأرسله بالهدى ودين الحق، وكان له أعداء أظهره عليهم وأتمه، فإن هذه النعمة -وهي نعمة الدين- لا تتم إلا بما يحميها ويحوطها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ② وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٨]. اهـ

❁ **الهراس**: اللام في قوله: «ليظهره» لام التعليل، وهي متعلقة بـ«أرسل»، وهو من الظهور بمعنى: العلو والغلبة. أي: ليجعله عاليًا على الأديان كلها بالحجة والبرهان.

و«أل» في «على الدين» للجنس، فيدخل فيه كل دين باطل، وهو ما عدا الإسلام. اهـ

❁ **قال المصنف**: ودين الحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ ظاهر على كل تقدير[١]، فإن الله وعد بإظهاره على الدين كله ظهور علم، وبيان، وظهور سيف، وسنان، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩][٢]، فيظهره بالدلائل، والآيات العلمية التي تبين أنه حق، ويظهره أيضًا بنصره، وتأييــده على مخالفيه، ويكون منصورًا. اهـ[٣].

❁ **وقال الشيخ المصنف أيضًا**[٤]: ومن سنة الله أنه إذا أراد إظهار دينه أقام من يعارضه، فيحق الحق بكلماته، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق. اهـ



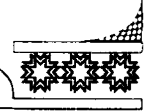
---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٤١ ط القاسم)، (٤/ ٣٤٨ ط قرطبة).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٢٣٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤ / ١٩٥)، وانظر الجواب الصحيح (٦ / ٣٦١).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٧) من رسالة أرسلها الشيخ وهو في سجن القلعة في دمشق في آخر حياته قبل موته بقليل، وهي مكتوبة بفحم، كما ذكر ذلك في العقود (ص٣٨٠).



شهادة الله لرسوله ﷺ

قوله: (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا).

❁ آل الشيخ: «وكفى بالله شهيدًا» على أنك نبي، وسينصرك ويظهر دينك. اهـ

❁ ابن باز: «وكفى بالله شهيدًا» على الأمر العظيم. اهـ

❁ السعدي: «وكفى بالله شهيدا» على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به، وشهادته تعالى بقوله، وفعله، وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة، الدالُّ كل واحد منها- فكيف بجميعها؟- على رسالته وصدقه، وأن جميع ما جاء به هو الحق من عقائد، وأخلاق، وآداب، وأعمال، وغيرها. اهـ

❁ الهراس: والشهيد: فَعِيل، وهو مبالغة من شَهِدَ، وهو إما من الشهادة، بمعنى الإخبار والإعلام، أو من الشهادة بمعنى الحضور، والمعنى: وكفى بالله شهيدًا، مخبرًا بصدق رسوله، أو حاضرًا مطلعًا لا يغيب عنه شيء. اهـ

المعنى الإجمالي لما تقدم

❁ الهراس: والمعنى الإجمالي لما تقدم أن جميع أوصاف الكمال ثابتة لله، على أكمل الوجوه وأتمها، ومما يحمد عليه سبحانه نعمه على عباده، التي لا يحصي أحد من الخلق عدَّها، وأعظمُها إرساله محمدًا ﷺ بالهدى، ودين الحق رحمة للعالمين، وبشرى للمتقين؛ ليظهره على جميع الأديان بالحجة والبرهان، والعز والتمكين والسلطان، وكفى بالله شهيدًا على صدق رسوله وحقيقة ما جاء به.

وشهادته سبحانه تكون بقوله، وفعله، وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة على أن ما جاء به هو الحق المبين. اهـ

* **قال المصنف**(١): والله سبحانه بعث محمدًا بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. فبعثه بدين الإسلام الذي بعث به جميع الأنبياء، فإن الدين عند الله الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٥٨] لا من الأولين ولا من الآخرين، وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد، الأنبياء إخوة لعلات**»(٢). وقد أخبر تعالى في القرآن عن نوح، وإبراهيم، وإسرائيل، وأتباع موسى والمسيح، وغيرهم أنهم كانوا مسلمين متفقين على عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يعبد بما أمر هو ﷻ، فلا يعبد غيره، ولا يعبد هو بدين لم يشرعه. اهـ

* **وقال**(٣): وقد بعث الله محمدًا بأفضل ذلك، وهو الهدى ودين الحق كما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. اهـ

مظاهر شهادة الله تعالى بصدق رسوله ﷺ

* **قال المصنف**(٤): في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩]: إذا نظر في ذلك علم أن الله شهد بصدقه وكذبهم بالنوعين من الآيات:

١- بكلامه الذي أنزله، وبما بين أنه رسول صادق؛ ولهذا أعقبه بقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ فإن هذا القرآن فيه الإنذار، وهو آية شهد بها أنه صادق.

٢- وبالآيات التي يظهرها في الآفاق وفي الأنفس، حتى يتبين لهم أن القرآن حق.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**».
وقال في «القاموس»: بنو العلّات: بنو أمهات شتى من رجل واحد. اهـ

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٦٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٩٤).

وقوله في هذه الآية: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾ وكذلك قوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [الرعد: ٤٣]، وكذلك قوله: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]، وكذلك قوله: ﴿ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف: ٨]. فذكر سبحانه أنه شهيد بينه وبينهم ولم يقل: شاهد علينا، ولا شاهد لي؛ لأنه ضمن الشهادة الحكم، فهو شهيد يحكم بشهادته بيني وبينكم، والحكم قدر زائد على مجرد الشهادة؛ فإن الشاهد قد يؤدي الشهادة، وأما الحاكم فإنه يحكم بالحق للمحق على المبطل، ويأخذ حقه منه، ويعامل المحق بما يستحقه، والمبطل بما يستحقه.

وهكذا شهادة الله بين الرسول ومتبعيه وبين مكذبيه، فإنها تتضمن حكم الله للرسول وأتباعه، يحكم بما يظهره من الآيات الدالة على صدق الرسول على أنها الحق، وتلك الآيات أنواع متعددة، ويحكم له أيضًا بالنجاة والنصر والتأييد وسعادة الدنيا والآخرة، ولمكذبيه بالهلاك والعذاب وشقاء الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ ﴾ [الفتح: ٢٨] فيظهره بالدلائل والآيات العلمية، التي تبين أنه حق، ويظهره أيضًا بنصره وتأييده على مخالفيه، ويكون منصورًا كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ ﴾ [الحديد: ٢٥]، فهذه شهادة حكم، كما قدمنا ذلك في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾. قال مجاهد والفراء وأبو عبيدة: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أي: حكم وقضى. لكن الحكم في قوله: ﴿ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾ أظهر، وقد يقول الإنسان لآخر: فلان شاهد بيني وبينك. أي: يتحمل الشهادة بما بيننا، فالله يشهد بما أنزله ويقوله، وهذا مثل الشهادة على أعمال العباد، ولكن المكذبون ما كانوا ينكرون التكذيب، ولا كانوا يتهمون الرسول بأنه ينكر دعوى الرسالة، فيكون الشهيد بتضمن الحكم أثبت وأشبه بالقرآن، والله أعلم. اهـ

❁ **وقال أيضًا**: فإن شهادته وحده كافية بدون ما ينتظر من الآيات، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٤٣]، وشهادته

للقرآن ولمحمد ﷺ تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيائه، كما قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٤٠] وتكون بأفعاله، وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين الدالة على صدق رسلهَ، فإنه صدّقهم بها فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون، والقرآن نفسه هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد، وإتيان محمد به، هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله؛ إذ كان البشر لا يقدرون على مثله، لا يقدر عليه أحد من الأنبياء، ولا الأولياء، ولا السحرة، ولا غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]. ومحمد ﷺ أخبر بهذا في أول أمره، إذ كانت هذه الآية في سورة سبحان، وهي مكية، صدّرها بذكر الإسراء، الذي كان بمكة باتفاق الناس، وقد أخبر خبرًا وأكّده بالقسم عن جميع الثقلين إنسهم وجنهم، أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته، منها: إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجزون عنه، هذا لا يقدم عليه من يطلب الناس أن يصدقوه، إلا وهو واثق بأن الأمر كذلك؛ إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر، فيفسد عليه ما قصده، وهذا لا يقدِم عليه عاقل، مع اتفاق الأمم- المؤمن بمحمد والكافر به- على كمال عقله ومعرفته وخبرته؛ إذ ساس العالم سياسةً لم يسسهم أحد بمثلها، ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة، الذي يقرأ به في الصلوات، ويسمعه العام والخاص والولي والعدو- دليل على كمال ثقته بصدق هذا الخبر... إلخ[١]



(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٤٠٧).

شهادة التوحيد

قوله: (وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا).

❁ **آل الشيخ**: «وأشهد أن لا إله إلا الله» أي: أنه لا معبود حقٌّ إلا اللهُ، «وحده» تأكيد للإثبات «لا شريك له» تأكيد للنفي، فهو تأكيد بعد التوكيد، اهتمامًا بمقام التوحيد. «إقرارًا به وتوحيدًا» يعني: أُخبر عن اعتقادٍ وعلمٍ أن لا إله إلا الله. أي: أنه لا معبود حق إلا الله. اهـ

❁ **ابن باز**: يعني: إقرارًا بأنه هو الواحد المستحقّ للعبادة، وهو الواحد في ذاته، وهو الواحد في صفاته، وأسمائه، لا سميَّ له، ولا كفء له، ولا شبيه له، وهو الواحد في ربوبيته وخلقه لعباده، لا خالق لهم غيره، هو الخلَّاق الرزاق، وهو الواحد في الإلهية، لا يستحق العبادة سواه جلّ وعلا. «إقرارًا به» يعني: بهذا التوحيد العظيم، و«توحيدًا» أي: إفرادًا لله به ﷻ. اهـ

❁ **السعدي**: أي: أقر وأعترف مصدقًا، ومنقادًا أنه لا يستحق الألوهية، وهي التفرد بكل كمال إلا الله، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: «إقرارا به» أي: بالقلب واللسان. «وتوحيدًا» أي: إخلاصا لله في كل عبادة قولية، أو عملية، أو اعتقادية. وأعظم ما يوحد به، ويتقرب إليه به تحقيق العقيدة السلفية المحتوي عليها هذا الكتاب، وبتحقيق العقيدة تصلح الأعمال، وتقبل وتستقيم الأمور اهـ.

❁ **الهراس**: «الشهادة»: الإخبار بالشيء عن علم به، واعتقاد لصحته وثبوته، ولا تعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان، وواطأ القلب عليها اللسان، فإن الله قد كذب المنافقين في قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾ [المنافقون: ١]، مع أنهم قالوا بألسنتهم.

و«لا إله إلا الله»: هي كلمة التوحيد، التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول

منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه، كما قال نبينا ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله ﷻ**»[١].

ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد، كقولنا: الله واحد. مثلًا، فهي تدل بصدرها على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وتدل بعجزها على إثبات الإلهية له وحده[٢]، ولابد فيها من إضمار خبر تقديره: لا معبود بحق موجودٌ إلا الله[٣].

وأما قوله: «**وحده لا شريك له**» فهو تأكيد لما دلّت عليه كلمة التوحيد.

وقوله: «**إقرارًا به**» مصدر مؤكِّد لمعنى الفعل «**أشهد**»، والمراد: إقرار القلب واللسان.

وقوله: «**توحيدًا**». أي: إخلاصًا لله ﷻ في العبادة. فالمراد به التوحيد الإرادي الطلبي المبني على توحيد المعرفة والإثبات[٤]. اهـ

❁ **قال المصنف**: التوحيد أصل الإيمان وهو الكلام الفارق بين أهل الجنة وأهل النار، وهو ثمن الجنة، ولا يصح إسلام أحد إلا به، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة. اهـ[٥]

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ فتح)، ومسلم (١/ ٣١٤ نووي) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) صدرها: (لا إله)، وعجزها: (إلَّا الله).

(٣) والأحسن منه تقديرها: (لا إلهَ حقٌّ إلَّا الله)، «لا» نافية للجنس تعمل عمل إنَّ، و«إله» اسمها، مبني على الفتح في محل نصب، وخبرها «حقٌّ» مرفوع بالضمة، «إلا الله» بدل من الضمير المستتر في الخبر.

(٤) التوحيد نوعان: الأول: التوحيد الإرادي الطلبي العملي، وهو توحيد الإلوهية، والثاني: توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي، ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنه توحيد معرفة وإثبات.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٣٥).

قوله: (وأشهد أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

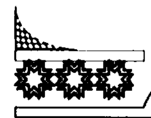
❁ **السعدي**: قوله: «وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله» الشهادة للرسول بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد، لا يكفي إحداهما عن الأخرى، ولابد فيها من اعتراف العبد بكمال عبودية النبي ﷺ لربه، وكمال رسالته المتضمنة لكماله ﷺ، وأنه فاق جميع البشر في كل خصلة كمال. ولا تتم الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر، ويطيعه في كل ما أمر، وينتهي عما نهى عنه. وبهذه الأمور تتحقق الشهادة لله بالتوحيد، وللرسول بالرسالة. اهـ

مقامات العبودية لله تعالى

❁ **آل الشيخ**: قوله: «عبده» هذه العبودية في حق المصطفى ﷺ هي عبودية التشريف والتكريم، وهذا أخص وصفه ﷺ، فإنه ﷺ خُيِّرَ بين أن يكون مَلِكًا نبيًّا، وبين أن يكون عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، وله ﷺ من هذه العبودية أكملها وأعلاها، فإن العبودية عبوديتان: خاصة، وعامة. عبودية تابعة للربوبية، وهي التي دخل فيها جميع الخلق، كما في قوله تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣]. وعبودية تابعة للألوهية والعبادة، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية.

وذُكر ﷺ بالعبودية في أشرف مقاماته كما في آية الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١]، وقال في مقام الإنزال عليه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، وقال في مقام التحدي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣].

والجمع له ﷺ بين العبودية والرسالة فيه الرد على أهل الإفراط الذين غلوا فيه حتى جوَّزوا الاستغاثة به في كل ما يستغاث بالله فيه، فهؤلاء في الحقيقة ما جعلوه عبدًا،



بل اتخذوه معبودًا، ورفعوه فوق منزلته. وعلى أهل التفريط بترك متابعته، والرضا عن سنته بالأوضاع والقوانين الباطلة، فهم ما شهدوا في الحقيقة أنه رسول الله، بل شهادتهم ناقصة على حسب ما كان معهم من تلك الأمور. اهـ

الاقتران بين الشهادتين

* **الهراس**: وجعل الشهادة للرسول ﷺ بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد؛ للإشارة إلى أنه لابد من كل منهما، فلا تغني إحداهما عن الأخرى؛ ولهذا قرن بينهما في الأذان، وفي التشهد.

وقال بعضهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]: يعني: لا أذكر إلا ذكرت معي[1]، وإنما جمع له بين وصفي الرسالة والعبودية؛ لأنهما أعلى ما يوصف به العبد.

والعبادة: هي الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته؛ ولهذا ذكر الله نبيه بلقب العبد في أسمى أحواله، وأشرف مقاماته: كالإسراء به، وقيامه بالدعوة إلى الله، والإيحاء إليه، والتحدي بالذي أنزل عليه.

ونبه بوصف العبودية أيضًا إلى الرد على أهل الغلو الذين قد يتجاوزون بالرسول ﷺ قدره، ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية، كما يفعل ضلال الصوفية قبحهم الله، وقد صح

---

(١) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ عن مجاهد قال: حدثنا ابن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قال: «لا أذكر إلا ذكرت معي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله». اهـ إسماعيل الأنصاري.

عنه ﷺ أنه قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[١].

والمقصود أن هذه الشهادة تتضمن اعتراف العبد بكمال عبوديته ﷺ لربه، وكمال رسالته، وأنه فاق جميع البشر في كل خصلة كماله، ولا تتم هذه الشهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر به، ويطيعه في كل ما أمر به، وينتهي عما نهى عنه... اهـ

معنى الصلاة على النبي ﷺ

قوله: (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ).

❁ **ابن باز**: ثم صلى على النبي ﷺ، كما في الحديث أنه ﷺ أرشد من دعا أن يحمد الله ثم يصلي على النبي ﷺ، فيستحب في تقدمة الدعاء والمؤلفات حمد الله، والثناء عليه، والشهادة له بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة عليه الصلاة والسلام؛ لأن هذا من أسباب قبول الدعاء، ومن أسباب التوفيق؛ ولهذا قال في حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه: «**إذا دعا أحدُكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليدعُ بعدُ بما شاء**»[٢]. اهـ

❁ **الهراس**: الصلاة في اللغة: الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، والمشهور أن الصلاة من الملائكة الاستغفار كما في الحديث الصحيح:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦١) عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول فذكره.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٣٧)، وأبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧)، والنسائي (٣/ ٤٤)، والبيهقي (٢/ ١٤٧-١٤٨)، والبزار (٣٧٤٨)، والطبراني (١٨/ ح٧٩١، ٧٩٣)، وصححه ابن حبان (١٩٦٠)، وابن خزيمة (٧١٠)، والحاكم (٨٤٠)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

«والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»(١)، ومن الآدميين: التضرع والدعاء. اهـ

* **ابن مانع والهراس**: وأصح ما قيل في صلاة الله على عبده هو ما ذكره البخاري في «صحيحه» عن أبي العالية قال: «صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة». اهـ

* **آل الشيخ**: معنى الصلاة عليه: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، وجَمَع بين الصلاة والسلام عليه، كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اهـ

معنى آل النبي ﷺ

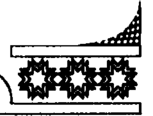
* **آل الشيخ**: آله، قيل: إنهم أتباعه على دينه، وقيل: إنهم أزواجه وذريته، وهذا أرجح الأقوال، كما أن الذي يليه هم من تَحرم عليهم الزكاة. اهـ

* **الهراس**: وآل الشخص هم من يمتون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها.

وآله ﷺ يراد بهم أحيانًا من حرمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، ويراد بهم أحيانًا كل من تبعه على دينه.

وأصل «آل»: أهل، أبدلت الهاء همزة، فتوالت همزتان، فقلبت الثانية منهما أَلِفًا، ويصغر على أُهَيل، أو أُوَيل، ولا يستعمل إلا فيما شرف غالبًا، فلا يقال: آل الإسكافِ وآل الحجامِ. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥، ٦٤٧، ٦٥٩، ٢١١٩)، ومسلم (٦٤٩/ ٢٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



❁ **قال المصنف**: وقد تنازع الناس في آل محمد من هم؟ فقيل: هم أمته. وهذا قول طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم، وقيل: المتقون من أمته. ورووا حديثًا: «آل محمد كل مؤمن تقي» رواه الخلال وتمام في «الفوائد» له(١)، وقد احتج به طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم، وهو حديث موضوع، وبنى على ذلك طائفة من الصوفية أن آل محمد هم خواص الأولياء، كما ذكر الحكيم الترمذي.

والصحيح أن آل محمد هم أهل بيته، وهذا هو المنقول عن الشافعي وأحمد، وهو اختيار الشريف أبي جعفر وغيرهم، لكن هل أزواجه من أهل بيته؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد:

أحدهما: أنهن لسن من أهل البيت، ويروى هذا عن زيد بن أرقم.

والثاني هو الصحيح أن أزواجه من آله، فإنه قد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه علمهم الصلاة عليه: «**اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته**»(٢) ولأن امرأة إبراهيم من آله وأهل بيته، وامرأة لوط من آله وأهل بيته، بدلالة القرآن، فكيف لا يكون أزواج محمد من آله وأهل بيته؟ ولأن هذه الآية(٣) تدل على أنهن من أهل بيته، وإلا لم يكن لذكر ذلك في الكلام معنى.

وأما الأتقياء من أمته فهم أولياؤه، كما ثبت في «الصحيح» أنه قال: «**إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، وإنما وليي الله وصالح المؤمنين**»(٤). فبيّن أن أولياءه صالح

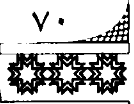
---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٢)، و«شعب الإيمان» (٢/ ٦٩٣)، وتمام الرازي في «الفوائد» (٢/ ٢١٧)، والكلاباذي في «معاني الأخبار» (١/ ٣٠٦)، وابن عدي في «الكامل» (١٧٢٢٢) من طريق نافع أبي هرمز عن أنس مرفوعًا، قال ابن عدي: قال النسائي: أبو هرمز عن أنس: ليس بثقة. اهـ
وقال البيهقي: أبو هرمز ضعفه أهل العلم بالحديث، وذكره الذهبي في «تلخيص العلل المتناهية» (٩٠)، وقال: فيه نافع أبو هرمز متروك. اهـ وضعفه جدًّا ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٩، ٦٣٦٠)، ومسلم (٤٠٧) عن أبي حميد الساعدي.

(٣) يعني: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) عن عمرو بن العاص.



المؤمنين، وكذلك في حديث آخر: «إن أوليائي المتقون حيث كانوا، وأين كانوا»[(١)]. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، وفي الصحاح عنه أنه قال: «وددت أني رأيت إخواني» قالوا: أولسنا إخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواني قوم يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني»[(٢)]. إذا كان كذلك فأولياؤه المتقون بينه وبينهم قرابة الدين والإيمان والتقوى، وهذه القرابة الدينية أعظم من القرابة الطينية، والقرب بين القلوب والأرواح أعظم من القرب بين الأبدان؛ ولهذا كان أفضل الخلق أولياؤه المتقون، وأما أقاربه ففيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فإن كان فاضلًا منهم: كعلي ﷺ، وجعفر، والحسن، والحسين، فتفضيلهم بما فيهم من الإيمان والتقوى، وهم أولياؤه بهذا الاعتبار لا بمجرد النسب، فأولياؤه أعظم درجة من آله، وإن صلى على آله تبعا له لم يقتض ذلك أن يكونوا أفضل من أوليائه الذين لم يصل عليهم، فان الأنبياء والمرسلين هم من أوليائه، وهم أفضل من أهل بيته، وإن لم يدخلوا في الصلاة معه تبعا، فالمفضول قد يختص بأمر ولا يلزم أن يكون أفضل من الفاضل، ودليل ذلك أن أزواجه هم ممن يصلى عليه، كما ثبت ذلك في الصحيحين، فقد ثبت باتفاق الناس كلهم أن الأنبياء أفضل منهن كلهن[(٣)]. اهـ

❁ **وقال أيضًا:** قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠ ۞وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٢] فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ ومعهن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١١) عن معاذ بن جبل، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥) من حديث أنس مرفوعًا، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٨٨).

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٥٣ وما بعدها).

المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، وليس مختصًا بأزواجه، بل هو متناول لأهل البيت كلهم، وعليٌّ، وفاطمة، والحسن، والحسين أخصُّ من غيرهم بذلك؛ ولذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم، وهذا كما أن قوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨]، نزلت بسبب مسجد قباء، لكن الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة. وهذا يوجه ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال: «هو مسجدي هذا»[1]. وثبت عنه في الصحيح أنه كان يأتي قباء كل سبت ماشيًا وراكبًا[2]، فكان يقوم في مسجده يوم الجمعة، ويأتي قباء يوم السبت، وكلاهما مؤسَّس على التقوى، وهكذا أزواجه، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، كلهم من أهل البيت، لكن عليًّا، وفاطمة، والحسن، والحسين أخص بذلك من أزواجه؛ ولهذا خصهم بالدعاء. اهـ[3]



معنى الصحب والصحابة

قوله: (وَصَحْبِهِ).

* **الهراس**: المراد بالصحب أصحابه ﷺ، وهم كل من لقيه حال حياته مؤمنا، ومات على ذلك. اهـ

* **آل الشيخ**: وأصحاب: جمع صاحب، والصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ ولو لحظة، وآمن به.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري، بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٣) عن عبد الله بن عمر.

(٣) منهاج السنة النبوية (٧/ ٥٢ وما بعدها).

وجَمَع بين الآل والصحب، كما جمع بين الصلاة على النبي ﷺ والسلام عليه، ففيه الرد على الروافض من قوله: «وأصحابه»، وعلى النواصب من قوله: «وآله» إذا عُني بهم أهل بيته. اهـ



التسليم على النبي ﷺ

قوله: (وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا).

❁ **الهراس**: السلام: اسم مصدر من سلم تسليما عليه، بمعنى: طلب له السلامة من كل مكروه. وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: البراءة والخلاص من النقائص والعيوب، أو الذي يسلم على عباده المؤمنين في الآخرة.

و «مزيدًا» صفة لـ«تسليمًا»، وهو اسم مفعول من (زاد) المتعدي، والتقدير: مزيدًا فيه. اهـ

مجمل أصول اعتقاد الفرقة الناجية

(أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا اِعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).



الشرح

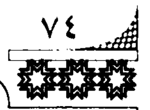
قوله: (أَمَّا بَعْدُ).

❁ **الهراس**: «أما بعد»: كلمة يؤتى بها للدلالة على الشروع في المقصود، وكان النبي ﷺ يستعملها كثيرًا في خطبه وكتبه، وتقديرها عند النحويين: مهما يكن من شيء بعد. اهـ

❁ **ابن باز**: وهي كلمة يؤتى بها للفصل بين ما قبلها وما بعدها، والمقصود بها الانتقال، يعني: أما بعد ما تقدّم من الكلام. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الكلمة يؤتى بها عند الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، والمعنى: أمَّا بعدَ ما تقدم، من حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ.

وأقرب الأقوال فيمن قال هذه الكلمة أولًا: داود ﷺ، وقيل: إنها فصل الخطاب الذي أعطيه. والصحيح خلافه، وأن فصل الخطاب الذي أعطيه ﷺ هو الفصل بين الحق والباطل. اهـ



تفسير الفِرقة

قوله: (فَهَذَا اِعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ).

* **الهراس وآل الشيخ**: الإشارة بقوله: «فهذا» إلى ما في هذه العقيدة الجليلة أي: «فهذا» المذكور في هذا الكتاب، اعتقاد الفرقة الواحدة الناجية من بين الفرق كلها.

فالإشارة بقوله: «هذا» إلى ما تضمنه هذا المؤلف من العقائد الإيمانية التي أجملها في قوله: «وهو الإيمان بالله..». اهـ

تفسير الاعتقاد

* **الهراس**: والاعتقاد: مصدر اعتقد كذا: إذا اتخذه عقيدة له. بمعنى عقد عليه الضمير والقلب، ودانَ لله به، وأصلُه من (عقد الحبل)، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم. قوله: «الفَرقة» بكسر الفاء: الطائفة من الناس. اهـ

* **آل الشيخ**: الاعتقاد: مصدر اعتقد، والاعتقاد من العقد، مأخوذ من عقد الأصابع على ما تشد عليه، وهو يطلق على التصديق مطلقًا، وعلى ما يعتقد من الأمور الدينية مما يشد عليه ويعتقد، وتعيه، وتمسكه القلوب، وسمي الاعتقاد اعتقادًا؛ لأن القلوب تعقد عليه، وتدين به وتلزمه، واعتقاد الشيء قبل عَمَلِه، والغالب أن من اعتقد بقلبه عَمِلَه. اهـ

تفسير الناجية

* **آل الشيخ**: قوله «الناجية» أي: عند هلاك الفرق والأمم، كما أخبر النبي ﷺ: «أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»[1]،

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ ح٨٨٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١)، والحاكم (١/ ١٢٨).

وفي رواية: «**هم من كانوا على ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[(١)].

وبعض أهل العلم ذكر الثلاث والسبعين فرقة باجتهاده، لكن هذا من الإخبار بالغيب، وإن كان الكل مبتدعة لا شك، لكن التعيين ما فيه نص، وإن كانت أصول البدع ترجع إلى الخمس التي وجدت في زمن السلف: الجهمية، والمرجئة، والخوارج، والرافضة، والقدرية.

وهذا الحديث لا يدل على أن هذه الأمة أشر من غيرها من الأمم، كالنصارى واليهود، بل فيه بيان أن ما يوجد من الافتراق في تلك الأمم، يوجد في هذه الأمة مثله في الافتراق وأكثر. اهـ

* **الهراس**: ووصفها بأنها «الناجية المنصورة» أخذًا من قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله**»[(٢)]، ومن قوله في الحديث الآخر: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». اهـ

* **آل الشيخ**: «المنصورة إلى قيام الساعة» كما جاء في الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى تقوم الساعة**». اهـ

* **قال المصنف**: قولي: اعتقاد الفرقة الناجية. هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». فهذا الاعتقاد:

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن. ووافقه الألباني في «صحيحه» وفي «الصحيحة» (٢٠٣، ١٣٤٨)، و«صحيح الجامع الصغير» (٥٣٤٣)، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣/ ٣٤٥)، (٢٤/ ١٧١)، والشيخ ابن باز في «فتاويه» (٤/ ٢٦٤)، وله شاهد أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٨٣٩) عن أنس بن مالك.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٢٢)، ومسلم (١٩٢٠) عن ثوبان وله شواهد عن جماعة من الصحابة في «الصحيحين» وغيرها، وهو من الأحاديث المتواترة.

هو المأثور عن النبي وأصحابه ﷺ، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: الإيمان يزيد وينقص، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه، وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك.

وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا، يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته، وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك- فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أنّ من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال: من صمت نجا. اهـ[١].

* وقال أيضًا رحمه الله: والنبي ﷺ لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال: «**كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»، وفي الرواية الأخرى: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**». فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة. اهـ[٢]



ألقاب الفرقة الناجية

قوله: (أهل السنةِ والجماعةِ).

* **الهراس**: وقوله: «أهل السنة والجماعة» بدل من الفرقة، والمراد بالسنة: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه قبل ظهور البدع والمقالات.

---

(١) مناظرة الواسطية، انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٩).

(٢) اقتضاء الصراط (ص/ ٣٧ ط الفقي).

والجماعة في الأصل: القوم المجتمعون. والمراد بهم هنا سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «**أهل السنة والجماعة**» هذا من ألقاب أهل الحق، وهذا اللقب ليس من ألقاب أهل الطرق، لما كانوا يُؤثِرون السنة على غيرها من الطرق. اهـ

❁ **العثيمين**: أهل السنة والجماعة: هم من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، اعتقادًا وقولًا، وسموا بذلك؛ لتمسكهم بالسنة، ولاجتماعهم عليها. اهـ

ألقاب الفرقة الناجية ومنهجها

❁ **ابن باز**: قوله: «**فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة**» يعني: الذي ذكره هو اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر أن الأمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «**الجماعة**»، وفي لفظ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١) فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، ويقال لهم: الفرقة الناجية، ويقال لهم: الفرقة المنصورة إلى قيام الساعة، ويقال لهم: الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة. وكلها وصف لفرقة واحدة، يقال لها: المنصورة، ويقال لها: الناجية، ويقال لها: أهل السنة والجماعة، ويقال لهم: أهل السنة. وهم الصحابة ﷺ ومن سار على نهجهم، فهم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية، أصحاب النبي ﷺ ومن سار على طريقهم وسلك مسلكهم واقتدى بهم، هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، ويخرج من ذلك الجهمية، والمعتزلة، والمرجئة، والقدرية، وكل من خالف الصحابة ﷺ يكون من الفرق الاثنتين والسبعين، وإنما يكون من الفرقة الناجية من سار على نهج الصحابة في توحيد الله، والإخلاص له،

---

(١) تقدم تخريجه.

واتباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه كما جاء في كتابه وسنة نبيه ﷺ، هؤلاء هم أهل الفرقة الناجية. اهـ

سبب تسميتهم بأهل السنة والجماعة

* **قال المصنف**: «سموا أهل السنة؛ لاتباعهم لسنته ﷺ»(١). و«أهل السنة والجماعة، هم سلف الأمة، وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وسنة رسوله ﷺ ونفوا ما نفاه الله في كتابه وسنة رسوله»(٢)، «وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة»**(٣)، «ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة»(٤).

«والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة»(٥).

شعار الطائفة الناجية

* **قال المصنف**: و«شعار الطائفة الناجية هو السنة والجماعة دون البدعة والفرقة، فإن أصل توحيد الله عبادته وحده لا شريك له، وأصل البدع الإشراك بالله شركًا أصغر أو أكبر»(٦).

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٦١).
(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٨).
(٣) الواسطية: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٩).
(٤) الواسطية: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٧).
(٥) الاستقامة (١/ ٤٢).
(٦) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣١٠).

منهج السلف

❁ **وقال المصنف**: و«منهاج السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان هو طريق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة، وهم الطائفة المهدية المنصورة إلى قيام الساعة كما قال رسول الله: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»**[(١)].

مصادر التلقي عند الطائفة المنصورة

❁ **قال المصنف**: «وأمته ﷺ لا يستحلون أن يأخذوا شيئا من الدين من غير ما جاء به، ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فلا يشرّعون من الدين ما لم يأذن به الله، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به، وما حدّثهم أهل الكتاب موافقًا لما عندهم صدقوه، وما لم يعلموا صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه، وما عرفوا أنه باطل كذّبوه، ومن أدخل في الدين ما ليس منه، من أقوال متفلسفة الهند، أو الفرس، أو اليونان، أو غيرهم، كان عندهم من أهل الإلحاد والابتداع، وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله والتابعون، وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق وعليه جماعة المسلمين وعامتهم، ومن خرج عن ذلك كان مذمومًا مدحورًا عند الجماعة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرين إلى قيام الساعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة»**[(٢)].

و«أهل الحق الذين لا ريب فيهم هم المؤمنون الذين لا يجتمعون على ضلالة، فأما أن يفرد الإنسان طائفة منتسبة إلى متبوع من الأمة، ويسميها أهل الحق، ويشعر بأن كل

---

(١) بغية المرتاد (ص/ ٢٠٢).

(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٤٤٣).

من خالفها في شيء فهو من أهل الباطل، فهذا حال أهل الأهواء والبدع، كالخوارج والمعتزلة والرافضة، وليس هذا من فعل أهل السنة والجماعة، فإنهم لا يصفون طائفة بأنها صاحبة الحق مطلقًا إلا المؤمنين الذين لا يجتمعون على ضلالة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣]، وهذا نهاية الحق، والكلام الذي لا ريب أنه حق قول الله وقول رسوله ﷺ، الذي هو حق وآت بالحق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال رسول الله ﷺ: «اكتب، فو الذي نفسي بيده ما خرج من بينهما إلا حق»[١].

فأهل الحق هم أهل الكتاب والسنة، وأهل الكتاب والسنة على الإطلاق هم المؤمنون، فليس الحق لازمًا لشخص بعينه، دائرًا معه حيثما دار، لا يفارقه قط إلا الرسول ﷺ، إذ لا معصوم من الإقرار على الباطل غيره، وهو حجة الله التي أقامها على عباده، وأوجب اتباعه وطاعته في كل شيء على كل أحد.

وليس الحق أيضًا لازمًا لطائفة دون غيرها إلا للمؤمنين، فإن الحق يلزمهم إذ لا يجتمعون على ضلالة، وما سوى ذلك[٢] فقد يكون الحق فيه مع الشخص أو الطائفة في أمر دون الأمر، وقد يكون المختلفان كلاهما على باطل، وقد يكون الحق مع كل منهما من وجه دون وجه، فليس لأحد أن يسمي طائفة منسوبة إلى اتباع شخص -كائنا من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦٥١٠، ٦٨٠٢، ٦٩٣٠، ٧٠١٨، ٧٠٢٠)، وأبو داود (٣٦٤٦) والدارمي (٤٨٤) والحاكم (٣٥٧، ٣٥٩) عن عبد الله بن عمرو قال: قالت لي قريش: تكتب عن رسول الله ﷺ وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن قريشًا تقول: تكتب عن رسول الله ﷺ وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر قال: فأومأ إليَّ شفتيه فقال: «والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فاكتب»، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وصححه الألباني.

وفي رواية: قال قلت: يا رسول الله أكتب ما سمعت منك؟ قال: «نعم» قلت: عند الغضب والرضاء؟ قال: «إنه لا ينبغي أن أقول إلا حقًّا»، أخرجه أحمد (٦٩٣٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٦٦١٧) والحاكم (٣٥٨).

(٢) أي: سوى الرسول ﷺ، وإجماع المؤمنين.

كان- غير رسول الله ﷺ بأنهم أهل الحق، إذ ذلك يقتضي أن كل ما هم عليه فهو حق، وكل من خالفهم في شيء من سائر المؤمنين فهو مبطل، وذلك لا يكون إلا إذا كان متبوعهم كذلك، وهذا معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»[١]. اهـ

سبب تأليف الواسطية وطريقة المصنف فيها

❁ **قال المصنف** رحمه الله **في مناظرة الواسطية**[٢]: العقيدة الواسطية، هذه، كان سبب كتابتها أنه قدم عليَّ من أرض واسط[٣] بعض قضاة نواحيها -شيخ يقال له: «رضي الدين الواسطي» من أصحاب الشافعي- قدم علينا حاجًّا وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد، وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدةً تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيتُ من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة، فخذ بعض عقائد أئمة السنة. فألحَّ في السؤال، وقال: ما أُحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرتْ بها نسخ كثيرة، في مصر، والعراق، وغيرهما...

وقال عنها أيضًا: عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين، قبل مجيء التتر إلى الشام.. كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه.. وما ذكرت فيها فصلًا إلا وفيه مخالف من المنتسبين إلى القبلة، وكل جملةٍ فيها خلاف لطائفة من الطوائف..

❁ **وقال**: أما الاعتقاد، فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري، ومسلم، وأما الكتب، فما كتبت

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٦٠٩).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١وما بعدها) ومجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية ط رشيد رضا (١/ ٤٢١).

(٣) مقاطعة عراقية شرقي بغداد على الحدود مع إيران.

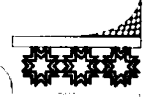
إلى أحد كتابًا ابتداءً أدعوه به إلى شيء من ذلك، ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من يسألني من أهل الديار المصرية وغيرهم...

* **وقال**: ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغٌ العلمَ الذي جاء به النبي ﷺ ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول لم نقبله، وهذه عقيدة محمدٍ ﷺ.

وقلتُ مراتٍ: قد أمهلت كلَّ من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة - التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1] -يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعليَّ أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، وأهل الحديث، والصوفية، وغيرهم.

والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة، والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره فصار، إمامًا في السنة أظهرَ من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة -العلماء الصلحاء- قال: المذهب لمالك والشافعين والظهور لأحمد بن حنبل. يعني: أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحق، ودفع الباطل ما ليس لبعض. اهـ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥٣، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود بلفظ «خير الناس...» إلخ. وليس في الروايات لفظ «القرون».



منهج المصنفين في العقائد

* قال الشيخ: والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ أطال فيما كثر فيه جدال أهل البدع، والذين لم ينازعوا فيه ذكر فيه كالإشارة. اهـ

* قال المصنف: ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما تتميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين، فيذكروا إثبات الصفات، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يُرى في الآخرة، خلافًا للجهمية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون أن الله خالق أفعال العباد، وأنه مريد لجميع الكائنات، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، خلافًا للقدرية من المعتزلة وغيرهم، ويذكرون مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد، وأن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب، ولا يخلد في النار، خلافًا للخوارج والمعتزلة، ويحققون القول في الإيمان، ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملًا، خلافًا للمرجئة، ويذكرون إمامة الخلفاء الأربعة، وفضائلهم، خلافًا للشيعة من الرافضة وغيرهم.

وأما الإيمان بما اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى والإيمان برسله والإيمان باليوم الآخر، فهذا لابد منه، وأما دلائل هذه المسائل ففي الكتب المبسوطة الكبار. اهـ[1]



(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص٣١، ط: الرشد)، (ص/ ٤٣ ط: المنهاج).

اعتقاد أهل السنة والجماعة

(وَهُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).



مراتب الدين

❁ قال الشيخ: الدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، فكل خصلة من خصال الإسلام داخلة في مسمى الإيمان، وكل خصلة من خصال الإيمان داخلة في مسمى الإسلام، ولكن إذا اقترنا فُسر الإسلام بالأعمال الظاهرة؛ لأنها أغلب عليه، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة.

فالإسلام أغلب على الأعمال الظاهرة، والإيمان أغلب على الأعمال الباطنة، فهو أصدق في القلوب، وذلك أنه مشتق من الأمن والائتمان على الأمور الباطنة الخفية، فإن المُصدّق أَمِن المُخبِر، وأصله التصديق، وفي الشرع: تصديق خاص كما يأتي.

فهذه أصول الإيمان الستة، التي عليها مبنى الإيمان، ويأتي تفصيلها فيما بعد، فإن المبتدعة صاروا شجًّا في حلوق أهل السنةِ وأهلِ الحق، وصنفوا، وبدعوا، وحبسوا، فلذلك صنف أهل السنة في العقائد المصنفات، وبينوا خطأ وضلال أهل البدع. اهـ

أركان الإيمان

* **ابن باز**: عقيدتهم: هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وفي الرواية الأخرى: والبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره، عقيدة أهل السنة والجماعة تتفرع من هذه الأصول الستة. اهـ

* **ابن مبارك**: يشير إلى ما وقع في حديث سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه قال -أي: جبريل-: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه**»، قال: صدقت. وقال النبي ﷺ في آخره: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[١]. اهـ

* **الهراس**: هذه الأمور الستة هي أركان الإيمان، فلا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعًا، على الوجه الصحيح الذي دل عليه الكتاب والسنة، فمن جحد شيئًا منها أو آمن به على غير هذا الوجه فقد كفر. وقد ذكرت كلها في حديث جبريل المشهور، حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره من الله تعالى**»[٢]. اهـ

* **السعدي**: يقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ما احتوت عليه هذه الرسالة هو العقيدة المنجية من الهلاك والشرور، المحصلة لخير الدنيا والآخرة، الموروثة عن محمد ﷺ، المأخوذة عن كتاب الله وسنة رسوله، وهي التي عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، الذين ضمن الله لهم على لسان رسوله ﷺ النصر إلى قيام الساعة، والنصر إنما حصل لهم ببركة هذه العقيدة والعمل بها وتحقيقها، بالقيام بجميع أمور الدين.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري (٥٠، ٤٤٩٩) ومسلم (٩، ١٠)، وأخرجه مسلم من حيث عمر رضي الله عنه (٨).

(٢) سيأتي بعده.

وأصلها الذي تبنى عليه هو الإيمان بهذه الأصول الستة، التي صرح بها الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، جملة وتفصيلًا، وتأصيلًا وتفريعًا، وهي المذكورة في حديث جبريل المشهور حين سأل جبريل النبي ﷺ: ما الإيمان؟ فأجابه بها.

فهذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الأصول الستة. اهـ

الإيمان الواجب

* **قال المصنف** رحمه الله[1]: الذي يجب على المكلف اعتقاده فيه إجمال وتفصيل:

أما الإجمال: فإنه يجب على المكلف أن يؤمن بالله ورسوله، ويقر بجميع ما جاء به الرسول: من أمر الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وما أمر به الرسول ونهى، بحيث يقر بجميع ما أخبر به وما أمر به، فلابد من تصديقه فيما أخبر؛ والانقياد له فيما أمر.

وأما التفصيل فعلى كل مكلف أن يقر بما ثبت عنده من أن الرسول أخبر به وأمر به، وأمّا ما أخبر به الرسول ولم يبلغه أنه أخبر به، ولم يمكنه العلم بذلك- فهو لا يعاقب على ترك الإقرار به مفصلًا، وهو داخل في إقراره بالمجمل العام. اهـ

* **وقال أيضًا**: لا ريب أن من لقي الله بالإيمان بجميع ما جاء به الرسول مجملًا، مقرًا بما بلغه من تفصيل الجملة، غير جاحد لشيء من تفاصيلها، أنه يكون بذلك من المؤمنين، إذ الإيمان بكل فردٍ فردٍ من تفصيل ما أخبر به الرسول وأمر به، غير مقدور للعباد؛ إذ لا يوجد أحد إلا وقد خفي عليه بعض ما قاله الرسول؛ ولهذا يسع الإنسان في مقالات كثيرة لا يقر فيها بأحد النقيضين، لا ينفيها، ولا يثبتها، إذا لم يبلغه أن الرسول نفاها أو أثبتها، ويسع الإنسان السكوت عن النقيضين في أقوال كثيرة إذا لم يقم

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٧).

دليل شرعي بوجوب قول أحدهما. اهـ[(١)]

❁ **وقال أيضًا**[(٢)]: فإن قيل: كيف يقع الإيمان بما لا يحيط من يدّعي الإيمان به علمًا بحقيقته؟ فالجواب: كما يصح الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والنار، والجنة. ومعلوم أنا لا نحيط علمًا بكل شيء من ذلك على جهة التفصيل، وإنما كلفنا الإيمان بذلك في الجملة، ألا ترى أنا لا نعرف عدةً من الأنبياء وكثيرًا من الملائكة، ولا نحيط بصفاتهم، ثم لا يقدح ذلك في إيماننا بهم؟ وقد قال النبي ﷺ في صفة الجنة: «**يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[(٣)].

لا ريب أنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول، وتصديقه فيما أخبر به، وإن كان الشخص لم يفقه بالعربية ما قال، ولا فهم من الكلام شيئًا، فضلًا عن العرب.

فلا يشترط في الإيمان المجمل، العلم بمعنى كل ما أخبر به، هذا لا ريب فيه، فكل من اشتبه عليه آية من القرآن، ولم يعرف معناها، وجب عليه الإيمان بها، وأن يكل علمها إلى الله فيقول: الله أعلم. وهذا متفق عليه بين السلف والخلف، فما زال كثير من الصحابة يمر بآية ولفظ لا يفهمه فيؤمن به وإن لم يفهم معناه. اهـ

الإيمان بالله تعالى

❁ **العثيمين**: اعتقاد أهل السنة والجماعة: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فالإيمان بالله: يتضمن الإيمان بوجوده، وبربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته. اهـ

---

(١) التسعينية (١/ ٢١٠) وضمن الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٥١ ط عطا).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤) عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٢٨٢٥) عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعًا.

* **آل الشيخ**: قوله: «الإيمانُ باللهِ» يعني: وبما وصف به نفسه في كتابه. اهـ

* **ابن باز**: الإيمان بالله يدخل فيه الإيمان بأن الله واحد لا شريك له، وبأنه سبحانه أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، يدخل فيها أركان الإسلام الخمسة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، داخلة في الإيمان بالله بأنه هو الواحد الأحد المستقل بالعبادة، وهو الذي شرع الشرائع، فشرع الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وسائر الأحكام. اهـ

الإيمان بالملائكة

* **الهراس**: «وَمَلائِكَتِهِ» الملائكة: جمع ملك، وأصله مألك، من الألوكة، وهي الرسالة، وهم نوع من خلق الله ﷻ، أسكنهم سمواته، ووكلهم بشؤون خلقه، ووصفهم في كتابه بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون.

فيجب علينا الإيمان بما ورد في حقهم من صفاتٍ وأعمالٍ، في الكتاب والسنة، والإمساك عما وراء ذلك، فإن هذا من شؤون الغيب التي لا نعلم منها إلا ما علمنا الله ورسوله. اهـ

* **العثيمين**: الإيمان بالملائكة: يتضمن الإيمان بوجودهم، والإيمان باسمِ مَن عُلِم اسمه كجبريل، والإيمان بصفةِ مَن عُلِمَ وصفه كجبريل أيضًا، والإيمان بأعمالهم، ووظائفهم، مثل عمل جبريل ينزل بالوحي، ومالك خازن النار. اهـ

* **آل الشيخ**: الإيمان بملائكته الكرام. أي: بوجودهم وعددهم، إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلا في التفصيلي. معنى: إجمالًا: أنك تؤمن بهم جميعًا. جميع ما جاء عن الله فيهم. والتفصيل: إذا بلغك تفصيلًا تسميتُه، وكذلك الرسل الذين جاء تسميتهم نؤمن بهم تفصيلًا. اهـ

❁ **ابن باز**: الإيمان بالملائكة يعني: الإيمان بكل من سمى الله في كتابه، أو جاء في السنة الصحيحة، فإنّ أهل السنة يؤمنون به، من جبرائيل وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وخازن النار، وغير ذلك، جميع الملائكة، من فصّل آمنوا به مفصلاً، ومن أجمل -كحملة العرش، والكروبيين، وغيرهم- يؤمن به أهل السنة مجملين، يؤمنون بأنّ لله ملائكة، منهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون، الذين يحتفون بالعرش، ومنهم من يتعاقبون فينا، ومنهم الملائكة الموكلين بنا، ومنهم جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، إلى غير ذلك، يؤمنون بهم جميعًا، وأنهم عبيد الله، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] كما ذكر الله عنهم، وهم خير عباد الله، لكن أهل السنة والجماعة يرون أن المؤمنين من البشر أفضل منهم بإجماع أهل السنة، أن المؤمنين من البشر أفضل منهم؛ لأنهم مكلَّفون مبتلون بالشهوة، فهم أفضل من هذه الحيثية، إذا آمنوا واستقاموا[1]. اهـ

❁ **قال المصنف**: وأما قوله ﷺ: «وملائكته»، أن تؤمن بمن سمى الله لك منهم في كتابه، وتؤمن بأن لله ملائكة سواهم، لا يعرف أسماءهم وعددهم إلا الذي خلقهم. اهـ[2]

❁ **وقال** رحمه الله: ومن مخلوقاته الملائكة، وهم صمد لا يأكلون ولا يشربون. اهـ[3]

❁ **وقال** رحمه الله: الملائكة التي أخبرت بها الرسل، فالمتفلسفة المنتسبون إلى المسلمين يقولون: هي العقول والنفوس المجردات، وهي الجواهر العقلية. وأما أهل الملل، ومن علم ما أخبر الله به من صفات الملائكة فيعلمون قطعًا أن الملائكة ليست هذه المجردات التي يثبتها هؤلاء، من وجوه كثيرة، قد بسطت في غير هذا الموضع، فإن الملائكة مخلوقون من نور، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح[4]، وهم كما قال الله

---

(١) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص/ ٣٠١-٣٠٢) ط المكتب الإسلامي، التاسعة.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٣٩).

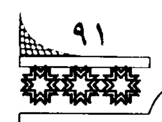
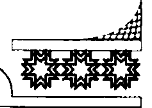
(٤) أخرجه مسلم (٢٩٩٦) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم».

تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وقد أخبر الله عن الملائكة أنهم أتوا إبراهيم ولوطًا في صورة البشر، حتى قدَّم لهم إبراهيم العجل، وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وأتاه مرة في صورة أعرابي، حتى رآه الصحابة، وقد رآه النبي ﷺ في صورته التي خلق عليها مرتين: مرة بين السماء والأرض، ومرة في السماء عند سدرة المنتهى(١). والملائكة تنزل إلى الأرض، ثم تصعد إلى السماء، كما تواترت بذلك النصوص، وقد أنزلها الله يوم بدر، ويوم حنين، ويوم الخندق؛ لنصر رسوله والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]. وقال: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٢٦]. وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاۚ ﴾ [الأحزاب: ٩]. وقال: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١]. وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠]. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ومثل هذا في القرآن كثير، يعلم ببعضه أن ما وصف الله به الملائكة يوجب العلم الضروري أنها ليست ما يقوله هؤلاء في العقول والنفوس، سواء قالوا: إن العقول عشرة والنفوس تسعة، كما هو المشهور عندهم، أو قالوا غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٦٠، ٤٥٧٥، ٤٥٧٦)، ومسلم (١٧٤) عن أبي إسحاق الشيباني، قال: سألت زرَّ بن حبيش عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ قال: حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

وليست الملائكة أيضًا القوى العاملة التي في النفوس، كما قد يقولونه، بل جبريل ﷺ ملك منفصل عن الرسول، يسمع كلام الله من الله، وينزل به على رسول الله ﷺ، كما دل على ذلك النصوص والإجماع من المسلمين[1]. اهـ



الإيمان بالكتب الإلهية

قوله: (وكتبه).

* **العثيمين**: الإيمان بالكتب: يتضمن تصديق كونها من عند الله، وتصديق ما أخبرت به، والإيمان بأسماء ما علم منها- كالتوراة- وما لم يعلم، فيؤمن به إجمالًا، والتزام أحكامها إذا لم تنسخ. اهـ

* **ابن باز**: كذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بكتب الله المنزلة على الرسل جميعًا، ما عرفوه آمنوا به، كالتوراة والإنجيل والزبور، والقرآن، وما لم يعرفوه آمنوا به مجملاً، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، فأهل السنة يؤمنون بأن الله أنزل كتبًا على الرسل، وأنها حقٌّ، وأنّ كتبه من كلامه جلَّ وعلا، ومنها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، من جملة الكتب التي أنزلها. اهـ

* **الهراس**: والكتب: جمع كتاب، وهو من الكَتْبِ، بمعنى: الجمع والضم، والمراد بها الكتب المنزلة من السماء على الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والمعلوم لنا منها: صحف إبراهيم، والتوراة التي أنزلت على موسى في الألواح[2]، والإنجيل الذي أنزل على عيسى، والزبور الذي أنزل على داود، والقرآن

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٣٣)، وانظر «الصفدية» للمصنف (١/ ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٣).

(٢) وهي صحف موسى المذكورة في قوله تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

الكريم الذي هو آخرها نزولًا، وهو المصدِّق لها، والمهيمن عليها، وما عداها يجب الإيمان به إجمالًا. اهـ

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله: «وكتبه» فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة؛ وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان[1]، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان[2]، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك ما فيه. اهـ[3]

❁ **وقال**: والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ليس المراد به كتابًا معينًا كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولم يرد بهذا أن يؤمن بكتاب معين واحد، بل وهذا يتضمن الإيمان بالتوراة والإنجيل والقرآن، وكل ما أنزله الله من كتاب، كما قال في سورة الشورى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ﴾ [الشورى: ١٥]، فأمره الله تعالى أن يؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالته، كما قال: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٩]، فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به، يتناوله خطاب القرآن.. وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي القراءة الأخرى: ﴿وكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ﴾، وكلا القراءتين موافقة للأخرى، وقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [البقرة: ٢١٣]. اهـ[4].

---

(١) أي: القرآن.

(٢) دون اتباع لها؛ لأنها منسوخة.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢).

(٤) الجواب الصحيح (١/ ١٣٣).

الإيمان بالرسل عليهم السلام

* **آل الشيخ**: قوله: «ورسله» كذلك الإيمان برسله إجمالًا في الإجمالي، وتفصيلًا في التفصيلي. اهـ

* **ابن باز**: يؤمن أهل السنة والجماعة بالرسل، وأنَّ الله أرسل الرسل من أولهم نوح -ومنهم آدم عليه السلام، فهو ر سول إلى ذريته- إلى آخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، كلهم حقٌّ، كلهم بلغوا رسالات الله، كلهم بعثوا ليدعوا الناس إلى توحيد الله وطاعته، وينذروهم الشرك والمعاصي، من أولهم آدم إلى آخرهم محمد عليهم الصلاة والسلام، وسُمي نوح أولَّ رسول؛ لأنه أول رسول أرسل لأهل الأرض بعدما وقع الشرك فيهم، وكانوا قبل ذلك على التوحيد، تبعًا لشريعة آدم عليه الصلاة والسلام، ثم وقع الشرك في قوم نوح عليه السلام بسبب الغلو في ودٍّ وسواعٍ ويغوثَ ويعوقَ ونسرٍ[1]، فأرسل الله نوحًا إليهم يدعوهم إلى توحيد الله، وينذرهم نقمة الله، فلما أصرّوا ولم يستجيبوا أخذهم الله بالطوفان والغرق، نسأل الله العافية. اهـ

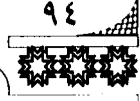
* **العثيمين**: الإيمان بالرسل: يتضمن الإيمان بأنهم صادقون في رسالتهم، وبأسماء من علمت أسماؤه منهم وما لم يعلم فيؤمن به إجمالًا، وتصديق ما أخبروا به، والتزام أحكام شرائعهم غير المنسوخة، والشرائع السابقة كلها منسوخة بشريعة محمد ﷺ. اهـ

تعريف الرسول وعدد الرسل

* **الهراس**: والرسل: جمع رسول، وقد تقدم أنه من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، وعلينا أن نؤمن تفصيلا بمن سمى الله في كتابه منهم، وهم خمسة وعشرون،

---

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، قال البخاري: قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح اتخذوهم أوثانًا من دون الله، ثم صارت للعرب بعدهم. (صحيح البخاري: ٤٩٢٠).



ذكرهم الشاعر في قوله:

في «تلك حجتنا»[1] منهم ثمانيةٌ * من بعد عشر ويبقى سبعة وهُمُ

إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا * ذو الكفل آدمُ بالمختارِ قد ختموا

وأما من عدا هؤلاء من الرسل والأنبياء فنؤمن بهم إجمالًا، على معنى الاعتقاد بنبوتهم ورسالتهم، دون أن نكلف أنفسنا البحث عن عدتهم وأسمائهم، فإن ذلك مما اختص الله بعلمه، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤].

عصمة الأنبياء وتبليغهم الرسالة، وأولوا العزم منهم

ويجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به، على ما أمرهم الله ﷻ، وبينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله.

وأنهم معصومون من الكذب والخيانة، والكتمان والبلادة.

وأن أفضلهم أولو العزم، والمشهور أنهم: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح؛ لأنهم ذكروا معًا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]. اهـ

(١) يعني قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦].

* **قال المصنف** رحمه الله: وأما قوله: «ورسله» فأن تؤمن بما سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلًا وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانُك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم وإيمانُك بمحمد إقرارك به وتصديقك إياه دائبًا على ما جاء به فإذا اتبعت ما جاء به أديت الفرائض، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات. اهـ[1].



الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور

قوله: (والبعثِ بعدَ الموتِ).

* **الهراس**: «البعث» في الأصل: الإثارة والتحريك، والمراد به في لسان الشرع: إخراج الموتى من قبورهم، أحياء يوم القيامة؛ لفصل القضاء بينهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره.

ويجب الإيمان بالبعث على الصفة التي بينها الله في كتابه، وهو أنه جمع ما تحلل من أجزاء الأجساد التي كانت في الدنيا، وإنشاؤها خلقا جديدًا، وإعادة الحياة إليها.

إنكار البعث كفر

ومنكر البعث الجسماني -كالفلاسفة والنصارى- كافر، وأما من أقر به ولكنه زعم أن الله يبعث الأرواح في أجسام غير الأجسام التي كانت في الدنيا- فهو مبتدع وفاسق. اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣).

❁ **آل الشيخ**: والجهلة يستبعدون إعادة أجزاء هذا البدن بعد بلائها، فلذلك ذكر المصنف هذا اللفظ بدل «واليوم الآخر»، فإن المنكرين لليوم الآخر لا ينكرون قدرة الله على خلق الأجسام، وإنزال المطر وغير ذلك.

وحقيقة الإيمان بالبعث: أن يؤمن الإنسان، ويُقِرَّ أن هذه الأجسام تعاد كما كانت، وترد إليها أرواحها، وتنعم، أو تعذب.

وقرر تعالى هذا الأصل بكمال علمه، وكمال قدرته؛ ولهذا كان المعاد معلومًا بالعقل والشرع. اهـ

❁ **ابن باز**: أهل السنة يؤمنون بالأصل الخامس [من أركان الإيمان] وهو الإيمان باليوم الآخر، [والبعث بعد الموت]، يؤمنون بأنّ الناس يموتون، والجن والإنس، وأنهم يبعثون.

والبعث يقال له: البعث الآخر، ويقال: اليوم الآخر، ويسمّى البعث بعد الموت كلها جاءت بها النصوص، فاليوم الآخر بنص القرآن مذكور، وجاء في بعض الأحاديث: «**البعث بعد الموت**»[1]، أهل السنة يؤمنون بأن الناس يموتون -الجنَّ والإنسَ- وأنهم يبعثون، ويجازون على أعمالهم، خيرها وشرها، كما بيّن الله ذلك في قوله جلَّ وعلا: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [التغابن: ٧] لابد من بعث الناس وجزائهم، فاليوم الآخر هو البعث بعد الموت، يجازى الناس فيه بأعمالهم إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [النجم: ٣١] فالخلق لهم

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٣٦)، (٨/ ٤٢٩)، بسند صحيح من حديث عمر بن الخطاب المشهور عن النبي ﷺ قال في تفسير الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وتؤمن بالجنة، والنار، والميزان، وتؤمن بالبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

موعد هو يوم القيامة إن أمهلوا في الدنيا فماتوا ولم يعاقبوا، فإن لهم موعدًا، كما قال ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] وهو يوم القيامة. اهـ

❁ **العثيمين**: الإيمان باليوم الآخر: يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت. اهـ

❁ **قال المصنف** رحمه الله: واليوم الآخر فأن تؤمن بالبعث بعد الموت، والحساب، والميزان، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة. اهـ(١).

❁ **وقال**: والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث، كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم: ٢٧] وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده. اهـ(٢)

الإيمان بالقضاء والقدر

قوله: (والإيمانُ بالقدَرِ خيرِه وشرِّهِ).

❁ **الهراس**: أما «القدَر» فهو في الأصل مصدرٌ، تقول: قدَرت الشيء -بفتح الدال وتخفيفها- أقدره -بكسرها- قدَرا وقدْرا: إذا أحطت بمقداره.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٠).

والمراد به في لسان الشرع: أن الله ﷻ علم مقادير الأشياء وأزمانها أزلا، ثم أوجدها بقدرته ومشيئته على وفق ما علمه منها، وأنه كتبها في اللوح قبل إحداثها، كما في الحديث: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن» وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. اهـ

❁ **العثيمين**: الإيمان بالقدر: يتضمن الإيمان بأن كل شيء واقع بقضاء الله وقدره. اهـ

❁ **آل الشيخ**: كما في حديث جبريل، وهذا هو السادس من أركان الإيمان، فهذا الكتاب المؤلف معظمه في شرح هذه الأصول الستة، وإن كان قد ذكر أشياء غير ذلك، وقيل: إنها ترجع إلى ذلك. اهـ

❁ **ابن باز**: الركن السادس: الإيمان بالقدر، وأن الله قدّر الأشياء قبل خلق الناس، بقدره السابق، كما جاء في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنةٍ**» وقال: «وعرشه على الماء»[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، قدر سابق ثابت مكتوب، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، فأهل السنة يؤمنون بأن الله قدّر الأشياء وكتبها قبل خلق الناس، وقبل وجود الناس بخمسين ألف سنة، بل قبل خلق الخلائق كلها، قبل خلق السموات بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، فسبحانه وتعالى، فهذه الأركان الستة هي أصول الإيمان عند أهل السنة والجماعة. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما قوله: «بالقدر خيره وشره» فأن تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل: لو كان كذا لم يكن كذا، ولولا كذا وكذا لم يكن كذا وكذا. قال: فهذا هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. اهـ(١)

❁ **وقال المصنف**(٢): قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فهذه شهادة الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام، بإيمانه بما أنزل إليه من ربه، وذلك يتضمن إعطاءه ثواب أكمل أهل الإيمان -زيادة على ثواب الرسالة والنبوة- لأنه شارك المؤمنين في الإيمان، ونال منه أعلى مراتبه، وامتاز عنهم بالرسالة والنبوة، وقوله: ﴿ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ يتضمن أنه كلامه الذي تكلم به، ومنه نزل لا من غيره كما قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠].

ثم شهد تعالى للمؤمنين بأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم، ثم شهد لهم جميعًا بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد الإيمان الخمسة، التي لا يكون أحد مؤمنًا إلا بها وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. وقد ذكر تعالى هذه الأصول الخمسة في أول السورة ووسطها وآخرها فقال في أولها: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤]، فالإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله يتضمن الإيمان بالكتب، والرسل، والملائكة ثم قال: ﴿ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾.

والإيمان بالله يدخل في الإيمان بالغيب، وفي الإيمان بالكتب والرسل، فتضمنت الإيمان بالقواعد الخمس. وقال في وسطها: ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٣-١٣٦).

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ثم حكى عن أهل الإيمان أنهم قالوا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، فلا ينفعنا إيماننا بمن آمنا به منهم، كما لم ينفع أهل الكتاب ذلك، بل نؤمن بجميعهم، ونصدقهم، ولا نفرق بينهم، وقد جمعتهم رسالة ربهم فنفرق بين من جمع الله بينهم، ونعادي رسله، ونكون معادين له. فباينوا بهذا الإيمان جميع طوائف الكفار المكذبين لجنس الرسل، والمصدقين لبعضهم المكذبين لبعضهم.

وتضمن إيمانهم بالله إيمانهم بربوبيته، وصفات كماله، ونعوت جلاله، وأسمائه الحسنى، وعموم قدرته ومشيئته، وكمال علمه وحكمته، فباينوا بذلك جميع طوائف أهل البدع، والمنكرين لذلك، أو لشيء منه؛ فإن كمال الإيمان بالله يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه وتنزيهه عما نزه نفسه عنه، فباينوا بهذين الأمرين جميع طوائف الكفر، وفرق أهل الضلال الملحدين في أسماء الله وصفاته. اهـ

قاعدة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات

(وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ).

الشرح

* **ابن باز**: الإيمان بما سمى الله به نفسه -حكيم، عزيز، رؤوف، رحيم، قدير، إلى غير ذلك- داخل في الإيمان بالله، وكذا ما وصفه به رسوله ﷺ، في الأحاديث الصحيحة يجب إثباتها لله، كما في الحديث الصحيح: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله**»(٢). يعني: يوم القيامة، إلى غير هذا من صفات الله جلَّ وعلا، التي جاء بها الكتاب العزيز، أو السنة المطهرة، يؤمن بها أهلُ السنة والجماعة، مع اعتقادهم أنه لا سمِّي له، ولا كفء له، ولا ندَّ له -يعني: لا مثيل له- ولا يقاس بخلقه ﷻ، فله الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فلا يمثلون صفاته بصفات خلقه جل وعلا، بل يعلمون أن صفاته تليق به، لا يشبه فيها خلقه ﷻ، ليس له سمي، كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق به ﷻ، فلا ينفون صفاته، ولا يحرفون كلمه عن مواضعه، بل يؤمنون بكل ما جاء في الكتاب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

والسنة من أسماء الله وصفاته، على الوجه اللائق بالله جل وعلا من غير تحريف، والتحريف هو: تغيير الكلام بالزيادة أو النقص.

ولا تعطيل للصفات، بنفيها أو تأويلها، أو تأويل معناها.

ولا تكييف. يعني: لا يقولون: استواؤه كيفيته كذا، أو نزوله كيفيته كذا، أو غضبه كيفيته كذا، لا يكيفون.

ولا تمثيل، فلا يقولون: غضبه مثل كذا، أو استواؤه مثل كذا، أو سمعه مثل كذا، أو بصره مثل كذا، لا يمثلون.

يثبتون صفات الله، وأسماءه على الوجه اللائق بالله، لا يغيرون، ولا يحرفون، ولا يمثلون، ولا يعطلون، ولا يكيفون، قاعدتهم في ذلك: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

ولما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من السلف عن هذا قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة(١).

بل هو ﷻ موصوف بأسمائه، كما أخبر، من دون زيادة ولا نقص، وهي صفات حقيقية: استواء حقيقي، وسمع حقيقي، ورضا حقيقي، وغضب حقيقي، ليس مجازًا، بل على الوجه اللائق بالله.

فلا نكيف، ولا نمثل، ولا نشبه، ولا نحرف، بل نجري الأمور على ظاهرها، كل ما جاء في النصوص نمرها كما جاءت، كما قال السلف: أمروها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تأويل، نمرها مع الإيمان بأنها حق، وأنها صفات ثابتة لله، وأن الله موصوف بها حقيقة، من دون تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، هكذا قال أهل السنة والجماعة. اهـ

---

(١) صحيح ثابت سيأتي تخريجه فيما بعد إن شاء الله.

❁ **الهراس**: قوله: «ومن الإيمان بالله.. إلخ»: هذا شروع في التفصيل بعد الإجمال، و«من» هنا للتبعيض، والمعنى: ومن جملة إيمان أهل السنة والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها، وهو الإيمان بالله: أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه... إلخ. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «ومن الإيمان بالله» هذا هو الأصل الأول من أصول الإيمان الستة، وهو أعظمها، ولم يقل المصنف: والإيمان بالله؛ لكون الإيمان بالله أقسام: الأول: الإيمان بوجوده وربوبيته، والثاني: الإيمان بوحدانيته في الألوهية، والثالث: الإيمان بأسمائه وصفاته، بل قال: «**ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ**» في السنة يقتصر عليه، ولا يزاد فيه ولا ينقص، لا يرد شيء من لفظه ولا معناه، وهذا سماع محض لا مجال فيه للرأي، قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ في السنة، لا يتجاوز القرآن والحديث». وهذا الذي قاله الإمام أحمد هو الذي عليه جميع الأئمة من أهل السنة، فيُقتصر على ما وصف به نفسه، ويثبت ويؤمن به، ويعتقد على ما يليق بجلال الله وعظمته. اهـ

❁ **السعدي**: الأصل الأول: وهو أصل الأصول كلها وأعظمها وأهمها، وعليه تنبني جميع الأصول والعقائد، وهو الإيمان بالله. ذكر المصنف رحمه الله هذا الأصل والضابط العظيم في الإيمان بالله إجمالًا قبل أن يشرع في التفصيل؛ ليبني العبد على هذا الأصل جميع ما يرد عليه من الكتاب والسنة؛ ليستقيم له إيمانه، ويسلم من الانحراف، فذكر: أنه يجب، ويتعين الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه، وأخبر به الرسول ﷺ عن ربه، إيمانًا صحيحًا، سالمًا من التحريف والتعطيل، وسالمًا من التكييف والتمثيل، بل يثبت ما أثبته الله ورسوله، ولا يزيد على ذلك ولا ينقص، فإن الكلام على ذات الباري وصفاته بابه واحد؛ فكما أن لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فله تعالى صفات لا تشبهها الصفات، فمن مال إلى نفي الصفات أو بعضها فهو نافٍ، معطلٌ، محرفٌ، ومن كيّفها، أو مثلّها بصفات الخلق فهو ممثل مشبه اهـ.

❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة في أسماء الله وصفاته: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل. اهـ

أسماء الله وصفاته توقيفية

❁ **العثيمين**: أسماء الله وصفاته توقيفية، والتوقيفي ما توقف إثباته، أو نفيه على الكتاب والسنة، بحيث لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل منهما، فليس للعقل في ذلك مجال؛ لأنه شيء وراء ذلك.

أسماء الله وصفاته هل هي من المحكم أو من المتشابه؟

وأسماء الله وصفاته من المحكم في معناها؛ لأن معناها معلوم، ومن المتشابه في حقيقتها؛ لأن حقائقها لا يعلمها إلا الله.

أسماء الله غير محصورة بعدد ومعنى إحصائها

وأسماء الله غير محصورة بعدد معين، لقوله ﷺ في الدعاء المأثور: «**أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابِك، أو علمتَه أحدًا من خلقك، أو استأثرتَ به في علم الغيب عندك**»[1].

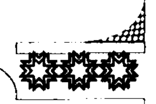
وما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى حصره والإحاطة به.

والجمع بين هذا وبين قوله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة**»[2] أن معنى هذا الحديث: أنّ مِن أسماء الله تسعة وتسعين، اختصت بأنّ من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٧١٢) وأبو يعلي (٥٢٩٧) والبزار (١٩٩٤) وصححه ابن حبان (٩٧٢) والحاكم (١٨٧٧) من حديث ابن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.



أحصاها دخل الجنة، فلا ينافي أن يكون له أسماء أخرى غيرها، ونظير ذلك أن تقول: عندي خمسون درعًا أعددتها للجهاد، فلا ينافي أن يكون عندك دروع أخرى.

ومعنى إحصاء أسماء الله: أن يعرف لفظها ومعناها ويتعبد لله بمقتضاها. اهـ

❊ **قال المصنف شيخ الإسلام**: إن أسماء الله تبارك وتعالى متعددة كثيرة فإنه ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١-٨]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة**»[١].

وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحهما: أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، وإلا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك، كما في الحديث الآخر، الذي رواه أحمد في «مسنده» وأبو حاتم في «صحيحه» عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أصاب عبدًا قط همٌّ ولا حُزنٌ وقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميتَ به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به**

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٧٣٩٢)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاءَ حزني، وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدل مكانه فرحًا» قالوا: يا رسول الله أفلا نتعلمهن؟ قال: «بلى، ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن»[(١)]. اهـ[(٢)]

كيف يتم الإيمان بأسماء الله؟

❁ **العثيمين**: إذا كان الاسم متعديًا فتمام الإيمان به إثبات الاسم، وإثبات الصفة التي تضمنها، وإثبات الأثر الذي يترتب عليه مثل الرحيم، فتثبت الاسم وهو الرحيم، والصفة وهي الرحمة، والأثر وهو أنه سبحانه يرحم بهذه الرحمة. وإن كان الاسم لازمًا فتمام الإيمان به إثباته، وإثبات الصفة التي تضمنها، مثل الحي تثبت الاسم وهو الحي والصفة وهي الحياة. اهـ

أقسام الصفات الإلهية باعتبار القِدم والحدوث

❁ **ابن باز**: «فائدة» ذكرها شيخ الإسلام وغيره[(٣)] وهي: أن صفات الرب، القولية والفعلية، قديمةُ النوعِ، حادثةُ الآحاد، كالكلام، والخلق، والرَّزق، والنزول، وأشباه ذلك، ونحو ذلك، فجنس الكلام، والخلق، والرَّزق، والنزول قديم، وأنواعه تحدث شيئًا فشيئًا على حسب حكمة الرب سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] الآية، وكخلق آدم بعد أن لم يكن مخلوقًا، وغير ذلك، وهكذا الرزق والكلام.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الجواب الصحيح (٣/ ٢٢١- ٢٢٣).

(٣) انظر الصفدية (١/ ١٣) ودرء تعارض العقل والنقل (٩/ ١٢٩) ومختصر الأجوبة الأصولية للسلمان (ص/ ٣٠)، وشرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٩٣-ط: السقاف).

أما صفات الذات كاليد والقَدَم والسمع والبصر فهي صفات قديمة، كالذات. اهـ[١].

أقسام الصفات باعتبار الثبوت وعدمه

❁ ابن عثيمين: الصفات باعتبار الثبوت وعدمه تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وهي التي أثبتها الله لنفسه كالحياة والعلم، وسلبية وهي التي نفاها الله عن نفسه كالإعياء والظلم. والصفة السلبية يجب الإيمان بما دلت عليه من نفي وإثبات ضده، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] يجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه. اهـ

أقسام صفات الله باعتبار الدوام والحدوث

صفات الله باعتبار الدوام والحدوث تنقسم إلى قسمين:

١- صفات دائمة، لم يزل -ولا يزال- متصفًا بها، كالعلم والقدرة، وتسمى صفات ذاتية.

٢- وصفات تتعلق بالمشيئة، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كنزوله إلى السماء الدنيا، وتسمى صفات فعلية.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه بالنظر إلى أصله صفة ذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاده وأفراده التي يتكلم بها شيئًا فشيئًا صفة فعلية؛ لأنه يتعلق بمشيئته اهـ.

---

(١) يعني: أن الصفات الفعلية: وهي التي تتعلق بالمشيئة والقدرة: كالاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك، والرضا، والعجب، والسخط، والإتيان، والإحياء، والإماتة، والفرح، والغضب، والكره، والحب، فهذه صفات يقال لها قديمة النوع، حادثة الآحاد، وهذه الصفات وغيرها تتعلق بالمشيئة إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها.

وأما الصفات الذاتية: كالسمع، والبصر، واليد، والعين، فإنها قديمة، ليس فيها حادث ولا حدوث.

أقسام الأسماء الواردة

* **ابن باز**: «فائدة» نفيسة:

ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته أقسام:

١- منها ما ورد بلفظ الاسم على وجه التسمي به، كالعزيز الحكيم والغفور وشبه ذلك، فهذا القسم يوصف به الرب ويسمى به، ويشتق له منه فعل، ويثبت له منه مصدر، كالعزة، والحكمة، والمغفرة.

٢- ومنها: ما ورد بلفظ الاسم على وجه الإضافة، فهذا يطلق على الله بلفظ الإضافة ولفظ الفعل، ولا يشتق له منه اسم، مثل قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾، فيجوز أن يقول الله خادع المنافقين، ويخدع من خدعه، ونحو ذلك، ولا يجوز أن نعد من أسمائه الخادع؛ لعدم وروده، ولأن إطلاق الخادع يحتمل الذم والمدح، فلا يجوز إطلاقه في حق الله.

٣- ومنها ما ورد بلفظ الفعل فقط -كالكيد، والمكر- فهذا لا يطلق على الله إلا بلفظ الفعل كقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ولا يجوز أن يعد من أسمائه سبحانه الكائد والماكر؛ لما تقدم. وإنما جاز وصف الرب بالخداع، والمكر، والكيد في الآيات المشار إليها؛ لأنه في مقابل خداع أعدائه، ومكرهم، وكيدهم ومعاملتهم بمثل ما فعلوا من مدح وعدل يستحق عليه المدح والثناء. اهـ

أنواع المضاف إلى الله تعالى

* **قال المصنف** رحمه الله[1]: والمضاف إلى الله نوعان، فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والحياة، وإما أن يكون عينًا قائمة بنفسها:

---

(١) الجواب الصحيح (٢/ ١٥٥-١٦٤).

فالأول: إضافة صفة، كقوله ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقول النبي ﷺ -في الحديث الصحيح حديث الاستخارة-: «**إذا هَمَّ أحدُكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك**»[1]، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

والثاني: إضافة عين، كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، وقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

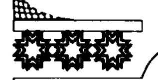
فالمضاف في الأول، صفة لله قائمةٌ به، ليست مخلوقةً له بائنةً عنه، والمضاف في الثاني، مملوكٌ لله مخلوقٌ له بائنٌ عنه؛ لكنه مفضَّل مشرف، لما خصه الله به من الصفات، التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى، كما خصَّ ناقة صالح من بين النوق، وكما خصَّ بيته بمكة من البيوت، وكما خصَّ عباده الصالحين من بين الخلق.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، فإنه وصف هذا الروح بأنه تمثَّل لها بشرًا سويًا، وأنها استعاذت بالله منه إن كان تقيًّا، وأنه قال: إنما أنا رسول ربك، وهذا كله يدل على أنها عينٌ قائمةٌ بنفسها، وهي التي تسمى في اصطلاح النظار جوهرًا، وقد تُسمى جسمًا، إذا كانت مشارًا إليها، مع اختلاف الناس في الجسم، هل هو مركب من الجواهر المفردة أم من المادة والصورة، أم ليس مركبًا لا من هذا ولا من هذا؟

وإذا كان الله قد بيَّن أن المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها، بل من الأعيان القائمة بنفسها- عُلم أن المضافَ مملوك لله مخلوق له، لكن إضافته إلى الله تدل

---

(١) أخرجه البخاري (١١٠٩، ٦٠١٩، ٦٩٥٥) من حديث جابر رضي الله عنه.



على تخصيص الله له، من الاصطفاء، والإكرام بما أوجب التخصيص بالإضافة، وقد ذكرتُ فيما كنتُ كتبتُه قبل هذا من الرد على النصارى الكلام في ذلك وغيره، وبينتُ أن المضافاتِ إلى الله نوعان: أعيان وصفات.

فالصفات إذا أضيفت إليه -كالعلم، والقدرة، والكلام، والحياة، والرضا، والغضب، ونحو ذلك- دلت الإضافة على أنها إضافة وصف له قائم به، ليست مخلوقةً؛ لأن الصفة لا تقوم بنفسها، فلابد لها من موصوف تقوم به، فإذا أضيفت إليه عُلم أنها صفةٌ له، لكن قد يُعبَّر باسم الصفة عن المفعول بها، فيُسَمَّى المقدورُ قدرةً، والمخلوقُ بالكلمةِ[1] كلامًا، والمعلومُ علمًا، والمرحومُ به رحمةً، كقول النبي ﷺ: **«إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة»**[2]، وقوله تعالى فيما يروي عنه نبيه ﷺ أنه قال للجنة: **«أنت رحمتي أرحم بك من أشاء»**[3]، ويقال للمطر والسحاب: هذه قدرةُ قادر، وهذه قدرةٌ عظيمةٌ، ويقال في الدعاء: غفر الله لك علمَه فيك. أي: معلومَه.

وأما الأعيان إذا أضيفت إلى الله تعالى، فإما أن تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق، مثل كونها مخلوقة، ومملوكة له، ومقدورة، ونحو ذلك، فهذه إضافة عامة مشتركة كقوله: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١].

وقد يضافُ لمعنى يختص بها، يميز به المضاف عن غيره، مثل بيت الله، وناقة الله وعبد الله، وروح الله، فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق، وكذلك اختصاص الكعبة واختصاص العبد الصالح الذي عبد الله وأطاع أمره، وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بها فارقت به غيرها من الأرواح، فإن المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة، مملوكة، مربوبة لله، يجري عليها حكمه، وقضاؤه، وقدره،

---

(١) أي: كلمة «كن» فيكون.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٤، ٦١٠٤) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٦٩، ٧٠١١) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذه الإضافة لا اختصاص فيها، ولا فضيلة للمضاف على غيره، وامتاز بعضها بأن الله يحبه، ويرضاه، ويصطفيه، ويقربه إليه، ويأمر به، أو يعظمه ويحبه، فهذه الإضافة يختص بها بعض المخلوقات كإضافة البيت والناقة والروح وعباد الله، من هذا الباب.

وقد قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]. وقال في سورة التحريم: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١-١٢]، فذكر امرأة فرعون التي ربت موسى ابن عمران، وجمعت بينه وبين أمه، حتى أرضعته أمه عندها، وذكر مريم أم المسيح، التي ولدته وربته، فهاتان المرأتان ربتا هذين الرسولين الكريمين، فلمّا قال هنا: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾ أي: في المرأة و﴿فِيهِ﴾ أي: في فرجها ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ وقال هنا: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾، دل على أن قوله: ﴿رُوحَنَا﴾ ليس المراد به أنه صفة لله، لا الحياة ولا غيرها، ولا هو ربٌّ خالقٌ، فلا هو الرب الخالق، ولا صفة الرب الخالق، بل هو روح من الأرواح التي اصطفاها الله وأكرمها، كما تقدم في قوله ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ وأن الأكثرين على أنه جبريل.

وهذا الأصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف إلى الله بين صفاته وبين مملوكاته أصل عظيمٌ، ضل فيه كثير من أهل الأرض، من أهل الملل كلهم، فإن كتب الأنبياء التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها، أضافت إلى الله أشياء على هذا الوجه، وأشياء على هذا الوجه، فاختلف الناس في هذه الإضافة:

١- فقالت المعطلة نفاة الصفات من أهل الملل: إن الجميع إضافة ملك، وليس لله حياة قائمة به، ولا علم قائم به، ولا قدرة قائمة به، ولا كلام قائم به، ولا حب، ولا بغض، ولا غضب، ولا رضى، بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته.

وهذا أول ما ابتدعته في الإسلام الجهمية، وإنما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة وأكابر التابعين لهم بإحسان، وكان مقدَّمَهُمْ رجلٌ يقال له: الجهمُ بن صفوان، فنسبت الجهمية إليه، ونفوا الأسماء والصفات، واتبعهم المعتزلة وغيرهم، فنفوا الصفات دون الأسماء، ووافقهم طائفة من الفلاسفة أتباع أرسطو.

٢- وقالت الحلولية: بل ما يضاف إلى الله قد يكون هو صفة له، وإن كان بائنًا عنه؛ بل قالوا: هو قديم أزليٌّ، فقالوا: روح الله قديمة أزلية، صفة لله. حتى قال كثير منهم: إن أرواح بني آدم قديمة أزلية وصفة لله. وقالوا: إن ما يسمعه الناس من أصوات القراء، ومدادَ المصاحف قديم أزلي، وهو صفة لله.

وقال حذاق هؤلاء: بل غضبه، ورضاه، وحبه، وبغضه، وإرادته لما يخلقه، قديم أزلي وهو صفة الله، وكلامه الذي سمعه موسى، قديم أزلي، وأنه لم يزل راضيًا محبًّا لمن عَلِمَ أنه يطيعه قبل أن يخلق، ولم يزل غضبان ساخطًا، على من عَلِمَ أنه يكفر، قبل أن يخلق، ولم يزل -ولا يزال- قائلًا: (يا آدم)، (يا نوح)، (يا ابراهيم) قبل أن يوجدوا، وبعد موتهم، ولم يزل -ولا يزال- يقول: (يا معشر الجن والإنس)، قبل أن يخلقوا، وبعد ما يدخلون الجنة والنار.

٣- وأما سلف المسلمين، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين، المشهورون بالإمامة فيهم، كالأربعة وغيرهم، وأهل العلم بالكتاب والسنة، فيفرقون بين مملوكاته وبين صفاته، فيعلمون أن العباد مخلوقون، وصفات العباد مخلوقة، وأجسادهم، وأرواحهم، وكلامهم، وأصواتهم بالكتب الإلهية وغيرها، ومدادهم، وأوراقهم، والملائكة، والأنبياء، وغيرها.

ويعلمون أن صفاتِ الله القائمةَ به ليستْ مخلوقةً، كعلمِه، وقدرته، وكلامه، وإرادته، وحياته، وسمعه، وبصره، ورضاه، وغضبه، وحبه، وبغضه، بل هو موصوف بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف

ولا تمثيل، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسله، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يتأولون كلام الله بغير ما أراده، ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق، بل يعلمون أن الله سبحانه ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل هو موصوف بصفات الكمال، منزه عن النقائص، وليس له مثل في شيء من صفاته، ويقولون: إنه لم يزل- ولا يزال- موصوفًا بصفات الكمال، لم يزل متكلمًا إذا شاء بمشيئته وقدرته، ولم يزل عالمًا، ولم يزل قادرًا، ولم يزل حيًّا سميعًا بصيرًا، ولم يزل مريدًا، فكل كمال لا نقص فيه يمكن اتصافه به، فهو موصوف به، لم يزل- ولا يزال- متصفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال والإكرام، ﷻ.. إلخ.



نفي التحريف والتعطيل عن الصفات الإلهية

قوله: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ).

❁ **الهراس**: قوله: «من غير تحريف» متعلق بالإيمان قبله. يعني: أنهم يؤمنون بالصفات الإلهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

تعريف التحريف

والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حَرَفت الشيء عن وجهه حرفًا، من باب ضَرَبَ: إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، فلابد فيه من قرينة تبين أنه المراد. اهـ

❁ **العثيمين**: التحريف لغة: التغيير. واصطلاحًا: تغيير لفظ النص أو معناه.

مثال تغيير اللفظ: تغيير قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] من رفع الجلالة إلى نصبها، ليكون التكليم مِن موسى لا من الله.

ومثال تغيير المعنى: تغيير معنى استواء الله على عرشه، من العلو والاستقرار، إلى الاستيلاء والملك؛ لينتفي عنه معنى الاستواء الحقيقي اهـ.

❁ **آل الشيخ**: التحريف: التصريف. يعني: من غير تصريف عن المراد به، إنما ذلك لأهل البدع.

وتحريف النصوص تارة يكون للفظ والمعنى جميعًا، وتارة للمعنى وحده، فإن من المحرفين من يحرف اللفظ، ويلزم منه تحريف المعنى، ومنهم من يحرف المعنى من غير تحريف اللفظ، ومنهم من يحرفهما جميعًا.

فمن تحريفهما جميعًا قول اليهود: «حنطة» بدل ﴿حِطَّةٌ﴾، وقول جهم: «استولى» فإنه قال: لو استطعت أن أحك من المصحف ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ لحككتها.

والثاني: تحريف المعنى، وهي حِرفة اليهود، وسائر تحريف نصوص الصفات الذي يسميه المبتدعة تأويلًا.

ومثال تحريف اللفظ فقط كقولهم: وكلم اللهَ موسى تكليمًا، بنصب الاسم الشريف. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ» قال الراغب: تحريف الشيء: إمالته كتحريف القلم. وتحريف الكلام: أن نجعله على حرف من الاحتمال، يمكن حمله على الوجهين، قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

وصفات الله دالة على معان قائمة بذات الرب ﷻ، لا تحتمل غير ذلك، فيجب الإيمان بها، وإثباتها لله إثباتًا بلا تمثيل؛ لأنه ليس كمثله شيء، وتنزيهًا له تعالى عن مشابهة خلقه بلا تعطيل. اهـ

* ابن باز: التحريف معناه: تغيير ألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير معانيها، كقول الجهمية في (استوى): استولى. وكقول بعض المبتدعة: إن معنى الغضب في حق الله إرادة الانتقام، وإن معنى الرحمة كذلك إرادة الإنعام، وكل هذا تحريف.

فقولهم في (استوى): استولى، من تحريف اللفظ، وقولهم: الرحمة إرادة الإنعام، والغضب إرادة الانتقام، من تحريف المعنى.

والقول الحق أن معنى الاستواء: الارتفاع والعلو، كما هو صريح لغة العرب، وجاء به القرآن؛ ليدل على أن معناه الارتفاع والعلو على العرش على وجه يليق بجلال الله وعظمته.

وكذا الغضب والرحمة صفتان حقيقيتان، تليقان بجلال الله وعظمته، كسائر الصفات الواردة في القرآن والسنة. اهـ

دقة المصنف وتحريه في الألفاظ

* قال شيخ الإسلام المصنف[1]: عَدَلْتُ عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحريتُ في هذه العقيدة اتباعَ الكتاب والسنة، فنفيت ما ذمه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عدة معان، كما بينته في موضعه من القواعد، فإن معنى لفظ «التأويل» في كتاب الله غير معنى لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين، من أهل الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف؛ لأن من المعاني التي قد تسمى تأويلًا، ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أنفِ ما تقوم الحجة على صحته، فإذا ما قامت الحجة على صحته -وهو منقول عن السلف- فليس من التحريف.

---

(١) في مناظرة الواسطية كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٥).

وذكرتُ في النفي التمثيل، ولم أذكر التشبيه؛ لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] وكان أحبَّ إليَّ من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وإن كان قد يُعنى بنفيه معنى صحيح، كما قد يعنى به معنى فاسد. اهـ

أنواع التحريف

* قال العلامة ابن القيم: التحريف نوعان: تحريف اللفظ، وتحريف المعنى.

فتحريف اللفظ: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة، وإما بنقصان، وإما بتغيير حركة إعرابية، وإما غير إعرابية، فهذه أربعة أنواع، وقد سلك فيها الجهمية والرافضة، فإنهم حرفوا نصوص الحديث، ولم يتمكنوا من ذلك في ألفاظ القرآن، وإن كان الرافضة حرفوا كثيرًا من لفظه، وادعوا أن أهل السنة غيروه عن وجهه.

وأما تحريف المعنى: فهذا الذي جالوا، وصالوا، وتوسعوا، وسمّوه تأويلًا، وهو اصطلاح فاسد حادث، لم يعهد به استعمال في اللغة، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه، وهؤلاء شر من وجه؛ فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعًا عما هما عليه، أفسدوا اللفظ والمعنى، وهؤلاء أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله، فكانوا خيرًا من أولئك من هذا الوجه، ولكن أولئك لما أرادوا المعنى الباطل حرّفوا له لفظًا يصلح له؛ لئلا يتنافر اللفظ والمعنى، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدؤوا بتحريف اللفظ؛ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا. اهـ[1]

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٨٧-ط: سيد إبراهيم).

بيان معنى التعطيل

قوله: (وَلا تَعْطِيلٍ).

❁ **العثيمين**: التعطيل لغةً: الترك والتخلية. واصطلاحًا: إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات، إما كليًّا كتعطيل الجهمية، وإما جزئيًّا كتعطيل الأشعرية الذين لم يثبتوا من صفات الله إلا سبع صفات، مجموعة في قوله:

حيٌّ عليمٌ قديرٌ، والكلامُ له ❁ إرادةٌ وكذاك السمعُ والبصرُ. اهـ

❁ **آل الشيخ**: التعطيل في الأصل: الإخلاء، من قولهم: جِيدٌ عاطل. أي: خالٍ من الحليّ. أي: من غير تعطيل للفظ وللمعنى، فالتعطيل هو: إخلاؤه تعالى من صفاته التي وصف بها نفسه. اهـ

❁ **ابن مانع**: التعطيل: جحد الصفاتِ الإلهية، وإنكارُ قيامها بذاته تعالى، كما هو قول المعتزلة والجهمية. اهـ

❁ **ابن باز**: التعطيل معناه سلب الصفات ونفيها عن الله تعالى، وهو مأخوذ من قولهم: جيد معطل. أي: خال من الحلي. فالجهمية وأشباههم قد عطلوا الله عن صفاته؛ فلذلك سموا بالمعطلة، وقولهم هذا من أبطل الباطل، إذ لا يعقل وجود ذات بدون صفات، والقرآن والسنة متضافران على إثبات هذه الصفات على وجه يليق بجلال الله وعظمته. اهـ

❁ **الهراس**: التعطيل، فهو مأخوذ من العطل، الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ [الحج: ٤٥]. أي: أهملها أهلها، وتركوا وردها. والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية، وإنكار قيامها بذاته تعالى. اهـ

الفرق بين التحريف والتعطيل

* **الهراس**: الفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفيٌ للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأما التحريف فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها.

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، فإن التعطيل أعم مطلقًا من التحريف، بمعنى أنه كلّما وجد التحريف وجد التعطيل، دون العكس، وبذلك يوجدان معًا فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق، ويوجد التعطيل بدون التحريف، فيمن نفى الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وزعم أن ظاهرها غير مرادها، ولكنه لم يعيِّنْ لها معنىً آخر، وهو ما يسمونه بالتفويض، ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف، كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه، بل كانوا يفهمون معانيَ النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله ﷻ، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كُنه[١] الصفات، أو كيفياتها، كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. اهـ

* **السعدي**: الفرق بين التحريف والتعطيل: أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة، والتحريف تفسير للنصوص بالمعاني الباطلة، التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه.

فالتحريف والتعطيل قد يكونان متلازمين إذا أثبتَ المعنى الباطل، ونفيتَ المعنى الحق، وقد يوجد التعطيل بلا تحريف، كحال النافين للصفات، الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ويقولون: ظاهرها غير مراد. ولكنهم لا يُعَيِّنُون معنًى آخرَ،

---

(١) قال في «القاموس»: الكُنْهُ، بالضم: جوهر الشيء، وغايته، وقدره، ووقته، ووجهه. اهـ

ويسمون أنفسهم مفوضة، ويظنون أن هذا مذهب السلف وهو غلط فاحش! فإن السلف يثبتون الصفات، وإنما يفوضون عِلْمَ كيفيتِها إلى الله، فيقولون: الوصف المذكور معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، وإثباته واجب، والسؤال عن كيفيته بدعة، كما قال الإمام مالك وغيره في الاستواء وغيره اهـ.

المعطلة أعظم كفرًا من المشبهة

* قال الشيخ: أهل التعطيل هم الجهمية، عطلوا النصوص، وهم أعظم كفرًا وضلالًا من أهل التشبيه، كما قال بعض السلف: «المعطِّل يعبد عدمًا، والمشبهٌ يعبد صنمًا، والموحدٌ يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا».

وأهل التعطيل أعظم كفرًا من أهل التشبيه لأمور:

الأمر الأول: أن عابد العدم أعظم كفرًا من عابد الصنم.

الأمر الثاني: أن هذا التعطيل محفوف بتمثيلين، مثلوا أولًا، حيث لم يفهموا من النصوص الواردة في الصفات إلا التشبيه. الثاني: أنهم لما نفوا الصفات لزمهم التمثيل بالمعدومات.

الأمر الثالث: أن كونه أشر تمثيلًا من الممثلة، أنهم يشبهونه بالمعدومات، بل بالممتنعات، فإنهم قالوا: ليس بكذا ولا كذا، ولا كذا، حتى عطّلوه من جميع الصفات، فشبهوا أولًا، وعطلوا ثانيًا، وشبهوا ثالثًا، وأولئك مثلوه بالحيوانات، تعالى الله وتقدس.

وبهذه الأوجه، عرفنا أن كفر المعطلة، أعظم من كفر الممثلة، ومن هؤلاءِ: المعتزلةُ، فإِنَّهم يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ويرون أن الأسماء لا معنى لها، لا تدل إلا على الذات فقط.

ومن فروع هؤلاء: الأشاعرةُ، الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو منهم بريء، ومثلهم الماتريدية.

وقال بعض السلف أيضًا: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ تشبيه»، وهذه العبارة عند السلف شهيرة متلقاة بالقبول عند الأئمة.

فأهل التشبيه، أثبتوا، وغلوا، وزادوا في الإثبات حتى وقعوا في كفر التشبيه.

وأهل التعطيل، غلوا، وزادوا في التنـزيه حتى وقعوا في كفر التعطيل، فصاروا ضالين من جهتين:

الأولى: فهمهم التشبيه من الآيات الواردة في إثبات الصفات.

الثاني: تشبيهه بالجمادات والمعدومات. اهـ

قوله: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ).

معنى التكييف

* آل الشيخ: التكييف: تعيين كيفية من الكيفيات للصفة، فيقول: كيفيتها كذا وكذا، كقولهم -والعياذ بالله-: هو كذا وكذا، فممنوع كيفَ، ولِمَ[1]. اهـ

* ابن باز: التكييف معناه: بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات، فلا يقال كيف استوى؟ كيف يده؟ كيف وجهه؟ ونحو ذلك، إذ القول في الصفات كالقول في الذات، يحتذى حذوه ويقاس عليه، فكما أن له ذاتًا ولا نعلم كيفيتها، فكذلك له صفات ولا نعلم كيفيتها، إذ لا يعلم ذلك إلا هو مع إيماننا بحقيقة معناها. اهـ

* العثيمين: التكييف إثبات كيفية الصفة كأن يقول: استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا. اهـ

(١) أي: السؤال بكيف ولم، في الصفات ممنوع شرعًا.

معنى التمثيل

* آل الشيخ: قوله: «ولا تمثيل» وهو أن يقول: هذا مثل هذا، كأن يقول: يدٌ كيدي، ونحو ذلك. ولم يقل المصنف: ولا تشبيه. وقد أجاب عن هذه اللفظة حين امتحانه(١)، فقال: إنها لم ترد في القرآن، إنما ورد نفي التمثيل، كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١] فاقتصرتُ عليها(٢). اهـ

* العثيمين: والتمثيل إثبات مماثل للشيء، كأن يقول: يد الله مثل يد الإنسان. اهـ

* ابن باز: أما التمثيل فمعناه: التشبيه، فلا يقال ذات مثل ذواتنا، أو شبه ذواتنا، وهكذا، فلا يقال في صفاته: إنها مثل صفاتنا، أو شبه صفاتنا، بل على المؤمن أن يلتزم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، والمعنى: لا أحد يساميه. أي: يشابهه. اهـ

* ابن مانع: وكذلك ولا تكيّف صفاته، كما لا تكيف ذاته وتمثل، ولا تشبَّه بصفات المخلوقين؛ لأنه ليس له كفء، ولا مثيل، ولا نظير، ويرحم الله ابن القيم حيث قال:

لسنا نشبّهُ وصفَه بصفاتِنا * إن المشبّهَ عابدُ الأوثانِ
كلّا ولا نُخْلِيه من أوصافهِ * إن المعطِّلَ عابدُ البهتانِ
مَن شبَّهَ اللهَ العظيمَ بخلقِهِ * فهو الشبيهُ لمشركٍ نصراني
أو عطّلَ الرحمنَ من أوصافه * فهو الكفورُ وليس ذا الإيمان

---

(١) يعني: في مناظرته في الواسطية، وتقدم ذكرها في «دقة المصنف وتحريه في الألفاظ».
(٢) انظر: «مناظرة الواسطية» في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٦).

رد شبهة التشبيه

* **ابن باز**: «فائدة» ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: إذا قال لك: نُؤَوِّل معنى الغضب: إرادةَ الانتقام، والرحمة: إرادةَ الإنعام، فقل: وهل هذه الإرادة تشبه إرادة المخلوق، أم أنها إرادة تليق بجلاله وعظمته؟ فإن قال الأولَ فقد شبَّه، وإن قال الثاني، فقل: ولم لا تقل: رحمةٌ وغضبٌ يليقان بجلاله وعظمته، وبذلك تحجُّه وتخصمه. اهـ

نفي التكييف لا يعني نفي الكيفية مطلقًا

* **الهراس**: وليس المراد من قوله: «من غير تكييف» أنهم ينفون الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لابد أن يكون على كيفيةٍ مّا، ولكن المراد أنهم ينفون علمهم بالكيف؛ إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه. اهـ

الفرق بين التكييف والتمثيل

* **السعدي**: الفرق بينهما: أن التكييف: هو تكييف صفات الله وأن يبحث عن كنهها. والتمثيل: أن يقال فيها: إنه مثل صفات المخلوقين.

فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] نفي الكفؤ والنِّد والسَّمِي، ينفي ذلك التكييف والتمثيل، وقل مثله في «السميع» و«البصير».

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ونحوها من إثبات أسماء الله وصفاته تنفي التعطيل والتحريف. فالمؤمن الموحد يثبت الصفات كلها على الوجه اللائق بعظمة الله وكبريائه. والمعطل ينفيها أو ينفي بعضها، والمشبه الممثل يثبتها على وجه يليق بالمخلوق. اهـ

* **العثيمين**: والفرق بينهما أن التمثيل: ذكر الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكرها غير مقيدة به. اهـ

* **الهراس**: قوله: «ومن غير تكييف ولا تمثيل» فالفرق بينهما أن التكييف أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا، أو يسأل عنها بكيف.

وأما التمثيل؛ فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين. اهـ

حكم التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل

* **العثيمين**: حكم هذه الأربعة المتقدمة:

كلها حرام، ومنها ما هو كفر، أو شرك، ومن ثَمّ كانَ أهل السنة والجماعة متبرئين من جميعها، والواجب إجراؤها على ظاهرها، وإثبات حقيقتها لله على الوجه اللائق به والعلة في ذلك:

١- أن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي ﷺ وأصحابه.

٢- أن صرفها إلى المجاز قول على الله بلا علم، وهو حرام اهـ.

أقسام الناس في باب الصفات

* **آل الشيخ**: والناس في باب الصفات طرفان ووسط:

* الطرف الأول: حرَّفوا، ونفوا، وجحدوا الصفات، وهم الجهمية، أتباع جهم بن صفوان[1]، أخذ هذا المذهب عن شيخه الجعد بن درهم[2] -ولم يكن يظهرها- والجعد

(١) جهم بن صفوان السمرقندي أبو محرز، الراسبي مولاهم، قال الذهبي في «الميزان» (١/ ١٩٧): الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين وقد زرع شرًّا عظيمًا. اهـ. قتله الأمير نصر بن سيار سنة ١٢٨هـ، وقيل: قتله: سلم بن أحوز. انظر «الأعلام» للزركلي (٢/ ١٤١).

(٢) الجعد بن درهم، مولى سويد بن غفلة، وقيل: مولى الأمويين، قال الذهبي في «الميزان» (١/ ١٨٥): عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، فقتل على ذلك في العراق يوم النحر. اهـ قال ابن الأثير في «الكامل» (٥/ ١٦٠): قيل كان الجعد زنديقًا شهد عليه =

أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي -الساحر الذي سحر النبي ﷺ-، وأظهرها الجهم فنسبت إليه، وقيل: إن الجهم أخذها عن كفار الهند.

فالجهم سلك هذا المسلك -نفي الصفات- من جهله، زعم أنه إذا أثبتها وقع في التشبيه، فنفاها مخافة التشبيه، وزعم أن نفيها تحقيق لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لم يفهم من صفات الله تعالى إلا ما يفهمه من صفات المخلوقين.

* الطرف الثاني: أفرطوا في الإثبات، وشبّهوا ومثّلوه بصفات المخلوقين، فضربوا النصوص بعضها ببعض، وزعموا أن هذا مدلولها ورَدُّوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهاتان الفرقتان في طرفي نقيض.

وإطلاق التفويض في الصفات شر من التحريف، وقول مالك ظاهر، وابن عباس وغيره من الصحابة فسروا الصفات وتفويض الكُنْهِ والكيفية صواب.

* والقسم الثالث: الأمةُ الوسطُ بين هذين الطرفين - أهلُ السنة والجماعة -، سلكوا في هذا الباب العظيم المسلكَ القويم، الذي جاءت به الكتب السماوية، ونطقت به الرسل، ودَرَج عليه الصدر الأول ومن تبعهم.

وهذا المسلك الذي هداهم الله له هو الوسط بين الطرفين، والهدى بين الضلالتين، فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله ﷺ في السنة، إثباتًا بريئًا من تمثيل

= ميمون بن مهران، فطلبه هشام بن مروان، فظفر به وسيّره إلى خالد القسري في العراق فقتله. اهـ، قال ابن القيم في النونية:

ولِأَجْلِ ذا ضَحَّى بِجَعْدٍ خالِدُ ** القَسْرِيُّ يَومَ ذَبائِحِ القُربانِ

إذ قالَ إبراهيمُ ليس خَليلَهُ ** كَلا وَلا مُوسى الكليمُ الدَّانِ

شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صاحِبِ سُنَّةٍ ** لله دَرُّكَ من أخي قُربانِ

اهـ

المثلين، ونفوا عنه ما لا يليق بجلاله وعظمته نفيًا بريئًا من تعطيل المعطلين، على حد قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]؛ لأن باب الأسماء والصفات توقيفي، لا مجال للعقول والقياس والذوق فيه، والتحريف حِرفةُ اليهود والجهمية، والتعطيل حرفة الجهمية، والتمثيل طريقة المشبهة. اهـ

القول الشامل في باب الأسماء والصفات

* **قال المصنف**: القول الشامل في جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسَه، أو وصفه به رسولُه ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أنَّ ما وُصِفَ الله به من ذلك، فهو حق، ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء، لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقةً، وله أفعال حقيقةً، فكذلك له صفاتٌ حقيقةً، وهو ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا، فإن الله منزه عنه حقيقةً، فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، ويمتنع عليه الحدوث؛ لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم؛ ولافتقار المحدَث إلى محدِث؛ ولوجوب وجوده بنفسه ﷻ.

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاتَه بذاتِ خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله،

فيعطلوا أسماءَه الحسنى وصفاتِه العليا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل: فهو جامع بين التعطيل والتمثيل.

أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل، مَثّلُوا أولًا وعطلوا آخِرًا، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيلٌ لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله ﷻ...

لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح

قال: واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريق السلفية أصلًا.

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة -من المتأولين لهذا الباب- في أمر مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علما وقدرة، وأن يكون كلامه غير مخلوق، ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل والشرب الحقيقي في الجنة: يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء: أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جَوَّز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله، فيا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟ فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء؟!

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر، وهو من وجوه:

أحدها: بيان أن العقل لا يُحيل ذلك.

و الثاني: أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل.

والثالث: أن عامة هذه الأمور قد عُلِمَ أن الرسولَ ﷺ جاء بها بالاضطرار، كما أنه جاء بالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية، في الحج والصلاة والصوم، وسائر ما جاءت به النبوات.

الرابع: أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص؛ وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن دَرَك(١) التفصيل، وإنما يعلمه مجملًا إلى غير ذلك من الوجوه.

على أن الوجوه الأساطين(٢) من هؤلاء الفحولَ معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه، ومن المعلوم للمؤمنين أن الله تعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا، وأنه بين للناس ما أخبرهم به، من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد، وهو الإيمان بالخلق والبعث، كما جمع بينهما في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، وقال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم: ٢٧] وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده وكشف به مراده.

---

(١) قال في «القاموس»: الدَّرَك، محركة: اللحاق. اهـ

(٢) أي: أعمدة أهل الكلام وكبرائهم.

ومعلوم للمؤمنين أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم، فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة، ومعلوم أن المتكلم، أو الفاعل إذا كمل علمه وقدرته وإرادته، كمل كلامه وفعله، وإنما يدخل النقص، إمّا من نقص علمه، وإمّا من عجزه عن بيان علمه، وإمّا لعدم إرادته البيان.

والرسول هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين.

ومع وجود القدرة التامة، والإرادة الجازمة يجب وجود المراد، فعلم قطعًا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم.

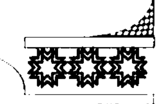
فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه، أو أكمل بيانا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه- فهو من الملحدين، لا من المؤمنين. والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة.

طوائف المنحرفين عن سبيل المؤمنين

وأما المنحرفون عن طريقهم فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل.

الطائفة الأولى: أهل التخييل

فأهل التخييل: هم المتفلسفة، ومن سلك سبيلهم، من متكلم، ومتصوف، ومتفقه، فإنهم يقولون: إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، إنما هو تخييل للحقائق؛ لينتفع به الجمهور، لا أنه بيّن به الحقَ ولا هدى به الخلق ولا أوضح به الحقائق.



ثم هم على قسمين: منهم من يقول: إن الرسول ﷺ لم يعلمِ الحقائق على ما هي عليه، ويقولون: إن من الفلاسفة الإلهية من عَلِمَها، وكذلك من الأشخاص الذين يسمونهم الأولياء من علمها، ويزعمون أن مِن الفلاسفة والأولياء من هو أعلم بالله واليوم الآخر من المرسلين. وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية: باطنية الشيعة وباطنية الصوفية.

ومنهم من يقول: بل الرسول علمها، لكن لم يبيِّنْهَا، وإنما تكلم بما يناقضها، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء: يجب على الرسول أن يدعوَ الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل، ويخبرَهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن ذلك باطل.

قالوا: لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريق التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد. فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر.

وأما الأعمال فمنهم من يقرها، ومنهم من يجريها هذا المجرى، ويقول: إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض، ويؤمر بها العامة دون الخاصة، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة، والإسماعيلية، ونحوهم.

الطائفة الثانية: أهل التأويل والتحريف

وأما أهل التأويل فيقولون: إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معانيَ، ولم يبين لهم تلك المعاني، ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم، ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم، وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه، ويعرف الحق من غير جهته.

وهذا قول المتكلمة، والجهمية، والمعتزلة، ومن دخل معهم في شيء من ذلك، وإذ كان نفور الناس عن الأولين مشهورًا، بخلاف هؤلاء، فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة.

وهم -في الحقيقة- لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا؛ لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص -نصوص المعاد- نظير ما ادعوه في نصوص الصفات(١). فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان، وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه.

وأهل السنة يقولون لهم: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية: أكثر وأعظم من نصوص المعاد.

ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه؛ بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب.

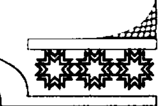
فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟

وأيضًا فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما بُدِّل وحُرِّف لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجبًا منهم وتصديقًا لها(٢)،

---

(١) أي: بتأويلها عن حقائقها إلى المجاز.

(٢) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ، حتى بدت
=



ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات، مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛ بل عابهم بقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض؟ فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]، والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن.

فإذا جاز أن تتأول الصفات، التي اتفق عليها الكتابان، فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان.

الطائفة الثالثة: أهل التجهيل والتفويض

وأما الصنف الثالث: -وهم أهل التجهيل- فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك. وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله. مع أن الرسول تكلم بها ابتداءً، فعلى قولهم: تكلّم بكلام لا يعرف معناه.

وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧]. وهو وقف صحيح؛ لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره وبين «التأويل»، الذي انفرد الله تعالى بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله تعالى هو التأويل المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك.

=

نواجذه؛ تصديقًا لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.
أخرجه البخاري (٤٥٣٣، ٦٩٧٨، ٦٩٧٩، ٧٠١٣، ٧٠٧٥)، ومسلم (٢٧٨٦).

فإن لفظ التأويل يراد به ثلاثة معان:

معاني لفظ التأويل

المعنى الأول: فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح، إلى الاحتمال المرجوح؛ لدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلًا على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلًا يخالف مدلولها، لا يعلمه إلا الله، ولا يعلمه المتأولون.

ثم كثير من هؤلاء يقولون: تُجرى على ظاهرها، فظاهرها مراد مع قولهم: إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة، من أصحاب الأئمة الأربعة، وغيرهم.

والمعنى الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره، أو لم يوافقه وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم.

وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من السلف عند قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧] كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة، وغيرهم. وكِلا القولين حق باعتبارٍ، كما قد بسطناه في موضع آخر؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها، وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل، والشرب، واللباس، والنكاح، وقيام الساعة وغير ذلك- هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان.

وهذا هو التأويل في لغة القرآن، كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ

يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله.

وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف -كمالك وغيره-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

فالاستواء معلوم -يعلم معناه، ويفسر، ويترجم بلغة أخرى- وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم.

وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد روي عن ابن عباس، ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ فمن ادعى علمه فهو كاذب.

وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(١)، وكذلك علم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، فأمر بتدبر القرآن، لا بتدبر بعضه.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآنَ -عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٢، ٤٥٠١، ٤٥٠٢، ٧٠٥٩) ومسلم (٢٨٢٤).

لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا(١).

وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من فاتحته إلى خاتمته، أقف عند كل آية، وأسأله عنها(٢). وقال الشعبي: ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب الله بيانها. وقال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن، ولكن علمنا قصر عنه. وهذا باب واسع قد بسط في موضعه(٣).

والمقصود هنا: التنبيه على أصول المقالات الفاسدة، التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أنزل إليه، ولا جبريل، جعله غير عالم بالسمعيات، ولم يجعل القرآن هدى، ولا بيانًا للناس.

ثم هؤلاء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول وأمته في باب معرفة الله ﷻ، لا علومًا عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسول ﷺ، وإلى السلف من الجهل(٤)، كما أخطأ في ذلك أهل التحريف والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف الملاحدة... اهـ(٥).

---

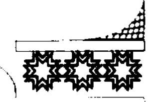
(١) أخرجه الطبري في مقدمة تفسيره (٨٢) بسند صحيح عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلَّموا عشر آيات لم يخلِّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا.
وأخرج الطبري أيضًا (٨١) بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهنَّ.

(٢) أخرجه الطبري (١٠٨).

(٣) انظر مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد ١٣ من «مجموع الفتاوى».

(٤) يعني: ما يسمونه بالتفويض.

(٥) «الفتوى الحموية» كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٦ وما بعدها).



قاعدة السلف في الأسماء والصفات

(بَل يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلا يُلحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلا يُكَيِّفُونَ، وَلا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا سَمِيَّ لَهُ، وَلا كُفْءَ لَهُ، وَلا نِدَّ لَهُ، وَلا يُقَاسُ بِخَلقِهِ ﷻ؛ [وَإِنَّما يُؤْمِنونَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه لِأَنَّهُ][1] سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨١] فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِن النَّقْصِ وَالعَيْبِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، فَلا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ).

الشرح

❁ **ابن باز**: قولُ الفِرقةِ الناجيةِ، أهلِ السنةِ والجماعة في الأسماء والصفات هو: إثبات ما جاء في القرآن العظيم والسنة الصحيحة، من أسماء الله وصفاته، على الوجه اللائق بجلال الله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ عملًا بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى عن نفسه المماثلة، وأثبت السمع والبصر، فدل ذلك على أن مراده سمع وبصر لا يماثلان أسماع الخلق وأبصارهم. اهـ

(١) ما بين المعكوفين سقط من كثير من النسخ. وفيها بدلًا منه: (فإنه سبحانه أعلم..).

قوله: (بَل يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

* **آل الشيخ**: يعني: أهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ويثبتون ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، كالسميع، والبصير.

وفي هذه الآية الرد على الطائفتين: أهل التعطيل، وأهل التشبيه، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد على أهل التشبيه، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على أهل التعطيل.

وفي هذه الآية بيان طريقة الكتاب والسنة في الأسماء والصفات، وأن طريقتهما في النفي الإجمالُ، وفي الإثبات التفصيلُ، فإن الكتاب والسنة جاءا بنفي مجمل، وإثبات مفصل، وهي طريقة أهل السنة والجماعة.

والكلام في باب الأسماء والصفات دائر بين النفي والإثبات، بخلاف طريقة الجهمية وأضرابهم، فإنهم أثبتوا إثباتًا مجملًا، ونفوا نفيًا مفصلًا، فخالفوا الكتابَ والسنةَ، وأهلَ السنة والجماعة في التأصيل والتفصيل، زعمًا منهم أنه تنـزيه لله.

والكاف في ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾ فيها كلام كثير، وليست زائدة[١]، بل جاءت إحداهما مؤكدة للأخرى؛ لمزيد تأكيد عدم المماثلة. اهـ

* **الهراس**: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ . هذه الآية المحكمة من كتاب الله ﷻ، هي دستور أهل السنة والجماعة في باب الصفات، فإن الله ﷻ قد جمع فيها بين النفي والإثبات، فنفى عن نفسه المثل، وأثبت لنفسه سمعًا وبصرًا، فدل هذا على أن المذهب الحق ليس هو نفي الصفات مطلقًا، كما هو شأن المعطلة، ولا إثباتها مطلقًا كما هو شأن الممثلة، بل إثباتها بلا تمثيل.

---

(١) أي: زيادة لمعنى لها.

وقد اختلف في إعراب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ على وجوه: أصحها: أن الكاف صلة[1] زيدت للتأكيد، كما في قول الشاعر[2]:

لـــيس كمثـــل الفتـــى زهـــير ❋ خلـــق يوازيـــه في الفـــضائل. اهـــ

طريقة السلف في النفي والإثبات

❋ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ريب أن أهل السنة والجماعة والحديث، من أصحاب مالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد، وغيرهم، متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق، وعلى ذم المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه، ومتفقون على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة.

---

(١) أي: زائدة، لأن لحروف الجر معانيَ تخصها، فإذا لم تكن على بابها، ولا بمعنى إحدى أخواتها فهي زائدة. أي: لا معنى لها تبينُه، لكنها تفيد التأكيد، قال أبو عبد الله ابن مالك في الخلاصة:

شَـــبِّهْ بكـــافٍ وبهـــا التعليـــلُ قـــدْ ❋❋ يُعنـــى، وزائـــدًا لتوكيـــدٍ وَرَدْ

قال شرَّاحها: تأتي الكاف للتشبيه كثيرًا، كقولك: زيد كالأسد. وقد تأتي للتعليل، كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي: لهدايته إياكم، وتأتي الكاف زائدةً للتوكيد، وجعل منه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، أي ليس مثله شيء.

(٢) هو أوس بن حجر، كما في «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي(٧/ ٤٨٨) و«الدر المصون» (٩/ ٥٤٥)، و«روح المعاني» (٢٥/ ١٨) وهو أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، كان كثير الاسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند، في الحيرة، عُمّر طويلًا، ولم يدرك الاسلام.

أصول السلف في نصوص الصفات

فقولهم في الصفات مبنى على أصلين:

أحدهما: أن الله ﷻ منزه عن صفات النقص مطلقًا، كالسنة، والنوم، والعجز، والجهل، وغير ذلك.

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال، التي لا نقص فيها على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.

ولكنَّ نفاة الصفات يسمون كل من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا، بل المعطلة المحضة الباطنية نفاة الأسماء يسمون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبهًا، فيقولون إذا قلنا: حي عليم، فقد شبهناه بغيره من الأحياء العالمين، وكذلك إذا قلنا: هو سميع بصير، فقد شبهناه بالإنسان السميع البصير، وإذا قلنا: هو رؤوف رحيم، فقد شبهناه بالنبي الرؤوف الرحيم.. إلخ(١).

طريق الكتب الإلهية في النفي والإثبات في الصفات

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: الكتب الإلهية قد جاءت بإثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، مع تنزيهه عن أن يكون له فيها مثيل، بل يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويأتون بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فيثبتون أن الله حي، عليم، قدير، سميع، بصير، غفور، رحيم، ودود، إلى غير ذلك من الصفات، ويثبتون مع ذلك أنه لا نِدَّ له، ولا مثل له، ولا كفؤ له، ولا سمي له، ويقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ رد على أهل التمثيل.

---

(١) منهاج السنة (٢/ ٥٢٣).

وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على أهل التعطيل؛ ولهذا قيل: الممثل يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا. اهـ[1]

طريقة القرآن أفضل الطرق لتحصيل المطالب الإلهية

* **وقال أيضًا**: سائر المطالب الإلهية، من عرف ما قاله النظَّار فيها، من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم، وما جاء به القرآن في ذلك- تبين له من فضل طريقة القرآن وسلامتها عن التناقض والفساد، ما لا يَقْدُرُ قدرَه إلا رب العباد.

الصفات نوعان: ثبوتية وسلبية

ومعلوم أن الصفات نوعان: إثبات، ونفي. فصفات الإثبات، كالحياة والعلم والقدرة.

والنفي: تنزيه الرب تعالى عن الشركاء، والأولاد، وسائر النقائص.

وطريقة القرآن في ذلك إثبات صفات الكمال لله تعالى، على وجه التفصيل، مع تنزيهه عن التمثيل.

التنزيه نوعان

والتنزيه يجمعه نوعان:

أحدهما: أنه منزه عن النقائص مطلقًا، ونفس ثبوت الكمال له ينافي النقص.

الثاني: أنه منزه عن أن يكون له مثلٌ في شيء من صفات الكمال.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٣٤٨).

ولهذا كان مذهب سلف الأمة، وأئمتها أنه يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهذا إبطال للتمثيل، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وهذا إبطال للتعطيل...

الرسل عليهم السلام جاءوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه جاؤوا بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا أن الله سبحانه حيٌّ، عليم، قدير، سميع، بصير، رؤوف، رحيم، إلى سائر ما ذكره الرب من أسمائه وصفاته.

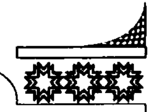
وفي النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الفرقان: ٢]، ونحو ذلك.

التنزيه المحمود

والنفي إنما يدل على عدم المنفي، والعدم المحض ليس بشيء أصلًا، فضلًا أن يكون كمالًا، وإنما يكون كمالًا إذا استلزم أمرًا وجوديًّا، فلهذا لم يصف الرب تعالى نفسه بشيء من النفي إلا إذا تضمن ثبوتًا، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ يتضمن كمال حياته وقيوميته، فإن النوم أخو الموت، ومَن تأخذه السنة والنوم لا يكون قيومًا قائمًا بنفسه مقيمًا لغيره، فإن السنة والنوم يناقض ذلك... إلخ[1].

---

(١) شرح الأصفهانية (ص/ ٤٣٢- ط: السعوي).



الفرق بين التوافق في المسميات وبين التماثل

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ [(١)]: والله تَعَالَى ليس له كفؤ، ولا مثيل، ولا سمي، وليس مطلقُ الموافقة في بعض الأسماء والصفات الموجبةُ نوعًا من المشابهة، تكونُ مقتضيةً للتماثلِ والتكافؤِ، بل ذلك لازمٌ لكل موجودين، فإنهما لابد أن يتفقا في بعض الأسماء والصفات، ويشتبها من هذا الوجه، فمن نفى ما لابد منه كان معطلًا، ومن جعل شيئًا من صفات الله مماثلًا لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلًا، والحقُّ هو نفيُ التمثيلِ ونفيُ التعطيلِ، فلابد من إثبات صفات الكمال، المستلزمة نفيَ التعطيلِ، ولابد من إثبات اختصاصِه بما لَهُ على وجه ينفي التمثيلَ.

الفرق بين التمثيل والتشبيه

ولكنَّ طائفةً من الناس يجعلون التمثيلَ والتشبيهَ واحدًا، ويقولون: يمتنع أن يكون الشيء يشبه غيرَه مِن وجهٍ ويخالفه من وجهٍ. بل عندهم كل مختلفين -كالسواد والبياض- فإنهما لم يشتبها من وجهٍ، وكل مشتبهين -كالأجسام عندهم يقولون بتماثلها- فإنها مماثلةٌ عندهم من كل وجهٍ، لا اختلاف بينهما إلا في أمور عارضة لها.

وهؤلاء يقولون: كل من أثبت ما يستلزم التجسيم -في اصطلاحهم- فهو مشبه ممثل، وهذه طريقة كثير من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى في «المعتمد» وغيره.

وأما جمهور الناس فيقولون: إن الشيء قد يشبه غيرَه مِن وجهٍ دونَ وجه. وهذا القول هو المنقول عن السلف والأئمة، كالإمام أحمدَ، وغيره؛ ولهذا ينكِر هؤلاء على من ينفي مشابهة الموجودِ للموجود من كل وجه، ويقولون: ما من موجودين إلا وأحدهما يشبه الآخر من بعض الوجوه.

---

(١) الصفدية (١/ ١٠١).

الصفات باعتبار الكمال والنقص نوعان

فالصفات نوعان:

أحدهما: صفات نقص، فهذه يجب تنزيهه ﷻ عنها مطلقًا، كالموت، والعجز، والجهل.

والثاني: صفات كمال، فهذه يمتنع أن يماثلَه فيها شيء.



الصفات الخاصة بالمخلوق ينزه الرب عنها، ولو كانت في المخلوق كمالاً

وكذلك ما كان مختصًا بالمخلوقِ فإنه يمتنع اتصافُ الربِّ به، فلا يوصف الرب بشيء من النقائص، ولا بشيء من خصائص المخلوق، وكل ما كان من خصائص المخلوق فلابد فيه من نقصٍ[١]، وأما صفات الكمال الثابتة له، فيمتنع أن يماثله فيها شيء من الأشياء، وبهذا جاءت الكتب الإلهية، فإن الله تعالى وصف نفسه فيها بصفات الكمال، على وجه التفصيل، فأخبر أنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، و﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] وأنه ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته، وأخبر أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، فأثبت لنفسه ما يستحقه من الكمال بإثبات الأسماء والصفات، ونفى عنه مماثلته المخلوقات.

---

(١) كالنوم، والزوجة، والولد، فهي كمال في المخلوق، لكن ينزه الله عنها؛ لأنها تدل على الحاجة، والله غني لا يحتاج.

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، إثباتٌ بلا، وتنزيهٌ بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على أهل التمثيل، وقوله ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، رد على أهل التعطيل.

وهؤلاءِ نفاة الأسماءِ، مِن هؤلاء الغالية، من الجهمية، الباطنية، والفلاسفة، وإنما استطالوا على المعتزلة بنفي الصفات(١)، وأخذوا لفظ التشبيه بالاشتراك والإجمال، كما أن المعتزلة فعلت كذلك بأهل السنة والجماعة مثبتة الصفات(٢)، فلما جعلوا إثبات الصفات من التشبيه الباطل، ألزمهم أولئك بطرد قولهم، فألزموهم نفي الأسماء الحسنى.

والأمر بالعكس، فإن إثبات الأسماء حق، وهو يستلزم إثبات الصفات.. إلخ



براءة أهل السنة من طريقي التعطيل والتحريف

قوله: (فَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ).

❁ **قال الشيخ**: حاشا وكلا، بل هذه طريقة الجهمية والأشاعرة، بل أهل السنة يقرون الكلم على معانيه وما أريد به. اهـ

---

(١) أي: احتجوا على المعتزلة بلوازم نفيهم للصفات، أنه يلزمهم نفي الأسماء أيضًا؛ لأن الحجة عندهم واحدة، وهي نفي التشبيه.

(٢) يعني: متكلمي الصفاتية الذين يثبتون بعض الصفات، كالأشعرية، والكلابية، ومن وافقهم.

❁ **الهراس**: وقوله: «فلا ينفون عنه... إلخ» تفريع على ما قبله؛ فإنهم إذا كانوا يؤمنون بالله على هذا الوجه، فلا ينفون، ولا يحرفون، ولا يكيفون، ولا يمثلون.

والمواضع: جمع موضع، والمراد بها المعاني التي يجب تنزيل الكلام عليها؛ لأنها هي المتبادرة منه عند الإطلاق، فهم لا يعدلون به عنها. اهـ

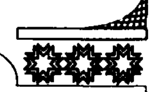
❁ **قال المصنف**: ومتى جنب المؤمن طريق التحريف والتعطيل وطريق التمثيل: سلك سواء السبيل؛ فإنه قد علم بالكتاب والسنة والإجماع، ما يعلم بالعقل أيضًا، أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا يجوز أن يوصف بشيء من خصائص المخلوقين؛ لأنه متصف بغاية الكمال، منزه عن جميع النقائص، فإنه سبحانه غني عما سواه، وكل ما سواه مفتقر إليه، ومن زعم أن القرآن دل على ذلك فقد كذب على القرآن، ليس في كلام الله سبحانه ما يوجب وصفه بذلك، بل قد يؤتى الإنسان من سوء فهمه، فيفهم من كلام الله ورسوله معاني يجب تنزيه الله سبحانه عنها، ولكن حال المبطل مع كلام الله ورسوله كما قيل:

وكم من عائب قولًا صحيحًا ❁ وآفتُه مِن الفهمِ السقيمِ

ويجب على أهل العلم أن يبينوا نفي ما يظنه الجهال من النقص في صفات الله تعالى، وأن يبينوا صون كلام الله ورسوله عن الدلالة على شيء من ذلك، وأن القرآن بيان وهدى وشفاء، وإن ضل به من ضل، فإنه من جهة تفريطه، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: ٤٤]. اهـ[١]



(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٥).



براءة أهل السنة من الإلحاد

قوله: (وَلا يُلحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وَآيَاتِهِ).

❁ آل الشيخ: الإلحاد في اللغة: هو الميل، ومنه تسمية موضع الميّت في القبر لحدًا؛ لميله عن وسطه.

وفي الشرع: هو الميل والخروج عن الحق فيها إلى الجور.

وقد ذم الله تعالى من ألحد في أسمائه وآياته، فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ [فصلت: ٤٠].

فمن عطّل فقد ألحد، ومن مثّل فقد ألحد، ولا يسلم من الإلحاد إلا من آمن بها كما جاءت من غير تمثيل.

وكذلك الآيات من حملها ما لا تطيق فقد ألحد، ومن نقصها فقد ألحد. وأهل التعطيل والتشبيه كلهم من أهل الإلحاد. اهـ

❁ العثيمين: الإلحاد لغة: الميل. واصطلاحًا: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله. ويكون في أسماء الله لقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ويكون في آيات الله لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]. اهـ

❁ ابن مانع: الإلحاد إما يكون بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها اسمًا لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد. اهـ

أنواع الإلحاد في الأسماء الإلهية

❁ **العثيمين**: وأنواع الإلحاد في أسماء الله أربعة:

١- أن ينكر شيئًا منها، أو مما تضمنته من الصفات، كما فعل الجهمية.

٢- أن يسمي الله بما لم يسم به نفسه، كما سماه النصارى أبًا.

٣- أن يعتقد دلالتها على مشابهة الله لخلقه، كما فعل المشبهة.

٤- أن يشتق منها أسماء للأصنام، كاشتقاق المشركين العزى من العزيز.

أنواع الإلحاد في آيات الله

الإلحاد في آيات الله نوعان:

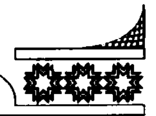
١- الإلحاد في الآيات الكونية التي هي المخلوقات، وهو إنكار انفراد الله بها، بأن يعتقد أن أحدًا انفرد بها، أو ببعضها دونه، وأن معه مشاركًا في الخلق، أو معينًا.

٢- الإلحاد في الآيات الشرعية التي هي الوحي النازل على الأنبياء، وهو تحريفها، أو تكذيبها، أو مخالفتها. اهـ

❁ **الهراس**: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: والإلحاد في أسمائه: هو العدول بها، وبحقائقها، ومعانيها عن الحق الثابت لها، مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادة (لَ حَ دَ)، فمنه اللحد، وهو: الشق في جانب القبر، الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحِد في الدين: المائل عن الحق، المدخل فيه ما ليس منه[١].

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٩٧- ط عالم الفوائد).



فالإلحاد فيها:

١- إما أن يكون بجحدها وإنكارها بالكلية.

٢- وإما بجحد معانيها وتعطيلها.

٣- وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الفاسدة.

٤- وإما بجعلها أسماء لبعض المبتدعات، كإلحاد أهل الاتحاد. اهـ

أنواع الإلحاد في الأسماء الإلهية

* قال العلام ابن القيم: إذا عرف هذا فالإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها، كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله، كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علةً فاعلة بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه، ويتقدس من النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير. وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه. وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة، لا تتضمن صفاتٍ ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، والرحيم، والمتكلم، والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا، وشرعًا، ولغةً، وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءَه وصفاتِه

لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفاتِ كمالِهِ، وجحدوها، وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي، والمتوسط، والمنكوب.

وكل من جحد شيئًا عما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسولُه، فقد ألحد في ذلك، فليستقل، أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقول المشبهون علوًّا كبيرًا.

فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله، وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرّقت بهم طرقه، وبرّأ الله أتباع رسوله ﷺ، وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسَه، ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عمّا أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئًا من التشبيه، وتنزيههم خليًّا من التعطيل، لا كمن شبّه، حتى كأنه يعبد صنمًا، أو عطّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدمًا.

وأهل السنة وسط في النِّحَل، كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، تُوقد مصابيح معارفهم ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ لَّا شَرۡقِيَّةٍ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥] فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته، ومتابعة رسوله إنه قريب مجيب. اهـ[١]

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ٢٩٨-٢٩٩: ط عالم الفوائد).

طريقة السلف بريئة من الإلحاد

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد، لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] الآية. فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، رد للإلحاد والتعطيل. اهـ[١]

وقال أيضًا: قول القرامطة الباطنية ونحوهم، نفاة أسماء الله تعالى، الذين يقولون: لا يقال: حيٌّ، ولا عالم، ولا قادر. وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وآياته قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وإذا كان من الإلحاد إنكار اسمه «الرحمن» كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٦٠]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، إلى غير ذلك، فإذا كان اسمه الرحمن قد أنزل فيه ما أنزل، فكيف إنكار سائر الأسماء؟ ومعلوم أن اللفظ إذا كان عَلَمًا محضًا[٢]، لم ينكره أحدٌ، ولو كانت أعلامًا لم يفرق بين الرحمن والعليم والقدير. اهـ[٣]

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣-٤).
(٢) العَلَم المحض هو: الاسم الذي لا يدل على وصفه في مسماه، كمن سُمي صخرًا وهو إنسان ليِّن سهل.
(٣) جامع الرسائل (١/ ١٧١).

اختلاف طرائق المسلمين في إثبات الأسماء لله تعالى

* قال المصنف شيخ الإسلام: إن المسلمين في أسماء الله تعالى على طريقتين.

فكثير منهم يقول: إن أسماءه سمعية شرعية، فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع

ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتًا له، لم يحرم تسميته به، فإن الشارع لم يحرّم علينا ذلك، فيكون عفوًا.

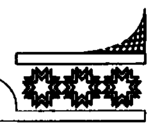
والصواب القول الثالث وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء، أو يخبر بها عنه، فإذا دعي لم يدع إلا بالأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأما الإخبار عنه، فهو بحسب الحاجة، فإذا احتيج في تفهيم الغيرِ المرادَ إلى أن يترجم أسماءه بغير العربية، أو يعبر عنه باسمٍ له معنىً صحيحٌ، لم يكن ذلك محرمًا. اهـ(١)

قوله: (وَلا يُكَيِّفُونَ وَلا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلقِهِ).

* **ابن مانع**: لأن الصفة تابعة للموصوف، فكما أن الموصوف سبحانه لا تُعلم كيفية ذاته، فكذلك لا تُعلم كيفية صفاته، مع أنها ثابتة في نفس الأمر. اهـ

* **آل الشيخ**: «ولا يكيِّفون» صفاته فلا يقولون: كيفيته كذا وكذا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. «ولا يمثِّلون صفاتِه بصفات خلقه»، فما يضاف إلى الخالق فهو يليق به، ويختص به، كما أن ما يضاف إلى المخلوق يليق به ويختص به، وإن اجتمعا في الاسم أو الصفة، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء، لا

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٧).



في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فإن القول في الذات كالقول في الصفات، يحتذى حذوه، ويقاس عليه، فتُثْبت إثباتَ وجود، لا ثبوت تمثيل فيه، فكما أن ذات الباري سبحانه لا تدانيها، ولا تقاربها، ولا تشابهها ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته سبحانه. اهـ

خلاصة ما تقدم من المباحث

* **الهراس**: وخلاصة ما تقدم: أن السلف ﷭ يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ، إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابًا واحدًا؛ فإن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات، وقد يعبرون عن ذلك بقولهم: «تمر كما جاءت بلا تأويل»، ومن لم يفهم كلامهم ظن أن غرضهم بهذه العبارة، هو قراءة اللفظ دون التعرض للمعنى، وهو باطل، فإن المراد بالتأويل المنفي هنا، هو حقيقة المعنى وكُنْهه وكيفيته[1]، قال الإمام أحمد ﵀: لا يوصف الله إلا بما وصف به

---

(١) يريد بحقيقة المعنى: إدراك الحقيقةِ والصورةِ، كما هي؛ لأن اليقين ثلاثُ درجاتٍ: أولها علم اليقين وهو التصديق الخبري اليقيني. وثانيها وهو أعلى من الأول: عينُ اليقين، وهو إدراك اليقين بالرؤية أو السمع. وأعلاها، حق اليقين: إدراك حقيقة الشيء بملابسته ومباشرته، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥-٧]، قال البغوي: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: علمًا يقينًا، فأضاف العلم إلى اليقين كقوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، وجواب «لو» محذوف. أي: لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر. قال قتادة: كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ مشاهدة، عين اليقين. اهـ

وقال تعالى عن إدراك اليقين بملابسته ومباشرته: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٢-٩٥] وإضافة حق إلى اليقين من باب إضافة الشيء إلى نفسه، قال الخازن في تفسيره لباب التأويل: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: لا شك فيه. اهـ

=

نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث[١]. وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري: مَن شبَّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله تشبيه، ولا تمثيل[٢]. اهـ

قال العلامة ابن القيم: ومراد السلف بقولهم: بلا كيف. هو نفي التأويل، فإنه التكييف الذي يزعمه أهل التأويل، فإنهم هم الذين يثبتون كيفية تخالف الحقيقة، فيقعون في ثلاثة محاذير: نفي الحقيقة، وإثبات التكييف بالتأويل، وتعطيل الرب سبحانه عن صفته التي أثبتها لنفسه، وأما أهل الإثبات فليس أحد منهم يكيف ما أثبته الله تعالى لنفسه، ويقول: كيفية كذا وكذا، حتى يكون قول السلف بلا كيف ردًّا عليه، وإنما ردوا على أهل التأويل الذي يتضمن التحريف والتعطيل: تحريف اللفظ، وتعطيل معناه. اهـ[٣]

=

وقال الشيخ السعدي: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ أي: الذي لا شك فيه، ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لابد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده الأدلة القواطع على ذلك، حتى صار عند أولي الألباب كأنهم ذائقون له مشاهدون له. اهـ

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥/ ٢٦).

(٢) رواه الذهبي في «العلو» (٤٢٩) بسند صحيح، وقال: نعيم بن حماد من أوعية العلم، أُخِذَ في محنة خلق القرآن، فسجن حتى مات في القيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة تسع وعشرين ومئتين وله ثمانون سنة، حدث عنه البخاري. اهـ

قال الألباني في «مختصره»: هذا إسناد صحيح. اهـ

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/ ١٩٩: ط المعتق).

القول في الصفات، كالقول في الذات، يثبت إثبات وجود لا كيفية

* **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصل الثاني من قواعد «الرسالة التدمرية»[١]: القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقةً لا تماثل سائر الصفات، فإذا قال السائل: كيف استوى على العرش؟ قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما ﷺ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب.

والسؤال عن الكيفية بدعة؛ لأنه سؤال عمّا لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال: كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: لا أعلم كيفيته. قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله؛ إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه، وبصره، وتكليمه، واستوائه، ونزوله، وأنت لا تعلم كيفية ذاته؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر، مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شيء، فسمعه، وبصره، وكلامه، ونزوله، واستواؤه ثابت في نفس الأمر، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابه فيها سمع المخلوقين، وبصرهم، وكلامهم، ونزولهم، واستواؤهم. اهـ

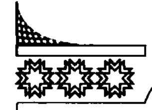
* **وقال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: آيات الصفات، وأحاديثها مذهب سلف الأمة، من الصحابة، والتابعين، وسائر الأئمة المتبوعين الإقرار والإمرار، قال أبو سليمان الخطابي[٢] وأبو بكر الخطيب[٣]: مذهب السلف في آيات الصفات، وأحاديث الصفات، إجراؤها

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٥).

(٢) الحافظ أبو سليمان حمد بن سليمان الخطابي البستي الشافعي، صاحب «معالم السنن شرح سنن أبي داود»، و«غريب» و«الدعاء» و«أعلام الحديث شرح البخاري». ت سنة ٣٨٨هـ.

(٣) الحافظ الإمام أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، له مصنفات كثيرة جدًا في الحديث والتاريخ منها: «تاريخ بغداد» ت سنة ٤٦٣هـ.



على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها. وقالا في ذلك: إن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات ذاته إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إثبات وجود لا إثبات كيفية، فلا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إنّ معنى السمع العلم، هذا كلامهما. وقال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: كيف ينزل إلى سماء الدنيا؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإن قال: نحن لا نعلم كيفية ذاته. فقل: ونحن لا نعلم كيفية صفاته، وكيف نعلم كيفية صفةٍ ولا نعلم كيفية موصوفها؟

ومن فهم من صفات الله تعالى ما هو مستلزم للحدوث، مجانس لصفات المخلوقين، ثم أراد أن ينفي ذلك عن الله، فقد شبه وعطّل(١)، بل الواجب أن لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا نتجاوز القرآن والحديث، وأن نعلم مع ذلك أن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في نفسه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، وأن الخلق لا تطيق عقولهم كُنه معرفته، ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]. اهـ(٢)



الأصل والعلة في عدم القياس في الصفات

قوله: (لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا سَمِيَّ لَهُ، وَلا كُفْءَ لَهُ، وَلا نِدَّ لَهُ).

* **الهراس**: قوله: «لأنه سبحانه لا سمي له.. إلخ». تعليل لقوله فيما تقدم إخبارًا عن أهل السنة والجماعة: «لا يكيفون ولا يمثلون». اهـ

(١) شبّه أولاً بما تصوّر من المماثلة، وعطّل ثانيًا بما نفى من الصفات الثابتة.
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٤).

❁ **ابن مانع**: «لا سَمِيَّ لَهُ» أي: مثلًا ونظيرًا يستحق اسمه، وموصوفًا يستحق صفته على التحقيق، وليس المعنى: هل تجد من تسمى باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق على غيره[1]، لكن ليس معناه إذا استعمل فيه كان كمعناه إذا استعمل في غيره. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «لا سمي له» المعنى: لا يساميه أحد، أو لا يستحق مثل اسمه. وكلا المعنيين راجع إلى الآخر؛ لكون اسمه تعالى دالًّا على الكمال، والخلق، وإن كان لهم نوع كمال فإن الله هو الذي أكسبهم إياه. والكُفْء: المساوي، «ولا ند له»: أي: ولا مثل له. اهـ

تفسير الأنداد

❁ **ابن مانع**: الأنداد: الأمثال والنظراء، فكل من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله رغبة فيه، أو رهبة منه، فقد اتخذه ندًّا لله؛ لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره، وذلك كحال عُبّاد الأموات الذين يستعينون بهم، وينذرون لهم، ويحلفون بأسمائهم. اهـ



(١) كما وصف نبيّه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال عن نفسه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١]، وسمى نفسه عزيزًا في أكثر من مائة آية.

القياس الممنوع والقياس الجائز في الصفات

قوله: (وَلا يُقَاسُ بِخَلقِهِ ﷻ).

* **آل الشيخ**: «ولا يقاس بخلقه ﷻ»: فيُضْرَب له مثلٌ، فيقاس بالمخلوق في مَثَلٍ يستوي هو والمخلوق فيه -تعالى وتقدس-، فجميع القياس في حقه ممتنع شرعًا وعقلًا، نعم قياس الأَولى يجوز، فيقال: ما كان في حق المخلوق كمال، فإن الله أحق بالكمال، فيثبت لله تعالى على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل. اهـ

* **الهراس**: قوله: «لا يقاس بخلقه» المقصود به أنه لا يجوز استعمال شيء من الأقيسة التي تقتضي المماثلة والمساواة بين المقيس والمقيس عليه في الشؤون الإلهية، وذلك مثل قياس التمثيل، الذي يُعَرِّفُه علماء الأصول: بأنه إلحاق فرع بأصل في حكم الجامع، كإلحاق النبيذ بالخمر في الحرمة؛ لاشتراكهما في علة الحكم، وهي الإسكار. فقياس التمثيل مبني على وجود مماثلة بين الفرع والأصل، والله ﷻ لا يجوز أن يمثل بشيء من خلقه.

ومثل قياس الشمول، المعروف عند المناطقة: بأنه الاستدلال بكلي على جزئي، بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي. فهذا القياس مبني على استواء الأفراد المندرجة تحت هذا الكلي، ولذلك يحكم على كل منها بما حكم به عليه، ومعلوم أنه لا مساواة بين الله ﷻ وبين شيء من خلقه.

وإنما يستعمل في حقه تعالى قياس الأَولى، ومضمونه: أن كل كمال ثبت للمخلوق، وأمكن أن يتصف به الخالق، فالخالق أَولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أحق بالتنزه عنه.

وكذلك قاعدة الكمال التي تقول: إنه إذا قدر اثنان: أحدهما موصوف بصفة كمال، والآخر يمتنع عليه أن يتصف بتلك الصفة؛ كان الأول أكمل من الثاني، فيجب إثبات مثل تلك الصفة لله ما دام وجودها كمالًا، وعدمها نقصًا. اهـ

* **قال المصنف** رحمه الله: والله تعالى له المثل الأعلى، فلا يجوز أن يقاس على غيره قياسَ تمثيل، يستوي فيه الأصل والفرع، ولا يقاس مع غيره قياس شمول، تستوي أفراده في حكمه، فإن الله سبحانه ليس مثلًا لغيره، ولا مساويًا له أصلًا، بل مثل هذا القياس هو ضرب الأمثال لله، وهو من الشرك والعدل بالله، وجعل الند لله وجعل غيره له كفوًا وسميًّا، وهم مع هذا كثيرو البراءة من التشبيه والذم له، وهم في مثل هذه المقاييس داخلون في حقيقة التمثيل والتشبيه، والعدل بالله، وجعل غيره له كفوًا وندًّا وسميًّا، كما فعلوا في مسائل الصفات والقدر، وغير ذلك؛ ولهذا ذكر الوزير أبو المظفر بن هبيرة في كتاب «الإيضاح في شرح الصحاح»(١) أن أهل السنة يحكون أن النطق بإثبات الصفات وأحاديثها يشتمل على كلمات متداولات بين الخالق وخلقه، وتحرجوا من أن يقولوا مشتركة؛ لأن الله تعالى لا شريك له، بل لله المثل الأعلى، وذلك هو قياس الأولى والأحرى، فكل ما ثبت للمخلوق من صفات الكمال فالخالق أحق به وأولى، وأحرى به منه؛ لأنه أكمل منه؛ ولأنه هو الذي أعطاه ذلك الكمال، فالمعطي الكمالَ لغيره أولى بأن يكون هو موصوفًا به، بل وهب له من إحسانه وعطائه ما وهبه من ذلك، كالحياة، والعلم، والقدرة، وكذلك ما كان منتفيًا عن المخلوق؛ لكونه نقصًا وعيبًا، فالخالق هو أحق بأن ينزه عن ذلك، وقد بسطت هذه القاعدة في غير هذا الموضع(٢).

وعلى هذا فجميع الأمور الوجودية المحضة يكون الرب أحقَّ بها؛ لأن وجوده أكمل؛ ولأنه هو الواهب لها، فهو أحق باتصافه بها، وجميع الأمور العدمية المحضة، يكون الرب أحقَّ بالتنزيه منها؛ لأنه عن العدم أبعد من سائر الموجودات، ولأن العدم ممتنع لذاته على ذاته، وذاته بذاته تنافي العدم، وما كان فيه وجود وعدم، كان أحق بما فيه

---

(١) هو المشهور باسم «الإفصاح عن معاني الصحاح» طبع بعضه.

(٢) انظر «الرسالة التدمرية» في «الفتاوى» (٣/ ٢٨-٣٤)، و«درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٣٢٢-٣٢٤).

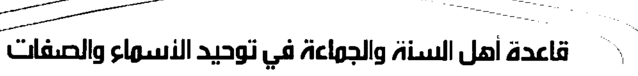
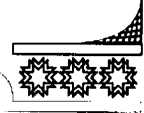
من الوجود، وأبعد عما فيه من العدم، فهذا أصل ينبغي معرفته، فإذا أثبتت له صفات الكمال، من الحياة، والعلم، والقدرة، والكلام، والسمع، والبصر، وغير ذلك، بهذه الطريقة القياسية العقلية التي لله فيها المثل العلى- كان ذلك اعتبارًا صحيحًا، وكذلك إذا نفي عنه الشريك، والولد، والعجز، والجهل، ونحو ذلك، بمثل هذه الطرق؛ ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة، يستعملون مثل هذه الطريق في الأقيسة العقلية، التي ناظروا بها الجهمية، فاستعملوا مثل هذا فيما أثبتوه لله تعالى، وفيما نفوه عنه، وفيما ردوه من قول الجهمية.

وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن كون الموجود قائمًا بنفسه، أو موصوفًا، أو أن له من الحقيقة، والصفة، والقدر، ما استحق به ألا يكون بحيث يكون غيره، وأن لا يكون معدومًا، بل ما أوجب أن يكون قائمًا بنفسه مباينًا لغيره، وأمثال ذلك من الأمور الوجودية باعتبار الغائب فيها بالشاهد، جَارٍ على هذا الصراط المستقيم، فكلما كان أقرب إلى الموجود كان إليه أقرب، وكلما كان أقرب إلى المعدوم فهو عنه أبعد. اهـ[١]

* وقال رَحِمَهُ اللهُ: العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل تحت قضية كلية تستوي أفرادها.

ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلي اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم -بعد التناهي- الحيرة والاضطراب؛ لما يرونه من فساد أدلتهم، أو تكافئها، ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولي، سواء كان تمثيلًا، أو شمولًا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن، أو المحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه -وهو ما كان كمالًا للموجود غير مستلزم للعدم- فالواجب القديم أولى به، وكل كمال

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٣٤٧-٣٥١ طبع المجمع).

لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب المعلول المدبر، فإنما استفاده من خالقه، وربه، ومدبره، فهو أحق به منه، وأنَّ كل نقص وعيب في نفسه -وهو ما تضمن سلب هذا الكمال- إذا وجب نفيه عن شيء ما من المخلوقات، والممكنات، والمحدثات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى، وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود، وأما العدمية فالممكن المحدث بها أحق ونحو ذلك.

ومثل هذه الطرق، هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب، كما استعمل نحوها الإمام أحمد، ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام، وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين، في مسائل التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلك. اهـ[1]

* وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا كانت طريقة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته، وإن استعملوا في ذلك القياس استعملوا القياس الأولى، ولم يستعملوا قياس شمولٍ يستوى أفراده، ولا قياسَ تمثيلٍ محضٍ، فإن الرب تعالى لا مثل له، ولا يجتمع هو وغيره تحت كلي يستوي أفراده، بل ما ثبت بغيره من كمال لا نقص فيه، فثبوته له بطريق الأولى، وما تنزه عنه غيره من النقائص، فتنزهه عنه بطريق الأولى؛ ولهذا كانت الأقيسة العقلية البرهانية المذكورة في القرآن من هذا الباب، كما يذكره في دلائل ربوبيته، وإلهيته، ووحدانيته، وعلمه، وقدرته، وإمكان المعاد، وغير ذلك من المطالب العالية السَّنية والمعالم الإلهية، التي هي أشرف العلوم، وأعظم ما تكمل به النفوس من المعارف، وإن كان كمالها لابد فيه من كمال علمها وقصدها جميعًا، فلابد من عبادة الله وحده، المتضمنة لمعرفته، ومحبته، والذل له. اهـ[2]

* **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ: ويقال: كل علمٍ في الممكنات -التي هي المخلوقات- فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه، بل هو أحقُّ، واللهُ -سبحانه وله المثل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩-٣٠).

(٢) الرد على المنطقيين (ص/ ١٥٠).

الأعلى- لا يستوي هو والمخلوقُ، لا في قياسِ تمثيلٍ، ولا قياسِ شمولٍ، بل كل ما أثبت للمخلوق فالخالقُ به أحقُّ، وكل نقصٍ تنزه عنه مخلوقٌ، فتنزيه الخالقِ عنه أولى. اهـ(١)



عصمة الأخبار الدالة على مذهب السلف

(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «فإنه سبحانه أعلم بنفسه من خلقه»، وبما يجوز في حقه وما يمتنع عليه، فعلينا أن نذعن، ونصدق، ونؤمن بما يصل إلينا، ونعتقده حقيقةً على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وهذا الباب توقيفي، فيُنْطَق حيث نطق الكتاب والسنة، وقد نطق الكتاب والسنة بالصفات، وهو الحق، والتوحيد، فلا محذور في النطق بما وصف به نفسه، والخلق ما لهم علم بالأمور الاعتقادية، إلا ما أخذوه من مشكاة النبوة. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «فإنه أعلم بنفسه وبغيره...» إلى قوله: «ثم رسله صادقون مصدوقون» تعليل لصحة مذهب السلف، في الإيمان بجميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، فإنه إذا كان الله ﷻ أعلم بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولًا وأحسن حديثًا، وكان رسله عليهم الصلاة والسلام صادقين في كل ما يخبرون به عنه، معصومين من الكذب عليه، والإخبار عنه بما يخالف الواقع- وجب التعويل إذًا في باب الصفات نفيًا وإثباتًا على ما قاله الله وقاله رسوله ﷺ الذي هو أعلم خلقه به، وأن لا يترك ذلك إلى قول من يفترون على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص/ ٤٤).

أسباب قصور البيان

وبيان ذلك أن الكلام إنما تَقْصُرُ دِلالته على[1] المعاني المرادة منه، لأحد ثلاثة أسباب:

١- إما لجهل المتكلم وعدم علمه بما يتكلم به.

٢- وإما لعدم فصاحته وقدرته على البيان.

٣- وإما لكذبه وغشه وتدليسه.

ونصوص الكتاب والسنة بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه، فكلام الله وكلام رسوله في غاية الوضوح والبيان، كما أنه المثل الأعلى في الصدق، والمطابقة للواقع؛ لصدوره عن كمال العلم بالنسب الخارجية، وهو كذلك صادر عن تمام النصح، والشفقة، والحرص على هداية الخلق وإرشادهم.

فقد اجتمعت له الأمور الثلاثة، التي هي عناصر الدلالة والإفهام على أكمل وجه، فالرسول ﷺ أعلم الخلق بما يريد إخبارهم به، وهو أقدرهم على بيان ذلك والإفصاح عنه، وهو أحرصهم على هداية الخلق، وأشدهم إرادة لذلك، فلا يمكن أن يقع في كلامه شيء من النقص والقصور، بخلاف كلام غيره، فإنه لا يخلو من نقص في أحد هذه الأمور أو جميعها، فلا يصح أن يعدل بكلامه كلام غيره فضلًا عن أن يعدل عنه إلى كلام غيره؛ فإن هذا هو غاية الضلال، ومنتهى الخذلان. اهـ

* **السعدي**: نصوص الكتاب والسنة التي يتعذر إحصاؤها، كلها تشترك في دلالتها على هذا الأصل، وهو: إثبات الصفات على وجه الكمال الذي لا يشبهه كمال أحد، وهي في غاية الوضوح والبيان، وأعلى مراتب الصدق.

---

(١) كذا، ولعلها: (عن).

فإن الكلام إنما يقصر بيانه ودلالته لأمور ثلاثة:

١- إما جهل المتكلم وعدم علمه وقصوره.

٢- وإما عدم فصاحته وبيانه.

٣- وإما كذبه وغشه.

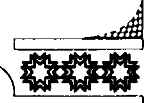
أما نصوص الكتاب والسنة فإنها بريئة من هذه الأمور الثلاثة من كل وجه. فكلام الله ورسوله في غاية الوضوح والبيان وفي غاية الصدق، كما قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. ونظيرها: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. والرسول ﷺ في غاية النصح والشفقة العظيمة على الخلق.

فمن كان أعلم الخلق، وأصدق الخلق، وأفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق، هل يمكن أن يكون في كلامه شيء من النقص أو القصور؟ أم تقول- والحق تقول-: إن كلامه هو النهاية التي لا فوقها في الوضوح والبيان للحقائق كلها؟ اهـ.

❁ **قال المصنف في «الفتوى الحموية»**[1]: وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ، من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده. ومعلوم للمؤمنين: أن رسول الله ﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة، وأفصح من غيره عبارة وبيانًا، بل هو أعلم الخلق بذلك، وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم، فقد اجتمع في حقه كمال العلم، والقدرة، والإرادة. ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذا كمل علمه، وقدرته، وإرادته كمل كلامه، وفعله، وإنما يدخل النقص إمّا من نقص علمه، وإما من عجزه عن بيان علمه، وإما لعدم إرادته البيان، والرسول هو الغاية في كمال العلم، والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين، ومع

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى (ص/ ٢٧٦: ط التويجري) ومجموع الفتاوى (٥/ ٣٠).



وجود القدرة التامة والإرادة الجازمة، يجب وجود المرادن فعلم قطعًا أن ما بينه من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر، حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه، وعلمه بذلك أكمل العلوم.

فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه، أو أكمل بيانًا منه، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين. والصحابة، والتابعون لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم في هذا الباب على سبيل الاستقامة. اهـ

صدق الرسل وعصمتهم في البلاغ، عصمة للأمم التابعة لهم

قوله: (ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ).

* **آل الشيخ**: قوله: «ثم رسله صادقون» هذا عطف على قوله: «فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثًا من خلقه»، مع ما تقدم من قوله: «ومن الإيمان بالله...» إلخ. وقد وصفوا الله بصفات، وهم معصومون في كل ما بلغوه عن الله، لا ينطقون عن الهوى، «مُصدَّقون» فيما أخبروا به عن ربهم- أي: مؤتمنون فيما أوحي إليهم- فيجب تصديقهم فيما بلغوه عن ربهم، والالتفات إلى ما قالوا، والتمسك به، وفي بعض النسخ: «مَصْدُوقون». اهـ

* **ابن باز**: يقول ﷺ: «ثم رسله صادقون مصدّقون» يعني: أنه أخبر عن نفسه كما تقدم، فيما ذكره المؤلف من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، إلى آخره، وأنه أعلم بنفسه، وبخلقه، وأنه لا يقاس بخلقه ﷻ، ثم رسله أيضًا صادقون مصدّقون فيما أخبروا به، فالذي أخبر به القرآن أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأفضلهم، وإمامهم، وخاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام أخبر بأنه هو العلي الأعلى، وهو مستوٍ على العرش، وهو الذي يعطي ويمنع، وهو القادر على كل شيء، وهو المستحق

للعبادة، فجاءت السنة بأوصافه العظيمة ﷻ، وأنه إله الحق، المستحق لأنْ يُعبد، كما دلّ عليه القرآن.

والرسل عليهم السلام صادقون فيما أخبروا به عن الله.

و«مصدّقون» يعني: يجب تصديقهم على كل مكلف، وهم ما جاءهم من عند الله إلا الصدق، فهم صادقون مصدَّقون ومصدِّقون، فالواجب على جميع المكلفين تصديقهم والعمل بما جاؤوا به، فكل أمة تعمل فيما جاء به رسولها، ورسول هذه الأمة عليه الصلاة والسلام يجب عليهم أن يتبعوا ما جاء به، وينقادوا لشرعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فالواجب على جميع المكلفين اتباع هذا الرسول ﷺ فيما جاء به من الكتاب والسنة من الأحكام الشرعية من فعل وترك، ومن ذلك ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته، فيجب تصديقه في ذلك، والإيمان بكل ما أخبر به من أسماء الله وصفاته، إيمانًا بريئًا من التمثيل، مع تنزيه الله عن مشابهة خلقه، تنزيهًا بريئًا من التعطيل؛ ولهذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون» من الكفرة والجهلة. اهـ

عصمة الرسل

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل أحد قط أن من أرسله الله يكذب عليه، وقد قال تعالى ما يبين أنه لا يقر كاذبا عليه قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧] اهـ[1]

(١) الجواب الصحيح (١/ ٤٤٦).

تأييد الله للرسل وتصديقه لهم

* وقال أيضًا: وإرسال الله للرسول يتضمن شيئين.

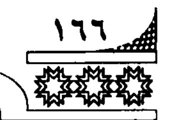
١- إنشاء الله للرسالة، والله حكيم، وهو أعلم حيث يجعل رسالاته، لا يجعلها إلا فيمن هو من أكمل الخلق وأصدقهم.

٢- ويتضمن إخبار الله عنه بأنه صادق عليه فيما يبلغه عنه، مما يقول: إن الله أرسله به، فكما صدّقه بالآيات المعجزات في قوله: إنه أرسلني. فقد صدّقه بما يقول إنه أرسلني به؛ إذ التصديق بكونه أرسله، من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به، لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الإرسال، والله تعالى عليم بما يشهد به لمن أرسله، بخلاف المخلوق الذي يبعث من يظنه يصدِّق فيما يبلغه عنه، فَيَظْهَرُ أنه كَذَبَ عليه، والله يعلم عواقب الأمور، والرسالة صادرة من علمه وحكمته، وهو عليم حكيم، ومن يكذب على الله ولو في كلمة، لم يبلغ عنه ما يقوله على هذا الوجه، فلا يكون رسولَه.

ولهذا اتفق أهل الملل على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله، لا يكذبون عليه عمدًا ولا خطأً، فإن هذا مقصود الرسالة. اهـ[١]



(١) الجواب الصحيح (٣/ ٤٩٨).



براءة السلف من طرائق الجهلة أهل التعطيل والتمثيل

قوله: (بِخِلافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لا يَعْلَمُونَ).

* آل الشيخ: هذا راجع إلى أهل التعطيل والجحد، وإلى أهل التمثيل، كلهم قائلون عليه بغير علم، فإنهم لا صادقون، ولا مصدَّقون، ولا التفات إلى ما قالوا، بل كاذبون ومُكذِّبون، ومعتمدون على نحاتة الأفكار، وزبالة الأذهان، فإن منهم من عطل وجحد، فهو قائل بلا علم، مع مخالفتهم لما عرفوا من العلم، وكذلك الذين يقولون: إنها لا تدل على كذا، ولا على كذا، فكلهم مخالفون للرسل، وكل من وصف الله بغير ما وصف به نفسه، فهو قائل على الله بلا علم.

فكلٌّ من الجهمية، وأضرابهم، والممثلة تائه، الكل قائل على الله بغير علم، وواقع فيما هو أعظم من الشرك، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فكلٌّ من حرف، أو ألحد، أو عطل، فهو قائل على الله بلا علم، بل هو مخالف للعلم الواضح.. اهـ

* قال المصنف رحمه الله: فهؤلاء الذين يتخيلون ما وصف رسول الله ﷺ به ربه أنه مثل صفات أجسامهم، كلهم ضالون، ثم يصيرون قسمين:

قسم: علموا أن ذلك باطل، وظنوا أن هذا ظاهر النص ومدلوله، وأنه لا يفهم منه معنى إلا ذلك، فصاروا إما أن يتأولوه تأويلا يحرفون به الكلم عن مواضعهن وإما أن يقولوا: لا يفهم منه شيء. ويزعمون أن هذا مذهب السلف، ويقولون: إن قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، يدل على أن معنى المتشابه لا يعلمه إلا الله، والحديث منه متشابه -كما في القرآن- وهذا من متشابه الحديث، فيلزمهم أن يكون الرسول الذي تكلم بحديث النزول لم يدر هو ما يقول، ولا ما عني بكلامه، وهو

المتكلم به ابتداء، فهل يجوز لعاقل أن يظن هذا بأحد من عقلاء بني آدم، فضلًا عن الأنبياء، فضلًا عن أفضل الأولين والآخرين، وأعلم الخلق، وأفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق ﷺ؟ وهم مع ذلك يدَّعون أنهم أهل السنة، وأن هذا القول الذي يصفون به الرسول وأمته هو قول أهل السنة، ولا ريب أنهم لم يتصوروا حقيقة ما قالوه ولوازمه، ولو تصوروا ذلك لعلموا أنه يلزمهم ما هو من أقبح أقوال الكفار في الأنبياء، وهم لا يرتضون مقالة من ينتقص النبي ﷺ، ولو تنقّصه أحد لاستحلوا قتله، وهم مصيبون في استحلال قتل من يقدح في الأنبياء عليهم السلام.

وقولهم يتضمن أعظم القدح، لكن لم يعرفوا ذلك، ولازم القول ليس بقولٍ، فإنهم لو عرفوا أن هذا يلزمهم ما التزموه.

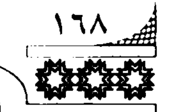
وقسم ثان من الممثلين لله بخلقه، لما رأوا أن قول هؤلاء منكَر، وأن قول الرسول ﷺ حق، قالوا مثل تلك الجهالات، من أنه تصير فوقه سماء، وتحته سماء، أو أن السموات ترتفع ثم تعود، ونحو ذلك، مما يظهر بطلانه لمن له أدنى عقل ولب. اهـ[1]

تنزيه الله تعالى نفسه ومدح المنزهين له عن طرائق المعطلة والممثلة

قوله: (وَلِهَذَا قَالَ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨١] فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالعَيْبِ).

❁ **قال الشيخ**: «ولهذا» هذا تعليل من المصنف، فالله سبحانه الذي هذا شأنه «قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢]». اهـ

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٦-٤٧٧).



* **الهراس**: هذا تعليل لما تقدم من كون كلام الله وكلام رسوله أكمل صدقًا، وأتم بيانًا ونصحًا، وأبعد عن العيوب والآفات من كلام كل أحد، فهو سبحانه ينزه نفسه عما ينسبه إليه المشركون، من اتخاذ الصاحبة والولد، وعن كل نقص وعيب، ثم يسلم على رسله عليهم الصلاة والسلام بعد ذلك؛ للإشارة إلى أنه كما يجب تنزيه الله ﷻ وإبعاده عن كل شائبة نقص وعيب، فيجب اعتقاد سلامة الرسل في أقوالهم وأفعالهم من كل عيب كذلك، فلا يكذبون على الله، ولا يشركون به، ولا يغشون أممهم، ولا يقولون على الله إلا الحق. اهـ

* **ابن باز**: ولهذا سبَّح نفسه عمّا يقوله الكذابون، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] فحَمِدَ نفسه؛ لأنه الكامل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، فقال تعالى: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونزه نفسه عمّا يقوله المخالفون للرسل من أعدائه، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يعني عمّا يصفه به أعداء الله من الكفرة، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن أنّ له شريكًا، فكل هذا باطل نزّه نفسه عنه، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وهو سبحانه الفرد الصمد، ليس له شريك، بل هو الإله الحقّ، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من نفي النقص والعيب، فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ لأنهم سلموا لله بما أخبرهم به، وانقادوا له، وبلغوا الأمم، فهم سالمون مسلِّمون صادقون في نفس الأمر، مصدِّقون ومصدَّقون، ثم حمد نفسه فقال: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لكمال ذاته، وكمال صفاته، وأفعاله ﷻ؛ ولهذا فله الحمد المطلق. اهـ

* **السعدي**: وهذا برهان على أن كلام الله وكلام رسوله يوصِل إلى أعلى درجات العلم واليقين، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فالحق النافع هو ما اشتمل عليه كلام الله وكلام رسوله في جميع الأبواب؛ لا سيما في هذا الباب الذي هو أصل الأصول كلها، وهذا معنى قول المصنف في إيراده للآية

الكريمة: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢] فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلّم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. أي: قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لدلالة الحمد على الكمال المطلق من جميع الوجوه. اهـ

❋ **الهراس**: قوله: «والحمد لله رب العالمين» ثناء منه سبحانه على نفسه بما له من نعوت الكمال، وأوصاف الجلال، وحميد الفعال، وقد تقدم الكلام على معنى «الحمد»، فأغنى عن إعادته.

وقوله «**سبحان ربك**» اسم مصدر، من التسبيح[١]، الذي هو التنزيه والإبعاد عن السوء، وأصله من السَّبْحِ، الذي هو السرعة والانطلاق والإبعاد، ومنه فرس سبوح: إذا كانت شديدة العدو.

وإضافة الرب إلى العزة من إضافة الموصوف إلى صفته، وهو بدل من الرب قبله. اهـ

❋ **آل الشيخ**: «**فسبح نفسه**»، وقدسها، والتسبيح: التنزيه والتقديس[٢]، «**عما وصفه به المخالفون للرسل**»، مما قالوه في أسمائه وصفاته، وشرعه وقدره؛ لأن ما قاله

---

(١) وذهب كثيرون إلى أنه علم جنس على التسبيح، قال صاحب «القاموس»: وسبحانَ الله: تنزيهًا لله من الصاحبة والولد، معرفةٌ. اهـ قال شارحه: قال شيخنا -يعني: الفاسي-: يريد أنه علم جنس على التسبيح، كـ«بَرَّةِ» علمٌ على البِر، ونحوه من أعلام الأجناس الموضوعة للمعاني، وما ذكره من أنه علم هو الذي اختاره الجماهير، وأقره البيضاوي والزمخشري والدماميني، وغير واحد. اهـ

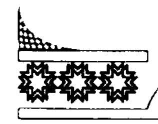
قال ابن مالك في «خلاصة الألفية»:

ووضعوا لبعضِ الأجناسِ عَلَمْ ** كعَلَمِ الأشخاص لفظًا، وهو عَمْ

من ذاك أُمُّ عِرْيَطٍ للعقربِ ** وهكذا ثُعَالَةُ للثعلبِ

ومِثْلُه بَرَّةُ لِلْمَبَرَّةْ ** كذا فَجَارُ عَلَمٌ للفَجْرَة

(٢) قال في «القاموس»: التقديس: التطهير، وتقدَّس: تطهّر، والقُدس -بالضم، وبضمتين-: الطهر، اسم ومصدر، والقُدوس: من أسماء الله تعالى، وبفتح. أي: الطاهر أو المبارك. اهـ



أعداء الرسل نقص وعيب لا يليق بجلال الله. «وسلَّم على المرسلين» ذكر في الآية السلام عليهم «لسلامة ما قالوه» في الله وفي أسمائه وصفاته، وشرعه ودينه «من النقص والعيب»؛ لأن ما ذكروه هو الصدق والكمال، وضده الكذب والعيب، فاستحقوا السلام من الله، وحمد نفسه؛ لما له من الأسماء والصفات، وبديع المخلوقات. اهـ

طريقة الرسل في أسماء الله وصفاته هي طريقة القرآن

* **قال المصنف** رحمه الله: وأما الرسل صلوات الله عليهم فطريقتهم طريقة القرآن قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

والله تعالى يخبر في كتابه أنه حي، قيوم، عليم، حكيم، غفور، رحيم، سميع، بصير، عليٌّ، عظيم: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وكلم موسى تكليمًا، وتجلى للجبل فجعله دكًّا، يرضى عن المؤمنين، ويغضب على الكافرين إلى أمثال ذلك من الأسماء والصفات، ويقول في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، فنفى بذلك أن تكون صفاته كصفات المخلوقين، وأنه ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في شيء من صفاته، ولا أفعاله ﷻ عما يقولون علوًّا كبيرًا ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالمؤمن يؤمن بالله، وما له من الأسماء الحسنى، ويدعوه بها، ويجتنب الإلحاد في أسمائه وآياته قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]. اهـ[١]

---

(١) اقتضاء الصراط (ص/ ٤٦٧: ط الفقي).

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: من آمن بما جاءت به الرسل، وقال ما قالوه من غير تحريف للفظه ولا معناه، فهذا لا إنكار عليه، بخلاف من ابتدع أقوالًا لم تَقُلْها الرسل، بل هي تخالف ما قالوه، وحرّف ما قالوه، إما لفظًا ومعنى، وإما معنى فقط، فهذا يستحق الإنكار عليه باتفاق الطوائف.

وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه، وبما وصفته به رسله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي: عما يصفه الكفار المخالفون للرسل، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال، ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل، فأتوا بإثبات مفصّل، ونفي مجمل، فمن نفى عنه ما أثبته لنفسه من الصفات، كان معطّلًا، ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلًا، والمعطّل يعبد عدمًا، والممثل يعبد صنمًا، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ وهو رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وهو رد على المعطلة.

فوصفته الرسل بأنه حي منزه عن الموت، عليم منزه عن الجهل، قدير قوي عزيز منزه عن العجز والضعف والذل واللغوب، سميع بصير منزه عن الصم والعمى، غني منزه عن الفقر، جواد منزه عن البخل، حكيم حليم منزه عن السفه، صادق منزه عن الكذب، إلى سائر صفات الكمال، مثل وصفه بأنه ودود، رحيم، لطيف. اهـ[1]



(١) الجواب الصحيح (٤/ ٤٠٦).

الجمع بين النفي والإثبات في الأسماء والصفات

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ).

* **آل الشيخ**: يعني أن الله جمع في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بين نوعين: «النفي والإثبات»: نفي ما لا يليق بجلال الله وعظمته نفيًا عامًّا مجملًا كقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]،﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وأما الإثبات فأثبت إثباتًا مفصلًا ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ونظائر ذلك من الإثبات، فَعَكَس ذلك أهل التجهم والاعتزال؛ زعمًا منهم أنه تنزيه لله، ووقعوا في ضلالتين: في معاكسة الكتاب، وفي وصفه تعالى بغير ما وصف به نفسه. اهـ

* **الهراس**: لما بين فيما سبق أن أهل السنة والجماعة يصفون الله ﷻ بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، ولم يكن ذلك كله إثباتًا ولا كله نفيًا؛ نبَّه على ذلك بقوله: (وهو سبحانه قد جمع.. إلخ).

واعلم أن كُلًّا من النفي والإثبات في الأسماء والصفات، مجمل ومفصّل:

أما الإجمال في النفي فهو أن ينفى عن الله ﷻ كل ما يضاد كماله، من أنواع العيوب والنقائص، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وأما التفصيل في النفي فهو أن ينزه الله عن كل واحد من هذه العيوب والنقائص بخصوصه، فينزه عن الوالد، والولد، والشريك، والصاحبة، والند، والضد، والجهل، والعجز، والضلال، والنسيان، والسِّنَة، والنوم، والعبث، والباطل.. إلخ.

ليس في الكتاب والسنة نفي محض لا مدح فيه

ولكن ليس في الكتاب، ولا في السنة نفيٌ محضٌ فإن النفي الصرف لا مدح فيه، وإنما يراد بكل نفي فيهما إثبات ما يضاده من الكمال؛ فنفي الشريك والند؛ لإثبات كمال عظمته وتفرده بصفات الكمال، ونفي العجز؛ لإثبات كمال قدرته، ونفي الجهل؛ لإثبات سعة علمه وإحاطته، ونفي الظلم؛ لإثبات كمال عدله، ونفي العبث؛ لإثبات كمال حكمته، ونفي السِنة والنوم والموت؛ لإثبات كمال حياته وقيوميته.. وهكذا؛ ولهذا كان النفي في الكتاب والسنة إنما يأتي مجملًا في أكثر أحواله، بخلاف الإثبات، فإن التفصيل فيه أكثر من الإجمال؛ لأنه مقصود لذاته، وأما الإجمال في الإثبات، فمثل إثبات الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد المطلق، ونحو ذلك؛ كما يشير إليه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

وأما التفصيل في الإثبات؛ فهو متناول لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة، وهو من الكثرة بحيث لا يمكن لأحد أن يحصيه، فإن منها ما اختص الله ﷻ بعلمه، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**(١).

وفي حديث دعاء المكروب: **«أسألك بكل اسم هو لكن سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»**(٢). اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن أبي هريرة، عن عائشة قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك».
ولم أجده بلفظ: «سبحانك لا نحصي».

(٢) أخرجه أحمد (٣٧١٢، ٤٣١٨) وابن أبي شيبة في «المسند» (٣٢٩) و«المصنف» (٢٩٩٣٠) والحاكم (١٨٧٧) والهيثم الشاشي في «مسنده» (٢٨٢) والحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (١٠٥٧زوائده)
=

❁ **السعدي**: هذا الذي ذكر المصنف ضابط نافع في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وأنه مبني على أصلين: أحدهما: النفي. وثانيهما: الإثبات.

أما النفي: فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص. وينفي عنه أيضا أن يكون له شريك، أو نديد، أو مثيل في شيء من صفاته، أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما نافى صفات الكمال فإن الله منزه عنه مقدَّس.

والنفي مقصود لغيره، القصد منه: الإثبات؛ ولهذا لم يرد نفي شيء في الكتاب والسنة عن الله إلا لقصد إثبات ضده. فنفي الشريك والنديد عن الله؛ لكمال عظمته وتفرده بالكمال، ونفي السِّنة والنوم والموت؛ لكمال حياته، ونفي عزوب شيء عن علمه وقدرته وحكمته، كل ذلك لإثبات سعة علمه، وشمول حكمته وكمال قدرته؛ ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

وأما الإثبات: فإنه يجمع الأمرين:

١- إثبات المجملات: كالحمد المطلق، والكمال المطلق، والمجد المطلق، ونحوها.

٢- وإثبات المفصلات: كتفصيل علم الله، وقدرته، وحكمته، ورحمته، ونحو ذلك من صفاته.

=

والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠ج/ ص ١٦٩ ح١٠٣٥٢) و«الدعاء» (١٠٣٥) وصححه ابن حبان (٩٧٢) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي. إلا أذهب الله همه، وأبدله مكان حزنه فرحًا» قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: «أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن».

فأهل السنة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت عليهم النعمة، وصحت عقائدهم وكملت أخلاقهم.

أما من سلك غير هذا السبيل فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه. اهـ

❁ **ابن باز**: طريقة الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته: الإثبات المفصل، والنفي المجمل. فقد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي المجمل، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، وكذلك قوله ﷺ في حديث أبي موسى: «**إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا**». في حكم النفي المجمل؛ لأن الصمم والغَيبة تتضمنان نفي نقائص كثيرة تلزم من صفتي الصمم والغَيبة؛ لأن الأصم هو الذي لا يسمع، ولا يصلح أن يكون إلهًا؛ لهذا النقص العظيم الذي منه عدم سماع دعاء الداعين وأصوات المحتاجين، وغير ذلك من النقائص، كما أن الغيبة يلزم منها عدم اطلاعه على أحوال عباده، وعدم علمه بما ينبغي أن يعاملهم به، ونحو ذلك. اهـ

❁ **ابن باز**: وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات في الآيات والأحاديث، فالنفي مجمل، والإثبات مفصل هذه هي طريقة القرآن والسنة، نفي مجمل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ إلى غير ذلك من الآيات، وإثبات مفصّل، ﴿هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿رَءُوفٌ﴾، ﴿حَلِيمٌ﴾، ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته المفصلة، ﷻ، في آيات القرآن، وفي السنة أيضًا جمع بين النفي والإثبات، النفي المجمل -الذي يتضمن تنزيه الرب عن كل ما لا يليق به، وتقديسه ﷻ عمّا يقوله أعداء الرسل عليهم السلام- وبين الإثبات المفصل، من أسمائه وصفاته ﷻ. اهـ

❁ **العثيمين**: طريقة القرآن والسنة هي الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات غالبًا؛ لأن الإجمال في النفي أكمل وأعم في التنزيه من التفصيل، والتفصيل في الإثبات أبلغ وأكثر من المدح في الإجمال؛ ولذلك تجد الصفات الثبوتية كثيرة في الكتاب والسنة كالسميع البصير، والعليم القدير، والغفور الرحيم... إلخ. أما الصفات السلبية فهي قليلة مثل: نفي الظلم، والتعب، والغفلة والولادة، والمماثل، والند، والمكافئ. اهـ

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: الرب تعالى مستحق للكمال على وجه التفصيل، كما أخبرت به الرسل، فإن الله تعالى أخبر أنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، و﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وأنه ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾، وأنه ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾، ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَدُودٌ﴾، ﴿مَّجِيدٌ﴾، وأنه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، و﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ويرضى عن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، و﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾، وأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وأنه كلم موسى تكليمًا، وناداه، وناجاه، إلى غير ذلك مما جاء به الكتاب والسنة، وقال في التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]،﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، فنزه نفسه عن النظير باسم الكفء، والمثل، والند، والسمي، فهذه طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها، إثبات مفصل، ونفي مجمل، إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفي النقص والتمثيل، كما دل على ذلك سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] وهي تعدل ثلث القرآن، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح. اهـ[١]

❁ **وقال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وطريقة الرسل - صلوات الله عليهم - إثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل، وتنزيهه بالقول المطلق عن التمثيل، فطريقتهم إثبات

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٤-١٨٦).

مفصل، ونفي مجمل، وأما الملاحدة من المتفلسفة، والقرامطة، والجهمية، ونحوهم فبالعكس؛ نفي مفصل، وإثبات مجمل. فالله تعالى أخبر في كتابه أنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥] و﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥]، وأنه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢]، ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] وأنه ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] ويرضى عن المؤمنين ويغضب على الكافرين، وأنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وأنه كلم موسى تكليمًا، وناداه من جانب الطور الأيمن، وقربه نجيًّا، وأنه ينادي عباده فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وأمثال ذلك وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، فبين بذلك أن الله لا مثل له، ولا سمي، ولا كفوًا، فلا يجوز أن يكون شيء من صفاته مماثلًا لشيء من صفات المخلوقات، ولا أن يكون المخلوق مكافئا، ولا مساميا له في شيء من صفاته ﷻ. اهـ[1]

طريقة أهل السنة هي الصراط المستقيم

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)**.

❁ **قال الشيخ**: يعني: أنه إذا كان كذلك، تبين أنه لا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، يعني متعين عليهم التمسك بمسلك المرسلين، والأخذ بما جاء عنهم الذي من تمسك به نجا، ومن تركه هلك، فإنه ضروري تمسكهم بالحق وعدم العدول عما جاء به المرسلون، ولازمٌ هذا ولا غَرْو، ولا استَقَام مقصدُهم إلا بعدم العدول عما جاء به المرسلون.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٥).

وما جاء به المرسلون هو إثبات صفات الكمال على وجه التفصيل، وفي النفي: نفي ما لا يليق بالله على وجه الإجمال كما تقدم. **فإنه الصراط المستقيم** الذي جعله الرب موصلًا للعباد إلى ربهم، ولا طرق سواه، إنما هو هذا الطريق الأوحد الذي يَصل الخلقُ إلى ربهم منه، فلا طريق لهم موصل إلى ربهم ودار كرامته إلا من هذا الطريق. اهـ

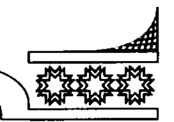
❁ **الهراس**: قوله: «فلا عدول.. إلخ». هذا مترتب على ما تقدم، من بيان أن ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الحق الذي يجب اتباعه، ولا يصح العدول عنه، وقد علل بأنه الصراط المستقيم. يعني: الطريق السوي القاصد[1] الذي لا عِوَجَ فيه ولا انحراف.

والصراط المستقيم لا يكون إلا واحدًا، من زاغ عنه، أو انحرف وقع في طريق من طرق الضلال والجور، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. اهـ

❁ **ابن باز**: «فلا عدول لأهل السنة والجماعة» أي: ليس لهم معدل عمَّا جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان به، وبأسمائه وصفاته، وأنه لا شبيه له، ولا كفء له، ولا ند له، ﷻ، فهذا هو الصراط المستقيم هو صراط ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ﴾ [النساء: ٦٩]، صراطهم هو الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته، وتنزيه الله عن مشابهة خلقه، ووصفه بصفات الكمال، وطاعة أوامره، وترك نواهيه والوقوف عند حدوده. هذا هو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين. اهـ



(١) القاصد: القريب المعتدل.



المنعم عليهم

قوله: (صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ).

❁ **الهراس**: الصراط المستقيم هو طريق الأمة الوسط، الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ، وعلمنا أن نسأله أن يهدينا هذا الصراط المستقيم في كل ركعة من الصلاة. أي: يلهمنا ويوفقنا لسلوكه واتباعه، فإنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. اهـ

نعم الله على عباده

❁ **آل الشيخ**: النعمة الكاملة نعمة الدين، فإن لله نعمتين: نعمة كاملة مطلقة، وهي نعمة الدين. ونعمة ناقصة مقيدة، وهي التي يشترك فيها البر والفاجر، من المأكل، والمشرب، ونحو ذلك.

فالأولى: نعمة الأرواح، والثانية: نعمة الأجسام، وشتان بين مُشرِّق ومغرِّب، فإن الإنسان مخلوق من مادتين: روحانية نورانية، وأرضية جسمانية.

فالنعمة التامة لأهل الإيمان، وهي المعنية بقوله في الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

والمُنْعَمُ عليهم الذين يُسأل اللهُ الهدايةَ إلى طريقهم هم في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء: ٦٩].

فنعمة هؤلاء هي النعمة المطلقة، وهؤلاء الطبقات الأربع أئمة هذه النعمة، ولهم أتباع على حسب اتِّباعهم.

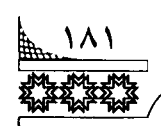
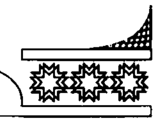
والنعمة المقيدة، يَستحق الربُّ عليها الشكر، ولكنها بالنسبة إلى المطلقة كَلاَ نعمة، فتلك هي التي تستمر في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما الثانية فهي أيضًا نعمة ابتلاء وامتحان.

النعمة معرفة الدين والعملُ به، والمُنعَمُ عليهم على طبقات، وترتيبهم على ما في الآية.

فهذا طريق المُنعَمِ عليهم النعمة الكاملة، هو إثبات ما أثبته الله لنفسه، على ما يليق بجلاله وعظمته من الصفات من غير تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه نفيًا بريئا من التعطيل.

﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ يعني: من صار معهم فهو مرافق لهم، والذي يُحَصِّل هذا حَصَّل رفيقًا ما مثلُه رفيقٌ، يعني وحسن هذا الرفيق رفيقًا، يعني هؤلاء هم أحسن الرفقاء. اهـ



اشتمال سورة الإخلاص وآية الكرسي على جملة من قواعد الأسماء والصفات في النفي والإثبات

(وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ الله بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ[1] حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ - أي: لايكرثه، ولا يثقله- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح).



قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ).

❁ **الهراس**: قوله: «وقد دخل.. إلخ» شروع في إيراد النصوص من الكتاب والسنة المتضمنة لما يجب الإيمان به من الأسماء والصفات في النفي والإثبات. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «في هذه الجملة» أي: الجملة السابقة. أي جملة: «ما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات»، وهي كونه تعالى جمع فيها وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات. اهـ

---

(١) كما أخرج البخاري (٤٧٢٦، ٤٧٢٧، ٦٢٦٧، ٦٩٣٩) عن أبي سعيد، ومسلم (٨١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

قوله: (مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ)

❁ **السعدي**: هذا شروع في تفصيل النصوص الواردة في الكتاب والسنة، الداخلة في الإيمان بالله، وأنه يجب فيها: إثباتها ونفي التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل عنها. اهـ

❁ **الهراس**: ابتدأ بتلك السورة العظيمة؛ لأنها اشتملت من ذلك على ما لم يشتمل عليه غيرها، ولهذا سميت سورة الإخلاص؛ لتجريدها التوحيد من شوائب الشرك والوثنية.

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي بن كعب ﷺ في سبب نزولها: أن المشركين قالوا: يا محمد، انسب لنا ربك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ إلخ السورة[1]. اهـ

❁ **ابن باز**: فجمع بين التفصيل في الإثبات والإجمال في النفي، فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. فذكر أنه الله، وأنه أحد، وأنه الصمد، ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهذا تفصيل خاص بنفي الولادة؛ لما يترتب عليها من النقائص، ثم عمّم، فقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ومثل قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٢٢٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥)، و«الأوسط» (٢/ ١٩٧)، و«الصغير» (٢/ ٢٥٥)، والترمذي (٣٣٦٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥) وأبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٨) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣) والشاشي في «مسنده» (١٤٩٦) وأبو الشيخ الإصبهاني في «العظمة» (٨٨) وأبو القاسم الإصبهاني في «الحجة» (٢٤٩) والبيهقي في «الشعب» (١٠١)، وفي «الأسماء والصفات» (٥٠، ٦٠٧)، وصححه الحاكم (٢/ ٢٤٠)، وفي سنده ضعف، وله شاهد مرسل عن أبي العالية. وحسنه الألباني بشواهد، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد»، والمعلمي في «التنكيل» (٢/ ٢٩٩-٣٠٠).

* **العثيمين**: سورة الإخلاص سميت به؛ لأن الله أخلصها لنفسه ولم يذكر فيها إلا ما يتعلق بأسمائه وصفاته، ولأنها تخلص قارئها من الشرك والتعطيل، وسبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك من أي شيء هو. وكانت تعدل ثلث القرآن؛ لأنه يتضمن الإخبار عن الله، والإخبار عن مخلوقاته والأحكام، وهي الأوامر والنواهي. اهـ

سبب نزول السورة

* **قال المصنف**: سبب نزول هذه السورة الذي ذكره المفسرون، فإنهم ذكروا أسبابًا:

أحدها: عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة(١).

والثاني: أن عامر بن الطفيل قال للنبي ﷺ إلام تدعونا إليه يا محمد؟ قال: «إلى الله» قال: فصفه لي أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من حديد؟ فنزلت هذه السورة. وروي ذلك عن ابن عباس من طريق أبي ظبيان وأبي صالح عنه(٢).

والثالث: أن بعض اليهود قال ذلك، قالوا: من أي جنس هو؟ وممن ورث الدنيا؟ ولمن يورِّثها؟ فنزلت هذه السورة، قاله قتادة والضحاك(٣).

---

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) لم أجده إلّا ملعقًا عند البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٧) قال: روى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل... إلخ، وذكره ابن الجوزي في «تفسيره» عن ابن عباس (٩/ ٢٦٦) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في حاشيته: ذكره البغوي، والخازن عن ابن عباس بغير إسناد. اهـ

(٣) ذكره ابن الجوزي في «زاد الميسر» (٩/ ٢٦٦)، وأخرجه عن قتادة ابن جرير (٣٠/ ٣٤٣)، وعن الضحاك الطبراني في «السنة» كما في «الدر المنثور» (١٥/ ٧٤٤).

قال الضحاك وقتادة ومقاتل: جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد: صف لنا ربك؛ لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة، فأخبرنا به من أي شيء هو؟ ومن أي جنس هو؟ أمن ذهب؟ أم من نحاس هو؟ أم من صفر؟ أم من حديد؟ أم من فضة؟ وهل يأكل ويشرب؟ وممن ورث الدنيا؟ ولمن يورثها؟ فأنزل الله هذه السورة، وهي نسبة الله خاصة.

والرابع: ما روي عن الضحاك عن ابن عباس أن وفد نجران قدموا على النبي ﷺ بسبعة أساقفة من بني الحارث بن كعب: منهم السيد والعاقب، فقالوا للنبي ﷺ صف لنا ربك من أي شيء هو؟ قال النبي ﷺ: «**إن ربي ليس من شيء، وهو بائن من الأشياء**» فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

فهؤلاء سألوا هل هو من جنس من أجناس المخلوقات؟ وهل هو من مادة؟ فبين الله تعالى أنه أحد، ليس من جنس شيء من المخلوقات، وأنه صمد ليس من مادة، بل هو صمد، لم يلد ولم يولد، وإذا نفى عنه أن يكون مولودًا من مادة الوالد، فلأن ينفي عنه أن يكون من سائر المواد أولى وأحرى، فإن المولود من نظير مادته أكمل من مادة ما خلق من مادة أخرى، كما خلق آدم من الطين فالمادة التي خلق منها أولاده أفضل من المادة التي خلق منها هو؛ ولهذا كان خلقه أعجب.

فإذا نزه الرب عن المادة العليا فهو عن المادة السفلى أعظم تنزيهًا، وهذا كما أنه إذا كان منزهًا عن أن يكون أحد كفوًا له، فلأن يكون منزهًا عن أن يكون أحد أفضل منه أولى وأحرى.

وهذا مما يبين أن هذه السورة اشتملت على جميع أنواع التنزيه والتحميد، على النفي والإثبات؛ ولهذا كانت تعدل ثلث القرآن.

فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك، وكذلك إذا نزه نفسه عن أن يلد فيخرج منه مادة الولد التي هي أشرف المواد، فلأن ينزه نفسه



عن أن يخرج منه مادة غير الولد بطريق الأولى والأحرى، وإذا نزه نفسه عن أن يخرج منه مواد للمخلوقات، فلأن ينزه عن أن يخرج منه فضلات لا تصلح أن تكون مادة بطريق الأولى والأحرى، والإنسان يخرج منه مادة الولد، ويخرج منه مادة غير الولد، كما يخلق من عرقه ورطوبته القمل، والدود، وغير ذلك، ويخرج منه المخاط، والبصاق، وغير ذلك. اهـ(١)

وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن

* **قال الشيخ**: جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا قرأت: قل هو الله أحد مرة، فكأنما قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأت: قل هو الله أحد مرتين، فكأنما قرأت ثلثي القرآن، وإذا قرأت: قل هو الله أحد ثلاث مرات، فكأنما قرأت القرآن كله**»(٢).

ووجه كونها تعدل ثلث القرآن، من حيث إن القرآن قسمان: قسم: إنشاء، وهو طلبٌ -أمر، ونهي-. وقسم: خبر، والأخبار التي في القرآن منقسمة إلى قسمين: قسمٌ خبر عن الخالق، وقسمٌ خبر عن المخلوق.

فقسمٌ خبر عن الباري ﷻ، وإثبات صفاته، وقسمٌ خبر عن المخلوق، وحاله، ونشأته، وما أعد له، وهذه السورة مُمَحَّضة للخبر عن الخالق تعالى.

وسبب نزولها أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك. فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخرها، صَدْرها إثبات وآخرها نفي، بخلاف غيرها من السور. اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥١-٤٥٣).

(٢) ضعيف، رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٩٦) والصغير (٩٤٨)، من حديث عمر بن الخطاب في حديث طويل في قصة الأعرابي الذي أتى بضب إلى النبي ﷺ، فتكلم الضب، وشهد لرسول الله ﷺ بالنبوة، فأسلم الأعرابي. قال الطبراني: لم يروه عن داود بن أبي هند بهذا التمام إلا كهمس، ولا عن كهمس إلا معتمر، تفرد به محمد بن عبد الأعلى.

قال ابن الملقن في «البدر المنير»: (٩/ ٢٠٣): وأخرجه أبو نعيم والبيهقي في كتابيهما «دلائل النبوة». قال البيهقي: الحمل فيه على السلمي. قال الذهبي في «الميزان»: صدق والله البيهقي فإنه خبر باطل. اهـ

* **السعدي**: ثبت عنه ﷺ في «الصحيح» إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن[١].

وذلك كما قال أهل العلم: إن القرآن يحتوي على علوم عظيمة كثيرة جدًّا، وهي ترجع إلى ثلاثة علوم:

أحدها: علوم الأحكام والشرائع، الداخل فيها علوم الفقه كلها: عباداته، ومعاملاته، وتوابعهما.

الثاني: علوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يجازى فيها العاملون من خير وشر، وبيان تفصيل الثواب والعقاب.

الثالث: علوم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفته والإيمان به، وهو أشرف العلوم الثلاثة. وسورة الإخلاص كفيلة باشتمالها على أصول هذا العلم وقواعده. اهـ

* **ابن باز**: وجه كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن أن القرآن خبر وإنشاء، والخبر ينقسم في كلام الله إلى قسمين: خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وخبر عن خلقه من الجنة والنار، وأشراط الساعة، وجميع ما تضمنه الكتاب من وعد ووعيد، ومما كان، أو سيكون. وهذه السورة تمحضت للخبر عن الله سبحانه، فكانت ثلث القرآن بهذا الاعتبار. اهـ

* **الهراس**: وقد ثبت في الصحيح أنها تعدل ثلث القرآن[٢]، وقد اختلف العلماء في تأويل ذلك على أقوال، أقربها ما نقله شيخ الإسلام[٣] عن أبي العباس[٤]، وحاصله: أن القرآن الكريم اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٦، ٤٧٢٧، ٦٢٦٧، ٦٩٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه مسلم (٨١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٣).

(٤) هو الإمام أبو العباس أحمد بن عمرو بن سريج المعروف بالشافعي الصغير، فقيه الشافعية، ت سنة ٣٠٦هـ.

أولها: الأوامر والنواهي المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التي هي موضوع علم الفقه والأخلاق.

ثانيها: القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام، مع أممهم، وأنواع الهلاك التي حاقت بالمكذبين لهم، وأحوال الوعد والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب.

ثالثها: علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه وصفاته، وهذا هو أشرف الثلاثة.

ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالا- صح أن يقال: إنها تعدل ثلث القرآن[١].

اشتمال سورة الإخلاص على أنواع التوحيد

وأما كيف اشتملت هذه السورة على علوم التوحيد كلها، وتضمنت الأصول التي هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي؟ فنقول: إن قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ دلت على نفي الشريك من كل وجه: في الذات، وفي الصفات، وفي الأفعال، كما دلت على تفرده سبحانه بالعظمة والكمال والمجد والجلال والكبرياء؛ ولهذا لا يطلق لفظ ﴿أَحَدٌ﴾ في الإثبات إلا على الله ﷻ[٢]، وهو أبلغ من واحد.

---

(١) نص عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية التي ذكر المؤلف أن هذا حاصلها: «قد قيل فيه -أي: في توجيه كون سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن- وجوهٌ، أحسنها- والله أعلم- الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس بن سريج، عن أبي الوليد القرشي أنه سأل أبا العباس بن سريج عن معنى قول النبي ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن». فقال: معناه: أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات». اهـ إسماعيل الأنصاري.

(٢) أي: لا يقال: فلان أحد. هذا في سياق الإثبات، أما في سياق النفي فيقال: ليس في الدار أحد.

اشتمال سورة الإخلاص على أنواع التوحيد

فإثبات الأحدية لله تضمن نفي المشاركة والمماثلة، وإثبات الصمدية بكل معانيها المتقدمة تتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهذا هو توحيد الإثبات.

وأما النوع الثاني: وهو توحيد التنزيه، فيؤخذ من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، كما يؤخذ إجمالًا من قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. أي: لم يتفرع عنه شيء، ولم يتفرع هو عن شيء، وليس له مكافئ، ولا مماثل، ولا نظير.

فانظر كيف تضمنت هذه السورة توحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية النافية لمطلق المشاركة، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال، الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم غناه وصمديته وأحديته، ثم نفي الكفء المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والنظير، فحق لسورة تضمنت هذه المعارف كلها أن تعدل ثلث القرآن. اهـ

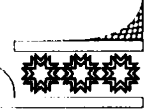
ما تضمنته سورة الإخلاص من الأسماء والصفات وأنواع التوحيد

* **ابن باز**: ولقد دلت هذه السورة على أصول عظيمة يستفاد منها إثبات جميع صفات الكمال لله، ونفي جميع صفات النقائص والعيوب، كما دلت على أنواع التوحيد الثلاثة:

١- توحيد الذات والصفات، وذلك على سبيل المطابقة.

٢- وعلى توحيد الربوبية، على طريق التضمن.

٣- وعلى توحيد العبادة بالالتزام.



إذ أن دلالة الشيء على كل معناه يسمى مطابقة، ودلالته على بعضه يسمى تضمنًا، ودلالته على ما يلزم من جهة الخارج يسمى التزامًا» اهـ.

* **العثيمين**: وسورة الإخلاص تضمنت النوع الأول وهو الإخبار عن الله.

وفيها من أسماء الله: «الله»، «الأحد»، «الصمد».

«فالله»: هو المألوه المعبود حبًا وتعظيمًا.

و«الأحد»: هو المنفرد عن كل شريك ومماثل.

و«الصمد»: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، وفيها من صفات الله ما تضمنته الأسماء السابقة:

١- الألوهية.

٢- الأحدية.

٣- الصمدية.

٤- نفي الولد منه؛ لأنه غني عن الولد ولا مماثل له.

٥- نفي أن يكون مولودًا؛ لأنه خالق كل شيء، وهو الأول الذي ليس قبله شيء.

٦- نفي المكافئ له، وهو المماثل له في الصفات؛ لأن الله ليس كمثله شيء لكمال صفاته». اهـ

* **آل الشيخ**: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا فيه إثبات الأحدية للرب تعالى وتفرده بها، المنافية للشريك والمثيل والنديد من كل وجه.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ فيه إثبات الصمدية لله سبحانه ووصفه بها.

ومعنى «الصمد»: الذي يصمد إليه الخلائق كلهم يوم القيامة، وكل تفسير للصمد فهو يرجع إلى إثبات الكمال.

﴿لَمْ يَـلِدْ﴾ أحدًا، فيه: نفي الولد عنه ﷻ وتنزه عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا؛ لمنافاته لكماله ﷻ.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ولم يلده أحد، ففيه نفي الوالدة عنه ﷻ ؛ لمنافاته لكماله.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] فيه نفي الكفو وهو المساوي له سبحانه، لمنافاته لكماله.

ففي هذه السورة نفي النقائص والعيوب عنه تعالى، وإثبات الكمال له تعالى. اهـ

* **وقال المصنف** رحمه الله في «جواب أهل العلم والإيمان في أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن»[١]: وقد بينا أن أحسن الوجوه أن معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيد، وقصص، وأحكام. وهذه السورة صفة الرحمن، فيها التوحيد وحده، وذلك لأن القرآن كلام الله، والكلام نوعان: إما إنشاء، وإما إخبار، والإخبار إما خبر عن الخالقِ، وإما خبر عن المخلوق.

فالإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي، والخبر عن المخلوق هو القصص.

والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته، وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضًا إلا هذه السورة. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه، لأيِّ شيء يصنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»[٢].

---

(١) كما في مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

وقال البخاري، في «باب الجمع بين السورتين في ركعة»: وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس: كان رجل من الأنصار[1] يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتى يفرغ منها ثم يقرأ بسورة أخرى معها، فكان يصنع ذلك في كل ركعةٍ فكلّمه أصحابه، وقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة، ثم لا ترى أنها تجزيك، حتى تقرأ بأخرى، فإمّا أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمَّكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم ذلك تركتكم. وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: «**يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما يحملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟**» قال: إني أحبها. قال: «**حبك إياها أدخلك الجنة**»[2].

وقول النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**» حقٌّ كما أخبر به، فإنه ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لم يخرج من بين شفتيه إلا حق. اهـ

تفاضل القرآن

* قال البعلي في «الاختيارات لشيخ الإسلام»[3]: والفاتحة أفضل سورة في القرآن، قال ﷺ فيها: «**أعظم سورة في القرآن**». رواه البخاري[4]، وذكر معناه ابن شهاب وغيره، وآية الكرسي أعظم آي القرآن، كما رواه مسلم عنه ﷺ[5]، وحكي عن

---

(١) هو كلثوم بن الهِدم -بكسر الهاء وسكون الدال- من بني عمرو بن عوف من سكان قباء. وهو الذي نزل عليه النبي ﷺ حين قدم في الهجرة إلى قباء. كذا في «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٠١) وقال: وعلى هذا فالذي كان يؤم في مسجد قباء غير أمير السرية. اهـ

(٢) علقه البخاري جازمًا به (٧٧٤) وأخرجه من طريقه الترمذي (٢٩٠١) وقال: حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، من حديث عبيد الله بن عمر عن ثابت. اهـ

(٣) الاختيارات الفقهية (ص/ ٥٢: ط الفقي)، وضمن الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٣٣: ط عطا).

(٤) سيأتي قريبًا.

(٥) سيأتي تخريجه قريبًا.

أبي العباس[١] أن تفاضل القرآن عنده في نفس الحرف -أي: ذات الحرف واللفظ- بعضه أفضل من بعض، وهذا قول بعض أصحابنا، ولعل المراد غير آية الكرسي والفاتحة؛ لما تقدم، والله أعلم.

ومعاني القرآن ثلاثة أصناف: توحيد، وقصص، وأمر ونهي. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ متضمنة ثلث التوحيد، ولا يستحب قراءتها ثلاثًا إلا إذا قرئت منفردةً.

وقال في موضع آخر: السنة إذا قرأ القرآن كله أن يقرأها كما في المصحف، وأما إذا قرأها منفردة، أو مع بعض القرآن ثلاثًا فإنها تعدل القرآن.

وإذا قيل: ثواب قراءتها مرة يعدل ثلث القرآن فمعادلة الشيء للشيء يقتضي تساويهما في القدر لا تماثلهما في الوصف كما في قوله تعالى ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة: ٩٥]. ولهذا لا يجوز أن يستغني بقراءتها ثلاث مرات عن قراءة سائر القرآن؛ لحاجته إلى الأمر والنهي، والقصص، كما لا يستغني من مَلَكَ نوعًا شريفًا من المال عن غيره. اهـ

*** وقال شيخ الإسلام المصنف في الكلام على تفاضل كلام الله تعالى[٢]:**

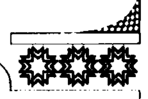
والناس متنازعون فيها نزاعًا منتشرًا، فطوائف يقولون: بعض كلام الله أفضل من بعض، كما نطقت به النصوص النبوية، حيث أخبر عن الفاتحة أنه **«لم ينزل في الكتب الثلاثة مثلها»**[٣]، وأخبر عن سورة الإخلاص أنها **«تعدل ثلث القرآن»**، وعدلها لثلثه يمنع مساواتها لمقدارها في الحروف، وجعل آية الكرسي **«أعظم آية في القرآن»** كما ثبت ذلك في الصحيح أيضا وكما ثبت ذلك في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال لأبي بن

---

(١) يعني شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) جواب أهل الإيمان: مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٨٦٨٢، ٩٣٤٥)، والترمذي (٢٨٧٥، ٣١٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١٢٠٥)، و«الصغرى» (٩١٣)، وصححه ابن خزيمة (٥٠٠، ٥٠١، ٨٦١)، والحاكم (١/ ٥٥٧، ٥٥٨)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٨٦) من طريق أبي هريرة مرفوعًا.



كعب: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله أعظم؟» قال: فقلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»(١). ورواه ابن أبي شيبة في مسنده بإسناد مسلم، وزاد فيه: «والذي نفسي بيده إن لهذه الآية لسانًا وشفتين تقدس المَلِكَ عند ساق العرش»(٢). وروي أنها «سيدة آي القرآن»(٣)، وقال في المعوذتين: «لم ير مثلهن قط»(٤) وقد قال تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [البقرة: ١٠٦] فأخبر أنه يأتي بخير منها أو مثلها. وهذا بيان من الله لكون تلك الآية قد يأتي بمثلها تارة، أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة، وتتفاضل أخرى.

وأيضا فالتوراة والإنجيل والقرآن جميعها كلام الله مع علم المسلمين بأن القرآن أفضل الكتب الثلاثة... إلخ

* **وقال المصنف أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ: وإذا علم ما دل عليه الشرع مع العقل واتفاق السلف، من أن بعض القرآن أفضل من بعض، وكذلك بعض صفاته أفضل من بعض،

---

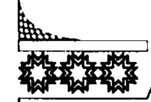
(١) أخرجه مسلم (٨١٠) عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٢٧٨)، والطيالسي (٥٥٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٦٠٠١)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (١٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٦٨)، وابن الضريس في «فضائل القرآن» (١٨٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١١٩٥)، وإسناده صحيح على شرط مسلم، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢١٧١)، رواه أحمد وابن أبي شيبة في كتابه بإسناد مسلم. اهـ ووافقه تلميذه الدمياطي في «المتجر الرابح» (١٩٦)، والألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٧١).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٧٨)، والحاكم (٢/ ٢٥٩) عن أبي هريرة وقال الحاكم: صحيح الإسناد. كذا قال. وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث حكيم بن جبير، وقد تكلم شعبة في حكيم وضعفه. اهـ

ووافقه على تضعيفه الشيخ الألباني في «ضعيف الترمذي» و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٧٩).

(٤) أخرجه مسلم (٨١٤) من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا.



بقي الكلام في كون ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ما وجه ذلك؟ وهل ثوابها بقدر ثواب ثلث القرآن؟ وإذا قدر أن الأمر كذلك، فما وجه قراءة سائر القرآن؟

فيقال: أما الأول فقد قيل فيه وجوه أحسنها -والله أعلم- الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس ابن سريج[١]، فعن أبي الوليد القرشي[٢] أنه سأل أبا العباس ابن سريج عن معنى قول النبي ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تعدل ثلث القرآن**» فقال: معناه: أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات.

وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي[٣] في هذا الحديث ثلاثة أوجه، بدأ بهذا الوجه فروى قول ابن سريج هذا بإسناده عن زاهد، عن الصابوني، والبيهقي عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ قال: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: سألت أبا العباس ابن سريج، قلت: ما معنى قول النبي ﷺ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **تعدل ثلث القرآن**»؟ قال: إن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام: فثلث أحكام، وثلث وعد ووعيد، وثلث أسماء وصفات. وقد جمع في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أحد الأثلاث وهو الصفات، فقيل: إنها تعدل ثلث القرآن.

الوجه الثاني من الوجوه الثلاثة التي ذكرها أبو الفرج ابن الجوزي: أن معرفة الله هي: معرفة ذاته، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة أفعاله. فهذه السورة تشتمل على معرفة ذاته، إذ لا يوجد شيء إلا وجد من شيء، ما خلا الله، فإنه ليس له كفء، ولا له مثل. قال أبو الفرج: ذكره بعض فقهاء السلف.

---

(١) الشيخ أبو العباس أحمد بن سريج الشافعي، (ت ٣٠٦هـ).

(٢) الشيخ حسان بن محمد بن أحمد الشافعي، من ولد سعيد بن العاص الأموي القرشي، قال السبكي في طبقات الشافعية (٣/ ٢٢٦): الإمام الجليل أحد أئمة الدنيا، أبو الوليد النيسابوري، تلميذ أبي العباس بن سريج ت سنة ٣٤٩هـ رحمه الله.

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي الحنبلي، من ولد أبي بكر الصديق، له التصانيف الكثيرة جدًّا، ت سنة ٥٩٧هـ.

قال: والوجه الثالث: أن المعنى: من عمل ما تضمنته من الإقرار بالتوحيد والإذعان للخالق، كان كمن قرأ ثلث القرآن، ولم يعمل بما تضمنته، ذكره ابن عقيل. قال ابن عقيل: ولا يجوز أن يكون المعنى: من قرأها فله أجر ثلث القرآن؛ لقول رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات**»[(١)].

قلت: كِلا الوجهين ضعيف؛ أما الأول فيدل على ضعفه وجوه:

الأول: أن نقول: القرآن ليس كله هو المعرفة المذكورة، بل فيه أمر بالأعمال الواجبة ونهي عن المحرمات، والمطلوب من العباد المعرفة الواجبة والعمل الواجب، والأمة كلها متفقة على وجوب الأعمال التي فرضها الله، لم يقل أحد بأنها ليست من الواجبات. اهـ[(٢)]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٠٥٧)، والحاكم (٢٠٨٠) في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن الصغرى» (٩٨٣)، وابن حبان في «الضعفاء والمجروحين» (١/ ١٠٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٤٥) عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا قال: «**إن أصغر البيوت بيت ليس فيه من كتاب الله شيء، فاقرؤوا القرآن، فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول آلم، ولكني أقول: ألف، ولام، وميم**».

وضعفه ابن ، وابن الجوزي، والبيهقي، والألباني. قال الهيثمي: (٥/ ١٦٤): رواه الطبراني، وفيه مسلم بن إبراهيم الهجري، وهو متروك. اهـ

قال الألباني: لكن الشطر الأخير من الحديث قد توبع الهجري في رفعه، كما توبع عليه أبو الأحوص أيضًا، كما هو مبين في «الصحيحة» (٣٣٢٧).

ورواه الدارمي (٣٣٠٨) وسعيد بن منصور (١/ ٣٥: ط الحميِّد) موقوفًا على عبد الله قال: «**تعلموا هذا القرآن، فإنكم تؤجرون بتلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول بألم، ولكن بألف، ولام، وميم، بكل حرف عشر حسنات**» وهو أصح، وله حكم الرفع.

ورواه البيهقي في «الشعب» (٢٠٠٣): عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر التجار أيعجز أحدكم لو رجع من سوقه أن يقرأ عشر آيات، يكتب له بكل آية حسنة؟**» ثم قال البيهقي: ورواه ابن المبارك في «الرقاق» عن فطر بإسناده موقوفًا على ابن عباس قال: ما منع أحدكم إذا رجع عن سوقه، أو من حاجته إلى أهله أن يقرأ القرآن، فيكون له بكل حرف عشر حسنات» وهذا هو الصحيح.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٣).

تفسير سورة الإخلاص

قوله: (حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [سورة الإخلاص]).

* **ابن مبارك**: «قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. أي: هو الواحد الأحد، الذي لا نظير له، ولا وزير؛ لأنَّه الكامل في جميع صفاته وأفعاله، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. وعنه أيضًا الصمد الذي لا جوف له، وقاله كثيرٌ من المفسِّرين. ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: ليس له ولدٌ، ولا والدٌ، ولا صاحبةٌ، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربَّك فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ رواه أحمد وغيره» . اهـ

* **السعدي**: فإن قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: الله متفرد بالعظمة والكمال، ومتوحد بالجلال، والجمال، والمجد، والكبرياء. يحقق ذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: الله السيد العظيم الذي قد انتهى في سؤدده، ومجده، وكماله، فهو: العظيم الكامل في عظمته العليم، الكامل في علمه، الحليم الكامل في حلمه، فهو الكامل في جميع نعوته.

ومن معاني «الصمد»: أنه الذي تصمد إليه الخليقة كلها، وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها، فهو المقصود وهو الكامل المعبود، فإثبات الأحدية لله ومعاني الصمدية كلها يتضمن إثبات جميع تفاصيل الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فهذا أحدُ نوعي التوحيد، وهو الإثبات، وهو أعظم النوعين.

والنوع الثاني: التنزيه لله عن الولادة، والند، والكفو، والمثل. وهذا داخل في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: ليس له مكافئ، ولا مماثل، ولا نظير.

فمتى اجتمع للعبد هذه المقامات المذكورة في هذه السورة -بأن: نزه الله وقدسه عن كل نقص وند وكفو ومثيل، وشهد بقلبه تفرد الرب بالوحدانية والعظمة والكبرياء، وجميع صفات الكمال التي ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين، وهما الأحد الصمد، ثم صمد إلى ربه، وقصده في عبوديته وحاجاته الظاهرة والباطنة. متى كانت كذلك- تم له التوحيد العلمي الاعتقادي، والتوحيد العملي، فحق لسورة تشتمل على هذه المعارف أن تعدل ثلث القرآن. اهـ

تفسير اسم الصمد

* **الهراس**: وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ قد فسرها ابن عباس رضي الله عنهما بقوله: السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عز وجل، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شيء[١].

وقد فسر الصمد أيضًا بأنه الذي لا جوف له[٢]، وبأنه الذي تصمد إليه الخليقة كلها وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها[٣].

---

(١) تمام قول ابن العباس عند ابن كثير: «سبحان الله الواحد القهار». وليس فيما ذكره ابن كثير قوله: «الغني الذي قد كمل في غناه، والجبار قد كمل في جبروته» وعند ابن كثير لفظ: «قد» قبل لفظ: «كمل» في جميع المواضع التي ورد فيها لفظ: «كمل» في قول ابن عباس. اهـ إسماعيل الأنصاري.
والأثر أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٧٣٦)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨)، وانظر «الدر المنثور» (١٥/ ٧٨٠).

(٢) جاء ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن بريدة، ومجاهد وغيرهم، وروي مرفوعًا بسند ضعيف. انظر «الدر المنثور» (١٥/ ٧٧٧)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٥٤٧)، وفتاوى ابن تيمية (١٧/ ٢٢٠-٢٢١).

(٣) جاء ذلك عن ابن عباس، وإبراهيم النخعي. انظر «الدر المنثور» (١٥/ ٧٧٩-٧٨٢).

صفات الكمال في الصمد والأحد

* **قال المصنف**: فاسمه «الصمد»: يتضمن صفات الكمال، كما روى الوالبي[(١)] عن ابن عباس ﷺ أنه قال: هو العليم الذي كمل في علمه، والقدير الذي كمل في قدرته، والسيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه، والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد هو الله ﷻ، هذه صفته لا تنبغي إلا له[(٢)].

و«الأحد»: يتضمن نفي المثل عنه، والتنزيه الذي يستحقه الرب، يجمعه نوعان:

أحدهما: نفي النقص عنه.

والثاني: نفي مماثلة شيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات الكمال.

فإثبات صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمع ذلك، كما دلت عليه هذه السورة.

وأما المخالفون لهم، من المشركين، والصابئة، ومن اتبعهم من الجهمية، والفلاسفة، والمعتزلة، ونحوهم، فطريقتهم نفي مفصل وإثبات مجمل، ينفون صفات

---

(١) علي بن أبي طلحة سالم الهاشمي الوالبي أبو الحسن، ت سنة ١٤٣هـ روى التفسير عن ابن عباس ولم يلقه لكنه تلقاه عن أصحابه. قال السيوطي في «الإتقان» (٢/ ٤٩٦ ط الفكر): وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، وفيه روايات مختلفة، فمن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي عنه، قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها علي بن أبي طلحة، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدًا ما كان كثيرًا. أسنده أبو جعفر النحاس في «ناسخه»، قال ابن حجر: وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في «صحيحه» كثيرًا فيما يعلقه عن ابن عباس. وقال قوم: لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير، وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير. قال ابن حجر: بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة، فلا ضير في ذلك. اهـ

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٨٣٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨).

الكمال، ويثبتون ما لا يوجد إلا في الخيال، فيقولون ليس بكذا ولا كذا. فمنهم من يقول: ليس له صفة ثبوتية، بل إما سلبية، وإما إضافية، وإما مركبة منهما[١]، كما يقوله من يقوله من الصابئة والفلاسفة، كابن سينا وأمثاله، ويقول: هو وجود مطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية عنه.

ومنهم من يقول وجود مطلق بشرط الإطلاق. اهـ[٢]

تفسير الصمد

* **وقال المصنف** رحمه الله في تفسير هذه السورة[٣]:

والاسم «الصمد» فيه للسلف أقوال متعددة، قد يظن أنها مختلفة، وليس كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن الصمد هو الذي لا جوف له.

والثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج.

والأول هو قول أكثر السلف، من الصحابة، والتابعين، وطائفة من أهل اللغة. والثاني قول طائفة من السلف والخلف، وجمهور اللغويين، والآثار المنقولة عن السلف بأسانيدها في كتب التفسير المسندة، وفي كتب السنة وغير ذلك.

---

(١) هذه طريقة المعطلة الغلاة، وهم أنواع، فالسلبية عندهم أن يقول: سميع بلا سمع، عليم بلا علم، وهكذا، أو ليس بسميع ولا بصير... إلخ.
والإضافية أن تضاف إليه إضافة تشريف وملك فكلام الله كبيت الله وناقة الله. وقد تقدم التفريق بين إضافة الصفة وإضافة العين.

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ١٨٤-١٨٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢١٤).

وتفسير «الصمد» بأنه الذي لا جوف له، معروف عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا[(١)]، وعن ابن عباس، والحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك، والسدي، وقتادة، وبمعنى ذلك قال سعيد بن المسيب قال: هو الذي لا حشو له. وكذلك قال ابن مسعود: هو الذي ليست له أحشاء. وكذلك قال الشعبي: هو الذي لا يأكل ولا يشرب. وعن محمد بن كعب القرظي وعكرمة: هو الذي لا يخرج منه شيء. وعن ميسرة قال: هو المصمت[(٢)]. قال ابن قتيبة: كأن الدال في هذا التفسير مبدلة من تاء والصمت من هذا. قلت: لا إبدال في هذا، ولكن هذا من جهة الاشتقاق الأكبر[(٣)].

ثم ذكر الأقوال والروايات إلى أن قال[(٤)]: والاشتقاق يشهد للقولين جميعا قول من قال: إن (الصمد) الذي لا جوف له، وقول من قال: إنه السيد. وهو على الأول

---

(١) أخرجه موقوفًا على ابن مسعود من قوله: ابن المنذر، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (١٥/ ٧٧٧)، وهو الثابت عنه، وروي مرفوعًا من حديث عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: لا أعلمه إلا قد رفعه، قال: «الصمد الذي لا جوف له». أخرجه ابن جرير (٣٨٣٢٣)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والمحاملي في «أماليه»، والطبراني في «السنة»، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩٣) بسند ضعيف، قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» (١٧/ ٢٢٥): روى عن بريدة فيه حديث مرفوع لكنه ضعيف. وقال ابن كثير: وهذا غريب جدًّا، والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة. اهـ انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (١٥/ ٧٧٧).

(٢) انظر هذه الآثار في «الدر المنثور» (١٥/ ٧٧٧-٧٨١).

(٣) الاشتقاق: هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر، مع تناسب بينهما في اللفظ والمعنى. وهو نوعان على الأشهر: صغير، وهو اشتقاق كلمة من أخرى في مادة واحدة، مع الاحتفاظ بترتيب حروفها، كتركيب كلمة (جلس) فيؤخذ منها معنى الجلوس في كل تصاريفها ومشتقاتها، نحو: جلس، ومجلس، وجالس، وجلاس، وجلوس.
والنوع الثاني: اشتقاق كبير أو أكبر، وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في بعض حروفها، مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة، وفي مخارج الحروف المبدلة نحو: (جثا) و(جذا)، و(بعثر) و(بحثر)، ومنه (الصمد) و(الصَمَت) على ما ذكره الشيخ هنا. انظر «المزهر في علوم اللغة» للسيوطي (١/ ٣٤٥-٣٤٨) ط جاد المولى ورفاقه.

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٢٦).

أدل؛ فإن الأول أصل للثاني، ولفظ (الصمد) يقال على ما لا جوف له في اللغة. قال يحيى بن أبي كثير: الملائكة صمد، والآدميون جوف. وفي حديث آدم أن إبليس قال عنه: إنه أجوف ليس بصمد[1]. وقال الجوهري: المصمد لغة في المصمت، وهو الذي لا جوف له، قال: والصماد عفاص القارورة وقال: الصمد المكان المرتفع الغليظ، قال أبو النجم:

يغادر الصمد كظهر الأجزل

وأصل هذه المادة: الجمع والقوة، ومنه يقال: يُصمِد المال. أي: يجمعه. اهـ

تفسير الأحد

* وقال المصنف رحمه الله: والمقصود أن لفظ الأحد لم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما يستعمل في غير الله في النفي. قال أهل اللغة: تقول لا أحد في الدار، ولا تقل: فيها أحد، ولهذا لم يجئ في القرآن إلا في غير الموجب كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، وكقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦]، وفي الإضافة: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، و﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٢]. وأما الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين كما تقدم، فلم يقل: الله صمد بل قال: الله الصمد.

فبيّن أنه المستحق لأن يكون هو الصمد دون ما سواه، فإنه المستوجب لغايته على الكمال، والمخلوق وإن كان صمدًا من بعض الوجوه فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه فإنه يقبل التفرق والتجزئة.

---

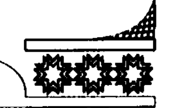
(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١/ ٩٣ - ط دار التراث)، وفيه «لا ترهبوا من هذا، فإنّ ربكم صمد، وهذا أجوف...» إلخ، وسنده ضعيف. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٣٣) ط دار ابن كثير. وقال: ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات. اهـ

وهو أيضًا محتاج إلى غيره، فإن كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء، ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ، ويتفرق، وينقسم، وينفصل بعضه من بعض، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة، لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، كما قال في آخر السورة: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤]، استعملها هنا في النفي. أي: ليس شيء من الأشياء كفوًا له في شيء من الأشياء؛ لأنه أحد. وقال رجل للنبي ﷺ: أنت سيدنا فقال: «السيد الله»[١] ودل قوله: «الأحد»، «الصمد» على أنه لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فإن الصمد هو الذي لا جوف له ولا أحشاء، فلا يدخل فيه شيء، فلا يأكل، ولا يشرب سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وفي قراءة الأعمش وغيره (ولا يَطْعَمُ) بالفتح[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، ومن مخلوقاته الملائكة، وهم صَمَد لا يأكلون، ولا يشربون، فالخالق لهم جل وعلا أحقُّ بكل غنى وكمال جعل لبعض مخلوقاته؛ فلهذا فسر بعض السلف الصمد بأنه الذي لا يأكل ولا يشرب.

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦) بسند صحيح، عن مطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير، عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أنت سيد في قريش. فقال النبي ﷺ: «السيد الله...» قال: أنت أفضلها فيها قولًا، وأعظمها فيها طولًا. فقال رسول الله ﷺ: «ليقل أحدكم بقوله ولا يَسْتَجْرِهِ الشيطان»، وقوله: «ولا يستَجْرِهِ» بسكون الجيم. أي: لا يتخذه جَرِيًّا. أي: رسولاً ووكيلاً له.

(٢) قال العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٢٢٠) ط عالم الفوائد: وقراءة الجمهور على أن الفعلين من الإطعام، والأول مبني للفاعل، والثاني مبني للمفعول، وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش، الفعل الأول كقراءة الجمهور، والثاني بفتح الياء والعين، مضارع طَعِم الثلاثي، بكسر العين في الماضي. أي: أنه يرزق عباده ويطعمهم، وهو جَلَّ وعلا لا يأكل؛ لأنه لا يحتاج إلى ما يحتاج إليه المخلوق من الغذاء؛ لأنه جل وعلا الغَني لذاته الغِنى المطلق ﷻ علوًّا كبيرًا. اهـ



الصمد المصمد الذي لا جوف له، فلا يخرج منه عين من الأعيان، فلا يلد؛ ولذلك قال من قال من السلف: هو الذي لا يخرج منه شيء. ليس مرادهم أنه لا يتكلم، وإن كان يقال في الكلام إنه خرج منه فخروج كل شيء بحسبه، ومن شأن العلم والكلام إذا استفيد من العالم والمتكلم أنه لا ينقص من محله؛ ولهذا شبه بالنور الذي يقتبس منه كل أحد الضوء، وهو باق على حاله لم ينقص. فقول من قال من السلف: الصمد هو الذي لا يخرج منه شيء. كلام صحيح، بمعنى أنه لا يفارقه شيء منه؛ ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد، وذلك أن الولادة، والمتولد، وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين، وما كان المتولد عينًا قائمة بنفسها فلابد لها من مادة تخرج منها، وما كان عرضًا قائمًا بغيره فلابد له من محل يقوم به.

فالأول: نفاه بقوله(أحد)، فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له، ولا نظير، فيمتنع أن تكون له صاحبة.

والتولد إنما يكون بين شيئين، قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فنفى سبحانه الولد بامتناع لازمه عليه، فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم، وبأنه خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق ليس فيه شيء مولود له.

والثاني: نفاه بكونه سبحانه الصمد.

وهذا المتولد من أصلين يكون بجزئين ينفصلان من الأصلين، كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمني الذي ينفصل من أبيه وأمه، فهذا التولد يفتقر إلى أصل آخر، وإلى أن يخرج منهما شيء. وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى، فإنه أحد، فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيرًا، وهو صمد لا يخرج منه شيء فكل واحد من كونه أحدًا ومن كونه صمدًا يمنع أن يكون والدًا ويمنع أن يكون مولودًا بطريق الأولى والأحرى. اهـ[1].

---

(١) تفسير سورة الإخلاص (ص/ ١٧-١٩)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤١).

* **وقال أيضًا:** فاسمه (الأحد) دل على نفي المشاركة والمماثلة، واسمه الصمد دل على أنه المستحق لجميع صفات الكمال، وصفات التنزيه كلها، بل وصفات الإثبات يجمعها هذان المعنيان.

أنواع التوحيد

والتوحيد نوعان: علمي قولي، وعملي قصدي. فـ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١]، اشتملت على التوحيد العملي نصًا، وهي دالة على العلمي لزومًا. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصًا، وهي دالة على التوحيد العملي لزوما؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهما في ركعتي الفجر[١] وركعتي الطواف[٢] وغير ذلك[٣]، وقد ثبت أنه كان يقرأ أيضا في ركعتي الفجر بآية الإيمان التي في البقرة ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، في الركعة الأولى وآية الإسلام التي في آل عمران: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤][٤].

والمقصود هنا: أن صفات التنزيه يجمعها هذان المعنيان المذكوران في هذه السورة:

أحدهما: نفي النقائص عنه، وذلك من لوازم إثبات صفات الكمال، فمن ثبت له الكمال التام انتفى عنه النقصان المضاد له، وهذا مدلول اسمه (الصمد).

الثاني: أنه ليس كمثله شيء في صفات الكمال الثابتة له، وهذا من مدلول اسمه (الأحد)، فهذان الاسمان العظيمان (الأحد)، (الصمد) يتضمنان تنزيهه عن كل نقص وعيب، وتنزيهه في صفات الكمال: أن لا يكون له مماثل في شيء منها.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر.

(٣) كالوتر، عن ابن عباس: كان النبي يقرأ في الوتر بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، أخرجه الترمذي (٤٦٢)، والنسائي (١٧٠٢)، وابن ماجة بسند صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (٧٢٧) من حديث ابن عباس.

واسمه الصمد يتضمن إثبات جميع صفات الكمال، فتضمن ذلك إثبات جميع صفات الكمال، ونفي جميع صفات النقص، فالسورة تضمنت كل ما يجب نفيه عن الله.

النفي الممدوح هو المتضمن لثبوت كمال ضده

وتضمنت أيضًا كل ما يجب إثباته من وجهين من اسمه (الصمد)، ومن جهة أن ما نفي عنه، من الأصول، والفروع، والنظراء، مستلزم ثبوت صفات الكمال أيضًا.

فإن كل ما يمدح به الرب من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتًا، بل وكذلك كل ما يمدح به شيء من الموجودات من النفي فلابد أن يتضمن ثبوتًا، وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون صفة كمال. اهـ[1].

قوله: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ).

❁ **السعدي**: وذلك لاشتمالها على أجل المعارف، وأوسع الصفات. اهـ

❁ **آل الشيخ**: أي وكذلك دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه، وهي آية الكرسي، جمع تعالى فيها بين النفي والإثبات، فإنها اشتملت على عشر جمل، وفي ضمن تلك الجمل ما هو نفي وما هو إثبات.

❁ **قال المصنف**: وليس في القرآن آية واحدة تضمنت ما تضمنته آية الكرسي، وإنما ذكر الله في أول سورة الحديد، وآخر سورة الحشر عدة آيات، لا آيةً واحدةً. اهـ[2]

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان (ص/ ١٠٦ - ١٠٧) ومجموع الفتاوى (١٧/ ١٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٢٩).

فضل آية الكرسي

* **آل الشيخ**: قوله: «ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح» أشار بهذا إلى حديث أبي هريرة: «أنه أتاه شيطان ليسرق من تمر الصدقة، ثم يحلف أنه لا يعود...» الحديث، فذكر له آية يسلم بها من السرّاق، فقال ﷺ: «**صدقك وهو كذوب**»(١). أي: من عادته. فيفيد عظم شأن هذه الآية. اهـ

* **الهراس**: روى مسلم في «صحيحه» عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ سأله: «**أي آية في كتاب الله أعظم؟**» قال: الله ورسوله أعلم، فرددها مرارًا، ثم قال أبي: آية الكرسي. فوضع النبي يده على كتفه، وقال: «**ليهنك هذا العلم أبا المنذر**»(٢). وفي رواية عند أحمد: «**والذي نفسي بيده، إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش**»(٣). ولا غرو، فقد اشتملت هذه الآية العظيمة من أسماء الرب وصفاته على ما لم تشتمل عليه آية أخرى. اهـ

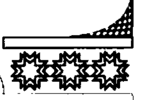
* **العثيمين**: وسميت آية الكرسي لذكر الكرسي فيها، وهي أعظم آية في كتاب الله. اهـ

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٩٥) وابن خزيمة (٢٤٢٤) وعلقه البخاري جازمًا (٢١٨٧، ٣١٠١، ٤٧٢٣).

(٢) رواه مسلم (٨١٠). وقوله: «ليهنك العلم» أي: ليكن العلم هنيئا لك.

(٣) أخرجه أحمد (٢١٢٧٨) وعبد بن حميد (١٧٨) وأبو عوانه في «المستخرج على صحيح مسلم» (٣٩٣٧) وأبو نعيم في «مستخرجه على مسلم» (١٨٣٦) والبيهقي في «الشعب» (٢١٦٨) عن أبي أن النبي ﷺ سأله: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: الله ورسوله أعلم فرددها مرارًا، ثم قال أبي: آية الكرسي. قال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش» وإسناده صحيح على شرط مسلم.



❁ **ابن باز**: هذه الآية أعظم آية في كتاب الله، فيها إثبات ونفي، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هذا إثبات ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ هذا نفي، ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذا إثبات، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ نفي، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ إثبات، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ فبيّن كماله، وأنه العلي العظيم، وأنه كامل الحياة، الحي القيوم، وأنه المالك لكل شيء، فالواجب الضراعة إليه، وسؤاله ﷻ، واللجوء إليه في كل شيء، بيده تصريف كل شيء؛ ولهذا يقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ويقول: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. اهـ

تفسير آية الكرسي

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أي: هو المتفرِّد بالإلهِـيَّة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيها نفي الألوهية عن كل ما سوى الله، وأنها لا تصلح لغير الله، بل لا تصلح إلا لله، وأما غيره فلا يصلح لها، وكل مألوه غير الله فإلهيته بالباطل والضلال.

﴿إِلَّا هُوَ﴾ فيه إثباتها لله سبحانه دون كل ما سواه. اهـ

❁ **الهراس**: أخبر الله فيها عن نفسه بأنه المتوحد في إلهيته، الذي لا تنبغي العبادة بجميع أنواعها وسائر صورها إلا له. اهـ

الحي القيوم

❁ **ابن مبارك**: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ أي: الحي الذي لا يموت، ومعنى «القيوم» أي: القائم على كلِّ شيء، فجميع الموجودات مفتقرة إليه، وهو غنيٌّ عنها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: ﴿ٱلْحَىُّ﴾ فيه إثبات صفة الحياة الكاملة المطلقة لله سبحانه.

﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ فيه إثبات صفة القيومية. والحياة والقيومية يستلزمان سائر الصفات، من القدرة، والسمع، والبصر، وغير ذلك. اهـ

❁ **الهراس**: أردف قضية التوحيد بما يشهد لها من ذكر خصائصه وصفاته الكاملة، فذكر أنه (الحي) الذي له كمال الحياة؛ لأن حياته من لوازم ذاته، فهي أزلية أبدية، وكمال حياته يستلزم ثبوت جميع صفات الكمال الذاتية له، من العزة، والقدرة، والعلم، والحكمة، والسمع، والبصر، والإرادة، والمشيئة، وغيرها؛ إذ لا يتخلف شيء منها إلا لنقص في الحياة، فالكمال في الحياة يتبعه الكمال في سائر الصفات اللازمة للحي.

ثم قرن ذلك باسمه (القيوم)، ومعناه الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه، غِنىً مطلقًا لا تشوبه شائبة حاجة أصلًا؛ لأنه غِنىً ذاتيٌّ، وبه قامت الموجودات كلها، فهي فقيرة إليه فقرًا ذاتيًا، بحيث لا تستغني عنه لحظة، فهو الذي ابتدأ إيجادها على هذا النحو من الإحكام والإتقان، وهو الذي يدبر أمورها، ويمدها بكل ما تحتاج إليه في بقائها، وفي بلوغ الكمال الذي قدره لها.

فهذا الاسم متضمن لجميع صفات الكمال الفعلية، كما أن اسمه (الحي) متضمن لجميع صفات الكمال الذاتية؛ ولهذا ورد أن (الحي القيوم) هما اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب[1]. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦١١)، وأبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجة (٣٨٥٥) عن أسماء بنت يزيد، عن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾». وحسنه الألباني.
وعن أنس أن النبي ﷺ سمع رجلاً دعا فقال: اللهم إني أسألك بأن لك الحمدَ، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي أذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى» أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، وصححه الألباني.

❁ **السعدي**: أخبر ﷻ أنه المتوحد في الألوهية المستحق لإخلاص العبودية، وأنه (الحي) الكامل، كامل الحياة، وذلك يقتضي كمال عزته، وقدرته، وسعة علمه، وشمول حكمته، وعموم رحمته، وغيرها من صفات الكمال الذاتية.

وأنه (القيوم) الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع المخلوقات، وقام بالموجودات كلها، فخلقها، وأحكمها، ورزقها، ودبرها، وأمدها بكل ما تحتاج إليه.

وهذا الاسم يتضمن جميع الصفات الفعلية؛ ولهذا ورد أن الحي القيوم هما الاسم الأعظم، الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى؛ لدلالة الحي على الصفات الذاتية، والقيوم على الصفات الفعلية، والصفات كلها ترجع إليهما. اهـ

قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

❁ **السعدي**: ومن كمال قيوميته وحياته: أنه لا تأخذه سنة- وهي النعاس- ولا نوم. اهـ

❁ **ابن مبارك**: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أي: نعاس ولا نوم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ وهي الذهول والغفلة، وهي دون النوم.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ فيه نفي النوم، والنفي قسمان: نفي محض، وهذا مراد لذاته، ولا يقع في الصفات، ونفي مراد به الإثبات كنفي السنة والنوم عنه سبحانه، وذلك لكمال حياته وقيوميته تعالى. اهـ

❁ **ابن باز**: فنفى عنه السِنة -وهو النعاس- والنوم -وهو ما ثقل من النوم- لأنه سبحانه موصوف بكمال الحياة؛ لأن النعاس والنوم نقص في الحياة، والله منزه عن ذلك، هو الحي الذي لا يموت والنوم نوع من الموت، فهو سبحانه حي لا يموت. اهـ

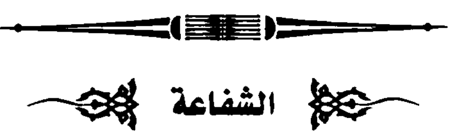
❁ **الهراس**: ثم أعقب ذلك بما يدل على كمال حياته وقيوميته، فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾ أي: لا تغلبه ﴿سِنَةٌ﴾ أي: نعاس، ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فإن ذلك ينافي القيومية؛ إذ النوم أخو الموت؛ ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون. اهـ

❁ **ابن مبارك**: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا. اهـ

❁ **ابن باز**: يعني مالك لكل شيء. اهـ

❁ **الهراس**: ثم ذكر عموم ملكه لجميع العوالم العلوية والسفلية، وأنها جميعا تحت قهره وسلطانه، فقال: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا فيه إثبات ملك السموات والأرض، وتفرد الله بملك ذلك. اهـ



الشفاعة

قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

❁ **ابن مبارك**: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: إلا بأمره.

❁ **السعدي**: ثم ذكر عموم ملكه للعالم العلوي والسفلي، ومن تمام ملكه: أن الشفاعة كلها لله، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ففيها: ذكر الشفاعة التي يجب إثباتها، وهي التي تقع بإذنه لمن ارتضى، والشفاعة المنفية التي يعتقدها المشركون ما كانت تطلب من غير الله وبغير إذنه.

فمن كمال عظمة الله أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ولا يأذن إلا فيمن رضي قوله وعمله، وبين أن المشركين لا تنفعهم شفاعة الشافعين. اهـ

❁ **آل الشيخ**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فيه نفي الشفيع، وهذا نفي ظاهر، وهذا النفي دخل فيه جميع الشفعاء، حتى سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه؛

ولهذا في القيامة لا يشفع حتى يسجد، ويقال له: «ارفع رأسك، واشفع تُشَفَّع، وسل تعطه»[1].

ففيه نفي الشفاعة التي من غير إذنه، وإثباتها بإذنه تعالى. اهـ

❁ **ابن باز**: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ يعني: لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه يوم القيامة. والرسل والصالحون لا يشفعون إلا بإذنه ﷻ، أما في الدنيا فالله سبحانه أمر الناس جميعًا أن يدعوه، ويخصوه بالدعاء، ويشفعوا لإخوانهم -في الله- في الدنيا، وكان النبي ﷺ يشفع إذا طلب منه الشفاعة، إذا طلب منه أحد أن يُشفى، أو يتخلص من كرب، أو نحو ذلك، فيدعو لهم عليه الصلاة والسلام.

أما يوم القيامة فلا أحد يشفع إلا بإذنه، أما في الدنيا فيشفعون بإذنه العام؛ لأنه إذن في الشرع أن يشفع المسلمون بعضهم في بعض، فقال: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾، أذن لهم سبحانه، وحثهم على هذا، وعلى التعاون على البر والتقوى، والتناصح والتواصي بالحق، والشفاعة من التواصي بالحق، ومن الإحسان، فهي جائزة في الدنيا بإذنه العام، وفي الآخرة لا تصلح الشفاعة إلا بإذنٍ خاص، لا أحد يشفع إلا بإذنه سبحانه؛ ولهذا يتقدم الناس يوم القيامة إلى آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، كلهم يعتذرون، حتى يتقدم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فيسجد بين يدي ربه، تحت العرش، ثم يحمد الله بمحامد عظيمة يفتحها عليه، ثم يؤذن له، ويقال: «اشفع تشفع». اهـ

❁ **الهراس**: أردف ذلك بما يدل على تمام ملكه، وهو أن الشفاعة كلها له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٢، ٣١٨٢، ٤٤٣٥) ومسلم (١٩٤).

وقد تضمن هذا النفي والاستثناء أمرين:

أحدهما: إثبات الشفاعة الصحيحة، وهي أنها تقع بإذنه سبحانه لمن يرضى قوله وعمله.

والثاني: إبطال الشفاعة الشركية التي كان يعتقدها المشركون لأصنامهم، وهي أنها تشفع لهم بغير إذن الله ورضاه. اهـ

إحاطة علم الله تعالى

❁ **السعدي**: ثم ذكر سعة علمه فقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: علمه محيط بالأمور الماضية والمستقبلة، فلا يخفى عليه منها شيء، وأما الخلق فلا يحيطون بشيء من علم الله -لا قليل ولا كثير- إلا بما شاء أن يعلمهم الله على ألسنة رسله وبطرق وأسباب متنوعة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: لا يحيطون بشيءٍ من علم الغيب إلَّا بما شاء أن يطلعهم عليه ممَّا أخبر به الرسل. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات تفرده بالعلم سبحانه، إلا بما شاء أن يطلعهم عليه، ففيه إثبات سعة علمه. اهـ

❁ **الهراس**: ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، وأنه لا يخفى عليه شيء من الأمور المستقبلة والماضية.

وأما الخلق فإنهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾. قيل: يعني من معلومه، وقيل: من علم أسمائه وصفاته إلا بما شاء الله سبحانه أن يعلمهم إياه على ألسنة رسله، أو بغير ذلك من طرق البحث، والنظر، والاستنتاج، والتجربة.

عظم قدر الكرسي وسعته

* **ابن مبارك**: قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: ملأ وأحاط، قال ابن عباس: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدِّرُ أحدٌ قدره[1]. اهـ

* **الهراس**: ثم ذكر ما يدل على عظيم ملكه، وواسع سلطانه، فأخبر أن كرسيه قد وسع السموات والأرض جميعا. اهـ

* **السعدي**: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قيل: إنه العرش، وقيل: إنه غيره، وإنه كرسي ملكه من عظمته وسعته أنه وسع السموات والأرض، ومع ذلك ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يثقله ويكرثه حفظهما. أي: حفظ العالم العلوي والسفلي؛ وذلك لكمال قدرته وقوته.

وفيها: بيان لعظيم نعمة الله على الخلق؛ إذ خلق لهم السموات والأرضين، وما فيهما، وحفظهما، وأمسكهما عن الزوال والتزلزل، وجعلهما على نظام بديع جامع للإحكام والمنافع المتعددة التي لا تحصى. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات الكرسي، يعني: أنه أوسع منها بكثير، وجاء في الأحاديث أنه من جملة المخلوقات، وجاء في السنة أنه «موضع القدمين»[2]، وليس كرسيه علمه،

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» وصححه (١٥٤، ١٥٥، ١٥٦)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٦، ٥٩٠)، وعثمان الدارمي في «الرد على المريسي» (٨٩، ٩٤)، والدارقطني في «الصفات» (٣٧)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (٦١)، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٣٩/ ح١٢٤٠٤)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢١٦، ٢١٧)، والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٨٢)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي والألباني.

وصحّ مثله عن أبي موسى الأشعري قال: «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرحل» أخرجه ابن جرير (٥٧٨٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٨٨)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٤٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٩).

كما يقوله المبتدعة، فإن في هذه الآية الرد عليهم، فهم ينفون الكرسي والعرش، يريدون بذلك نفي العلو؛ ولهذا أهل العلم يترجمون بباب في العرش «بابٌ في الكرسي»، وهذا كله رد على الجهمية والمبتدعة. اهـ

الكرسي غير العرش

* **العثيمين**: الكرسي: موضع قدمي الرحمن ﷻ وعظمته، كما جاء في الحديث: **«ما السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي، إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»**[1]. وهذا يدل على عظمة الخالق ﷻ.

والكرسي غير العرش؛ لأن الكرسي موضع القدمين والعرش هو الذي استوى عليه الله، ولأن الأحاديث دلت على المغايرة بينهما. اهـ

* **الهراس**: والصحيح في الكرسي أنه غير العرش، وأنه موضع القدمين، وأنه في العرش كحلقة ملقاة في فلاة.

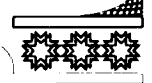
وأما ما أورده ابن كثير عن ابن عباس في تفسير الكرسي بالعلم، فإنه لا يصح[2]،

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥٧٩٥)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (٥٨)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤٢ ط عالم الكتب)، وصححه الألباني في «تخريج شرح الطحاوية» (ص/ ٢٨٠).

(٢) لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، وقد قال في روايته لهذا الأثر: لم يتابع عليها. أفاد ذلك الحافظ الذهبي من ترجمة جعفر المذكور من «الميزان» اهـ إسماعيل الأنصاري.
والأثر رواه الطبري (٥٧٨٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (١٦)، وعبد الله بن أحمد (١١٥٦)، والبيهقي في «الصفات» (٢٣٣).
وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «عمدة التفسير» (٢/ ١٦٢) عند تفسير ابن عباس بأن الكرسي موضع القدمين: وهذا هو الصحيح الثابت عن ابن عباس وأما الرواية السابقة عنه بتأويل الكرسي بالعلم فهي رواية شاذة، لا يقوم عليها دليل من كلام العرب؛ ولذلك رجح أبو منصور الأزهري الرواية الصحيحة عن ابن عباس، وقال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل. اهـ

=



ويفضي إلى التكرار في الآية.

ثم أخبر سبحانه بعد ذلك عن عظيم قدرته، وكمال قوته بقوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾. أي: السموات والأرض وما فيهما.

وفسر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَـُٔودُهُۥ﴾ بـ«يثقله ويكرثه»، وهو من آدَهُ الأمرُ: إذا ثقُل عليه. اهـ

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: العرش موجود بالكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وكذلك الكرسي ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع جمهور السلف. وقد نقل عن بعضهم: أن كرسيَّه علمُه، وهو قول ضعيف؛ فإن علم الله وسع كل شيء كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، والله يعلم نفسَه ويعلمُ ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسبًا، لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾. أي: لا يثقله، ولا يكرثه. وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك، لكن الآيات والأحاديث في العرش أكثر من ذلك، صريحة متواترة.

وقد قال بعضهم: إن الكرسيَّ هو العرش، لكن الأكثرون على أنهما شيئان. اهـ[(١)]

❁ **ابن مبارك**: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: لا يكرثُه، ولا يثقله، ولا يشُقُّ عليه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: لكمال قدرته وقهره. اهـ

❁ **ابن مانع**: قال في «القاموس وشرحه»: كَرَثَه الأمر والغم، يكرِثه -بالكسر- ويكرُثه -بالضم-: اشتد عليه، وبلغ منه المشقة. قال: وكل ما أثقلك فقد كرثك. قال الأصمعي: لا يقال: كرثه، وإنما يقال: أكرثه. اهـ

=

وضعّف رواية التأويل بالعلم أبو سعيد الدارمي في «الرد على المريسي» (٩٤)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٤٦)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٤)، والذهبي في «العلو» (ص/ ٩١)، وأحمد شاكر في «التعليق على تفسير الطبري» (٥/ ٤٠١).

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤).

تفسير العلي العظيم

* **ابن مبارك:** ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ قال البغوي: وهو العليُّ الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشباه والأنداد. ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الكبير الذي لا أعظم منه. اهـ

* **السعدي:** ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات؛ بكونه فوق جميع المخلوقات على العرش استوى. وعلو القدر؛ إذ كان له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها. اهـ

* **آل الشيخ:** ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾ الذي لا أعلى منه تعالى، له العلو الكامل من جميع الوجوه: علو القدر والشرف، وعلو القهر والسلطان لكل شيء، وعلو الذات والفوقية على جميع المخلوقات، فإنه أعلى من كل شيء، قدرًا، وقهرًا، وفضلًا، وأعلى من كل شيء علوًّا، وذاتًا، وسلطانًا. اهـ

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا أعظم منه سبحانه، ولا أكبر، ولا أجل. اهـ

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي له جميع أوصاف العظمة والكبرياء، وله العظمة، والتعظيم الكامل في قلوب أنبيائه، وملائكته، وأصفيائه، الذي لا أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر. فحقيق بآية تحتوي على هذه المعاني الجليلة أن تكون أعظم آيات القرآن، وأن يكون لها من المنع، وحفظ قارئها من الشرور والشياطين، ما ليس لغيرها. اهـ

* **الهراس:** وصف نفسه سبحانه في ختام تلك الآية الكريمة بهذين الوصفين الجليلين؛ وهما: «العلي»، و«العظيم».

فالعلي: هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه:

١ - علو الذات، وكونه فوق جميع المخلوقات مستويا على عرشه.

٢ - وعلو القدر: إذ كان له كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أعلاها وغايتها.

٣ - وعلو القهر: إذ كان هو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

وأما (العظيم) فمعناه: الموصوف بالعظمة، الذي لا شيء أعظم منه، ولا أجل، ولا أكبر، وله سبحانه التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه، وملائكته، وأصفيائه. اهـ

ما تضمنته آية الكرسي من الأسماء والصفات

* **العثيمين**: تضمنت من أسماء الله: «الله» وتقدم معناه، و«الحي» و«القيوم» و«العلي» و«العظيم».

«فالحي»: ذو الحياة الكاملة، المتضمنة لأكمل الصفات التي لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال.

و«القيوم»: هو القائم بنفسه، القائم على غيره، فهو الغني عن كل أحد، وكل أحد محتاج إليه.

و«العلي»: هو العالي بذاته فوق كل شيء، العالي بصفاته كمالًا، فلا يلحقه عيب ولا نقص.

و«العظيم»: ذو العظمة، وهي الجلال والكبرياء.

وتضمنت من صفات الله صفاتٍ تضمنتها الأسماء السابقة:

١- انفراد الله بالألوهية.

٢- نفي النوم والسنة -وهي النعاس- عنه؛ لكمال حياته وقيوميته.

٣- انفراده بالملك الشامل لكل شيء ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

٤- كمال عظمته وسلطانه، حيث لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه.

٥- كمال علمه، وشموله لكل شيء ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وهو الحاضر والمستقبل ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وهو الماضي.

٦- المشيئة.

٧- كمال قدرته بعظم مخلوقاته ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٨- كمال علمه، وقدرته، وحفظه، ورحمته من قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يثقله، ولا يعجزه. اهـ

اسم الحي أصل لجميع الصفات

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: (الحي) نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها؛ ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾، وهو الاسم الأعظم؛ لأنه ما من حي إلا وهو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفي في الصفات بالتلازم لاكتفي بالحي. اهـ[١]

* **وقال أيضًا**: فالاسم الحي مستلزم لصفاته وأفعاله، وهو من أعظم البراهين العقلية على ثبوت صفات الكمال والمصحح لها والمستلزم ثبوتها ونفي نقيضها، كالعلم، والكلام، والسمع، والبصر، وغير ذلك، كما هو مبين في موضعه. اهـ[٢]

آية الكرسي مشتملة على خمسة سلوب متضمنة لأضدادها

* **وقال أيضًا**: وقد وصف نفسه فيها بالصفات الثبوتية، وذكر فيها خمسة سلوب[٣]:

الأول: قوله: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، فإنه يقتضي انفراده بالألوهية، وذلك يتضمن انفراده بالربوبية، وأن ما سواه عبد له مفتقر إليه، وأنه خالق ما سواه ومعبوده، وذلك صفة إثبات.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١١).

(٢) قاعدة في المحبة ضمن «جامع الرسائل» (٢/ ٣٨٣: ط محمد رشاد سالم).

(٣) أي: نفي وتنزيه.

الثاني: قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وهذا يتضمن كمال الحياة والقيومية، فإن السنة والنوم نقص في الحياة والقيومية، والنوم أخو الموت، ومن نام لم يمكنه حفظ الأمور، فهو سبحانه منزه عن السنة والنوم، تنزيهًا يستلزم كمال حياته وقيوميته، والحياة والقيومية من الإثبات.

الثالث: قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، فإن هذا متضمن أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وهذا يتضمن كمال قدرته، وخلقه، وربوبيته، وأن غيره لا يؤثر فيه بوجه من الوجوه، كما يؤثر في المخلوقين من يشفع عندهم، فيحملهم على الفعل بعد أن لم يكونوا فاعلين، وإنما الشفاعة عنده بإذنه، فهو الذي يأذن للشفيع، وهو الذي يجعله شفيعًا، ثم يقبل شفاعته، فلا شريك له، ولا عون بوجه من الوجوه، وذلك يتضمن كمال القدرة، والخلق، والربوبية، والغنى، والصمدية.

الرابع: قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، فإن هذا يقتضي أنه الذي يعلِّم العباد ما شاء من علمه، وأنه لا علم لهم إلا ما علمهم، فبيّن أنه المنفرد بالتعليم والهداية، لا يعلم أحد شيئًا إن لم يعلمه إياه، كما أنه المنفرد بالخلق والإحداث، فهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾، وهو ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ وأول ما نزل من القرآن: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥].

الخامس: قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾. أي: لا يكرثه، ولا يثقل عليه. وهذا يقتضي كمال القدرة وتمامها، وأنه لا تلحقه مشقة، ولا حرج، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فإن نفي اللغوب يقتضي كمال قدرته، وانتفاء ما يضادها من اللغوب. اهـ[١]

(١) الصفدية (٢/ ٦٤).

إثبات الصفات السلبية لإثبات كمال ضدها

* **وقال أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله موصوف بصفات الكمال الثبوتية -كالحياة، والعلم، والقدرة- فيلزم من ثبوتها سلب صفات النقص، وهو سبحانه لا يمدح بالصفات السلبية إلا لتضمنها المعاني الثبوتية، فإن العدم المحض، والسلب الصِّرف لا مدح فيه، ولا كمال؛ إذ كان المعدوم يوصف بالعدم المحض، والعدم نفي محض، لا كمال فيه، إنما الكمال في الوجود؛ ولهذا جاء كتاب الله تعالى على هذا الوجه فيصف سبحانه نفسه بالصفات الثبوتية، صفات الكمال، وبصفات السلب المتضمنة للثبوت، كقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾، فنفي أخذ السنة والنوم يتضمن كمال حياته وقيوميته؛ إذ النوم أخو الموت؛ ولهذا كان أهل الجنة لا ينامون مع كمال الراحة كما لا يموتون.

و(القيوم): القائم المقيم لما سواه، فلو جعلت له سنة أو نوم لنقصت حياته وقيوميته، فلم يكن قائمًا ولا قيومًا، كما ضرب الله المثَلَ لبني إسرائيل لما سألوا موسى: هل ينام ربك؟ فأرَّقَهُ ثلاثًا، ثم أعطاه قواريرَ فأخذه النومُ فتكسرت[1]. بيَّن بهذا المثل أن خالق العالم لو نام لنفد العالم.

ثم قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ ﴾، فإنكاره، ونفيه أن يشفع أحد عنده إلا بإذنه يتضمن كمال ملكه لما في السموات وما في الأرض، وأنه ليس له شريك، فإن من شفع عنده غيره بغير إذنه، وقبل شفاعته، كان مشاركًا له؛ إذ صارت شفاعته سببًا لتحريك المشفوع إليه، بخلاف من لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإنه منفرد بالملك، ليس له شريك بوجه من الوجوه.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسند جيد، عن ابن عباس أن بني إسرائيل ... إلخ، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢١)، وابن جرير (٥٧٨٠): أن موسى سأل الملائكة. قال ابن كثير: وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه منزه عن النوم. اهـ وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠٣٤). قلت: والأول أصح.

ثم قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، فنفي أن يعلم أحد شيئًا من علمه إلا بمشيئته، ليس إلا أنه منفرد بالتعليم، فهو العالم بالمعلومات، ولايعلم أحد شيئًا إلا بتعليمه، كما قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾. أي: لا يكرثه، ولا يثقل عليه، فبين بذلك كمال قدرته، وأنه لا يلحقه أدنى مشقة، ولا أيسر كلفة في حفظ المخلوقات، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، بيَّنَ بذلك كمال قدرته، وأنه لا يلحقه اللغوب في الأعمال العظيمة، مثل خلقه السموات والأرض، كما يلحق المخلوقَ اللغوبُ إذا عمل عملًا عظيمًا. واللغوب: الانقطاع والإعياء. وهذا باب واسع مبسوط في موضع آخر.

والمقصود هنا أنه موصوف بصفات الكمال التي يستحقها بذاته، ويمتنع اتصافه بنقائضها، وإذا وصف بالسلوب فالمقصود هو إثبات الكمال. اهـ[1]

تفسير اسم العلي، وصفة العلو

❁ **وقال أيضًا**[2]: واسمه «العلي» يفسر بهذين المعنيين: يفسر بأنه أعلى من غيره قدرًا، فهو أحق بصفات الكمال، ويفسر بأنه العالي عليهم بالقهر والغلبة، فيعود إلى أنه القادر عليهم وهم المقدورون، وهذا يتضمن كونه خالقًا لهم وربًّا لهم. وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء، فلا شيء فوقه، كما قال النبي ﷺ: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن**

---

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢٠٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٥٨).

فليس دونك شيء»[1]. فلا يكون شيء قبله، ولا بعده، ولا فوقه، ولا دونه، كما أخبر النبي ﷺ، وأثنى به على ربه. وإلا فلو قدر أنه تحت بعض المخلوقات كان ذلك نقصًا، وكان ذلك أعلى منه.

وإن قيل: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، كان ذلك تعطيلًا له فهو منزه عن هذا.

وهذا هو العلي الأعلى مع أن لفظ «العلي» و«العلو» لم يُستَعمَل في القرآن عند الإطلاق إلا في هذا، وهو مستلزم لذينك، لم يستعمل في مجرد القدرة، ولا في مجرد الفضيلة.

ولفظ «العلو» يتضمن الاستعلاء، وغير ذلك من الأفعال، إذا عدي بحرف الاستعلاء دل على العلو، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، فهو يدل على علوه على العرش. اهـ



(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة.



الأدلة على كمال صفات الله تعالى والجمع بين النفي والإثبات في آيات الصفات

قال المصنف: (وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ١-٢]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١، فصلت: ٤٧]، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]).



الشرح

* **ابن باز**: هذه الآيات قد جمع الله فيها ما سمى به نفسه، ووصف به نفسه بين النفي والإثبات، وفيها يثبت صفات الكمال لنفسه، وينفي عنه صفات النقص والعيب.

وقد تقدم الكلام في آية الكرسي، وما فيها و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وما فيها، وهكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أثبت أنه الأول الذي ليس قبله شيء، كما قال النبي ﷺ: **«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»**[1] فهو الظاهر فوق عباده جميعًا، ليس

(١) رواه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، والترمذي (٣٤٨١) عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن، ثم يقول: اللهم رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة، والإنجيل، والفرقان، =

فوقه شيء، والباطن ليس دونه شيء، يعلم كل شيء، لا تخفى عليه خافية.

وهكذا آيات العلم التي ذكرها بعده: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾، وآيات الرزق والقوة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾، وآيات المشيئة وآيات الإرادة، كلها تدل على عظمته سبحانه، وأنه سبحانه له المشيئة الكاملة، وله الإرادة الكاملة، وله العلم الكامل، وله القدرة الكاملة، كلها صفاته جل وعلا، ولكن على وجه لا يشابه عباده، قوته ليست مثل قوة عباده، بل قوته أكمل شيء، وهكذا جميع الصفات هو فيها على وجه الكمال المطلق؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، فعلمه كامل ليس كعلم المخلوقين، ولا تخفى عليه خافية، وهكذا حكمته، وقدرته، وقوته، وحلمه، وسمعه، وبصره، كلها صفات الكمال، ليس فيها نقص، ولا يشابه عباده فيها، بخلاف صفات المخلوقين فهي ناقصة ضعيفة، أما هو ﷻ فجميع الصفات على وجه الكمال، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ولكماله قال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾. أي: لا سمي يدانيه؛ لكماله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا أيضًا مما دخل في الجملة السابق ذكرها، جملة: «ما وصف وسمى به نفسه، بين النفي والإثبات».

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] هذه الآية فيها إثبات هذه الأسماء الحسنى الأربعة، واشتملت على اتصافه تعالى بها، وتفسير هذه الأسماء الأربعة جاء في الحديث: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» وحديث: «كان الله ولم

= أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر. وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

يكن شيءٌ قبله»[١]، يعني: أنه ﷻ بوجوده وأوليته، «ولم يكن شيء قبله»، ليس معناه: كان قبل أن لم يكن حدثٌ، لا[٢].

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، اشتملت هذه الآية على اتصافه بالعلم بكل شيء، فشمل علمه الموجودات كلها، والمعدومات التي تكون، والتي لا تكون، كيف تكون لو كانت، بخلاف الممتنعات، فإنها ليست شيئًا حتى تُشمل بالعلم. اهـ

* **السعدي**: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قد فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بتفسير مختصر جامع واضح؛ حيث قال: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**». وهذا يدل على كمال عظمته، وأنه لا نهاية لها، وبيان إحاطته من كل وجه.

فالأول والآخر: إحاطته الزمانية. والظاهر والباطن: إحاطته المكانية.

ثم صرح بإحاطة علمه بكل شيء، من الأمور الماضية، والحاضرة، والمستقبلة، ومن العالم العلوي والسفلي، ومن الظواهر والبواطن، والواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. اهـ

* **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أي: الذي ليس قبله شيء. ﴿وَالْآخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء. ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء. ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ظاهره، وباطنه، وأوله، وآخره. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٦٩٨٢) عن عمران بن حصين.

(٢) بل المراد بالحديث الإخبار عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، الذي خلقه الله في ستة أيام، ثم استوى على العرش، لا عن ابتداء أفعال الله ومخلوقاته جملة. والحديث نفسه يدل على ذلك، فعن عمران قال: قال أهل اليمن: يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السموات والأرض» فظهر أن المراد خلق هذا العالم المشهود. انظر: شرح الطحاوية (ص/ ١٣٤).

* **العثيمين**: معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه الأسماء الأربعة فسرها النبي ﷺ بأن «الأول»: الذي ليس قبله شيء، و«الآخر»: الذي ليس بعده شيء، و«الظاهر»: الذي ليس فوقه شيء، و«الباطن»: الذي ليس دونه شيء. وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أي: محيط علمه بكل شيء جملة وتفصيلًا. اهـ

إحاطة الله تعالى بكل شيء من كل وجه

* **الهراس**: قوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ الجملة هنا جاءت معرفة الطرفين، فهي تفيد اختصاصه سبحانه بهذه الأسماء الأربعة، ومعانيها على ما يليق بجلاله وعظمته، فلا يثبت لغيره من ذلك شيء.

وقد اضطربت عبارات المتكلمين في تفسير هذه الأسماء، ولا داعي لهذه التفسيرات بعدما ورد تفسيرها عن المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فقد روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **«أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: اللهم رب السموات السبع، ورب الأرض، رب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر»** فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه، وأنه محيط بالأشياء من كل وجه.

فالأول والآخر: بيان لإحاطته الزمانية. والظاهر والباطن: بيان لإحاطته المكانية.

كما أن اسمه «الظاهر» يدل على أنه العالي فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن.

فاسمه «الأول»: دال على قدمه وأزليته.

واسمه «الآخر»: دال على بقائه وأبديته.

واسمه «الظاهر»: دال على علوه وعظمته.

واسمه «الباطن»: دال على قربه ومعيته.

ثم خُتمت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية، والحاضرة، والمستقبلة، ومن العالم العلوي، والسفلي، ومن الواجبات، والجائزات، والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها في شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه، وأن العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء.

وإنما أتى بين هذه الصفات بالواو، مع أنها جارية على موصوف واحد؛ لزيادة التقرير والتأكيد؛ لأن الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم وتقريره، وحسن ذلك لمجيئها بين أوصاف متقابلة قد يسبق إلى الوهم استبعاد الاتصال بها جميعًا؛ فإن الأولية تنافي الآخرية في الظاهر، وكذلك الظاهرية والباطنية، فاندفع توهم الإنكار بذلك التأكيد. اهـ

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول: **«اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء؛ وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»**[(١)] وهذا نص في أن الله ليس فوقه شيء، وكونه الظاهر صفة لازمة له، مثل كونه الأول والآخر، وكذلك الباطن، فلا يزال ظاهرًا ليس فوقه شيء، ولا يزال باطنًا ليس دونه شيء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣).

وأيضًا فحديث أبي ذر، وأبي هريرة، وقتادة المذكور في تفسير هذه الأسماء الأربعة الذي فيه ذكر الإدلاء قد ذكرناه في «مسألة الإحاطة»[١]، وهو مما يبين أن الله لا يزال عاليًا، على المخلوقات، مع ظهوره وبطونه، وفي حال نزوله إلى السماء الدنيا. اهـ[٢]

❁ **وقال أيضًا**: وقوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ ضمن معنى العالي كما قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ ويقال: ظهر الخطيب على المنبر. وظاهرُ الثوب: أعلاه، بخلاف بطانته وكذلك ظاهر البيت: أعلاه، وظاهر القول: ما ظهر منه وبان، وظاهر الإنسان خلاف باطنه، فكلما علا الشيءُ ظهر؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**أنت الظاهر فليس فوقك شيء**» فأثبت الظهور، وجعل موجب الظهور أنه ليس فوقه شيء، ولم يقل: ليس شيء أبين منك ولا أعرف، وبهذا تبين خطأ من فسر الظاهر بأنه المعروف، كما يقوله من يقول: الظاهر بالدليل، الباطن بالحجاب، كما في كلام أبي الفرج وغيره، فلم يذكر مراد الله ورسوله ﷺ، وإن كان الذي ذكره له معنى صحيح.

وقال: «**أنت الباطن فليس دونك شيء**» فيهما معنى الإضافة لابد أن يكون البطون والظهور لمن يظهر ويبطن، وإن كان فيهما معنى التجلي والخفاء، ومعنى آخر، كالعلو في الظهور، فإنه سبحانه لا يوصف بالسفول، وقد بسطنا هذا في «الإحاطة»، لكن إنما يظهر من الجهة العالية علينا، فهو يظهر علمًا بالقلوب، وقصدًا له، ومعاينة إذا رؤي يوم القيامة، وهو بادٍ عالٍ ليس فوقه شيء، ومن جهة أخرى يَبْطُن فلا يُقصد منها، ولا يُشهد، وإن لم يكن شيء أدنى منه، فإنه من ورائهم محيط، فلا شيء دونه سبحانه.

والرب تعالى لا يكون أعلى منه قط، بل هو العلي الأعلى، ولا يزال هو العلي الأعلى، مع أنه يقرب إلى عباده، ويدنو منهم، وينزل إلى حيث شاء، ويأتي كما شاء، وهو في ذلك العلي الأعلى الكبير المتعالي، عليٌّ في دنوه، قريب في علوه، فهذا وإن لم يتصف به

---

(١) وتعرف بالرسالة العرشية. انظرها في الفتاوى (٦/ ٥٤٥-٥٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٨١).

غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا وهذا، كما يعجز أن يكون هو الأول والآخر، والظاهر والباطن؛ ولهذا قيل لأبي سعيد الخراز: بم عرفتَ الله؟ قال: بالجمع بين النقيضين. وأراد أنه يجتمع له ما يتناقض في حق الخلق.

ولو أراد مجرد الانكشاف والتجلي لنافى ذلك وصفه بالبطون؛ لأن كون الشيء ظاهرًا بمعنى كونه معلومًا، أو مشهودًا ينافي كونه باطنًا، وقد روى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر**»، فأخبر بأنه ليس فوقه شيء في ظهوره وعلوه على الأشياء، وأنه ليس دونه شيء، فلا يكون أعظم بطونًا منه، حيث بَطَن[1] في الجهة الأخرى من العباد إلى أن قال: ومجموع الاسمين يدلان على الإحاطة والسعة. اهـ[2]

مدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة الزمانية والمكانية

* **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللهُ: فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه.

وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سَبْقُهُ لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد، كل شيء.

وظاهريته سبحانه: فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه، وأحاط بباطنه.

وبطونه سبحانه: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه. وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

---

(١) بَطَن -بفتح الباء والطاء- أي: خفي فهو باطن، وإما بَطُنَ -بضم الطاء- على وزن كرُم. أي: عظم بطنه. قاله في القاموس.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٥١ -ط: القاسم).

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهي إحاطتان زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقَبل والبَعد، فكلُّ سابقٍ انتهى إلى أوليته، وكل آخِرٍ انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر.

وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقَه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله بعده.

فالأول قِدَمُه، والآخِرُ دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فَسَبَقَ كلَّ شيء بأوليته، وبقِي بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارِي منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضًا، ولا يَحجب عنه ظاهرٌ باطنًا، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

اشتمال هذه الأسماء الأربعة على أركان التوحيد

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أولا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

التعبد لله بهذه الأسماء

والتعبد بهذه الأسماء رتبتان:

الرتبة الأولى: أن تشهد الأولية منه تعالى في كل شيء، والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء، فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه، فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب ﷻ ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

والمرتبة الثانية: من التعبد أن يعامل كل اسم بمقتضاه.. إلخ[1].

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٤٧: ط- دار ابن القيم).

صفة الحياة، وكمالها، ولوازمها من إثبات صفات الكمال، ونفي صفات النقص



قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

❁ **الهراس**: قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾.. إلخ، هذه الجملة من الآيات ساقها المؤلف؛ لإثبات بعض الأسماء والصفات، فالآية الأولى فيها إثبات اسمه الحي، كما تضمنت سلب الموت الذي هو ضد الحياة عنه، وقد قدمنا أنه سبحانه حي بحياة هي صفة له لازمة لذاته، فلا يعرض لها موت ولا زوال أصلًا، وأن حياته أكمل حياة وأتمها، فيستلزم ثبوتها له ثبوت كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة. اهـ

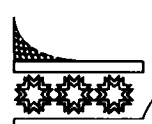
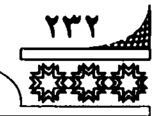
❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ أي: فإنَّه حقيقٌ بالتوكل عليه؛ لأنَّه باقٍ على الأبد، والحياة صفةٌ لله تعالى. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات هذا الاسم، وإثبات مدلول هذا الاسم وهي صفة الحياة لله سبحانه، وهي تستلزم السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، ونحو ذلك، ونفي الموت لمنافاته للحياة. اهـ

❁ **قال المصنف** رحمه الله: والحياة صفة كمال يستحقها بذاته، والموت مناقض لها، فلم يوصف بالحياة لأجل نفي الموت، بل وصفه بالحياة يستلزم نفي الموت، فينفى عنه الموت؛ لأنه حي لا يثبت له الحياة لنفي الموت، وكذلك لتثبت له أنه شيء موجود، وذلك يستلزم نفي العدم عنه، لا أن إثبات وجوده لأجل نفي العدم، بل نفي العدم عنه لأجل وجوده، كما أن نفي الموت عنه لأجل حياته، وكذلك قولهم قلنا: إنه شيء لا كالأشياء المخلوقة؛ وذلك لننفي العدم عنه. لكن كان مرادهم- والله أعلم، وإن كانت عبارتهم قاصرة-: إثبات الوجود ونفي العدم، وإثبات الحياة ونفي الموت. اهـ[١]

---

(١) الجواب الصحيح (٣/ ٢١١).

ما ينفى عن الله تعالى نوعان

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي ينفى عنه وينزه عنه.

إمَّا أن يكون مناقضًا لما عُلِمَ من صفاته الكاملة، فهذا ينفى عنه جنسه، كما قال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾، وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ فجنس السِّنة والنوم والموت ممتنع عليه، ولا يجوز أن يقال في شيء من هذا: إنه يجوز عليه كما يليق بشأنه؛ لأن هذا الجنس يوجب نقصًا في كماله، وكذلك لا يجوز أن يقال: هو يكون في السفل لا في العلو، وهو سفول يليق بجلاله[١]. فإنه سبحانه العلي الأعلى، لا يكون قط إلا عاليًا، والسفول نقص هو منزه عنه.

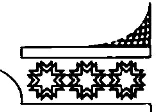
وقوله: «**وأنت الباطن فليس دونك شيء**». لا يقتضي السفول إلا عند جاهل لا يعلم حقيقة العلو والسفول، فيظن أن السموات وما فيها قد تكون تحت الأرض، إما بالليل وإما بالنهار، وهذا غلط، كمن يظن أن ما في السماء من المشرق يكون تحت ما فيها مما في المغرب، فهذا أيضا غلط، بل السماء لا تكون قط إلا عالية على الأرض، وإن كان الفلك مستديرًا محيطًا بالأرض، فهو العالي على الأرض علوًّا حقيقيًّا من كل جهة. وهذا مبسوط في مواضع.

والنوع الثاني: أنه منزه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، فالألفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة في الإثبات تثبت، والتي جاءت بالنفي تُنفى، والألفاظ المجملة كلفظ «الحركة» و«النزول» و«الانتقال»، يجب أن يقال فيها: إنه منزه عن مماثلة المخلوقين من كل وجه، لا يماثل المخلوق، لا في نزول، ولا في حركة، ولا في انتقال، ولا زوال ولا غير ذلك، بل ينفى ما ناقض صفات كماله، وينفى مماثلة مخلوق له، فهذان هما اللذان يجب نفيهما، والله أعلم. اهـ[٢]

---

(١) أي: لا يجوز ذلك.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٢٦).



إثبات أسماء العليم والحكيم وما اشتق منهما من الصفات

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

❁ **الهراس**: هذه الآيات فيها إثبات صفة العلم، وما اشتق منها، ككونه ﴿عَلِيمًا﴾، و﴿يَعْلَمُ﴾، و﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.. إلخ.

والعلم صفة لله ﷻ، بها يدرك جميع المعلومات على ما هي به، فلا يخفى عليه منها شيء، كما قدمنا.

وفيها إثبات اسمه الحكيم، وهو مأخوذ من الحكمة، ومعناه: الذي لا يقول، ولا يفعل إلا الصواب، فلا يقع منه عبث ولا باطل، بل كل ما يخلقه، أو يأمر به فهو تابع لحكمته. وقيل: هو من فعيل بمعنى مُفْعِل، ومعناه: المحْكِم للأشياء، من الإحكام، وهو الإتقان، فلا يقع في خلقه تفاوت ولا فطور، ولا يقع في تدبيره خلل أو اضطراب. اهـ

❁ **العثيمين**: العلم: إدراك الشيء على حقيقته. وعلم الله تعالى كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، فمن أدلة العلم الجملي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ومن أدلة العلم التفصيلي قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومن أدلة علم الله بأحوال خلقه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. اهـ

متعلقات الأسماء

* **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأسماء الله المطلقة -كاسمه السميع، والبصير، والغفور، والشكور، والمجيب، والقريب- لا يجب أن تتعلق بكل موجود، بل يتعلق كل اسم بما يناسبه، واسمه العليم لما كان كل شيء يصلح أن يكون معلومًا تعلق بكل شيء. اهـ[1]

تفسير الحكمة

* **العثيمين**: والحكمة: هي وضع الأشياء في مواضعها على وجه متقن، ودليل اتصاف الله بها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾. وللحكيم معنيان:

أحدهما: أن يكون بمعنى ذي الحكمة، فلا يأمر بشيء، ولا يخلق شيئًا إلا لحكمة، ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة.

والثاني: أن يكون بمعنى الحاكم الذي يحكم بما أراد، ولا معقب لحكمه.

وحكمة الله نوعان: شرعية، وكونية. فالشرعية محلها الشرع، وهو ما جاءت به الرسل من الوحي، فكله في غاية الإتقان.

والحكمة الكونية محلها الكون- أي: مخلوقات الله- فكل ما خلقه الله فهو في غاية الإتقان والمصلحة. اهـ



(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٤).

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ١-٢]

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات هذين الاسمين، أحدهما: الحكيم، وهو الذي يضع الأشياء مواضعها، والثاني: الخبير. وإثبات مدلول هذين الاسمين، وهما الحكمة والخبرة. والحكمة هي المنافية للسفه والعبث، فهو تعالى الحكيم في أقضيته، وشرعه، ودينه، وهي أبعد شيء عن السفه، وعن خلاف المصلحة.

والخبرة أخص من العلم، هي كمال العلم. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما يدخُلُ فيها من الماء، والأموات، وغير ذلك. ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من النبات وغيره، والأموات إذا حُشِروا. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكة، والأمطار، وغير ذلك. ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة، والأعمال الصالحة، وغير ذلك. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات علمه الشامل، فما من داخل في الأرض، أو خارج منها، ولا نازل من السماء، ولا صاعد إليها، إلا وهو مشمول بالعلم. اهـ

❁ **الهراس**: وفيها كذلك إثبات اسمه الخبير، وهو من الخبرة، بمعنى: كمال العلم، ووثوقه، والإحاطة بالأشياء على وجه التفصيل، ووصول علمه إلى ما خفي ودق من الحسيات والمعنويات.

وقد ذكر سبحانه في هذه الآيات بعض ما يتعلق به علمه؛ للدلالة على شموله وإحاطته بما لا تبلغه علوم خلقه، فذكر أنه: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾. أي: يدخل في الأرض من حب، وبذر، ومياه، وحشرات، ومعادن، ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ من زرع، وأشجار، وعيون، جارية، ومعادن نافعة كذلك، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من ثلج وأمطار وصواعق وملائكة، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ﴾. أي: يصعد ﴿فِيهَا﴾ كذلك من ملائكة، وأعمال، وطير صواف.. إلى غير ذلك مما يعلمه جل شأنه. اهـ

مفاتيح الغيب، وسعة علم الله، وتقديره لكل شيء

قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

* **ابن مبارك**: قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ مفاتح الغيب: خزائنه. وعن ابن عمر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلَّا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]»[(١)]. اهـ

* **العثيمين**: مفاتح الغيب: خزائنه أو مفاتيحه، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] فالخبير هو العليم ببواطن الأمور. اهـ

* **آل الشيخ**: قوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ وهي الخمس المذكورة في الحديث: «خمس لا يعلمهن إلا الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾»[(٢)]، فهذه الخمس لم يَطَّلع عليها ملك مقرب، ولا نبي مرسل. اهـ

* **الهراس**: ذكر فيها أيضا أن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ومفاتح الغيب، قيل: خزائنه، وقيل: طرقه وأسبابه التي يتوصل بها إليه. جمع مِفتح -بكسر الميم- أو مفتاح -بحذف ياء مفاعيل- وقد فسرها النبي ﷺ بقوله: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (١٠٣٩، ٤٦٢٧، ٤٧٧٨، ٧٣٧٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠، ٤٤٩٩) مسلم (رقم ٩، ١٠) عن أبي هريرة في حديث جبريل الطويل.

وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾». اهـ

* **ابن مبارك**: قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات. ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، يعني: مكتوبٌ في اللوح المحفوظ. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة العلم وشموله لجميع الأشياء، فما من شيء إلا وهو مشمول بالعلم، وهو أشمل من القدرة(١)، وفيه إثبات الكتابة، وهي إحدى المرتبتين في القدر، كما يأتي. اهـ

سعة علم الله تعالى وشموله

* **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وذكر الخلال في كتاب «السنة» قال: وأنا أبو بكر المروذي، ثنا محمد بن الصباح النيسابوري، ثنا سليمان بن داود، أبو داود الخفاف، قال: قال إسحاق بن راهوية: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة، وفي السموات السبع، وما فوق العرش، أحاط بكل شيء علمًا، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا وقد عرف ذلك كله، وأحصاه ولا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره. اهـ(٢)

---

(١) يعني: من حيث متعلقها، كما سيأتي في كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصفحة التالية، والقدرة متعلقة بكل ممكن، والعلم شامل لكل شيء، كما سيأتي في كلام الشيخ الهراس.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٧٠١: ط- المجمع)، (٢/ ١٦٢: ط-القاسم).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١، فصلت: ٤٧].

❁ ابن مبارك: أي: هو عالمٌ بذلك، لا يخفى عليه من ذلك شيء. اهـ

❁ آل الشيخ: هذه الآية فيها إثبات صفة العلم. اهـ



إثبات صفة القدرة وصفة العلم

وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

❁ ابن مبارك: أوَّل الآية ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، فالوحي من السماء السابعة إلى الأرض السفلى، قال قتادة: «في كل أرضٍ من أرضه، وسماءٍ من سمائه، خلقٌ من خلقه، وأمرٌ من أمره، وقضاءٌ من قضائه، ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ فلا يخفى عليه شيء. اهـ

❁ العثيمين: القدرة: هي التمكن من الفعل بلا عجز، وقدرة الله شاملة كل شيء، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. اهـ

شمول صفتي العلم والقدرة للمعلومات والمقدورات

❁ آل الشيخ: هذه الآية فيها إثبات صفة القدرة، وهي مدلول اسمه القدير، وإثبات صفة العلم، وشمول القدرة وشمول العلم، فما من شيء إلا دخل في القدرة إلا ذاته ﷻ، فإنها لا تقبل التصريف، فإن القادر لا يكون مقدورًا، فشملت قدرته ما كان، وما يمكن أن يكون، فإن الله قادر على الموجودات، والمعدومات، والممكنات، ولا خرج عن ذلك إلا الممتنع، فإنه ليس بشيء حتى يُشمل.

وفي إثبات القدرة على كل شيء، الرد على المُرشِدة الذين يقولون: إن الله لا يقدر إلا على ما يشاء، وأما ما لا يشاء فلا، وهم طائفة من المبتدعة معلومٌ بطلانُ قولهم من نحو ثمانين موضعًا من القرآن: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

إحاطة علم الله بكل شيء

وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ فيه كمال العلم، فإن الإحاطة بالشيء عِلْمًا هي الإحاطة به من كل الجهات، فالعلم فيه شمولٌ -مثل القدرة- بل الشمول الذي في العلم أعم من الشمول الذي في القدرة، فإنه تعالى أعلم بذاته، وبأسمائه، وصفاته، وبشرعه، ودينه، وبجميع مخلوقاته.

وقد جاء في قصة الخضر وموسى، حين أتى عصفور فأخذ بمنقاره من البحر، فقال الخضر لموسى ﷺ: «**ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقَّص هذا العصفور من هذا البحر**»[1]، وكما في الآية: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٠٩]. اهـ

❁ **الهراس**: دلت الآيتان الأخيرتان على أنه سبحانه عالم بعلم هو صفة له، قائم بذاته، خلافًا للمعتزلة الذين نفوا صفاته، فمنهم من قال: إنه عالم بذاته، وقادر بذاته.. إلخ، ومنهم من فسر أسماءه بمعان سلبية، فقال: عليم معناه: لا يجهل، وقادر معناه: لا يعجز.. إلخ. وهذه الآيات حجة عليهم، فقد أخبر فيها سبحانه عن إحاطة علمه بحمل كل أنثى ووضعها، من حيث المعنى والكيف، كما أخبر عن عموم قدرته، وتعلقها بكل ممكن، وعن إحاطة علمه بجميع الأشياء.

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع (١٢٢، ٢٢٦٧، ٢٧٢٨، ٣٢٧٨، ٣٤٠٠، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٦٦٧٢، ٧٤٧٨)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس، عن أُبي بن كعب ﷺ.

وما أحسن ما قاله الإمام عبد العزيز المكي(١) -في كتابه «الحيدة»- لبشر المريسي المعتزلي(٢) وهو يناظره في مسألة العلم: «إن الله ﷻ لم يمدح في كتابه ملكًا مقربًا، ولا نبيًا مرسلًا، ولا مؤمنًا تقيًا بنفي الجهل عنه؛ ليدل على إثبات العلم له، وإنما مدحهم بإثبات العلم لهم، فنفى بذلك الجهل عنهم.. فمن أثبت العلم نفى الجهل، ومن نفى الجهل لم يثبت العلم»(٣).

والدليل العقلي على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل؛ لأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمراد؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. ولأن المخلوقات فيها من الإحكام، والإتقان، وعجيب الصنعة، ودقيق الخلقة، ما يشهد بعلم الفاعل لها؛ لامتناع صدور ذلك عن غير علم؛ ولأن من المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن الله عالمًا لكان في المخلوقات من هو أكمل منه. وكل علم في المخلوق إنما استفاده من خالقه، وواهب الكمال أحق به، وفاقد الشيء لا يعطيه.

وأنكرت الفلاسفة علمه تعالى بالجزئيات، وقالوا: إنه يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت. وحقيقة قولهم أنه لا يعلم شيئًا؛ فإن كل ما في الخارج هو جزئي.

---

(١) هو الشيخ العلامة الفقيه عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي، توفي سنة ٢٤٠هـ كان رحمه الله من أهل العلم والفضل، تفقه على الإمام الشافعي وصاحبه، وناظر المريسيَّ بحضرة الخليفة، فأقام عليه الحجة وكسر شوكته، وحكى ذلك المجلس في كتاب «الحيدة» وهو مطبوع عدة طبعات، من أحسنها طبعة الجامعة الإسلامية، وطبعة الإفتاء، والطبعة التي حققها الشيخ الدكتور علي بن ناصر فقيهي.

(٢) من رؤوس المعتزلة هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، المعتزلي، المتوفى سنة ٢١٨هـ حكيت عنه أقوال شنيعة، ورد عليه جماعة من العلماء، ومن أحسن الردود عليه رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وهو مطبوع.

(٣) انظر كتاب «الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن» (ص/ ٤٦)، د/ علي محمد فقيهي، ط مكتبة العلوم والحكم، الثانية.

كما أنكر الغلاة من القدرية علمه تعالى بأفعال العباد، حتى يعملوها؛ توهمًا منهم أن علمه بها يفضي إلى الجبر، وقولهم معلوم البطلان بالضرورة في جميع الأديان. اهـ

إثبات قياس الأولى

❁ **قال المصنف** رحمه الله: قال الإمام أحمد[1]: وإنما معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣] يقول: هو إله من في السموات، وإله من في الأرض وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش[2]، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]، ثم ذكر الإمام أحمد حجة اعتبارية عقلية قياسية لإمكان ذلك هي من باب الأولى، قال: ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلًا كان في يده قدحٌ من قواريرَ صافٍ، وفيه شيء، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح، من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله سبحانه له المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيء من خلقه.

قلت: وقد تقدم أن كل ما يثبت من صفات الكمال للخلق فالخالق أحق به وأولى، فضرب أحمد رحمه الله مثلًا، وذكر قياسًا، وهو أن العبد إذا أمكنه أن يحيط بصره بما في يده وقبضته، من غير أن يكون داخلًا فيه، ولا محايثًا له، فالله سبحانه أولى باستحقاق ذلك، واتصافه به، وأحق بأن لا يكون ذلك ممتنعًا في حقه، وذكر أحمد في ضمن هذا القياس لقول الله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ مطابق لما ذكرناه من أن الله له قياس الأولى،

---

(١) يعني في كتاب «الرد على الجهمية» انظره في (ص/ ٩٤) من مجموعة «عقائد السلف»، و(ص/ ٢٩٢-٢٩٥) ط دغش العجمي.

(٢) في بعض النسخ: «أحاط بعلمه ما دون العرش» والمثبت أوفق للسياق، ولأكثر نسخ «الرد على الجهمية»، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٣١١)، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم (٤/ ١٣٠٠)، وانظر تحقيق العجمي للرد على الجهمية (ص/ ٢٩٣).

والأحرى بالمثل الأعلى؛ إذ القياس الأولى والأحرى، هو من المثل الأعلى، وأما المثل المساوي أو الناقص فليس لله بحال، ففي هذا الكلام الذي ذكره واستدلاله بهذه الآية، تحقيق لما قدمناه من أن الأقيسة في باب صفات الله، هي أقيسة الأولى كما ذكره من هذا القياس[(١)]، فإن العبد إذا كان هذا الكمال ثابتًا له فالله الذي له المثل الأعلى أحق بذلك.

ثم ذكر قياسًا آخر فقال: وخصلة أخرى، لو أن رجلًا بنى دارًا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت، من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله سبحانه- له المثل الأعلى- قد أحاط بجميع ما خلق، وقد علم كيف هو، وما هو، من غير أن يكون في جوف شيء مما خلق.

وهذا أيضًا قياس عقلي من قياس الأولى، قرر به إمكان العلم بدون المخالطة، فذكر أن العبد إذا صنع مصنوعًا، كدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها، مع كونه ليس هو فيها؛ لكونه هو بناها، فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته، ومقاديرها، وصفاتها، وإن لم يكن فيها محايثًا لها؟[(٢)] وهذا من بين الأدلة العقلية.

وهذان القياسان، أحدهما لإحاطته بخلقه؛ إذ الخلق جميعًا في قبضته، وهو محيط بهم وببصره. والثاني لعلمه بهم؛ لأنه هو الخالق كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وهؤلاء الجهمية نفاة الصفات كثيرًا ما يجمعون بين نفي علوه وكونه فوق العالم، وبين الريب في علمه، فإن كثيرًا منهم مستريب في علمه، لا سيما من تفلسف منهم، فتارة يقولون: لا علم له. وتارة يقولون: لا يعلم إلا نفسه. وتارة يقولون: إنما يعلم غيره على وجه كلي. ولهم من الاضطراب في مسألة العلم ما هو نظير اضطرابهم في

---

(١) كما مرَّ في هذا الشرح عند قول المصنف في أول هذه العقيدة: «ولا يقاس بخلقه تعالى».
(٢) أي: ليس مخالطًا لها، والمحايثة في اصطلاح المتكلمين: المخالطة، ولم أجد لها ذكرًا في كتب اللغة.

علوه وفوقيته، وكان ما ذكره الله في كتابه، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من الجمع بين هذين ردًّا لضلال هؤلاء في الأمرين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] وهؤلاء جاحدون، أو مستريبون بأنه فوق العرش، وبأنه معنا أينما كنا. اهـ[١]

إثبات علم الله تعالى في الماضي والمستقبل

❁ **وقال المصنف** رحمه الله[٢]: فأما إثبات علمه، وتقديره للحوادث قبل كونها، ففي القرآن، والحديث، والآثار ما لا يكاد يحصر، بل كل ما أخبر الله به قبل كونه، فقد عَلِمه قبل كونه، وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد أخبر بذلك، والنزاع في هذا مع غلاة القدرية ونحوهم.

وأما المستقبل، فمثل قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦]، وقوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، وقوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١١]، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

❁ **وقال أيضًا**[٣]: والناس المنتسبون إلى الإسلام[٤] في علم الله باعتبار تعلقه بالمستقبل على ثلاثة أقوال:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ١٠٨).

(٢) جامع الرسائل (١/ ١٧٤ ط: محمد رشاد سالم).

(٣) في فصل عن مسألة علم الله طبعت ضمن جامع الرسائل (١/ ١٨٣ ط: محمد رشاد سالم).

(٤) يعني: غير السلف المتقدم ذكر معتقدهم.

• أحدها: أنه يعلم المستقبلات، بعلم قديم لازم لذاته، ولا يتجدد له عند وجود المعلومات نعت ولا صفة، وإنما يتجدد مجرد التعلق بين العلم والمعلوم، وهذا قول طائفة من الصفاتية، من الكلابية والأشعرية ومن وافقهم..

• والقول الثاني: أنه لا يعلم المحدثات إلا بعد حدوثها، وهذا أصل قول القدرية الذين يقولون: لم يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها، وأن الأمر أنف[1] لم يسبق القدر بشقاوة ولا سعادة. وهم غلاة القدرية، الذين حدثوا في زمان ابن عمر، وتبرأ منهم، وقد نص الأئمةُ- كمالكٍ، والشافعيِّ، وأحمدَ- على تكفير قائل هذه المقالة، لكن القدرية صرحوا بنفي العلم السابق والقدر الماضي في أفعال العباد، المأمور بها والمنهي عنها، وما يتعلق بذلك من الشقاوة والسعادة، ثم منهم من اقتصر على نفي العلم بذلك خاصة، وقال: إنه قدر الحوادث وعلمها. إلا هذا لأن الأمر والنهي مع هذا العلم يتناقض عنده، بخلاف ما لا أمر فيه ولا نهي.

ومنهم من قال: ذلك في عموم المقدرات، وقد حُكِي نحوُ هذا القول عن عمرو بن عبيد[2] وأمثاله، وقد قيل: إنه رجع عن ذلك قبل إنكاره لأن تكون ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]، و﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ [المدثر: ١١]، ونحو ذلك في اللوح المحفوظ، وأمثال ذلك[3].

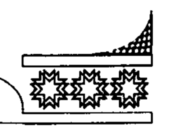
• والقول الثالث: أنه يعلمها قبل حدوثها، ويعلمها بعلم آخر حين وجودها. وهذا قد حكاه المتكلمون -كأبي المعالي- عن جهمٍ، فقالوا: إنه ذهب إلى إثبات علوم حادثة لله تعالى.. إلخ.

---

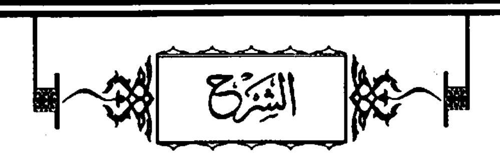
(١) أي: مستأنف، لم يقَدَّر ولم يكتب في اللوح المحفوظ.

(٢) من رؤوس المعتزلة البصريين، صحب واصل بن عطاء، نقلت عنه شناعات، وصنف فيها الدارقطني كتابًا طبع، ت ١٤٤هـ.

(٣) حكي عنه أنه ينكر كتابة هذه الآيات -التي نزلت قبل وقوع حكمها- في اللوح المحفوظ، ويقول: إذا كان الله كتب هذا الكفر عليهم كيف يكلفهم الإيمان.



(وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]).



الشرح

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

❋ **ابن مبارك:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أي: الرزاق لجميع خلقه، ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ وهو القوي المقتدر المبالغ في القوة والقدرة. اهـ

❋ **آل الشيخ:** هذا فيه إثبات هذه الأسماء الثلاثة لله حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل. اهـ

تفسير صفة الرَّزق وأنواعه

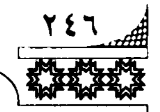
❋ **العثيمين:** الرَّزق[1]: إعطاء المرزوق ما ينفعه، ودليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وهو نوعان:

١- عام، وخاص. فالعام ما يقوم به البدن من طعام وغيره، وهو شامل لكل مخلوق.

٢- والخاص ما يصلح به القلب، من الإيمان، والعلم، والعمل الصالح.

---

(١) الرَّزق بفتح الراء؛ مصدر رزق يرزق رزقًا، والرِّزق بكسر الراء: ما ينتفع به. قاله في القاموس.



الفرق بين القوة والقدرة

والقوة: هي التمكن من الفعل بلا ضعف. والمتين: الشديد القوة.

والفرق بينها وبين القدرة أنها أخص من القدرة من وجه، وأعم من وجه، فهي بالنسبة للقادر ذي الشعور[١] أخص؛ لأنها قدرة وزيادة، وهي بالنسبة لعموم مكانها أعم؛ لأنها يوصف بها ذو الشعور وغيره، فيقال للحديد[٢] مثلًا: قوي ولا يقال له: قادر. اهـ

* **الهراس**: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾، إلخ، تضمنت إثبات اسمه الرزاق، وهو مبالغة من الرزق، ومعناه: الذي يرزق عباده رِزقًا بعد رزق في إكثار وسعة.

وكل ما وصل منه سبحانه من نفع إلى عباده فهو رزقن مباحًا كان أو غير مباح، على معنى أنه قد جعله لهم قوتًا ومعاشًا، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ [ق: ١٠-١١]، وقال: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. إلا أن الشيء إذا كان مأذونا في تناوله، فهو حلال حكمًا، وإلا كان حراما، وجميع ذلك رِزق[٣].

وتعريف الجملة الاسمية، والإتيان فيها بضمير الفصل؛ لإفادة اختصاصه سبحانه بإيصال الرزق إلى عباده.

---

(١) كالإنسان والحيوان.

(٢) ونحوه من الجمادات، كالنحاس، والحجر، والجبال... إلخ.

(٣) وهذا قول أهل السنة والجماعة، خلافًا للمعتزلة، قال الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «مقالات الإسلاميين» (ص / ٢٥٧ - ط: ريتر): وزعمت المعتزلة بأجمعهم أن الله سبحانه لا يرزق الحرام، وقال أهل الإثبات: الأرزاق على ضربين: منها ما ملّكه الله الإنسان، ومنها ما جعله غذاءً له وقوامًا لجسمه، وإن كان حرامًا عليه، فهو رزقه؛ إذ جعله الله سبحانه غذاءً له؛ لأنه قوام لجسمه. اهـ

وروي عن ابن مسعود ﷺ قال: أقرأني رسول الله ﷺ: «إني أنا الرزاق ذو القوة المتين»(١).

وأما قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾. أي: صاحب القوة. فهو بمعنى اسمه القوي، إلا أنه أبلغ في المعنى، فهو يدل على أن قوته سبحانه لا يتناقص فيهن أو يفتر(٢).

وأما ﴿الْمَتِينُ﴾؛ فهو اسم له من المتانة، وقد فسره ابن عباس بـ(الشديد)(٣). اهـ

قال العلامة ابن القيم في «النونية»:

وكـــذلك الـــرزاق مـــن أســـمائه	*	والـــرزق مـــن أفعالـــه نوعـــان
رزق القلـــوب العلـــمَ والإيـــمانَ	*	والـــرزقُ المعـــد لهـــذه الأبـــدان
والثـــانِ ســـوقُ القـــوتِ للأعـــضاء	*	تلـــك المجـــاري ســـوقها بـــوزان
رزق عـــلى يـــد عبـــده ورســـوله	*	نوعـــان أيـــضًا ذان معروفـــان
هـــذا هـــو الـــرزق الحـــلال وربنـــا	*	رزاقـــه والفـــضل للمنـــان
هـــذا يكـــون مـــن الحـــلال كـــما يكـــو	*	ن مـــن الحـــرام كلاهمـــا رزقـــان
والله رازقـــه بهـــذا الاعتبـــا	*	ر ولـــيس بـــالإطلاق دون بيـــان

(١) أخرجه أحمد (٣٧٤١، ٣٧٧١)، وأبو داود الطيالسي (٣١٧)، وأبو داود السجستاني (٣٩٩٥) والترمذي (٢٩٤٠)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٠٧، ١١٥٢٧)، وأبو يعلى الموصلي (٥٣٣٣)، والبزار (١٨٩٧)، والشاشي (٤٦٤، ٤٦٥)، والبيهقي في «الأسماء» (٢٥١)، وصححه ابن حبان (٦٣٢٩)، والحاكم (٢/ ٢٣٤)، قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الشيخ الألباني.

(٢) هكذا بالأصل، قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه عليه: والصواب أن يقال: «لا نقص فيها ولا فتور» اهـ.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣٢٢٧٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦، ١١٤، ٢٥١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (١٣/ ٦٩٠).

أقوال الناس في شمول قدرة الله تعالى

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير، كما نطق بذلك القرآن في مواضع كثيرة جدًّا، والمقصود هنا الكلام بين أهل الملل الذين يصدقون الرسل، فنقول: هنا مسائل:

- المسألة الأولى: قد أخبر الله أنه على كل شيء قدير، والناس في هذا على ثلاثة أقوال:

١- طائفة تقول هذا عامٌّ، يدخل فيه الممتنعُ لذاته، من الجمع بين الضدين، وكذلك يدخل في المقدور، كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم[2].

٢- وطائفة تقول: هذا عام مخصوص، يخص منه الممتنع لذاته؛ فإنه وإن كان شيئًا، فإنه لا يدخل في المقدور، كما ذكر ذلك ابن عطية وغيره.

وكلا القولين خطأ، والصواب هو:

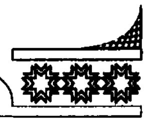
٣- القول الثالث، الذي عليه عامة النظار، وهو أن الممتنع لذاته ليس شيئًا ألبتة، وإن كانوا متنازعين في المعدوم، فإن الممتنع لذاته لا يمكن تحققه في الخارج[3]، ولا يتصوره الذهن ثابتًا في الخارج؛ ولكن يقدر اجتماعهما في الذهن، ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع في الخارج؛ إذ كان يمتنع تحققه في الأعيان وتصوره في الأذهان، إلا على وجه التمثيل: بأن يقال: قد تجتمع الحركة والسكون في الشيء، فهل يمكن في الخارج أن يجتمع السواد والبياض في محل واحد، كما

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٧).

(٢) انظر: «الفِصَل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ١٩٢).

(٣) أي، خارج الأذهان، وهو الواقع حقيقةً لا خيالًا.



تجتمع الحركة والسكون؟ فيقال: هذا غير ممكن، فيقدر اجتماع نظير الممكن ثم يحكم بامتناعه، وأما نفس اجتماع البياض والسواد في محل واحد، فلا يمكن ولا يعقل[(١)]، فليس بشيء لا في الأعيان ولا في الأذهان، فلم يدخل في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

- المسألة الثانية: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج عند الجمهور، وهو الصواب[(٢)]. وقد يطلقون أن الشيء هو الموجود، فيقال: على هذا فيلزم ألا يكون قادرًا إلا على موجود، وما لم يخلقه لا يكون قادرًا عليه. وهذا قول بعض أهل البدع، قالوا: لا يكون قادرًا إلا على ما أراده، دون ما لم يرده، ويحكى هذا عن تلميذ النظام[(٣)].

والذين قالوا: إن الشيء هو الموجود من نظار المثبتة، كالأشعري، ومن وافقه من أتباع الأئمة، كالقاضي أبي يعلى[(٤)]، وابن الزاغوني[(٥)]، وغيرهما. يقولون: إنه قادر على الموجود.

---

(١) قال ابن حزم في «الفِصل في الملل» (٤/ ٢٠٣) في تعداد شناعات المعتزلة: قال النظام: الألوان جسم، وقد يكون جسمان في مكان واحد... وكان يزعم أنه لا سكون في شيء من العالم أصلًا، وأنّ كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلا شك. وكان معمر يزعم أنه لا حركة في شيء من العالم، وأن كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون. اهـ

(٢) خلافًا لجمهور المعتزلة القائلين بأن المعدوم شيء. انظر «الفِصَل» لابن حزم (٥/ ٤٢).

(٣) النظام هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام، من رؤوس المعتزلة، وله أتباع.

(٤) القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء البغدادي الحنبلي، شيخ المذهب بعد ابن حامد، صاحب التصانيف الكثيرة في أنواع الفنون. ت سنة ٤٥٨هـ.

(٥) الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغواني البغدادي الحنبلي، له مصنفات كثيرة في الفقه، والأصول، والتاريخ. ت سنة ٥٢٧هـ. انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (١/ ٢١٦)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٨٠)، و«الأعلام» (٤/ ٣١٠).

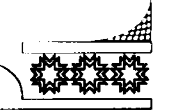
فيقال: إن هؤلاء أثبتوا ما لم تثبته الآية، فالآية أثبتت قدرته على الموجود، وهؤلاء قالوا: هو قادر على الموجود والمعدوم.

والتحقيق: أن الشيء اسم لما يوجد في الأعيان، ولما يتصور في الأذهان، فما قدَّره الله وعَلِمَ أنه سيكون، هو شيء في التقدير والعلم والكتاب، وإن لم يكن شيئًا في الخارج، ومنه قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ولفظ الشيء في الآية يتناول هذا وهذا، فهو على كلِّ شيءٍ مَا وجد، وكلِّ ما تصوره الذهن موجودًا -إن تصور أن يكون موجودًا- قديرٌ، لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزاد عليه شيء كما قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]، وقال: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٦٥]، وقد ثبت في «الصحيحين»: أنها لما نزلت قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» فلما نزل: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ الآية قال: «هاتان أهون»[(١)]، فهو قادر على الأولتين وإن لم يفعلها. وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨]. قال المفسرون: لقادرون على أن نذهب به، حتى تموتوا عطشًا، وتهلك مواشيكم، وتخرب أراضيكم. ومعلوم أنه لم يذهب به، وهذا كقوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨-٨٢]، وهذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله، فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجًا، وهو لم يفعله، ومثل هذا: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فإنه أخبر في غير موضعٍ، أنه لو شاء لفعل أشياء، وهو لم يفعلها، فلو لم يكن قادرًا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦) عن جابر بن عبد الله، وهو من أفراد البخاري عن مسلم.



- المسألة الثالثة: أنه على كل شيء قدير، فيدخل في ذلك أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأكثر المعتزلة يقولون: إن أفعال العبد غير مقدورة[1].

- المسألة الرابعة: أنه يدخل في ذلك أفعال نفسه ﷻ، وقد نطقت النصوص بهذا، وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]، ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة: ٤٠]، ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٤]، ونظائره كثيرة، والقدرة على الأعيان جاءت في مثل قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ [المؤمنون: ١٢]، ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٥]، وجاءت منصوصًا عليها في الكتاب والسنة... وكذلك قول الموصي لأهله: «لئن قدر الله علي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. فلما حرقوه أعاده الله تعالى وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب. فغفر له»[2]، وهو كان مخطئًا في قوله: لئن قدر الله علي ليعذبني. كما يدل عليه الحديث، وإنَّ الله قدِر عليه، لكن لخشيته وإيمانه غفر الله له هذا الجهل والخطأ الذي وقع منه... إلخ.



قاعدة النفي والإثبات في أدلة الصفات

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ لأنَّه الفرد الصمد الذي لا نظير له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

---

(١) انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص/ ٢٢٧-٢٢٨) ط: ريتر.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٦)، ومسلم (٧٦٥٦) عن أبي هريرة ﷺ.

ففي قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردٌّ للتشبيه، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردٌّ للتعطيل، فتضَمَّنَت الآية إثباتًا لصفات الكمال لله تعالى، ونفيَ التشبيهِ عنه تباركَ وتعالى. اهـ

* **آل الشيخ**: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا فيه نفي مماثلة الخلق لله ﷻ، فتقرر بذلك أصل عظيم، وهو عدم مشابهته لخلقه. ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا فيه إثبات هذين الاسمين.

وفي هذه الآية بيان أن النفي إجمال، والإثبات تفصيل، نفي مجمل، وإثبات مفصل.

وفيه الرد على الطائفتين: أهل الجحد والتحريف والتعطيل، وأهل التشبيه والتمثيل، فإن طائفتي المبتدعة تقاسموا هذه الآية نصفين، وأهل السنة أثبتوا الصفات على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. اهـ

* **الهراس**: قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. دل إثبات صفتي السمع والبصر له سبحانه بعد نفي المثل عنه، على أنه ليس المراد من نفي المثل نفي الصفات، كما يدعي ذلك المعطلة، ويحتجون به باطلًا، بل المراد إثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك، أو معبود يستحق العبادة والتعظيم، كما يفعله المشبهون والمشركون، ولم يقصد به نفي صفات كماله، وعلوه على خلقه، وتكلمه بكتبه، وتكلمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما ترى الشمس والقمر في الصحو[1].

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ٢٣١-٢٣٢)، ط الفقي.

معنى السميع والبصير

ومعنى السميع: المدرك لجميع الأصوات مهما خفتت، فهو يسمع السر والنجوى بسمع هو صفة لا يماثل أسماع خلقه.

ومعنى البصير: المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان، مهما لطفت، أو بعدت، فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار، وهو من فعيل بمعنى مفعل، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذي يليق به. اهـ

السمع والبصر

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

* **ابن مبارك**: أوَّلُ الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ أي: نعم الشيء الذي يعظكم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: سميعًا لأقوالكم بصيرًا بأفعالكم. وعن أبي هريرة ﷺ أنَّه قرأ هذه الآية، ويضع إبهامه على إذنه والتي تليها على عينه، ويقول: «هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه» رواه أبو داود وغيره[1]. ومعنى ذلك إثبات السمع والبصر حقيقةً، لا

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٠)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٣٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٨١)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٦و٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٦٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦٥)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٨٨) وقال: وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه. اهـ

قلت: حديث أبي هريرة المذكور صح من عدة طرق منها عند أبي داود والبيهقي من حديث عبد الله بن يزيد المقرىء، ثنا حرملة -يعني: ابن عمران- حدثني أبو يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، قال رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة: رأيت

=

تشبيه السمع بالسمع، والبصر بالبصر، فكما أنَّ ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. اهـ

❋ **الهراس**: ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على بعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ؛ فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها. اهـ

❋ **آل الشيخ**: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ هذه الآية فيها إثبات الاسمين، وإثبات صفتين، وهما مدلول هذين الاسمين على ما يليق بجلال الله وعظمته، ولما نزلت هذه الآية جعل ﷺ إصبعيه في أذنيه، بيانًا منه أنه سَمْعٌ حقيقةً، وبَصَرٌ حقيقةً. اهـ

❋ قال العلامة ابن القيم رحمه الله: لما قرأ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] وضع إبهامه على أذنه وعينه؛ رفعًا لتوهم متوهم أن السمع والبصر غير العينين المعلومتين، وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة، كما في الحديث الصحيح أنه قال: «**يقبض الله سمواته بيده والأرض بيده الأخرى**» ثم جعل رسول الله ﷺ يقبض يده ويبسطها[(١)]؛ تحقيقا لإثبات اليد وإثبات صفة القبض.

=

رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع إصبعيه، قال ابن يونس. قال المقري: يعني: أن الله سميع بصير. يعني: أن لله سمعًا وبصرًا. قال أبو داود: وهذا رد على الجهمية. اهـ وقال البيهقي: والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله ﷻ بالسمع والبصر، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى، كما يقال: قبض فلان على مال فلان، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله، وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر، لا على معنى أنه عليم؛ إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب، لأنه محل العلوم منا، وليس في الخبر إثبات الجارحة، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيرًا. اهـ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٨)، وابن ماجة (١٩٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص/ ٧٢ ط: الهراس)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤٦-٥٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٤٢٧ ط: الكتب العلمية) من حديث ابن عمر.

ومن هذا إشارته إلى السماء حين استشهد ربه تبارك وتعالى على الصحابة أنه بلغهم[١]؛ تحقيقًا لإثبات صفة العلو، وأن الرب الذي استشهده فوق العالم مستو على عرشه. اهـ[٢]

* **وقال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد دل الكتاب، والسنة، واتفاق سلف الامة، ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم، وسمع نجواهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١]. أي: تشتكي إليه وهو يسمع التحاور، والتحاور تراجع الكلام بينها وبين الرسول ﷺ قالت عائشة: سبحان الذي وسع سمعُه الأصوات، لقد كانت المجادلة تشتكي إلى النبي ﷺ في جانب البيت، وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها، فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[٣] [المجادلة: ١] وكما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. اهـ[٤]

مدلولات لفظ السمع

* **وقال المصنف أيضًا**: لفظ السمع يراد به إدراك الصوت، ويراد به معرفة المعنى مع ذلك، ويراد به القبول والاستجابة مع الفهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) في حديث جابر رضي الله عنه في خطبة النبي عليه السلام بعرفة في حجة الوداع.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص/ ٦٧-ط: سيد إبراهيم)، و«الصواعق المرسلة» (١/ ٣٩٧ - ط العاصمة).

(٣) أخرجه النسائي (٣٤٦٠)، وفي «الكبرى» (١١٥٧٠)، وابن ماجة (١٨٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب من مسنده» (١٥١٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٣٨٢)، وعلّقه البخاري جازمًا في كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، وصححه الألباني، في «صحيح سنن ابن ماجة» (١٥٥).

(٤) الرد على المنطقيين (ص/ ٤٦٥).

خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٣] ثم قال: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ على هذه الحال التي هم عليها لم يقبلوا الحق، ثم ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾، فذمهم بأنهم لا يفهمون القرآن، ولو فهموه لم يعملوا به. اهـ[1]

❁ **وقال**: والرب سبحانه لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، بل هو سبحانه يكلم العباد يوم القيامة، ويحاسبهم، لا يشغله هذا عن هذا. قيل لابن عباس: كيف يكلمهم يوم القيامة كلهم في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة، وقد قال ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر**»[2]. والله سبحانه في الدنيا يسمع دعاء الداعين ويجيب السائلين، مع اختلاف اللغات وفنون الحاجات. والواحد منا قد يكون له قوة سمع يسمع كلام عدد كثير من المتكلمين، كما أن بعض المقرئين يسمع قراءة عدة، لكن لا يكون إلا عددًا قليلًا قريبًا منه، والواحد منا يجد في نفسه قربا، ودنوًّا، وميلا إلى بعض الناس الحاضرين والغائبين دون بعض، ويجد تفاوت ذلك الدنو والقرب. والرب تعالى واسع عليم، وسع سمعه الأصوات كلها، وعطاؤه الحاجات كلها. اهـ[3]

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ١٠٢-ط: المدخلي)، و«مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٤٣)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٨)، والطبراني في «الكبير» (ج٩/ ص١٨٢/ ح٨٨٩٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٦٠)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٢٠) من طرق عن عبدالله بن عكيم، عن عبد الله بن مسعود موقوفًا عليه، قال: والله ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، يقول: يا ابن آدم، ما غرك؟ ابن آدم ما غرك؟ ابن آدم، ما عملت فيما علمت؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟

وقد صح عن النبي ﷺ من حديث عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان...» الحديث أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٦).

السمع نوعان

* **وقال أيضًا**[١]: ولهذا أمر المصلي أن يقول: سمع الله لمن حمده. أي: استجاب الله دعاء من حمده. فالسماع هنا بمعنى الإجابة والقبول، كقوله ﷺ: «**أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع**»[٢] أي: لا يستجاب. ومنه قول الخليل في آخر دعائه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، وقوله: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ [المائدة: ٤١]، أي: يقبلون الكذب، ويقبلون من قوم آخرين لم يأتوك. أي: لم يأتك أولئك الأقوام. اهـ

* **وقال أيضًا**[٣]: وأما قول إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ فالمراد بالسمع هاهنا السمع الخاص، وهو سمع الإجابة والقبول، لا السمع العام؛ لأنه سميع لكل مسموع، وإذا كان كذلك فالدعاء: دعاء العبادة، ودعاء الطلب. وسمع الرب تعالى له: إثابته على الثناء، وإجابته للطلب، فهو سميع هذا وهذا. اهـ



---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢/ ١٠٠-ط: المدخلي)، و«مجموع الفتاوى» (١/ ٢٠٧).

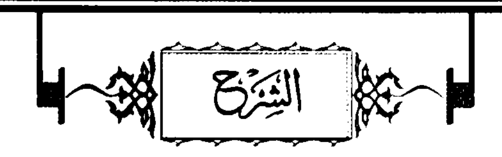
(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) عن زيد بن أرقم ﷺ مرفوعًا، وأبو داود (١٥٤٨)، والنسائي (٥٥٣٦) عن أبي هريرة ﷺ، والترمذي (٣٤٨٢) عن عبد الله بن عمرو ﷺ، وقال: حسن صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٤).



إثبات صفتي المشيئة والإرادة لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].



الشرح

❁ **الهراس**: هذه الآيات دلت على إثبات صفتي الإرادة والمشيئة، والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة، قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية، هذا من قول الله حكاية عن الرجل المؤمن لزميله الكافر صاحب الجنتين، يعظه به أن يشكر نعمة الله عليه، ويردها إلى مشيئة الله، ويبرأ من حوله وقوته؛ فإنه لا قوة إلا بالله. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قَوْلُهُ: ﴿قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]. أي: هي بمشيئة الله، إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيها إثبات صفة المشيئة لله ﷻ التي تكون بها الأشياء، كما أنها لا تكون إلا بالقدرة والعلم. اهـ



قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

❁ **ابن مبارك**: وأول الآية قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]. أي: كل ذلك عن قضاء الله وقدره، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيوفق من يشاء فضلًا، ويخذل من يشاء عدلًا. اهـ

❁ **الهراس**: وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾.. الآية. إخبار عما وقع بين أتباع الرسل من بعدهم، من التنازع، والتعادي بغيا بينهم وحسدًا، وأن ذلك إنما كان بمشيئة الله ﷻ، ولو شاء عدم حصوله ما حصل، ولكنه شاءه فوقع. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات المشيئة والإرادة. اهـ

قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

❁ **ابن مبارك**: أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام كلها إلَّا ما كان منها وحشيًّا، فإنَّه صيد لا يحل لكم في حال الإحرام، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي: هو الحكيم في جميع ما يأمر به وينهى عنه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الإرادة. اهـ

❁ **العثيمين**: حكم الله نوعان: كوني وشرعي.

١- فالكوني ما يقضي به الله تقديرًا وخلْقًا، ودليله قوله تعالى عن أحد إخوة يوسف: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ [يوسف: ٨٠].

٢- والشرعي ما يقضي به الله شرعًا، ودليله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠] اهـ.

قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

* **الهراس**: الآية تدل على أن كلًّا من الهداية والضلال بخلق الله ﷻ، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾أي: إلهامه وتوفيقه ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، بأن يقذف في قلبه نورًا، فيتسع له، وينبسط، كما ورد في الحديث(١)، ومن يرد إضلاله وخذلانه يجعل صدره في غاية الضيق والحرج، فلا ينفذ إليه نور الإيمان، وشبَّه ذلك بمن يصعد في السماء. اهـ

* **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾. أي: يفتح قلبه، وينوره حتى يقبل الإسلام ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾. أي: لا يتسع لشيء من الهدى، ولا يخْلُصُ إليه ما ينفعه من الإيمان، وليس للخير فيه منفذٌ، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يشُقُّ عليه الإيمانُ، كما يشقُّ عليه صعود السماء ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. اهـ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢١، ٢٢٢)، وابن جرير (١٣٨٦٢)، والحاكم (٤/ ٣١١)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٣١)، والبيهقي في «الشعب» و«الزهد»، وابن مردويه وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٧) من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال حين نزلت هذه الآية: ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قال: «إذا أدخل الله النور القلب انشرح وانفسح» قالوا: فهل لذلك أمارة يعرف بها؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت». وإسناده ضعيف، وله شواهد مرسلة أوردها ابن كثير في «تفسيره»، والسيوطي في «الدر المنثور»، وقال ابن كثير: فهذه طرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا. اهـ وخالفه في ذلك الشيخ الألباني فأورد الحديث في «السلسلة الضعيفة» (٩٦٥)، وبيّن أن طرقه كلها واهية لا تصلح للاعتضاد بها. والله أعلم.

الفرق بين المشيئة والإرادة

* **قال الشيخ**: فيه إثبات صفة الإرادة لله ﷻ، وكذلك بقية الآيات التي فيها إثبات صفة الإرادة.

وورد في النصوص إرادة ومشيئة، وصرّح من صرح بترادفهما، ولم يفطن للتفصيل(١)، ولكن أولى ما يكون أن الإرادة إرادتان: كونية قدرية، وشرعية دينية.

وأما المشيئة فلم ترد في النصوص إلا كونية قدرية، فلا تنقسم.

والشرعية الدينية تستلزم محبته ورضاه ﷻ، بخلاف الكونية القدرية.

فالإرادة في النصوص على قسمين: كونية قدرية، وهذه موافقة للمشيئة، وإرادة شرعية دينية. فأراد الله من العباد شرعًا عبادته، والعباد انقسموا إلى قسمين: قسم أطاعوا، فاجتمع فيهم الإرادتان، فالكونية شرطُ وجود الفعل.

وقسم عصوا، فانفردت الكونية فيهم، ولا حظ لهم في الشرعية، وليست الكونية حجة لأحد.

إذا عرفنا ذلك فالإرادتان بينهما عموم وخصوص، يجتمعان في المطيع، ويفترقان في العاصي، فالمطيع أطاع الله فيما أراده الله منه شرعًا ودينًا، وتبع الإرادة الكونية القدرية، وانفردت الكونية القدرية في حق العاصي.

---

(١) لعله يقصد الشيخ أبا جعفر الطحاوي، حيث قال في «عقيدته» المشهورة، عن الله تعالى: «ولا يكون إلا ما يريد». اهـ ولذلك نبه عليه شارحها الشيخ ابن أبي العز في «شرحه» (ص/ ١١٤ - ط المكتب الإسلامي): فقال: والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات.. إلخ. وانظر (ص/ ٤٤٧) من شرح الطحاوية.

فالكفار أبوا عمّا أراد الله منهم شرعًا، فلا تنالهم الإرادة الشرعية، ولا لهم فيها نصيب، لحكمة الله وعدم صلاحيتهم لشيء من ذلك، هم خارجون عن إرادة الله الشرعية الدينية، وهي ما أراده على ألسن رسله من عبادته وحده. اهـ

* **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة إثبات مشيئة الرب العامة، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لا يكون، كما أن من أصولهم الثابتة إثبات صفة الإرادة وهي قسمان:

١- إرادة كونية قدرية كالمشيئة، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء كالمشيئة، فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء، فالطاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال كلها بمشيئة الرب وإرادته الكونية.

وقد ذكر سبحانه هذه الإرادة في قوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

٢- القسم الثاني من الإرادة: الإرادة الشرعية الدينية، وتتضمن محبة الرب للمراد، ورضاه به، وهذه الإرادة لا يلزم وجود مرادها، بل قد يوجد وقد لا يوجد، فالله سبحانه قد أراد من عباده شرعًا أن يعبدوه ويطيعوه، فمنهم من عبده وأطاعه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

وبهذا يعلم أن الإرادتين تجتمعان في حق المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي؛ لأن الله لم يرد منه المعصية شرعًا، بل قد نهاه عنها، وقد ذكر الله هذه الإرادة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن عرف الفرق بين هاتين الإرادتين سلم من شبهات كثيرة زلت فيها أقدام، وضلت فيها أفهام. اهـ

* **السعدي**: ومن الأصول الثابتة في الكتاب والسنة المتفق عليها بين السلف: التفريق بين مشيئة الله وإرادته وبين محبته، فمشيئة الله وإرادته الكونية تتعلق بكل موجود محبوب لله وغير محبوب، كما ذكر في هذه الآيات أن الله ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، و﴿مَا يَشَآءُ﴾، و﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وأما محبته فإنها تتعلق بما يحبه خاصةً، من الأشخاص والأعمال، كما ذكر في هذه الآيات تقييدها بأنه ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، و﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾، و﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، ونحوها.

فمشيئته عامة للكائنات، ومحبته خاصة ومتعلقة بالمحبوبات.

ويتفرع عن هذا أصل آخر وهو:

التفريق بين الإرادة الكونية؛ فإنها تطابق المشيئة وبين الإرادة الدينية؛ فإنها تطابق المحبة.

فالأول مثل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] ونحوها.

والثاني نحو: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

ومع ذلك فجميع ذلك -خاصه وعامه- يثبته أهل السنة والجماعة على الوجه الذي قاله الله وقاله رسوله ﷺ. اهـ

* **العثيمين**: مشيئة الله هي إرادته الكونية، وهي عامة لكل شيء، من أفعاله وأفعال عباده، والدليل قوله تعالى في أفعال الله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]، والدليل في أفعال العباد قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وإرادة الله صفة من صفاته، وتنقسم إلى قسمين: كونية وهي التي بمعنى المشيئة، وشرعية وهي التي بمعنى المحبة، فدليل الكونية قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ودليل الشرعية قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية

الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية: أن الكونية لابد فيها من وقوع المراد، وقد يكون المراد فيها محبوبًا لله وقد يكون غير محبوب، وأما الشرعية فلا يلزم فيها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوبًا لله. اهـ

مذاهب الناس في الإرادة والمشيئة

* **الهراس**: الأشاعرة يثبتون إرادة واحدة قديمة تعلقت في الأزل بكل المرادات، فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة.

وأما المعتزلة، فعلى مذهبهم في نفي الصفات، لا يثبتون صفة الإرادة، ويقولون: إنه يريد بإرادة حادثة لا في محل، فيلزمهم قيام الصفة بنفسها، وهو من أبطل الباطل(١).

وأما أهل الحق فيقولون: إن الإرادة على نوعين:

١- إرادة كونية ترادفها المشيئة، وهما تتعلقان بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئا وشاءه كان عقب إرادته له؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وفي الحديث الصحيح: «**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**»(٢).

---

(١) لم يذكر رحمه الله حقيقة مذهب المعتزلة في الإرادة، بل ذكر لازمه؛ لأنهم مضطربون ومختلفون في ذلك على خمسة أقوال كلها باطلة، ذكرها عنهم ربيبهم الخبير بمذهبهم في أول أمره الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في «مقالات الإسلاميين» (ص/ ١٨٩ - ط: ريتر).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٥) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» من «الكبرى» (٩٨٤٠) من طريق عبد الحميد، مولى بني هاشم رحمه الله عن أمه، وكانت تخدم بعض بنات رسول الله ﷺ أن بنت النبي ﷺ أخبرتها: أن رسول الله ﷺ قال لها: «**قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده، ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، فإنهن من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح**». وسنده ضعيف، عبد الحميد وأمه، مجهولان.

٢- وإرادة شرعية تتعلق بها يأمر الله به عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ولا تلازم بين الإرادتين، بل قد تتعلق كل منهما بما لا تتعلق به الأخرى، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعًا كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معًا في مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع[١]، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي[٢]، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي[٣]. اهـ

أقسام الإرادة ومتعلقاتها

* **قال المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: وإرادته جَلَّ جَلَالُهُ قسمان: إرادة أمر وتشريع، وإرادة قضاء وتقدير.

فالقسم الأول: إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي، سواء وقعت أو لم تقع، كما في قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

---

(١) أي: أرادها الله إرادة شرعية، بمعنى المحبة والرضا، وشاءها وأرادها إرادة كونية، فوجدت كما شاء وأحب.

(٢) أي: شاءها وأرادها إرادة كونية ولم يردها إرادة شرعية بمعنى المحبة والرضا، فوجدت على مقتضى إرادته الكونية التي بمعنى المشيئة، لا الإرادة الشرعية التي بمعنى المحبة والرضا.

(٣) فإن الله أراد للكافر أن يؤمن، وللعاصي أن يطيع إرادة شرعية بمعنى المحبة والرضا، لكنه لم يردها إرادة كونية بمعنى المشية؛ فلذلك لم يوجد الإيمان من الكافر، ولا الطاعة من العاصي.

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٧).

وأما القسم الثاني: وهو إرادة التقدير، فهي شاملة لجميع الكائنات، محيطة بجميع الحادثات، وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى، لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وفي قوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [هود: ٣٤]، وفي قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ونظائره كثيرة.

وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي، دون ما لم يحدث، كما أن الأولى تتناول الطاعات، حدثت أو لم تحدث، والسعيد من أراد منه تقديرًا ما أراد به تشريعًا، والعبد الشقي من أراد به تقديرًا ما لم يرد به تشريعًا، والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين، فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرًا ومن نظر إلى القدر دون الشرع، أو الشرع دون القدر كان أعور... إلخ[١]

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تتمة مباحث الإرادة والمشيئة عند الكلام على القدر.

إثبات صفات المحبة والود لله تعالى

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].



الشرح

صفة المحبة

❁ **الهراس**: تضمنت هذه الآيات إثبات أفعال له تعالى، ناشئةٍ عن صفة المحبة، ومحبةُ الله ﷻ لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به، وهي من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته، فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة.

وينفي الأشاعرة والمعتزلة صفة المحبة؛ بدعوى أنها توهم نقصًا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه.

فأما الأشاعرة، فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته.

وكذلك يقولون في صفات الرضا، والغضب، والكراهية، والسخط، كلها عندهم بمعنى إرادة الثواب والعقاب.

وأما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به، فيفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

وأما أهل الحق، فيثبتون المحبة صفة حقيقية لله ﷻ، على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصًا، ولا تشبيهًا، كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته.

وليت شعري بماذا يجيب النافون للمحبة عن مثل قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: **«إن الله إذا أحب عبدًا قال لجبريل ﵇: إني أحب فلانًا فأحبَّه -قال:- فيقول جبريل ﵇ لأهل السماء: إن ربكم ﷻ يحب فلانًا فأحبوه -قال:- فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغضه فمثيل ذلك»**، رواه الشيخان[1]. اهـ

❁ **ابن باز**: هذه الآيات التي فيها صفة المحبة في آيات كثيرة، قد وصف الله نفسه فيها بالمحبة، بأنه يُحِب، ويُحَب، ﴿ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، و﴿ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، و﴿يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾، وهو أيضًا غفور ودود، والودود معناه: الحبيب المحبوب.. كل هذه صفات حقٌّ.. كلها يوصف بها جلّ وعلا، كسائر الصفات على الوجه اللائق بالله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فليست محبته كمحبة المخلوقين. اهـ



(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧).

قوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

* **ابن مبارك:** الإحسان: هو أعلى مقامات الطاعة، قال ابن جرير: يعني: جلَّ ثناؤه بقوله ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾: أحسنوا أيها المؤمنون في أداء ما ألزمتكم من فرائضي، وتجنب ما أمرتكم بتجنبه من معاصٍ، ومن الإنفاق في سبيلي، وعَـودِ القوي منكم على الضعيف ذي الخلة، فإنِّي أحب المحسنين في ذلك. اهـ

* **الهراس:** قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾ أمر بالإحسان العام في كل شيء، لا سيما في النفقة المأمور بها قبل ذلك، والإحسان فيها يكون بالبذل وعدم الإمساك، أو بالتوسط بين التقتير والتبذير، وهو القوام الذي أمر الله به في سورة الفرقان[(١)]. روى مسلم في «صحيحه»[(٢)] عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**».

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فهو تعليل للأمر بالإحسان، فإنهم إذا علموا أن الإحسان موجب لمحبته سارعوا إلى امتثال الأمر به. اهـ

* **آل الشيخ:** هذه الآية فيها إثبات صفة المحبة، وأن الله يحب أهل طاعته محبة تليق بجلاله وعظمته. اهـ



---

(١) يعني: قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

(٢) في «صحيح مسلم» (١٩٥٥).

قوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

❁ **آل الشيخ**: هذه مثل التي قبلها فيها إثبات صفة المحبة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ﴾ أي: اعدلوا في الحكم في الفئتين المتقاتلتين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، وفي الحديث عن النبي ﷺ: **«إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»** رواه مسلم[١]. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله في الآية الثانية: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ﴾. فهو أمر بالإقساط، وهو العدل في الحكم بين الطائفتين المتنازعتين من المؤمنين، وهو من قسط: إذا جار[٢]. فالهمزة فيه للسلب، ومن أسمائه تعالى: المقسط.

وفي الآية الحث على العدل وفضله، وأنه سبب لمحبة الله ﷻ. اهـ

قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

❁ **ابن مبارك**: أي: متى استقاموا على العهد فاستقيموا لهم. اهـ

❁ **الهراس**: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ﴾ فمعناه: إذا كان بينكم وبين أحد عهد، كهؤلاء الذين عاهدتموهم عند المسجد الحرام، فاستقيموا لهم على عهدهم مدة استقامتهم لكم، فـ«ما» هنا مصدرية ظرفية. ثم علل ذلك الأمر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. أي: يحب الذين يتقون الله في كل شيء، ومنه عدم نقض العهود. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه مثل التي قبلها فيها إثبات صفة المحبة. اهـ

---

(١) في «صحيحه» (١٨٢٧).

(٢) قال مكي بن أبي طالب القرطبي في تفسيره «الهداية إلى بلوغ النهاية»: يقال: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط: إذا عدل. اهـ وقال الرازي في «تفسيره» (٢٨/ ١٠٦): الإقساط: إزالة القسط، وهو الجور، والقاسط هو الجائر. اهـ

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة المحبة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن كثير: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ أي: من الذنب، وإن تكرر غشيانه. ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى، وهو ما نهى عنه من إتيان الحائض، أو في غير المأتى. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ إلخ. إخبار من الله ﷻ عن محبته لهذين الصنفين من عباده.

أما الأول: فهم التوابون. أي: الذين يكثرون التوبة والرجوع إلى الله ﷻ بالاستغفار مما أَلَـمُّوا به، على ما تقتضيه صيغة المبالغة، فهم بكثرة التوبة قد تطهروا من الأقذار والنجاسات المعنوية التي هي الذنوب والمعاصي.

وأما الثاني: فهم المتطهرون، الذين يبالغون في التطهر، وهو التنظيف بالوضوء، أو بالغسل من الأحداث والنجاسات الحسية.

وقيل: المراد بالمتطهرين هنا: الذين يتنزهون من إتيان النساء في زمن الحيض، أو في أدبارهن، والحملُ على العموم أولى. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن كثير: أي: يحصلُ لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إيَّاه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء والحكماء: «ليس الشأن أن تُحِبَّ، إنما الشأن أن تُحَبَّ».

ثم قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنَّه كاذبٌ في نفس الأمر.

قال الحسن البصري: زعم قومٌ أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية[١]. اهـ

❁ **الهراس**: في هذه الآية قد شرط الله لمحبته اتباع نبيه ﷺ، فلا ينال تلك المحبة إلا من أحسن الاتباع والاستمساك بهديه ﷺ. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها زيادة أنه يُحَبُّ ﷻ، ففيها إثبات المحبة من الجانبين. اهـ



وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾.

❁ **آل الشيخ**: وهذه كالتي قبلها في أنه يُحِبُّ ويُحَبُّ. اهـ

❁ **ابن مبارك**: فيه إثبات صفة محبة الله تعالى لعباده، على ما يليق بجلاله، قال الحسن: علم الله تبارك وتعالى أن قومًا يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبر أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه. اهـ

❁ **العثيمين**: محبة الله صفة من صفاته الفعلية، ودليلها قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾.

ولا يجوز تفسير المحبة بالثواب؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل. اهـ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٠٢) وابن جرير (٦٨٤٨) عن الحسن، قال: إن أقوامًا كانوا على عهد رسول الله ﷺ يزعمون أنهم يحبون الله، فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل، فقال: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، كان اتباعُ محمدٍ ﷺ تصديقًا لقولهم.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.

❁ آل الشيخ: فيها إثبات صفة المحبة. اهـ

❁ ابن مبارك: روى أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفُّوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال»**[1] اهـ.

❁ آل الشيخ: وقَصْدُ المصنفِ من إيراد هذه الآيات كلِّها إثبات صفة المحبة، وأن الله جل وعلا يحب حقيقةً، محبة تليق بجلاله وعظمته، لا كمحبة المخلوقين، يحب رسله وعباده الموصوفين بهذه الصفات، وفيها زيادةٌ أنهم يحبونه محبة تديُّنٍ، وتذلل، وتعبد، ومحبته لهم محبة إحسان، وتفضل.

وفيها الرد على الجهمية، فإنهم ينفون أن يُحِب أو يُحَب، فأهل التجهم ينفون المحبة من الجانبين، كما أنكروا الخُلة، وهذا من ضلالهم وجهلهم، قالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين اثنين، بينهما نوع من المناسبة، كمناسبة محبة المخلوقين بعضهم لبعض، ففروا منها إلى النفي، نعم محبة الله لا مناسبة بينها وبين محبة المخلوقين، محبة تليق بجلال الله وعظمته، من غير تمثيل، لا يعلم كنهها ولا كيفيتها إلا هو تبارك وتعالى، فإنه أعلم بنفسه، وقد أعلمنا أنه يُحِب ويُحَب، فنحن نؤمن بالله، وبما جاء عن الله على مراد الله.

وكل ما جاء في القرآن، أو الحديث الثابت، فخذ معك أصلًا أنه على ما يليق بجلال الله. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١٧٦١)، وأبو يعلى (١٠٠٤)، وفي سنده ضعف فيه مجالد بن سعيد أبو عمرو الكوفي ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره.



دلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف على أنَّ الله تعالى يُحِبُّ ويُحَبُّ

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: الذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وجميع مشايخ الطريق، أن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ؛ ولهذا وافقهم على ذلك من تصوف من أهل الكلام، كأبي القاسم القشيري، وأبي حامد الغزالي، وأمثالهما، ونَصَر ذلك أبو حامد في «الإحياء» وغيرِه، وكذلك أبو القاسم ذكر ذلك في «الرسالة» على طريق الصوفية، كما في كتاب أبي طالب المكي المسمى «بقوت القلوب».

وأبو حامد -مع كونه تابَعَ في ذلك الصوفيةَ- استند في ذلك لِمَا وجده من كتب الفلاسفة، مِن إثبات نحو ذلك، حيث قالوا: يَعشَق ويُعشَق.

وقد بسطتُ الكلام على هذه المسألة العظيمةِ في «القواعد الكبار»، بما ليس هذا موضعه.

وقد قال الله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»**[2]. اهـ

---

(١) الاستقامة (٢/ ١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٦، ٢١، ٦٩٤١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

مذاهب الناس في إثبات المحبة لله تعالى

* **قال المصنف أيضًا**[1]: للناس في هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى يُحِب ويُحَب كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ما سواه، وهو سبحانه يحب ما أمر به، ويحب عباده المؤمنين، وهذا قول سلف الأمة وأئمتها، وهذا قول أئمة شيوخ المعرفة.

والقول الثاني: أنه يستحق أن يُحَبَّ، لكنه لا يُحِبُّ إلا بمعنى أن يريد، وهذا قول كثير من المتكلمين، ومن وافقهم من الصوفية.

والثالث: أنه لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وإنما محبة العباد له إرادتهم طاعته، وهذا قول الجهمية، ومن وافقهم من متأخري أهل الكلام، والرازي.. اهـ

* **وقال أيضًا**[2]: كثيرٌ من أهل الكلام والرأي، ينكرون جنس محبة الله وإرادته، كما صار كثير من أهل الزهد والتصوف ينكر جنس العلم والكلام والنظر.

وأولئك الذين أنكروا محبة الله وإرادته، بنوا ذلك على أصل لهم، للقدرية المجبرة والنافية، وهو أن المحبة، والإرادة، والرضا، والمشيئة شيءٌ واحد، ولا يتعلق ذلك إلا بمعدوم، وهو إرادة الفاعل أن يفعل ما لم يكن فعلَه، فاعتقدوا أن المحبة والإرادة لا تتعلق إلا بمعدوم، فالموجود لا يُحَب ولا يراد، والقديم الأزلي لا يُحَب ولا يراد، والباقي لا يُحَب ولا يراد. فأنكروا أن يكون الله محبوبًا، أو مرادًا، وهم لإنكار كونه يُحِبُّ أبلغ وأبلغ، فلا يثبتون إلا مشيئته أن يخلق فقط، وهي لا تتعلق إلا بمعدوم، فأمَّا أن يحِب موجودًا مِن خلقه، فهذا باطل عند الطائفتين، لكن المجبِرة يقولون: محبته هي مشيئته، وقد شاء خلقَ كلِّ شيء، فهو يُحِب كلَّ شيءٍ.

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص/ ٢٧-ط: الرشد)، (ص/ ٣٩ - ط المنهاج).

(٢) النبوات (١/ ٣٣٧-ط: الطويان) و(ص/ ٧٠-ط: السلفية).

والنفاة يقولون: محبته هي إرادته إثابةَ المطيعين، وهي مشيئةٌ خاصة.

والذي جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة، وعليه مشايخ المعرفة[1]، وعموم المسلمين: أن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما نطق بذلك الكتاب والسنة، في مثل قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومثل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، بل لا شيء يستحق أن يُحَبَّ لذاته محبةً مطلقة إلا الله وحده، وهذا مِن معنى كونه معبودًا، فحيث جاء القرآن بالأمر بالعبادة والثناء على أهلها، أو على المنيبين إلى الله والتوابين إليه، أو الأوابين، أو المطمئنين بذكره، أو المحبين له، ونحو ذلك- فهذا كله يتضمن محبته، وما لا يُحَب ممتنع كونه معبودًا، ومألوهًا، ومطمأَنًا بذكره، ومَن أُطيعَ لعوض يؤخذ منه، أو لدفع ضرره، فهذا ليس بمعبودٍ، ولا إلهٍ، بل قد يكون الشخص كافرًا وظالمًا -يبغَض ويُلعَن- ومع هذا يَعمَلُ معه عاملٌ بعوِضٍ، فمن جعل العمل لله لا يكون إلا لذلك، فلم يُثبتِ الربَّ إلهًا معبودًا، ولا ربًّا محمودًا، وهو حقيقةُ قولِ النفاةِ من الجهمية والقدرية، النافية والمثبتة...

إلى أن قال: هذا حقيقة دين الاسلام، لكن الذين أنكروا ذلك لهم شبهتان:

إحداهما: أن المحبة تقتضي المناسبة، قالوا: وهي منتفية، فلا مناسبة بين المُحْدَثِ والقديم، فيقال لهم: هذا كلام مجملٌ.

تعنون بالمناسبة الولادة أو المماثلة ونحو ذلك، مما يجب تنزيه الرب عنه؟! فإن الشيء ينسَب إلى أصلِه، بأنه ابن فلان، وإلى فرعه بأنه أبو فلان، وإلى نظيره بأنه مثل فلان، ولما سأل المشركون النبي ﷺ عن نسب ربِّه أنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤][2]، فلم يخرُجْ من شيء، ولا يخرج منه شيء، ولا له مثل.

---

(١) يعني: الزهاد من صالحي الأمة ممن لهم قدوة في الأمة، كالفضيل بن عياض، ونحوه.

(٢) تقدم تخريجه عند كلام المصنف على هذه السورة.

فإن عنيتم هذا لم نسلِّم أنَّ المحبةَ لابد فيها مِن هذا.

وإن أردتم بالمناسبة أن يكون المحبوب متصفًا بمعنىً يُحِبُه المحِبُّ، فهذا لازم للمحبة، والرب متصف بكل صفة تُحب، وكل ما يُحَب فإنما هو منه، فهو أحق بالمحبة من كل محبوب.

وإذا كان الإنسان يحِب الملائكةَ وهم من غير جنسه؛ لما اتصفوا به من الصفات الحميدة، فالسبوح القدوس ربُّ الملائكةِ والروحِ، الذي كل ما اتصفت به الملائكة وغيرُهم فهو من جُودِه وإحسانِه، وهو العزيز الرحيم؛ إذ كان المخلوق كثيرًا ما يتصف بالعزة دون الرحمة، أو تكون فيه رحمةٌ بلا عِزة، وهو سبحانه ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]، ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾.

❁ **العثيمين**: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] والود خالص المحبة.

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ قال ابن كثير: أي: يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، ولو كان الذنب من أي شيءٍ كان.

والودود: قال ابن عباس وغيره: هو الحبيب[١]. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾. تضمنت الآية إثبات اسمين من الأسماء الحسنى، وهما: الغفور، والودود.

---

(١) قال البخاري في تفسير سورة البروج من «صحيحه»: وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: الحبيب. اهـ

أما الأول: فهو مبالغة في الغَفْرِ، ومعناه: الذي يكثرُ منه السَّتر على المذنبين من عباده، والتجاوز عن مؤاخذتهم، وأصل الغفر: الستر، ومنه يقال: الصبغ أغفر للوسخ، ومنه: المِغْفَر لسترة الرأس.

وأما الثاني: فهو من الوُدِّ الذي هو خالص الحب وألطفه، وهو إما من فَعُول بمعنى فاعل(١)، فيكون معناه: الكثير الود لأهل طاعته، والمتقرب إليهم بنصره لهم ومعونته، وإما من فعول بمعنى مفعول(٢)، فيكون معناه: المودود لكثرة إحسانه، المستحق لأن يَوَدَّه خلقُه، فيعبدوه، ويحمدوه. اهـ

❁ **ابن باز**: الودود، معناه: الحبيب المحبوب. اهـ

❁ **آل الشيخ**: وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾. قال البخاري: «يعني: الحبيب». وفيها إثبات صفة المغفرة، وهي مدلول اسمه الغفور، والمغفرة هي: التغطية مع الوقاية، يعني الذي يستر عباده ويقيهم عقوبة الذنوب. اهـ

❁ **قال المصنف**(٣): الودود، فعول من الود، وقال شعيب ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، وقال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فقرنه بالرحيم في موضع، وبالغفور في موضع. قال أبو بكر ابن الأنباري(٤): الودود معناه: المحب لعباده، من قولهم وِدِدْتُ الرجل أوده وُدًّا، ووِدًّا، ووَدًّا، ويقال: ودِدْتُ الرجلَ وَدَادًا ووُدَادًا وودادة(٥).

---

(١) مثل الشكور والصبور، فهو صابر وشاكر، لكنها صيغة مبالغة.

(٢) كقولهم: بعير ركوب. أي مركوب، وناقة حلوب وحلوبة. أي: محلوبة، قاله في «القاموس» في مادتي «حلب» و«ركب».

(٣) النبوات (١/ ٣٣٩ - ط: الطويان).

(٤) نقله عنه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ١٥٢) وعنه المصنف، وكذا نقل كلام الخطابي الآتي بعده.

(٥) قال في القاموس وشرحه: الوُدُّ والوِدَادُ: الحُبُّ والصَّدَاقة، ثم استُعِير للتَّمَنِّي. وقال ابنُ سِيدَه: الوُدُّ: الحُبُّ يكون في جَمِيعِ مَدَاخِلِ الخَيْرِ، عن أبي زَيْد: ووَدِدْتُ الشيءَ أَوَدُّ، وهو الأُمْنِيَّة. قال الفَرَّاءُ: هذا أَفْضَلُ =

وقال الخطابي[١]: هو اسم مأخوذ من الوِد، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون فعولًا في محل مفعول، كما قيل: رجل هيوب، بمعنى: مهيب، وفرس ركوب بمعنى: مركوب، والله ﷻ مودود في قلوب أوليائه؛ لما يعرفونه من إحسانه إليهم.

والوجه الآخر: أن يكون بمعنى الوادِّ. أي: أنه يود عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم ويتقبل أعمالهم، ويكون معناه أن يودِّدَهم إلى خلقه، كقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

قلت: قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، فسروها بأنه يحبهم ويحبِّبُهم إلى عباده، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«إذا أحب الله العبد نادى: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه. فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»**[٢]، وقال في البغض مثل ذلك، وقال عبد بن حميد: أنبأنا عبيد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قال: يحبهم ويحببهم، ورواه ابن أبي حاتم أيضًا.

وقال عبدٌ: أخبرني شبابة، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قال: يحبهم ويحببهم إلى المؤمنين. أخبرنا عبد الرزاق: عن الثوري، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، قال: محبةً.

=

الكلام... ويُثَلَّثَانِ، ذَكَرَه ابنُ السيد في «المُثلَّث» والقزَّازُ في «الجامع» وابنُ مالِكٍ وغيرُ واحد، كالَودَادَةِ بالفتح- وهو الأكثرُ- وهو الذي صَرَّح به أبو زيدٍ في نَوَادِرِه، ونقل غيرُهُم الكَسْرَ وقالُوا: إنّه يقال: وِدَادَةٌ أيضًا بكسر الواو، كما صرَّح به ابنُ السيد في المثلّث، وحكى غيرُهم فيه الضَّمَّ أَيضًا، فيكون مُثَلَّثًا، كالودِّ الودادِ. اهـ

(١) انظر «شأن الدعاء» للخطابي (ص/ ٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وهذا فيه إثبات حبِّه لهم بعد أعمالهم، بقوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ وهو نظير قوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فهو يحبهم إذا اتبعوا الرسول ﷺ ونظير قوله في الحديث الصحيح: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»(١).

وكذلك قوله ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وهذه الآيات وأشباهها، تقتضي أن الله يحب أصحابَ هذه الأعمالِ، فهو يحِب التوابين، وإنما يكونون توابين بعد الذنب، ففي هذه الحال يحبهم، وهذا مبني على الصفات الاختيارية، فمن نفاها رد هذا كلَّه، ولهم قولان:

أحدهما: أن المحبة قديمة، فهو يحبهم في الأَزَل(٢)، إذا عَلِمَ أنهم يموتون على حال مَرْضِية، ويقولون: إن الله يحِب الكفار في حال كفرهم إذا علم أنهم يموتون على

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال في شرح القاموس: الأَزَلُ بالتَّحْرِيكِ: القِدَمُ الذي ليس له ابْتِداءٌ، وهو أَيْضًا: اسْتِمرارُ الوُجُودِ في أَزْمِنةٍ مُقَدَّرَةٍ غير مُتناهِيَةٍ في جانِبِ الماضِي، كما أَنّ الأبَدَ: اسْتِمْرارُه كذلك في المآلِ. كذا في تعْرِيفاتِ المناوِيّ. وهو أَزليٌّ مَنْسوبٌ إِلى الأَزَلِ، وهو ما ليسَ بمَسبُوقٍ بالعَدَم والمَوْجُودُ ثلاثةُ أَقْسام لا رابعَ لها: أزلِيٌّ أَبَدِيٌّ وهو الحَقُّ ﷻ، ولا أزلِيٌّ ولا أَبَدِيٌّ وهو الدُّنْيا، وأَبَدِيٌّ غيرُ أزلِيٍّ وهو الآخِرَةُ، وعَكْسُه محالٌ؛ إِذ ما ثبَت قِدَمُه اسْتحال عَدَمُه، وصَرَّحَ أَقوامٌ بأَنَّ الأزلِيَّ ليس بعرَبِي، أو أَصْلُه يَزَلِيٌّ، مَنْسُوبٌ إِلى قوْلِهم للقدِيمِ: لم يَزلْ، ثمّ نُسِبَ إِلى هذا فلم يستقم إِلا باخْتِصارٍ، فقالوا: يَزَلِيٌّ، ثم أَبْدلتِ الياءُ أَلِفًا للخِفَّةِ، فَقالُوا: أَزَلِيٌّ، كما قالُوا في الرّمْحِ المَنْسُوبِ إِلى ذِي يَزن: أَزَنِيٌّ، وإِلى يَثْرِبَ: نَصْلٌ أَثْرَبِيٌّ. نقله الصاغانيُّ هكذا عن بعضِ أَهْلِ العِلْمِ. اهـ

والقول بأن أصله لم يزل هو الذي ذكره صاحب القاموس ولم يذكر غيره.

الإيمان، ويبغض المؤمن إذا علِم أنه يرتد. هذا قول ابن كُلّاب[١] ومن تبعه.

ثم منهم من يفسر المحبة بالإرادة، ومنهم من يقول: هي صفة زائدة على الإرادة.

والقول الثاني: يجعلون هذا من باب الفعل، فالمحبة عندهم إحسانه إليهم، والإحسان عندهم ليس قائمًا به، بل بائن عنه.

والكتاب، والسنة، وأقوال السلف والأئمة، والأدلة العقلية، إنما تدل على القول الأول[٢]، كما قد بسط في غير هذا الموضع؛ إذ المقصود هنا ذكر اسمه الودود، والأكثرون على ما ذكره ابن الأنباري، وأنه فعول بمعنى فاعل، أي هو الوادُّ، كما قرنه بالغفور، وهو الذي يغفر، وبالرحيم وهو الذي يرحم، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا عيسى بن جعفر قاضي الري، حدثنا سفيان، في قوله ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] قال: يحِب[٣].

وقال[٤]: قرئ على يونس: حدثنا ابن وهب، قال: وقال ابن زيد قوله ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ قال: الرحيم. وقد ذكر فيه قولين:

القول الأول: رواه من تفسير الوالبي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ قال: الحبيب. والثاني قول ابن زيد: الرحيم.

وما ذكره الوالبي أنه الحبيب، قد يراد به المعنيان، أنه يُحِب ويُحب، فإن الله يحِب من يُحِبُه، وأولياؤه يحبهم ويحبونه.

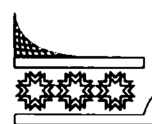
---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاب القطان، إمام الكلابية، وهو شبيه بمذهب الأشعرية؛ بل هم الآن عليه إلا في بعض الأشياء.

(٢) يعني قوله فيما سبق: «والذي جاء به الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الامة، وعليه مشايخ المعرفة، وعموم المسلمين: أن الله يُحِب ويُحَبُ، كما نطق بذلك الكتاب والسنة»

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٠٧٦) (رقم: ١١١٥٨) لكن في المطبوعة (مجيب) وقد يكون تطبيعًا.

(٤) أي: ابن أبي حاتم.



والبغوي ذكر الأمرين، فقال: وللودود معنيان: أن يُحِبَّ المؤمنين. وقيل: هو بمعنى المودود. أي: محبوب المؤمنين، وقال أيضًا: في قوله ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤]، أي: المحِب لهم. وقيل معناه: المودود كالحَلُوب والرَّكُوب، بمعنى المحلوب والمركوب. وقيل: يغفِر ويَوُدُّ أن يغفِر. وقيلَ: المتودِّدُ إلى أوليائه بالمغفرة.

قلتُ: هذا اللفظ معروف في اللغة أنه بمعنى الفاعل، كقول النبي ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود»**(١)، وفعول بمعنى فاعل كثيرٌ، كالصبور والشكور، وأما بمعنى مفعول فقليلٌ، وأيضًا فإن سياق القرآن يدل على أنه أراد أنه هو الذي يَوَدُّ عبادَه، كما أنه هو الذي يرحمهم، ويغفر لهم، فإن شعيبًا قال: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، فذكر رحمته ووده، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]، وهو أراد وصفًا يبين لهم أنه سبحانه يغفر الذنب، ويقبل على التائب، وهو كونه ودودًا، كما قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقد ثبت في الصحاح من غير وجه عن النبي ﷺ: **«أن الله يفرح بتوبة التائب، أشد من فرح من فقد راحلته بأرض دوية مهلكة، ثم وجدها بعد اليأس»**(٢)، فهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي في الصغرى(٣٢٢٧)، وفي الكبرى (٥٣٤٢)، وابن حبان (٤٠٥٦)، والحاكم (٢٦٨٥)، والبيهقي (١٣٨٥٧) عن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال، إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك، فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم»**.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٦٢٧)، والبخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، والترمذي (٢٤٩٧، ٢٤٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٢، ٧٧٤٣)، وابن حبان (٦١٨)، وأبو يعلى (٥١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٠٤) عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«الله أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرض دوية مهلكة، ومعه راحلته عليها زاده وطعامه وما يصلحه، فأضلها فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموت قال: أرجع إلى مكاني فأموت فيه. فرجع إلى مكانه الذي أضلها فيه، فبينما هو كذلك، إذ غلبته عينه، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه، عليها زاده وما يصلحه، فالله أفرح بتوبة أحدكم من هذا الرجل»**.

الفرح منه بتوبة التائب يناسب محبته له ومودته له، وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، فإنه مثل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وأيضًا فإن كونه مودودًا- أي: محبوبًا- يذكَر على الوجه الكامل الذي يتبين اختصاصه به مثل اسم «الإله»، فإن الإله المعبود هو مودود بذلك، ومثل اسمه «الصمد» ومثل «ذي الجلال والاكرام»، ونحو ذلك، وكونه مودودًا ليس بعجيب، وإنما العَجَبُ جودُه وإحسانُه، فإنه يتودد إلى عباده كما في الأثر: **«يا عبدي كم أتودد إليك بالنعم وأنت تَتَمَقَّتُ إليَّ**[١] **بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم يصعد إليَّ منك بعمل سيء»**[٢]، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: **«يقول الله تعالى: من تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا، تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً»**[٣].

---

(١) أي: تتبغّض إليَّ.

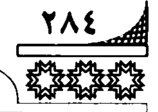
(٢) لا يصح مرفوعًا، أخرجه الرافعي في «تاريخ قزوين» (٣/ ٤)، والديلمي (٨١١٠) و(٤/ ٢٥٧- زهر الفردوس)، ابن عساكر في «معجم الشيوخ» (١٢٧٠) من طريق داود بن سليمان الغازي: حدثني علي بن موسى الرضا.. بإسناده عن آبائه عن علي ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:... فذكره.

قال الشيخ الألباني - في «السلسلة الضعيفة» (٣٢٨٧)-: وهذا موضوع آفته الغازي هذا، وهو شيخ كذاب كما تقدم مرارًا. اهـ

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب الشكر» (٤٣). وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١/ ١٤٠)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٤)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٢-١١٣، برقم٨٧)، عن مالك بن دينار قال: قرأت في بعض الكتب أن الله يقول: يا ابن آدم خيري ينزل عليك، وشرك يصعد إليَّ، وأتحبب إليك بالنعم، وتتبغض إلي بالمعاصي، ولا يزال ملك كريم قد عرج منك إليَّ بعمل قبيح.

وأورده الذهبي في العلو (ص/ ٩٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا وقال: إسناده مظلم. اهـ وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٣، وص٢٦٨) وقال: وكان مالك بن دينار وغيره من السلف يذكرون هذا الأثر. اهـ

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥، ٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة.



وجاء في تفسير اسمه «الحنّان المنّان»: أن الحنان: الذي يُقبِل على مَن أعرض عنه، والمنان: الذي يجود بالنوال قبل السؤال.

وأيضًا، فمبدأ الحب والود منه، لكن اسمه (الودود) يجمع المعنيين، كما قال الوالبي: عن ابن عباس: «إنه الحبيب»، وذلك أنه إذا كان يودُّ عبادَه فهو مستحق لأن يَوَدَّه العبادُ بالضرورة؛ ولهذا من قال: إنه يحِب المؤمنين، قال: إنهم يحبونه، فإن كثيرًا من الناس يقول: إنه محبوب، وهو لا يحب شيئًا مخصوصًا، لكن محبته بمعنى مشيئته العامة.

ومن الناس من قال: إنه لا يُحِب، مع أنه يثبت محبته للمؤمنين.

فالقسمة في المحبة رباعية:

١- فالسلفُ وأهل المعرفة أثبتوا النوعين، قالوا: إنه يُحِب ويُحَبُ

٢- والجهمية والمعتزلة تنكِر الأمرين.

٣- ومن الناس من قال: إنه يحبه المؤمنون، وأما هو فلا يُحِب شيئًا دون شيء.

٤- ومنهم من عكس، فقال: بل هو يُحِب المؤمنين مع أن ذاته لا يحَب، كما يقولون: إنه يَرحَم ولا يُرْحَم.

فإذا قيل: إن الودود، بمعنى الواد، لزمَ أن يكونَ مودودًا، بخلاف العكس.

فالصواب القطع بأن الودود هو الذي يودُّ، وإن كان ذلك متضَمَّنًا؛ لأنه يستحق أن يُوَد، ليس هو بمعنى المودود فقط.

ولفظ الوِدَادِ بالكسر، هو مثل المَوَادَّة والتوادِّ، وذاك يكون من الطرفين كالتحابّ.

وهو سبحانه لما جعل بين الزوجين مودة ورحمة، كان كل منهما يَوَدُّ الآخرَ، ويرحمه، وهو سبحانه -كما ثبت في الحديث الصحيح- أرحمُ بعباده من الوالدة بولدها[1] وقد بين الحديث الصحيح أن فرحه بتوبة التائب أعظم من فرح الفاقد ماله ومركوبه في مهلكة إذا وجدهما بعد اليأس[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) متفق عليه وتقدم تخريجه قريبًا.

وهذا الفرح يقتضي أنه أعظم مودة لعبده المؤمن من المؤمنين بعضِهم لبعضٍ، كيف وكل ودٍّ في الوجود فهو من فعله، فالذي جعل الودَّ في القلوب هو أولى بالوُدِّ، كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما في قوله ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، قال: يحبهم.

وقد دل الحديث الذي في الصحيحين[(١)] على أن ما يجعله من المحبة في قلوب الناس هو بعد أن يكون هو قد أحبه، وأمر جبريل أن ينادي بأن الله يحبه فنادى جبريل في السماء أن الله يحب فلانا فأحبوه. وبسط هذا له موضع آخر[(٢)].

وفي مناجاة بعض الداعين: ليس العجب من حبي لك مع حاجتي إليك، العجبُ من حبك لي مع غناك عني[(٣)].

وفي أثر آخر: يا عبدي وحقي إني لك محب، فبحقي عليك كن لي[(٤)].

وروي: يا داود حببني إلى عبادي وحبب عبادي إلي، مرهم بطاعتي فأحبهم، وذكرهم آلائي فيحبوني، فإنهم لا يعرفون مني إلا الحسن الجميل. وهو سبحانه كما قال، كل ما خلقه فإنه من نعمه على عباده؛ ولهذا يقول: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، والخير بيديه، لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا حول ولا قوة إلا به، ولا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه.

ووده سبحانه هو لمن تاب إليه وأناب إليه، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فلا يستوحش أهل الذنوب وينفرون منه، كأنهم حمر

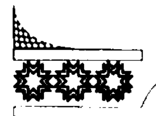
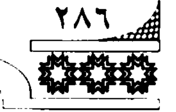
---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) انظر «قاعدة في المحبة» ضمن «جامع الرسائل» (٢/ ٢٨٧-ط: محمد رشاد).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٤) عن أبي يزيد البسطامي.

(٤) ذكره أبو القاسم القشيري في تفسيره المسمى «لطائف الإشارات» (٢/ ٢٤١) عن بعض الكتب المنزلة على الأنبياء بدون إسناد. وذكره الرازي في «تفسيره» (٤/ ١٧٦) كذلك، ولا إخاله يصح مسندًا.

مستنفرة، فإنه ودود رحيم بالمؤمنين، يحب التوابين ويحب المتطهرين؛ ولهذا قال شعيب: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، وقال هنا ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤]، فذكر الودود في الموضعين؛ لبيان مودته للمذنب إذا تاب إليه، بخلاف القاسي الجافي الغليظ الذي لا ود فيه... إلخ



إثبات صفة الرحمة

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١، النمل: ٣٠]. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. وقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].



الشرح

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

❁ قال الشيخ: البسملة، آية من القرآن بين كل سورتين إلا في براءة، وهي أيضًا آية في النمل، هذه الآية فيها هذان الاسمان لله «الرحمن، والرحيم» دلاّ على اتصافه تعالى بالرحمة، فالرحمن من الفعل المتعدي، والرحيم من اللازم، فالرحمة إحدى صفات الباري ﷻ.

وقول ابن عباس ﭬ: «الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر»(١) المقصود السعة. يعني: أسماءَ مبالغةٍ أن كلًّا منهما صفة مبالغة، هذا معنى «رقيقان أحدهما أرق وأوسع من الآخر»، وأوسعهما الرحمن؛ ولهذا جاء في التفسير: رحمن الدنيا والآخرة، فلولا رحمته العامة ما بقي أحد على وجه الأرض، أما الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين. اهـ

---

(١) تقدم تخريجه في شرح البسملة من مقدمة المصنف.

❁ **ابن مبارك**: في الحديث: «أن عيسى قال للمعلم: الرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة»[١] اهـ.

❁ **الهراس**: وأما قوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وما بعدها من الآيات، فقد تضمنت إثبات اسميه «الرحمن» و«الرحيم»، وإثبات صفتي «الرحمة» و«العلم». وقد تقدم في تفسير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، والكلام على هذين الاسمين، وبيان الفرق بينهما، وأن أولهما دال على صفة الذات، والثاني دال على صفة الفعل. اهـ

❁ **آل الشيخ**: كثير من شراح الكتب[٢] صرفوا معنى هذين الاسمين ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن مدلولهما، فمنهم من يقول: إنه المنعم الحقيقي، ومنهم من يقول: الرحمة إرادة الإنعام، ونحو ذلك، وكل هذا من كلام الباطل، ما حملهم عليه إلا سوء الفهم، ولو فهموا فهمًا صحيحًا ما صرفوه عن مدلوله، فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، أنهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ثم يلزمهم في قولهم: الرحمة إرادة الإنعام، إما أن يقولوا: إنها كإرادة المخلوقين، فنقول لهم: شبهتم.

وإما أن يقولوا: إنها إرادة حقيقة تليق بجلال الله وعظمته، فنقول لهم: فما يمنعكم أن تقولوا في الرحمة: إنها حقيقية تليق بجلال الله وعظمته؟

وأيضًا فما يقال في الصفات فرع عما يقال في الذات، فيجب أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه، ونؤمن بما جاء عن الله على مراد الله، على ما يليق بجلال الله

---

(١) أخرجه الطبري (١٤٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وابن مسعود مرفوعًا. وضعفه شيخ الإسلام في «مجموعة الرسائل والمسائل» (٣/ ٣٨٥ - ط: رشيد رضا)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ٦٠)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٣).

(٢) كالشيخ منصور البهوتي صاحب «الروض المربع» في شرح المقدمة.

وعظمته، ونقول: لله صفات ثابتة حقيقة لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن لله ذاتًا حقيقية ثابتة لا تشبه ذوات المخلوقين، ونعتقد أن الصفات حقائق ولا نقف عندها، بل نستمر كما استمر الكتاب العزيز ونقف حيث وقف. اهـ

سعة رحمة الله تعالى

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾.

* **ابن مبارك**: وأول الآية: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧] أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأحوالهم ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾» اهـ.

* **الهراس**: وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ﴾.. إلخ، من كلام الله ﷻ حكاية عن حملة العرش والذين حوله، يتوسلون إلى الله ﷻ بربوبيته وسعة علمه ورحمته في دعائهم للمؤمنين، وهو من أحسن التوسلات التي يرجى معها الإجابة.

ونصب قوله: ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ على التمييز المحول عن الفاعل، والتقدير: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فرحمته سبحانه وسعت في الدنيا المؤمن والكافر والبر والفاجر، ولكنها يوم القيامة تكون خاصة بالمتقين؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الرحمة، وإثبات سعتها، وإثبات صفة العلم، وإثبات سعته، ففيه شمول رحمته، كما فيه شمول علمه، فما استقام أمر العالم إلا بالرحمة. اهـ



وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ به وبرسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون. ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] اهـ.

❁ **آل الشيخ**: فيها إثبات صفة الرحمة. اهـ

وقوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

❁ **ابن مبارك**: أي: عمَّت كلَّ شيء. قال الحسن: وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصَّة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الرحمة أيضًا. اهـ

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾.

❁ **الهراس**: قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾. أي: أوجبها على نفسه تفضلًا وإحسانًا، ولم يوجبها عليه أحد، وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين: أن الله لما خلق الخلق كتب كتابًا، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت أو تسبق غضبي(١). اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن كثير: أي: أوجبها على نفسه الكريمة، تفضلًا منه وإحسانًا وامتنانًا. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٢٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

* **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي: «الغفور» لذنوب من تاب وأناب من عباده حتى من الشرك، «الرحيم» بمن آمن به وأطاعه. اهـ

* **العثيمين**: الدليل على ثبوت صفة المغفرة والرحمة لله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]. والمغفرة ستر الذنب والتجاوز عنه، والرحمة صفة تقتضي الإحسان والإنعام، وتنقسم إلى قسمين: عامة وخاصة.

فالعامة هي الشاملة لكل أحد، والدليل قوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٍ رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ [غافر: ٧].

والخاصة التي تختص بالمؤمنين، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

ولا يصح تفسير الرحمة بالإحسان؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، ولا دليل عليه. اهـ

قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

* **ابن مبارك**: أي: فسيرحم كِبَري وضَعفي، ووجدي بولدي، وأرجو من الله أن يردَّه علي، ويجمع شملي به، إنه أرحم الراحمين، فهو أرحم لعباده من كلِّ أحد. اهـ

* **الهراس**: وأما قوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ﴾. فالحافظ والحفيظ مأخوذ من الحفظ، وهو الصيانة، ومعناه: الذي يحفظ عباده بالحفظ العام، فييسر لهم أقواتهم، ويقيهم أسباب الهلاك والعطب، وكذلك يحفظ عليهم أعمالهم، ويحصي أقوالهم، ويحفظ أولياءه بالحفظ الخاص، فيعصمهم عن مواقعة الذنوب، ويحرسهم من مكايد الشيطان، وعن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم.

وانتصب (حافظًا) تمييزا لـ(خير) الذي هو أفعل تفضيل[١]. اهـ

❁ **آل الشيخ:** ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. هذه الآيات فيها إثبات صفة الرحمة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته على حد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فهي رحمة حقيقية، بل هي أحق الحقيقة، كما أن للمخلوق رحمة حقيقية تختص به. اهـ

❁ **ابن باز:** هذه الآيات التي فيها صفة الرحمن والرحيم، فهو رحيم ورحمته وسعت كل شيء... كل هذه صفات حق، كلها يوصف بها جل وعلا، كسائر الصفات على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل... اهـ

الفرق بين صفات الله ومخلوقاته

❁ **قال شيخ الإسلام المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كل ما يضاف إلى الله إن كان عينا قائمة بنفسها فهو ملك له وإن كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به فهو صفة لله. فالأول كقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]، وهو جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧-١٩] وقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢] وقال عن آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

---

(١) لأن كلمة «خير» أصلها «أَخْيَر» بسكون الخاء وفتح الياء، وكذلك كلمة «شر» أصلها «أَشْرر» أفعل تفضيل، فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، وحَرَك فاء الكلمة الساكن؛ لأن الساكن لا يبدأ فيه.

(٢) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠).

والثاني كقولنا: علم الله، وكلام الله، وقدرة الله، وحياة الله، وأمر الله، لكن قد يعبر بلفظ المصدر عن المفعول به فيسمى المعلوم علمًا، والمقدور قدرةً، والمأمور به أمرًا، والمخلوق بالكلمة كلمةً، فيكون ذلك مخلوقًا، كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «**إن الله خلق الرحمة**[١] **يوم خلقها مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة، وأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، فإذا كان يوم القيامة جمع هذه إلى تلك فرحم بها عباده**»[٢][٣]، ومنه قوله في الحديث الصحيح للجنة: «**أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي**»، كما قال للنار: «**أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها**»[٤]. اهـ



---

(١) يعني: الرحمة المخلوقة التي أودعها في عباده، أما الرحمة التي هي صفته ﷻ فليست مخلوقة.

(٢) أي: جعلها فيهم في الجنة فيتراحمون فيما بينهم على أكمل الوجوه، ونزع ما في صدورهم من غل.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٠٠، ٦٤٦٩)، ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة مرفوعًا.

إثبات صفتي الرضا والغضب لله تعالى

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَوْلُهُ: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].


الشرح

❁ **الهراس**: تضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرضا لله، والغضب، واللعن، والكره، والسخط، والمقت، والأسف. وهي عند أهل الحق صفات حقيقية لله ﷻ، على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق، فلا حجة للأشاعرة والمعتزلة على نفيها، ولكنهم ظنوا أن اتصاف الله ﷻ بها يلزمه أن تكون هذه الصفات فيه على نحو ما هي في المخلوق، وهذا الظن الذي ظنوه في ربهم أرداهم، فأوقعهم في حمأة النفي والتعطيل.

والأشاعرة يرجعون هذه الصفات كلها إلى الإرادة، كما علمتَ سابقًا، فالرضا عندهم إرادة الثواب، والغضب والسخط.. إلخ إرادة العقاب.

وأما المعتزلة فيرجعونها إلى نفس الثواب والعقاب. اهـ

❁ **ابن باز**: وهو سبحانه يرضى، ويغضب، ويسخط، ويكره: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿اتَّبَعُوا مَآ أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُ﴾، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾، كل هذه صفات حق: الرضا، والسخط، والكراهة؛ كلها يوصف

بها جل وعلا، كسائر الصفات على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فليست محبته كمحبة المخلوقين، ولا رضاه كرضاهم، وليس بغضه كبغضهم، وليست كراهيته ككراهة المخلوقين، وليس مقته كمقتهم، وهكذا جميع الصفات، الباب فيها واحد، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، وقال ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، لا مثيل له، ولا كفء له، ولا ند له، فجميع الصفات بابها واحد، فنقول: نؤمن بالله جل وعلا، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العلا الثابتة في القرآن والسنة الصحيحة، على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نقول: صفاته كلها حقٌّ، وأسماؤه كلها حسنى؛ ونثبتها لله، كما أثبتها هو لنفسه جل وعلا، وأثبتها النبي ﷺ وأثبتها أصحابه ﷺ، على الوجه اللائق بالله، صفاته لا تشبه صفات خلقه، وأسماؤه لا تشابه أسماء خلقه، بل هو سبحانه له الأسماء الحسنى والمعاني العظيمة؛ لهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ لكمالها وكمال معانيها، سماها حسنى ﷻ.

الصفة معلومة والكيفية مجهولة

ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو ﷻ، يعلم لا كعلمنا، ويرحم لا كرحمتنا، ويستوي لا كاستوائنا، وينزل لا كنزولنا، ويجيء لا كمجيئنا، ويغضب لا كغضبنا، وهكذا القول في سائر الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، الاستواء معلوم كما الرحمة معلومة، والغضب معلوم، والمحبة معلومة، الإرادة معلومة، المشيئة معلومة، لكن الكيف مجهول، لا نعلم كيف استوى، ولا كيف يرحم، لا نعرف هذا، بل الذي يعلم به هو ﷻ، لكن نعرف أن المحبة غير الغضب، والغضب غير الرضا، والرضا غير المغفرة، وهكذا صفاته معانيها معلومة، لكن كيفيتها لا يعلمها إلا هو ﷻ.

الغضب معروف ضد الرضا، والمحبة ضد الكراهة، والرحمة ضد الانتقام، يوصف بهذا وهذا، يرحم قومًا ويعاقب آخرين، وينتقم منهم، يرحم قومًا جاهدوا في

سبيله واتقوه، ويغضب على آخرين، وينتقم منهم لعصيانهم إياه، وكفرهم به، هكذا يحب قومًا، ويكره آخرين، كذلك يعطي قومًا، ويمنع آخرين، هو المناع المعطي جل وعلا، هذا طريق أهل السنة وسبيلهم ومنهجهم، الإيمان بالصفات واعتقاد أنها حق، وأنها لائقة بالله، وأن معانيها حق، لكن لا يعْلم كيفيتها إلا هو ﷻ. اهـ

قَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الرضا، رضًا يليق به، الله أعلم بكنهه وكيفيته. اهـ

❁ **الهراس**: قوله سبحانه: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾: إخبار عما يكون بينه وبين أوليائه من تبادل الرضا والمحبة.

أما رضاه عنهم فهو أعظم وأجل من كل ما أعطوا من النعيم، كما قال سبحانه: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وأما رضاهم عنه فهو رضا كل منهم بمنزلته مهما كانت، وسروره بها؛ حتى يظن أنه لم يؤتَ أحد خيرًا مما أوتي، وذلك في الجنة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ﷻ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ﴾ عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا في الوفاء له ما وعدوه، من العمل بطاعته واجتناب معاصيه، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ يقول: ورضوا هم عن الله تعالى في وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. اهـ

❁ **العثيمين**: الرضا صفة من صفات الله مقتضاها محبة المرضي عنه والإحسان إليه، ودليلها قوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾. اهـ



وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ أي: عامدًا قتله ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بقتله إياه متعمدًا ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾: أبعده عن رحمته وأخزاه وأعدَّ له عذابًا عظيمًا، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن فعل مثل هذا الذنب العظيم. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية، فقد احترز بقوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ عن قتل الكافر، وبقوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا ﴾ -أي: قاصدًا لذلك، بأن يقصد من يعلمه آدميًا معصومًا، فيقتله بما يغلب على الظن موته به- عن القتل الخطأ.

وقوله: ﴿خَٰلِدًا فِيهَا ﴾. أي: مقيمًا على جهة التأبيد. وقيل: الخلود: المكث الطويل.

واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، واللعين والملعون: من حقت عليه اللعنة، أو دعي عليه بها.

وقد استشكل العلماء هذه الآيات، من حيث إنها تدل على أن القاتل عمدًا لا توبة له، وأنه مخلد في النار، وهذا معارض لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقد أجابوا عن ذلك بعدة أجوبة، منها:

١- أن هذا الجزاء لمن كان مستحلًا قتل المؤمن عمدًا.

٢- أن هذا هو جزاؤه الذي يستحقه لو جوزي، مع إمكان ألا يجازى، بأن يتوب، أو يعمل صالحًا يرجح بعمله السيئ.

٣- أن الآية واردة مورد التغليظ والزجر.

٤- أن المراد بالخلود المكث الطويل كما قدمنا.

وقد ذهب ابن عباس وجماعة إلى أن القاتل عمدًا لا توبة له، حتى قال ابن عباس: إن هذه الآية من آخر ما نزل، ولم ينسخها شيء(١).

والصحيح أن على القاتل حقوقا ثلاثة: حقًّا لله، وحقًّا للورثة، وحقًّا للقتيل.

فحق الله يسقط بالتوبة.

وحق الورثة يسقط بالاستيفاء في الدنيا أو العفو.

وأما حق القتيل فلا يسقط حتى يجتمع بقاتله يوم القيامة، ويأتي رأسه في يده، ويقول: يا رب سل هذا فيم قتلني(٢)؟ اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ ﴾، فيه إثبات صفة الغضب، وإثبات صفة اللعن بالقول، قال المصنف: «لا مانع من أن يقع اللعن من الله قولًا بالكلام»، وهو ظاهر النصوص أنه يلعن من يستحق اللعن بالقول، كما أنه تعالى يرضى عمن يستحق الرضا، ويغضب على من يستحق الغضب. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥)، ومسلم (٣٠٢٣) عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فرحلت فيه إلى ابن عباس، فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء. وفي رواية مسلم: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه آية مكية، نسختها آية مدنية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾.

(٢) ورد ذلك في حديث ابن عباس الذي أخرجه الإمام أحمد (١٩٤١، ٢١٤٢)، والحميدي (٤٨٨)، والنسائي (٣٩٩٩)، وابن ماجة (٢٦٢١)، والطبري في «تفسيره» (٥/٢١٨-٢١٩)، والطبراني (١٢٥٩٧) من طريق سالم بن أبي الجعد قال: سئل ابن عباس عن رجل قتل مؤمنًا متعمدًا ثم تاب، وآمن، وعمل صالحًا ثم اهتدى؟ قال: ويحك وأنى له الهدى، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل يقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟» والله لقد أنزلها الله ﷻ على نبيكم ﷺ، وما نسخها بعد إذ أنزلها. اهـ يعني قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية، وفي رواية: «آخذًا رأسه بيده» وأخرجه بنحوه: الترمذي (٣٠٢٩)، وحسنه من حديث عمرو بن دينار عن ابن عباس، وصححه الألباني وله شواهد عن جندب وأبي هريرة.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

* ابن مبارك: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ من طاعة الشيطان ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ من طاعة الرحمن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾؛ لأنها عُمِلت في غير مرضاته. اهـ

* آل الشيخ: السخط[1]: هو عدم الرضا، والسخط إلى الكراهة أقرب منه إلى الغضب، فإن الغضب يعدى بـ(على)، والسخط يعدى بها تارة، وبنفسه أخرى.

وبين السخط والغضب فرق واضح: كثيرًا ما يقابل السخط بالرضا، والغضب لا يقابل به.

وفيه إثبات الرضا، فإن الله يرضى حقيقة كما أنه يسخط حقيقة. اهـ

* العثيمين: والغضب صفة من صفات الله، مقتضاها كراهية المغضوب عليه، والانتقام منه، وقريب منها صفة السُخط، ودليل اتصاف الله بها قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾. اهـ



إثبات صفتي الأسف والانتقام

قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

* ابن مبارك: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي: أغضبونا ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بعاجل العذاب ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. اهـ

---

(١) السخط بضم السين وسكون الخاء، وبضم السين والخاء، وبفتح السين والخاء. قال في «القاموس»: السُّخْط- بالضم، وكعُنُق، وجَبَل-: ضد الرضا، وقد سخِط - كفرِح - وتسخَّط ... إلخ.

* **الهراس**: الأسف يستعمل بمعنى شدة الحزن، وبمعنى شدة الغضب والسخط، وهو المراد في الآية[١].

والانتقام: المجازاة بالعقوبة، مأخوذ من النقمة، وهي شدة الكراهة والسخط. اهـ

* **العثيمين**: الأسف له معنيان، أحدهما: الغضب، وهذا جائز على الله، والدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: أغضبونا.

والثاني: الحزن، وهذا لا يجوز على الله، ولا يصح أن يوصف به؛ لأن الحزن صفة نقص والله منزه عن النقص. اهـ

* **آل الشيخ**: وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ آسفونا: أغضبونا. والأسف جاء في القرآن على معنيين: على معنى الغضب، كما في هذه الآية، وجاء بمعنى الحزن، وليس هو المراد هنا، وإنما هو من صفات المخلوقين كما في قصة موسى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]. والأسيف: الحزين، مثل قول عائشة: «إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن»[٢]، والله سبحانه منـزه عن الحزن.

وفيه إثبات صفة الانتقام. اهـ



إثبات صفة الكراهة

وَقَوْلُهُ: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

* **ابن مبارك**: أي: منعهم وحبسهم عن الخروج. اهـ

---

(١) قال في «القاموس»: الأَسَف محركة: أشد الحزن، أَسِفَ، كفرِح، والاسم كسحابة، وأَسِف عليه: غضب. اهـ وقال شارحه: آسفه بالمد: أغضبه، ومنه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٣) ومسلم (٤١٨).

❁ **آل الشيخ:** فيه إثبات صفة الكراهة، أن الله يكره من يستحق الكراهة على ما يليق بجلاله وعظمته. اهـ

❁ **العثيمين:** والكراهية صفة من صفات الله الفعلية مقتضاها إبعاد المكروه ومعاداته، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾. اهـ



إثبات صفة المقت

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

❁ **ابن مبارك:** قال البغوي: أي: عظم ذلك في المقت والبغض عند الله. أي: أنَّ الله يبغض بغضًا شديدًا أن تقولوا ما لا تفعلون، أي: أن تعِدوا من أنفسكم شيئًا ثم لم تفوا به.

وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ اصدقوا الله ورسوله، ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ القول الذي لا تُصدِّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالِفةٌ أقوالَكم ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ يقول: عظُم مقتًا عند ربكم قولكم ما لا تفعلون. اهـ

تفسير معنى المقت

❁ **العثيمين:** والمقت أشد البغض، والبغض قريب من معنى الكراهية. ودليل المقت قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾.

ولا يجوز تفسير الرضا بالثواب، والغضب بالانتقام، والكراهية والمقت بالعقوبة؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل. اهـ

❁ **آل الشيخ:** قوله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾. فيه إثبات صفة المقت على ما يليق بجلال الله وعظمته، أن الله يمقت من يستحق المقت من الأقوال والأفعال.

وهذه الآيات، فيها إثبات هذه الصفات لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل. اهـ

* قال شيخ الإسلام المصنف[1]: والرسل صلوات الله عليهم أجمعين إنما جاؤوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة ويرضاها، ويسخط بعض الأمور ويمقتها، وأن أعمال العباد ترضيه تارة وتسخطه أخرى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، عن ابن عباس: أغضبونا. وقال ابن قتيبة: الأسف الغضب، يقال: أسفت أسفا. أي: غضبت. اهـ



(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٣).

إثبات صفتي الإتيان والمجيء لله تعالى

قال المصنف: (وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]).



* ابن باز: هذه الآيات الكريمات كلها تشتمل على جملة من الصفات للرب ﷻ، فالواجب إثباتها لله على الوجه اللائق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، فإتيان الله يوم القيامة ومجيئه يوم القيامة حق على الوجه اللائق بالله، فالله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ هي طلوع الشمس من مغربها. اهـ

* الهراس: في هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه، وهما صفتا الإتيان، والمجيء، والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك على حقيقته، والابتعاد عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل.

ولعلَّ من المناسب أن ننقل إلى القارئ هنا، ما كتبه حامل لواء التجهم والتعطيل في هذا العصر، وهو المدعو بزاهد الكوثري[1]، قال في حاشيته على كتاب «الأسماء

---

(١) شيخ الجهمية، محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري الحنفي، جركسي الأصل، وُلد في تركيا سنة ١٢٩٦هـ، ثم هرب إلى مصر، وتوفي في القاهرة سنة ١٣٧١هـ، جهمي جلد سيء القول في أئمة السلف وكتب العقيدة السلفية. رد عليه جماعة من العلماء منهم العلامة عبد الرحمن المعلمي في «التنكيل» و«طليعته».

والصفات» للبيهقي ما نصه: قال الزمخشري[١] ما معناه: إن الله يأتي بعذاب في الغمام الذي ينتظر منه الرحمة، فيكون مجيء العذاب من حيث تنتظر الرحمة أفظع وأهول، وقال إمام الحرمين في معنى الباء كما سبق، وقال الفخر الرازي: «أن يأتيهم أمر الله»[٢]. اهـ

فأنت ترى من نقل هذا الرجل عن أسلافه في التعطيل مدى اضطرابهم في التخريج والتأويل، على أن الآيات صريحة في بابها، لا تقبل شيئًا من تلك التأويلات.

فالآية الأولى تتوعد هؤلاء المصرِّين على كفرهم، وعنادهم، واتباعهم للشيطان، بأنهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم الله ﷻ في ظلل من الغمام؛ لفصل القضاء بينهم، وذلك يوم القيامة؛ ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ والآية الثانية أشد صراحة؛ إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان الأمر أو العذاب؛ لأنه ردد فيها بين إتيان الملائكة وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب سبحانه[٣].

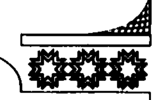
وقوله في الآية التي بعدها: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ لا يمكن حملها على مجيء العذاب؛ لأن المراد مجيئه سبحانه يوم القيامة لفصل القضاء، والملائكة صفوف؛ إجلالًا وتعظيمًا له، وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام، كما أفادته الآية الأخيرة، وهو سبحانه يجيء، ويأتي، وينزل، ويدنو، وهو فوق عرشه بائن من خلقه. فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة، ودعوى المجاز تعطيل له عن فعله، واعتقاد أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوع إلى التشبيه يفضي إلى الإنكار والتعطيل. اهـ

---

(١) الشيخ المعتزلي العلامة اللغوي المفسِّر جار الله محمود بن عمر الزمخشري، صاحب «الكشاف عن تأويل القرآن» في التفسير، و«الفائق في غريب الحديث»، و«أساس البلاغة» في اللغة، (ت ٥٣٨هـ).

(٢) أي: كلام الكوثري.

(٣) قال ابن القيم في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» فرق بين إتيان الملائكة، وإتيان الرب، وإتيان بعض آيات الرب فقسَّمَ ونوَّعَ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا، فتأمله قال: ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازه، وقالوا: هذا يأباه التقسيم والترديد والاطراد. اهـ المراد من كلام ابن القيم. قاله الشيخ إسماعيل الأنصاري.



قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الإتيان يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين عباده، إتيانًا يليق بجلاله وعظمته، لا نكيف ولا نشبه. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن كثير: يقول تعالى مهددًا الكافرين: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني: يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾. اهـ

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول جلَّ ثناؤه: هل ينظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثانَ والأصنامَ إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت، فتقبض أرواحهم، أو أن يأتيهم ربك -يا محمد- للقضاء بين خلقه في موقف القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يقول: أو أن يأتيهم بعض آيات ربك، وذلك -فيما قال بعض أهل التأويل-: طلوع الشمس من مغربها. اهـ

* **آل الشيخ**: كالتي قبلها في صفة إتيان الرب يوم القيامة حقيقة، وفيه ما يَردُّ على المحرفين الذين يقولون: يأتي أمره، وأمره معطوف على إتيانه، وأمره لم يزل يأتي في الدنيا والآخرة، فدعواهم أن فيه مجازَ الحذف باطلةٌ مخالفةٌ للنصوص وما عليه الجمهور، بل يأتي تعالى بذاته على ما يليق بجلاله وكبريائه. اهـ



قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾.

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا﴾ قال ابن كثير: أي: وُطِّئت، ومُهِّدت، وسُوِّيت الأرض والجبال، وقام الخلائق من قبورهم لربهم، و﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: لفصل القضاء بين خلقه، وذلك بعد ما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق -صلوات الله وسلامه عليه- فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء، فيشفِّعه الله تعالى في ذلك- وهي أول الشفاعات- وهي المقام المحمود، فيجيء الرب تبارك وتعالى؛ لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا اهـ.

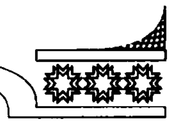
❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات مجيء الله ﷻ على ما يليق بجلاله من غير تمثيلٍ. وتأويلُ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ بجاء أمر ربك، فاسد من جهة أنه باطل، وهو من كلام المبتدعة، وأيضًا فاسد من أمر آخر، وهو أن أمر الله لا يزال يجيء ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]. اهـ

❁ **العثيمين**: المجيء والإتيان من صفات الله الفعلية، وهما ثابتتان لله على الوجه اللائق به ودليلهما قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ولا يصح تفسيرهما بمجيء أو إتيان أمره؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، ولا دليل عليه.

والمراد بقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ طلوع الشمس من مغربها الذي به تنقطع التوبة. اهـ

قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: وتأويل الكلام: ويوم تشقق السماء عن الغمام، وقيل: إن ذلك غمام أبيض، مثل الغمام الذي ظُلِّل على بني إسرائيل، ثم ذكر عن مجاهد قوله: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ قال: هو الذي قال: ﴿فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ﴾، الذي يأتي



الله فيه يوم القيامة، ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل. قال ابن جريج: الغمام الذي يأتي الله فيه غمامٌ زعموا في الجنة. وذكر بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: يهبط الله حين يهبط، بينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب، منها النور والظلمة والماء، فيضرب الماء في تلك صوتًا تنخلع له القلوب.

وعن عكرمة في قوله: ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] يقول: والملائكة حوله. وعن ابن عباس قال: «إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس، وهو يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا. فيقولون: لم يجئ وهو آتٍ. ثم تشقق السماء الثانية، ثم سماءٌ سماءٌ، على قدر ذلك من التضعيف، إلى السماء السابعة، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات، ومن الجن والإنس. قال: فتنزل الملائكة الكروبيون، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة، قال: وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه، وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول: سبحان الملك القدوس، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القَباءُ، والعرش فوق ذلك، ثم وقف»[1] انتهى[2].

قال سفيان بن عيينة: كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عليه، ليس لأحد أن يفسره إلَّا الله تعالى ورسوله.

قلت: مراده رَحِمَهُ اللَّهُ: نفي تفسير هيئة الصفة وكيفيتها، بل نفوض الكيفية إلى علم الله ﷻ، أمَّا الصفة فإنَّ مذهب السلف إثبات صفات الله ﷻ، وإثبات معناها، وتفويض الكيفية إلى علم الله ﷻ؛ لأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، ولله ﷻ المثل الأعلى. والله أعلم. اهـ

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) انظر «جامع البيان في تفسير آي القرآن» للطبري (١٧/ ٤٣٦) ط: هجر.

* **العثيمين**: ووجه ذكر المؤلف من أدلة مجيء الله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ مع أنه ليس في الآية ذكر المجيء: أنّ تشقق السماء بالغمام، وتنزيل الملائكة إنما يكونان عند مجيء الله للقضاء بين عباده، فيكون من باب الاستدلال بأحد الأمرين على الآخر؛ لما بينهما من التلازم. اهـ

* **آل الشيخ**: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] هذه الآية فيها إثبات صفة، وهي إتيان الرب يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين عباده، فإنه كما جاء في تفسيرها أن الأرض بعدما تُمد يوم القيامة مَدَّ الأديم العُكاظي(١)، فيحشر من كان في الأرض، ثم بعد ذلك تنشق السماء الدنيا، فينزل من فيها من الملائكة، فتحيط بمن في الأرض كلهم، ثم الثانية، ثم الثالثة... إلخ، ثم ينزل الرب تعالى للفصل بين عباده ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٦](٢).

فصار فيها إثبات صفة الإتيان، لا نعلم كنهها، ولا كيفيتها، مجيءُ حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

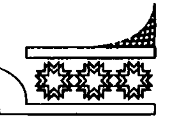
ولنعرف أن ما جاء في الآية في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم: ٨] أن المراد هو جبريل، وأما ما في الحديث في البخاري(٣)، فالمراد الباري ﷻ، وهو معروف عند أهل التحقيق. اهـ

---

(١) أي الجلد، منسوب إلى سوق عكاظ، وهو ما حمل إلى عكاظ فبيع بها. قاله في «شرح القاموس» (٢٠/ ٢٣٩).

(٢) أخرجه يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ٤٧٧-٤٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٦٢٨، ١٦٦٢٩)، وابن جرير (١٩/ ٤٥١ ط: هجر)، وابن أبي زمنين في «تفسيره» (٥/ ١٢٩)، وانظر «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٣٧٦).

(٣) رواه البخاري (٧٠٧٩) من حديث أنس بن مالك، في حديث الإسراء والمعراج، وفيه: «حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة، فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى».



* قال شيخ الإسلام المصنف(١): والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة، وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث(٢)، فبينوا له أن القرآن يصدق معنى هذا الحديث كما احتج به إسحاق بن راهويه على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر أمير خراسان. قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم، فقال له بعض قُوّاد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ قال: أثبته فوق حتى أصف لك النزول. فقال له الرجل: أثبته فوق. فقال له إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومَن يجيء يوم القيامة، مَن يمنعُه اليوم(٣)؟!اهـ

وقال العلامة ابن القيم(٤) في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢]: فعطفُ مجيء الملك على مجيئه سبحانه، يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقةً من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقسَّمَ، ونوَّعَ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدًا فتأمله.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٧٤).

(٢) يعني: النزول.

(٣) يعني: إذا جاز له المجيء يوم القيامة جاز له المجيء والنزول في الدنيا إذا شاء ﷻ، والعبرة بثبوت ذلك في النصوص، وقد صحت بذلك، بل بلغت حدَّ التواتر.

(٤) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٥٨-ط: سيد إبراهيم).

ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازِهِ، وقالوا: هذا يأباه التقسيم والترديد والاطِّراد.

واطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطِّراد، فكيف كان هذا المطَّرِد مجازًا.

ولو كان المجيء والإتيان مستحيلًا عليه لكان كالأكل، والشرب، والنوم، والغفلة، وهكذا هو عندكم سواء، فمتى عهدتم إطلاق الأكل، والشرب، والنوم، والغفلة عليه، ونسبتها إليه نسبة مجازية، وهي متعلقة بغيره؟ وهل في ذلك شيء من الكمال ألبتة؟ فإن قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] و«أتى» و«يأتي» عندكم في الاستحالة، مثل نام، وأكل، وشرب، والله سبحانه لا يطلق على نفسه هذه الأفعال ولا رسوله ﷺ، لا بقرينة، ولا مطلقة، فضلًا عن أن تُطْرَدَ نسبتُها إليه، وقد اطَّرَدَ نسبةُ المجيء والإتيان، والنزول والاستواء إليه مطلقًا، من غير قرينةٍ تدل على أن الذي نسب إليه ذلك غيره من مخلوقاته، فكيف تسوغ دعوى المجاز فيه. اهـ



إثبات صفة الوجه لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].



الشرح

قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾.

* **الهراس**: تضمنت هاتان الآيتان إثبات صفة الوجه لله ﷻ.

والنصوص في إثبات الوجه من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة، وكلها تنفي تأويل المعطلة الذين يفسرون الوجه بالجهة أو الثواب أو الذات، والذي عليه أهل الحق أن الوجه صفة غير الذات، ولا يقتضي إثباته كونه تعالى مركَّبًا من أعضاء، كما يقوله المجسمة، بل هو صفة لله على ما يليق به، فلا يشبه وجها، ولا يشبهه وجه.

واستدلت المعطلة بهاتين الآيتين على أن المراد بالوجه الذات؛ إذ لا خصوص للوجه في البقاء وعدم الهلاك.

ونحن نعارض هذا الاستدلال، بأنه لو لم يكن لله ﷻ وجه على الحقيقة لما جاء استعمال هذا اللفظ في معنى الذات؛ فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل في معنى آخر إلا إذا كان المعنى الأصلي ثابتًا للموصوف، حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلى لازمه.

على أنه يمكن دفع مجازهم بطريق آخر؛ فيقال: إنه أسند البقاء إلى الوجه، ويلزم منه بقاء الذات؛ بدلًا من أن يقال: أطلق الوجه وأراد الذات.

وقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابي أنه تعالى لما أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه، فقال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]؛ دل على أن ذكر الوجه ليس بصلة، وأن قوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، صفة للوجه، والوجه صفة للذات، وكيف يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها في مثل قوله ﷺ في حديث الطائف: «**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات..**» إلخ[(١)]، وقوله فيما رواه أبو موسى الأشعري: «**حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[(٢)]؟. اهـ

(١) أخرجه أبو عبد الله محمد بن مندة في «كتاب التوحيد» (٣٩٢)، والطبراني في «كتاب الدعاء» (١٠٣٦) وفي «كتاب السنة»، وفي «المعجم الكبير» (ج ١٣/ ص٧٣/ ح١٨١)، وعنه الضياء المقدسي في «المختارة» (ج٩/ ١٨٠/ ح١٦٢) مصححًا له، من حديث القاسم بن الليث أبي صالح الرسعني، ثنا محمد بن عثمان، أبو صفوان الثقفي، ثنا وهب بن جرير بن حازم، ثنا أبي، عن محمد بن إسحق، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي إلى الطائف ماشيًا على قدميه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين، ثم قال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أرحمَ الراحمين أنت أرحمُ الراحمين، إلى من تكلني، إلى عدو يتجهمني، أو إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تُنزل بي غضبَك أو تُحل علي سخَطك، لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**».

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٥). وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. اهـ وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع»، وسكت عنه الضياء المقدسي في «المختارة مما ليس في الصحيحين» فهو تصحيح له.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣) عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور- وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

قَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

❁ آل الشيخ: هذه الآية فيها إثبات صفة الوجه على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وفيها وصف وجه الباري بالجلال والإكرام. اهـ

❁ ابن مبارك: قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾، وقبلها ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾. و﴿ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ من نعت الوجه، فلذلك رفع ﴿ذُو﴾. وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بالياء ﴿ذِى الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ على أنه من نعت الرب وصفته[1].

قال ابن عباس: ﴿ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾: ذو العظمة والكبرياء. قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾: يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السموات إلَّا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدًا، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية بأنه ذو الجلال والإكرام. اهـ

قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾.

❁ ابن مبارك: أي: كل شيء هالكٌ إلَّا هو. اهـ

❁ آل الشيخ: فيه إثبات صفة الوجه على ما يليق بجلال الله وكبريائه وعظمته وتقدست أسماؤه.

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٢١١-٢١٢ - ط: هجر).

وهذه الصفة مما ادعت فيه الجهمية المجاز، واختلفوا في جهة مجازه، وهو باطل. اهـ

* **ابن باز**: في الآيتين إثبات الوجه الله حقٌّ، فله ﷻ الوجه الكريم. اهـ

* **العثيمين**: الوجه صفة من صفات الله الذاتية، الثابتة له حقيقةً على الوجه اللائق به، ودليله قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ و«الجلال»: العظمة و«الإكرام»: إعطاء الطائعين ما أعدّ لهم من الكرامة.

ولا يجوز تفسير الوجه بالثواب؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل. اهـ

تواتر الأدلة وإجماع السلف على ثبوت الوجه والصورة لله تعالى

* قال الشيخ المصنف[1]: ثبوت الوجه والصورة لله قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المتواترة، واتفق على ذلك سلف الأمة، وسيأتي إن شاء الله تعالى طائفة من النصوص التي فيها إثبات صورة الله تعالى كقوله ﷺ: «**فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون**»[2]، ونحو ذلك مما هو من الأحاديث التي اتفق العلماء على صحتها وثبوتها.

فأما لفظ الوجه فلا يمكن استقصاء النصوص المثبتة له.

---

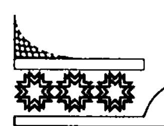
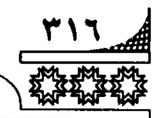
(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٥٢٦-ط: المجمع).

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارّون في القمر ليلة البدر؟**». قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**». قالوا: لا يا رسول الله قال: «**فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم..**» الحديث.

فإن قيل: قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال له: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فسلّمْ عليهم واسمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك -قال:- فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله -قال- وكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعًا فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»[1] وهذا الحديث إذا حمل على صورة الله تعالى كان ظاهره أن الله طوله ستون ذراعًا، والله تعالى كما قال ابن خزيمة جَلَّ أن يوصف بالذرعان والأشبار، ومعلوم أن هذا التقدير في حق الله باطل على قول من يثبت له حدًّا ومقدارًا من أهل الإثبات، وعلى قول نفاة ذلك، أما النفاة فظاهرٌ، وأما المثبتة فعندهم قدر الله تعالى أعظم، وحدُّه لا يعلمه إلا هو، وكرسيه قد وسع السموات والأرض، والكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٦٧]... إلخ



(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٦، ٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إثبات اليدين لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤].



قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

* **آل الشيخ**: هذا قوله لإبليس تبكيتًا له، ففيه إثبات صفة اليدين لله سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

وفيه إبطال قول من قال: إن اليد النعمة، فإن الله تعالى ذكر الخَلْق وذكر ما يَخْلُقُ به، وأيضًا القدرة ما جاءت قدرتين، أو نعمتين، وَقُرِن بالفعل. فتعين أن تكون اليدين، وأنها على الحقيقة، ومثل «خلق الله آدم بيده»، المراد باليد التي بها الفعل. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى: قال الله لإبليس، إذ لم يسجدْ لآدمَ وخالفَ أمرَه: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ يقول: أيُّ شيءٍ منعك من السجود ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ يقول: لخلق يدي، يخبر تعالى ذكره بذلك، أنه خلق آدم بيده، ثم ساق بسنده عن ابن عمر: «خلق الله أربعةً بيده: العرش، وعدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيءٍ: كن فكان»(١). اهـ

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٩)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٣٠)، والدارمي في «النقض على المريسي» (١/ ٤٧٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٩٣) وأبو الشيخ في «العظمة»(١٠٣٠)، والحاكم (٣٢٤٤) بسند صحيح على شرط مسلم، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال في «العلو»: إسناده جيد. ووافقه الألباني، وقال في «مختصره» (ص/ ١٠٥): سند صحيح على شرط مسلم.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن عباس: ليس يعنون بذلك أنَّ يدَ الله موثقة، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسكَ ما عنده، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقال الضحاك: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يقولون: إنه بخيل ليس بجواد. قال الله: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أمسكت أيديهم عن النفقة والخير، ثم قال: يعني نفسه: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾، وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، يقول: لا تمسك يدك عن النفقة.

قال البغوي: ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه، وقال جل ذكره: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. وقال النبي ﷺ: «كلتا يديه يمين»[1]، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمرُّوها كما جاءت بلا كيف اهـ.

❁ **ابن باز**: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ فهو موصوف ﷻ باليدين أيضًا كما له الوجه الكريم جل وعلا. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة اليدين، الأولى بالإفراد، والثانية بالتثنية حقيقةً على ما يليق بجلال الله وعظمته.

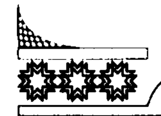
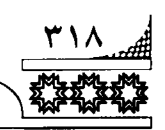
وفيه إثبات هذا البسط، والبسط في كلام العرب هو السعة وكثرة العطاء، كما في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

وفيه بيان لكمال جوده سبحانه، كما أتى في قصة الخضر وموسى حين أتى عصفور فأخذ بمنقاره من البحر، فقال الخضر لموسى ﷺ: «ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر»[2]، وكما في الآية: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠) من حديث ابن عباس مطولاً.

رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩]، وجاء في الحديث: «إحداهما يمين، والأخرى شمال، وكلتا يدي ربي يمين»(١). اهـ

❁ **العثيمين**: إن يدي الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به يبسطهما كيف يشاء، ويقبض بهما ما شاء، ودليلهما قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾.

ولا يجوز تفسير اليدين بالقوة؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف وليس عليه دليل. وفي السياق ما يمنعه وهو التثنية؛ لأن القوة لا يوصف الله بها بصيغة التثنية. اهـ

أدلة إثبات اليدين في جميع الكتب الإلهية

❁ **قال المصنف**: وإثبات اليدين له موجود في التوراة وسائر النبوات كما هو موجود في القرآن، فلم يكن في هذا شيء يخالف ما جاءت به الرسل، ولا ما يناقض العقل وقد قال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، فأخبر أنه خلق آدم بيديه وجاءت الأحاديث الصحيحة توافق ذلك. اهـ(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وأبو يعلى (٦٥٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٠٨)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (٩٠)، وابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم (٢١٤) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، وفيه: «فقال الله تبارك وتعالى له- ويداه مقبوضتان-: اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته» وسنده صحيح على شرط مسلم، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وله شاهد صحيح، ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح. اهـ

وأمَّا ذكر الشمال فقد ورد في رواية لمسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك؛ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهنَّ بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

(٢) الجواب الصحيح (٤/ ٤١٣).

وقال رَحِمَهُ اللهُ[١]: وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «**المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما ولوا**»[٢]. وقد جاء ذكر اليدين في عدة أحاديث ويذكر فيها أن كلتاهما يمين مع تفضيل اليمين، قال غير واحد من العلماء: لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص، فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة ناقصة في الفعل بحيث تفعل بمياسرها كل ما يذم -كما يباشر بيده اليسرى النجاسات والأقذار- بيّن النبي ﷺ أن كلتا يمين الرب مباركة ليس فيها نقص ولا عيب بوجه من الوجوه كما في صفات المخلوقين مع أن اليمين أفضلهما كما في حديث آدم قال: «**اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة**»، فإنه لا نقص في صفاته، ولا ذم في أفعاله، بل أفعاله كلها إما فضل وإما عدل، وفي الصحيحين عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض**»[٣] فبين ﷺ أن الفضل بيده اليمنى، والعدل بيده الأخرى.

ومعلوم أنه مع أن كلتا يديه يمين، فالفضل أعلى من العدل، وهو سبحانه كل رحمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ورحمته أفضل من نقمته؛ ولهذا كان المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ولم يكونوا عن يده الأخرى، وجعلهم عن يمين الرحمن تفضيل لهم، كما فضل في القرآن أهل اليمين، وأهل الميمنة على أصحاب الشمال، وأصحاب المشأمة، وإن كانوا إنما عذبهم بعدله، وكذلك الأحاديث والآثار جاءت بأن أهل قبضة اليمين هم أهل السعادة وأهل القبضة الأخرى هم أهل الشقاوة. اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٨٤، ٥٣٥٥، ٧٤١١، ٧٤١٩، ٧٤٩٦)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة به.

مناظرة شيخ الإسلام لبعض المعطلة في إثبات اليدين لله تعالى

وقال شيخ الإسلام المصنف «الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز»(١): ونحن نتكلم على صفة من الصفات، ونجعل الكلام فيها أنموذجا يحتذى عليه، ونعبر بصفة «اليد»، وقد قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وقال: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١].

وقد تواتر في السنة مجيء «اليد» في حديث النبي ﷺ.

فالمفهوم من هذا الكلام: أن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله؛ وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السموات بيده اليمنى و﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ومعنى بسطهما: بذل الجود وسعة العطاء؛ لأن الإعطاء والجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدها(٢)، وتركه يكون ضمًّا لليد إلى العنق، صار من الحقائق العرفية، إذا قيل هو مبسوط اليد، فُهِمَ منه يدٌ حقيقةً وكان ظاهره الجود، والبخلُ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ويقولون: فلان جعد البنان وسبط البنان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٢).

(٢) ليس هذا من التأويل الذي هو صرف اللفظ عن حقيقته، بل هذا تفسير بحسب السياق الذي جاء فيه ذكر اليدين، وبمثل هذا جاءت تفاسير كثير من السلف، أعني بيان المعنى المراد من حيث السياق لا بيان مفردات السياق.

قلت له[١]: فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيدي المخلوقين، وأن يده ليست جارحة فهذا حق، وإن زعم أنه ليس له يدٌ زائدة على الصفات السبع[٢]؛ فهو مبطل، فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة:

أما الأول: فيقول: إن اليد تكون بمعنى النعمة والعطية؛ تسمية للشيء باسم سببه، كما يسمى المطر والنبات سماءً، ومنه قولهم: لفلان عنده أيادٍ، وقول أبي طالب لما فقد النبي ﷺ:

يـــا رب ردَّ راكبـــي محمـــدا * ردًّا عـــليَّ واصـــطنع عنـــدي يـــدا

وقول عروة بن مسعود لأبي بكر يوم الحديبية: لولا يدٌ لك عندي لم أجْزِكَ بها لأجبتك.

وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسميةً للشيء باسم مسبِّبِهِ؛ لأن القدرة هي تحرك اليد، يقولون: فلان له يدٌ في كذا وكذا، ومنه قول زيادٍ لمعاوية: إني قد أمسكت العراق بإحدى يدَيَّ، ويدِيْ الأخرى فارغة، يريد نصفَ قدرتي ضبطَ أمرَ العراق.

ومنه قوله: ﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والنكاح كلامٌ يقال، وإنما معناه أنه مقتدر عليه.

وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسِه؛ لأن غالب الأفعال لما كانت باليدِ جعل ذكر اليد إشارةً إلى أنه فعلَ بنفسه، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٢] أي: بما قدمتم. فإن بعض ما قدموه كلام تكلموا به، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ إلى قوله:

---

(١) يحكي الشيخ مناظرة جرت بينه وبين بعض الناس ذكرها في أول الرسالة المدنية (مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٤).

(٢) يعني الصفات السبع التي يثبتها معظم الأشعرية المتأخرون.

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٥٠-٥١]، والعرب تقول: يداك أوكتا وفوك نفخ، توبيخًا لكل من جَرَّ على نفسه جريرة؛ لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وفمه.

قلت له: ونحن لا ننكر لغة العرب، التي نزل بها القرآن في هذا كله، والمتأولون للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وألحدوا في أسمائه وآياته تأولوا قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ ﴾، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، على هذا كله، فقالوا: إن المراد نعمته أي: نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقالوا: بقدرته، وقالوا: اللفظ كناية عن نفس الجود، من غير أن يكون هناك يدٌ حقيقة، بل هذه اللفظة قد صارت حقيقةً في العطاء والجود.

وقوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ أي: خلقته أنا وإن لم يكن هناك يد حقيقية.

قلت له: فهذه تأويلاتهم.

قال: نعم.

قلت له: فننظر فيما قدمنا:

المقام الأول: أن لفظ «اليدين» بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن من لغة القوم[1] استعمال الواحد في الجمع كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾ [العصر: ٢]، ولفظ الجمع في الواحد كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين كقوله: ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ ﴾ [التحريم: ٤].

أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عددٌ وهي نصوصٌ في معناها، لا يُتَجَوَّزُ بها، ولا يجوز أن يقال: عندي رجل ويعني رجلين، ولا عندي رجلان، ويعني به الجنس؛ لأن اسم الواحد يدل على الجنس، والجنس فيه شياعٌ.

---

(١) أي: العرب.

وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنسِ والجنسُ يحصل بحصول الواحد.

فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية.

ولا يجوز أن يكون «لما خلقت أنا»؛ لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليدِ، فتكون إضافته إلى اليد إضافةً له إلى الفعل، كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ومنه قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعُدِّيَ الفعل إلى اليد بحرف الباء، كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، فإنه نص في أنه فَعَلَ الفعلَ بيديه؛ ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقال: فعلت هذا بيديك، ويقال: هذا فعلته يداك[١]؛ لأن مجرد قوله: فعلت كافٍ في الإضافة إلى الفاعل، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقةً، كان ذلك زيادةً محضةً من غير فائدة، ولست تجد في كلام العرب ولا العجم -إن شاء الله تعالى- أن فصيحًا يقول: فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة.

ولا يجوز أن يكون لا يَدَ له، أو أن يكون له يدٌ والفعل وقع بغيرها.

وبهذا الفرق المحقَّقِ تتبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة، ويتبين أن الآيات لا تقبل المجاز أَلْبَتة من جهة نفس اللغة.

قال لي: فقد أوقعوا الاثنين موقع الواحد في قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق: ٢٤]، وإنما هو خطاب للواحد.

---

(١) يعني: أنّ هناك فرقًا بين قولك فعلته يداك، وقولك فعلتَه بيديك، فالأول يدل على إضافة الفعل إلى المخاطب، سواء فعله بيديه أم لا، والثاني: يدل على مباشرة الفعل بيديه خاصة، وبهذا يظهر الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾، وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

قلت له: هذا ممنوع، بل قوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ قد قيل: تثنية الفاعل لتثنية الفعل، والمعنى ألقِ ألقِ، وقد قيل: إنه خطاب للسائق والشهيد.

ومن قال: إنه خطاب للواحد قال: إن الإنسان يكون معه اثنان: أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول: خليلي خليلي. ثم إنه يوقع هذا الخطاب وإن لم يكونا موجودين كأنه يخاطب موجودين.

فقوله: ﴿أَلْقِيَا﴾ عند هذا القائل إنما هو خطاب لاثنين يُقَدَّرُ وجودُهما، فلا حجة فيه ألبتة.

* قلت له: المقام الثاني: أن يقال: هب أنه يجوز أن يعني باليد حقيقة اليد، وأن يعني بها القدرة أو النعمة، أو يجعل ذكرها كناية عن الفعل، لكن ما الموجب لصرفها عن الحقيقة؟

فإن قلتَ: لأن اليد هي الجارحة، وذلك ممتنع على الله سبحانه.

قلتُ لك: هذا ونحوه يوجب امتناع وصفه بأن له يدًا من جنس أيدي المخلوقين، وهذا لا ريب فيه، لكن لم لا يجوز أن يكون له يَدٌ تناسب ذاته، تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات؟

قال: ليس في العقل والسمع ما يحيل هذا.

قلتُ: فإذا كان هذا ممكنًا، وهو حقيقة اللفظ، فلم يصرف عنه اللفظ إلى مجازه؟

وكل ما يذكره الخصمُ من دليلٍ يدل على امتناع وصفه بما يسمى به -وصحت الدلالة- سلم له أن المعنى الذي يستحقه المخلوق منتف عنه.

وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يَدٌ يستحقها الخالق، كالعلم والقدرة، بل كالذات والوجود.

* المقام الثالث: قلتُ له: بلغك أن في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ، أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا: المراد باليد خلاف ظاهره؟ أو الظاهر غير مراد؟ أو هل في كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة، بل أو دلالة خفية؟

فإن أقصى ما يذكره المتكلف قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وهؤلاء الآيات إنما يدللن على انتفاء التجسيم والتشبيه، أما انتفاء يدٍ تليق بجلاله فليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه.

وكذلك هل في العقل ما يدل دلالة ظاهرة على أن الباري لا يَدَ له ألبتة؟ لا يدًا تليق بجلاله ولا يدًا تناسب المحدثات، وهل فيه ما يدل على ذلك أصلًا، ولو بوجه خفي؟

فإذا لم يكن في السمع ولا في العقل ما ينفي حقيقة اليد اَلْبتَةَ، وإن فرض ما ينافيها فإنما هو من الوجوه الخفية -عند من يدعيه- وإلا ففي الحقيقة إنما هو شبهة فاسدة.

فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد، وأن الله تعالى خلق بيده، وأن ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، وأن الملك بيده وفي الحديث ما لا يحصى، ثم إن رسول الله ﷺ وأولي الأمر(١) لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقته، ولا ظاهره حتى ينشأ جهم بن صفوان بعد انقراض عصر الصحابة، فيبين للناس ما نزل إليهم على نبيهم، ويتبعه عليه بشر بن غياث، ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق؟.

وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا ﷺ كل شيء حتى الخِراءَةَ(٢)، ويقول: «**ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد**

---

(١) يعني: الأئمة العلماء من سلف هذه الأمة وأئمتها المتفق على إمامتهم في الأمة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢) عن عبد الرحمن بن يزيد، عن سلمان أنه قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة؟ قال: فقال: «أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم»، والخراءة بكسر الخاء. أي: هيئة قضاء الحاجة.

حدثتكم به»[١]، «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[٢]، ثم يترك الكتاب المنزل عليه وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم أن ظاهره تشبيه وتجسيم وأن اعتقاد ظاهره ضلال- وهو لا يبين ذلك، ولا يوضحه؟

وكيف يجوز للسلف أن يقولوا: أمروها كما جاءت مع أن معناها المجازي هو المراد؟ وهو شيء لا يفهمه العرب، حتى يكون أبناء الفرس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟.

* المقام الرابع: قلتُ له: أنا أذكر لك من الأدلة الجلية القاطعة والظاهرة ما يبين لك أن الله يدين حقيقةً.

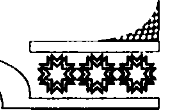
فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة، وامتناعهم عن التكبر عليه، فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته، أو بنعمته، أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات.

قال لي: فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف، كقوله: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣]، وبيت الله.

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤١١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١/ ٩٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٣، ٤٨، ٥٦)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦١٩)، وفي «مسند الشاميين» (٢٠١٧)، والآجري في «الشريعة» (ص/ ٤٧ط: حمزة)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (ص٤٨٢) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، أنه سمع العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم، فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا عضوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد».



قلت له: لا تكون الإضافة تشريفًا، حتى يكون في المضاف معنى أفرده به عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما تمتاز به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة.

والأمر هنا كذلك فإضافة خلق آدم إليه، أنه خلقه بيديه يوجب أن يكون خلقه بيديه أنه قد فعله بيديه وخلق هؤلاء بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما جاءت به الآثار.

ومن ذلك أنهم إذا قالوا: بيده الملك، أو عملته يداك فهما شيئان: أحدهما: إثبات اليد، والثاني: إضافة الملك والعمل إليها، والثاني يقع فيه التجوز كثيرًا، أما الأول فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنسٍ له يَدٌ حقيقةً، ولا يقولون: يدُ الهوى، ولا يد الماء.

فهب أن قوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، قد علم منه أن المراد بقدرته، لكن لا يُتَجَوَّزُ بذلك إلا لمن له يَدٌ حقيقةً.

والفرق بين قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، من وجهين:

أحدهما: أنه هنا أضاف الفعل إليه، وبيَّنَ أنه خلقه بيديه، وهناك أضاف الفعل إلى الأيدي.

الثاني: أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع التثنية، إذا أُمِنَ اللَّبسُ، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، أي: يديهما، وقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]، أي: قلباكما، فكذلك قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١].

وأما السنة فكثيرة جدًّا، مثل قوله ﷺ: «المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن- وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»، رواه مسلم(١).

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

وقوله ﷺ: «**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغضْ ما في يمينه، والقسطُ بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة**»، رواه مسلم في «صحيحه»؛ والبخاري فيما أظن[١].

وفي «الصحيح» أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يتكفأ أحدكم بيده خبزته في السفر**»[٢].

وفي «الصحيح» أيضا عن ابن عمر يحكي رسول الله ﷺ قال: «**يأخذ الرب عز وجل سمواته وأرضه بيديه** -وجعل يقبض يديه ويبسطها- **ويقول: أنا الرحمن. حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل منه حتى إني أقول: أساقط هو برسول الله**»؟ وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] قال: «**يقول: أنا الله أنا الجبار**» وذكره[٣].

وفي «الصحيح» أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟**»[٤] وما يوافق هذا من حديث الحبر[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٤، ٥٣٥٥، ٧٤١١، ٧٤١٩، ٧٤٩٦)، ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) أخرجه أحمد (٥٤١٤)، ومسلم (٢٧٨٨)، وابن ماجه (١٩٨، ٤٢٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٩٦)، وابن حبان (٧٣٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥٣٤، ٦١٥٤، ٦٩٤٧)، ومسلم (٢٧٨٧)

(٥) حديث الحبر هو حديث ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار -يهودي- إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنّا نجد أنّ الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

وفي حديث صحيح: «إن الله لما خلق آدم قال له- ويداه مقبوضتان-: اختر أيهما شئت قال: اخترت يمين ربي- وكلتا يدي ربي يمين مباركة- ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته»(١).

وفي «الصحيح»: «أن الله كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق: إن رحمتي تغلب غضبي»(٢).

وفي «الصحيح»: «إنه لما تحاج آدم وموسى قال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، وقد قال له موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٥٨٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٠٦)، والبيهقي في «الكبرى»(٢١٠٢٥)، وصححه ابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم (٢١٤). قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. اهـ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. اهـ وقال الشيخ الألباني: إسناده حسن.

(٢) هذا لفظ حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٩٥٩٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ١٨٠)، والترمذي (٣٥٤٣)، وابن ماجه (١٨٩) و(٤٢٩٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ١٩ و١٣٤)، وابن حبان (٦١٤٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.
والذي أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤١٢، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) بلفظ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتابا، قَبلَ أَنْ يَخْلُقَ الخلقَ: إِنَّ رَحمتي سَبقَتْ غضبي، فَهو مكتوبٌ عندهُ فوقَ العرش». ولمسلم أيضا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «قال الله ﷻ: سبقت رحمتي غضبي». وله في أخرى: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه، فهو موضوع عنده: إِنَّ رحمتي تغلب غضبي».

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٢)، وفي رواية للبخاري(٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى» ثلاثًا.

وفي حديث آخر أنه قال سبحانه: «وعزتي وجلالي، لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان»(١).

وفي حديث آخر في «السنن»: «لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون»(٢). فذكرت له هذه الأحاديث وغيرها.

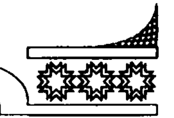
ثم قلتُ له: هل تقبل هذه الأحاديث تأويلًا، أم هي نصوص قاطعة؟ وهذه أحاديث تلقتها الأمة بالقبول والتصديق ونقلتها من بحر غزير.

فأظهر الرجل التوبة وتبين له الحق، وهذا باب واسع، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]. اهـ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٧) عن عروة بن رويم الأنصاري، والطبراني في «الأوسط» (٦١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو، وفي «مسند الشاميين» (٥٢١) عن جابر.

(٢) أخرجه أحمد (٣١١)، أبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، وابن أبي عاصم (١٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٠)، والطبري في «جامع البيان» (٩ / ١١٣)، وفي «التاريخ» (١/ ١٣٥)، وابن حبان (٦١٦٦)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٩٩٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٧٧)، و«معالم التنزيل» (٢ / ٢١١ و٥٤٤) من حديث عمر بن الخطاب. وصححه الحاكم في «المستدرك» (١ / ٢٧ و٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥ و٥٤٤)، ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.



قول أبي الحسن الأشعري في إثبات اليدين ورده شبهات المعطلة

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: نقلًا عن «كتاب الإبانة عن أصول الديانة» للشيخ أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ الذي صنفه بعد رجوعه إلى مذهب السلف[2]، أنه قال: وإن سألنا فقال: أتقولون إن لله ﷻ يدين؟ قيل له: نعم نقول ذلك لقوله ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وروي عن النبي ﷺ: **«أن الله خلق آدم بيديه، وغرس شجرة طوبى بيده»**[3]، وقال ﷻ ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: **«كلتا يديه يمين»**[4]، وقال سبحانه: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل: عملت كذا وكذا بيدي، وهو يعني به النعمة، وإذا كان الله سبحانه خاطب العرب بلغتها، وما تجده مفهومًا في كلامها، ومعقولًا في خطابها، ولا يجوز أن تقول في خطابها: فعلت بيدي، وتعني به النعمة بطل أن يكون معنى قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ النعمةَ، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدان. يعني: له عليه نعمتان.

ومَن دافَعَنا عن استعمال اللغة، ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها، ودفع ذلك- دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة، إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد نعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يحتج بها، وأن لا يقرأ القرآن ولا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن رجع في تفسير قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يعني: نعمتي. إلى الإجماع فليس المسلمون على ما ادعاه من ذلك متفقين، وإن رجع إلى اللغة أن يقول: معنى: نعمتي: أن يقول القائل: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي. وإن لجأ إلى وجه ثالثٍ سألْناه عنه، ولن يجد إلى ذلك سبيلًا.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٣٣٧-ط: المجمع).

(٢) الذي قال عنه ابن عساكر في «التبيين»: إنه آخر كتبه، وعليه اعتمد في ذكره مناقبه واعتقاده.

(٣) تقدم من حديث ابن عمر موقوفًا، وأنه صحيح له حكم الرفع.

(٤) تقدم قريبًا.

ويقال لأهل البدع: لمَ زعمتم أن معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ نعمتي؟ أزعمتم ذلك إجماعًا، أو لغة؟ فلا يجدون ذلك في إجماعٍ ولا في لغةٍ.

فإن قالوا: قلنا ذلك من القياس.

قيل لهم: من أين وجدتم في القياس أن قول الله ﷻ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم العقل أن يفسر لفظة كذا وكذا؟ مع أنا رأينا الله ﷻ قد قال في كتابه الناطق، على لسان نبيه الصادق ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ولولا أن القرآن بلسان العرب ما جاز أن تتدبره، ولا أن تعرف العربُ معانيَه إذا سمعته.

فلما كان مَن لا يحسن كلام العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، عَلِم أنهم علموه؛ لأنه بلسانهم نزل.

قال[1]: وقد اعتل معتل بقول الله ﷻ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، قال: الأيدي القوة، فوجب أن يكون معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾، أي: بقدرتي.

قيل لهم: هذا التأويل فاسد مِن وجوه:

أحدها: أن الأَيْدَ ليس بجمع اليدِ؛ لأن جمع يَدٍ أيدي، وجمع اليد التي هي نعمة أيادي، والله ﷻ لم يقل: بأيدي، ولا قال: بأيادي، وإنما قال ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فبطل أن يكون معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ معنى قوله ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وأيضًا فلو أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتَيَّ، وهذا مناقض لقول مخالفينا[2] ومجانب لمذاهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرةَ الله ﷻ، فكيف يثبتون قدرتين؟

---

(١) أي: أبو الحسن الأشعري.

(٢) يعني: المعتزلة.

وأيضًا فلو كان الله ﷻ عنى بقوله ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] القدرةَ لم يكن لآدم ﷺ على إبليس -لعنه الله- في ذلك مزِيَّةٌ، والله ﷻ أراد أن يُرِي فضل آدم ﷺ، إذ خلقه بيديه دونه، فلو كان خالقًا لإبليس بيده(١) كما خلق آدم بيده لم يكن لتفضيله على إبليس بذلك وجه، وكان إبليس محتجًا على ربه ﷻ أن يقول: وأنا أيضًا خلقتني بيدك كما خلقت آدم بها. فلما أراد تفضيله عليه بذلك قال له توبيخًا على استكباره على آدم أن يسجد له ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، فدل ذلك على أنه ليس معنى الآية القدرة؛ إذْ كان الله ﷻ قد خلق الأشياء جميعها بقدرته، وأنه إنما أراد إثبات يدين لم يشاركْ إبليسُ لعنه الله آدمَ ﷺ في أنه خلق بهما.

قال(٢): وليس يخلو قوله ﷻ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] أن يكون معنى ذلك إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات قدرتين، أو يكون معناه معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين، ولا قدرتين، ولا يوصفان إلا كما وصف الله، ولا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين؛ لأنه لا يجوز أن يقول القائل: عملت بيديّ، وهو يعني: نعمتيَّ، ولا يجوز أن يعني عندنا ولا عند خصومنا جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن يعني قدرتين؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين؟

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة، صح القسم الرابع، وهو أن معنى قوله ﷻ: ﴿بِيَدَيَّ﴾: إثبات يدين ليستا قدرتين، ولا نعمتين، ولا جارحتين، ولا يوصفان، إلا أن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي. خارجًا عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت، وأيضًا فلو كان معنى قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾: نعمتي لكان لا فضيلة لآدم ﷺ على إبليس في ذلك على مذاهب مخالفينا؛ لأن الله قد ابتدأ إبليس بنعمةٍ -على قولهم- كما ابتدأ بذلك لآدم، فليس تخلو

---

(١) يعني: يد القدرة كما زعموا.

(٢) يعني: الأشعريَّ.

النعمتان أن يكون عنى بهما بدَنَ آدم، أو تكونا عرضين خُلُقا في آدم، فإن عنى بذلك بدنَ آدم، فالأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنسٌ واحد، وإذا كان الأبدان عندهم جنسًا واحدًا، فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم.

وكذلك إن كان عنى عرضين، فليس من عرض فعله في بدن آدم من لون، أو حياة، أو قوة، أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، فهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم على إبليس في ذلك، والله ﷻ إنما احتج على إبليس بذلك؛ ليريَه أن لآدم في ذلك الفضيلة، فدل ما قلناه على أن الله ﷻ قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لم يعن نعمتي.

ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله ﷻ عنى بقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾: يدين ليستا نعمتين؟

فإن قالوا: لأن اليدين إذا لم تكن نعمة، لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟

فإن قالوا: رجعنا إلى الشاهد، وإلى ما نجد فيما بيننا مخلوقًا، فوجدنا ذلك إذا لم يكن نعمة في الشاهد لم يكن إلا جارحة.

قيل لهم: إن كان رجوعكم إلى الشاهد، وعليه عملتم، وبه قضيتم على الله ﷻ، فكذلك لم تجدوا حيًّا من الخلق إلا جسمًا ولحمًا ودمًا، فاقضوا بذلك على ربكم تعالى، وإلا كنتم لقولكم تاركين، ولاعتلالكم ناقضين.

وإن أثبتم حيًّا لا كالأحياء، فلم أنكرتم أن تكون اليدان التي أخبر الله عنهما يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

وكذلك يقال: لم تجدوا مدبرًا حكيمًا إلا إنسانًا، وأثبتم الباري مدبرًا حكيمًا، ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد، فقد نقضتم اعتلالكم.

فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين، ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف للشاهد.

فإن قالوا: فإذا أثبتم لله يدين لقوله ﷻ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] فلم لا أثبتم له أيديًا لقوله سبحانه ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]؟

قيل لهم: قد أجمع على بطلان قول مَن قال ذلك، فوجب أن يكون الله ﷻ ذكرَ أيدٍ، ورجع إلى إثبات يدين؛ لأن الدليل قد دل على صحة الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحًا وجب أن يرجع من قوله أيدي إلى يدين؛ لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجةً أوّلنا بها ذكر الأيدي على[1] الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخرُ على حقيقةٍ لا يزول عنها إلا بحجة.

فإن قال قائل: إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين، فما أنكرتم أن يكون ذكر الأيدي ويريد به يدًا واحدة؟

قيل له: ذكر الله ﷻ أيدي وأراد يدين؛ لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال: أيدي كثيرة، وقول من قال: يد واحدة. فقلنا: يدان؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف ظاهره.

رد شبهة القائلين بالمجاز

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] على المجاز؟

قيل له: حكم كلام الله على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة، ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام عمومٌ[2]، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص، فليس على حقيقةِ الظاهرِ، وليس يجوز أن يعدل بها ظاهره العموم بغير حجةٍ، فكذلك قوله ﷻ: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] على ظاهره من إثبات الأيدي،

---

(١) في الإبانة (عن).
(٢) في «الإبانة»: (العموم).

ولا يجوز أن يعدَل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا بغير حجة، فلو كان ذلك جائزًا، لجاز لمدّعٍ أن يدعيَ أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان، لم يجز لكم ما ادعيتموه، وأنه محال أن يكون مجازًا بغير حجةٍ.

بل واجب أن يكون ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] إثبات يدين لله تعالى، في الحقيقة[١] غير نعمتين؛ إذْ كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيديَّ وهو يعني نعمتي[٢].

قلت[٣]: وهذا القول الذي ذكره الأشعري في «الإبانة» ونَصَرَه، ذكَرَه في «كتابِ المقالات الكبير»، الذي فيه مقالات الإسلاميين ومقالات الطوائف غير الإسلاميين[٤]، وكتابِ «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»[٥] - أنه قول جملةِ أصحاب الحديث وأهل السنة، فقال -بعد أن ذكر مقالات الشيعة، ثم الخوارج، ثم المعتزلة، ثم المجسمة، ثم الجهمية، ثم الضرارية، ثم البكرية، ثم قوم من النساك، ثم قال-: هذه حكاية قول جملة أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئًا... إلى آخر ما ذكر الشيخ المصنف رحمه الله عن الأشعري رحمه الله من عقيدة أهل السنة والجماعة إلى أن قال أبو الحسن الأشعري: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا وبه نستعين، وعليه نتوكل، وإليه المصير. اهـ[٦].

---

(١) من «الإبانة».

(٢) انتهى كلام الأشعري رحمه الله.

(٣) القائل هو ابن تيمية.

(٤) غير كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، المعروف المطبوع، لأن لأبي الحسن ثلاثة كتب في المقالات وهي: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» وهو مطبوع مشهور، و«مقالات غير الإسلاميين»، و«جمل المقالات» وهو الكبير ذكر فيه مقالات الإسلاميين وغير الإسلاميين.

(٥) انظر: «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص/ ٢٩٠-٢٩٧-ط: هلموت ريتر).

(٦) «مقالات الإسلاميين» (ص/ ٢٩٧).

* وقال شيخ الإسلام(١) في رد قول من يجعل اللفظ نظيرًا لما ليس مثله، كما قيل في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فقيل هو مثل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١]، قال: فهذا ليس مثل هذا؛ لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي، فصار شبيهًا بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وهنا أضاف الفعل إليه فقال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ﴾ ثم قال: ﴿بِيَدَيَّ﴾ وأيضا: فإنه هنا ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد، وفي اليدين ذكر لفظ التثنية كما في قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ وهناك أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع فصار كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤].

وهذا في الجمع نظير قوله: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وبيده الخير في المفرد، فالله ﷻ يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهرًا أو مضمرًا، وتارة بصيغةِ الجمع، كقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وأمثال ذلك، ولا يذكر نفسَه بصيغة التثنية قط؛ لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك فلو قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] لما كان كقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] وهو نظير قوله: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وبيده الخير، ولو قال خلقت بصيغة الإفراد لكان مفارقا له، فكيف إذا قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ بصيغة التثنية؟ هذا مع دلالات الأحاديث المستفيضة، بل المتواترة وإجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه مثل قوله: «**المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»(٢) وأمثال ذلك. اهـ

وقال أيضًا(٣): ومن احتج بما ذكره الله تعالى عن نفسه بلفظ الجمع على العدد فهو ممن تمسك بالمتشابه وترك المحكم، كما فعل نصارى نجران، الذين قَدِموا على النبي ﷺ،

---

(١) «التدمرية» (ص/ ٤٩)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٥).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٤٧٧-٤٨٥-ط: المجمع).

وناظروه في أمر المسيح، وذكروا أن صدر آل عمران أُنزلت بسببهم؛ إذ عامته في ذكر المسيح، واتّباعهم للمتشابه، أن قالوا: ألم يقل في كتابك «إنا» و«نحن» فهذا يدل على أن الآلهة ثلاثة. فتركوا المحكم في كتاب الله كقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] واتبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فهكذا قد يقال فيمن عمد إلى لفظ «أعيننا» وترك لفظ «عيني» أنه اتبع المتشابه دون المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد ثبت في «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«يا عائشة إذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم»**(١).

وهذا الكلام يقال في لفظ ﴿أَيْدِينَا﴾ مع قوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فإن صيغة المضاف إليه هناك صيغة جمع، بخلاف صيغة المضاف إليه في بقية الآيات، فجاء على لفظ المضاف إليه.

ومما يوضح الأمر في ذلك أن من لغة العرب الظاهرة التي نزل بها القرآن استعمال لفظ الجمع في موضع التثنية في المضاف إذا كان متصلًا بالمضاف إليه، والمعنى ظاهر، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤] وليس لكل منهما إلا قلب فالمعنى قلباكما، لكن النطق بلفظ الجمع أسهل، والمعنى معروف أنه ليس لكل منهما إلا قلب، وكذلك قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، والمعنى فاقطعوا أيمانهما إذ لا يقطع من كل واحد إلا يده اليمنى، لكن وضع الجمع موضع التثنية؛ لسهولة الخطاب وظهور المراد، وفي قراءة عبد الله: (فاقْطَعُونا أَيْمانَهُما)(٢) حتى إن التعبير في مثل هذا بلفظ التثنية عدول عن أفصح الكلام وإن كان جائزًا كما قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (٣/ ١٦٩٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥١).

.... * ظهراهما مثل ظهور الترسين[١]

وقد جاء مثل الأول في المضاف المنفصل، وهو قليل، كقوله: «وضعا رحالهما»[٢].

وإذا كان كذلك قيل: لفظُ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ولفظ ﴿أَيْدِينَا﴾ مع كون المضاف إليه ضمير جمع أولى بالحُسنِ مما إذا كان المضاف إليه ضميرَ تثنية.

فإذا كان من لغتهم تركَ استحسان «قلباكما» و«يديهما» فلأن يكون في لغتهم ترك استحسان بـ«عيننا» أو «بعينينا» ومما عملت «يَدُنَا» أو «يدانا» أولى وأحرى، ويكون المضاف مفردًا أو مثنى والمضاف إليه مجموعًا، وهذا خروج عن المطابقة، وعدول عن الحسن أعظم من ذلك، بل هنا يقبح مثل هذا اللفظ، فإنه إذا عبر عن نفسه بصيغة الجمع تعظيمًا وتفخيمًا، فالتعبير مع ذلك عما أضيف بها لا تعظيم فيه تناقض في البيان وتناسب الكلام، ويوضح ذلك أنه في الصورة المستشهد بها كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ و﴿فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾ يعلل بأنه حسن العدول عن المثنى بأن صيغة الجمع واحدة

---

(١) الرجز لخطام المجاشي وقبله:

ومهمهين قذفين مرتين ** ظهراهما مثل ظهور الترسين

انظر «الكتاب» لسيبويه (١/ ٢٤١)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٣٧٤) للبغدادي.

(٢) أي كما نقل عن العرب ذلك قاله سيبويه والبغدادي في الخزانة (٣/ ٣٧٠). قال الزجاج: وحقيقة هذا الباب أنَّ ما كان في الشيء منه واحد لم يثنَّ، ولُفظَ به على الجمع لأنَّ الإضافة تبيِّنه، فإذا قلت: أشبعت بطونهما علم أنه للاثنين بطنين فقط. انظر: «روح المعاني» للآلوسي.

وقال القرطبي (٦/ ١٧٣): قال الخليل بن أحمد والفراء: كل شيء يوجد من خلق الإنسان إذا أضيف إلى اثنين جُمِعَ، تقول: هُشمت رؤوسهما، وأشبعت بطونهما، ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، ولهذا قال: ﴿فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا﴾، ولم يقل: يديهما، والمراد فاقطعوا يمينًا من هذا ويمينًا من هذا. ويجوز في اللغة: فاقطعوا يديهما، وهو الأصل، وقد قال الشاعر -فجمع بين اللغتين-:

ومَهْمَهَينِ قَذَفَينِ مَرْتَين ** ظهراهما مثل ظهور التُرسين

وقيل: فعل هذا لأنه لا يشكل. وقال سيبويه: إذا كان مفردًا قد يجمع إذا أردت به التثنية، وحكى عن العرب: «وضعا رحالهما» ويريد: رحلي راحلتيهما. اهـ

معرَبَةٌ بالحروف، فهي أخف من صيغة التثنية التي تختلف في النصب وفي الرفع والخفض، إذ يحتاج أن يقول: صَغِيَ قلباهما، وقلَّبَ الله قلبيهما، وزيّن الإيمان في قلبيهما، وعلى المعروف يقال: صغت قلوبهما، وقلب الله قلوبهما، وزيّن الإيمان في قلوبهما، فهذا أخف وأسهل وأحسن.

فإذا قال: مما عملت يدانا، وخلقنا بيدينا، وبسطنا بيدينا، كان هذا بخلاف ما لو قيل ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، وخلقنا بأيدينا، وبسطنا أيدينا، كان هذا أخف وأسهل وأحسن من الأول، فكيف وفي هذه الصور المضاف إليه لفظه لفظ الجمع؟

فإذا كانوا يعدلون عن إضافة المثنى إلى المثنى، فيجعلون المضاف بلفظ الجمع، فَلَأَنْ يعدلوا عن إضافة المثنى إلى الجمع، ويجعلوا المضاف بلفظ الجمع أولى وأحرى.

والقرآن جاء صريحًا في اليد بلفظ التثنية في قوله ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] ولم يقل: لما خلقته أيدينا، كما قال هناك: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، بل أخبر أنه خلق هو، وذكر أنه خلق بيديه، ومثل هذا اللفظ لا يحتمل من المجاز ما يحتمله ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾، فإن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه، كقوله ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: ١٠]، وقال تعالى ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فأخبر عن اليهود أنهم ذكروا ذلك بصيغة الفرد، ثم قال﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فأخبر أن يديه مبسوطتان، وجاء بلفظ المفرد في مواضع، كقوله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وقوله تبارك وتعالى ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ولم يجئ بلفظ الجمع إلا في قوله ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١].

فإذا ادعى المدعي أن ظاهر القرآن أنَّ لله أيديًا كثيرة بهذه الآية مع معارضة تلك الآيات المتعددة لها، أليس هذا في غاية البهتان، وكان إذا لم يعرف الجمع بين الآيات يكفيه أن يقول: لا أعلم ظاهر القرآن، أو يدعي أنه ليس له ظاهر، أما تعيين المجمل المرجوح للظهور دون غيره فتحريف وتبديل.

ويقال له: أما صيغة التثنية فإنها نص في مسماها؛ لأنها من أسماء العدد، وأسماء العدد نصوص، لا يجوز اثنان، أو ثلاثة، أو أربعة، ويعني به إلا ذلك العدد، حتى إنه قيل في مثل قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن ذلك يوجب القروء الكاملة؛ لكونه بلفظ العدد، بخلاف قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فإنه يراد به بعض الثلاث؛ لكونه لفظ جمع، ولكون مثل ذلك مستعملًا في أسماء الزمان.

وأما صيغة المفرد فكثيرًا ما يراد بها الجنس، فيتناوله سواء كان واحدًا أو اثنين أو ثلاثة، كما قد يراد بها الواحد في العين، وقد يقال الأصل هو الأول؛ ولهذا إذا دخل حرف النفي عليها كان ظاهرها نفي الجنس، وقد يراد بها نفي الواحد من الجنس، فيقال: ما جاءني رجل، بل رجلان. هذا خلاف الظاهر.

والأصل عند الإطلاق، إذا قلت: ما جاءني رجل. أن تكون نافيةً للجنس، ونفي الواحد يكون بقرينة؛ ولهذا عامة المفرد المضاف في القرآن كذلك، مثل قوله: ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾، و﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك فقوله ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ و﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، يدل على جنس اليد، فيعم ما للمضاف إليه، سواء كانت يدًا أو يدين، أو يكون مطلقًا، لا يدل على عموم ولا خصوص.

وكذلك قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩] يتناول ما للمضاف إليه من ذلك.

وقوله «**فيكشف الرب عن ساقه**»[١]، و«**حتى يضع رب العزة فيها قدمه**»[٢] يقال: إنه من المطلق أيضًا؛ إذ الجنس المضاف يراد به العموم تارة، ويراد به مطلق الجنس تارة، والمقصود أن ذلك لا يوجب أن يكون واحدًا بالعين، وأما صيغة الجمع واستعمالها بمعنى التثنية فقد تقدمت شواهده.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٦١، ٧٣٨٤، ٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس، وأخرجه البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة.

وإذا كان كذلك كان ظاهر القرآن، بل نصه أن لله يدين، وكان ما ذكر فيه من لفظ المفرد أريد به الجنس، وما ذكر فيه من لفظ الجمع أريد به المثنى.

وكل هذا هو من ظاهر الخطاب، وفصيح اللغة، ليس فيه شيء من غريب اللغة وخفيها، بل هو جارٍ على الاستعمال الظاهر المشهور، فتبين أنما جعله ظاهر القرآن هو خلاف نصه وظاهره. اهـ

وسيأتي مزيد بسط من كلام الشيخ المصنف في آخر الفصل التالي. في إثبات العينين لله تعالى، إن شاء الله.



إثبات صفة العينين لله تعالى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٣-١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].



الشرح

❁ **الهراس**: في هذه الآيات الثلاث يثبت الله سبحانه لنفسه عينًا يرى بها جميع المرئيات، وهي صفة حقيقية لله ﷻ على ما يليق به، فلا يقتضي إثباتها كونها جارحة مركبة من شحم وعصب وغيرهما.

وتفسير المعطلة لها بالرؤية، أو بالحفظ والرعاية نفي وتعطيل.

وأما إفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر، فلا حجة لهم فيه على نفيها، فإن لغة العرب تتسع لذلك، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، كما قدمنا في اليدين، على أنه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من هذه المعاني التي ذكروها إلا بالنسبة لمن له عين حقيقية. فهل يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا: إن الله يتمدح بما ليس فيه، فيثبت لنفسه عينًا وهو عاطل عنها؟ وهل يريدون أن يقولوا: إن رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها، بل هو يراها بذاته كلها، كما تقول المعتزلة: إنه قادر بذاته، مريد بذاته.. إلخ؟ اهـ

❁ **ابن باز**: يثبت له ﷻ العين، كما قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فهو موصوف بالعين والبصر، والسمع على الوجه اللائق به سبحانه، كلُّ هذه الصفات يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به. اهـ

قوله: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

❁ **الهراس**: في هذه الآية يأمر الله نبيه ﷺ بالصبر لحكمه، والاحتمال لما يلقاه من أذى قومه، ويعلل ذلك الأمر بأنه بمرأى منه، وفي كلاءته وحفظه. اهـ

❁ **ابن مبارك**: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلِّغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جلَّ ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك، ونرى عملَك، ونحن نحوطُك ونحفظُك فلا يصِلُ إليك من أرادك بسوء من المشركين. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة العينين لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته. اهـ

قوله: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن كثير: أي: تجري بأمرنا وبمرأى مِنَّا وتحت حفظنا وكلاءتنا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: جزاءً لهم على كفرهم بالله، وانتصارًا لنوحٍ[1]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات العينين، وأتت بصيغة الجمع؛ لتناسب ضمير العظمة والمراد به المثنى. وهذا الجمع في قوله ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ إنما هو للتعظيم، إذا صار «نا» للتعظيم، فما قبله يجري مجراه، وجاء في الحديث أنه ﷺ وضع أصبعيه على عينيه، كما تقدم. اهـ

❁ **الهراس**: وفي هذه الآية الثانية يخبر الله ﷻ عن نبيه نوح ﷺ أنه لما كذبه قومه، وحقت عليهم كلمة العذاب، وأخذهم الله بالطوفان- حمله هو ومن معه من المؤمنين

---

(١) قال المحلي في «تفسير الجلالين»: أي أغرقوا انتصارًا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ﵇، وقُرئ: «كَفَرَ» بالبناء للفاعل. أي: أغرقوا عقابًا لهم. اهـ

على سفينة ذات ألواح عظيمة من الخشب ودسر- أي: مسامير، جمع دسار، تشد بها الألواح- وأنها كانت تجري بعين الله وحراسته. اهـ

قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.

❁ **آل الشيخ**: «عَيْنِي» مفردٌ مضافٌ جارٍ على ما تقول العرب في كلامهم: رعيتك بعَيْنِي، ونحو ذلك، والمراد المثنى، وكذلك فإن الثلاث فيها تشوُّه، وكذلك الواحدة، فإن في الحديث: «إن ربكم ليس بأعور»(١) نؤمن به، ونكِلُ كيفيته. اهـ

❁ **الهراس**: في هذه الآية الثالثة خطاب من الله لنبيه موسى ﷺ بأنه ألقى عليه محبة منه. يعني: أحبه هو سبحانه وحببه إلى خلقه، وأنه صنعه على عينه، ورباه تربية استعد بها للقيام بما حمَّله من رسالة إلى فرعون وقومه. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ أي: بمرأى مني. قال قتادة: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ هو غذاؤه، ولتغذَّ على عيني. قال ابن كثير: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي: عند عدوك جعلته يحبك. قال سلمة بن كهيل: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ قال: حببتك إلى عبادي. ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ قال أبو عمران الجوني: تُربى بعين الله. وقال قتادة: تغذى على عيني. وقال معمر بن المثنى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾: بحيث أرى.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني: أجعله في بيت الملك ينعم ويترف، وغذاؤه عندهم غذاء الملك، فتلك الصنعة. اهـ

(١) رواه البخاري (٣٠٥٧، ٣٣٣٧، ٣٤٣٩، ٤٤٠٢، ٦١٧٥، ٧١٢٣، ٧١٢٧، ٧٤٠٧)، ومسلم (٢٩٣٣).

❁ **العثيمين**: إن عيني الله من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به، ينظر بهما، ويبصر ويرى، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾. ولا يجوز تفسيرهما بالعلم، ولا بالرؤية مع نفي العين؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف -على ثبوت العين لله- ولا دليل عليه.

والجواب عن تفسير بعض السلف لقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منا، أنهم لم يريدوا بذلك نفي حقيقة معنى العين، وإنما فسروها باللازم مع إثباتهم العين، وهذا لا بأس به بخلاف الذين يفسرون العين بالرؤية، وينكرون حقيقة العين. اهـ

بيان أوجه ورود أدلة اليدين والعينين في صيغ الإفراد والتثنية والجمع

❁ **العثيمين**: وقد وردت هاتان الصفتان (اليد، والعين) على ثلاثة أوجه: إفراد، وتثنية، وجمع.

١- فمثال الإفراد قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.

٢- ومثال التثنية قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. وفي الحديث الشريف: «**إذا قام أحدكم يصلي فإنه بين عيني الرحمن**»[1].

٣- ومثال الجمع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾. وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾. والجمع بين هذه الوجوه أنه لا منافاة بين الإفراد والتثنية؛

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٢٨) والعقيلي في «الضعفاء» (ص٢٤)، والبزار في «مسنده» (٥٥٣-كشف الأستار) عن عطاء بن أبي رباح قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا قام في الصلاة فإنما هو بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له الرب تبارك وتعالى: يا ابن آدم أقبل». وقال الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٤): ضعيف جدًّا.

لأن المفرد المضاف يعم، فإذا قيل: يد الله، وعين الله، شمل كل ما ثبت له من يد أو عين، وأما التثنية والجمع فلا منافاة بينهما أيضًا؛ لأن المقصود بالجمع هنا التعظيم وهو لا ينافي التثنية. اهـ

* قال الشيخ المصنف في رده على الرازي[١]: دعواه أن ظاهر القرآن أن لله أعينًا كثيرة، وأيديًا كثيرة باطلٌ، وذلك أنه وإن كان قد قال ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] فقد قال في قصة موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [طه: ٣٩-٤٠] فقد جاء هذا بلفظ المفرد في موضعين، فلم يكن دعواه الظهور في معنى الكثرة- لكونه جاء بلفظ الجمع- بأولى من دعوى غيره الظهور في معنى الإفراد؛ لكونه قد جاء بلفظ المفرد في موضعين، بل قد ادعى الأشعري فيما اختاره، ونقله عن أهل السنة والحديث هو وطوائف معه إثبات العينين[٢]؛ لأن الحديث ورد بذلك، وفيه جمع بين النصين كما في لفظ اليد، بل لو قال قائل: الظاهر في العين للمفرد أو المثنى دون المجموع لتوجَّه قوله، وذلك أن قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ في الموضعين مضاف إلى ضمير جمعٍ، والمراد به الله وحده بلا نزاع، ومثل هذا كثير في القرآن، يسمِي الربُّ نفسه من الأسماء المضمرة بصيغة الجمع على سبيل التعظيم لنفسه، كقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فلما كان المضاف إليه لفظه لفظ الجمع جاء المضاف كذلك، فقيل: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ وفي قصة موسى لما أفرد المضاف إليه أفرد المضاف، فقيل: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

ومعلوم أن هذا هو الأصل والحقيقة، فإن الله واحد سبحانه.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٤٧٤-ط: المجمع).

(٢) تقدم نقله عنه، وانظر «الإبانة» (ص/ ٨) و«مقالات الإسلاميين» (ص/ ٢٦٥).

ومن احتج بما ذكره الله تعالى عن نفسه بلفظ الجمع على العدد فهو ممن تمسك بالمتشابه وترك المحكم، كما فعل نصارى نجران، الذين قَدِموا على النبي ﷺ وناظروه في أمر المسيح، وذكروا أن صدر آل عمران أُنزلت بسببهم؛ إذ عامته في ذكر المسيح، واتّباعهم للمتشابه أن قالوا: ألم يقل في كتابك «إنا» و«نحن» فهذا يدل على أن الآلهة ثلاثة. فتركوا المحكم في كتاب الله كقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] واتبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فهكذا قد يقال فيمن عمد إلى لفظ «أعيننا» وترك لفظ «عيني» أنه اتبع المتشابه دون المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وقد ثبت في «الصحيح» عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: **«يا عائشة إذا رأيتِ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم»**[1].

إلى أن قال:

ويقال له[2]: أما صيغة التثنية فإنها نص في مسماها؛ لأنها من أسماء العدد وأسماء العدد نصوص لا يجوز اثنان، أو ثلاثة، أو أربعة، ويعني به إلا ذلك العدد، حتى إنه قيل في مثل قوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن ذلك يوجب القروء الكاملة؛ لكونه بلفظ العدد بخلاف قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فإنه يراد به بعض الثلاث؛ لكونه لفظ جمع؛ ولكون مثل ذلك مستعملًا في أسماء الزمان.

وأما صيغة المفرد فكثيرًا ما يراد بها الجنس فيتناوله، سواء كان واحدًا أو اثنين أو ثلاثة، كما قد يراد بها الواحد في العين، وقد يقال: الأصل هو الأول؛ ولهذا إذا دخل حرف النفي عليها كان ظاهرها نفي الجنس، وقد يراد بها نفي الواحد من الجنس فيقال: ما جاءني رجل، بل رجلا. هذا خلاف الظاهر.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) أي للرازي وأتباعه الملبسين.

والأصل عند الإطلاق، إذا قلت: ما جاءني رجل، أن تكون نافيةً للجنس، ونفي الواحد يكون بقرينة؛ ولهذا عامة المفرد المضاف في القرآن كذلك، مثل قوله: ﴿لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١١]، ونحو ذلك.

وإذا كان كذلك فقوله ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، و﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١]، يدل على جنس اليد، فيعم ما للمضاف إليه، سواء كانت يدًا أو يدين، أو يكون مطلقًا، لا يدل على عموم ولا خصوص.

وكذلك قوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] يتناول ما للمضاف إليه من ذلك.

وقوله: «فيكشف الرب عن ساقه»[١]، و«حتى يضع رب العزة فيها قدمه»[٢] يقال: إنه من المطلق أيضًا إذ الجنس المضاف يراد به العموم تارة، ويراد به مطلق الجنس تارة، والمقصود أن ذلك لا يوجب أن يكون واحدًا بالعين، وأما صيغة الجمع واستعمالها بمعنى التثنية فقد تقدمت شواهده.

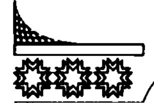
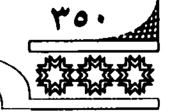
وإذا كان كذلك كان ظاهر القرآن، بل نصه أن لله يدين، وكان ما ذكر فيه من لفظ المفرد أريد به الجنس وما ذكر فيه من لفظ الجمع أريد به المثنى.

وكل هذا هو من ظاهر الخطاب وفصيح اللغة ليس فيه شيء من غريب اللغة وخفيها؛ بل هو جارٍ على الاستعمال الظاهر المشهور، فتبين أنما جعله ظاهر القرآن هو خلاف نصه وظاهره. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

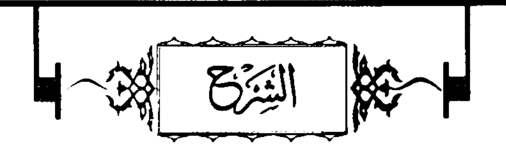
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٦١، ٧٣٨٤، ٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس، وأخرجه البخاري أيضًا (٤٨٤٩، ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، عن أبي هريرة به.

إثبات صفة السمع والرؤية لله تعالى وأن الله تعالى يسمع المسموعات ويرى المرئيات



(وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].



❁ **الهراس**: هذه الآيات ساقها المؤلف لإثبات صفات السمع والبصر والرؤية.

أما السمع، فقد عبرت عنه الآيات بكل صيغ الاشتقاق، وهي: سمع، ويسمع، وسميع، ونسمع، وأسمع، فهو صفة حقيقية لله، يدرك بها الأصوات، كما قدمنا.

وأما البصر فهو الصفة التي يدرك بها الأشخاص والألوان، والرؤية لازمة له، وقد جاء في حديث أبي موسى: «يا أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعا بصيرا، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤).

وكلٌّ من السمع والبصر صفة كمال، وقد عاب الله على المشركين عبادتهم ما لا يسمع ولا يبصر. اهـ

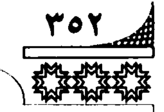
❁ **ابن باز**: وهكذا سمعه ﷻ، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرات، فيها السمع، وفيها العلم والبصر، وآيات كثيرات فيها المحبة، كل ذلك حق يجب إثباته لله على الوجه اللائق به، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ﷻ، تثبت على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، له سمع لا كالأسماع، وبصر لا كالأبصار، وعين لا كالأعين، ويد لا كالأيدي، وقدم لا كالأقدام، وهكذا بقية الصفات، يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فصفاته حق تليق به لا يشابه فيها خلقه جل وعلا، يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. الباب واحد عند أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. اهـ

أدلة إثبات صفة السمع

قَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.

❁ **ابن مبارك**: عن عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية. رواه أحمد وغيره[1].

(١) أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي في «الصغرى» (٣٤٦٠)، وفي «الكبرى» (٥٦٢٥)، وابن ماجة (١٨٨)، وعلّقه البخاري جازمًا في كتاب التوحيد من «صحيحه»، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾.



قال ابن جرير: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ يا محمد، ﴿قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يقول: وتشتكي المجادلةُ -ما لديها من الهم بظهار زوجها منها- إلى الله، وتسأله الفرج. ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ يعني: تحاور رسول الله ﷺ والمجادِلة خولة بنت ثعلبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يتجاوبانه ويتحاورانه، وغير ذلك من كلام خلقه، ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملون ويعمل جميع عباده. اهـ

❁ **الهراس**: قد نزلت هذه الآية في شأن خولة بنت ثعلبة، حين ظاهر منها زوجها، فجاءت تشكو إلى رسول الله ﷺ وتحاوره، وهو يقول لها: «**ما أراك إلا قد حرمت عليه**»(١).

أخرج البخاري في «صحيحه» عن عروة، عن عائشة ﵂؛ قالت: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية من البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله ﷿: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾(٢).. الآيات». اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة السمع من ثلاثة أوجه: الأول: بصيغة الماضي، والثاني: بصيغة المضارع، والثالث: بصيغة اسم الفاعل(٣).

وفيها إثبات صفة البصر من غير تمثيل.

وهذه الآية نزلت في المرأة المجادلة، التي ظاهر منها زوجها، وكان لها منه عيال، وكانت فقيرة فجاءت تشتكي إلى النبي ﷺ، قالت عائشة ﵂: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، إن كانت لفي البيت تُكلِّم الرسول، ويخفى عليَّ بعض حديثها، وهي تقول: يا رسول الله أكلَ مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني،

---

(١) انظر التخريج السابق.

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) الماضي: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾، والمضارع: ﴿يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾، واسم الفاعل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما بَرِحَت حتى نزل جبريل بهذه الآية»(١). اهـ

قَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

❋ **آل الشيخ**: فيها إثبات صفة السمع أيضًا، وأهل السنة يثبتون السمع والبصر، والحياة والقدرة، والعلم والكلام، وغيرها من الصفات الخبرية، كالوجه واليدين والعينين، والغضب والرضا، والصفات الفعلية كالضحك، والنزول، والاستواء على العرش، وهي صفات كمال، وأضدادها صفات نقص يُنزه عنه الرب، ويعتقدون لها معاني حقيقية، ويفسرونها، ويبينونها، خلافًا للجهمية وغيرهم. اهـ

❋ **الهراس**: وأما الآية الثانية فقد نزلت في فنحاص اليهودي الخبيث، حين قال لأبي بكر ﷺ، لما دعاه إلى الإسلام: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا ما استقرضنا.(٢) اهـ

❋ **ابن مبارك**: عن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قالت اليهود: يا محمد، افتقر ربُّك فسأل عبادَه القرض، فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ الآية(٣). اهـ



---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، وعنه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٥٩٢)، وابن جرير في «تفسيره» (٨٣٠٠، ٨٣٠١)، وابن أبي حاتم (٣/ ٤٥٨٩)، وابن المنذر في «تفسيره» كما في الدر المنثور، بسند ضعيف فيه محمد بن أبي محمد الأنصاري، قال الذهبي وابن حجر: مجهول.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٤٥٨٨)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير».

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾.

❁ **الهراس**: وأما الآية الثالثة، فـ«أم» بمعنى «بل»، والهمزة للاستفهام، فهي «أم» المنقطعة، والاستفهام إنكاري يتضمن معنى التوبيخ، والمعنى: بل أيظن هؤلاء في تخفيهم واستتارهم أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى نسمع ذلك، وحفظتنا لديهم يكتبون ما يقولون وما يفعلون. اهـ

❁ **آل الشيخ**: أنكر تعالى على من ظن أن الله لا يسمع. يعني: بلى نسمع سرهم ونجواهم، ورسلنا لديهم يكتبون. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال البغوي: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ ما يُسِرّونه عن غيرهم، ويتناجونه بينهم، ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ونعلم، ﴿وَرُسُلُنَا﴾ أيضًا من الملائكة. يعني: الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾. اهـ

قوله: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.

❁ **الهراس**: وأما هذه الآية فهي خطاب من الله ﷻ لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، حين شكوا إلى الله خوفهما من بطش فرعون بهما، فقال لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن عباس: ﴿أَسْمَعُ﴾ دعاءكما فأجيبه، ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يراد بكما فأمنعه، لست بغافل عنكما فلا تهتما. وقال ابن جرير: يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهرون ﴿لَا تَخَافَا﴾ فرعونَ، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ أُعِينكما عليه، وأبصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه، فأُفهِمُكما ما تحاورانه به، ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما تفعلان ويفعل، لا يخفى عليّ من ذلك شيء. اهـ

* **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة السمع، كما أنه يسمع جميع المسموعات فكذلك يرى جميع المرئيات. اهـ

أقسام معاني صفة السمع

* **العثيمين**: سمع الله تعالى من الصفات الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق به، ودليله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. وينقسم إلى قسمين:

الأول: بمعنى الإجابة، وهذا من الصفات الفعلية، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

الثاني: بمعنى إدراك المسموع، وهذا من الصفات الذاتية، ومثاله قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾، وهذا القسم قد يراد به مع إدراك المسموع النصر والتأييد، كقوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقد يراد به أيضًا التهديد كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾. وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ﴾. اهـ

* **ابن مانع**: قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ قال شيخ الإسلام بعد كلام سبق: وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه، لو قال[1] في قوله: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾: كيف يسمع، وكيف يرى؟ لقلنا: السمع والرؤية معلوم، والكيف مجهول، ولو قال: كيف كلم الله موسى تكليمًا؟ لقلنا: التكليم معلوم والكيف غير معلوم. اهـ



(١) يعني: الجهميَّ.

أدلة إثبات صفة الرؤية

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾.

❁ **الهراس**: وأما هذه الآية فقد نزلت في شأن أبي جهل -لعنه الله- حين نهى النبي ﷺ عن الصلاة عند البيت، فنزل قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ٩-١٤].. إلخ السورة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ أبو جهل؛ إذ ينهى محمدًا عن عبادة ربه والصلاة له، بأنَّ الله يراه، فيخاف سطوتَه وعقابَه. وقال ابن كثير: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: أمَا علِمَ هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتمَّ الجزاء. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات أن الله يرى جميع المرئيات والمبصرات. اهـ

قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى صلاتك، (و) يرى (تَقَلُّبَكَ في) المؤتمين بك فيها بين قيام، وركوع، وسجود، وجلوس ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ تلاوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما تعمل فيها، ويعمل فيها من يتقلب فيها معك، مُؤتمًّا بك، يقول: فرتِّل فيها القرآن، وأقم حدودها فإنك بمرأى من ربك ومسمع. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية كالتي قبلها، فيها إثبات أن الله يرى جميع المرئيات والمبصرات. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك: ﴿ٱعْمَلُواْ﴾ بما يرضيه من طاعته، وأداء فرائضه، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ يقول: فسيرى اللهُ إن عملتم عملكم، ويراه رسوله ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ يوم القيامة إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصًا وما منه رياءً، وما منه طاعةً وما منه معصيةً، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيها إثبات رؤية الله لأعمال العباد. اهـ

الرؤية صفة ذاتية، وتنقسم إلى نوعين

❁ **العثيمين**: الرؤية صفة من صفات الله الذاتية، الثابتة له حقيقةً على الوجه اللائق به، وتنقسم إلى قسمين:

أحدهما: بمعنى البصر، وهو إدراك المرئيات والمبصرات، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الثاني: الرؤية بمعنى العلم، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧]. أي: نعلمه.

والقسم الأول من الرؤية قد يراد به مع إدراك المرئي النصر والتأييد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾. وقد يراد به أيضًا التهديد، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾. اهـ

اختلاف الناس في إثبات صفات الأفعال الاختيارية

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات، وابن كُلَّاب ومن تبعه -كالأشعري، وأبي العباس القلانسي، ومن تبعهم- أثبتوا الصفات، لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية، مثل كونه يتكلم بمشيئته، ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته، ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد إيمانهم، ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم، ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] فأثبت رؤية مستقبلة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤]، ومثل كونه نادى موسى حين أتى، لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته، فإن المعتزلة والجهمية يقولون: خلق نداءً في الهواء. والكلابية والسالمية يقولون: النداء قام بذاته، وهو قديم، لكن سمعه موسى. فاستجدوا سماع موسى وإلا فما زال عندهم مناديًا، والقرآن، والأحاديث، وأقوال السلف والأئمة كلها تخالف هذا وهذا.. وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل إذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده، وكان ذلك بمشيئته وقدرته؛ إذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته، وبذلك صاروا يرون، ويسمع كلامهم، وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات، كقوله: «**ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: ملك كذاب، وشيخ زان، وعائل مستكبر**»[(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وكذلك في الاستماع: قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ٢] أي: استمعت. وقال النبي ﷺ: «**ما أَذِنَ الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به**»(١)، وقال: «**للهُ أشد إذنًا إلى صاحب القرآن من صاحب القينة إلى قينته**»(٢)، فهذا تخصيص بالإذن، وهو الاستماع لبعض الأصوات دون بعض.

وكذلك سمع الإجابة، كقوله: «سمع الله لمن حمده»، وقول الخليل: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سبأ: ٥٠]، يقتضي التخصيص بهذا السمع، فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة، وهو تخصيص بمعنىً يقوم بذاته بمشيئته وقدرته، وعند النفاة هو تخصيص بأمر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته.

وتخصيص مَن يُحِب بالنظر والاستماع المذكور يقتضي أن هذا النوع منتفٍ عن غيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٣، ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢).
قال في القاموس: «أَذِنَ إليه، وأَذِنَ له -كفَرِحَ- استمَع معجبًا، أو عام». اهـ

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٤٧)، وابن ماجة (١٣٤٠)، وسعيد بن منصور (٢/ ٤٠٥-ط: الحميِّد)، والحاكم (٢٠٩٧)، والبيهقي (٢١٥٨٢) بسند ضعيف من حديث فضالة بن عبيد، فيه ميسرة مولى فضالة مجهول؛ ولذلك صححه ابن حبان (٧٥٤) على قاعدته في توثيق المجاهيل، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. اهـ قال الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٩٥١): وإنما قال الحاكم ما قال؛ لأنه ليس في إسناده ميسرة مولى فضالة وهو رواية لأحمد. وكأن ذلك من عمل الوليد بن مسلم، فإنه كان يدلس تدليس التسوية، فيظهر أنه كان أحيانا يدلس ميسرة هذا، وأحيانا يظهره ويثبته وهو علة الحديث؛ فإنه لا يعرف كما أشار إلى ذلك الذهبي بقوله: «ما حدث عنه سوى إسماعيل بن عبيد الله». ولم يوثقه أحد غير ابن حبان على قاعدته في توثيق المجهولين؛ ولذلك لم يتابعه الحافظ في توثيقه، فإنه قال في ترجمته من «التقريب»: «مقبول». يعني: عند المتابعة، وإلا فلين الحديث، كما نص عليه في المقدمة، ولا نعلم أحدًا تابعه عليه بهذا اللفظ، فهو ضعيف. فقول البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد حسن؛ لقصور درجة ميسرة مولى فضالة وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط». قلت: فهو غير حسن؛ لأن ميسرة لم تثبت عدالته كما عرفت، وعليه فلا يصح وصفه بالحفظ القاصر فتنبه، وأما راشد بن سعيد، فهو متابَع. اهـ

لكن مع ذلك هل يقال: إن نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الإدراك، هو من لوازم، ذاته، فلا يمكن وجود مسموع ومرئي إلا وقد تعلق به كالعلم؟ أو يقال: إنه أيضًا بمشيئته وقدرته، فيمكنه أن لا ينظر إلى بعض المخلوقات؟

هذا فيه قولان: والأول قول من لا يجعل ذلك متعلقًا بمشيئته وقدرته.

وأما الذين يجعلونه متعلقًا بمشيئته وقدرته، فقد يقولون: متى وجد المرئي والمسموع وجَبَ تعلقُ الإدراك به.

والقول الثاني: أن جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته، فيمكن أن لا ينظر إلى شيء من المخلوقات، وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف، كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال: ما نظر الله إلى شيء من خلقه إلا رحمه، ولكنه قضى أن لا ينظر إليهم. اهـ

قاعدة في إثبات مدلول اللفظ وإن أريد به في السياق لازمه

* **قال المصنف** رحمه الله(١): وفي القرآن: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠] فإنه يراد برؤيته وسمعه إثبات علمه بذلك، وأنه يعلم هل ذلك خير أو شر؟ فيثيب على الحسنات ويعاقب على السيئات، وكذلك إثبات القدرة على الخلق، كقوله: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤] والمراد التخويف بتوابع السيئات ولوازمها: من العقوبة والانتقام. وهكذا كثير مما يصف الرب نفسه بالعلم بأعمال العباد؛ تحذيرًا، وتخويفًا، ورغبة للنفوس في الخير، ويصف نفسه بالقدرة، والسمع، والرؤية، والكتاب، فمدلول اللفظ مراد منه، وقد أريد أيضًا لازم ذلك المعنى، فقد أريد ما يدل عليه اللفظ في أصل اللغة بالمطابقة والالتزام، فليس اللفظ مستعملًا في اللازم فقط، بل أريد به مدلوله الملزوم، وذلك حقيقة. اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٢٧).

وقال[(١)]: وهو سبحانه يهدد بالقدرة؛ لكون المقدور يقترن بها، كما يهدد بالعلم؛ لكون الجزاء يقع معه، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ فقال النبي ﷺ لما نزلت: «أعوذ بوجهك أعوذ بوجهك»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] فقال: «هاتان أهون»[(٢)].

وذلك لأنه تكلم في ذكر القدرة ونوع المقدور، كما يقول القائل: أين تهرب مني؟ أنا أقدر أن أمسكك.

وكذلك في العلم بالرؤية، كقوله: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، وقوله تعالى في الذي ينهى عبدًا إذا صلى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، وأمثال ذلك، فذكر رؤيته الأعمال، وعلمه بها، وإحصائه لها، يتضمن الوعيد بالجزاء عليها. اهـ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣١٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦).

إثبات المماحلة والمكر والكيد لله تعالى على ما يليق بجلاله

(وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]).

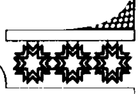


❁ **الهراس**: تضمنت هذه الآيات إثبات صفتي المكر والكيد، وهما من صفات الفعل الاختيارية، ولكن لا ينبغي أن يشتق له من هاتين الصفتين اسم، فيقال: ماكر، وكائد، بل يوقف عند ما ورد به النص من أنه ﴿خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وأنه يكيد لأعدائه الكافرين(١). اهـ

❁ **ابن باز**: يثبت له تعالى: المكر المقيد بالمقابل، قال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، والكيد: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾، وهو مكر وكيد بحقٍّ، يليق بالله، لا يشابه خلقه في مكره، ولا في كيده. اهـ

---

(١) قرر ابن القيم في «الصواعق» أن الله تعالى لم يصف نفسه بالمكر والكيد والاستهزاء والخداع مطلقًا، بل على وجه الجزاء لمن فعل ذلك، وهو حسن، وأن أفعال هذه الألفاظ لا يجوز إطلاقها على الله تعالى، ولا يشتق له منها أسماء؛ لأنها تمدح في موضع، وتذم في موضع، أتى ابن القيم في ذلك بما لا يستغنى عنه لولا الإطالة، ومن كلامه ذلك يتبين مراد شيخ الإسلام بإيراد قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ في هذا الكتاب. اهـ من تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري. وسيأتي كلام ابن القيم قريبًا إن شاء الله.



قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

❁ **الهراس وابن مانع**: أما قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾. أي: الأخذ بالعقوبة، وقال ابن عباس: شديد الحول. وقال مجاهد: شديد القوة. والأقوال متقاربة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾. أي: المماحلة، وهي العقوبة والأخذ لمن عصاه. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن كثير: وقوله: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾. أي: يَشُكُّون في عظمته، وأنه لا إله إلا هو، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾. قال ابن جرير: شديدةٌ مماحلتُه في عقوبة من طغى عليه وعتا، وتمادى في كفره، وهذه الآية شبيهةٌ بقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥٠-٥١]، وعن علي ﷺ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي: شديد الأخذ. وقال مجاهد شديد القوة. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: ومكر الذين كفروا من بني إسرائيل، وهم الذين ذكر الله أن عيسى أَحَسَّ منهم الكفر، وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضًا على الفتك بعيسى وقتله.

قال: وأما مكر الله بهم فإنَّه -فيما ذكر السُدِّي-: إلقاؤه شَبَهَ عيسى على بعض أتباعه، حتى قتله الماكرون بعيسى، وهم يحسبونه عيسى، وقد رفع الله ﷺ عيسى قبل ذلك... إلى أن قال: وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه إياهم، ليبلُغَ الكتاب أجله.

وقال البغوي: المكر من المخلوقين: الخبث والخديعة والحيلة، ومن الله استدراج العبد، وأخذه بغتةً من حيث لا يعلم، كما قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]؛ فمعناه: أنفذهم وأسرعهم مكرًا. وقد فسر بعض السلف مكر الله بعباده بأنه استدراجهم بالنعم من حيث لا يعلمون، فكلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة، وفي الحديث: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معصيته؛ فاعلم أنما ذلك منه استدراج**»(١).

وقد نزلت هذه الآية في شأن عيسى ﷺ حين أراد اليهود قتله، فدخل بيتًا فيه كوة، وقد أيده الله بجبريل ﷺ، فرفعه إلى السماء من الكوة، فدخل عليه يهوذا؛ ليدلهم عليه فيقتلوه، فألقى الله شبه عيسى على ذلك الخائن، فلما دخل البيت فلم يجد فيه عيسى خرج إليهم وهو يقول: ما في البيت أحد، فقتلوه، وهم يرون أنه عيسى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣١١)، والروياني في مسنده (٢٦٠، ٢٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٧/ ص٣٣٠/ ح٩١٣)، و«الأوسط» (٩٢٧٢)، والبيهقي في الشعب (٤٥٤٠)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١٧٢، ١٧٣) من طرق عن ابن لهيعة وحرملة بن عمران التجيبي، عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيت الله ﷻ يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك له منه استدراج**» ونزع بهذه الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
وأما قول الطبراني في «الأوسط»: لا يروى هذا الحديث عن عقبة بن عامر إلا بهذا الإسناد تفرد به حرملة بن عمران. اهـ ففيه نظر، فقد تابعه ابن لهيعة عند الروياني، وابن الأعرابي في رواياتهم عنه من طرق.
وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ١٣٢) إسناده حسن. ونقله عنه المناوي في «الفيض» (٣٥٥١) وأقره. وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٤١٣)، و«صحيح الجامع» (٥٦٢).

❁ **آل الشيخ**: هذه فيها إثبات هذه الصفة أنه يمكر مكرًا حقيقيًّا على وجه لا نقص فيه، على ما يليق بجلاله من غير تمثيل، بخلاف مكر المخلوق فإن فيه ما هو على وجهه، وفيه ما هو مذموم. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ قال بعض السلف في تفسير المكر: يستدرجهم بالنعم إذا عصوه، ويملي لهم، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. قال الحسن: من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له. وقد جاء في الحديث: «**إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج**»[1]. والله جل وعلا وصف نفسه بالمكر والكيد، كما وصف عبده بهما، لكن ليس المكر كالمكر، ولا الكيد كالكيد، ولله المثل الأعلى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

❁ **الهراس**: وأما قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾.. إلخ، فهي في شأن الرهط التسعة من قوم صالح ﷺ حين ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: ليقتلنه بياتًا هو وأهله، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ [النمل: ٤٩]، فكان عاقبة هذا المكر منهم أن مكر الله بهم، فدمرهم وقومهم أجمعين. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح، بمصيرهم إليه ليلًا؛ ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم وتعجيل العذاب لهم، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا.

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

وقد بينًا فيما مضى معنى مكر الله بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنَّه أخذُهُ من أخذَهُ منهم على غِرَّةٍ، أو استدراجُه من استدرجَ منهم على كفرِه به ومعصيتِه إيَّاه، ثمَّ إحلالهُ العقوبةَ على غِـرَّةٍ وغفلةٍ. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة المكر لله بمن مكر به، على ما يليق بجلال الله وعظمته، حقيقة على وجهٍ جميل حسن يليق به سبحانه، من غير تمثيل بمكر المخلوقين وصفاتهم، فما فيه الذم والعيب فهو منـزه عنه تعالى وتقدس. اهـ

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن هؤلاء المكذبين بالله ورسوله، والوعد والوعيد يمكرون مكرًا، وقوله: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ يقول: وأمكر مكرًا، ومكره جلَّ ثناؤه بهم إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به.

وقال البغوي: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يخافون النبي ﷺ، ويظهِرون ما هم على خلافه، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ وكيد الله استدراجه إياهم من حيث لا يعلمون. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة الكيد.

قاعدة

ولنعرف أن ما جاء في النصوص من ذلك، أن ما كان منه على وجه مذموم لا يضاف إلى الله، لا يضاف منه إلا الوجه المحمود الممدوح الكمال.

قاعدة

ولنعرف ما ورد بلفظ الفعل: فنقول: لا يطلق على الله إلا ما جاء في النص، فلا يلزم من الإخبار عنه بالفعل أن يُشتق منه اسم مطلق، كالمُضلِّ والماكر.

وهنا قاعدة ذكرها ابن القيم في «المدارج» وكأنه أخذها من الاستقراء: أن الإخبار بالفعل أوسع من التسمية[1]. اهـ

❁ **العثيمين**: المكر والكيد والمِحال: معنى هذه الكلمات الثلاث متقارب وهو: التوصل بالأسباب الخفية إلى الانتقام من العدو.

قاعدة

ولا يجوز وصف الله بها وصفًا مطلقًا، بل مقيدًا؛ لأنها عند الإطلاق تحتمل المدح والذم، والله سبحانه منزه عن الوصف بما يحتمل الذم.

وأما عند التقييد بأن يوصف الله بها على وجه تكون مدحًا لا يحتمل الذم دالًّا على علمه وقدرته وقوته، فهذا جائز؛ لأنه يدل على كمال الله.

والدليل على اتصاف الله تعالى بهذه الصفات قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

قاعدة

يكون المكر والكيد والمِحال صفة مدح إذا كان لإثبات الحق وإبطال الباطل، ويكون ذمًّا فيما عدا ذلك.

---

(١) قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره في عدة مواضع من كتبه في «بدائع الفوائد» و«الصواعق المرسلة» و«مدارج السالكين» قال في «المدارج» (٣/ ٤١٥): الفعل أوسع من الاسم؛ ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يَتَسَمَّ منها بأسماء الفاعل: كأراد، وشاء، وأحدث. ولم يُسمَّ بالمريد والشائي والمحدِث، كما لم يُسمِّ نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالَها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ أقبح خطإٍ من اشتق له من كل فعل اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد، ونحو ذلك. اهـ

قاعدة

ولا يجوز أن يشتق من هذه الصفات أسماء لله فيقال: الماكر والكائد؛ لأن أسماء الله الحسنى لا تحتمل الذم بأي وجه، وهذه عند إطلاقها تحتمل الذم كما سبق. اهـ



إثبات الكيد والمكر والاستهزاء لله تعالى على ما يليق بجلاله حقيقة لا مجاز

* **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ[1]: ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ «المكر» و«الاستهزاء» و«السخرية»، المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز ليس كذلك، بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلمًا له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبةً له بمثل فعله، كانت عدلًا، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦]، فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل: ٥٠-٥١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]. ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلًا يستحق هذا الاسم، كما روي عن ابن عباس: أنه يُفتح لهم باب من الجنة، وهم في النار، فيسرعون إليه فيغلق، ثم يفتح لهم باب آخر، فيسرعون إليه فيغلق، فيضحك منهم المؤمنون. قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٦]، وعن الحسن البصري: إذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الإهالة من القدر، فيمشون فيخسف بهم. وعن مقاتل: إذا

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١١١).

ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، فيبقون في الظلمة، فيقال لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٣].

وقال بعضهم: استهزاؤه: استدراجه لهم. وقيل: إيقاع استهزائهم ورد خداعهم ومكرهم عليهم. وقيل: إنه يظهر لهم في الدنيا خلاف ما أبطن في الآخرة. وقيل: هو تجهيلهم، وتخطئتهم فيما فعلوه. وهذا كله حق، وهو استهزاء بهم حقيقة. اهـ

إطلاق هذه المعاني في حق الله لا يجوز إلا لما تحتمله من معاني المدح

* وقال العلامة ابن القيم رحمه الله[1]: لا ريب أن هذه المعاني يُذم بها كثيرًا، فيقال: فلان صاحب مكر وخداع، وكيد واستهزاء. ولا تكاد تطلق على سبيل المدح، بخلاف أضدادها، وهذا هو الذي غَرَّ مَن جعلها مجازًا في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيب وذم.

والصواب أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما يذم لكونه متضمنًا للكذب، أو الظلم، أو لهما جميعًا، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله كما في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩] فإذا ذكر هذا عَقيب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] فكان هذا القول منهم كذبًا وظلمًا في حق التوحيد والإيمان بالرسول ﷺ واتباعه، وكذلك قوله: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [النحل: ٤٥] الآية. وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ۝٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ [النمل: ٥٠-٥١] فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازًا، والحق خلاف هذا الظن، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمنًا للكذب والظلم فهو

---

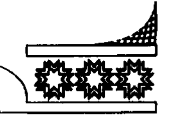
(١) في «مختصر الصواعق» (ص/ ٣٠٥).

مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم، حَسُنَ من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل، وذلك إذا مكر واستهزأ ظالمًا متعديًا كان المكر به والاستهزاء عدلًا حسنًا، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وأبي رافع وغيرهم ممن كان يعادي رسول الله ﷺ فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله، وكذلك ما خدع به نعيمُ بنُ مسعود المشركين عام الخندق حتى انصرفوا، وكذلك خداع الحجاج بن علاط لامرأتِهِ وأهلِ مكة حتى أخذ مالَه، وقد قال النبي ﷺ: «الحرب خدعة»[1]. وجزاء المسيء بمثل إساءته في جميع الملل، مستحسن في جميع العقول؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخوته ما أبطن خلافه، جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه؛ حيث أظهروا له أمرًا وأبطنوا خلافه، فكان هذا من أعدل الكيد، فإن إخوته فعلوا به ذلك حتى فرقوا بينه وبين أبيه، وادعوا أن الذئب أكله، ففرق بينهم وبين أخيهم بإظهار أنه سرق الصواع، ولم يكن ظالمًا لهم بذلك الكيد، حيث كان مقابلة ومجازاة، ولم يكن أيضًا ظالمًا لأخيه الذي لم يكده، بل كان إحسانًا إليه وإكرامًا له في الباطن، وإن كانت طريق ذلك مستهجنة، لكن لما ظهر بالآخرة براءته ونزاهته مما قذفه به، وكان ذلك سببًا في اتصاله بيوسف واختصاصه به، لم يكن في ذلك ضرر عليه.

لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق، كما لا تمدح على الإطلاق، والمكر، والكيد، والخداع لا يذم من جهة العلم، ولا من جهة القدرة، فإن العلم والقدرة من صفات الكمال، وإنما يذم ذلك من جهة سوء القصد وفساد الإرادة، وهو أن الماكر المخادع يجور ويظلم بفعل ما ليس له فعله، أو ترك ما يجب عليه فعله...

والمقصود أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد، والمكر، والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق،

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩) عن جابر مرفوعًا، وأخرجه البخاري أيضًا (٣٠٢٨، ٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٤٠) عن أبي هريرة مرفوعًا.



فكيف من الخالق سبحانه؟ وهذا إذا نزلنا ذلك على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين، وأنه سبحانه منزه عما يقدر عليه مما لا يليق بكماله، ولكنه لا يفعله؛ لقبحه وغناه عنه، وإن نزلنا ذلك على نفي التحسين والتقبيح عقلًا[١]، وأنه يجوز عليه كل ممكن ولا يكون قبيحًا، فلا يكون الاستهزاء، والمكر، والخداع منه قبيحًا ألبتة، فلا يمتنع وصفه به ابتداءً، لا على سبيل المقابلة على هذا التقرير، وعلى التقديرين، فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازه، إذ الموجِب للمجاز منتف على التقديرين، فتأمله فإنه قاطع، فهذا ما يتعلق بالأمر المعنوي.

أما الأمر اللفظي، فإطلاق هذه الألفاظ عليه سبحانه لا يتوقف على إطلاقها على المخلوق؛ ليعلم أنها مجاز لتوقفها على المسمى الآخر كما قدمنا من قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] فظهر أن هذا الفرق الذي اعتبروه فاسدًا لفظًا ومعنى. اهـ

---

(١) تنازع الناس في الحسن والقبيح الموجبين للذم والعقاب، والمدح والثواب، هل يعلمان بالعقل فقط، أم لا يعلمان إلا بالشرع؟ وهذا فيما قبحه وحسنه معلوم لعموم الخلق، كالظلم والكذب والعدل والصدق ونحو ذلك. وجماع المذاهب في ذلك ثلاثة:

الأول: قول من قال: إن الأفعال ليست مشتملة على صفات حسن أو قبح، ولا يدرك العقل منها ذلك، بل حسنها وقبحها لا يعرف إلا بالشرع، وهذا قول الأشعري ومن وافقه.

والقول الثاني: قول من قال: إنّ الأفعال مشتملة على الحسن والقبح لذاتها، وعليها يترتب الثواب والعقاب، فلو لم يرد الشرع فإن المكلف يستحق الثواب على فعل الحسن، والعقاب على القبيح؛ لأن ذلك يدرك بالعقل، وهذا مذهب المعتزلة.

والقول الثالث: مذهب السلف، وهو أن الأفعال مشتملة على أوصاف الحسن والقبح، وأن العقل يدرك ذلك، لكن الثواب والعقاب مبني على الشرع، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ انظر: «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٠٩)، (١١/ ٤٤٧)، (٣/ ١١٤-١١٥)، و«منهاج السنة» (١/ ٤٤٩)، (٣/ ٢٨)، و«تعارض العقل والنقل» (٨/ ٢٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

الأوصاف المحتملة للذم والمدح لا تطلق على الله مطلقًا

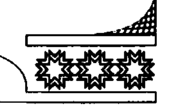
* وقال ابن القيم أيضًا[1]: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد، والمكر، والخداع، والاستهزاء مطلقًا، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى، ومن ظن من الجهال -المصنفين في شرح الأسماء الحسنى- أن من أسمائه الماكر، المخادع، المستهزئ، الكائد، فقد فَاهَ بأمرٍ عظيم، تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغرَّ هذا الجاهل أنه ﷻ أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسنى، فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها، وقرنها بالرحيم، الودود، الحكيم، الكريم، وهذا جهل عظيم، **فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا، بل تمدح في موضع، وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقًا، فلا يقال: إنه تعالى يمكر، ويخادع، ويستهزئ، ويكيد.**

فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى المريد، ولا المتكلم، ولا الفاعل، ولا الصانع؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها، كالحليم والحكيم، والعزيز، والفعال لما يريد، فكيف يكون منها الماكر، المخادع، المستهزئ؟

ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى: الداعي، والآتي، والجائي، والذاهب، والقادم، والرائد، والناسي، والقاسم، والساخط، والغضبان، واللاعن، إلى أضعاف ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل. اهـ

---

(١) مختصر الصواعق (١/ ٣٠٧).



إثبات صفات العفو والمغفرة والعزة والجلال والإكرام لله ﷻ

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

الشرح

❁ **الهراس**: هذه الآيات تضمنت إثبات صفات العفو، والقدرة، والمغفرة، والرحمة، والعزة، والتبارك، والجلال، والإكرام. اهـ

قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ أيها الناس ﴿خَيْرًا﴾ يقول: إن تقولوا جميلًا من القول لمن أحسن إليكم، فتُظهروا ذلك شكرًا منكم له على ما كان منه من حَسَنٍ إليكم، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يقول: أو تتركوا إظهار ذلك فلا تُبدوه، ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ يقول: أو تصفحوا لمن أساء إليكم عن إساءته، فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي قد أذنتُ لكم أن تجهروا له به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ يقول: لم يزل ذا عفوٍ عن خلقه، يصفح لهم عمَّن عصاه، وخالف أمره، ﴿قَدِيرًا﴾ يقول: ذا قدرةٍ على الانتقام منهم، وإنما يعني بذلك: أن الله لم يزل ذا عفوٍ عن عباده مع قدرته على عقابهم على معصيتهم إياه، يقول: فاعفوا أنتم أيضًا أيها الناس عَمَّن أتى إليكم ظلمًا، ولا تجهروا له بالسوء من القول إلَّا من ظُلم.

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ أي: إن تُظهروا أيها الناس خيرًا، أو أخفيتموه، أو عفوتم عمَّن أساء إليكم، فإن ذلك مما يقربُكم عند الله، ويجزل ثوابكم لديه، فإنَّ من صفاته تعالى أن يعفوَ عن عباده مع قدرته على عقابهم؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾؛ ولهذا وردَ في الأثر: أنَّ حملة العرش يُسبِّحون الله، فيقول بعضهم: سبحانك على حلمك بعد علمك، ويقول بعضهم: سبحانك على عفوك بعد مقدرتك[1]. وفي الحديث الصحيح: «ما نقص مالٌ من صدقةٍ، ولا زادَ الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، ومن تواضع لله رفعه»[2]. اهـ

اسم العفُوّ

* **العثيمين**: العَفُوُّ: هو المتجاوز عن سيئات الغير، وهو من أسماء الله، ودليله قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة العفو والقدرة. والعفوّ: أصله بواوين، لكن أدغمت الواو في الواو، فصار «عَفُوًّا» والعَفْو: هو الترك، ترك صاحب الجريمة عن مجازاته عليها.

والعفوّ: -مشددًا- الكثيرُ، والعظيمُ العفوِ والتجاوزِ عن عباده.

اسمه عَفُوٌّ، وصفته عَفْوٌ بالتخفيف، عفوٌّ يحب العفْوَ، ويحب من عباده أن يعفوَ بعضهم عن بعض عن حقه.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٤) من طريق الوليد بن مزيد، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم، فيقول أربعة: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول أربعة: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك. وعلقه الذهبي في «العلو» (١٣٣) من طريق الوليد به، وقال: إسناده قوي. ووافقه الألباني في «مختصره» (٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة مرفوعًا.

والعَفْوُ أكمل ما يكون وأجمله إذا كان عن قدرة، وإلا فربما يوجد عَفْوٌ ممن يصدر منه العفو مع عدم قدرة، أو ضعف، أو يخاف ألا يأخذ حقه، أما من عفا لا عن ضعف فهذا هو أكمل؛ ولذلك جاء مقرونًا به القدرة، فإنه أكمل. اهـ

* **الهراس**: فالعفو الذي هو اسمه تعالى، معناه: المتجاوز عن عقوبة عباده إذا هم تابوا إليه وأنابوا، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥].

اقتران اسم العفو واسم القدير

ولما كان أكمل العفو هو ما كان عن قدرة تامة على الانتقام والمؤاخذة، جاء هذان الاسمان الكريمان- العفو، والقدير- مقترنين في هذه الآية وفي غيرها.

صفة القدرة

وأما القدرة فهي الصفة التي تتعلق بالممكنات إيجادًا وإعدامًا، فكل ما كان ووقع من الكائنات واقع بمشيئته وقدرته، كما في الحديث: «ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن». اهـ

أسماء الغفور والرحيم، وصفات المغفرة والرحمة

قوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

* **الهراس**: وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾.. الآية، فقد نزلت في شأن أبي بكر رضي الله عنه حين حلف لا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان ممن خاضوا في الإفك، وكانت أم مسطح بنت خالة أبي بكر، فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ووصل مسطحًا. اهـ

❁ **ابن مبارك**: وأول الآية ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يحلف، ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾. قال ابن جرير: يقول: ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ عمَّا كان منهم إليهم من جُرم، وذلك كجُرمِ مِسطحٍ إلى أبي بكر، في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ يقول: وليتركوا عقوبته على ذلك بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم، بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها؟ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه، واتبع أمره ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره وطاعتهم إياه على ما كانت لهم من زلة وهفوة، قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيها إثبات صفة المغفرة والرحمة، وفيها إثبات هذين الاسمين لله تعالى: «الغفور، والرحيم»، فأفادا اتصافه بمدلولهما من الرحمة والمغفرة.

وأفاد أيضًا بصفة الفعل، فكان في الآية دليلان: الأول يغفر، والثاني: غفور.

تفسير معنى المغفرة

والمغفرة: اشتقاقها من الغَفْر، وهو الستر، ومنه المِغْفَر على الرأس، فمغفرة الذنوب وِقايةُ شرِّها وسَتْرُها.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ قرر في هذه المسألة أنه لابد من الوقاية والستر، فإن المِغْفر يستر الرأس، ويقيه السلاح.

والقرآن لا يُسَلَّم أن يكون فيه عطف على متساويين، مثل اسم على اسم، أو فعل على فعل، معناهما واحد، وهو نزل بأفصح اللغات، وإلا فبعض الناس يظن أن فيها عطفًا مرادفًا محضًا على مرادفه بمعانيه الكلية الكاملة، وهذا ذكره شيخ الإسلام في الإيمان الكبير في العطف. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «الإيمان الكبير»(١): وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

١- أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزأه، ولا يعرف لزومه له، كقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الفرقان: ٥٩] ونحو ذلك.. وهذا هو الغالب.

٢- ويليه -وهو الثاني- أن يكون بينهما لزوم، كقوله: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦]، فإن من كفر بالله فقد كفر بهذا كله، فالمعطوف لازم للمعطوف عليه، وفي الآية التي قبلها المعطوف عليه لازم.

٣- والثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

٤- والرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين. وقد جاء في الشعر ما ذكر أنه عطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله: .... وألفى قولها كذبًا ومينًا.

ومن الناس من يدعي أن مثل هذا جاء في كتاب الله، كما يذكرونه في قوله: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا غلط، مثل هذا لا يجيء في القرآن، ولا في كلام فصيح... إلخ.

* **وقال أيضًا**(٢): إن عقوبته ﷻ للعصاة عدل منه باتفاق المسلمين، وإذا كان كذلك كان عفوه ومغفرته إحسانًا منه وفضلًا، وهذا يقول به من يقول إنه خالق

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٢).
(٢) منهاج السنة النبوية (٣/ ١٠١).

أفعالهم[(١)]، والقائلون بأنها أفعال لهم مخلوقة له[(٢)]، والقائلون بأنها أفعال له كسب لهم[(٣)]، متفقون على أن العقاب عدل منه..

ولما كان قد ثبت بالقرآن أنه غفار للتائبين، رحيم بالمؤمنين، علم أنه موصوف بالمغفرة والرحمة.

والعصيان من العبد بمعنى أنه فاعله عند الجمهور[(٤)]، وبمعنى أنه كاسبُه لا فاعله عند بعضهم[(٥)]، وبهذا القدر يستحق الإنسان أن يعاقب الظالم فاستحقاق الله أن يعاقب الظالم أولى بذلك، وأما كونه خالقًا لذلك فذاك أمر يعود إليه، وله في ذلك حكمة عند الجمهور القائلين بالحكمة[(٦)]، وذلك لم يصدر إلا لمحض المشيئة عند من لا يعلل بالحكمة[(٧)]، والله أعلم. اهـ



صفة العزة

قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة العزة، وهي مدلول اسمه تعالى العزيز، والعزة: تطلق ويراد بها القوة والغلبة. اهـ

---

(١) هذا قول أهل الإسلام ما عدا المعتزلة، فإنهم يقولون: إنه لم يخلق أفعال العباد.
(٢) هذا قول السلف.
(٣) هذا قول الأشعري وأتباعه.
(٤) أي: جمهور أهل السنة.
(٥) وهم الجبرية من أتباع الأشعري في الكسب.
(٦) وهو مذهب السلف، ووافقهم عليه المعتزلة.
(٧) وهو مذهب الجبرية من الأشاعرة ومن وافقهم.

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المنافقون الذي وصف صفتهم قبلُ: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فيها، ويعني بالأعز: الأشد والأقوى. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ يعني: الشدة والقوة، ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قال البغوي: فعزة الله قهره مَن دونَه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم. اهـ

* **الهراس**: وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ فقد نزلت في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين، وكان في بعض الغزوات قد أقسم ليخرجن رسولَ الله ﷺ هو وأصحابَهُ من المدينة، فنزل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾. يقصد بالأعز قبحه الله نفسَه وأصحابه، ويقصد بالأذل رسولَ الله ومن معه من المؤمنين، فرد الله ﷻ عليه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

والعزة صفة أثبتها الله ﷻ لنفسه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾. وأقسم بها سبحانه، كما في حديث الشفاعة: «وعزتي، وكبريائي، وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله»[(١)]. اهـ

وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ أي: بقدرتك، وسلطانك، وقهرك مَن دونَك مِن خلقِكَ، ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: لأضِلَّنَّ بني آدم أجمعين، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ يقول: إلا مَنْ أخلصته منهم لعبادتك،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (٣٢٦) من حديث أنس بن مالك مطولًا.

وعَصَمْتَه من إضلالي، فلم تجعل لي عليه سبيلًا؛ فإني لا أقدر على إضلاله وإغوائه. وذكر بسنده عن قتادة قال: علِمَ عدوُّ الله أنه ليست له عزَّة. اهـ

* **آل الشيخ**: فيها إثبات صفة العزة، وهي مدلول اسمه العزيز. اهـ

* **الهراس**: أخبر عن إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾. وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة: «**بينما أيوب ﷺ يغتسل عريانًا خر عليه جراد من ذهب**[١]**، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى لي عن بركتك**»[٢].

وقد جاء في حديث الدعاء الذي علمه النبي ﷺ لمن كان به وجع: «**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[٣]. اهـ

* **قال العلامة ابن القيّم**[٤]: المستعيذ بعزته في قوله: «**أعوذ بعزتك**» مستعيذ بعزته التي هي صفته، لا بعزته التي خلقها يعز بها عباده المؤمنين، وهذا كله يقرّر قول أهل السنة أن قول النبي ﷺ: «**أعوذ بكلمات الله التامات**»[٥] يدل على أن كلماته تبارك وتعالى غير مخلوقة؛ فإنه لا يستعاذ بمخلوق. اهـ

معاني العزة

* **الهراس**: والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر، من عَزَّ يَعُزّ بضم العين في المضارع، يقال: عزه إذا غلبه.

---

(١) أي: قطيع من جراد من ذهب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩، ٣٣٩١، ٧٤٩٣)، وأحمد (٧٣٠٧)، والنسائي (٤٠٩)، وابن حبان (٦٢٢٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي.

(٤) بدائع الفوائد (٢/ ٦٧٩، ط: عالم الفوائد).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السلمية.

وتأتي بمعنى القوة والصلابة، من عَزَّ يَعَزُّ- بفتحها- ومنه أرض عزاز، للصلبة الشديدة.

وتأتي بمعنى علو القدر والامتناع عن الأعداء، من: عَزَّ يَعِزُّ - بكسرها - وهذه المعاني كلها ثابتة لله ﷻ. اهـ

قال العلامة ابن القيم في «النونية»:

وهو العزيزُ فلن يُرام جنابُه * أنَّى يرامُ جنابُ ذي السلطانِ

وهو العزيز القاهر الغلاب لم * يغلبْه شيءٌ هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وَصْفُهُ * فالعزُّ حينئذٍ ثلاثُ معانِ

وهي التي كَمُلَتْ له سبحانَه * مِنْ كلّ وجهٍ عادمِ النقصانِ

وقال ابن القيّم أيضًا[1]:العزة تتضمن القوة، ولله القوة جميعًا، يقال: عز يعَز -بفتح العين-: إذا اشتد وقوي، ومنه الأرض العزاز: الصلبة الشديدة. وعز يعِز -بكسر العين- إذا امتنع ممن يرومه، وعز يعُز -بضم العين-: إذا غلب وقهر، فأعطوا أقوى الحركات -وهي الضمة- لأقوى المعاني- وهو الغلبة والقهر للغير-، وأضعفها- وهي الفتحة -لأضعف هذه المعاني- وهو كون الشيء في نفسه صلبًا- ولا يلزم من ذلك أن يمتنع عمن يرومه، والحركة المتوسطة- وهي الكسرة- للمعنى المتوسط- وهو القوي الممتنع عن غيره- ولا يلزم منه أن يقهر غيره ويغلبه، فأعطوا الأقوى للأقوى، والأضعف للأضعف، والمتوسط للمتوسط، ولا ريب أن قهر المربوب عما يريده من أقوى أوصاف القادر، فإن قهره عن إرادته، وجعله غير مريد كان أقوى أنواع القهر، والعز ضد الذل، والذل أصله الضعف والعجز، فالعز يقتضي كمال القدرة؛ ولهذا يوصف به المؤمن، ولا يكون ذمًّا له، بخلاف الكبر، قال رجل للحسن البصري: إنك

(١) طريق الهجرتين (ص: ١٨٦ -ط: دار ابن القيم)

متكبر. فقال: لست بمتكبر، ولكني عزيز، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[١]، وقال النبي ﷺ: «**اللهم أعز الإسلام بأحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب أو أبي جهل بن هشام**»[٢]، وفي بعض الآثار: إن الناس يطلبون العزة في أبواب الملوك ولا يجدونها إلا في طاعة الله ﷻ، وفي الحديث: «**اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك**»[٣]، وقال بعضهم: من المعصية إلى عز الطاعة. فالعزة من جنس القدرة والقوة. اهـ

ذو الجلال والإكرام

قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

❁ **ابن مبارك:** قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: تبارك ذكرُ ربك يا محمد، ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ﴾ يعني: ذي العظمة، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه.

وذكر بسنده عن ابن عباس: قوله: ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ يقول ذو العظمة والكبرياء.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٤، ٣٨٦٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥٦٩٦)، والترمذي (٣٦٩١) من حديث ابن عمر بسند صحيح، وصححه ابن حبان (٦٨٨١)، والحاكم (٣/ ٨٣)، والترمذي والألباني، ورواه ابن إسحاق في «السيرة» ومن طريق ابن هشام في «تهذيبها»، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» من حديث أنس بسند ضعيف كما قال البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦٥٨٩) (٧/ ١٦٦). وأخرجه الترمذي (٣٦٨٣) من حديث ابن عباس، وضعفه، وصححه الألباني لشواهده.

(٣) لم أجده حديثًا، بل ذكر ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص/ ٩٤ - ط: الحلبي): أنه من دعاء بعض السلف.

وقال ابن كثير: أي: هو أهلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعصَى، وأن يُكرمَ فيُعبد، ويُشكَر ولا يُكفَر، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلِظُّوا**[1] بيا ذا الجلال والإكرام»[2].

وفي الحديث الآخر أن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت، يا ذا الجلال والإكرام**»[3] اهـ.

❁ **الهراس**: وأما قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾، فإنه من البركة، بمعنى: دوام الخير وكثرته.

وقوله: ﴿ذِى ٱلۡجَلَٰلِ﴾. أي: صاحب الجلال والعظمة سبحانه، الذي لا شيء أجل ولا أعظم منه.

﴿وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾: الذي يُكْرَمُ عما لا يليق به، وقيل: الذي يُكْرِمُ عباده الصالحين بأنواع الكرامة في الدنيا والآخرة، والله أعلم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ أي: بلغ في البركة، النهاية، والغاية، والنفع، والسعة. والبركة: هي كثرة النفع.

وفي هذه الآية إثبات الأسماء لله سبحانه، والمراد بالاسم في قوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ ﴾: جنس جميع الأسماء، فإنه مفرد مضاف إلى معرفة، فشمل، وعمَّ جميع الأسماء، فدل على أن لله سبحانه أسماء، وأنها بلغت في كثرة النفع والخير الغاية.

---

(١) ألظوا: ألظ بالشيء: إذا لازمه، يقول: لازموه، وثابروا عليه، وأكثروا من التلفظ بـ «يا ذا الجلال والإكرام».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧١٦)، والحاكم (١٨٣٦) عن ربيعة بن عامر. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ
وله شاهدان عن أبي هريرة أخرجه الحاكم (١٨٣٧)، وعن أنس أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩٦٩)، والترمذي (٣٥٢٥)، وأبو يعلى (٣٨٣٣)، قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وفيها إثبات صفة الجلال والإكرام لله ﷻ. اهـ

* **قال الشيخ المصنف** رحمه الله(١): وقوله: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، فيه ثلاثة أقوال:

١- قيل: أهلٌ أن يُجَلَّ، وأن يُكْرَمَ، كما يقال إنه: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾. أي: المستحق لأن يتقى.

٢- وقيل: أهل أن يُجَلَّ في نفسِه وأن يُكْرِمَ أهل ولايته وطاعته.

٣- وقيل: أهل أن يُجَلَّ في نفسه، وأهل أن يكرَم.

ذكر الخطابي الاحتمالات الثلاثة، ونقل ابنُ الجوزي كلامه فقال: قال أبو سليمان الخطابي: الجلال مصدر الجليل، يقال: جليل بيِّنُ الجلالة والجلالِ، والإكرامُ مصدر أكرم يكرِم إكرامًا، والمعنى: أنه يكرِم أهلَ ولايته وطاعته، وأن الله يستحق أن يُجَلَّ ويكرَمَ، ولا يُجحَد ولا يُكفَر به.

قال: ويحتمل أن يكون المعنى: يكرِم أهلَ ولايته، ويرفع درجاتهم.

قلت: وهذا الذي ذكره البغوي، فقال: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾: العظمة والكبرياء، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾: يكرم أنبياءه وأولياءه بلطفه مع جلاله وعظمته.

قال الخطابي: وقد يحتمل أن يكون أحد الأمرين -وهو الجلالُ- مضافًا إلى الله بمعنى الصفةِ له، والآخر مضافًا إلى العبد بمعنى الفِعل، كقوله تعالى: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، فانصرف أحد الأمرين إلى الله- وهو المغفرة- والآخر إلى العباد، وهي التقوى.

قلت: القول الأول هو أقربُها إلى المراد، مع أن الجلال هنا ليس مصدر جلَّ جلالًا، بل هو اسم مصدرِ أجلَّ إجلالًا، كقول النبي ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة**

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣١٧).

المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»(١)، فجعل إكرام هؤلاء من جلال الله. أي: من إجلال الله، كما قال ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾(٢) [نوح: ١٧]، وكما يقال: كلَّمه كلامًا وأعطاه عطاءً، والكلام والعطاء اسم مصدر التكليم والإعطاء.

والجلال قرن بالإكرام، وهو مصدر المتعدي فكذلك الإكرام، ومن كلام السلف: أجِلَّوا الله أن تقولوا كذا، وفي حديث موسى: «**يا رب إني أكون على الحال التي أجلك أن أذكرك عليها**». قال: «**اذكرني على كل حال**»(٣).

وإذا كان مستحِقًّا للإجلال والإكرام لزم أن يكون متصفًا في نفسه بما يوجب ذلك، كما إذا قال: الإله هو المستحق لأن يؤله- أي: يعبد- كان هو في نفسه مستحقًّا لما يوجب ذلك.

وإذا قيل: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ كان هو في نفسه متصفًا بما يوجب أن يكون هو المتقى.

ومنه قول النبي ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع بعدما يقول: «**ربنا ولك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»(٤). أي: هو مستحق لأن يثنى عليه وتمجد نفسه، والعباد لا يحصون ثناء عليه، وهو كما أثنى على نفسه، كذلك هو أهل أن يجل وأن يكرم.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧)، وأبو داود (٤٨٤٣)، ومن طريقه البيهقي (١٧١٠١) بسند حسن من حديث أبي موسى الأشعري

(٢) ﴿نَبَاتٗا﴾ اسم مصدر، والمصدر هو «إنبات».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٤٢)، وأحمد في «الزهد» (ص/٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٨٨-ط: الحوت)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٩)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١١١)، والبيهقي في «الشعب» (٦٦٩-٦٧٠)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٤٢).

(٤) أخرجه مسلم (٤٧٧)، وأبو داود (٨٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦٥٥) عن أبي سعيد. وأخرجه مسلم (٤٧٨)، والبيهقي (٢٧١٢) عن ابن عباس

وهو سبحانه يجل نفسه، ويكرم نفسه، والعباد لا يحصون إجلاله وإكرامه.

والإجلال من جنس التعظيمِ، والإكرامُ من جنس الحبِّ والحمدِ.

وهذا كقوله: «**له الملك وله الحمد**»، فله الإجلال والملك، وله الإكرام والحمد.

والصلاة مبناها على التسبيح في الركوع والسجود، والتحميد والتوحيد في القيام والقعود، والتكبير في الانتقالات، كما قال جابر: «كنا مع رسول الله ﷺ فكنا إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا، فوضعت الصلاة على ذلك» رواه أبو داود[١].

وفي الركوع يقول: سبحان ربي العظيم. وقال النبي ﷺ: «**إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه في الدعاء، فَقَمِنٌ[٢] أن يستجاب لكم**»[٣].

وإذا رفع رأسه حمد فقال: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**». فيحمده في هذا القيام، كما يحمده في القيام الأول إذا قرأ أم القرآن.

فالتحميد والتوحيد مقدم على مجرد التعظيم؛ ولهذا اشتملت الفاتحة على هذا أولها تحميد، وأوسطها تمجيد، ثم في الركوع تعظيم الرب، وفي القيام يحمده، ويثني عليه، ويمجده.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٥٦٨)، والبخاري (٢٨٣١، ٢٨٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٣٧٦)، وابن خزيمة (٢٥٦٢)، ولفظ البخاري: «**كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا**»، «**كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا تصوبنا سبحنا**».

ورواية أبي داود المذكورة أخرجها في السنن (٢٦٠١)، وعنه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٦٣)، لكنها من حديث ابن عمر لا من حديث جابر. وسكت عنها أبو داود والبيهقي، وصححها الألباني. وقد نبه البيهقي في مقدمة «دلائل النبوة» أنه لا يخرج في جميع كتبه إلا حديثًا صحيحًا، وإلا بين علته.

(٢) أي حريٌّ.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٣٦، ١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩)، والنسائي في «المجتبى» (١٠٤٥)، وفي «الكبرى» (٦٣٧)، والبيهقي (٢٦٦٩)، وفي «المعرفة» (٨٩٥)، وصححه ابن خزيمة (٥٤٨)، وابن حبان (١٩٠٠)، وأبو عوانة في «المستخرج على مسلم» (١٤٤٤)، وابن الجارود في «المنتقى» (٢٠٣) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

فدل على أن التعظيم المجرد تابع لكونه محمودًا، وكونه معبودًا، فإنه يجب أن يحمد ويعبد، ولابد مع ذلك من التعظيم، فإن التعظيم لازم لذلك.

وأما التعظيم فقد يتجرد عن الحمد والعبادة على أصل الجهمية، فليس ذلك بمأمور به، ولا يصير العبد به لا مؤمنًا، ولا عابدًا، ولا مطيعًا.

وأبو عبد الله ابن الخطيب الرازي يجعل الجلال للصفات السلبية، والإكرام للصفات الثبوتية، فيسمي هذه صفات الجلال، وهذه صفات الإكرام، وهذا اصطلاح له، وليس المراد هذا في قوله ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]، وهو في مصحف أهل الشام ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾، وهي قراءة ابن عامر[(١)]، فالاسم نفسه يذوَّى بالجلال والإكرام[(٢)]، وفي سائر المصاحف وفي قراءة الجمهور ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾، فيكون المسمى نفسه.

وفي الأولى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، فالمذوَّى وجهُهُ سبحانه، وذلك يستلزم أنه هو ذو الجلال والإكرام، فإنه إذا كان وجهه ذا الجلال والإكرام، كان هذا تنبيهًا، كما أن اسمه إذا كان ذا الجلال والإكرام كان تنبيهًا على المسمى، وهذا يبين أن المراد أنه يستحق أن يجل ويكرم، فإن الاسم نفسه يسبح، ويذكر، ويراد بذلك المسمى، والاسم نفسه لا يفعل شيئًا، لا إكرامًا، ولا غيره.

ولهذا ليس في القرآن إضافة شيء من الأفعال والنعم إلى الاسم، ولكن يقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١]، ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾، ونحو ذلك، فإن اسم الله مباركٌ، تنال معه البركة، والعبد يسبح اسم ربه الأعلى فيقول: سبحان ربي الأعلى، ولما نزل قوله:

---

(١) أبو عمران عبد الله بن عامر الشامي، ت ١١٨هـ أحد القراء السبعة، وهي قراءة سبعية متواترة. انظر المقنع للداني (ص/١٠٨)، والنشر (٢/ ٣٨٢)، والسبعة (ص/ ٦٢١)، والتبصرة لأبي الحسن بن فارس (ص/ ٥٢٠).

(٢) أي: يقال فيه: ذو الجلال والإكرام.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال: «اجعلوها في سجودكم»[(١)]؛ فقالوا: سبحان ربي الأعلى، فكذلك كان النبي ﷺ لا يقول: سبحان اسم ربي الأعلى، لكن قوله: سبحان ربي الأعلى، هو تسبيح لاسمه، يراد به تسبيح المسمى، لا يراد به تسبيح مجرد الاسم كقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فالداعي يقول: يا الله، يا رحمن. ومراده المسمَّى، وقوله: ﴿أَيًّا مَّا﴾ أي الاسمين تدعو، ودعاء الاسم هو دعاء مسماه.

وهذا هو الذي أراده من قال من أهل السنة: إن الاسم هو المسمى، أرادوا به أن الاسم إذا دعي وذكر يراد به المسمى، فإذا قال المصلي: الله أكبر، فقد ذكر اسم ربه ومراده المسمى، لم يريدوا به أن نفس اللفظ هو الذات الموجودة في الخارج، فإن فساد هذا لا يخفى على من تصوره، ولو كان كذلك كان من قال: نارًا، احترق لسانه. وبسط هذا له موضع آخر.

والمقصود أن الجلال والإكرام مثل الملك والحمد، كالمحبة والتعظيم، وهذا يكون في الصفات الثبوتية والسلبية، فإن كل سلب فهو متضمن للثبوت.

وأما السلب المحض فلا مدح فيه، وهذا مما يظهر به فساد قول من جعل أحدهما للسلب والآخر للإثبات، لا سيما إذا كان من الجهمية الذين ينكرون محبته، ولا يثبتون له صفات توجب المحبة والحمد، بل إنما يثبتون ما يوجب القهر، كالقدرة، فهؤلاء آمنوا ببعض، وكفروا ببعض، وألحدوا في أسمائه وآياته بقدر ما كذَّبوا به من الحق، كما بسط هذا في غير هذا الموضع. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٥٠)، وأبو داود (٨٦٩)، وابن ماجة (٨٨٧)، والطيالسي (١٠٩٣)، وأبو يعلى (١٧٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٢/ ص٢٩٠/ح١٤٣٠٣)، والبيهقي (٢٦٥٧)، وفي «المعرفة» (٨٥٣)، و«الدعوات الكبير» (٨٠)، وصححه ابن خزيمة (٦٧٠)، وابن حبان (١٨٩٨)، والحاكم (٨١٨) من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا.

أنواع البركة المضافة إلى الله تعالى

* قال العلامة ابن القيم(١): البركة نوعان:

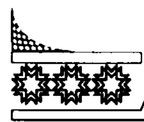
أحدهما: بركة هي فعله تبارك وتعالى، والفعل منها: بارك، ويتعدى بنفسه تارةً، وبأداة (على) تارةً، وبأداة (في) تارة، والمفعول منها: مبارَك، وهو ما جعل كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه تعالى إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك؛ ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ﷻ، فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك.

وأما صيغة «تبارك»، فمختصة به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الزخرف: ٨٥]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السَّعة والمبالغة، كتعالى، وتعاظم، ونحوه، فجاء بناء «تبارك» على بناء «تعالى»، الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك «تبارك» دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف: تبارك: تعاظم، وقال آخر: معناه أن تجيء البركات من قِبَلِهِ، فالبركة كلها منه، وقال غيره: كثر خيره وإحسانه إلى خلقه. وقيل: اتسعت رأفته ورحمته بهم. وقيل: تزايد عن كل شيء، وتعالى عنه في صفاته وأفعاله. ومن هنا قيل: معناه

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٦٨٠-٦٨٣ ط: عالم الفوائد).



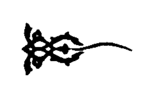
تعالى وتعاظم. وقيل: تبارك وتقدَّس. والقدس الطهارة، وقيل: تبارك: أي: باسمه يُبارَك في كل شيء. وقيل: تبارك: ارتفع. والمبارك: المرتفع، ذكره البغوي(١). وقيل: تبارك: أي: البركة تكتسب وتنال بذكره، وقال ابن عباس: جاء بكل بركة، وقيل: معناه: ثبت ودام بما لم يزل ولا يزال. ذكره البغوي أيضًا.

وحقيقة اللفظة: أنَّ البركة كثرة الخير ودوامه، ولا أحد أحق بذلك وصفًا وفعلاً منه تبارك وتعالى، وتفسير السلف يدور على هذين المعنيين، وهما متلازمان، لكن الأليق باللفظة معنى الوصف لا الفعل، فإنه فعل لازم مثل: تعالى، وتقدّس، وتعاظم.

ومثل هذه الألفاظ ليس معناها أنه جعل غيره عاليًا، ولا قدّوسًا، ولا عظيمًا، وهذا مما لا يحتمله اللفظ بوجه، وإنما معناها في نفس من نُسبت إليه، فهو المتعالي المتقدس في نفسه، فكذلك «تبارك» لا يصح أن يكون معناها بارك في غيره، وأين أحدهما من الآخر لفظًا ومعنى؟ هذا لازم، وهذا متعدٍ، فعلمتَ أنّ من فسّر «تبارك» بمعنى: ألقى البركة وبارك في غيره، لم يصب معناها، وإن كان هذا من لوازم كونه تعالى متباركًا، فـ«تبارك» من باب «مَجُدَ»، والمجد: كثرة صفات الجلال، والكمال، والسَّعة، والفضل، و«بارك» من باب أعطى، وأنعم، ولمّا كان المتعدي في ذلك يستلزم اللازم من غير عكس فسَّر من فسَّر من السلف اللفظة بالمتعدي؛ لينتظم المعنيان، فقال: مجيء البركة كلها من عنده، أو البركة كلها من قبله، وهذا فرع على تباركه في نفسه، فهو المتبارك في ذاته الذي يبارك فيمن شاء من خلقه وعليه، فيصير بذلك مباركًا، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، اهـ باختصار.

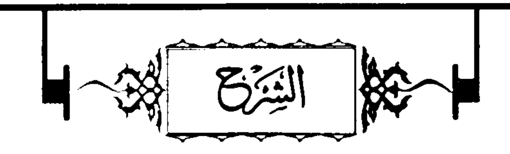
---

(١) قال في تفسير قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٥٤] (٣/ ٢٣٦): ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي تعالى الله وتعظّم، وقيل: ارتفع، والمبارك: المرتفع، وقيل: تبارك تفاعل من البَرَكة، وهي النماء والزيادة، أي البركة تكسب وتنال بذكره... إلخ.



إثبات الكمال المطلق لله ﷻ، وتنزيهه عن جميع النقائص والعيوب

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١-٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].



الشرح

❁ **الهراس**: تضمنت هذه الآيات الكريمة جملة من صفات السلوب، وهي نفي السمي، والكُفءِ، والنِدِّ، والولد، والشريك، والولي من ذلٍّ وحاجةٍ، كما تضمنت بعض صفات الإثبات من: الملك، والحمد، والقدرة والكبرياء، والتبارك. اهـ

* **ابن باز:** هذه الآيات كلها في بيان جملة من صفات الله ﷻ، كالتي سبقت، وطريقة أهل السنة والجماعة في ذلك: الإيمان بها وإثباتها كما جاءت على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهكذا ما جاء في السنة الصحيحة من صفات الله، كلها على هذا السبيل، يجب إثباتها لله على الوجه اللائق بالله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. اهـ



نفي السمي والنظير عن الله ﷻ

قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾.

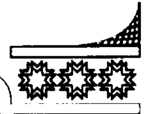
* **ابن مبارك:** قال ابن جرير: وقوله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾ يقول: فالزم طاعته، وذل لأمره ونهيه، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾. يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له، ولا عِدْلَ، ولا شبيه في جُوده، وكرمه، وفضله، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾. يقول: هل تعلمُ يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مِثْلًا في كرمه وجوده، فتعبدَه رجاءَ فضلِه وطَولِهِ دونَه؟ كلّا، ما ذلك بموجود.

وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ قال: شبيهًا. اهـ

* **ابن مانع والهراس:** ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: قال أهل اللغة: هل تعلم له سميًا. أي: نظيرًا استحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه، وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ مثيلًا أو شبيهًا. اهـ

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤).



❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها أنه لا سمي له، استفهام بمعنى النفي العام، أي: لا أحد يستحق اسمه، ولا أحد مساوٍ له، ولا أحد مسامٍ، هذا من النفي العام. اهـ

❁ **الهراس**: والاستفهام في الآية إنكاري، معناه النفي. أي: لا تعلم له سميًا. اهـ

نفي الكفء والمثيل

قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال أبو العالية: لم يكن له شبيهٌ ولا عِدلٌ، وليس كمثله شيء. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الكفو: المساوي، لم يكن له أحد مساويًا، لكماله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته، وهذا من النفي العام مراد منه الكمال، فهو مقصود لغيره، بخلاف الإثبات المفصل، فإنه مقصود لذاته، وتقدم. وهذه طريقة الكتاب العزيز في النفي -النفي المجمل- نفي ما لا يليق بالله نفيًا مجملًا. اهـ

❁ **الهراس**: المراد بالكفء: المكافئ المساوي، فهذه الآية تنفي عنه سبحانه النظير والشبيه من كل وجه؛ لأن «أحد» وقع نكرة في سياق النفي، فيعم، وقد تقدم الكلام على تفسير سورة الإخلاص كلها، فليرجع إليها. اهـ



نفي الأنداد والنظراء

قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

❁ **ابن باز**: الأنداد: الأشباه والنظراء، فالله ليس له ند ولا نظير. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: الأندادُ جمعُ نِدٍّ، والنِّدُّ: العِدْلُ والمِثْلُ. وذكر بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال: أشباهًا. وعن قتادة في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض، ثم تجعلون له أندادًا.

وقال البغوي: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي: أمثالًا تعبدونهم كعبادة الله.

قال ابن كثير: يذكر تعالى حال المشركين في الدنيا، وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا له أندادًا -أي: أمثالًا ونظراء- يعبدونهم معه، ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا ند، ولا شريك له. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الند: المِثْل والشبيه، هذا من النفي المجمل، يعني: لا مِثْل له ولا نظير. ﴿أَندَادًا﴾: أشباهًا ونظراء، إنكار على الناس الذين يتخذون الأنداد مع الله، فهذه الآية من النفي المجمل، وكذلك نظائرها، كقوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]. اهـ

❁ **الهراس**: الأنداد جمع ند، ومعناه كما قيل: النظير المناوئ، ويقال: ليس لله ند ولا ضد. والمراد نفي ما يكافئه ويناوئه، ونفي ما يضاده وينافيه.

وجملة: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقعت حالا من الواو في ﴿تَجْعَلُوا﴾، والمعنى: إذا كنتم تعلمون أن الله هو وحده الذي خلقكم ورزقكم، وأن هذه الآلهة التي جعلتموها له نظراء وأمثالًا، وساويتموها به في استحقاق العبادة لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة، ولا تملك لكم ضرًّا ولا نفعًا، فاتركوا عبادتها، وأفردوه سبحانه بالعبادة والتعظيم. اهـ

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾.

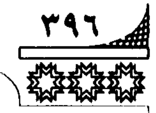
❁ **الهراس**: قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ ﴾. إلخ، إخبار من الله عن المشركين بأنهم يحبون آلهتهم كحبهم لله ﷻ. يعني: يجعلونها مساوية له في الحب. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] من حب المشركين لآلهتهم؛ لأنهم أخلصوا له الحب، وأفردوه به، أما حب المشركين لآلهتهم؛ فهو موزّع بينها، ولا شك أن الحب إذا كان لجهة واحدة كان أمكن وأقوى.

وقيل: المعنى: أنهم يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله، والذين آمنوا أشد حبًّا لله من الكفار لأندادهم. اهـ

❁ **ابن باز**: قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ على سبيل الذم. يعني: أنَّ بعض الناس يتخذ أندادًا، وهم المشركون، وقد نهى الله عن هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. يعني: لا تتخذوا معه معبودات من أصحاب القبور، أو من الأنبياء، أو من الملائكة، أو من الجنّ، أو من الأحجار، كل ذلك باطل، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الآية من سورة الحج.

فالواجب على جميع المكلفين أن يعبدوه وحده، وأن يتبرؤوا من الأنداد، وأن يعلموا يقينًا أنه لا ندّ له، ولا مثل له، ولا كفء له، وأن يعتقدوا ذلك، قال تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، ويقول سبحانه: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.





آية العز

قوله: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾.

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية يقال لها: آية العز[١]. وجاء في بعض الأخبار، أو الآثار، أن البيت الذي تقرأ فيه هذه الآية، يأمن أهله من السرّاق[٢].

وهذه الآية فيها إثبات جميع الحمد لله سبحانه، لذاته، ولأسمائه، وصفاته، وعلى قضائه، وقدره. واستحقاقه للحمد سبحانه يفيد أنه متنزه عن جميع النقائص؛ إذ يستحيل ثبوت الحمد لمن ليس كذلك.

﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ إلى آخر الآية، كل جملة من جملها من النفي المجمل، ففيه نفي الولد؛ لمنافاة ذلك؛ لكمال صمديته، وغناه سبحانه، فإنه الغني بذاته عن كل ما سواه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيه نفي الشريك في المُلك؛ لمنافاته لوحدانيته سبحانه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ ليس له من خلقه أولياء يتعزز بهم من ذلة، ولا يَتكثَّرُ بهم من قلة، كما يكون للمخلوق ولي يعزه وينصره، فهو الغني عن ذلك كله الوليُّ الناصر. يعني: لا يحتاج لأنصار ينصرونه من الذل سبحانه، وإنما اتخذ أولياء من أهل طاعته، لكن لا من الذل، وهو والاهم، بأن هداهم إحسانًا منه تعالى، وهم والوه بالذل والخضوع.

(١) أخرجه أحمد (١٥٦٧٢) (٣/ ٤٣٩)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ ص١٩٢/ ح٤٢٩) من حديث معاذ بن أنس، عن النبي ﷺ قال: «آية العز: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الآية» وسنده ضعيف، فيه ابن لهيعة ورشدين بن سعد، ضعفاء وضعفه العراقي والهيثمي والألباني.

(٢) لم أجده، ولكن ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٩٧: ط عالم الكتب) ولم يعزه إلى أحد.

﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ كبره: عظِّمه، تكبيرًا: تعظيمًا، وهذا يفيد أنه الكبير الذي لا أكبر منه تعالى، وفيه وصفه بالكبرياء والعظمة، فهو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وفيه آكدية تعظيمه وإجلاله. اهـ

❁ **ابن باز**: قوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾: ليس له وليٌّ من الذلّ، بل له أولياء محبة وتقريب، وليس من الذل، وهو الغني عن كل ما سواه، هو العزيز القاهر الغالب، ليس له أولياء من الذل، ولكن أولياء يحبهم ويحبونه، أطاعوه واتقوه، فهم أولياء على سبيل المحبة لهم والتقريب لهم؛ لكونهم أطاعوه وعظّموا أمره، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ هؤلاء هم أولياء الله، ليس من الذل، لكن من طريق المحبة والقربة لهم؛ لأنهم أطاعوه واتبعوا شريعة رسوله ﷺ.

وهكذا جميع الآيات التي فيها ذكر الملك والحمد والقدرة، فهو المالك لكل شيء، الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، العالم بجميع أحوال عباده، كلُّ هذا حقّ، ومن هذا قوله: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾، ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾، كل هذه الصفات ثابتة له جل وعلا، وهو الخالق لكل شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، وهو العالم بأحوال عباده، ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ﷻ. اهـ

❁ **الهراس**: أما قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾.. الآية، فقد تقدم الكلام في معنى الحمد[1]، وأنه الثناء باللسان على النعمة وغيرها، وقلنا: إن إثبات الحمد له سبحانه متضمن لإثبات جميع الكمالات التي لا يستحق الحمد المطلق إلا من بلغ غايتها.

ثم نفى سبحانه عن نفسه ما ينافي كمال الحمد، من الولد، والشريك، والولي من الذ؛ أي: من فقر وحاجة. فهو سبحانه لا يوالي أحدًا من خلقه من أجل ذلة وحاجة إليه.

---

(١) في أول الكتاب عند شرح مقدمة المصنف.

ثم أمر عبده ورسوله أن يكبره تكبيرًا. أي: يعظمه تعظيمًا، وينزهه عن كل صفة نقص وصفه بها أعداؤه من المشركين. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فيكون مربوبًا لا ربًّا؛ لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ عاجزًا ذا حاجةٍ إلى معونة غيره، ضعيفًا، ولا يكون إلهًا من يكون محتاجًا إلى مُعين على ما حاول، ولم يكنْ منفردًا بالملك والسلطان، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ يقول: ولم يكن له حليفٌ حالفَه من الذُّلِّ الذي به؛ لأن من كان ذا حاجة إلى نُصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلًا مهينًا يحتاج إلى ناصر إلهًا يطاع، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ يقول: وعظِّم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك.

وقال ابن كثير: لَمَّا أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى[1]، نزَّه نفسه عن النقائص فقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: ليس بذليل، فيحتاج أن يكون له ولي، أو وزير، أو مشير، بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لا شريك له. قال مجاهد في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ لم يحالف أحدًا، ولم يبتغ نصرة أحد. ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ أي: عظِّمه، وأجلّه عمَّا يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيرًا. قال ابن جرير: حدثني يونس: أنبأنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن القرظي أنه كان يقول هذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدًا. وقالت العرب: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل. فأنزل الله هذه الآية ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾. اهـ

---

(١) في التي قبلها وهي قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآية [الإسراء: ١١٠].

تنزيه الله وتعظيمه وإجلاله

قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* **الهراس**: التسبيح هو التنزيه والإبعاد عن السوء، كما تقدم. ولا شك أن جميع الأشياء في السموات وفي الأرض تسبح بحمد ربها، وتشهد له بكمال العلم، والقدرة، والعزة، والحكمة، والتدبير، والرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقد اختلف في تسبيح الجمادات التي لا تنطق، هل هو بلسان الحال، أو بلسان المقال؟ وعندي أن الثاني أرجح؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ إذ لو كان المراد تسبيحها بلسان الحال، لكان ذلك معلومًا، فلا يصح الاستدراك.

وقد قال تعالى خبرًا عن داود ﷺ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[1] [ص: ١٨-١٩]. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السموات السبع، وما في الأرض من خلقه، ويعظمه. وقوله: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: يقول تعالى ذكره: له ملك السموات والأرض وسلطانه، ماضٍ قضاؤه في ذلك كله، نافذ فيه أمره. وقوله: ﴿وَلَهُ

---

(١) هذا هو القول الصحيح الذي لا ينبغي التعويل على غيره، وهو الذي اختاره جماعة من المحققين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله في «الرسالة الكيلانية» (الفتاوى ١٢/ ٤٠٦): وقد زعم طائفة أن ما ذكر في القرآن من تسبيح المخلوقات هو دلالتها على الخالق تعالى، ولكن الصواب أنَّ ثَمَّ تسبيحًا آخر زائدًا على ما فيها من الدلالة، لكن هذا كله يكون مع التقييد والقرينة. اهـ ومنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله حيث قال: تفسير آية ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] أي: لا تفهمون تسبيحهم أيها الناس؛ لأنها بخلاف لغتكم، وهذا عام في الحيوان والنبات والجماد، وهذا أشهر القولين، كما ثبت في صحيح البخاري (٣٥٧٩) عن ابن مسعود أنه قال: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل.. وهو حديث مشهور في المسانيد. اهـ

ٱلْحَمْدُ﴾ يقول: وله حَمْدُ كل ما فيها من خلقٍ؛ لأن جميع مَنْ في ذلك من الخلقِ لا يعرفون الخيرَ إلا منه، وليس لهم رازقٌ سواه، فله حمدُ جميعهم. ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: وهو على كل شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ولا يتعذَّر عليه شيءٌ أراده؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يُعجزُه معها شيء. اهـ

* **قال الشيخ**: التسبيح: التقديس والتنـزيه. وجميع مَن في السموات والأرض يسبح، منها ما هو تسبيحه بلسان الحال، ومنها ما هو بلسان المقال كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] فجميع الكائنات ناطقة بتسبيحه وتمجيده.

وفي كـــل شيء لـــه آيـــة * تـــدل عـــلى أنـــه واحـــد

متصف بصفات الكمال، متنـزه عن جميع النقائص والعيوب.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ هذا فيه إثبات الملك المطلق لله سبحانه من جميع الوجوه، وفيه إثبات صفات الكمال؛ إذ يستحيل ثبوت الملك لمن ليس كذلك.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ هذا فيه إثبات الحمد لله.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هذا فيه إثبات القدرة لله سبحانه على جميع المخلوقات -الموجودات، والمعدومات، والممكنات أن توجد- فهي مشمولة بقدرته. وقول بعض العلماء كما يذكره ابن كثير[(١)]: «إنه على ما يشاء قدير» ذهول منه[(٢)]. وبعض المبتدعة

---

(١) في مواضع من تفسيره (٦/ ٥٣٤، ط: السلامة)، تفسير سورة فاطر آية (٦).

(٢) قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب: هذه كلمة اشتهرت على الألسنة من غير قصد، وهو قول الكثير، إذا سأل شيئًا قال: وهو القادر على ما يشاء، وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شرًّا، وكل ما في القرآن ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً؛ لأن القدرة شاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات، وإنما قصد أهل البدع =

ينكر قدرته إلا على ما يشاء، وأما ما لا يشاء فلا[(١)]، وقد رد المصنف وبيّن بطلان ما ادعوه بالبراهين الواضحة القاطعة، كهذه الآية ونظائرها، من أنه سبحانه على كل شيء قدير، مما يريده، ومما لا يريده[(٢)]. والقدرة والعلم من أشمل صفاته ﷻ، فما من شيء إلا وهو مشمول بالعلم، وهو أشمل من القدرة، فالعلم يشمل العلم بالذات، وبالأسماء والصفات، وبالمخلوقات، فهو أعلم بنفسه وبغيره، والقدرة تشمل جميع المخلوقات، ولا تشمل الذات والأسماء الصفات؛ لأنها لا تقبل تصريفًا ولا تبديلًا، وهذا مستثنى بالعقل[(٣)]. اهـ

تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك

قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾.

* **الهراس**: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾. إلخ، قلنا: إن معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة؛ وهي دوام الخير وكثرته، ولكن لا يلزم من تلك الزيادة سبق النقص، فإن المراد تجدد الكمالات الاختيارية التابعة لمشيئته وقدرته، فإنها تتجدد في ذاته على وفق حكمته،

بقولهم: وهو القادر على ما يشاء، أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت المشيئة به. اهـ من «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣/ ٢٣٠).

(١) هذا فرع عن مذهب القدرية، قال الشيخ ابن عثيمين في «تفسير سورة آل عمران» (٢/ ٤١٧) إذا قلنا: إنه على ما يشاء قدير، يدخل علينا مذهب القدرية الذين قالوا: إنّ الله لا يشاء أفعال العباد، فإذا كان لا يشاء أفعال العباد، وقلنا: إنه لا يقدر إلا على ما يشاء لزم أن لا يكون قادرًا على أفعال العباد. اهـ

(٢) يعني الإرادة الشرعية التي بمعنى المحبة والرضا، أما الإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة فإنها نافذة في كل ما شاء ﷻ. انظر «شفاء العليل» لابن القيم (١/ ١٨٩ - ط: الحفيان).

(٣) للشيخ ابن عثيمين استدراك على هذا القول في «تفسير سورة آل عمران» (٢/ ٤١٤) فلينظر لأهميته.

فالخلو عنها قبل اقتضاء الحكمة لها لا يعتبر نقصًا[1].

وقد فسر بعضهم التبارك بالثبات وعدم التغيُّر، ومنه سميت البِرْكَةُ؛ لثبوت مائها، وهو بعيد.

والمراد بـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن، سمي بذلك؛ لقوة تفرقتِهِ بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

والتعبير بـ﴿نَزَّلَ﴾ بالتشديد؛ لإفادة التدرج في النزول، وأنه لم ينزل جملة واحدة.

والمراد بـ﴿عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ، والتعبير عنه بلقب العبودية؛ للتشريف كما سبق.

و﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالَم، وهو جمع لما يعقل، واختلف في المراد به، فقيل: الإنس. وقيل: الإنس والجن. وهو الصحيح، فقد ثبت أن النبي ﷺ مرسل إلى الجن أيضًا[2]، وأنه يجتمع بهم، ويقرأ عليهم القرآن، وأن منهم نفرًا أسلم حين سمع القرآن وذهب ينذر قومه به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

والنذير والمنذر هو من يُعْلِمُ بالشيء مع التخويف، وضده البشير أو المبشر، وهو من يخبرك بما يسرك. اهـ

---

(١) أطال ابن القيم في «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»، البحث في لفظ ﴿تَبَارَكَ﴾ ومما ذكره في ذلك قوله: «قال أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿تَبَارَكَ﴾ بمعنى: تعالى، وقال أبو العباس: ﴿تَبَارَكَ﴾: ارتفع، والمتبارك: المرتفع، وقال ابن الأنباري: ﴿تَبَارَكَ﴾ بمعنى: تقدس، وقال الحسن: ﴿تَبَارَكَ﴾: تجئ البركة من قبله، وقال الضحاك: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم، وقال الخليل بن أحمد: تمجد، وقال الحسين بن الفضل: ﴿تَبَارَكَ﴾ في ذاته وبارك فيمن شاء من خلقه، وهذا أحسن الأقوال. فتباركه سبحانه صفة ذات له، وصفة فعل، كما قال الحسين بن الفضل، ولو سلك المؤلف هذا المسلك لأجاد. اهـ من تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري. وتقدم نقل كلام ابن القيم رحمه الله عن «بدائع الفوائد» له.

(٢) دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، والإجماع، انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٢٦٧ - ط: الرسالة الثالثة)، و«الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام (٢/ ٣٨-٤٢).

❁ قال الشيخ: ﴿ تَبَارَكَ ﴾: تعاظم، بلغ في البركة نهايتها وغايتها، والبركة: كثرة النفع وكثرة الخير، يعني بلغ فيها النهاية. وهذه الصيغة تفاعل جاءت في القرآن مطَّرِدة في حق الله تعالى خاصة، فلا يجوز إطلاقها على المخلوق، فلا يقال: تباركت علينا، ونحو ذلك، فإن الله هو المتبارك، والعبد هو المبارَك.

﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ هذا أحد أسماء القرآن، وسمي فرقانًا؛ لفرقه بين الحق والباطل.

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، هذه هي العبودية الخاصة، وذلك أن أشرف حالات العبد، ما يكون فيه طاعة خالقه وموجده، فإن شرف المخلوق بطاعة خالقه.

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ للخلق، وهم الثقلان. ﴿ نَذِيرًا ﴾ للذين فيهم أهلية للنذارة وأهلية للتكليف[1].

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ هذا فيه تفرده بملك السموات والأرض، فيفيد اتصافه بصفات الكمال، وتنزهه عن جميع النقائص والعيوب.

﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نفي الولد؛ لمنافاته صمديته تعالى.

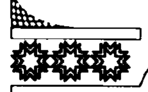
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ نفي الشريك؛ لمنافاته لوحدانية الباري ﷻ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فيه تفرده بخلق كل شيء.

﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ هَيَّئَهُ تهيئةً، كلَّ شيء على ما يناسبه ويشاكله، فأول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: ربّ وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فأفادت هذه الآية الإيمان بالقدر. اهـ

---

(١) وهو العاقل البالغ.



❁ **ابن مبارك**: ذكر ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: ﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة، وهو كقول القائل: تقدَّس ربنا. فقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلًا بعد فصل، وسورةً بعد سورة. ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ؛ ليكون محمدٌ لجميع الجن والإنس الذين بعثه الله إليهم داعيًا إليه. ﴿نَذِيرًا﴾ يعني: منذرًا ينذرهم عقابه، ويخوفهم عذابه، إن لم يوحدوه، ويخلصوا له العبادة، ويخلعوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان. ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الذي له سلطان السموات والأرض، يُنفذ في جميعها أمره وقضاءه، ويُمضي في كلها أحكامه، يقول: فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه. يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول تكذيبًا لمن أضاف إليه الولدَ، وقال: الملائكة بنات الله: ما اتخذ الذي نزَّل الفرقان على عبده ولدًا، فمن أضاف إليه ولدًا فقد كذب وافترى على ربه. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ يقول تكذيبًا لمن يُضيف الألوهية إلى الأصنام، ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تلبيته: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك: كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريكٍ في مُلكه وسلطانه فيصلح أن يُعبد من دونه، يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم -الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ- الألوهيةَ، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة، والأصنام، والملائكة، والجن، والإنس، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك.

وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزَّل على محمد الفرقان كلَّ شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى المماليك طاعة مالكهم وخدمة سيدهم دون غيره، يقول: وأنا خالقكم ومالِكُكم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري. وقوله: ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ يقول: فسوَّى كلَّ ما خلق، وهـيَّأه لما يصلح له فلا خلل فيه ولا تفاوت. اهـ

كمال الوحدانية في الإلهية والربوبية

قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* **قال الشيخ:** ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ هذا فيه نفي الولد عن الله، ونفي الإله مع الله، نفي الولد عن الله؛ لمنافاة الولد لصمديته. و﴿وَلَدٍ﴾ نكرة في سياق النفي، وقد دخلت عليها ﴿مِن﴾ فصار من أبلغ النفي.

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ لجميع المخلوقات ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لو قُدِّر - تعالى الله، وتقدس- أن مع الله إلهًا ثانيًا لهذا الوجود ويستحق أن يعبد، للزم أن يذهب كل إله بما خلق، لا تَتَّحِدُ، ولا تتفق إرادتهما، ولو اتفقت وقتًا ما، ما اتفقت إلى الأبد كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وللزم من ذلك أن يعلو بعضهم على بعض، فلما كان الوجود خاليًا من هذا تبين أن الله هو المستحق أن يفرد بالعبادة.

وهذه الآية سيقت لتقرير توحيد الألوهية والعبادة، وأن الله هو المستحق أن يعبد وحده دون كل من سواه، كما قرره الشيخ تقي الدين وتلميذه ابن القيم.

دليل التمانع

وزعم طائفة من المتكلمين، أنها سيقت لنفي التمانع. والصحيح: أن دليل التمانع عقلي، وأن الآية لم يقصد بها ذلك، وإنما كان المقصود بها إفراد الله بالعبادة، وإن كان يلزم من ذلك ويقتضي صحة التمانع من ضمنها ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]. اهـ

* **ابن مبارك**: يقول تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: لغلب بعضهم بعضًا كالعادة بين الملوك، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: ما غاب عن خلقه وما رأوه. ﴿فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفِهم إياه بما يصفون. اهـ

صفات التنزيه

* **الهراس**: قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾.. إلخ، تضمنت هذه الآية الكريمة أيضا جملة من صفات التنزيه التي يراد بها نفي ما لا يليق بالله ﷻ عنه، فقد نزه سبحانه نفسه فيها عن اتخاذ الولد، وعن وجود إله خالق معه، وعما وصفه به المفترون الكذابون، كما نهى عن ضرب الأمثال له، والإشراك به بلا حجة ولا برهان، والقول عليه سبحانه بلا علم ولا دليل.

فهذه الآية تضمنت إثبات توحيد الإلهية، وإثبات توحيد الربوبية، فإن الله بعدما أخبر عن نفسه بعدم وجود إله معه أوضح ذلك بالبرهان القاطع والحجة الباهرة، فقال: ﴿إِذًا﴾. أي: إذ لو كان معه آلهة، كما يقول هؤلاء المشركون؛ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾.

وتوضيح هذا الدليل أن يقال: إذا تعددت الآلهة فلابد أن يكون لكل منهم خلق وفعل، ولا سبيل إلى التعاون فيما بينهم؛ فإن الاختلاف بينهم ضروري، كما أن التعاون بينهم في الخلق يقتضي عجز كل منهم عند الانفراد، والعاجز لا يصلح إلهًا، فلابد أن يستقل كل منهم بخلقه وفعله، وحينئذ فإما أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كل منهم أن يقهر الآخرين ويغلبهم، فيذهب كل منهم بما خلق، ويختص بملكه، كما يفعل ملوك الدنيا من انفراد كل بمملكته إذا لم يجد سبيلًا لقهر الآخرين، وإمّا أن يكون

أحدهم أقوى من الآخرين، فيغلبهم، ويقهرهم، وينفرد دونهم بالخلق والتدبير، فلابد إذًا مع تعدد الآلهة من أحد هذين الأمرين، إما ذهاب كل بما خلق، أو علو بعضهم على بعض، وذهاب كل بما خلق غير واقع؛ لأنه يقتضي التنافر والانفصال بين أجزاء العالم، مع أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط الأجزاء، متسق الأنحاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثرًا لإلهٍ واحد، وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده. اهـ

النهي عن التمثيل وضرب القياس لله تعالى

قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول: فلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه؛ فإنه لا مِثلَ له ولا شِبه؛ فإنه أحدٌ صمدٌ، لم يلد ولم يُولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: والله -أيها الناس- يعلم خطأ ما يمثِّلون ويضربون من الأمثال، وصوابه، وغير ذلك من سائر الأشياء، ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ صواب ذلك من خطئه. اهـ

❁ **الهراس**: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، فهو نهي لهم أن يشبهوه بشيء من خلقه؛ فإنه سبحانه له المثل الأعلى الذي لا يشركه فيه مخلوق.

وقد قدمنا أنه لا يجوز أن يستعمل في حقه من الأقيسة ما يقتضي المماثلة أو المساواة بينه وبين غيره، كقياس التمثيل وقياس الشمول، وإنما يستعمل في ذلك قياس الأولى الذي مضمونه أن كل كمال وجودي غير مستلزم للعدم ولا للنقص بوجه من الوجوه اتصف به المخلوق، فالخالق أولى أن يتصف به؛ لأنه هو الذي وهب المخلوق ذلك الكمال؛ ولأنه لو لم يتصف بذلك الكمال مع إمكان أن يتصف به، لكان في الممكنات من هو أكمل منه، وهو محال، وكذلك كل نقص يتنزه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزه عنه. اهـ

تحريم القول على الله بلا علم في صفاته، وأسمائه، وأفعاله، وأحكامه

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

❁ **ابن باز**: وجه سياق هذه الآية ضمن إثبات آيات الصفات؛ للدلالة على أن القول على الله بلا علم من أعظم المحرمات، بل إنه يأتي في مرتبة أعلى من مرتبة الشرك، حيث رتب المحرمات في الآية من الأدنى إلى الأعلى، والقول على الله بلا علم يشمل القول عليه في أحكامه وشرعه ودينه، كما يشمل القول عليه في أسمائه وصفاته، وهو أعظم من القول عليه في شرعه ودينه، فسياق الآية الكريمة هنا للتنبيه على هذا، والله أعلم. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ ما تزايد قبحه من الكبائر، ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ جهرها وسرها، ﴿وَٱلْإِثْمَ ﴾ كل ذنب، ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: الظلم.

﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ برهانًا، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ بالافتراء عليه والكذب، من دعوى أنَّ له ولدًا، ونحو ذلكن مما لا علم لكم به. اهـ

أصول المحرمات ومراتبها

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية الكريمة جمعت أصول المحرمات متنقلًا فيها من الأدنى إلى الأعلى، فأدنى المحرمات (الفواحش)، ثم (الإثم) وهو أعظم من الفواحش، ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو أعظم من الإثم، ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ وهو أعظم من البغي بغير الحق، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ هذا أعظم من الشرك، وإنما كان أعظم؛ لأنه يستلزم الشرك وزيادة.

القول على الله بلا علم أعظم المحرمات

فأعظم المحرمات: القول على الله بلا علم، وإذا عرفت أنه أعظم هذه المحرمات، فالقول على الله بلا علم أقسام:

١- القول على الله بلا علم في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه.

٢- والقول عليه بلا علم في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله.

فالقول على الله بلا علم في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، أعظم من القول عليه بلا علم في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه، وأعلى مرتبة في التحريم، وإن كان في الثاني ما يرجع إلى تنقصه في أسمائه وصفاته، ومعلوم أن من أثبت لله صفة، أو اسمًا لم يثبته لنفسه، أو نفى عنه ما اتصف به، فهو قائل عليه بلا علم، وهو مخالف للكتاب والسنة والشرع والقدر، كاذب، ضال عن الصراط المستقيم، فإن قُوى العباد لا تقدر أن تصل إلى شيء من ذلك بعقولها، ولا بأفهامها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالكتاب والسنة، والسالم الناجي يوم القيامة، هو الناطق بما نطق به الكتاب والسنة، والواقف حيث وقفا، فنؤمن بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسول الله، نؤمن باللفظ والمعنى جميعًا، ونعتقده حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وبهذا تعرف أن طائفتي الضلال والانحراف من نفاة الصفات، هم أعظم القائلين على الله بلا علم، سواء بجحد أو تعطيل، أو تكييف أو تمثيل.

وإنما سلم من القول على الله بلا علم، من اتبع النبي الكريم وأصحابه والتابعين، المقتفين لهديه الكريم. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ ﴾.. إلخ؛ فـ﴿إِنَّمَا﴾ أداة قصر تفيد اختصاص الأشياء المذكورة بالحرمة، فيفهم أن من عداها من الطيبات فهو مباح لا حرج فيه؛ كما أفادته الآية التي قبلها.

الفواحش

و﴿ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ جمع فاحشة، وهي: الفعلة المتناهية في القبح، وخصها بعضهم بما تضمن شهوة ولذة من المعاصي، كالزنا، واللواط، ونحوهما من الفواحش الظاهرة، وكالكبر والعجب وحب الرياسة من الفواحش الباطنة.

الإثم

وأما ﴿ٱلۡإِثۡمَ﴾ فمنهم من فسره بمطلق المعصية، فيكون المراد منه ما دون الفاحشة، ومنهم من خصه بالخمر، فإنها جماع الإثم.

البغي

وأما ﴿وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ فهو التسلط والاعتداء على الناس من غير أن يكون ذلك على جهة القصاص والمماثلة.

وقوله: ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾، وحرم أن تعبدوا مع الله غيره، وتتقربوا إليه بأي نوع من أنواع العبادات والقربات -كالدعاء، والنذر، والذبح، والخوف، والرجاء، ونحو ذلك مما يجب أن يخلص فيه العبد قلبه، ويسلم وجهه لله- وحرم أن تتخذوا من دونه سبحانه أولياء يشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله في عباداتهم ومعاملاتهم، كما فعل أهل الكتاب مع الأحبار والرهبان؛ حيث اتخذوهم أربابًا من دون الله في التشريع، فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، فاتبعوهم في ذلك.

وقوله: ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ قيد لبيان الواقع؛ فإن كل ما عبد، أو اتبع، أو أطيع من دون الله قد فعل به ذلك من غير سلطان.

القول على الله بلا علم أعظم المحرمات

وأما القول على الله بلا علم فهو باب واسع جدًا يدخل فيه كل خبر عن الله بلا دليل ولا حجة، كنفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه، أو الإلحاد في آياته بالتحريف والتأويل.

مراتب المحرمات

قال العلامة ابن القيم في كتابه «إعلام الموقعين»(١): «وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾.. الآية، فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش، وثَنَّى بما هو أشد تحريمًا منه، وهو الإثم والظلم، ثم ثلَّثَ بما هو أعظم تحريمًا منهما، وهو الشرك به سبحانه، ثم رَبَّعَ بما هو أعظم تحريمًا من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه. اهـ

وجوه التنزيه في القرآن الكريم

❁ **قال المصنف** رحمه الله(٢): إن الله نزه نفسه في كتابه عن النقائص، تارة بنفيها، وتارة بإثبات أضدادها، كقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، وقوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، الآية، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣]، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢]، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ

(١) (١/ ٣٨ - ط: محي الدين).
(٢) التسعينية ضمن «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٣٤٣-ط: عطا).

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] الآية، وقوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية، وما في القرآن من خبره عن نفسه، أنه بكل شيء عليم، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأنه على كل شيء قدير، وأنه ما شاء الله كان، لا قوة إلا بالله، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه العلي العظيم، الأعلى المتعالي، العظيم، الكبير. وكذلك الأحاديث عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور -أو النار- ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»(١). وقوله ﷺ أيضًا فيما يروي عن ربه: «**شتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، فأما شتمه إياي فقوله: إني اتخذت ولدًا. وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني. أوليس أول الخلق بأهون علي من إعادته؟**»(٢). وقوله في حديث السنن للأعرابي: «**ويحكَ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، إن عرشه على سمواته -أو قال: بيده- مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه**»(٣) وقوله في الحديث الصحيح: «**أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»(٤). إلى أمثال ذلك. اهـ

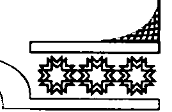
---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٣، ٤٩٧٤، ٤٩٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) والبغوي في «شرح السنة» (٩١) وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٨)، وأبو عوانة في «المستخرج على مسلم» (٢٥١٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة.



إثبات استواء الله على عرشه
استواءً يليق بجلاله لا كاستواء المخلوقين



(وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] في سَبْعة مَوَاضِعَ: فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ ﷺ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣]، وفي قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]، وفي قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَالَ فِي سُورَةِ ﴿الٓمٓ﴾ السَّجْدَة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

الشرح

❁ **ابن مانع**: قوله: «في سبعة مواضع» وقد بينها ابن عدوان في نظمه لهذه العقيدة، فقال:

وذكـــــر اســـــتواء الله في كلماتـــــه	على العـرش في سبعِ مواضـعِ فاعْـدُدِ
ففي سورة «الأعـراف» ثُمَّـتَ «يـونسٍ»	وفي «الرعـد» مـع «طـه» فلِلعَـدِّ أكِّـدِ
وفي سورة «الفرقـان» ثُمَّـتَ «سـجدةٍ»	كـذا في «الحديـدِ» افهمـه فهـمَ مؤيَّـدِ

معنى الاستواء

و الاستواء هو: العلو والارتفاع، فهو سبحانه كما أخبر عن نفسه فوق مخلوقاته مستو على عرشه، وقد عبر أهل السنة عن ذلك بأربع عبارات، ومعناها واحد وقد ذكرها ابن القيم في النونية حيث قال:

فلهم عبارات عليها أربعٌ * قد حُصِّلتْ للفارسِ الطعانِ
وهي «استقر» وقد «علا» وكذا * لِكَ «ارتفعَ» الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد «صَعِد» الذي هو رابع * وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره * أدرى من الجهمي بالقرآن
والأشعري يقول: تفسير استوى * بحقيقة استولى من البهتان

اهـ

* آل الشيخ: قوله «فِي سَبْعَة مَوَاضِعَ» كل واحد فيه التصريح باستواء الله على العرش، وهو من أدلة علو الربّ وفوقيته.

وهذه الآيات السبع على قسمين:

١- منها: ما فاعلُ الاستواء فيها ضمير مستترٌ يعود على الله سبحانه. يعني: ربكم.

٢- ومنها: ما هو اسمٌ مُظْهَر مرفوع، وهو في آية الفرقان ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، والسر في ذلك -والله أعلم- أن العرش أوسع المخلوقات، ورحمته وسعت كل شيء، فاستوى بأوسع صفاته على أوسع مخلوقاته.

وفسر السلف ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ بأربعة أشياء: بـ«علا»، وبـ«ارتفع»، وبـ«استقر»، و«صعد»[1]، ولم يجئ في الكتاب والسنة أنه استوى على مخلوق آخر، أو

---

(١) قال البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارتفع، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: خلقهن. وقال مجاهد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: علا على العرش. اهـ

على المخلوقات جميعها، بل ما جاء إلا خاصًّا بالعرش، فدل على إثبات الاستواء على العرش لا كاستواء المخلوقين، وكنه ذلك وكيفيته إلى الله، قال مالك رَحِمَهُ اللهُ، لما أتاه رجل فسأله، فقال: استوى، كيف استوى؟ فسكت مالك رَحِمَهُ اللهُ حتى علته الرُّحَضَاء -العرق- فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بإخراجه عنه، وقال: أراك رجل سوء - يعني مبتدع- أخرجوه عني». وهذا مثله لشيخه ربيعة، وروي عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا موقوفًا عليها، وروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ والموقوف أصح[1]، وهذا له بالحرف والمعنى، وهو لجميع أئمة أهل السنة السلف والخلف بالمعنى، كالإمام أحمد، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه.

شرح قول الإمام مالك

وقوله: «معلومٌ» أي: لفظه ومعناه من كلام العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، وليس المراد بمعرفة لفظه ومعناه، أن هذه الأحرف مجتمعة، معلومةُ الاجتماع، وأن تركيبها كذا.

---

(١) صح عن الإمام مالك، وعن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وروي عن أم سلمة موقوفًا ومرفوعًا.
رواه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص/ ٣٣)، واللالكائي (٦٦٤) عن جعفر بن عبد الله عن مالكٍ، والبيهقيُّ في «الأسماء والصفات» (٨٦٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١) عن يحيى بن يحيى، عن مالك بن أنس أنه جاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فكيف استوى؟ قال: فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج. والرحضاء: العرق. وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٧): إسناده جيد. اهـ
وروى اللالكائي (٦٦٥) عن ابن عيينة قال سئل ربيعة عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. ورواه البيهقي (٨٦٨) أيضًا، والذهبي في «العلو»، وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص/ ١٣٢).
وروى اللالكائي «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٦٦٣) من طريق محمد بن أشرس الأنصاري، قال ثنا أبو عمير الحنفي، عن قرة بن خالد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة في قوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به إيمان، والجحود به كفر.

«والكيف مجهول» علمه وحقيقته موكولة إلى الله لا يعلمه الخلق، ولا يصلون إليه لا شرعًا ولا قدرًا[1]، بل لا يليق أن تصل قوى البشر أن يحيط المخلوق بكنه الخالق، بل هو سبحانه يُعلم ولا يُحاط به علمًا، نعلمه بما أعلمنا، وأما إدراكه على ما هو عليه فلا، بل ممنوع التفكر في ذلك وعبث، فَمَنْعُ «كيف» في صفات الله كمنع «لِمَ» في أفعال الله، مُنع «كيف» بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومُنع «لِمَ» بقوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قاعدة في جميع الصفات

ونعرف هذا في الذات، ونعرفه في الصفات، ونقول: معنى الرضا والغضب والمحبة، ونحو ذلك معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فإذا عرفت أنه جاء استواؤه تعالى على العرش مطردًا في النصوص في القرآن والسنة، ولم يجئ استواؤه على غير العرش ولا في موضع واحد، وتفطَّنت لذلك وتنبّهت له، عرفت صحة قول أهل السنة والجماعة في ذلك، هذا دليل واضح لأهل السنة والجماعة، في أنه استوى على العرش حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته. اهـ

❁ **ابن باز**: الله تعالى موصوف بالاستواء فوق العرش في سبعة مواضع في سورة طه، وسورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة الرعد، وسورة الإسراء، وسورة لقمان، وسورة «تنزيل» السجدة، وسورة الحديد، كلها ثابتة.

معنى الاستواء

ومعنى الاستواء: العلو والفوقية، فمعنى استوى عليه: أي ارتفع فوق العرش وعلا عليه. هو العالي فوق جميع خلقه، والعرش سقف المخلوقات، والله سبحانه فوق

---

(١) أي: لم يأذن لهم بذلك لا بالشرع فمحاولته حرام، ولا بالقدر فلن يستطيعوا ذلك مهما حاولوا.

العرش استوى، استواء يليق بجلاله، لا يعلم كيفيته إلا هو ﷻ، ولهذا لما سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه، وأحد الأئمة الأربعة، قيل له: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فعظّم الأمر، وعلته الرحضاء -يعني العرق من شدة استغراب هذا السؤال- ثم قال: الاستواء معلوم -أي: أنه العلو والارتفاع- والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر بإخراجه.

اتفاق الأئمة على قول الإمام مالك

وهكذا قال بهذا المعنى سفيان الثوري، والأوزاعي، والإمام أحمد، والإمام الشافعي، وإسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة الإسلام، الباب واحد، الاستواء معلوم من جهة المعنى، وهو العلو والارتفاع، والكيف مجهول، لا يعلم كيف استوى إلا هو ﷻ، والإيمان بذلك واجب علينا؛ لأن الله أخبر عن نفسه، والسؤال عن الكيفية بدعة أحدثها المتكلمون من الجهمية، والمعتزلة، وغيرهم.

القول في جميع الصفات: الصفة معلومة والكيفية مجهولة

وهكذا يقال في بقية الصفات، الرحمة معلومة، الرضا معلوم، الغضب معلوم، القدرة معلومة، القدم معلومة، لكن الكيف مجهول، فلا نعلم كيف رحمته، ولا كيف غضبه، ولا كيف يده، ولا كيف قدمه، ولا كيف عينه، لا نعلم الكيفيات، ولا نخوض فيها، نثبتها ونمرها كما جاءت، نقول: إنه سميع بصير، وأنَّ له يدين، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾، وفي الحديث الصحيح: «أن الله تبارك وتعالى يضع قدمه في النار، فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول قطِ قطِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) عن أنس.

وبيَّن ﷻ أنه يغضب على من عصاه، ويرضى عن من أطاعه، ويرحم عباده، كل هذا من صفاته جل وعلا، قال النبي ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة**»[1]، فضحكه، ورضاه، وغضبه، وسمعه، وبصره، وسائر صفاته كلها تليق به لا يشبه خلقه في شيء من ذلك على قاعدة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فأهل السنة والجماعة يثبتون آيات الصفات وأحاديث الصفات إثباتًا بلا تمثيل، وينزهون الله جل وعلا عن مشابهة خلقه تنزيهًا بلا تعطيل، تنزيهًا معه الإثبات، بخلاف أهل البدع، فأهل البدع قسمان آخران: قسم أثبتوا ومثلوا، وقسم نفوا وعطلوا. وأهل السنة برءاء من هؤلاء وهؤلاء، فالممثلة كفار والمعطلة كفار، وأهل السنة هم الذين أثبتوا من غير تمثيل، وأثبتوا صفاته وأسماءه على الوجه اللائق بالله، إثباتًا بريئًا من التمثيل ونزهوه عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل خلافًا للممثلة، وخلافًا للمعطلة من الجهمية والمعتزلة وأشباههم.

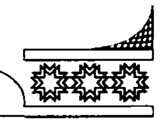
وجوب لزوم مسلك الصحابة

فينبغي -بل الواجب- على المؤمن أن يسلك هذا المسلك، وأن يستقيم على قول أهل السنة، وهم أصحاب النبي ﷺ، وأتباعهم بإحسان، إذا سئلت عنهم من هم أهل السنة؟ فقل: هم أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان من التابعين وأتباع التابعين والأئمة الأربعة منهم.

أمَّا من أثبت ومثَّل، أو عطّل، فهو من أهل البدع، وأهلُ السنة برآء منه. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) عن أبي هريرة.



السؤال عن الكيفية لا يجوز

* **وقال شيخ الإسلام**(١): قول السائل: كيف ينزل؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف: يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟ قد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام مثل: مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فإنه قد روي من غير وجه أن سائلًا سأل مالكًا عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء. ثم أمر به فأخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه.

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك: في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته ونعلم معنى السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة، والغضب، والرضا، والفرح، والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك. اهـ

كلام العلماء في تفسير الاستواء

* قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي -يعني: محمد بن زياد اللغوي- فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، فقال: هو على العرش كما أخبر، قال: يا أبا عبد الله، إنما معناه استولى. فقال: اسكت، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ.

---

(١) «شرح حديث النزول» كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٥).

ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي: سمعت ابن الأعرابي يقول: أرادني أحمد بن أبي دؤاد أن أجد له في لغة العرب: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، بمعنى استولى. فقلت: والله ما أصبتُ هذا.

وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش؛ لأنه غالب على جميع المخلوقات.

ونقل محيي السنة البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع.

وقال أبو عبيد، والفراء، وغيرهما بنحوه، وأخرج أبو القاسم اللالكائي في «كتاب السنة» من طريق الحسن البصري، عن أمه، عن أم سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل كيف استوى على العرش؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، فقال: هو كما وصف نفسه.

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كما وصف به نفسه، ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه. ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة، لكن قال فيه: والإقرار به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون، ويروون هذه الأحاديث، ولا يقولون: كيف، قال أبو داود: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا.

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب، من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسر شيئًا منها، وقال بقول جهمٍ فقد خرج عمّا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وفارق الجماعة؛ لأنه وصف الرب بصفة لا شيء.

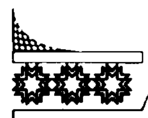
ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعيَّ ومالكًا والثوريَّ والليثَ بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة، فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وأخرج بن أبي حاتم في «مناقب الشافعي»، عن يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: لله أسماءٌ وصفاتٌ لا يسع أحدًا ردُّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرويَّة والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة، قال: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.

ومن طريق أبي بكر الضبعي، قال: مذهب أهل السنة في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، قال: بلا كيف والآثار فيه عن السلف كثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال الترمذي في «الجامع» عقب حديث أبي هريرة في النزول: وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث، وما يشبهه من الصفات.



وقال في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات، فنؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال: كيف كذا؟ جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا: هذا تشبيه. وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل: يد كيد، وسمع كسمع. وقال -يعني: الترمذي في تفسير المائدة-: قال الأئمة: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير[1]، منهم الثوري، ومالك، وابن عيينة، وابن المبارك. وقال بن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفوا شيئًا منها، وأما الجهمية، والمعتزلة، والخوارج فقالوا: من أقرَّ بها فهو مشبه، فسماهم من أقر بها معطلة... إلخ[2].

* **ابن مانع**: وقع في بعض الكتب التي زعم مؤلفوها أنها على مذهب السلف، عبارة باطلة وهي كما في رسالة «نجاة الخلف في اعتقاد السلف»[3] قال: «فالله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو على ما عليه قبل خلق المكان» اهـ.

وهذا إنما يقوله من لم يؤمن باستواء الرب على عرشه من المعطلة، والحق أن يقال عن الله تعالى: كان وليس معه غيره، ثم خلق الخلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء، ثم استوى على العرش، و«ثم» هنا للترتيب لا لمجرد العطف.

قال ابن القيم في النونية:

والله كان وليس شيء غيره * وبَرَى البريةَ وهي ذو حدثان

وقال غيره:

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه * ومن علمه لم يخل في الأرض موضع. اهـ

---

(١) أي: من غير تمثيل وتكييف.

(٢) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٦ ط السلفية أو١٣/ ٤١٧ ط الريان).

(٣) للشيخ عثمان بن أحمد النجدي ت ١٠٩٧ هـ.

الرد على من حرف الاستواء بالاستيلاء

❋ **آل الشيخ**: وقد حرفت الجهمية وألحدت وقالوا: استولى على العرش. وزعموا أن هذه النصوص لا تدل إلا على الاستيلاء، فزادوا لامًا، كما زادت اليهود نونًا.

ويقال لهؤلاء المبتدعة: الاستيلاء مشترك بين المخلوق والخالق، ثم أيضًا الاستيلاء لا يكون إلا لمن كان مغلوبًا ثم غَلب، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى، فإنه ليس مغلوبًا -تعالى- على عرشه حتى يقهر من غلبه ويستولي عليه، وإنما يقال هذا في حق المخلوق المغلوب على الشيء.

ثم يقال لهؤلاء المبتدعة: أتثبتون استيلاءً من جنس استيلاء المخلوقين؟

فإن قالوا: نعم، قيل لهم: شبهتم، وهم لا يقولون ذلك.

وإن قالوا: ليس كاستيلاء المخلوقين. فيقال لهم: لم لا تقولون استواء يليق بجلال الله وعظمته، وتلجؤون إلى ما أتى به الكتاب والسنة، وتَسلمون من التشبيه؟

وهذا خُذْهُ معك في جميع الصفات، كالإرادة، فإنه ما من محذور يظنه المبتدع، إلا ويقع في مثله ونظيره، أو شر مما فر منه وأشد، ولو قصد التنزيه. اهـ

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

❋ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن سيدكم، ومصلح أموركم أيها الناس، هو المعبود الذي له العبادة من كل شيء، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وذلك يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة.

وقال ابن كثير: أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد، وإسحاق

ابن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت، من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبِّهين منفيٌّ عن الله، فإن الله لا يشبهه شيءٌ من خلقه، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، بل الأمر كما قال الأئمة منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال: من شَبَّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائص- فقد سلك سبيل الهدى. انتهى.

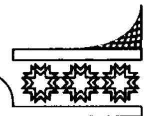
وقال البغوي: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: قال الكلبي ومقاتل: استقر. وقال أبو عبيدة: صعد. وأوَّلت المعتزلة الاستواءَ بالاستيلاء، فأمَّا أهل السنة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله ﷻ(١). وسأل رجلٌ مالكَ بن أنس عن قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًّا، وعلاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالًّا، فأمر به فأخرج. وروي عن سفيان الثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمرُّها كما جاءت بلا كيف. انتهى.

وقال في «جامع البيان»: أجمع السلف على أن استواءه على العرش صفةٌ له بلا كيف، نؤمن به، ونكِل العلم إلى الله تعالى. اهـ

❁ **قال الشيخ**: قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وتعرف أن الإتيان بـ(ثُمَّ) على بابها، وقد حاول بعض

---

(١) يعني: علم الكيفية بدليل نقله كلام الكلبي ومقاتل وأبي عبيدة، وكلام الإمام مالك.



المبتدعة أن لا يجعلها على بابها[١]، فالاستواء أمر زائد على مطلق العلو، ومطلق العلو دَلَّ عليه السمع والعقل، والاستواء دل عليه السمع فقط، وهو صفة فعل زائد على مطلق العلو؛ فإن العلو أقسام ثلاثة:

الأول: علو الذات على جميع المخلوقات، وهو صفة فعل كما تقدم.

والثاني: علو القدر والشرف.

والثالث: علو السلطان والقهر والغلبة، وله سبحانه العلو بجميع الوجوه. اهـ

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

❁ **ابن مبارك:** قال ابن جرير: قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي له عبادة كل شيء، لا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقها بغير شريك ولا ظهير، ثم استوى على عرشه مُدبِّرًا للأمور، وقاضيًا في خلقه ما أحب، لا يضادُّه في قضائه أحد، ولا يتعقَّب تدبيره متعقِّب، ولا يدخُل أموره خللٌ.

وقال ابن كثير: يخبر تعالى أنه رب العالم جميعه، وأنه خَلَق السموات والأرض في ستة أيام، قيل: كهذه الأيام، وقيل: كل يومٍ كألف سنة ممَّا تعدُّون. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، والعرش أعظم المخلوقات وسقفها. اهـ



---

(١) بابها الذي هي الأم فيه هو الترتيب الزماني مع المهلة، فسياقها هنا على بابها للترتيب الزماني، وليس لمجرد العطف، فإنَّ مجرد العطف من عمل (الواو)، ولا يخرج عن الأصل إلا لقرينة، ولا قرينة هنا مع ورودها في سبعة مواضع كلها بـ«ثم» وليس فيها بالواو ولا مرة واحدة.

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

❊ **ابن مبارك:** قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: الله -يا محمد- الذي رفع السموات السبع بغير عمدٍ ترونها، فجعلها للأرض سقفًا مسموكًا... إلى أن قال: وأمَّا قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فإنه يعني: عَلَا عليه.

وقال ابن كثير: يخبر تعالى عن كمال قدرته، وعظيم سلطانه: أنه الذي بإذنه وأمره رفع السموات بغير عمد، بل بإذنه وأمره وتسخيره، رفعها عن الأرض بُعدًا لا تنال، ولا يدرك مداها، فالسماء الدنيا محيطةٌ بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها، وجهاتها، وأرجائها، مرتفعةٌ عليها من كل جانب على السواء، وبُعدُ ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا وما حوت، وبينهما من بعد المسير خمسمائة عام وسُمْكها خمسمائة عام، وهكذا الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ الآية. وفي الحديث: «**ما السموات السبع وما فيهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرضٍ فلاة، والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة**»، وفي رواية: «**والعرش لا يقدر قدره إلا الله** ﷻ». وجاء عن بعض السلف أن بُعْدَ ما بين العرش إلى الأرض مسيرة خمسين ألف سنة، وبُعدَ ما بين قطبيه مسيرة خمسين ألف سنة، وهو من ياقوتةٍ حمراء. اهـ

قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

❊ **ابن مبارك:** تقدَّم تفسيره في آية سورة الأعراف، وأنَّه يُمَرُّ كما جاء من غير تكييف، ولا تشبيه، ولا تعطيل.

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقال ابن كثير: تقدَّمَ أنَّ المسلك الأسلم في ذلك طريقةُ السلف: إمرارُ ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف، ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل. اهـ

السر في اختصاص العرش بالاستواء

❁ آل الشيخ: السر في اختصاص العرش بالاستواء، وذكر فاعل الاستواء باسم الرحمن؛ لأمرين: سعة الرحمة، وسعة العرش. والاستواء على العرش، نوع من أنواع العلو وهو أخص منه. اهـ

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

❁ ابن مبارك: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ يقول: فاسأل يا محمد بالرحمن خبيرًا بخلقه، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلقه. اهـ

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

❁ ابن مبارك: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين، فدبَّرهنَّ وما فيهنَّ، ثم استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا. اهـ

أدلة الاستواء قطعية الثبوت

❁ **الهراس**: هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش، وكلها قطعية الثبوت؛ لأنها من كتاب الله، فلا يملك الجهمي المعطل لها ردًّا ولا إنكارًا، كما أنها صريحة في بابها، لا تحتمل تأويلًا، فإن لفظ: (ٱسْتَوَىٰ) في اللغة إذا عدي بـ(على) لا يمكن أن يفهم منه إلا العلو والارتفاع؛ ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات، ذكرها العلامة ابن القيم في «النونية»؛ حيث قال:

فلهم عباراتٌ عليها أربعٌ ❁ قد حُصِّلَتْ للفارسِ الطعانِ

وهي استقرَّ وقد علا وكذلك ار ❁ تفع الذي ما فيه من نكرانِ

وكذاك قد صَعِدَ الذي هو رابعٌ ❁ وأبو عبيدة صاحبُ الشيباني

يختار هذا القولَ في تفسيرهِ ❁ أدرى من الجهميِّ بالقرآنِ

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه مستو على عرشه، بائن[1] من خلقه، بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه، كما قال مالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول».

رد شبه المعطلة

وأما ما يشغب به أهل التعطيل من إيراد اللوازم الفاسدة على تقرير الاستواء، فهي لا تلزمنا؛ لأننا لا نقول بأن فوقيته على العرش كفوقية المخلوق على المخلوق.

وأما ما يحاولون به صرف هذه الآيات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة، التي تدل على حيرتهم واضطرابهم؛ كتفسيرهم: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بـ«استولى»، أو

---

(١) أي: منفصل.

حملهم «على» على معنى «إلى»، و﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بمعنى: «قصد»... إلى آخر ما نقله عنهم حامل لواء التجهم والتعطيل زاهد الكوثري[1]، فكلها تشغيب بالباطل، وتغبير في وجه الحق، لا يغني عنهم في قليل ولا كثير.

وليت شعري، ماذا يريد هؤلاء المعطلة أن يقولوا؟ أيريدون أن يقولوا: ليس في السماء رب يقصد، ولا فوق العرش إله يعبد؟ فأين يكون إذن؟! ولعلهم يضحكون منا حين نسأل عنه بـ«أين»، ونسوا أنّ أكمل الخلق وأعلمهم بربهم -صلوات الله عليه وسلامه- قد سأل عنه بـ«أين» حين قال للجارية: «أين الله؟»، ورضي جوابها حين قالت: في السماء[2].

وقد أجاب كذلك من سأله: بـ«أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ بأنه كان في عماء..»[3] الحديث. ولم يرو عنه أنه زجر السائل، ولا قال له: إنك غلطت في السؤال.

إن قصارى ما يقوله المتحذلق منهم في هذا الباب: إن الله تعالى كان ولا مكان، ثم خلق المكان، وهو الآن على ما كان قبل خلق المكان.

فماذا يعني هذا المخرف بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟ هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟ فهذه أمكنة حادثة، ونحن لا نقول بوجود الله في شيء منها؛ إذ لا يحصره، ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

---

(١) الشيخ محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، المولود سنة ١٢٩٦هـ فقيه حنفي متعصب، لقَّبه الغُمَارِيُّ: بمجنون أبي حنيفة، لشدة تعصبه، وسلط قلمه لشتم وتضليل أئمة السنة والحديث ورد عقيدة السلف بصنوف التعطيل والتحريف، توفي سنة ١٣٧١هـ عفا الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١١)، والترمذي (٣١٠٩)، وابن ماجة (١٨٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦١٢) من طريق وكيع بن عدس عن عمه أبي رزين العقيلي به، وقال الترمذي: حديث حسن. وضعفه الألباني وغيره بجهالة حال وكيع بن عدس.

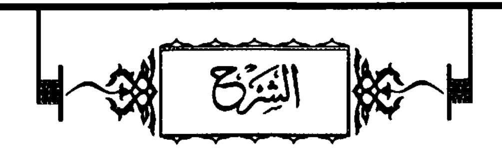
وأما إذا أراد بها المكان العدمي الذي هو خلاء محض لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنه لم يكن ثم خلق؛ إذ لا يتعلق به الخلق، فإنه أمر عدمي، فإذا قيل: إن الله في مكان بهذا المعنى، كما دلت عليه الآيات والأحاديث، فأي محذور في هذا؟! بل الحق أن يقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكان عرشه على الماء»[1]، ثم استوى على العرش، و(ثم) هنا للترتيب الزماني لا لمجرد العطف. اهـ

---

(١) هذا لفظ حديث أخرجه البخاري (٧٤١٨) من حديث أبي سعيد مرفوعًا.

إثبات علو الله وفوقيته على مخلوقاته ﷻ

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].


الشرح

* **الهراس**: هذه الآيات جاءت مؤيدة لما دلت عليه الآيات السابقة من علوه تعالى، وارتفاعه فوق العرش مباينًا للخلق، وناعية على المعطلة جحودهم وإنكارهم لذلك، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ففي الآية الأولى ينادي الله رسوله وكلمته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بأنه متوفيه ورافعه إليه حين دبر اليهود قتله.

والضمير في قوله: ﴿إِلَيَّ﴾ هو ضمير الرب جل شأنه، لا يحتمل غير ذلك، فتأويله بأن المراد: إلى محل رحمتي، أو مكان ملائكتي.. إلخ، لا معنى له.

ومثل ذلك يقال أيضا في قوله سبحانه ردًّا على ما ادعاه اليهود من قتل عيسى وصلبه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]. اهـ

* **ابن باز**: هذه الآيات التي ذكرها المؤلف رحمه الله، تتعلق بالعلو، والله جل وعلا قد أثبت لنفسه العلو، وأنه فوق العرش، وأنه في السماء جل وعلا، وأنه يدعى من أعلى، وقد أجمع أهل السنة على ذلك، أجمع علماء أهل السنة على أنَّ الله سبحانه في العلو، وأنه

فوق العرش، قد استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، كما قال جل وعلا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، في آيات سبع كلها أثبت فيها سبحانه علوَّه واستواءه على العرش جل وعلا، وهو استواء يليق بجلاله، لا يشبه خلقه في شيء من صفاته، وهو يدل على العلو؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾، وقال سبحانه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، يعني عيسى ﷺ، وقال جل وعلا: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، فـ«يصعد» و«يرفع» دلَّ على العلو، فالأعمال ترفع إليه، والكلم الطيب يصعد إليه، والملائكة تعرج إليه، قال جل وعلا: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ونبينا عليه الصلاة والسلام عُرج به إليه حتى جاوز السبع الطباق، وسمع كلام الرب جل وعلا، كل هذا حق عند أهل السنة والجماعة يجب إثباته لله. اهـ

طرق إثبات العلو والفوقية لله تعالى

* **آل الشيخ**: طرق إثبات العلو واحد وعشرون طريقًا، ذكرها ابن القيم في «النونية»(١).

أحدها: العقل الصريح.

والثاني: نصوص الاستواء على العرش، ويشير المؤلف إلى بعضها.

وكل دليل من أدلة العلو تحته أفرادُ أدلةٍ، منها ما يبلغ مائة من الكتاب والسنة، وأقلها يبلغ إلى خمسة أدلة، أو ستة، فجميعها يبلغ ألف دليل، وكلها نصوص تدل على

---

(١) في فصل في الاشارة الى الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق سمواته على عرشه. انظر «شرح الشيخ أحمد بن عيسى على النونية» (١/ ٣٩٦و مابعدها). ولولا الإطالة لنقلناها، وفي كتاب «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم حشد كبير لأدلة العلو والاستواء.

أنه فوق مخلوقاته على عرشه، من غير تكييف ولا تمثيل، كما قال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»(١).

وكل دليل يصلح للاستواء، فهو دال على العلو، ولا عكس. اهـ

* **السعدي**: من أصول أهل السنة والجماعة الثابتة: إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وهي من أهم الأصول التي باين بها أهلُ السنة للجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة. فما في هذه الآيات من ذكر علوه واسمه العلي الأعلى، وصعود الأشياء إليه، وعروجها، ونزولها منه يدل على العلو، وما صرح به من استوائه على العرش برهان قاطع على ثبوت ذلك، وقد قيل للإمام مالك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه -أي: عن الكيفية- بدعة». اهـ

ثبوت العلو بالأدلة النقلية والعقلية والفطرة

* **ابن باز**: إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، وإقرار العقول بذلك أمر فطري فطر الله عليه العباد.

ثبوت الاستواء بالنقل

وأما الاستواء فأثبته السمع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس في العقول ما يخالفه، وحقيقته لغةً: الارتفاع والعلو، وأما عن الكيفية فذلك مما اختص الله بعلمه.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢١٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٢)، و«الرد على المريسي» (٣٣)، والبيهقي في «الصفات» (٩٠٢)، وصححه شيخ الإسلام في «الحموية» كما في «الفتاوى» (٥/ ٥١)، وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» (٢/ ٥٢٥ ط: القاسم)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ١٣٤، ٢١٤)، ونقل الإجماع عليها الذهبي في «العلو»، وأبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي كما في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٢٣٣)، و«مختصر العلو» (ص/ ٢٦١).

وأما تفسير الاستواء بالاستيلاء فهو باطل من وجوه كثيرة، منها: أنه يتضمن أن الله جل وعلا كان مغلوبًا على عرشه ثم غلب وهذا باطل؛ لأنه تعالى لم يزل قاهرًا مستوليًا على العرش فما دونه، وأما بيت الأخطل الذي يستدلون به على أن معنى ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ استولى، فلا حجة فيه، والبيت هو:

قد استوى بشرٌ على العراق * من غير سيف أو دم مهراق

لأن استعمال استوى بمعنى استولى غير معروف في لغة العرب؛ ولأن ذلك لو وجد في اللغة لم يجز استعماله في حق الله، وأما المخلوق فيكون غالبًا ومغلوبًا كبشر هذا فإنه كان مغلوبًا على أمر العراق ثم غلب[1]. اهـ

أقسام العلو

* **العثيمين**: العلو: الارتفاع، وأقسام العلو ثلاثة:

١- علو الذات، ومعناه أن الله بذاته فوق خلقه.

٢- علو القدر، ومعناه أن الله ذو قدر عظيم، لا يساويه فيه أحد من خلقه، ولا يعتريه معه نقص.

٣- علو القهر، ومعناه أن الله تعالى قهر جميع المخلوقات، فلا يخرج أحد منهم عن سلطانه وقهره.

---

(١) المراد بشر بن مروان بن الحكم، أخو عبد الملك بن مروان، يمدحه الأخطل بعلوه على عرش العراق، وليس في البيت- إن صحت نسبته للأخطل- أن المراد به الاستيلاء، فهذا لا تعرفه العرب بلغتها، بل هو أمير نصبه أخوه على العراق بعد مقتل أميرها مصعب بن الزبير، بل المراد أن بشرًا علا سلطانه على العراق، وعلا على عرشها، وحكمها بغير حرب ولا إهراق دماء.

أدلة العلو خمسة أنواع

وأدلة العلو: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

[دليل الكتاب]

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾.

[دليل السنة]

ومن السنة قوله ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء»[1]، وإقراره الجارية حين سألها «أين الله؟» قالت: في السماء. فلم ينكر عليها بل قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[2]. وفي حجة الوداع أشهد النبي ﷺ ربه على إقرار أمته بالبلاغ، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء ثم ينكبها إلى الناس وهو يقول: «اللهم اشهد»[3].

[دليل الإجماع]

وأما الإجماع على علو الله فهو معلوم بين السلف ولم يعلم أن أحدًا منهم قال بخلافه[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٧٦)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، واللالكائي في «الاعتقاد» (٦٤٨)، والبيهقي في «الدعوات» (٥٨٦) من حديث فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء به، وحسنه المصنف كما سيأتي، وسكت عنه أبو داود والبيهقي، ورواه أحمد (٢٣٩٠٧)، والحاكم (٤/ ٢١٨-٢١٩) عن فضالة عن النبي ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧) وتقدم.

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر.

(٤) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، و«العلو للعلي الغفار» للذهبي، و«شرح أصول السنة» للالكائي، فقد حكوا أقوال السلف في ذلك، وحكوا الإجماع عليه.

[دليل العقل]

وأما العقل فلأن العلو صفة كمال، والله سبحانه متصف بكل كمال، فوجب ثبوت العلو له.

[دليل الفطرة]

وأما الفطرة، فإن كل إنسان مفطور على الإيمان بعلو الله؛ ولذلك إذا دعا ربه وقال: يا رب لم ينصرف قلبه إلا إلى السماء.

الذي أنكرته المعطلة من معاني العلو

والذي أنكره الجهمية من أقسام العلو علو الذات، ونرد عليهم بما سبق في الأدلة.

معنى الاستواء

ومعنى استواء الله على عرشه: علوه واستقراره عليه، وقد جاء عن السلف تفسيره بالعلو والاستقرار، والصعود والارتفاع، والصعود والارتفاع يرجعان إلى معنى العلو.

دليل الاستواء

ودليله قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾. وقد ذكر في سبعة مواضع من القرآن.

الرد على من فسر الاستواء بالاستيلاء والملك

ونرد على من فسره بالاستيلاء والملك بما يأتي:

١- أنه خلاف ظاهر النص.

٢- أنه خلاف ما فسره به السلف.

٣- أنه يلزم عليه لوازم باطلة.

بيان معنى العرش

والعرش لغة: سرير الملك الخاص به، وشرعًا: ما استوى الله عليه، وهو من أعظم مخلوقات الله، بل أعظم ما علمنا منها، فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة»[(١)] اهـ.

قوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]).

❁ آل الشيخ: هذا من جملة نصوص العلو، فيها إثبات علو الرب وفوقيته، والرفع لا يكون إلا من أسفل إلى فوق -من الأدنى إلى الأعلى- و﴿إِلَيَّ﴾ للانتهاء. اهـ

❁ ابن مبارك: قال ابن جرير: يعني بذلك- جلَّ ثناؤه-: ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم؛ إذ قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فـ«إن» صلة من قوله ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ يعني: ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فتوفاه الله ورفعه إليه.

وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: رفعي إياك إلى السماء. اهـ

تفسير معنى التوفي

❁ الهراس: وقد اختلف في المراد بالتوفي المذكور في الآية، فحمله بعضهم على الموت، والأكثرون على أن المراد به النوم، ولفظ التوفي يستعمل فيه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

ومنهم من زعم أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأن التقدير: إني رافعك ومتوفيك. أي: مميتك بعد ذلك. والحق أنه ﷺ رفع حيًّا، وأنه سينزل قرب قيام الساعة؛ لصحة الحديث بذلك(١). اهـ

قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]

❁ آل الشيخ: كذلك هذه الآية من جملة نصوص العلو، فيها إثبات علو الرب وفوقيته، والرفع لا يكون إلا من أسفل إلى فوق من الأدنى إلى الأعلى. اهـ

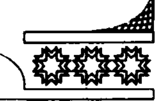
❁ ابن مبارك: قال ابن جرير: يعني بل رفعَ اللهُ المسيحَ إليه، يقول: لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولكنَّ الله رفعه إليه، فطهَّره من الذين كفروا. اهـ

قوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

❁ ابن مبارك: قال ابن جرير: يقول- تعالى ذكره-: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه، وثناؤه عليه، ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ يقول: ويرفع ذكرَ العبدِ ربَّه إليه عملُه الصالحُ،

---

(١) بل نزل بذلك القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾، وقد صح عن ابن عباس وغيره من السلف أنَّ المراد بها خروج عيسى ﵇، وأنه سيدركه أناس من أهل الكتاب حين يبعث فيؤمنوا به. وقيل: موته: أي موت عيسى بعد نزوله.
وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾، وفي قراءة ابن عباس، وأبي هريرة، وقتادة، والأعمش: (وإنه لَعَلَم للساعة) بفتح اللام والعين. أي: علامة على قرب الساعة، كما قال ابن عباس، وأبو هريرة، وجماعات من السلف.
وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾، قال جماعات من المفسرين من السلف: وذلك عند نزول عيسى ويتبعه كل الناس، ويظهر الإسلام على الملل كلها.
وأما الأحاديث بنزول عيسى آخر الزمان فقد بلغت حد التواتر، تنظر في كتب أشراط الساعة، منها ما في الصحيحين، ومنها ما في غيرهما.



وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه، والانتهاء إلى ما أمره به. ثم ذكر بسنده عن عبد الله قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله. أخذهن مَلَك، فجعلهن تحت جناحيه، ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بِهِنَّ وَجْهَ الرحمن، ثم قرأ عبد الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾. اهـ

❁ **ابن باز**: فـ﴿يصعد﴾ و﴿يرفع﴾ دلَّ على العلو، فالأعمال ترفع إليه، والكلم الطيب يصعد إليه. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ فهو صريح أيضًا في صعود أقوال العباد وأعمالهم إلى الله ﷻ، يصعد بها الكرام الكاتبون كل يوم عقب صلاة العصر، وعقب صلاة الفجر، كما جاء في الحديث: «**فيعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم -وهو أعلم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: يا ربنا، أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون**»[1]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية دالة على علوِّ الرب وفوقيته من جهتين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾، والصعود لا يكون إلا من الأسفل إلى الفوق.

والثاني: قوله: ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ فمن قال كلامًا طيبًا، وشَفَعَه العملُ الصالح، فإنه يرفعه العمل الصالح إلى الله، فدل على أن الله في العلو.

فهذه ثلاثة نصوص من أحد وعشرين. اهـ



(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة.



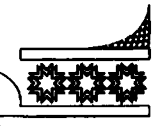
إثبات العلو من سنن الأنبياء، وإنكاره من سبل الكفار

قوله: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

* **الهراس**: وأما قوله سبحانه حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾.. إلخ، فهو دليل على أن موسى ﷺ أخبر فرعون الطاغية بأن إلهه في السماء، فأراد أن يتلمس الأسباب للوصول إليه تمويها على قومه، فأمر وزيره هامان أن يبني له الصرح، ثم عقب على ذلك بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسى ﴿كَٰذِبٗا﴾ فيما أخبر به من كون إلهه في السماء، فمن إذًا أشبهُ بفرعونَ وأقربُ إليه نسبًا، نحن أم هؤلاء المعطلة؟ إن فرعون كذَّب موسى في كون إلهه في السماء، وهو نفس ما يقوله هؤلاء. اهـ

* **آل الشيخ**: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ﴾ وزيره ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾ الصرح: هو البناء المرتفع ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ﴾، وأصل ﴿ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾: الطرق، ﴿أَسۡبَٰبَ﴾: طرق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ فأشرف وأنظر ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ هذا من حماقة فرعون وجهالته، ينكر ما جاء به موسى جُمْلةً، وينكر ربه، وينكر علوه، وهذا كذب منه، وتلبيس على رعاياه من غير إتيان ببرهان، فهو إمام الجهمية والمعتزلة وفروعهم، كما أن إمام أهل السنة سيد المرسلين. ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ كذّب موسى، وهو الكاذب الجبّار الجاحد الكافر، وموسى ﷺ هو البارّ الصادق، وإنما قال ذلك؛ لأن موسى أخبره أن معبوده فوق السموات، فقال فرعون ذلك مكذِّبًا لما قاله موسى، فإن فرعون معطل جاحد؛ ولهذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

وهذا يفيد أن موسى ﷺ بيّن أن معبوده فوق السموات، فعرفت أن إثبات العلو هو مسلك المرسلين وأتباعهم الصالحين، وجحده مذهب فرعون اللعين وأتباعه الجهميين الضالين؛ لأنه يرجع إلى لا شيء. اهـ



* **ابن مبارك:** قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لما وعظه المؤمنُ من آلِهِ بما وعظه به، وزجره عن قتل موسى نبي الله، وحذره من بأس الله على قيله (اقتله) ما حذره لوزيره هامان وزير السوء: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾ يعني: بناءً. ﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ﴾: لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابًا أتسبَّبُ بها إلى رؤية إله موسى. وقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ يقول: وإني لأظن موسى كاذبًا فيما يقول ويدَّعي من أن له في السماء ربًّا أرسله إلينا اهـ.

دليل العلو الفوقية وأنّ الله فوق السماء

وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦-١٧].

* **ابن مبارك:** قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أيها الناس الكافرون ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يقول: فإذا الأرض تذهب بكم، وتجيء، وتضطرب، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو الله ﴿أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ وهو التراب فيه الحصباء الصغار، ﴿فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ يقول: فستعلمون أيها الكفرة كيف عاقبةُ نذيري لكم، إذ كذبتم به، ورددتموه على رسولي.

وقال البغوي: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ قال ابن عباس: أي: عذابَ من في السماء إن عصيتموه. اهـ

* **آل الشيخ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع لمن أَمن ذلك أن يعاقب على كفره، ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾.

معنى كون الله تعالى في السماء

هاتان الآيتان فيهما إثبات علو الرب وفوقيته، فإن ﴿فِي﴾ في الآيتين إما أن تكون بمعنى «على»، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: على جذوع النخل، وكقوله: ﴿فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧] أي: عليها، فالمعنى أأمنتم من على السماء.

وإن كانت على بابها وهي الظرفية، فيكون المراد بالسماء العلو، فالله في العلو المطلق، وقد سئل ابن المبارك بماذا نعرف ربنا؟ فقال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»[1].

* **العثيمين**: معنى كون الله في السماء: على السماء. أي: فوقها، فـ﴿فِي﴾ بمعنى «على» كما جاءت بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، أي: عليها، ويجوز أن تكون ﴿فِي﴾ للظرفية، و«السماء» على هذا بمعنى «العلو»، فيكون المعنى أن الله في العلو وقد جاءت السماء بمعنى العلو في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنعام: ٩٩]. ولا يصح أن تكون في للظرفية إذا كان المراد بالسماء الأجرام المحسوسة؛ لأن ذلك يوهم أن السماء تحيط بالله، وهذا معنى باطل؛ لأن الله أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته. اهـ

الرد على المعطلة والمشبهة في فهم هذه الآية

* **الهراس**: قوله: ﴿ءَأَمِنتُم﴾.. إلخ، هاتان الآيتان فيهما التصريح بأن الله ﷻ في السماء، ولا يجوز حمل ذلك على أن المراد به العذاب، أو الأمر، أو الملك، كما يفعل المعطلة؛ لأنه قال: ﴿مَّن﴾، وهي للعاقل[2]، وحملها على الملك إخراج اللفظ عن ظاهره بلا قرينة توجب ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه في فصل طرق إثبات العلو والفوقية لله تعالى (١/ ٤١٣).

(٢) لو عبر هنا بلفظ «للعالم» بدل قوله «للعاقل» لأصاب. قاله الشيخ إسماعيل الأنصاري.

ولا يجوز أن يفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء ظرف له سبحانه، بل إن أريد بالسماء هذه المعروفة، فـ﴿فِي﴾ بمعنى: على، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، وإن أريد بها جهة العلو، فـ﴿فِي﴾ على حقيقتها؛ فإنه سبحانه في أعلى العلو. اهـ

❁ **ابن باز**: ومعنى ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني في العلو، فالسَّماء المراد بها العلو، وقيل: معنى ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ السموات، ومعنى ﴿فِي﴾: «على»، يعني: على السموات، فإن أريد بالسماء العلو، فالمعنى ظاهر يعني في العلو جل وعلا، وإن أريد بالسماء المبنية فالمعنى: على السماء؛ لأنّ «في» تأتي بمعنى «على» كما قال تعالى عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ يعني: على جذوع النخل، وقال سبحانه: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يعني على الأرض، فالمعنى أنه في السماء، وفوقها، وعالٍ على كل شيء جل وعلا، وهذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، أنه في العلو، وأنه فوق العرش، خلافًا للمبتدعة، من الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم، والله جلّ وعلا أثبت لنفسه العلو، وأنه فوق العرش، وقال أهل البدع: إنه في كل مكان، وهذا جهل باطل، وكفر، وضلال، نسأل الله العافية.

والذي عليه أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان: أنه سبحانه موصوف بأنه فوق العرش، وأنه استوى عليه. يعني: ارتفع عليه ارتفاعًا يليق بجلاله، لا يشابهه خلقه في شيء من صفاته، ولمّا سئل الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة في زمانه وأحد الأئمة الأربعة، لما سئل عن هذا، قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وهكذا روي عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وعن أم سلمة[1]، وهكذا قال غيره، كالأوزاعي والثوري وإسحاق وابن راهويه، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة السلف.

فالاستواء معلوم؛ لأن معناه العلو والارتفاع، والكيف مجهول، ولا يعلم كيفية صفاته إلا هو ﷻ، فهو استوى على العرش بلا كيف، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا بلا

---

(١) تقدم تخريجه.

كيف، ويغضب، ويرضى، ويضحك بلا كيف، ويجيء يوم القيامة بلا كيف، هكذا عند أهل السنة، لا يعرف صفاته إلا هو ﷻ، فصفاته حقٌّ وثابتة، يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جلَّ وعلا، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾، لا تقل: إنه مثل كذا، أو مثل كذا، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ يعني: لا سميَّ له، ولا شبيه له، ولا مثيل له ﷻ، هذا قول أهل الحق، أنه في العلو، وأنه فوق العرش، وأنه استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في استوائه، ولا في نزولهم، ولا في ضحكهم، ولا في غضبهم، ولا في غير ذلك من الصفات. اهـ

❁ **قال المصنف** في «التسعينية»[1]: قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فهو حق كما أخبر الله به، وأهل السنة متفقون على ما قاله ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس، وغيرهما من الأئمة: إن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيف بدعة. فمن زعم أن الله مفتقر إلى عرش يقله، أو أنه محصور في سماء تظله، أو أنه محصور في شيء من مخلوقاته، أو أنه يحيط به جهة من جهات مصنوعاته فهو مخطئ ضال، ومن قال: إنه ليس على العرش رب، ولا فوق السموات خالق، بل ما هنالك إلا العدم المحض والنفي الصرف. فهو معطل، جاحد لرب العالمين، مُضاهٍ لفرعون الذي قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] بل أهل السنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة، بل على ذلك جميع المؤمنين من الأولين والآخرين، وأهل السنة وسلف الأمة متفقون على أن من تأوَّلَ ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ بمعنى استولى أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سمواته -فهو جهمي ضال. قلت: وأما

(١) كما في الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٨-ط: عطا)، (٢/ ٥٤٥ - ط: العجلان).

سؤاله- يعني: أحد الخصوم من جهمية الأشاعرة- عن إجراء القرآن على ظاهره فإنه إذا آمن بما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تكييف، فقد اتبع سبيل المؤمنين، ولفظ الظاهر في عرف المستأخرين قد صار فيه اشتراك، فإن أراد بإجرائه على الظاهر الذي هو من خصائص المخلوقين حتى يُشَبِّهَ اللهَ بخلقه فهذا ضلال، بل يجب القطع بأن الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء». يعني: أن موعود الله في الجنة، من الذهب، والحرير، والخمر واللبن، تخالف حقائقُه حقائق هذه الأمور الموجودة في الدنيا، فالله تعالى أبعد عن مشابهة مخلوقاته، بما لا يدركه العباد، ليس حقيقته كحقيقة شيء منها، وأما إن أراد بإجرائه على الظاهر الذي هو الظاهر في عرف سلف الأمة، بحيث لا يحرّف الكلم عن مواضعه، ولا يلحد في أسماء الله تعالى، ولا يفسر القرآن والحديث بما يخالف تفسير سلف الأمة وأهل السنة، بل يجري ذلك على ما اقتضته النصوص، وتطابق عليه دلائل الكتاب والسنة، وأجمع عليه سلف الأمة، فهذا مصيب في ذلك وهو الحق، وهذا جملة لا يسع هذا الموضع تفصيلها. اهـ

وقال أيضًا في «التسعينية» في سياق ذكر من حلف أنَّ الصفات على ظاهرها[1]: وأما حلفه أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ على ما يفيده الظاهر، ويفهمه الناس، من ظاهره، فلفظة الظاهر قد صارت مشتركة، فإن الظاهر في الفطر السليمة، واللسان العربي، والدين القيم، ولسان السلف، غير الظاهر في عرف كثير من المتأخرين، فإن أراد الحالف بالظاهر شيئًا من المعاني التي هي من خصائص المُحْدَثين، أو ما يقتضي نوعَ نقصٍ، بأن يتوهم أن الاستواء مثل استواء الأجسام على الأجسام، أو كاستواء الأرواح إن كانت عنده لا تدخل في اسم الأجسام فقد حنث في ذلك وكذب، وما أعلم أحدًا يقول ذلك إلا ما يروى عن مثل داود الجواربي البصري[2] ومقاتل بن سليمان

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٧١)، و(٢/ ٥٥٦-٥٥٨، ط: العجلان).

(٢) قال الذهبي في «الميزان»: رأس في الرفض والتجسيم من مرامي جهنم. وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ٤٢٧): ذكر ابن حزم أن داود هذا كان يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الإنسان. اهـ، وذكر نحوه الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (ص/ ٢٠٩ ط: هلموت ريتر).

الخراساني(١) وهشام بن الحكم الرافضي(٢) ونحوهم إن صح النقل عنهم، فإنه يجب القطع بأن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وأن مباينته للمخلوقين، وتنزهه عن مشاركتهم، أكبر وأعظم مما يعرفه العارفون من خليقته، ويصفه الواصفون، وأن كل صفة تستلزم حدوثه أو نقصًا غير الحدوث فيجب نفيها عنه.

ومن حكى عن أحد من أهل السنة، أنه قاس صفاته بصفات خلقه فهو إما كاذب أو مخطئ.

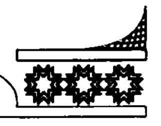
وإن أراد الحالف بالظاهر ما هو الظاهر في فطر المسلمين قبل ظهور الأهواء وتشتت الآراء، وهو الظاهر الذي يليق بجلاله ﷻ كما أن هذا هو الظاهر في سائر ما يطلق عليه سبحانه من أسمائه وصفاته، كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والمحبة، والغضب، والرضا. و﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، و«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»(٣) إلى غير ذلك، فإن ظاهر هذه الألفاظ إذا أطلقت علينا أن تكون أعراضًا أو أجسامًا؛ لأن ذواتنا كذلك وليس ظاهرها إذا أطلقت على الله ﷻ إلا ما يليق بجلاله ويناسب نفسه. فكما أن لفظ (ذات) و(وجود) و(حقيقة) يطلق على الله وعلى عباده، وهو على ظاهره في الإطلاقين، مع القطع بأنه ليس ظاهره في حق الله تعالى مساويًا لظاهره في حقنا، ولا مشاركًا له فيما يوجب نقصًا وحدوثًا، سواء جعلت هذه الألفاظ متواطئة، أو مشتركة، أو مشككة، كذلك قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) حكى عنه الإفراط بالتشبيه، وقيل: إنه لم يصح عنه ذلك. والله أعلم. مات سنة ١٥٠هـ. انظر «مقالات الإسلاميين» (ص/ ١٥٢-١٥٣ ط: هلموت ريتر).

(٢) شيخ ضلّال الهشامية من الروافض، مشهور عنه الزندقة، والتجسيم، والتشبيه القبيح. انظر ضلالاته في «مقالات الإسلاميين» للأشعري (ص/ ٣١-٣٣ ط: هلموت ريتر) مات هشام سنة ٢٧٠ أو ٢٧٩هـ.

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.



ٱسۡتَوَىٰ ﴾ الباب في الجميع واحد، وكان قدماء الجهمية ينكرون جميع الصفات التي هي فينا أعراض، كالعلم والقدرة، وأجسام كالوجه واليد، وحدثاؤهم[1] أقروا بكثير من الصفات، كالعلم، والقدرة، وأنكروا بعضها، والصفات التي هي فينا أجسام هي فينا أعراض، ومنهم من أقر ببعض الصفات التي هي فينا أجسام، كاليد.

وأما السلفية فعلى ما حكاه الخطابي[2]، وأبو بكر الخطيب[3]، وغيرهما قالوا: مذهب السلف إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، فلا نقول: إن معنى اليد: القدرة. ولا إن معنى السمع: العلم، وذلك أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، يُحتذَى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فقد أخبرك الخطابي والخطيب وهما إمامان من أصحاب الشافعي ﷺ متفق على علمهما بالنقل وعلم الخطابي بالمعاني، أن مذهب السلف إجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها.

والله تعالى يعلم أني قد بالغت في البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحدًا منهم خالف ذلك.

ومن قال من المتأخرين: إن مذهب السلف أن الظاهر غير مراد، فيجب لمن أحسن به الظن أن يعرف أن معنى قوله الظاهر الذي يليق بالمخلوق لا بالخالق، ولا شك أن هذا غير مراد، ومن قال: إنه مراد فهو بعد قيام الحجة عليه كافر.

فهنا بحثان: لفظي، ومعنوي. أما المعنوي فالأقسام ثلاثة في قوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ونحوه، أن يقال:

---

(١) يعني: الأشعرية المتأخرين.

(٢) العلامة المتفنّن أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي الشافعي، ت سنة ٣٨٨هـ.

(٣) الحافظ الكبير أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ت سنة ٤٦٣هـ.

١ - استواء كاستواء مخلوق، أو يفسر باستواء يستلزم حدوثًا أو نقصًا، فهذا هو الذي يحكى عن الضلال المشبهة والمجسمة، وهو باطل قطعًا بالقرآن وبالعقل.

٢- وإما أن يقال: ما ثَمَّ استواء حقيقي أصلًا، ولا على العرش إله، ولا فوق السموات رب، فهذا هو مذهب الجهمية الضالة المعطلة، وهو باطل قطعًا بما علم بالاضطرار من دين الإسلام، لمن أمعن النظر في العلوم النبوية، وبما فطر الله عليه خليقته من الإقرار بأنه فوق خلقه، كإقرارهم بأنه ربهم. قال ابن قتيبة: ما زالت الأمم عربها وعجمها في جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله في السماء. أي: على السماء.

٣- أو يقال: بل استوى سبحانه على العرش، على الوجه الذي يليق بجلاله ويناسب كبرياءه، وأنه فوق سمواته، وأنه على عرشه بائن من خلقه، مع أنه سبحانه هو حامل للعرش، ولحملة العرش، وأن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، كما قالت أم سلمة، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس[١]، فهذا مذهب المسلمين، وهو الظاهر من لفظ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ عند عامة المسلمين الباقين على الفطرة السالمة، التي لم تنحرف إلى تعطيل ولا إلى تمثيل، وهذا هو الذي أراده يزيد بن هارون الواسطي المتفق على إمامته وجلالته وفضله، وهو من أتباع التابعين حيث قال: من زعم أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ خلاف ما يقر[٢] في نفوس العامة فهو جهمي[٣]،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي: يستقر ويثبت.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥، ١١١٠)، وأبو داود في «مسائله عن أحمد» (ص/ ٢٦٨ ط: المنار)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٢٢)، وذكره البخاري في «خلق أفعال العباد» (٦٣)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٢/ ٣١)، والذهبي في «العلو» (٣٩٠)، وفي «السير» (٩/ ٣٦٢)، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٢١٤).

فإن الذي أقره الله تعالى في فطر عباده وجبلهم عليه أن ربهم فوق سمواته كما أنشد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه النبي ﷺ فأقره النبي ﷺ:

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا[1]

وقد قال عبد الله بن المبارك -الذي أجمعت فرق الأمة على إمامته وجلالته، حتى قيل: إنه أمير المؤمنين في كل شيء، وقيل: ما أخرجت خراسان مثل ابن المبارك. وقد أخذ عن عامة علماء وقته مثل: الثوري، ومالك، وأبي حنيفة والأوزاعي، وطبقتهم- حين قيل له: بماذا تعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه[2]، وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة -الملقب إمام الأئمة، وهو ممن يفرح أصحاب الشافعي بما ينصره من مذهبه، ويكاد يقال ليس فيهم أعلم بذلك منه-: من لم يقل إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل الملة ولا أهل الذمة، وكان ماله فيئًا[3]. وقال مالك بن أنس الإمام فيما رواه عنه عبد الله بن نافع وهو مشهور عنه: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان[4].

وقال الإمام أحمد بن حنبل مثلما قال مالك وما قال ابن المبارك.

---

(١) أخرجه أبو سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٢ - ط: البدر)، والدارقطني (١/ ١٢٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، والذهبي في «السير» (١/ ١٣٨) من طرق مرسلة، وصححه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٦/ ٢٨٧).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم في «علوم الحديث» (ص/ ٨٤)، والصابوني في «السنة» (٢٩)، والهروي في «ذم الكلام» (ص/ ٢٧٢)، وابن قدامة في «العلو» (١١٢)، والذهبي في «العلو» (ص/ ٤٨٦).

(٤) أخرجه أبو داود في «مسائله» (ص/ ٢٦٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١١)، وابن منده في «التوحيد» (٨٩٣)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٦٧٣)، والآجري في «الشريعة» (ص/ ٢٨٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٨)، وابن قدامة في «العلو» (٩٢)، والذهبي في «العلو» (ص/ ٣٤٣).

والآثار عن النبي ﷺ، وأصحابه، وسائر علماء الأمة بذلك متوافرة عند من تتبعها، قد جمع العلماء فيها مصنفات صغارًا وكبارًا[1]، ومن تتبع الآثار علم أيضًا قطعًا أنه لا يمكن أن ينقل عن أحد منهم حرف واحد يناقض ذلك، بل كلهم مجمعون على كلمة واحدة، وعقيدة واحدة، يصدق بعضهم بعضًا، وإن كان بعضهم أعلم من بعض، كما أنهم متفقون على الإقرار بنبوة محمد ﷺ، وإن كان فيهم من هو أعلم بخصائص النبوة ومزاياها، وحقوقها، وموجباتها، وحقيقتها، وصفاتها، ثم ليس أحد منهم قال يومًا من الدهر: ظاهر هذا غير مراد. ولا قال: هذه الآية أو هذا الحديث مصروف عن ظاهره، مع أنهم قد قالوا مثل ذلك في آيات الأحكام المصروفة عن عمومها وظهورها، وتكلموا فيما يستشكل مما قد يتوهم أنه متناقض، وهذا مشهور لمن تأمله، وهذه الصفات أطلقوها بسلامة وطهارة وصفاء لم يشربوه بكدر ولا غش، ولو لم يكن هذا هو الظاهر عند المسلمين لكان رسول الله ﷺ ثم سلف الأمة قالوا للأمة: الظاهر الذي تفهمونه غير مراد، أو لكان أحد من المسلمين استشكل هذه الآية وغيرها.

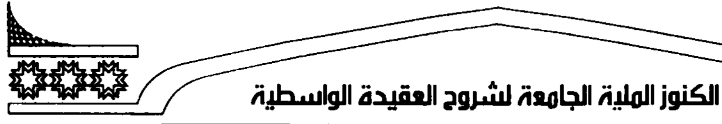
فإن كان بعض المتأخرين قد زاغ قلبه حتى صار يظهر له من الآية معنى فاسد مما يقتضي حدوثًا أو نقصًا، فلا شك أن الظاهر لهذا الواقع غير مراد، وإذا رأينا رجلًا يفهم من الآية هذا الظاهر الفاسد قررنا عنده، أولًا أن هذا المعنى ليس مفهومًا من ظاهر الآية، ثم قررنا عنده ثانيًا أنه في نفسه معنى فاسد، حتى لو فرض أنه ظاهر الآية، وإن كان هذا فرض ما لا حقيقة له، لوجب صرف الآية عن ظاهرها كسائر الظواهر التي عارضها ما أوجب أن المراد بها غير الظاهر...

واعلم أن عامة من ينكر هذه الصفة وأمثالها، إذا بحثت عن الوجه الذي أنكروه، وجدتهم قد اعتقدوا أن ظاهر هذه الآية كاستواء المخلوقين، أو استواءٌ يستلزم حدوثًا أو نقصًا، ثم حكوا عن مخالفهم هذا القول، ثم تعبوا في إقامة الأدلة على بطلانه، ثم

(١) من أجمعها كتاب الذهبي «العلو للعلي الغفار».

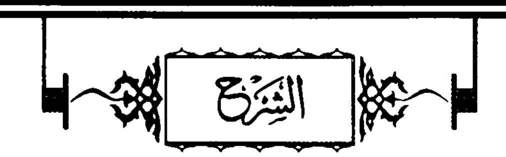
يقولون: فيتعين تأويله إما بالاستيلاء، أو بالظهور والتجلي، أو بالفضل والرجحان، الذي هو علو القدر والمكانة، ويبقى المعنى الثالث وهو استواء يليق بجلاله، تكون دلالة هذا اللفظ عليه كدلالة لفظ العلم، والإرادة، والسمع، والبصر على معانيها، قد دل السمع عليه، بل من أكثر النظر في آثار الرسول ﷺ علم بالاضطرار أنه قد ألقى إلى الأمة: أن ربكم الذي تعبدونه فوق كل شيء، وعلى كلِّ شيء، فوق العرش فوق السموات، وعلم أن عامة السلف كان هذا عندهم مثل ما عندهم أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأنه لا ينقل عن واحد لفظ يدل- لا نصًّا ولا ظاهرًا- على خلاف ذلك، ولا قال أحد منهم يومًا من الدهر: إن ربنا ليس فوق العرش، أو أنه ليس على العرش، أو أن استواءه على العرش كاستوائه على البحر، إلى غير ذلك من ترهات الجهمية، ولا مثَّل استواءه باستواء المخلوقين، ولا أثبت له صفة تستلزم حدوثًا أو نقصًا. اهـ






إثبات معية الله تعالى لخلقه

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].



الشرح

* **آل الشيخ**: قد تقدمت نصوص الاستواء، وكذلك نصوص العلم، ومقصوده بسياق هذه الآيات إثبات صفة المعية، وأن الله مع خلقه معية حقيقية تليق بجلال الله وعظمته.

والمعية: عامة، ومقتضاها: العلم، والقدرة، والإحاطة، والاطلاع.

وخاصة، ومقتضاها: مقتضى المعية العامة، والحفظ، والتأييد، والكلاءة والنصر. فهي تقتضي ما تقتضيه العامة وزيادة. اهـ

* **ابن باز**: هذه الآيات كلها في المعية الخاصة والعامة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية، يعلم كلَّ شيء جل وعلا ما في السموات وما في الأرض، وما مضى وما يأتي، يعلم كل شيء،

وهو مع عباده أينما كانوا -يعني: بعلمه- وهو فوق العرش، لكن معهم بعلمه المحيط الذي لا يخفى ولا يشذ عنه شيء، كما قال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾، وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾، افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم؛ ليعلم القارئ والسامع أن المراد العلم، وأنه فوق العرش جل وعلا، ولا يخفى عليه خافية، جل وعلا.

المعيَّة الخاصة

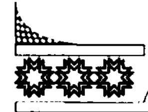
وهكذا في المعية الخاصة ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، هذا يقوله النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في الغار، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، لموسى وهارون عليهما السلام، وقال: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فهذه كلها معية خاصة مع أوليائه وأهل طاعته وأنبيائه، بعلمه وإحاطته ونصره وتأييده.

الفرق بين المعيَّة الخاصة والمعية العامة

فالمعية العامة: تتضمن العلم والإحاطة بكل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية، وأنه مصرفهم ومدبرهم.

والمعية الخاصة: تكون بالزيادة مع العلم، ككلاءته لأوليائه، ونصره لهم، وحمايته لهم، كما في قوله على لسان نبيه لصاحبه وهما في الغار: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، لموسى وهارون، وهم بين يدي فرعون، وقد صانهما الله وحماهما من شره.

وهكذا جميع العباد كلهم هو معهم بعلمه الذي لا يخفى عليه خافية، يعلم سرهم ونجواهم وهو فوق العرش، وعلمه محيط بكل شيء، يعلم ويرى دبيب النملة السوداء



في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويعلم كيف تجري مياه الأنهار والبحار، وما يكون داخل ذلك، وما في جميع أرجاء الأرض، وما تكنه الضمائر، كل ذلك لا يخفى عليه ﷻ، كما قال جل وعلا: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: حين تشرعون فيه ﴿وَمَا يَعْزُبُ[1] عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾، فعلمه العام محيط بالخلق، وعلمه الخاص مع أوليائه، فهو يعلم أحوال عباده الخاصين، وأحوال الأمم، وما يأتي في آخر الزمان، وما يكون في يوم القيامة، وما مضى في سالف الأزمان، كل ذلك لا يخفى عنه، بل هو بعلمه ومحيط به جل وعلا، يجب إثباته له ﷻ، مع تنزيهه وتقديسه عن مشابهة خلقه في شيء من صفاته جل وعلا، هذا قول أهل السنة والجماعة. اهـ

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤].

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات صفة المعية العامة، أن الله مع خلقه حيثما كانوا على المعنى الذي يليق بجلاله. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن صفته، وأنه لا يخفى عليه خافية من خلقه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من خلقه، يعني بقوله: ﴿يَلِجُ﴾: يدخل، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إلى الأرض من شيء قط، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ فيصعد إليها من الأرض، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يقول: وهو

---

(١) أي: ما يغيب.

شاهد لكم أيها الناس، أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ يقول: والله بأعمالكم التي تعملونها من حسن وسيء، وطاعة ومعصية، ذو بصر، وهو لها محصٍ ليجازيَ المحسنَ منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. اهـ

أنواع المعية

* **الهراس**: تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات صفة المعية له ﷻ، وهي على نوعين:

١- معية عامة: شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، وهذه المعية المذكورة في الآية.

ففي هذه الآية يخبر عن نفسه سبحانه بأنه هو وحده الذي خلق السموات والأرض. يعني: أوجدهما على تقدير وترتيب سابق في مدة ستة أيام، ثم علا بعد ذلك وارتفع على عرشه؛ لتدبير أمور خلقه.

٢- وأما الآيات الباقية فهي في إثبات المعية الخاصة، التي هي معيته لرسله تعالى وأوليائه بالنصر، والتأييد، والمحبة، والتوفيق، والإلهام. اهـ

وَقَوۡلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

* **ابن مبارك**: وأول الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ الآية. قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك فترى أن الله يعلم ما في السموات والأرض من شيء، لا يخفى عليه صغير ذلك وكبيره؟ يقول جل ثناؤه: فكيف يخفى على من كانت هذه صفته أعمال هؤلاء الكافرين وعصيانهم ربهم؟ ثم وصف -جلَّ ثناؤه- قُربَه من عباده، وسماعَه

نجواهم، وما يكتمونه الناس من أحاديثهم، فيتحدثون سرًّا بينهم، فقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ من خلقه ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعلم سرهم ونجواهم، لا يخفى عليه شيء من أسرارهم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ يقول: ولا يكون نجوى خمسةٍ، إلا هو سادسهم كذلك، ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ يقول: ولا أقل من ثلاثة، ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ من خمسة، ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ إذا تناجوا، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ يقول: في أي موضع ومكان كانوا. وعنى بقوله: ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني: أنه شاهدهم بعلمه وهو على عرشه. ثم ساق بسنده عن الضحاك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾ قال: هو فوق العرش وعلمه معهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الإجماع على أن المراد معية العلم والإحاطة

وقال ابن كثير: وحكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معيَّة علمه تعالى، ولا شك في إرادة ذلك، ولكن سمعه أيضًا مع علمه بهم وبصره نافذٌ فيهم، فهو ﷻ مطلع على خلقه، لا يغيب عنه من أمورهم شيء، قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية كالتي قبلها في إثبات صفة المعية العامة، وفيها إثبات صفة العلم، وابتدأت به واختتمت به، وسيقت لمقتضاها وهو العلم.

والدليل على أن هذا مقتضاها: كونها مبدوءة بالعلم ومختتمة به.

كما أن من مقتضاها القدرة والاطلاع ونحو ذلك.

وتطلق المعية في حقه تعالى ولا تقتضي امتزاجًا، ولا اختلاطًا أبدًا، وليس معيته تعالى مع خلقه كمعية الخلق بعضهم مع بعض، واختلاط بعضهم ببعض، تعالى الله وتقدس عن أن يشابهه شيء من خلقه، فكما نقول: إن لله صفاتٍ تليق بجلاله وعظمته مختصة به، لا يَشْرَكُه فيها أحد، ولا يشاكله فيها أحد، فكذلك نقول في المعية.

السبب في تفسير السلف للمعية ببعض مقتضاها

والذي حمل بعض السلف على تفسيرها ببعض مقتضاها:

أولًا: أنهم ابتلوا بمن ينفي العلو، ويقول: إنه ممتزج بالخلق، ففسروها بالعلم، ردًّا على الحلول من الجهمية، الذين زعموا أنه في كل مكان، وأنكروا علوه على خلقه، واستواءه على عرشه، فهذا الذي من أجله قالوا بعلمه، وإلا فمعنى المعية عندهم واضح كالشمس.

ثانيًا: أن التفسير بالمقتضى سائغ، ووجه من أوجه التفسير.

أهل الحلو والاتحادية

وأهل وحدة الوجود الذين يقولون: إن الوجود واحد ليس فيه خالق متميز عن مخلوق، هم وأهل الاتحاد شيء واحد، وهم أعظم من أهل الحلول، أهل الحلول يقولون: هنا إله، لكنه حل في المخلوقات -والعياذ بالله[1]- ويأتي فصل في بيان الجمع بين العلو والمعية. اهـ

المعية الخاصة

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

* **الهراس**: قوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ حكاية عما قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر الصديق وهما في الغار، فقد أحاط المشركون بفم الغار عندما خرجوا في طلبه ﷺ، فلما رأى أبو بكر ذلك انزعج، وقال: والله يا رسول الله لو نظر

---

(١) أما أهل وحدة الوجود فيقولون: إنّ هذا الوجود هو عين الإله ﷻ. فسبحان الله عما يقولون علوًّا كبيرًا؛ فلذلك كانوا أعظم كفرًا من الاتحادية.

أحدهم تحت قدمه لأبصرنا. فقال له الرسول ﷺ ما حكاه الله ﷻ هنا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]. فالمراد بالمعية هنا معية النصر والعصمة من الأعداء. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول: إذ يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا» والله ناصرنا، فلن يعلم المشركون بنا، ولن يصلوا إلينا. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذه الآية فيها إثبات المعية الخاصة، ومقتضاها الحفظ والكلاءة. يعني: ولا يترك الأعداء يتولونا، بل يتولانا ويكلؤنا، فمقتضاها مقتضى العامة وتزيد على ذلك بما سيقت له وخص بها، وهي النصر والكلاءة، والحفظ والتأييد، ونحو ذلك كما تقدم. اهـ

من معاني المعية الخاصة

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

❁ **آل الشيخ**: يعني: موسى وهارون، وهذا من المعية الخاصة أيضًا. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قد تقدمت هذه الآية في الآيات التي فيها إثبات السمع والبصر، والمراد بها هنا إثبات المعيَّة الخاصة، قال ابن كثير: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٦٥٢، ٣٦٥٣) مطولاً في كتاب «فضائل أصحاب النبي ﷺ» باب مناقب المهاجرين وفضلهم، وفي «التفسير» (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١)، وفيه قال أبو بكر: يا رسول الله، هذا الطالب قد لحقنا، فقال: «لا تحزن إن الله معنا»، وفي الرواية الثانية، قال أبو بكر: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أنَّ أحدهم رفع قدمه رآنا. قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». وانظر الروايات في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦٢-٣٧٨، ط: هجر).

أي: لا تخافا من فرعون، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليَّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم، ولا يتنفس، ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي، ونظري، وتأييدي. اهـ

* **الهراس**: قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ خطاب لموسى وهارون عليهما السلام ألا يخافا بطش فرعون بهما؛ لأن الله ﷻ معهما بنصره وتأييده.

وكذلك بقية الآيات يخبر الله فيها عن معيته للمتقين الذين يراقبون الله ﷻ في أمره ونهيه، ويحفظون حدوده، وللمحسنين الذين يلتزمون الإحسان في كل شيء، والإحسان يكون في كل شيء بحسبه، فهو في العبادة مثلا أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، كما جاء في حديث جبريل ﷺ[1]. اهـ



معية الله لأوليائه

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

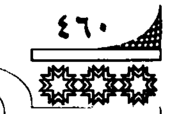
* **آل الشيخ**: هذا مثل ما تقدم فيها إثبات المعية الخاصة أيضًا. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الله في محارمه، فاجتنبوها وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدم عليها، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ يقول: وهو مع الذين يُحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه.

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ أي: معهم بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معيَّة خاصَّة، كقوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب ؓ.



فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقول النبي ﷺ للصديق وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[1].

تفسير المعية العامة

وأمَّا المعيَّة العامَّة فبالسمع والبصر والعلم، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١] الآية.

ومعنى ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أي: تركوا المحرمات، ﴿وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ أي: فعلوا الطاعات، فهؤلاء يحفظهم، ويكلؤهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويُظفِرُهم على أعدائهم ومخالفيهم. اهـ

معية الله للصابرين معية خاصة

وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

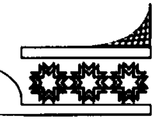
* **آل الشيخ**: هذا فيه إثبات المعية الخاصة أيضًا. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: ﴿وَاصْبِرُوا﴾ يقول: اصبروا مع النبي ﷺ عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه وتتركوه، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يقول: اصبروا فإني معكم. وأورد البغوي في تفسير هذه الآية حديث: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**» الحديث[2]. اهـ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٤)، ومسلم (١٧٤٢) عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعًا.



وقوله: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

* **الهراس**: يخبر تعالى عن معيته للصابرين الذين يحبِسون أنفسهم على ما تكره، ويتحملون المشاق والأذى في سبيل الله وابتغاء وجهه؛ صبرًا على طاعة الله؛ وصبرًا عن معصيته؛ وصبرًا على قضائه. اهـ

* **آل الشيخ**: هذا مثل ما تقدم، فيه إثبات المعية الخاصة أيضًا، معية تليق بجلال الله وعظمته، كونه مع أهل القيام بما أمر به من الصبر والطاعة، وغير ذلك بحسب مواطنها، فإنها في الآيات كما بُيِّن لك -وتقدم بيان مقتضاها- فالمعية في النصوص معيتان:

١- عامة: كما في آية الحديد والمجادلة.

٢- وخاصة: كما في هذه الآيات ونظائرها.

وكلا المعيتين لا تقتضي الامتزاج والاختلاط، فهو تعالى على العرش حقيقةً، ومع خلقه حقيقةً.

أما القرب فلم يرد إلا خاصًا، وهو قربه من عابديه وسائليه فقط، كما ورد في النصوص[١]. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير على قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ الآية، تأويل الكلام: قال الذين يوقنون بالمعاد ويصدِّقون بالمرجع إلى الله للذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ يعني بـ: ﴿كَم﴾ كثيرًا غلبت فئةٌ قليلةٌ فئةً كثيرةً ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني: بقضاء الله وقدره، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يقول: مع الحابسين أنفسهم على رضاه وطاعته، يعني:

---

(١) سيأتي إن شاء الله الكلام على معنى القرب، وهل هو نوعان كالمعية أم نوع واحد؟

والله معين الصابرين على الجهاد في سبيله، وغير ذلك من طاعته، وظهورهم ونصرهم على أعدائه الصادين عن سبيله المخالفين منهاج دينه، وكذلك يقال لمعين الرجل على غيره: هو معه. بمعنى: هو معه بالعون والنصرة. اهـ

معنى المعية وأقسامها

* **العثيمين**: المعية لغة: المقارنة والمصاحبة. ودليل ثبوت المعية لله قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾. وتنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

فالعامة هي الشاملة لجميع الخلق، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

ومقتضى المعية هنا الإحاطة بالخلق علمًا، وقدرة، وسلطانًا، وتدبيرًا.

والخاصة هي التي تختص بالرسل وأتباعهم، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾. وهذه المعية تقتضي مع الإحاطةِ النصرَ والتأييدَ.

الجمع بين المعية والعلو

والجمع بين المعية والعلو من وجهين:

أولًا: أنه لا منافاة بينهما في الواقع، فقد يجتمعان في شيء واحد؛ ولذلك تقول: مازلنا نسير والقمر معنا مع أنه في السماء.

ثانيًا: أنه لو فرض أن بينهما منافاةً في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون بينهما منافاة في حق الخالق؛ لأنه ليس كمثله شيء، وهو بكل شيء محيط.

معية الذات والاختلاط ممتنعة في حق الله تعالى

ولا يصح تفسير معية الله بكونه معنا بذاته في المكان:

أولًا: لأنه مستحيل على الله؛ حيث ينافي علوه، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

ثانيًا: أنه خلاف ما فسرها به السلف.

ثالثًا: أنه يلزم على هذا التفسير لوازم باطلة. اهـ

أقسام المعية

* **ابن باز**: المعية صفة من صفات الله، وهي قسمان:

١- معية خاصة، لا يعلم كيفيتها إلا الله، كسائر صفاته، وتتضمن الإحاطة، والنصرة، والتوفيق، والحماية من المهالك.

٢- ومعية عامة، تتضمن علم الرب بأحوال عباده، واطلاعه على جميع أحوالهم وتصرفاتهم، الظاهرة والباطنة.

ولا يلزم منها الاختلاط والامتزاج؛ لأنه سبحانه لا يقاس بخلقه، فَعُلُوُّهُ على خلقه لا ينافي معيته لعباده، بخلاف المخلوق، فإن وجوده في مكانٍ وجهةٍ يلزم منه عدم اطلاعه على المكان الآخر والجهة الأخرى، والرب ليس كمثله شيء لكمال علمه وقدرته. اهـ

إثبات المعية من أصول أهل السنة والجماعة

* **السعدي**: ومن أصول أهل السنة والجماعة: إثبات معية الله، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، وهذه المعية تدل على إحاطة علمه بالعباد ومجازاته لهم بأعمالهم.

وفيها: ذكر المعية الخاصة، كقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]. ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وهذه الآيات تدل مع العلم المحيط على العناية بمن تعلقت به تلك المعية، وأن الله معهم بعونه، وحفظه، وكلاءته، وتوفيقه.

قاعدة في معرفة الفرق بين المعية العامة والخاصة

وإذا أردت أن تعرف هل المراد المعية العامة أو الخاصة؟ فانظر إلى سياق الآيات، فإن كان المقام مقام تخويف، ومحاسبة للعباد على أعمالهم، وحث على مراقبة الله فإن المعية عامة، مثل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

وإن كان المقام مقام لطف وعناية من الله بأنبيائه وأصفيائه، وقد رتبت المعية على الاتصاف بالأوصاف الحميدة، فإن المعية معية خاصة، وهو أغلب إطلاقاتها في القرآن مثل: ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ونحوها. اهـ

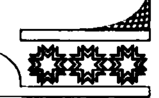
الجمع بين صفتي العلو والمعية

* قال شيخ الإسلام[١]: إن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضُه بعضًا ألبتة[٢]، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش، يخالفه

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٢).

(٢) أصلها «بتَّة» وأدخلت عليها لام التعريف «البتة» فالهمزة همزة وصل، وتنطق بهمزة قطع، قال في «القاموس»: ولا أفعله ألبتة، وبتةً، لكل أمر لا رجعة فيه. اهـ، وقال شارحه الزبيدي في «تاج العروس»: ولا أفعله ألبتة بقطع الهمزة، كما في نسختنا، وضبط في «الصحاح» بوصلها.. ونقل شيخنا -يعني الفاسيَّ- عن الدماميني في «شرح التسهيل»: زعم في اللباب أنه سمع في ألبتة قطع الهمزة، وقال شارحه في «العباب»: إنه المسموع. اهـ

=



الظاهر من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله ﷺ: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه»(١)، ونحو ذلك، فإن هذا غلط، وذلك أن الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فأخبر أنه فوق العرش يعلم كلَّ شيء، وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال: «والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه»(٢)، وذلك أن كلمة «مع» في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي. لمجامعته لك، وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقةً، وهو فوق عرشه حقيقةً.

=

قلت: الذي في طبعة «القاموس» الأولى التي بعناية الشيخ نصر الهوريني، بهمزة قطع (ألبتة) (١/ ١٤٨) والذي في طبعة الرسالة (ص/ ١٨٨) بهمزة وصل، وهو تصحيف. وعلى كلٍّ ففيها قولان الوصل والقطع.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٦، ٧٥٢، ١٢١٣، ٦١١١)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧٧٠، ١٧٧١)، وأبو داود (٤٧٢٤، ٤٧٢٥)، والترمذي (٣٣٢٠)، وأبو يعلى (٦٧١٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٥)، وابن ماجة (١٩٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٦٥٠)، والبيهقي في «الصفات» (٨٤٧، ٨٨٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١٠٧ ط/ نعسان)، وابن منده في «التوحيد» (١٩، ٤٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٥٧٧)، والحاكم (٣١٣٧، ٣٤٢٨، ٣٨٤٩)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٦)، والآجري في «الشريعة» (٦٦٣، ٦٦٥) من حديث العباس بن عبد المطلب مرفوعًا، وصححه الترمذي وابن خزيمة، والحاكم، وسكت عنه أبو داود، والبيهقي، فهو تصحيح منهما له على قاعدتهما في ذلك.

اختلاف مقتضى المعية بحسب السياق

ثم هذه «المعية» تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها: أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم، ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه. وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] كان هذا أيضًا حقًّا على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد.

وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي، فَيُشْرِف عليه أبوه من فوق السقف فيقول: لا تخف، أنا معك، أو أنا هنا، أو أنا حاضر، ونحو ذلك، ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفعَ المكروه.

الفرق بين معنى المعية ومقتضاها

ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع.

فلفظ «المعية» قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل

على قدر مشترك بين جميع مواردها- وإن امتاز كل موضع بخاصية - فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب ﷻ مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها... ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس «مشككة»؛ لتشكك المستمع فيها، هل هي من قبيل الأسماء «المتواطئة» أو من قبيل «المشتركة»، في اللفظ فقط(١)، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك، وإن كانت نوعًا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ. اهـ المقصود

* وقال العلامة ابن القيم(٢): ليس ظاهر اللفظ، ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة «مع» على هذا بوجه من الوجوه، فضلا أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه، فإن «مع» في كلامهم للصحبة اللائقة وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فكون نفس الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، فيصح أن يقال: زوجته معه وبينهما شقة بعيدة، وكذلك يقال: مع فلان دار كذا، وضيعة كذا، فتأمل نصوص المعية في

---

(١) الاشتراك: هو اتحاد اللفظ وتعدد الحقيقة، فالمشترك هو: اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضعًا أولاً، من حيث هما كذلك، ولا يسمى مشتركًا إلا إن كان اللفظ وضع حقيقة للمتعدد، لا مجازًا في أحدهما، كلفظ «القَرْء»، مشترك بين الطهر والحيض، ولفظ «العين» تطلق على الذهب والعين الباصرة في حقيقة اللغة.

والتواطؤ: حصول معنى اللفظ في أفراده الذهنية أو الخارجية على السواء، كلفظ الإنسان يحصل على كل فرد من بني آدم على السواء، وإن لم يكن على السواء، بل في بعض أفراد، فهو المشكك، وسموه كذلك؛ لأنه يشكك الناظر هل هو متواطئ لوحدة الحقيقة فيه، أو مشترك؛ لما بينهما من الاختلاف، كالبياض الذي في الثلج أشد منه في العاج.

وهناك قسم رابع، وهو الترادف، وهو أن يتعدد اللفظ ويتحد المعنى، كالقمح والبُر.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص/ ٤٧٨ ط: سيد إبراهيم)، و(٣/ ١٢٤٥ - ط: أضواء السلف).

القرآن، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]، وقوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الأعراف: ٦٤]، ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤] وأضعاف ذلك، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقًا وامتزاجًا؟ فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك(١) حتى يُدَّعَى أنها مجاز لا حقيقة؟ فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم، ولا ملاصقة لهم، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه «مع» المصاحبة، والموافقة، والمقارنة في أمر من الأمور، وذلك الاقتران في كل موضعٍ بحسبه يلزمه لوازم بحسب متعلَّقه.

فإن قيل: الله مع خلقه، بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم، وتدبيره لهم، وقدرته عليهم، وإذا كان ذلك خاصًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة، فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي، بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة.

---

(١) أي: الالتصاق والامتزاج.

الجمع بين المعية والعلو

وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه، مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه، يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال «**والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه**»[1]، فَعُلُوُّهُ لا يناقض معيتَه، ومعيتُه لا تبطل علوَّه، بل كلاهما حق.

فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

ومن العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

وقال تعالى في المعية الخاصة لموسى وأخيه: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال في العامة: ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، فتأمل كيف أفرد ضمير نفسه، حيث أفرد موسى وأخاه عن فرعون، وكيف جمع الضمير لَمَّا أدخل فرعون معهما في الذكر، فجعل الخاصَّ مع المعية الخاصة، والعامَّ مع العامة. اهـ المقصود



(١) تقدم تخريجه (ص/ ٤٣٨).

إثبات صفة الكلام لله تعالى وأن الله متكلم حقيقة

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦]، وقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

الشرح

* ابن باز: هذه الآيات الكريمات كلها في بيان كلام الله ﷻ، «قال، ويقول، وتكلَّم، ويتكلمّ»، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، إلى غير ذلك، فالآيات في هذا كثيرة في إثبات كلامه وندائه، ونَجيِّه، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [القصص: ٦٢]، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، فهو سبحانه تكلّم، ويتكلم إذا شاء، ونادى، وينادي إذا شاء ﷻ، وكلّم من شاء من عباده، كما كلَّم موسى ﵇، ويكلم أهل الجنة، وكلّم محمدًا ﷺ ليلة المعراج، كل هذا واقع، فهو ﷻ يعلم كلَّ شيء، ولا تخفى عليه خافية جلّ وعلا، ولقد أنزل القرآن ونزّل الوحي على الأنبياء عليهم السلام، وهو في العلو جل وعلا، ونزّل كتابه من أعلى، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، فهو سبحانه في العلو وأنزل كتبه: التوراة، والإنجيل، والقرآن، والزبور. كلها منزلة من عند الله، كل

هذا يجب إثباته لله، وأنه أصدق قيلًا من خلقه ﷻ، وإثبات ما بينه لعباده من إنزال كتابه القرآن، وأنه هدى للناس، وأنه أنزله باللغة العربية، وأنه يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه مختلفون، كل هذا حق يجب الإيمان به، وبكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، من جهة كلامه، وندائه، وقوله، وتنزيل كتابه وكتبه على الأنبياء عليهم السلام، فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الصفات لله على ما يليق بجلاله، وأنه قال ويقول وتكلم ويتكلم، ونادى وينادي، وناجى ويناجي، متى شاء، وكيفما شاء ﷻ.

أما قول أهل الكلام: إنه كلام قديم. فهذا باطل، بل تكلم ويتكلم إذا شاء، كلامه مع نبيه محمد ﷺ ليلة المعراج في وقته، وكلامه مع نبيه موسى عليه السلام في وقته، وكلامه مع الناس يوم القيامة في وقته، وكلامه مع آدم عليه السلام في وقته، وكلامه مع أهل الجنة في وقته، فهو لا زال يتكلم إذا شاء ﷻ، كما تكلم قديمًا يتكلم حديثًا، ولا يرده رادٌّ عن كلامه جل وعلا، يتكلم إذا شاء، ويريد إذا شاء، ويأمر إذا شاء، وينهى إذا شاء، لا أحد يمنعه من ذلك ﷻ. اهـ

* **الهراس**: تضمنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله ﷻ، وقد تنازع الناس حول هذه المسألة نزاعًا كبيرًا، فمنهم من جعل كلامه سبحانه مخلوقًا منفصلًا منه، وقال: إن معنى «متكلم»: خالق للكلام، وهم المعتزلة.

ومنهم من جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا، لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ونفى عنه الحرف والصوت، وقال: إنه معنى واحد في الأزل، وهم الكلابية والأشعرية.

ومنهم من زعم أنه حروف وأصوات قديمة لازمة للذات، وقال: إنها مقترنة في الأزل، فهو سبحانه لا يتكلم بها شيئًا بعد شيء، وهم بعض الغلاة.

ومنهم من جعله حادثًا قائمًا بذاته تعالى، ومتعلقا بمشيئته وقدرته، ولكن زعم أن له ابتداء في ذاته، وأنَّ الله لم يكن متكلمًا في الأزل، وهم الكرامية، ويطول بنا القول لو اشتغلنا بمناقشة هذه الأقوال وإفسادها، على أن فسادها بيِّن لكل ذي فهم سليم، ونظر مستقيم.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة: أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به، ليس مخلوقًا منفصلًا عنه، كما تقول المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها، كما تقول الأشاعرة، بل هو تابع لمشيئته وقدرته.

والله سبحانه نادى موسى بصوت، ونادى آدم وحواء بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛ فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته. اهـ

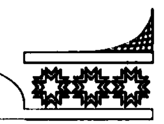
❁ **ابن مبارك**: قول أهل السنة في كلام الله أنه صفة من صفاته لم يزل- ولا يزال- يتكلم بكلام حقيقي يليق به، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة لا يماثل أصوات المخلوقين، يتكلم بها شاء ومتى شاء وكيف شاء وأدلتهم على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢]. ومن السنة قوله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار فيقول: يا ربي وما بعث النار؟**»(١).

ودليلهم على أنه بحروف قوله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فمقول القول هنا حروف.

ودليلهم على أنه بمشيئة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣).



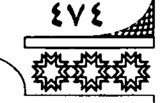
وكلام الله تعالى: صفة ذات باعتبار أصله، فإن الله لم يزل- ولا يزال- قادرًا على الكلام متكلمًا، وصفة فعل باعتبار آحاده؛ لأن آحاد الكلام تتعلق بمشيئته متى شاء تكلم. وأكثر المؤلف من ذكر أدلة الكلام؛ لأنه أكثر ما حصلت فيه الخصومة ووقعت به الفتنة من مسائل الصفات. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

❁ **الهراس**: الآيتان من سورة النساء تنفيان أن يكون أحد أصدق حديثًا وقولًا من الله ﷻ، بل هو سبحانه أصدق من كل أحد، في كل ما يخبر به؛ وذلك لأن علمه بالحقائق المخبر عنها أشمل وأضبط، فهو يعلمها على ما هي به من كل وجه، وعلم غيره ليس كذلك. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ فيه إثبات صفة الكلام وأن الله متكلم حقيقة، وفيه تسميته بالحديث، وهو مثل القول، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ فيه إثبات صفة الكلام، وتسميته «قيلًا»، وأنَّ لله «قيلاً». اهـ

❁ **ابن مبارك**: قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وأول الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، قال ابن جرير: يعني بذلك فاعلموا حقيقة ما أخبرتكم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء، والعرض، والحساب، والثواب، والعقاب يقينًا، فلا تَشُكّوا في صحته، ولا تمتروا في حقيقته، فإن قولي الصدق الذي لا كذب فيه، ووعدي الصدق الذي لا خُلفَ فيه. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، يقول: وأي ناطقٍ أصدق من الله حديثًا؟ وذلك أن الكاذب إنما يكذب؛ ليجتلب بكذبه إلى نفسه نفعًا، أو يدفع به عنها ضرًّا، والله تعالى ذكره خالق الضر والنفع، فغير جائز أن يكون منه كذب؛ لأنه لا يدعوه إلى اجتلاب نفع، ولا دفع ضر عن نفسه، أو دفع ضر عنها سواه تعالى ذكره، فيجوز أن يكون له في استحالة الكذب منه نظير، ومن أصدق من الله حديثًا وخبرًا؟





وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه في حديثه وخبره، ووعده ووعيده، فلا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه. اهـ

قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾، قال ابن جرير يقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ﴾ أيها الناس، ﴿مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه قيلًا، فكيف تتركون العمل بها وعدكم على العمل به ربكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، وتكفرون به، وتخالفون أمره، وأنتم تعلمون أنه لا أحد أصدق منه قيلًا، وتعملون بما يأمركم به الشيطان رجاء لإدراك ما يعدكم من عِداته الكاذبة وأمانيه الباطلة، وقد علمتم أن عِداتِه غرور لا صحة لها، ولا حقيقة، وتتخذونه وليًا من دون الله، وتتركون أن تطيعوا الله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، فتكونوا له أولياء؟

ومعنى «القيل» و«القول» واحد.

وقال ابن كثير: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: لا أحد أصدق منه قولًا. أي: خبرًا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وكان النبي ﷺ يقول في خطبته: **«إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**[1] . اهـ



(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله مرفوعًا دون قوله «وكل ضلالة في النار» بل هي عند ابن خزيمة (١٧٨٥)، والنسائي (١٥٧٧) ولفظه: كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبته يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول: «من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادى له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار».

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦].

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات أن الله قال، فأسند القول إلى فاعله، وهو من صدر منه القول، فإنه قال ويقول. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ..﴾ إلخ، فهو حكاية لما سيكون يوم القيامة من سؤال الله لرسوله وكلمته عيسى عما نسبه إليه الذين أَلَّهوهُ وأمَّهُ مِنَ النصارى، مِن أنه هو الذي أمرهم بأن يتخذوه وأمَّهُ إلهين من دون الله. وهذا السؤال لإظهار براءة عيسى ﷺ، وتسجيل الكذب والبهتان على هؤلاء الضالين الأغبياء. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ فيقول: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقيل: إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا.

وساق بسنده عن السُدِّي قال: لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه، قالت النصارى ما قالت، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، فسأله عن قوله فقال: ﴿سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

وعن ابن جريج ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ قال: والناس يسمعون، فراجعه بما قد رأيت، وأقر له بالعبودية على نفسه، فعلم من كان يقول في عيسى ما يقول أنه إنما كان باطلًا[1].

وقال ابن كثير على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآيات: هذا أيضًا مما

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٣٠٣٢) عنه، ثم ردّه، وقال: وأولى القولين عندنا بالصواب قول من قال بقول السدي، وهو أنَّ الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه، وأنَّ الخبر خبرٌ عما مضى. اهـ

يخاطب الله به عبدَه ورسولَه عيسى ابن مريم، قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمَّهُ إلهين من دون الله: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهذا تهديدٌ للنصارى، وتوبيخٌ، وتقريع على رؤوس الأشهاد. هكذا قاله قتادة وغيره. اهـ

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

* **الهراس**: المراد ﴿صِدْقًا﴾ في أخباره، ﴿وَعَدْلًا﴾ في أحكامه؛ لأن كلامه تعالى إما أخبار، وهي كلها في غاية الصدق، وإما أمر ونهي، وكلها في غاية العدل الذي لا جور فيه؛ لابتنائها على الحكمة والرحمة.

والمراد بالكلمة هنا الكلمات؛ لأنها أضيفت إلى معرفة، فتفيد معنى الجمع، كما في قولنا: رحمة الله، ونعمة الله. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الكلام، والكلمة في لغة العرب لا تطلق إلا على الجملة المفيدة[١]. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وكَمُلَتْ كلمة ربك. يعني: القرآن، سمّاه كلمةً كما تقول العربُ للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر: هذه كلمة فلان. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ يقول: كملت كلمة ربك من الصدق والعدل، والصدق والعدل نُصبا

(١) يعني في العرف الغالب، كما قال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» أخرجه البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧، ٦٤٨٩)، ومسلم (٢٢٥٦) عن أبي هريرة. وفي التنزيل: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾، يعني قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، فتطلق الكلمة على الجملة الطويلة والقصيرة، وعلى الجملة المفيدة إفادة يحسن السكوت عليها، أو غير المفيدة، وتطلق على الكلمة المفردة وعلى الحرف، قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ** اسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة واللفظ عم ** وكلمة بها الكلام قد يؤم

أي: قد يقصد بها الكلام.

على التفسير[١] للكلمة كما يقال: عندي عشرون درهمًا.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول: لا مغيِّر لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقعٌ فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ قال قتادة: صدقًا فيما قال، وعدلًا فيما حكم، يقول: صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الطلب، فكل ما أخبر به فحقٌّ لا مرية فيه ولا شك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل، فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة. ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: ليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال البغوي: قوله ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب ﴿كَلِمَتُ﴾ على التوحيد[٢]، وقرأ آخرون: ﴿كَلِمَاتِ﴾ بالجمع والمراد بالكلمات أمره ونهيه، ووعده ووعيده. ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، أي: صدقًا في الوعد والوعيد، وعدلًا في الأمر والنهي. قال قتادة ومقاتل: صدقًا فيما وعد، وعدلًا فيما حكم، ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾. قال ابن عباس: لا رادَّ لقضائه ولا مغيِّر لحكمه، ولا خُلف لوعده، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

قيل: أراد بالكلمات القرآن ﴿لَا مُبَدِّلَ﴾ يريد: لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون. اهـ



---

(١) أي التمييز.

(٢) أي: إفراد: «كلمة».

تكليم الله لنبيه موسى

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦].

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يعني بذلك جل ثناؤه: وخاطب الله بكلامه موسى خطابًا. وساق بسنده عن نوح بن أبي مريم، وسُئل: كيف كلم الله موسى تكليمًا؟ قال: مشافهة.

وقال ابن كثير: قوله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ وهذا تشريفٌ لموسى بهذه الصفة؛ ولهذا يقال له: الكليم.

وقال صاحب «الوجيز»[(١)]: أخبر الله بأنه شرَّف موسى بكلامه، وأكَّده بالمصدر دلالةً على وقوع الفعل على حقيقته لا على المجاز[(٢)]. اهـ

* **آل الشيخ**: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ فيه إثبات صفة الكلام، ﴿تَكۡلِيمًا﴾ مصدر مؤكد لعامله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ وهو يرجع إلى التأكيد اللفظي، لرفع توهم غير إرادة الحقيقي.

والأصل في الكلام هو الحقيقة، ولا يصار إلى المجاز إلا لموجب، وأن الله تعالى كلَّم موسى كلامًا حصل من الله تعالى وسمعه موسى، فدل على أن الله كلم موسى حقيقة، وأنه سمع كلام الله حقيقة.

---

(١) هو الشيخ العلامة أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، (ت ٥٤٦هـ).

(٢) انظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢/ ١٣٧) لابن عطية، وعبارته: وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ إخبار بخاصة موسى، وأنَّ الله تعالى شرفه بكلامه، ثم أكد تعالى الفعل بالمصدر، وذلك مبني في الأغلب على تحقيق الفعل ووقوعه، وأنه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة. اهـ
وقال مثله أبو حيان الأندلسي في «البحر المحيط» (٣/ ٤١٤).

وقد حاول بعض الجهلة المبطلين المنكرين لكلام الله، أن تكون القراءة بالنصب، يريد أن يكون موسى هو الذي كلم الله، وأن يكون الله غير مكلِّم، وقاله لأَحَدِ أهل السنة[١] فقال له: ما تصنع بقوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ لأن قواعد العربية تأبى ذلك، فبهت الجاهل[٢]، فهو ظاهر في أن الله هو المتكلم، وأن موسى هو المكلم، فهذه الآية لا يتمكن الجهمي من تحريفها. اهـ

* **الهراس**: قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ وما بعدها من الآيات التي تدل على أن الله قد نادى موسى، وكلمه تكليمًا، وناجاه حقيقة من وراء حجاب، وبلا واسطة ملك، فهي ترد على الأشاعرة الذين يجعلون الكلام معنى قائمًا بالنفس، بلا حرف، ولا صوت، فيقال لهم: كيف سمع موسى هذا الكلام النفسي؟ فإن قالوا: ألقى الله في قلبه علمًا ضروريًّا بالمعاني التي يريد أن يكلمه بها. لم يكن هناك خصوصية لموسى في ذلك.

وإن قالوا: إن الله خلق كلامًا في الشجرة أو في الهواء، ونحو ذلك. لزم أن تكون الشجرة هي التي قالت لموسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢].

وكذلك ترد عليهم هذه الآيات في جعلهم الكلام معنى واحدًا في الأزل، لا يحدث منه في ذاته شيء، فإن الله يقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فهي تفيد حدوث الكلام عند مجيء موسى للميقات، ويقول: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]؛ فهذا يدل على حدوث النداء عند جانب الطور الأيمن، والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا.

وكذلك قوله تعالى في شأن آدم وحواء: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ..﴾ [الأعراف: ٢٢] الآية، فإن هذا النداء لم يكن إلا بعد الوقوع في الخطيئة، فهو حادث قطعًا.

﴿١﴾ هو الإمام أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة.

﴿٢﴾ ذكرها الشيخ علي ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (١/ ١٧٧ ط: الرسالة)، الثانية.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ..﴾ [القصص: ٦٢] إلخ، فإن هذا النداء والقول سيكون يوم القيامة.

وفي الحديث: «ما من عبد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان»[1]. اهـ



تكليم الله تعالى للأنبياء

وقوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

❁ **آل الشيخ**: قوله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾، فيه إثبات صفة الكلام أيضًا. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يعني: تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الذين قصَّ الله قَصَصَهم في هذه السورة، كموسى بن عمران، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وشمويل[2]، وداود، وسائر من ذكر نبأهم في هذه السورة. يقول تعالى ذكره: هؤلاء رسُلي فضلت بعضهم على بعض، والذي كلَّمته منهم موسى ﷺ، ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة.

وساق بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ قال: يقول: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ منهم من كلّم الله، ورفع بعضهم على بعض درجات، يقول: كلّم الله موسى، وأرسل محمدًا إلى الناس كافةً.

---

(١) رواه بنحوه البخاري (١٤١٣، ١٤١٧، ٣٥٩٥، ٦٠٢٣، ٦٥٣٩، ٦٥٤٠، ٦٥٦٣، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم ﷺ، وترجم عليه البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه»: باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم.

(٢) شمويل أو صمويل، هو النبي الذي ذكره الله في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ وينطق بالعربية السموءال.

وقال البغوي: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ أي: كلمه الله تعالى، يعني موسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ يعني: محمدًا ﷺ، وما أوتي نبيٌّ آيةً إلا أوتي نبينا مثل تلك الآية، وفُضِّل على غيره بآيات مثل: انشقاق القمر بإشارته، وحنين الجذع على مفارقته، وتسليم الحجر والشجر عليه، وكلام البهائم والشهادة برسالته، ونبع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تُحصى، وأظهرها القرآن الذي أعجز أهل السماء والأرض على الإتيان بمثله. انتهى.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

* آل الشيخ: فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه على ما يليق بجلاله وعظمته. اهـ



إثبات صفات النداء والمناجاة

قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

* ابن مبارك: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وناديناه موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى؛ لأن الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنما ذلك كما يقال قام عن يمين القبلة وعن شمالها وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وأدنيناه مُناجيًا. كما يقال: فلان نديم فلان ومُنادِمه، وجليس فلان ومُجالسُه، وذُكر أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم.

ثم ساق بسنده عن ابن عباس: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ قال: أُدنِيَ حتى سمع صريف القلم.

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: الجبل، ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الجانب الأيمن من موسى، حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة فرآها تلوح فقصدها

فوجدها في جانب الطور الأيمن من غربيه عند شاطئ الوادي، فكلَّمه اللهُ تعالى وناداه وقرَّبه فناجاه. قال ابن عباس: أُدني حتى سمع صريف القلم، وهكذا قال مجاهد، وأبو العالية، وغيرهم. يعنون صريف القلم بكتابة التوراة، وقال السدي ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ قال: أُدخل في السماء فكُلِّم، وعن مجاهد نحوه.

وقال البغوي: قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ يعني: يمين موسى. والطور: جبل بين مصرَ ومَدْيَنَ، ويقال: اسمه الزبير، وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي: مناجيًا، فالنجي: المناجي، كما يقال: جليس ونديم، قال ابن عباس: معناه قرَّبه فكلَّمه، ومعنى التقريب إسماعه كلامه.

وقيل: رفعه الحجب حتى سمع صريف القلم. اهـ

* قال الشيخ: هذه الآية فيها إثبات صفة الكلام من وجهين:

الأول: قوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾، والنداء نوع من أنواع الكلام وهو مِن بُعْدٍ.

والثاني: قوله: ﴿نَجِيًّا﴾ وهو نوع من الكلام، وهو يكون مِنْ قُرْبٍ، وكلٌّ جاء في القرآن، جاء الكلام مطلقًا، وجاء النداء والنجاء[1]. اهـ



(١) قلت: وفي الباب حديث متفق على صحته عن صفوان بن محرز قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر ﵄ آخذ بيده، إذ عرض رجلٌ، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين». أخرجه البخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

إثبات صفة النداء لله تعالى

وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠].

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني: الكافرين ﴿ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ عقاب الله على كفرهم به. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فيه إثبات صفة الكلام. اهـ

قوله: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ونادى آدمَ وحواءَ ربُّهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها، وأعلِمْكما أن إبليس لكما عدوٌّ مبين، يقول: قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدًا وبغيًا.

وعن ابن عباس قال: لما أكل آدم من الشجرة قيل له: أكلتَ من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني. قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كُرهًا ولا تضعُ إلا كُرهًا. قال: فرنَّت[١] حواءُ عند ذلك، فقيل لها: الرنَّةُ عليك وعلى ولدك.

وعن أُبيّ بن كعب قال: كان آدم رجلًا طُوالًا، كأنه نخلة سَحوق، كثير شعر الرأس، فلما وقع فيما وقع فيه من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها، فانطلق هاربًا في الجنة، فتعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة. فقال لها: أرسليني. فقالت: إني غير مرسلتك، فناداه ربه ﷻ: يا آدم أمنِّي تفر؟ قال: يا رب إني استحييتك. اهـ

---

(١) أي: ناحت وبكت.

❁ **آل الشيخ**: قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ فيه إثبات صفة الكلام. اهـ

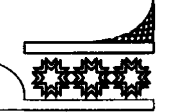
وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين فيقول لهم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فيما أرسلناهم به إليكم، من دعائكم إلى توحيدنا، والبراءة من الأوثان والأصنام، ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾. قال مجاهد: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ قال: الحُجَجُ. يعني الحُجَّة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. فيه إثبات صفة الكلام لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله موصوف بالكلام، وأنه متعلِّق بمشيئته وقدرته، لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء، فكما أنه تعالى لا يشبهه شيء من مخلوقاته في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، فكذلك في كلامه. اهـ





القرآنُ كلامُ الله منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ

قال المصنف: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].



الشرح

* الهراس: هذه الآيات الكريمة تفيد أن القرآنَ المتلوَّ المسموعَ المكتوبَ بين دفتي المصحفِ هو كلامُ الله على الحقيقة، وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله، كما تقول الأشعرية.

وإضافته إلى الله ﷻ تدل على أنه صفة له قائمة به، وليست كإضافة البيت أو الناقة[1]، فإنها إضافة معنى إلى الذات، تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات، بخلاف إضافة البيت أو الناقة؛ فإنها إضافة أعيان، وهذا يرد على المعتزلة في قولهم: إنه[2] مخلوق منفصل عن الله.

---

(١) يعني: بيت الله، وناقة الله، في قوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾، ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.
(٢) أي: القرآن.

ودلت هذه الآيات أيضًا على أن القرآن منزل من عند الله، بمعنى أن الله تكلم به بصوت سمعه جبريل ﷺ، فنزل به، وأدّاه إلى رسول الله ﷺ كما سمعه من الرب جل شأنه.

خلاصة القول في القرآن

وخلاصة القول في ذلك: أن القرآن العربي كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، والله تكلم به على الحقيقة، فهو كلامه حقيقة لا كلام غيره، وإذا قرأ الناس القرآن، أو كتبوه في المصاحف لم يخرجْه ذلك عن أن يكون كلام الله؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدِئًا، لا إلى من بلغه مؤدّيًا، والله تكلم بحروفه ومعانيه بلفظ نفسه، ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا لجبريل، ولا لمحمد ﷺ، ولا لغيرهما، والله تكلم به أيضا بصوت نفسه، فإذا قرأه العباد قرؤوه بصوت أنفسهم، فإذا قال القارئ مثلا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] كان هذا الكلام المسموع منه كلام الله، لا كلام نفسه، وكان هو قرأه بصوت نفسه لا بصوت الله.

وكما أن القرآن كلام الله، فكذلك هو كتابه؛ لأنه كتبه في اللوح المحفوظ؛ ولأنه مكتوب في المصاحف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، وقال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

تعريف القرآن

والقرآن في الأصل مصدر كالقراءة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، ويراد به هنا أن يكون عَلَمًا على هذا المنزل من عند الله، المكتوب بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه.

نزول القرآن

وقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢] يدل أن ابتداء نزوله من عند الله ﷻ، وأن روح القدس جبريل ﷺ تلقاه عن الله سبحانه بالكيفية التي يعلمها. اهـ

قول أهل السنة في القرآن والأدلة على ذلك

❁ **العثيمين**: قول أهل السنة في القرآن الكريم: يقولون: القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود.

فدليلهم على أنه كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، يعني: القرآن.

ودليلهم على أنه منزل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]. وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]. والدليل على أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. ولأن القرآن من كلام الله وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله غير مخلوقة. ومعنى: منه بدأ: أن الله تكلم به ابتداء.

ومعنى: إليه يعود: أنه يرجع إلى الله في آخر الزمان، حينما يرفع من المصاحف والصدور، وتكريمًا له إذا اتخذه الناس هزوًا ولهوًا. اهـ



إضافة القرآن إلى الله تعالى غير إضافته إلى الرسول المبلِّغ عنه

قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

* **آل الشيخ**: المراد به القرآن، فيه إثبات صفة الكلام، وفيه إضافة الكلام إلى الله، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قال وبلَّغ مؤديًا. والإضافة إنما تكون لمن صدر منه الكلام، وجاء ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] وإضافته إلى الرسول إضافة تبليغ. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحدٌ؛ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ يقول: فأمِّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ وتتلوه عليه ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يُسلم، ولم يتعظ بما تلوتَه عليه من كلام الله، فيؤمَّن إلى ﴿مَأْمَنَهُ﴾ يقول: إلى حيث يأمن منك، وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين. اهـ

قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

* **ابن مبارك**: قال ابن كثير: يقول تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: ينقاد لكم بالطاعة، هؤلاء الفرقة الضالة من اليهود، الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه، ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ أي: يتأوَّلونه على غير تأويله، ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية، ومع هذا يخالفونه على بصيرة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله. اهـ

* ابن الشيخ: فيه إثبات صفة الكلام كالتي قبلها فدل على أن القرآن كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه، بدليل ما في هذه الآية أنهم يحرفون اللفظ والمعنى. اهـ

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

* ابن الشيخ: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فيه إثبات صفة الكلام، وفيه إضافته إلى الله، فدل على أن القرآن العزيز كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

هذه آيات ثلاث فيها إضافته إلى الله، والقرآن نزل بلغة العرب، إذا أضيف الكلام إلى أحد فإنه يدل على أنه أول من قاله. اهـ

* ابن مبارك: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: سيقول يا محمد المخلَّفون في أهليهم عن صحبتك، إذا سرتَ معتمرًا تريد بيت الله الحرام[1]، إذا انطلقت أنت ومن صَحِبك في سفرك ذلك إلى ما أفاء الله عليك وعليهم من الغنيمة لتأخذوها -وذلك ما كان الله وعد أهل الحديبية من غنائم خيبر-: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ إلى خيبر فنشهد معكم قتال أهلها. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يقول: يريدون أن يُغيِّروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله جعل غنائم خيبر لهم، ووعدهم

(١) يعني: في عمرة الحديبية. قال ابن جرير: وكان رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرًا استنفر العرب ومن حول مدينته من أهل البوادي والأعراب؛ ليخرجوا معه؛ حذرًا من قومه قريش أن يعرضوا له الحرب، أو يصدوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعمرة وساق معه الهدي؛ ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا خلافه فهم الذين عنى الله بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ﴾ [الفتح: ١١] الآية.. اهـ

ذلك عوضًا من غنائم أهل مكة، إذا انصرفوا عنهم على صلح، ولم يصيبوا منهم شيئًا. وقوله: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المخلَّفين عن المسير معك يا محمد: لن تتبعونا إلى خيبر إذا أردنا المسير إليهم من قتالهم، ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾. يقول: هكذا قال الله لنا من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية معنا، ولستم ممن شهدها، فليس لكم أن تتبعونا إلى خيبر؛ لأن غنيمتها لغيركم[1]. اهـ

القرآن هو كلام الله متلوًّا ومكتوبًا

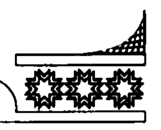
قوله: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الكلام، وفيه أن القرآن متلو، وأنه كلمات. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا، ولا تتركن تلاوته واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين، وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يقول: لا مغير لما أوعد -بكلماته التي أنزلها عليك- أهلَ معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك. وقوله: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ يقول: إن أنت يا محمد لم تتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله. اهـ

---

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝١٨ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩]، قال العلماء: المراد بهذا الفتح فتح خيبر وغنائمه.



❁ **السعدي**: أقول: ذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ في هذا الموضع عدة آيات، وكلها داخلة في الإيمان بالله، ويتضح معناها عمومًا وخصوصًا بذكر أصول وضوابط توضيحها فيما يأتي:

١- منها: أن هذه النصوص القرآنية تنطبق عليها القاعدة المتفق عليها بين السلف وهو: أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى، وما دلت عليه من الصفات، وما نشأ عنها من الأفعال.

مثال ذلك: القدرة، يجب علينا الإيمان بأنه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرة الله، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات، وبأنه عليم ذو علم محيط، وأنه يعلم الأشياء كلها، وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.

فما في هذه الآيات التي ذكرها المصنف من الأسماء الحسنى فإنها داخلة في الإيمان بالأسماء.

وما فيها من ذكر الصفات مثل: عزة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وإرادته، ومشيئته، وكلامه، وأمره، وقوله، ونحوها، فإنها داخل في الإيمان بالصفات.

وما فيها من ذكر الأفعال المطلقة والمقيدة مثل: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ويعلم كذا وكذا، ويحكم، ويريد، وسمع، ويسمع، ويرى، وأسمع، وأرى، وقال، ويقول، وكلم، ويكلم، ونادى، وناجى، ونحوها من الأفعال فإنه داخل في الإيمان بأفعاله تعالى.

فعلى العبد الإيمان بكل ذلك إجمالًا وتفصيلًا، وإطلاقًا وتقييدًا على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، وأن يعلم أن صفاته لا تشبهها صفات المخلوقين، كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين.

تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية

٢- ومن الأصول المتفق عليها بين السلف التي دلت عليها هذه النصوص: أن صفات الباري قسمان:

أ- **صفات ذاتية**: لا تنفك عنها الذات، كصفة الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، ونحوها، والعلو، المطلق.

ب-**وصفات فعلية**: تتعلق بها أفعاله كل وقت وآن وزمان، ولها آثارها في الخلق والأمر.

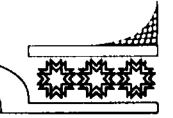
فيؤمنون بأنه فعال لما يريد، وأنه لم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأن أفعاله تقع شيئًا فشيئًا تبعًا لحكمته وإرادته، كما أن شرائعه وأوامره ونواهيه الشرعية لا تزال تقع شيئًا فشيئًا.

وقد دل على هذا الأصل الكبير ما في هذه النصوص من ذكر: قال، ويقول، وسمع، ويسمع، وكلم، ويكلم، ونادى، وناجى، وعلَّم، وكتب، ويكتب، وجاء، يجيء، وأتى، ويأتي، وأوحى، ويوحي، ونحوها من الأفعال المتنوعة التي تقع مقيدة بأوقاتها، كما سمعت في هذه النصوص المذكورة آنفًا. وهذا من أكبر الأصول وأعظمها.

ولقد صنف فيه المؤلف مصنفًا مستقلًّا وهو المسمى بـ«الأفعال الاختيارية»[1]، فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته، كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والقول، ونحوها، والمتعلقة بخلقه كالخلق، والرزق، وأنواع التدبير. اهـ



(١) ذكره ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» (ص/ ٥٢).



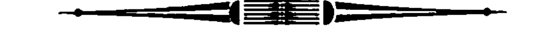
وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

❋ **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الكلام. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إشارة إلى القرآن الموجود أنه كلام الله، حروفه ومعانيه، إذ الإشارة إلى الجميع، والقرآن هو ما بين الدفتين، المنزل على رسول الله ﷺ، المحفوظ في صدور المسلمين، الذي يتلوه من حفظه من المسلمين، المسموع بالآذان، فالإشارة إلى مراتبه كلها موجود محفوظ متلو مسموع.

نسب أوصاف القرآن

فالقرآن له أربع نسب: متلو، ومسموع، ومكتوب، ومحفوظ. وكل واحدة من هذه النسب لا تخرجه عن أن يكون كلام الله حروفه ومعانيه. اهـ

❋ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقص على بني إسرائيل الحق في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها. وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرَّأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقص عليكم الحق فيما اختلفتم، فاتبعوه، وأقرُّوا لما فيه، فإنه يقص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد. اهـ



القرآن منزل غير مخلوق

قوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

❋ **آل الشيخ**: كذلك هذه إشارة إلى القرآن حروفه ومعانيه، وفيه أن القرآن منزل غير مخلوق، وفيه الدلالة على علو الله وفوقيته. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد ﷺ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ يقول: فاجعلوه إمامًا تتبعونه، وتعملون بما فيه أيها الناس، ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه، وتتعدوا حدوده، وتستحلوا محارمه. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: لتُرحموا؛ فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه.

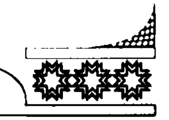
وقال ابن كثير: فيه الدعوة إلى اتباع القرآن، يرغِّب سبحانه عباده في كتابه، ويأمرهم بتدبره، والعمل به، والدعوة إليه، ووصفه بالبركة لمن اتبعه وعمل به في الدنيا والآخرة؛ لأنه حبل الله المتين. اهـ

قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

* **آل الشيخ**: الإشارة إليه بجميع مراتبه كلها، وإلى حروفه ومعانيه. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وهو حجر ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ﴾ يا محمد ﴿خَٰشِعًا﴾ يقول: متذلِّلًا ﴿مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ على قساوته؛ حذرًا من أن لا يؤدِّي حقَّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أُنزل على ابن آدم، وهو بحقِّه مستخفّ، وعنه وعمَّا فيه من العبر والذكر مُعرض، كأن لم يسمعها، كأنَّ في أذنيه وقرًا، وساق بسنده عن ابن عباس من قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قال: يقول: لو أني أنزلتُ هذا القرآن على جبل حمَّلتُه إياه، تصدَّع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله ﷻ الناسَ إذا أُنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشُّع. قال: كذلك يضرب الله الأمثال للناس، لعلهم يتفكرون. اهـ





القرآن كلام الله منزّل، ليس للرسول فيه إلا البلاغ

قوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾.

* **ابن مبارك:** ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حُكمَ أُخرى، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾، يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدِّل ويغيِّر من أحكامه[1]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، يقول: قال المشركون بالله المكذِّبون لرسوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿مُفْتَرٍۭ﴾ أي: مكذب، تخرصُ بتقوُّل الباطل على الله، يقول الله تعالى: بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفترٍ، جُهَّالٌ بأن الذي تأتيهم به من عند الله، ناسخه ومنسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته. اهـ

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد للقائلين لك ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، فيما تتلو عليهم من آي كتابنا، ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ يقول: قل جاء به جبريل من عند ربي بالحق. وقوله: ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يقول تعالى ذكره: قل: نزَّل هذا القرآن- ناسخه ومنسوخه- روح القدس عليَّ من ربي؛ تثبيتًا للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم؛ ليزدادوا بتصديقهم لناسخه ومنسوخه إيمانًا إلى إيمانهم، وهدىً لهم من الضلالة، وبشرى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في آي كتابه، فأقرُّوا بكلِّ ذلك، وصدقوا به قولًا وعملًا.

---

(١) أي: في علمه السابق ﷻ، الذي قدره وكتبه في اللوح المحفوظ.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون -جهلًا منهم-: إنما يعلّم محمدًا -هذا الذي يتلوه- بشرٌ من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذِّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن (لسان الذي تلحدون إليه) يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجمي، وذلك أنهم فيما ذُكِر كانوا يزعمون أن الذي يُعلّم محمدًا هذا القرآن عبدٌ رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وهذا القرآن لسانٌ عربيٌّ مبين. اهـ

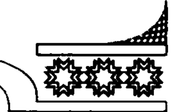
❁ **قال الشيخ:** قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ الآياتِ، دال على أنه منزل، وجاء في القرآن تسميته سورًا كما في قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ [محمد: ٢٠] الآية، وجاء في هذه الآية وغيرها أنه آيات، وكلمات، وحروف، كما في قوله ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات» الحديث[١]، فدل على أن القرآن كلام الله: السور، والآيات، والكلمات، والحروف، والمعاني. اهـ

❁ **قال المصنف** رحمه الله[٢]: هذا القرآن الذي نقرؤه ونبلغه ونسمعه هو كلام الله الذي تكلم به ونزل به منه روح القدس، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٩٧) من حديث عمر بسند ضعيف جدًّا، والطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٤) عن ابن مسعود بسند ضعيف جدًّا. لكنه صح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ويروى هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن مسعود، ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود، رفعه بعضهم ووقفه بعضهم عن ابن مسعود.

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٤٤).



وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٣] فهذا الكلام في القرآن الذي قالوا: إنما يعلمه إياهُ بَشَرٌ، وقد أبطل الله ذلك بقوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ فدل على أن المراد به نفس القرآن العربي الذي يمتنع أن يعلمه إياه ذلك الأعجمي الذي ألحدوا إليه.

وقد قيل: إنه رجل بمكة مولى لابن الحضرمي. والمعاني المجردة لا يمتنع تعلمها من الأعجمي، بخلاف هذا القرآن العربي، فدل أن هذا القرآن نزّله روح القدس من الله تبارك وتعالى.

ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] وهذا الكلام صفة الله تعالى، وأما ما اختص قيامه بنا، من حركاتنا، وأصواتنا، وفهمنا، وغير ذلك من صفاتنا، فلم يقم منه شيء بذات الله سبحانه، كما أن ما اختص الرب تعالى بقيامه به لم ينتقل عنه، ولم يقم بغيره، لا هو ولا مثله؛ فإن المخلوق إذا سمع من المخلوق كلامه وبلغه عنه كان ما بلغه هو كلامه كما تقدم قول النبي ﷺ: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه»[1] مع أن ما قام بالنبي ﷺ بباطنه من العلم والإرادة وغيرهما، وبظاهره من الحركة والصوت وغيرهما -لم ينتقل

---

(١) حديث متواتر جاء عن جماعة من الصحابة، منهم زيد بن ثابت، أخرجه عنه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٥٩٠)، والزهد (ص/ ٣٣)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجة (٤١٠٥)، والدارمي (٢٢٩)، وابن حبان (٦٧، ٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٨٩٠، ٤٨٩١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٤)، وفي «الزهد» (١٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٣٦، ١٧٣٧). انظر بسط تخريجه في كتاب «حديث نضر الله امرءًا سمع مقالتي»، للشيخ عبد المحسن العباد، و«تخريج المسند» للأرنؤوط (٣٥/ ٤٦٧-٤٦٨).

عنه، ولم يقم بغيره، بل جميع صفات المخلوقين لا تفارق ذواتهم وتنتقل عنهم، فكيف يجوز أن يقال: إن صفة الخالق فارقت ذاته فانتقلت عنه؟ والمتعلم إذا أخذ علم المعلِّم ونقلَه عنه، لم يفارق ذات الأول وينتقل عنها إلى الثاني، بل نفس الحقيقة العلمية حصلت له مثلما حصلت لمعلمه، أو ليس مثله، بل يشبهه؛ ولهذا يشبَّه العلم بضوء السراج كل أحد يقتبس منه وهو لم ينقص، ومن المعلوم أن من أوقد من مصباح غيره فإنه لم ينتقل إلى سراجه شيء من جرم تلك النار، ولا شيء من صفاتها القائمة بها، بل جعل الله بسبب ملاصقة النار ذلك نارًا مثل تلك، فالحقيقة النارية موجودة، وإن كانت هذه العين ليست تلك، لكن النار والعلم ليس هو مثل الكلام الذي يبلغ عن الغير، بل هو مثل أن يسمع بعض الناس كلام غيره وشعر غيره، فيقول من جنس ما قال، ويقول كما قال غيره مثله. كما يقال: وقْعُ الخاطرِ على الخاطرِ كوقْعِ الحافر على الحافر، وليس هذا من التبليغ والرواية في شيء فإن قول القائل: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. هو كلام لبيد.

كيفما أنشده الناس وكتبوه، فهذا الشعر الذي ينشده هو شعر لبيد بعينه[1]، فإذا قيل: الشعر الذي قام بنا هو الذي قام بلبيد. قيل: إن أريد بذلك أن الشعر من حيث هو هو إن أريد أن نفس ما قام بذاته فارق ذاته وانتقل إلينا، فليس كذلك، وكذلك إن أريد أن عين الصفة المختصة بذلك الشخص- كحركته وصوته- هي عين الصفة المختصة بنا- كحركتنا وصوتنا- فليس كذلك.

---

(١) هو الشاعر الكبير لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أدرك النبي ﷺ، وأسلم، وحسن إسلامه، وترك الشعر في الإسلام وقال: قد أبدلني الله منه البقرة وآل عمران.

وبيته الذي أشار إليه الشيخ هنا من قصيدة له يرثي بها النعمان بن المنذر ملك الحيرة، ومطلعها:

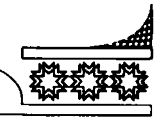
ألا تسألان المرء ماذا يحاول ** أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

إلى قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ** وكل نعيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم ** دويهية تصفرّ منها الأنامل

انظر ديوان لبيد بن ربيعة (ص/ ٨٥) طبعة دار المعرفة، عناية حمدو طماس.



فقولك: هذا هو هذا لفظ فيه إجمال يبينه السياق.

فإذا قلت: هذا الكلام هو ذاك أو هذا الشعر هو ذاك كنت صادقا. وإذا قلت: هذا الصوت هو ذاك كان كذبا. والناس لا يقصدون إذا قالوا: هذا شعر لبيد إلا القدر المتحد وهي الحقيقة من حيث هي مع قصر النظر عما اختص به أحدهما.

إشكالات وجوابها

وإذا عرف هذا: فقول القائل: هذا القرآن الذي نتلوه القائم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له أم لا؟

قيل له: أما الكلام فهو كلام الله، لا كلامنا، ولا غيرنا، وهو مسموع من المبلغ، لا من الله -كما تقدم- وهو مسموع بواسطةٍ سماعًا مقيدًا، لا سماعًا من الله مطلقًا -كما تقدم-، وليس شيء مما قام بذاته فارقه وانتقل إلينا، ولا شيء مما يختص بذواتنا -كحركاتنا وأصواتنا فهو منا- قائمًا به.

وأما قوله: هذا القرآن الذي نتلوه القائم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به؟ فلفظ القيام فيه إجمال، فإن أراد أن نفس صفة الرب تكون صفة لغيره، أو صفة العبد تكون صفة للرب، فليس كذلك.

وإن أراد أن نفس ما ليس بمخلوق صار مخلوقًا، أو ما هو مخلوق صار غير مخلوق- فليس الأمر كذلك.

وإن أراد أن ما اختص الرب بقيامه به شاركه فيه غيره، فليس الأمر كذلك.

وإن أراد أن نفس الكلام كلامه لا كلام غيره في الحالين -كما تقدم تقريره- فالأمر كذلك.

وقد علم أن الحال إذا سمع من الله ليس كالحال إذا سمع من خلقه وذلك فرق بين الحالين وإن كان الكلام واحدًا.

فإذا كان هذا الفرق ثابتًا في كلام المخلوق، مسموعًا، ومبلَّغًا عنه، فثبوته في كلام الله أولى وأحرى، فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يمكن أن يكون تكلمه به، وسماعه مما يعرف له نظير ولا مثال، ولا يقاس ذلك بتكلم النبي ﷺ وسماع الكلام منه؛ فإن النبي ﷺ بشر يمكننا أن نعرف صفاته، والرب تعالى لا مثال له، وهو أبعد عن مماثلة المخلوقات، أعظم من بعد مماثلة أعظم المخلوقات عن مماثلة أدناها.

التفريق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء

وقول السائل: إذا تلوناه وقام بنا يطلق عليه كلام الله وصفته، أم يطلق عليه كلام الله دون صفته، أم في ذلك تفصيل يجب بيانه؟

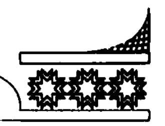
فيقال: هو كلام الله وصفته مسموعًا من المبلِّغ عنه لا منهن فالنفي والإثبات بدون هذا التفصيل يوهم: إما أنه كلام الله مسموعًا منه، أو أنه ليس كلام الله، بل كلام المبلغ عنه، وكلا القولين خطأ وقع في كلام طائفتين من الناس.

١- طائفة جعلت هذا كلام المبلِّغ عنه لا كلام الله.

٢- وطائفة قالت: هذا كلام الله مسموعًا من الله. ولم تفرق بين الحالين، حتى ادعى بعضها أن الصوت المسموع قديم[1]، وتلك لم تجعله كلام الله، بل كلام الناس. فهؤلاء يقولون: ليس هذا كلام الله. وأولئك يقولون: هذا الصوت المسموع قديم. وكلا القولين خطأ وضلال، لكن هو كلامه مقيدًا بواسطة المبلغ القارئ، ليس هو كلامه وصفته مطلقًا عن التقييد مسموعا منه، وكلام المتكلم يضاف إليه مطلقًا إذا سمع منه، ومقيدًا إذا سمع من المبلِّغ عنه، كما أن رؤيته يقال: مطلقة إذا رئي مباشرة، ويقال: مقيدة إذا رئي في ماء أو مرآة.

---

(١) أي: غير مخلوق.



إشكال وجوابه

وأما قوله: إذا قام بنا هل كان منتقلًا عن الله بعد أن قام به، أم يكون قائمًا بنا وبه معًا، أم الذي قام بنا يكون عبارة عن كلام الله، أو حكاية عنه، ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازًا؟

فيقال: إن صفة المخلوق لا تفارق ذاته، وتنتقل عنه، وتقوم بغيره، فكيف يجوز أن يقال: إن صفة الرب سبحانه فارقت ذاته، وانتقلت عنه، وقامت بغيره؟ وقد بينا أن المتكلم منا إذا أرسل غيره بكلام فإنه ما قام به، بل لم يفارق ذاته وينتقل إلى غيره، فكلام الله أولى وأحرى، بل كلامه سبحانه قائم به، كما يقوم به لو تكلم به ولم يرسل به رسولًا، فإرساله رسولًا به يفيد إبلاغه إلى الخلق، وإنزاله إليهم لا يوجب نقصًا في حق الرب، ولا زوال اتصافه به، ولا خروجه عن أن يكون كلامه، بل نعلم أن الرب كما أنه قد يتكلم به ولا يرسل به رسولًا، قد يتكلم به ويرسل به رسولًا، فهو في الحالين كلامه سبحانه، بل إرسال الرسول به نفع الخلق وهداهم، ولم يجب به نقصان صفة مولاهم.

وقوله: أم يكون قائما بنا وبه؟ فيقال: معنى: القائم لفظ مجمل، فإن أريد أن نفس الكلام من حيث هو هو تكلم هو به وتكلمنا به مبلغين له عنه، فكذلك هو. وإن أريد أن ما اختص به يقوم بنا، أو ما اختص بنا يقوم به، فهذا ممتنع.

وإن أريد بالقيام أنا بلغنا كلامه، أو قرأنا كلامه، أو تلونا كلامه فهذا صحيح. فكذلك إن أريد أن هذا الكلام كلامه مسموعًا من المبلِّغ لا منه.

وإن أريد بالقيام أن الشيء الذي اختص به هو بعينه قام بغيره مختصًّا به، فهذا ممتنع.

وإن قيل: الصفة الواحدة تقوم بموضعين. قيل: هذا أيضا مجمل، فإن أريد أن الشيء المختص بمحل يقوم بمحل آخر فهذا ممتنع، وإن أريد أن الكلام الذي يسمى صفة واحدة يقوم بالمتكلم به، ويبلغه عنه غيره، كان هذا صحيحًا.

وجوب التفصيل وترك الإجمال

فهذه المواضع يجب أن تفسر الألفاظ المجملة بالألفاظ المفسرة المبينة، وكل لفظ يحتمل حقًّا وباطلًا فلا يطلق إلا مبينًا به المراد الحق دون الباطل، فقد قيل: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وكثير من نزاع الناس في هذا الباب هو من جهة الألفاظ المجملة، التي يفهم منها هذا معنى يثبته، ويفهم منها الآخر معنى ينفيه.

ثم النفاة يجمعون بين حق وباطل، والمثبتة يجمعون بين حق وباطل.

وأما قوله: أم الذي يقوم بنا يكون عبارة عن كلام الله، أو حكاية عنه[1] ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازًا؟

فيقال: العبارة عن كلام الغيب يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه غيره، كما يعبر عما في نفس الأخرس، من فهم مراده، والذين قالوا: القرآن عبارة عن كلام الله. قصدوا هذا، وهذا باطل، بل القرآن العربي تكلم الله به، وجبريل بلغه عنه.

وأما «الحكاية» فيراد بها ما يماثل الشيء، كما يقال: هذا يحاكي فلانًا: إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله. وهذا ممتنع في القرآن؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية. وقد يقال: فلان حكى فلان عنه. أي: بلغه عنه، ونقله عنه، ويجيء في الحديث: إن النبي ﷺ قال فيما يحكي عن ربه. ويقال: إن النبي ﷺ روى عن ربه، وحكى عن ربه. فإذا قيل: إنه حكى عن الله بمعنى أنه بلغ عن الله، فهذا صحيح.

وأما قول القائل: هل يكون كلام الله مجازًا؟ فيقال: علامة المجاز صحة نفيه، ونحن نعلم بالاضطرار أن فلانًا لو قال بحضرة الرسول: ليس هذا كلام الله. لكان عنده لم يكن متكلمًا بالحقيقة اللغوية. وأيضا: فهذا موجود في كل من بلغ كلام غيره، أنه يقال: هذا كلام المبلغ عنه، لا كلام المبلغ. والله أعلم. اهـ

(١) هذا قول الكلابية والأشعرية.

إجماع السلف على أنّ القرآن كلام الله حقيقة

* **وقال أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: القرآن كلام الله تعالى وليس كلام جبريل، ولا كلام محمد ﷺ، وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة المسلمين وأصحابهم، الذين يفتى بقولهم في الإسلام، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم[2]. وجبريل سمعه من الله، وسمعه محمد من جبريل، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾. وروح القدس هو جبريل، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، وقال تعالى: ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ١-٢]، فهو منزل من الله كما قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وأما قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ فإنه أضافه إليه؛ لأنه بلغه وأدَّاه، لا لكونه أَحْدَثَ منه شيئًا وابتدأه، فإنه سبحانه قال في إحدى الآيتين: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣] فالرسول هنا محمد ﷺ[3]، وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] فالرسول هنا جبريل[4]. والله يصطفي من

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٥٤).

(٢) انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز (١/ ٢٨٤ - ط الرسالة، الثالثة)، و«الفقه الأكبر» لأبي حنيفة، و«شرحه» لعلي القاري (ص/ ٤٨-٥٠).

(٣) ففي قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، ردٌّ لقولهم إنه كلام شاعر أو كاهن، وفي قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠]، ردٌّ لقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾ [الفرقان: ٤].

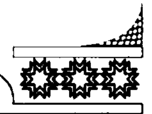
(٤) وفي هذا ردٌّ لقول المشركين: إنه من وحي الشياطين، كما في قوله تعالى بعدها: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٢-٢٦]، وقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١١].

الملائكة رسلًا، ومن الناس، فلو كانت إضافته إلى أحدهما لكونه أَلَّفَ النظمَ العربيَّ، وأحدَثَ منه شيئًا غير ذلك تناقض الكلام، فإنه إن كان نظم أحدهما لم يكن نظم الآخر، وأيضا فإنه قال: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ ولم يقل: لقول ملك، ولا نبي. ولفظ الرسول يشعر بأنه مبلغ له عن مرسله، لا أنه أنشأ من عنده شيئًا، وأيضًا فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] ضمير يعود إلى القرآن، والقرآن يتناول معانيه ولفظه، ومجموع هذا ليس قولًا لغير الله بإجماع المسلمين، وإطلاق القول بأن القرآن كلام جبريل، أو محمد، أو غيرهما من المخلوقين، كفر لم يقله أحد من أئمة المسلمين، بل عظَّم الله الإنكار على من يقول إنه قول البشر فقال تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: ١١-٢٧]، فمن قال: إن القرآن قول البشر. فقد كفر، وكذلك من قال: إنه قول مَلَكٍ. وإنما يقول: إنه قول جبريل أحد رجلين:

١- إما رجل من الملاحدة والفلاسفة، الذين يقولون: إنه فيض فاض على نفس النبي من العقل الفعال، ويقولون: إنه جبريل. ويقولون: إن جبريل هو الخيال الذي يتمثل في نفس النبي ﷺ. يقولون: إنه تلقاه معاني مجردةً ثم إنه تشكل في نفسه حروفًا كما يتشكل في نفس النائم، كما يقول ذلك ابن عربي صاحب «الفصوص» وغيره من الملاحدة؛ ولهذا يدّعي أنه يأخذ من المعدِن الذي يأخذ منه الملَك الذي يوحي به إلى الرسول ﷺ، فإن المعدن عنده هو العقل، والملَك هو الخيال الذي في نفسه، والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال.

وهذا الكلام من أظهر الكفر بإجماع المسلمين واليهود والنصارى، وهو مما يعلم فساده بالاضطرار من دين المسلمين.

٢- أو رجل ينتسب إلى مذهب الأشعري ويظن أن هذا قول الأشعري؛ بناء على أن الكلام العربي لم يتكلم الله به عنده، وإنما كلامه معنى واحد قائم بذات الرب، هو



الأمر والخبر، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا، وهذا القول وإن كان قول ابن كلاب والقلانسي والأشعري ونحوهم فلم يقولوا: إن الكلام العربي كلام جبريل. ومن حكى هذا عن الأشعري نفسه فهو مجازف، وإنما قال طائفة من المنتسبين إليه -كما قالت طائفة أخرى-: إنه نظم محمد ﷺ، ولكن المشهور عنه: أن الكلام العربي مخلوق، ولا يطلق عليه القول بأنه كلام الله، لكن إذا كان مخلوقًا، فقد يكون خلقه في الهواء أو في جسم، لكن القول إذا كان ضعيفًا ظهر الفساد في لوازمه.

وهذا القول أيضا لم يقله أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وأصحابهم الذين يفتى بقولهم، بل كان الشيخ أبو حامد الإسفراييني يقول: مذهبي، ومذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وسائر علماء الأمصار في القرآن مخالف لهذا القول، وكذلك أبو محمد الجويني -والد أبي المعالي- قال: مذهب الشافعي وأصحابه في الكلام ليس هو قول الأشعري. وعامة العقلاء يقولون: إن فساد هذا القول معلوم بالاضطرار، فإنا نعلم أن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن، ونعلم أن آية الكرسي ليست هي معنى آية الدين.

والله تعالى قد فرق في كتابه بين تكليمه لموسى، وإيحائه إلى غيره بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] ففرق بين التكليم الذي حصل لموسى، وبين الإيحاء المشترك وموسى سمع كلامَ الله من الله بلا واسطة، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٣-١٤].

والرسول إذا بلغه إلى الناس، وبلغه الناس عنه، كان مسموعًا سماعًا مقيدًا بواسطة المبلغ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فهو مسموع مبلغ عنه بواسطة المخلوق؛ بخلاف سماع موسى ﷺ، وإن كان العبد يسمع كلام الرسول من المبلغين عنه، فليس ذلك كالسماع منه، فأمر الله تعالى أعظم.

ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن القرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله تعالى، ولم يقل أحد منهم: إن أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم، مع اتفاقهم على أن المثبت بين لوحي المصحف كلام الله وقد قال النبي ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم**»(١).

فالكلام الذي يقرؤه المسلمون كلام الله، والأصوات التي يقرؤون بها أصواتهم. والله أعلم. اهـ

هل تكلم الله بالقرآن بحرف وصوت

❁ **قال المصنف** في «التسعينية»(٢): وقلت في جواب «الفتيا الدمشقية» وقد سئلت فيها عن رجل حلف بالطلاق الثلاث أن القرآن حرف وصوت، وأن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ على ما يفيده الظاهر ويفهمه الناس من ظاهره، هل يحنث هذا أم لا؟ فقلت في الجواب: إن كان مقصود هذا الحالف أن أصوات العباد بالقرآن والمداد الذي يكتب به حروف القرآن قديمة أزلية، فقد حنث في يمينه، وما علمتُ أحدًا من الناس يقول ذلك، وإن كان قد يُكره تجريد الكلام في المداد الذي في المصحف وفي صوت العبد؛ لئلا يتذرع بذلك إلى القول بخلق القرآن(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٤٩٤)، وأبو داود (١٤٦٨)، والدارمي (٣٥٠١)، والنسائي (٢/ ١٧٩)، وابن ماجة (٩٩٧)، والحاكم (١/ ٥٧١-٥٧٥)، والطيالسي (١٠٠)، والبيهقي (٢/ ٥٣)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (٧٩-٨٠)، وعلقه في «صحيحه» (١٣/ ٤٤٤ فتح) جازمًا به. من حديث البراء بن عازب بسند صحيح، وصححه ابن خزيمة (١٥٥٦)، وابن حبان (٧٤٩).

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٩-ط: عطا).

(٣) أي: يكره التفصيل في ذلك، كرهه الإمام أحمد وغيره، وهي المسألة التي ابتلي بها الإمام البخاري وهجر بسببها. انظر تفصيل ذلك وتحقيقه في «اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم.

ومن الناس من تكلم في صوت العبد، وإن كنا نعلم أن الذي نقرؤه هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، وأن الذي بين اللوحين هو كلام الله حقيقة، ولكن ما علمت أحدًا حكم على مجموع المداد المكتوب به، وصوت العبد بالقرآن بأنه قديم، ولكن الذين في قلوبهم زيغ من أهل الأهواء لا يفهمون من كلام الله، وكلام رسوله، وكلام السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان في باب صفات الله تعالى إلا المعاني التي تليق بالخلق لا بالخالق، ثم يريدون تحريف الكلم عن مواضعه، في كلام الله وكلام رسوله، إذا وجدوا ذلك فيهما، وإن وجدوه في كلام التابعين للسلف افتروا الكذب عليهم، ونقلوا عنهم بحسب الفهم الباطل الذي فهموه، أو زادوا عليهم في الألفاظ أو غيروها قدرًا ووصفًا، كما نسمع من ألسنتهم ونرى في كتبهم، ثم بعض من يحسن الظن بهؤلاء النقلة قد يحكي هذا المذهب عمن حكوه عنهم، ويذم، ويحنِّث مع من لا وجود له، وذمه واقع على موصوف غير موجود، نظير ما وصف الله تعالى عن رسوله ﷺ حيث قال: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش؟ يشتمون مذممًا وأنا محمد** ﷺ؟»[1]. وهذا نظير ما تحكي الرافضة عن أهل السنة من أهل الحديث والفقه والعبادة والمعرفة: أنهم ناصبة، وتحكي القدرية عنهم: أنهم مجبرة، وتحكي الجهمية عنهم: أنهم مشبهة، ويحكى من خالف الحديث ونابذ أهله عنهم: أنهم نابتة، وحشْوية، وغثا، وغثر، إلى غير ذلك من الأسماء المكذوبة. ومن تأمل كتب المتكلمين الذين يخالفون هذا القول وجدهم لا يبحثون في الغالب، أو في الجميع إلا مع هذا القول[2] الذي ما علمنا لقائله وجودًا.

وإن كان مقصود الحالف أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ هو هذه المائة والأربع عشرة سورة حروفها ومعانيها، وأن القرآن ليس هو الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، بل هو مجموع الحروف والمعاني، وأن تلاوتنا للحروف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أي: إنّ المداد والمصحف وصوت القاري بالقرآن قديم غير مخلوق.

وتصورنا للمعاني لا يخرِج المعاني، والحروف عن أن تكون موجودة قبل وجودنا، فهذا مذهب المسلمين، ولا حنث عليه.

وكذلك إن كان مقصوده أن هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم هو كلام الله سبحانه حقيقةً لا مجازًا، وأنه لا يجوز نفي كونه كلام الله؛ إذ الكلام يضاف حقيقة لمن قاله متصفًا به مبتدئًا، وإن كان قد قاله غيره مبلِّغًا مؤديًا، وهو كلامٌ لمن اتصف به مبتدِئًا لا لمن بلّغه مرويًّا، فإنا باضطرارٍ نعلم من دين رسول الله ﷺ ودين سلف الأمة أن قائلًا لو قال: إن هذه الحروف- حروف القرآن- ما هي من القرآن، وإنما القرآن اسم لمجرد المعاني، لأنكروا ذلك عليه غاية الإنكار، وكان عندهم بمنزلة من يقول: إن جسد رسول الله ﷺ ما هو داخل في اسم رسول الله ﷺ، وإنما هو اسم للروح دون الجسد، أو يقول: إن الصلاة ليست اسمًا لحركات القلب والبدن، وإنما هي اسم لأعمال القلب فقط. ولذلك ذكر الشهرستاني[١]، وهو من أخبر الناس بالملل والنحل والمقالات في «نهاية الأقدام» أن القول بحدوث حروف القرآن قول محدث، وأن مذهب سلف الأمة نفي الخلق عنها، وهو من أعيان الطائفة[٢] القائلة بحدوثها[٣].

ولا يحسب اللبيب أن في العقل وفي السمع ما يخالف ذلك[٤]، بل من تبحر في المعقولات ووقف على أسرارها علم قطعا أن ليس في العقل الصريح الذي لا يكذب قط ما يخالف مذهب السلف وأهل الحديث، بل يخالف ما قد يتوهمه المنازعون لهم بظلمة قلوبهم وأهواء نفوسهم، أو ما قد يفترونه عليهم؛ لعدم التقوى، وقلة الدين.

---

(١) الشيخ العلامة أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشافعي الأشعري، ت سنة ٥٤٨هـ.

(٢) يعني: الأشعرية.

(٣) أي: حدوث وخلق حروف القرآن وكلماته؛ لأنهم يعتقدون أن القرآن الذي بين أيدينا مخلوق؛ لأنه حكاية، أو عبارة عمّا في نفس الله تعالى.

(٤) أي: أنها غير مخلوقة.

ولو فرض على سبيل التقدير أن العقل الصريح الذي لا يكذب يناقض بعض الأخبار للزم أحد الأمرين إما تكذيب الناقل، أو تأويل المنقول. لكن -ولله الحمد- هذا لم يقع، ولا ينبغي أن يقع قط، فإن حفظ الله تعالى لما أنزله من الكتاب والحكمة يأبى ذلك.

نعم يوجد مثل هذا في أحاديث وضعتها الزنادقة؛ ليشينوا بها أهل الحديث، كحديث عرق الخيل، والجمل الأورق، وغير ذلك مما يعلم العلماء بالحديث أنه كذب[1].

ومما يوضح هذا ما قد استفاض عن علماء الإسلام -مثل: الشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والحميدي، وغيرهم- من إنكارهم على من زعم أن لفظ القرآن مخلوق، والآثار بذلك مشهورة في كتاب ابن أبي حاتم، وكتاب اللالكائي تلميذ أبي حامد الإسفراييني، وكتاب الطبراني، وكتاب شيخ الإسلام[2]، وغيرهم ممن يطول ذكره، وليس هذا موضع التقرير بالأدلة والأسئلة والأجوبة.

وكذلك إن كان مقصود الحالف بذكر الصوت التصديق بالآثار عن النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم، التي وافقت القرآن، وتلقاها السلف بالقبول، مثل ما أخرج البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى**

---

(١) انظر «اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١/ ٣)، للسيوطي، و«تنزيه الشريعة» لابن عراق (١/ ١٣٤، ١٣٨).

قال شيخ الإسلام في «درء التعارض» (١/ ١٤٩): حديث عرق الخيل الذي يقال في متنه إنه خلق خيلاً فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق، تعالى عن فرية المفترين، وإلحاد الملحدين، وكذلك حديث نزوله عشية عرفة إلى الموقف على جمل أورق، ومصافحته للركبان، ومعانقته للمشاة وأمثال ذلك، هي أحاديث مكذوبة موضوعة باتفاق أهل العلم، فلا يجوز لأحد أن يدخل هذا وأمثاله في الأدلة الشرعية. اهـ

وانظر: «تذكرة الموضوعات» للفتني. (ص/ ٢-١٣)، و«الموضوعات» للقاري (ص/ ٤٤)، و«كشف الخفا» للعجلوني (ص/ ٤٣٦)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص/ ٤٧).

(٢) شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي الحنبلي، ت سنة ٤٨١هـ صاحب كتاب «منازل السائرين» الذي شرحه ابن القيم في «مدارج السالكين»، وكتابه الذي أشار إليه الشيخ هنا هو «الفاروق في الصفات» ينقل عنه الذهبي في «العلو» كثيرًا.

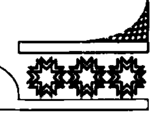
النار»[١]. وما استشهد به البخاري أيضا في هذا الباب من أن الله ينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب. ومثل: «**إن الله إذا تكلم بالوحي القرآن أو غيره سمع أهل السموات صوته**»[٢]، وفي قول ابن عباس: سمعوا صوت الجبار، وأن الله كلم موسى بصوت، إلى غير ذلك من الآثار التي قالها إما ذاكرًا، وإما آثرًا[٣]، مثل عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة، وعبد الله بن أنيس، وجابر بن عبد الله، ومسروق -أحد أعيان كبار التابعين- وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام -أحد الفقهاء السبعة- وعكرمة مولى ابن عباس، والزهري، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، ومن لا يحصى كثرةً، ولا يُنقل عن أحد من علماء الإسلام قبل المائة الثانية أنه أنكر ذلك ولا قال خلافه، بل كانت الآثار مشهورة بينهم، متداولة في كل عصر ومصر، بل أنكر ذلك شخص في زمن الإمام أحمد، وهو أول الأزمنة التي نبغت فيها البدع بإنكار ذلك على الخصوص، وإلا فقبله قد نبغ من أنكر ذلك وغيره، فهجر أهل الإسلام من أنكر ذلك وصار بين المسلمين كالجمل الأجرب، فإن أراد الحالف ما هو المنقول عن السلف نقلًا صحيحًا فلا حنث عليه. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) كل هذه الأحاديث ذكرها البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه»، قال رحمه الله: باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ ولم يقل: ماذا خلق ربكم؟ وقال ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا، فإذا فزِّع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق، ونادوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق. ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الديان**» حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ، قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير**» اهـ ثم ذكر أحاديث منها حديث أبي سعيد المتقدم.

(٣) أي: قالها البخاري في كتاب التوحيد من «صحيحه» إما ذاكرًا لها تعليقًا، وإما آثرًا لها بإسناده الصحيح، وكذا في كتابه «خلق أفعال العباد والرد على الجهمية».



إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبًا لِلهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.



الشرح

❁ ابن باز: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر، وهكذا قوله جل وعلا: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾، وقوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الزيادة هي النظر إلى وجهه جل وعلا، فهذه كلها حق، فهو سبحانه ينظر إلى عباده وينظرون إليه يوم القيامة في الجنة، كل هذا حق، وهذا الباب في كتاب الله كثير، وهكذا في السنة الصحيحة من تدبر الكتاب، وتدبر السنة وجد ذلك واضحًا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في إثبات الصفات كلها لله ﷻ، فيجب إثباتها لله على الوجه اللائق بالله ﷻ، وإمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، هذا الباب واحد عند أهل السنة والجماعة، إثبات أنها حق ومعناها حق، وهي حق، ولكن لا يعلم كيفيتها إلا هو ﷻ، مع العلم والإيمان بأنها لا تشابه صفات المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، كما أن ذاته جل وعلا لا تشابه ذواتهم، فهكذا صفاته لا تشابه صفاتهم، وأسماؤه وصفاته كلها حق، يجب إثباتها لله على الوجه اللائق به ﷻ، كما قال الإمام مالك، وسفيان الثوري، وابن عيينة، والإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والإمام الشافعين وغيرهم من أئمة الإسلام. اهـ

* **الهراس**: هذه الآيات تثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ يوم القيامة في الجنة، وقد نفاها المعتزلة؛ بناء على نفيهم الجهة عن الله؛ لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في الرؤية، فالرؤية كذلك مستحيلة.

واحتجوا من النقل بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله لموسى ﷺ حين سأله الرؤية: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأما الأشاعرة فهم مع نفيهم الجهة كالمعتزلة، يثبتون الرؤية؛ ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية، فمنهم من قال: يرونه من جميع الجهات، ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة الانكشاف والتجلي، حتى كأنها رؤية عين[١].

وهذه الآيات التي أوردها المؤلف حجة على المعتزلة في نفيهم الرؤية؛ فإن الآية الأولى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ عدي النظر فيها بـ(إلى)، فيكون بمعنى الإبصار، يقال: نظرت إليه وأبصرته بمعنى، ومتعلق النظر هو الرب جل شأنه.

وأما ما يتكلفه المعتزلة من جعلهم ﴿نَاظِرَةٌ﴾ بمعنى منتظرة، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى النعمة، والتقدير: ثواب ربها منتظرة، فهو تأويل مضحك[٢]. اهـ

---

(١) وخالفوا في ذلك الإمام الذي يزعمون الاقتداء به، وهو الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله، حيث حكى إجماع السلف في رسالته إلى أهل الثغر (ص/ ٢٣٧) حيث قال: وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم... اهـ ثم أورد الأدلة التي استدل بها علماؤنا هنا.

(٢) قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم» في باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، من كتاب الإيمان، قال: اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضًا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع -المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة- أنَّ الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأنَّ رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من
=

قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

❁ **آل الشيخ**: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد، من النضارة وهي الحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من النظر، وهو المعاينة، يراه المؤمنون في الجنة، ولا يحيطون به رؤية؛ لعظمته وجلاله، كما أنه يعلم ولا يحاط به علمًا، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] معناه لا تحيط به، ونفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم، ففيه إثبات صفة النظر إلى الله تعالى عيانًا بالأبصار، وهو أعظم لذة في الجنة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ يقول: حسنة جميلةٌ من النعيم، يقال من ذلك: نَضُرَ وجهُ فلان: إذا حَسُنَ من النعمة. ونضَّر اللهُ وجهه: إذا حسَّنه كذلك. وساق بسنده عن الحسن في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضُرَ وهي

=

عشرين صحابيًّا عن رسول الله ﷺ، وآيات القرآن فيها مشهورة، واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مشهورة في كتب المتكلمين من أهل السنة، وكذلك باقي شبههم، وهي مستقصاة في كتب الكلام، وليس بنا ضرورة إلى ذكرها هنا.

وأما رؤية الله تعالى في الدنيا، فقد قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا. اهـ

تنبيه: روى ابن جرير بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنتظر الثواب من ربها، وتمسك بهذا التأويل المعتزلة، وهو لا دليل فيه لهم؛ لأنه مجمل غير ناف للرؤية، مع ما فيه من مخالفة إجماع السلف من قبله. قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥٧): قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وأقاويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور، والذي عليه جماعتهم ما ثبت في ذلك عن نبيهم ﷺ، وليس من العلماء أحد، إلا وهو يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله ﷺ. اهـ

وقال الحافظ ابن منده رَحِمَهُ اللهُ في «الرد على الجهمية» (ص/ ١٠١) في تفسير هذه الآية: أجمع أهل التأويل، كابن عباس وغيره من الصحابة، ومن التابعين أنّ معناه: إلى وجه ربها ناظرة، ومن روي عنه أن معناه: أنها تنتظر الثواب. فقول شاذ لا يثبت. اهـ

تنظر إلى الخالق. وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة» قال: «و إنَّ أفضلهم منزلة لمن ينظرُ في وجه الله كلَّ يومٍ مرَّتين» قال: ثمَّ تلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: بالبياض والصفاء، قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «تنظر كلَّ يومٍ في وجه الله»[(١)].

وقال ابن كثير: وقد ثبتت رؤية المؤمن لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة في الصحيحين: أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تُضارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فإنَّكم ترون ربكم كذلك»[(٢)]. وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنَّتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله ﷻ إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(٣)]. اهـ

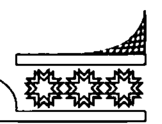


---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٣)، وأبو يعلى (٥٧٢٩)، وابن جرير (٢٩/ ١٩٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٤)، والحاكم (٣٨٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٧) من طريق ثوير بن أبي فاختة، عن ابن عمر مرفوعا. ولفظه كما في المسند: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يَرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر في أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين». قال الحاكم: هذا حديث مفسر في الرد على المبتدعة، وثوير بن أبي فاختة، وإن لم يخرجاه، فلم ينقم عليه غير التشيع. اهـ وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠٤) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٥٠) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر والآجري في «الشريعة» والدارقطني في «الرؤية» وابن مردويه واللالكائي في «السنة»، والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد. وأخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠).



قوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥].

❁ **آل الشيخ**: الأرائك: جمع أريكة، يعني في مجالسهم ينظرون إلى ربهم -من النظر، وهو المعاينة- فلا نعيم ينظر إليه، ولا سماع ألذّ من سماع كلامه ونظره تعالى، كما جاء في الحديث: «**اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك**»(١)، كما أنهم كانت أعظم لذتهم في الدنيا سماع كلامه(٢)، وكما رأته عين بصائرهم في الدنيا(٣) حتى كأنهم يرونه على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل، والكفار ما رأته عين بصائرهم في الدنيا، فكذلك في الآخرة لا تراه أعين أبصارهم، فأهل الشقاء في جحيم الدنيا قبل جحيم الآخرة، وأهل الإيمان في جنة في الدنيا وفي الآخرة. اهـ

❁ **الهراس**: وأما الآية الثانية ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ فتفيد أن أهل الجنة، وهم على أرائكهم- يعني: أسرتهم، جمع أريكة- ينظرون إلى ربهم. اهـ

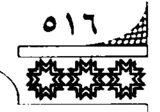
---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٢٢٨)، و«الصغرى» (١٣٠٤)، من حديث عمار بن ياسر. وصححه ابن حبان (١٩٧١)، والحاكم (١٩٠٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) يعني: القرآن العظيم.

(٣) يعني: العلم بصفاته وتحققها، واليقين بها بلا ريب ولا شك، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة المتقدم ذكره: «**فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...**» الحديث. قال النووي في شرحه: المراد بالصورة هنا الصفة، ومعناه: فيتجلى الله ﷻ لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها، وإنما عرفوه بصفته وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له ﷻ. اهـ

قلت: وفي رواية لمسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا: أتاهم رب العالمين في أدنى صورة التي رأوه فيها...، وفيه «**ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم...**» الحديث، فيدل أن هناك رؤية سابقة، فالظاهر أنها رؤية اللقاء الأول يوم يقوم الناس لرب العالمين كما سيأتي في مبحث «هل يرى الكفار الله تعالى».



* **ابن مبارك:** قال ابن جرير: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ على السُّرُر في الحجال[1] من اللؤلؤ والياقوت، ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة، والنعيم، والحبور في الجنات.

وقال على قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله في الدنيا ﴿مِنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فيها ﴿يَضْحَكُونَ﴾، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ يقول: على سررهم التي في الحجال ينظرون إليهم وهم في الجنة، والكفار في النار يُعذَّبون.

وقال في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي: محجوبون عن رؤيته وعن كرامته.

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: يوم القيامة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضلٌ عميم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي: السرر تحت الحجال، ﴿يَنظُرُونَ﴾، قيل: معناه: ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبيد، وقيل: معناه ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ إلى الله، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله ﷻ وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: **«إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله ﷻ في اليوم مرتين»**[2].

وقال أيضًا: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ أي: في مقابل ما ضحك بهم أولئك ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: إلى الله ﷻ، في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون،

---

(١) الحجال -بكسر الحاء- جمع حَجَلَة، محركة، قال في «القاموس»: كالقبة، وموضع يزيَّن بالثياب والستور للعروس، جمعه حَجَل، وحجال. اهـ

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

ليسوا بضالين، بل هم من أولياء الله المقربين، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته(١). اهـ

❁ **السعدي**: ومن أصول أهل السنة والجماعة الثابتة: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في دار القرار، والتنعم برؤيته وقربه ورضاه، ويدل على ذلك من الآيات التي ذكرها المصنف قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: جميلة ناعمة حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وهذا صريح في نظرهم إلى ربهم، وكذلك قوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ أي: إلى ما أعطاهم من النعيم الذي أجله وأعظمه النظر إلى ربهم. وكذلك قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي: وفّوا مقام الإحسان، لهم ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي هي الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ وهي النظر إلى وجه الله الكريم. وكذلك قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ اهـ.

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

❁ **آل الشيخ**: الزيادة: هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى. اهـ

❁ **ابن مبارك**: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله ﷻ، وهذا قول أبي بكر الصديق وغيره من السلف والخلف(٢).

---

(١) قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية» (١/ ٣٠٦ ط الرسالة، الثالثة): وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السُخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا. اهـ ورواه عنه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤١٩).

(٢) عن صهيب الرومي، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾. أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢، ٣١٠٥)، وابن ماجة (١٨٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، والطيالسي (١٣١٥)، والطبري (١٧٦٢٦)، وصح عن أبي بكر الصديق أنه قرئت عنده آية: ﴿لِّلَّذِينَ

=

قال ابن جرير: إن الله تبارك وتعالى وعد المحسنين من عباده على إحسانهم ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ أن يجزيهم على طاعتهم إياه الجنَّة، وأن يبيِّض وجوههم، ووعدهم مع ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ الزيادة عليها، ومن الزيادة على إدخالهم الجنة أن يكرمهم بالنظر إليه، وأن يعطيهم غُرفًا من لآلئ، وأن يزيدهم غفرانًا ورضوانًا، كل ذلك من زيادات عطاءِ الله إياهم على الحسنى التي جعلها الله لأهل جناته. اهـ

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

❁ **آل الشيخ**: المزيد: هو النظر إلى وجه الله تعالى، ومن قال: إن الزيادة على حسب الأعمال فلا منافاة بينهما؛ لأن أعلى المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى.

ففي هذه النصوص الأربعة إثبات الرؤية، فدل على أن المؤمنين يرونه في الجنة، ويرونه في عرصات القيامة كما يشاء الله. اهـ

وأما الآيتان الأخيرتان فقد صح عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ، ويشهد لذلك أيضا قوله تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فدل حجب هؤلاء على أن أولياءه يرونه.

=

أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ النظر إلى وجه ربنا ﷻ. أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٦٤)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٣، ٤٥٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٣)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٢٢٧)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٩، ٥٩٠)، واللالكائي في «أصول السنة» (٧٨٤)، والدارقطني في «الرؤية» (ص/ ٢٨٩، ٢٩٣) بأسانيد صحيحة.

وعن حذيفة بن اليمان في هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه الله ﷻ. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٩٥٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٦)، والدارمي في «الرد على المريسي» (٢٣١)، وابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٦٤)، والدارقطني في «الرؤية» (ص٢٠٢-٢٠٦) بسند صحيح.

والآثار عن السلف في ذلك كثيرة تنظر في كتب التفسير بالمأثور وكتب السنة، وقد بسط القول فيها العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».

وأحاديث الرؤية متواترة في هذا المعنى عند أهل العلم بالحديث، لا ينكرها إلا ملحد زنديق. اهـ

* **ابن مبارك**: قال ابن جرير: وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يقول: لهؤلاء المتقين ما يُريدون في هذه الجنة التي أُزلفت لهم من كل ما تشتهيه نفوسهم وتلذُّه أعينهم، وقوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ يقول: وعندنا لهم على ما أعطيناهم من هذه الكرامة التي وصف جلَّ ثناؤه صفتها مزيدٌ يزيدهم إيَّاه، وقيل: إن ذلك المزيد النظر إلى الله جل ثناؤه.

ذكرُ من قال ذلك: حدثنا أحمد بن سهيل الواسطي قال: حدثنا قرة بن عيسى قال: حدثنا النضر بن عربي، عن جده، عن أنس: إن الله ﷻ إذا أسكن أهلَ الجنةِ الجنة وأهلَ النارِ النارَ، هبط إلى مرج من الجنة أفيح، فمدَّ بينه وبين خلقه حُجُبًا من لؤلؤ، وحُجُبًا من نور، ثم وضعت منابر النور، وسُرُر النور، وكراسي النور، ثم أُذِن لرجلٍ على الله ﷻ... إلى أن قال: ثم ناداهم الرب ﷻ من وراء الحُجُب: مرحبًا بعبادي وزوّاري وجيراني ووفدي، أكلوا وشربوا وفكهوا وكُسُوا وطيبوا، وعزَّتي لأتجليَنَّ لهم حتى ينظروا إليّ، فذلك انتهاء العطاء وفضل المزيد. قال: فتجلَّى لهم الرب ﷻ ثم قال: «السلام عليكم عبادي، انظروا إليَّ فقد رضيت عنكم» الحديث[1].

وقال البغوي: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم، فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾، يعني: الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم[2]. اهـ

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير هذه الآية (٢١/ ٤٥٤-٤٥٥، ط: هجر) عن أنس موقوفًا، وأخرجه الحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (١٥٢٣) وعنه الآجري في «التصديق بالنظر» (٥٠) عن جابر بن عبد الله موقوفًا.

(٢) يعني: الأثرين المخرجين في التعليق السابق.

❁ **ابن مانع**: قال ابن رجب في شرح حديث جبريل: وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى في الجنة. قال: وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حالة عبادته، فكان جزاؤه ذلك النظر إلى وجه الله عيانًا في الآخرة. اهـ

الرد على شبهة المعتزلة في نفي الرؤية

❁ **الهراس**: وأما ما احتج به المعتزلة من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ فلا حجة لهم فيه؛ لأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية، فالمراد أن الأبصار تراه، ولكن لا تحيط به رؤية، كما أن العقول تعلمه ولكن لا تحيط به علمًا؛ لأن الإدراك هو الرؤية على جهة الإحاطة، فهو رؤية خاصة، ونفي الخاص لا يستلزم نفي مطلق الرؤية.

وكذلك استدلالهم على نفي الرؤية بقوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لا يصلح دليلا، بل الآية تدل على الرؤية من وجوه كثيرة[١]، منها:

١- وقوع السؤال من موسى، وهو رسول الله وكليمه، وهو أعلم بما يستحيل في حق الله من هؤلاء المعتزلة، فلو كانت الرؤية ممتنعة لما طلبها[٢].

٢- أن الله ﷻ علق الرؤية على استقرار الجبل حال التجلي، وهو ممكن، والمعلق على الممكن ممكن[٣].

---

(١) انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٠٧، ط: الرسالة، الثالثة).

(٢) فلا يظن بكليم الله -وهو أعلم بربه- أن يسأل ما لا يجوز عليه ﷻ، بل هو عند المعتزلة من أعظم المستحيل، ومع ذلك لم ينكر الله عليه سؤاله، بينما أنكر على نوح سؤاله نجاة ابنه فقال: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾، وهنا قال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾.

(٣) والله قادر سبحانه على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن لله تعالى، وقد علّق به الرؤية، والمعلق على الممكن ممكن إذا أراده الله تعالى.

٣- أن الله تجلى للجبل بالفعل، وهو جماد، فلا يمتنع إذا أن يتجلى لأهل محبته وأصفيائه[(١)].

وأما قولهم: إن ﴿لَن﴾، لتأبيد النفي، وإنها تدل على عدم وقوع الرؤية أصلا فهو كذب على اللغة فقد قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، فأخبر عن عدم تمنيهم للموت بـ﴿لَن﴾، ثم أخبر عن تمنيهم له وهم في النار[(٢)].

وإذًا فمعنى قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾: لن تستطيع رؤيتي في الدنيا؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته سبحانه، ولو كانت الرؤية ممتنعة لذاتها لقال: إني لا أرى، أو لا يجوز رؤيتي، أو لست بمرئي.. ونحو ذلك، والله أعلم. اهـ

---

(١) فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته، مع ما يعطيهم من القوى والفيوض الربانية؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت للرؤية في هذا الدار على صلابته فالبشر أضعف.

(٢) المنفي أن يتمنوه في الدنيا، وأكده بقوله: ﴿أَبَدًا﴾ ثم أثبت أنهم سيتمنونه في الآخرة، فتبين أن المراد بالنفي المؤبد ﴿أَبَدًا﴾ بقوله: إنما هو في الدنيا، فكيف بالنفي غير المؤبد ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، قال شارح الطحاوية (١/ ٣٠٨): وأما دعواهم تأبيد النفي بـ«لن»، وأنَّ ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾، فثبت أن «لن» لا تقتضي النفي المؤبد. قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله:

ومن رأى النفي بـ«لن» مؤبدًا ** فقوله اردد وخلافه اعضدا. اهـ

وقول ابن مالك هذا إنما هو في الألفية الكبرى «الكافية الشافية» (٣/ ١٥١٥، ط: أم القرى) وليس في الخلاصة، وقال في شرحه عليها (٢/ ١٠٤ ط: دار صادر)، ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفي بـ«لن»، وهو الزمخشري في «أنموذجه» وحامله على ذلك الاعتقاد أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقاد باطل، بصحة ذلك عن رسول الله ﷺ، أعني: ثبوت الرؤيا جعلنا الله من أهلها، وأعاذنا من عدم الإيمان بها. اهـ

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على تلبيس الرازي[١]: وهذا الرازي لما ذكر مسألة الرؤية في «نهايته»[٢] وذكر فيها حجج النفاة والمثبتة كان ما ذكره من حجج النفاة العقلية والسمعية أظهر مما ذكره من حجج المثبتة، وهذه عادته في كثير من مناظرته يحتج بالباطل من السفسطة وفروعها بما لا يحتج بمثله للحق. وقال في مسألة الرؤية بعد أن ذكر مسالكها العقلية فظهر من مجموع ما ذكرناه أن الأدلة العقلية ليست قوية في هذه المسألة. قال[٣]: واعلم أيضًا أنَّ التحقيق في هذه المسألة أن الخلاف فيها يقرب أن يكون لفظيًّا. وسنبينه إن شاء الله تعالى.

الوجه الثاني أن هذا الرجل قد اعترف هو ومن يوافقه أن الرؤية التي دل عليها الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة، بل الإدراك المنفي عن الله في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يدل على أن الله تعالى في الجهة، وذلك يقتضي دلالة الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة على شيئين: على رؤية الله تعالى، وعلى أنه في الجهة. وذكر اعتراف فضلاء المعتزلة بأن النبيين كانوا يعتقدون ذلك.

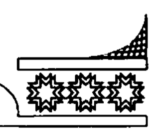
أما الأول: فإنه لما ذكر الحجج السمعية التي للمعتزلة على نفي الرؤية، قال: وهذه الشبه أربع:

الأولى، وهي الأقوى: التمسك بقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾.

قال[٤]: واعلم أن هذه الآية تارة يتمسكون بها على أنه تعالى لا يُرى بالأبصار في الدنيا ولا في الآخرة، وتارة على استحالة كوننا رائين له.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٢٠-ط: المجمع).
(٢) يعني: كتاب «نهاية العقول» للرازي.
(٣) أي: الرازي.
(٤) أي: الرازي.



أما الوجه الأول: فإنما يتم بإثبات أمور أربعة:

أحدها: أن إدراك البصر، هو الرؤية. قال: ويدل عليه أمران:

أحدهما: أنه لا فرق في اللغة بين أن يقال: رأيت فلانًا ببصري وبين أن يقال أدركته ببصري. كما لا فرق بين أن يقال: أدركته بأذني، وسمعته بأذني.

وثانيهما: أن أهل اللسان فهموا من هذه الآية نفي الرؤية، وذلك يدل على أن العرب يستعملون إدراك البصر بمعنى الرؤية، وروي عن عائشة لما بلغها أن كعبًا قال: إن محمدًا رأى ربه، أنكرت ذلك وقالت: ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣][١].

قال: وروي عن ابن عباس مثل ذلك[٢].

ثم قال في الجواب عن هذا: لا نسلم أن إدراك البصر عبارة عن نفس الرؤية، بيانه هو: أن الإدراك غير موضوع بالحقيقة للرؤية أصلًا، لكنه مستعمل في رؤية الشيء المحدود بطريق المجاز، ومتى كان كذلك لم يلزم من الآية هاهنا نفي الرؤية.

---

(١) أخرجه بمعناه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧) عن مسروق، عن عائشة أنها سألها عن ذلك فذكرت الحديث. قال النووي معلقًا على كلام عائشة ﵂: فأما احتجاج عائشة بقوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، فجوابه ظاهر، فإن الإدراك هو الإحاطة، والله تعالى لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة، وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لا حاجة إليها مع ما ذكرناه، فإنه في نهاية الحسن. اهـ

(٢) لم يصح نفي الرؤية عن ابن عباس كما سيأتي في كلام شيخ الإسلام قريبًا، بل الذي صح عنه إثباتها، وهو ما أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٦) في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ قال: رآه بفؤاده، وفي رواية: رآه بقلبه، وفي رواية للبخاري في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ رؤيا عين أريها ليلة أسري به.

وإنما قلنا: إن الإدراك غير موضوع للرؤية حقيقة؛ لأن لفظ الإدراك حقيقة في غير الرؤية، فوجب أن يكون حقيقة في الرؤية، وإنما قلنا: إن الإدراك غير حقيقة في الرؤية؛ لأنها حقيقة في اللحوق والبلوغ، سواء كان في المكان، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، أو في الزمان، كما يقال: أدرك قتادةُ الحسن. أو في صفة وحالة، كما يقال: أدرك الكلام، وأدركت الثمرة: إذا نضجت، وأيضًا فإنه يقال أدركت ببصري حرارة الليل، وإن كانت الحرارة لا ترى. فعلمنا أن الإدراك حقيقة في غير الرؤية، فوجب أن لا يكون حقيقة في الرؤية؛ لئلا يؤدي إلى الاشتراك الذي هو خلاف الأصل.

وإنما قلنا: إن الإدراك لا يستعمل مجازًا إلا في رؤية الشيء المتناهي لوجهين:

أحدهما: أنا لما أبصرنا الشيء المتناهي فكان البصر على بعده من ذلك المرئي يتناوله، ولم يتناوله غيره[١]، فجرى ذلك مجرى من قطع المسافة إلى شيء حتى بلغه ووصل إليه، فلما تُوُهِّم في هذا النوع من الإبصار معنى اللحوق سُمي إدراكًا، فأما إدراكنا للشيء الذي لا يكون في جهة أصلًا فإنه لا يتحقق فيه معنى البلوغ، فلا جرم لا يسمى إدراكًا.

الثاني: أن الاسم إنما يوضع لما يكون معلومًا للواضع، والعربُ ما كانوا يتصورون إلا رؤية الشيء المحدود.

أما عند الخصم فلأن الرؤية لا على هذا الوجه مستحيلة[٢].

---

(١) أي: غير البصر من القوى والحواس والآلات.

(٢) يعني: أنّ خصومه من المثبتين للرؤية على الحقيقة -وهم السلف- الرؤية للذات الإلهية ليست مستحيلة عندهم.

وأما عندنا فإنه، وإن أمكن ألا يكون كذلك(١)، لكنه ما كان معلومًا للعرب ولا متصورًا لهم(٢).

وإذا ثبت ذلك، ثبت أنهم لم يستعملوا الإدراك إلا لرؤية الشيء الذي في جهة. فثبت بما ذكرناه أن الإدراك لو أفاد الرؤية لأفاد رؤية الشيء المتناهي، وهذا هو المراد من قول قدماء الأصحاب: الإدراك هو الإحاطة بالمرئي. وإذا ثبت أن الإدراك لا يفيد إلا رؤية مخصوصة، لم يلزم من نفي الإدراك نفي مطلق الرؤية؛ لأنه لا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم.

وأما قوله(٣): العرب لا تفرق بين الرؤية وبين الإدراك.

قلنا: إن ادعيتم ذلك في مطلق الرؤية فهو ممنوع، ودليله ما مضى، وإن ادعيتم ذلك في رؤية مخصوصة(٤) فهو مسلَّم، ولا يضرنا قوله: أهل اللسان فهموا من هذه الآية نفي الرؤية، فدل على أن إدراك البصر هو الرؤية.

قلنا: وقد نُقِل أيضًا أن كثيرًا من السلف فهموا الرؤية من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] مع أن النظر عندكم ليس هو الرؤية، وكذلك هاهنا(٥).

---

(١) أي: ليست مستحيلة.

(٢) ما أكبر دعوى هذا الرجل أن يحيط بلغة العرب نفيًا!! ورحم الله الإمام أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي إذ يقول في كتاب «الرسالة» (ص/ ٤٢) (فقرة: ١٣٨): ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودًا فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عنه شيء... إلخ.

(٣) أي: النافي للرؤية مطلقًا من المعتزلة.

(٤) وهي الإحاطة.

(٥) انتهى كلام الرازي المنقول من «نهاية العقول».

قلت[1]: فقد أخبر أن العرب ما كانوا يتصورون إلا رؤية الشيء المحدود، وأن رؤية ما ليس في الجهة لم يكن معلومًا لهم، ولا متصورًا لهم، وإذا كان كذلك، وقد ثبت في النصوص المتواترة عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته»**[2]، وقال أيضًا: **«إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر صحوًا ليس دونه سحاب»**[3].

وثبت اتفاق سلف الأمة على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة، وقد أخبر أن العرب المخاطبين بهذا الكلام لم يكونوا يتصورون من ذلك إلا رؤية ما كان في الجهة، وأن ما سوى ذلك لم يكن معلومًا ولا متصورًا لهم من لفظ الرؤية.

ومع هذا فالنبي ﷺ وأهل الإجماع من الصحابة والتابعين أخبروا الخلق بأنهم يرون ربهم، ولم يقولوا برؤية في غير جهة، ولا ما يؤدي هذا المعنى، بل قال: كما ترون الشمس والقمر، فمثل رؤيته بالرؤية لما هو في جهة: علم بالاضطرار أن الرؤية التي تدل عليها نصوص الرسول، وإجماع السابقين، هي الرؤية التي كان الناس يعرفونها، وهي لما يكون في الجهة.

وهذا بيّن، وأيضًا فقد أخبر أن ما لا يكون في جهة تسمى رؤيته إدراكًا، وأن لفظ الإدراك إذا أريد به الرؤية فهي رؤية مخصوصة، وهي رؤية المتناهي الذي يكون في جهة، فأما الشيء الذي لا يكون في جهة فلا تسمى رؤيته إدراكًا، وإذا كان كذلك فيكون قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: متناهيًا لا تحيط به ولا تدركه، متناهيًا محدودًا.

وهذا الذي ذكره جيد، وإن كان لم يستوف حجته، فإن أئمة السلف بهذا فسروا الآية.

---

(١) هذا من كلام ابن تيمية.

(٢) تقدَّم تخريجه من الصحيحين.

(٣) تقدم تخريجه من الصحيحين.

وما ذكرتْه المعتزلة عن ابن عباس، أنه تأول الآية على نفي الرؤية كذب على ابن عباس، بل قد ثبت عنه بالتواتر أنه كان يثبت رؤية الله[١]، وفسر قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ بأنها لا تحيط، وضرب المثل بالسماء فقال ألست ترى السماء؟ فقال: بلى. فقال: أكلها ترى؟ فقال: لا. قال: فالله أعظم[٢].

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الله نفى إدراك الأبصار له، ولم ينف إدراكه هو لنفسه، ولم ينف مطلق الرؤية، فلو كان هو في نفسه بحيث تمتنع رؤيته مطلقًا -ليس الممتنعُ الإحاطةَ دون الرؤيةِ التي ليست بإحاطة- لم ينف هذا الخاصَّ، وهو الإدراك من الأبصار، دون إدراكه هو، ودون رؤية الأبصار؛ لأن نفي العام يستلزم نفي الخاص، ونفي الخاص لا يستلزم نفي العام، بل يقتضي جواز الخاص أو إبهامه[٣]؛ لأن المدح بنفي الخاص مع كونه منتفيًا لا يحسن، كما لا يحسن أن يقال: لا يقدر بنو آدم على إفناء جميعه، أو لا يقدرون على إفناء ذاته وصفاته، فإن هذا غير مقدور، لا لبني آدم، ولا لغيرهم، بل هو ممتنع في نفسه، وكذلك لا يقال: الآدميون لا يقدرون على إعدامه، أو إماتته، أو على سلب قدرته وعلمه، ونحو هذا؛ لأن هذه الأمور ممتنعة في نفسها، لا يختص بنو آدم بنفي الاقتدار عليها، بل تخصيصهم بذلك يوهم أنه هو يقدر على ذلك[٤].

وهذا كلام باطل؛ فإن هذا ليس بشيء أصلًا، حتى تكون رؤية الله عند النفاة هي من باب الممتنعات، مثل عدمه، وموته، وإحداثه، ونحو ذلك، ولو كان كذلك لم يحسن نفي هذا عن أبصار العباد، كما لا يحسن مدحه بأن العباد لا يعدمونه ولا يميتونه، بل تخصيصهم بنفي إدراك أبصارهم له يقتضي أنه هو يدرك نفسه.

﴿١﴾ روى عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٥٨٤) عن عطية عن ابن عباس ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ يعني: حسّنها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ نظرت إلى الخالق ﷻ.

﴿٢﴾ أخرجه بنحوه الترمذي (٣٢٧٩)، والآجري في «الشريعة» (٦٢٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي»، وفي «هداية الرواة» (٥٥٨٦).

﴿٣﴾ أي: السكوت عنه بلا نفي.

﴿٤﴾ وهذا ممتنع لا يدخل تحت القدرة أو في العجز.

لفظ الإدراك يقتضي الرؤية

وإذا كان كذلك فإن لفظ الإدراك يقتضي الرؤية الخاصة لمن يكون في جهة علم أن الآية دلت على أنه كذلك.

رد سفسطات المعتزلة

وأما ما ذكره[1] عن فضلاء المعتزلة فإنه أورد سؤال أبي الحسين البصري[2] وأتباعه، وهو أن موسى ﷺ يجوز أن يكون عالمًا باستحالة الرؤية.

وقال في الجواب: قوله: لِمَ لا يجوز أن يقال: إن موسى ﷺ كان جاهلًا باستحالة الرؤية عليه؟

قلنا: لوجوه ثلاثة:

الأول: الإجماع على أن علم الأنبياء بالله وصفاته أتم من علم غيرهم بذلك، فلا يشك أحد أن دعوى الإجماع في ذلك، أظهر من دعوى إجماع الصحابة على العمل بالقياس وأخبار الآحاد، فإذا صححنا هذه الأصول بالإجماع، فلأن يتمسك بالإجماع هاهنا أولى.

الثاني: أنَّ قبل ظهور أبي الحسين لم ينسب أحد من الأئمة موسى ﷺ إلى الجهل، بل الناس كانوا بين المعترف بصحة الرؤية وبين المنكر لها، متأولين لهذه الرؤية إما على سؤال رؤية الآية، أو على أنه ﷺ سأل الرؤية لقومه، وإذا كان كذلك كان أبو الحسين مسبوقًا بهذا الإجماع، فيكون سؤاله مردودًا.

---

(١) يعني: الرازي.

(٢) محمد بن علي بن الطيب، من شيوخ متأخري المعتزلة، توفي سنة ٤٣٦هـ، له كتاب «المعتمد في أصول الفقه» مطبوع، وكتاب «شرح الأصول الخمسة»، وكتاب «الإمامة» وغيرها.

الثالث: هو أن أبا الحسين يدعي العلم الضروري بأن المرئي يجب أن يكون مقابلًا للرائي، أو لآلة الرؤية، والعلم الضروري حاصل بأن ما كان مقابلًا للجسم فهو مختص بجهة وتحيز، فهذان العلمان الضروريان إن كانا حاصلين لموسى ﷺ، فيلزم من اعتقاد صحة رؤية الله اعتقاده لكونه جسمًا متحيزًا.

قال: وذلك ما لا يجوز بالاتفاق على الأنبياء عليهم السلام؛ لأن تجويزه يمنع من العلم بحكمته عند أبي الحسين، وإذا لم يحصل عنده العلمان الضروريان، كان ذلك قادحًا في كونه عليه الصلاة والسلام عاقلًا، وذلك لا يقوله عاقل فضلا عن المسلم.

إلزام الرازي والمعتزلة بأنّ موسى عليه السلام يثبت الجهة لله تعالى

قلت: فهذا الذي ذكره عن أبي الحسين وأتباعه، وهم فضلاء المعتزلة قد تضمن أن موسى ﷺ سأل الله أن يراه بالبصر، وهم يقولون: يعلم العاقل بالضرورة أن المرئي لا يكون إلا في جهة، ويعلم العاقل بالضرورة أنه لا يكون في الجهة إلا الجسم المتحيز، وذلك يقتضي أن موسى عندهم كان يعتقد أن الله في جهة وأنه جسم.

وأما قول: هذا بالاتفاق لا يجوز. أي بالاتفاق بينه وبين الشيخ أبي الحسين، لكن هذا الاتفاق ليس بحجة بالإجماع[1].

الوجه الثالث[2]: أن كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي أمر ثبت بالنصوص المتواترة، ففي الصحيحين وغيرهما الحديث المشهور عن الزهري قال: أخبرنا سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**فهل تمارون في رؤية القمر ليس دونه**

---

(١) لأنه إجماع بين متحاجين، وكلاهما على باطل.

(٢) هذا من كلام ابن تيمية، تتمة لوجوه سابقة.

سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» وذكر الحديث بطوله، قال أبو سعيد: أشهد لحفظته من رسول الله ﷺ[(١)].

وهكذا هو في الصحيحين من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد قال: قلنا يا رسول اله هل نرى ربنا؟ قال: «**هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحوًا؟**» قلنا: لا يا رسول الله. قال: «**فهل تضارون من رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحوًا؟**» قلنا: لا. قال: «**فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما**» وساق الحديث بطوله[(٢)].

وفي صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال ناس: يا رسول الله أنرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ليست في سحاب**» قالوا: لا. قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب**»؟ قالوا: لا. قال: «**والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**» وذكر الحديث بطوله[(٣)].

فهذا فيه مع إخباره أنهم يرونه إخبارهم أنه يرونه في جهة منهم، من وجوه:

أحدها: أن الرؤية في لغتهم لا تعرف إلا لرؤية ما يكون بجهة منهم، فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه، ولا يعرفونه، فضلًا عن أن يكون اللفظ يدل عليه، كما قد اعترف هو بذلك فيما تقدم.

وهو أيضًا، أنك لست تجد أحدًا من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة، فضلًا عن أن يتصور أنه يرى، فضلًا عن أن يكون اسم الرؤية المشهورة في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة.

---

(١) رواه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

الوجه الثاني: أنه قال: «**فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا، وكما ترون القمر صحوًا**» فشبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر، وليس ذلك تشبيهًا للمرئي بالمرئي، ومن المعلوم أنه إذا كانت رؤيته، مثلَ رؤية الشمس والقمر، وجب أن يرى في جهة من الرائي، كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك، فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة، نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة، أما بعد أن يستفسرهم عن رؤية الشمس صحوًا، ورؤية البدر صحوًا ويقول: «**إنكم ترون ربكم كذلك**» فهذا لا يمكن أن يُتأول على الرؤية التي يزعمونها، فإن هذا اللفظ لا يحتملها، لا حقيقة، ولا مجازًا.

الوجه الثالث: أنه قال «**هل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب، وهل تضارون في القمر ليس دونه سحاب**» فشبه رؤيته برؤية أظهر المرئيات، إذا لم يكن ثَمَّ حجاب منفصل عن الرائي، يحول بينه وبين المرئي، ومن يقول: إنه يرى في غير جهة، يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم؛ إذِ الحجاب لا يكون إلا لجسمٍ ولما يكون في جهة، وهم يقولون: الحجابُ عدمُ خلق الإدراك في العين. والنبي ﷺ مثّل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين إذا لم يكن دونها حجاب.

الوجه الرابع: أنه ﷺ أخبر أنهم لا يضارون في رؤيته. وفي حديث آخر: «**لا يضامون**». ونفي الضير والضيم إنما يكون لإمكان لحوقه للرائي، ومعلوم أن ما يسمونه رؤية -وهو رؤية ما ليس بجهة من الرائي، لا فوقه، ولا في شيء من جهاته- لا يتصور فيها ضير ولا ضيم، حتى ينفي ذلك، بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه، فإنه قد يلحقه فيه ضيم وضير، إما بالازدحام عليه، أو كَلال البصر[1]؛ لخفائه كالهلال، وإما لجلائه كالشمس والقمر.

ومثل هذا الحديث المشهور حديث قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر قال: «**إنكم سترون**

---

(١) كلال البصر -بفتح الكاف- ضعفه وإعياؤه. قال في «القاموس»: الكَلّ بالفتح: الإعياء، كالكَلال وكَلَّ البصر تَكِلُّ كِلَّة وكَلًّا، وكَلالة وكُلولة وكُلولًا. اهـ

ربكم عيانًا كما ترون هذا، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» وقرأ ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩] وهذا لفظ البخاري في بعض طرقه وفيه زيادة لفظ «عيانًا» وإلا فبقية ألفاظ الحديث مستفيضة في الصحيحين وغيرهما(١).

وفي الصحيحين من حديث يحيى بن سعيد، وحدثنا سعيد بن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون: لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم.** فذكر الحديث إلى أن قالوا: **ائتوا محمدًا عبدًا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت- أو خررت- ساجدًا لربي، فيدعني ما يشاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه الله، ثم أشفع فيحدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي ﷻ وقعت -أو خررت- ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع رأسك، قل يسمع، وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًّا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت- أو خررت- ساجدًا لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني»** فذكر الحديث(٢).

فكون الرائي -وهو النبي ﷺ- يراه والرائي في مكان، ولا يراه والرائي في مكان آخر، ويعود إلى ذلك المكان(٣)، دليل على أن المرئي يُرى والرائي في مكان ولا يرى إذا كان الرائي في مكان آخر، وهذا الاختصاص لا يكون إلا بما يكون بجهة من الرائي، بخلاف ما يسمونه رؤية، فإنها من جنس العلم اختصاص لها بكون الرائي في مكان

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٦، ٦٥٦٥، ٧٤١٠، ٧٤٤٠، ٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) يعني: أن النبي ﷺ لا يراه إلا في هذا المكان الذي يدخل عليه فيه، ولم يكن يراه في غير ذلك المكان، وهذا يثبت الجهة.

دون مكان[١].

وأيضًا ففي الصحيحين عن أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس -وهو ابن أبي موسى الأشعري- عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[٢].

فأخبر أنهم لا يمنعهم من النظر إلا ما على وجهه رداء الكبرياء.

ومن يقول: إنه يرى لا في جهة، عنده ليس المانع إلا كون الرؤية لم تخلق في عينه، لا يتصور عنده أن يحجب الرائي شيء منفصل عنه أصلًا، سواء فسر رداء الكبرياء بصفة من صفات الرب، أو بحجاب منفصل عن الرب، فعلى التقديرين لا يتصور عند هؤلاء أن يكون ذلك مانعًا من الرؤية، ولا يمنع من رؤية الله عندهم إلا ما يكون في نفس الرائي.

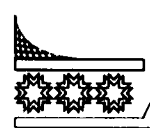
---

(١) قال النووي فيما دخل عليه من مذهب الأشعرية الباطل: الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه، ولا يشترط فيها اتصال الأشعة، ولا مقابلة المرئي، ولا غير ذلك، لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك على جهة الاتفاق، لا على سبيل الاشتراط، وقد مَرَّر أئمتنا المتكلمون ذلك بدلائله الجلية. ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة تعالى الله عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة. والله أعلم. اهـ

وهذا معنى الرؤية وحقيقته عندهم، وهو قول باطل، دخل على النووي- عفا الله عنه، ورحمه الله- قال تلميذه أبو الحسن بن العطار -لما تبصر بالسنة على يد شيخ الإسلام ابن تيمية-: لو أن شيخي محيي الدين النووي عرف ما عرفت من السنة لتقبله وقام به. أو كما قال.

وهذا ما كان من النووي رحمه الله، فقد رجع إلى مذهب السلف في أخطر قضية كلامية وهي مسألة الكلام والصوت والحرف، فقد ألَّف رسالة قبل موته بثلاثة أشهر عنوانها: «جزء فيه اعتقاد السلف في الحروف والأصوات» كتبه في الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٦٧٦هـ ووفاته كانت في الثالث والعشرين من رجب سنة ٦٧٦هـ قرر فيه رحمه الله مذهب السلف ورد على الأشاعرة وأهل الكلام بأوضح عبارة وأصرحها. وقد طبعت الرسالة بتحقيق أحمد بن علي الدمياطي لدى مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٧٧، ٤٨٨٠، ٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠).



وكذلك قوله: «في جنة عدن» سواء كانت ظرفًا له أو للرداء، فعلى التقديرين يخالف مذهب هؤلاء.

وأيضًا ففي «صحيح مسلم» عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة، نودوا يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، قال: فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويزحزحنا عن النار، ويدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئًا هو أحب إليهم ما هو فيه»** ثم قرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ لِّلَّذِينَ﴾[1] [يونس: ٢٦].

فأخبر أنه يكشف الحجاب، فينظرون إليه، ومن يقول: يُرى لا في جهة، لا يقول: إن بينه وبين الخلق حجابًا، ولا يتصور أن يحتجب عن الخلق، وأن يكشف الحجاب، وقد صرحوا بذلك كله، قالوا: لأن ذلك كله من صفة الجسم المتحيز. فإذا كان النبي ﷺ قد أخبر بذلك، عُلِم أنه يرى في الجهة، وليست الرؤية التي أخبر بها ما يزعمونه من الأمر الذي لا يعقل، ينافقون فيه أهل الإيمان[2].

وعن شعبة بن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن أبي رزين قال: قلت يا رسول الله، أنرى ربنا يوم القيامة قال: **«نعم»**، قال: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: **«أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر، وإنما هو خلق من خلق الله، الله أعظم وأجل»**.

وفي رواية حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع ابن حدس، عن عمه أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله كلنا نرى الله يوم القيامة، وما آية ذلك في خلقه؟ قال: **«يا أبا رزين، أليس كلكم يرى القمر مخليًا؟»** قلت: بلى. قال: **«والله أعظم وذلك آيته في خلقه»** رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، ولفظ أبي داود قلت: يا رسول الله، كلنا يرى

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١)، والترمذي (٢٥٥٢)، وابن ماجة (١٨٧).

(٢) أي: يظهرون لهم إثبات الرؤية، وينفون حقيقتها، فيقولون: إنّ الله يرى بغير جهة. انظر «الأربعين في أصول الدين» للرازي (ص/ ١٨٩)، وما تقدَّم نقله عن النووي عن أئمتهم المتكلمين.

ربه وفي رواية له: مخليًا به يوم القيامة، وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**يا أبا رزين، أليس كلكم يرى القمر؟**» وفي رواية له: «**ليلة البدر مخليًا به**» قلت: بلى. قال: «**والله أعظم**»(١).

قال الخلال: سمعت أبا سعيد المصيصي الفقيه قال: قال أبو صفوان: رأيت المتوكل في النوم، وبين يديه نار مؤججة عظيمة، فقلت: يا أمير المؤمنين، لمن هذه النار؟ فقال: هذه لابني المنتصر؛ لأنه قتلني، وتدري لِمَ قتلني؟ لأني حدثته أن الله يرى في الآخرة. قال أبو سعيد: فقال إبراهيم الحربي: هذه رؤيا حق، وذلك أن المتوكل كتب حديث حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع ابن حدس بيده، عن عبد الأعلى وقال: لا أكتبه إلا بيدي.

فقد أخبر النبي ﷺ أن الله يرى يوم القيامة لما سأله، وسأله عن آية ذلك في خلقه، والآية: العلامة والدلالة، وهو ما يُعلم به ويَدل على جواز ذلك، فذكر له النبي ﷺ ما يدل بطريق قياس التنبيه والأولى، وقد قدمنا غير مرة، أن مثل هذا القياس في قياس الغائب على الشاهد هو مما ورد في الكتاب والسنة فقال: «**أليس كلكم يرى القمر مخليًا به ليلة البدر؟**» قال: «**فالله أعظم وأجل**» وقال: «**إنما هو خلق من خلق الله وذلك آيته في خلقه**».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١١-١٢)، وأبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجة (١٨٠)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٥٣، ٢٥٤)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٥٩، ٤٦٠)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص/ ٢٦٢)، وحسنه الألباني في «صحيح السنن» و«ظلال الجنة» بشواهده ومتابعاته، منها متابعة عاصم بن أبي رزين، عن أبيه به، أخرجها عبد الله بن أحمد في «السنة» (١١٢٠ ط: القحطاني)، (٩٧ ط: الحمدان)، وفي «زوائد المسند» (١٦٢٠٦)، وصححها ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٧١)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢١١)، والحاكم (٤/ ٥٦٠)، والآجري في «الشريعة» (٦٠٥)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٧/ ٤٥)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٣)، و«الصواعق المرسلة» (٣/ ١١٨٣).

وإثباته ﷺ جواز الرؤية لجميع الخلق في وقت واحد، وكل منهم يكون مخليًا به بالقياس على رؤية القمر مع قوله: «والله أعظم وأجل» دليل واضح على أن الناس يرونه مواجهة عيانًا، يكون بجهة منهم، وأنه إذا أمكن في بعض مخلوقاته أنه يراه الناس في وقت واحد كلهم يكون مخليًا به، فالله أولى أن يمكن ذلك فيه، فإنه أعظم وأجل.

الإجماع على إثبات الرؤية بالجهة

الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة(١)، مثل ما روى اللالكائي عن علي بن أبي طالب أنه قال: إن من تمام النعمة، دخول الجنة والنظر إلى الله في جنته(٢).

وعن عبد الله بن مسعود، أنه قال في مسجد الكوفة وبدأ باليمين قبل الحديث فقال: والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال: فيقول: ما غرك بي يا ابن آدم؟ ثلاث مرات، ماذا أجبت المرسلين؟ ثلاثًا، كيف عملت فيما علمت(٣)؟

---

(١) حكى هذا الإجماع الشيخ أبو الحسن الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر التي قال في أولها (ص/ ٢٠٢): باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها وأمروا في وقت النبي ﷺ بها. وقال (ص/ ٢٣٧): الإجماع الحادي عشر: وأجمعوا على أنَّ المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقد بيّن معنى ذلك النبي ﷺ، ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: «**ترون ربكم عيانًا**»، وقوله: «**ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامّون في رؤيته**»، فبيّن أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه، ولم يرد النبي ﷺ أن الله ﷻ مثل القمر، من قِبل أن النبي ﷺ شبّه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه الله تعالى بالقمر، وليس يجب إذا رأيناه تعالى أن يكون شبيهًا بشيء مما نراه، كما لا يجب إذا علمناه أن يشبه شيئًا نعلمه، ولو كان يجب إذا رأيناه ﷻ أن يكون مثل المرئيين هنا، لوجب إذا كان الله رائيًا لنا وعالمًا بنا أن يكون مثل الرائين العالمين منا. اهـ

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٥٩).

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٦٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢١٧، ٢٤٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٥٨ ط: الحمدان)، والطبراني في «الكبير» (ج٩ / ص١٨٢/ ح٨٨٩٩).

وعن أبي موسى الأشعري، أنه كان يعلِّم الناس سنتهم ودينهم، فشخصت أبصارهم، أو قال حَرَفوها عنه، قال: فما حَرَف أبصاركم عني؟ قالوا: الهلال أيها الأمير. قال: فذاك أشخص أبصاركم عني؟ قالوا: نعم. قال: فكيف إذا رأيتم الله جهرة(١).

وعن معاذ بن جبل، قال: يحبس الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي: أين المتقون؟ فيقومون في كنف(٢) من الرحمن، لا يحتجب منهم، ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة، فيمرون إلى الجنة(٣).

وروى اللالكائي عن ابن وهب قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الناظرون ينظرون إلى الله ﷻ يوم القيامة بأعينهم(٤). وعن أشهب قال: وسئل مالك عن قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]: أينظر الله ﷻ؟ قال: نعم. فقلت: إن أقوامًا يقولون ينظر ما عنده. قال: بل ينظر إليه نظرًا، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] (٥).

وعن مالك: أنه قيل له: إنهم يزعمون أن الله لا يرى. فقال: السيف السيف(٦).

---

(١) أخرجه اللالكائي (٨٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٤٧)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (١٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٦٠٩)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٣/ ٢٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٥٦، ٢٥٧)، وصحح وقفه على أبي موسى.

(٢) الكنف: الجانب، هذا معناه في اللغة، وأما الكيفية فمجهولة، نؤمن به على ما يليق بالله تعالى، وفسره الدارمي في «النقض» (ص/ ٤٦٨) بأنه نعمته وستره وعافيته. اهـ

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٦٤).

(٤) أخرجه اللالكائي (٨٧٠)، والآجري في «الشريعة» (٥٧٤).

(٥) أخرجه اللالكائي (٨٠٨، ٨٧١).

(٦) أخرجه اللالكائي (٨٠٨، ٨٧١).

وقد تقدم كلام ابن الماجشون واحتجاجه أيضًا على الرؤية بحجابه للكفار[(١)].

وعن الأوزاعي أنه قال إني لأرجو أن يحجب الله جهمًا وأصحابه، أفضلَ ثوابه الذي وعده أولياءه حين يقول ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه[(٢)].

وعن الوليد بن مسلم قال: سألت الأوزاعي، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا: أمِرّوها بلا كيف[(٣)].

وعن الربيع قال: حضرت الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟ قال الشافعي: فلما أن حجب هؤلاء في السخط كان هذا دليلًا عن أنهم يرونه في الرضا. قال الربيع قلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم وبه أدين الله، لو لم يؤمن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله[(٤)].

وعن عبد الله بن المبارك قال: ما حجب الله عنه أحدًا إلا عذبه، ثم قرأ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥-١٧] قال: بالرؤية.

وقال الشيخ أبو نصر السجزي في «كتاب الإبانة»[(٥)] له: وأئمتنا رحمهم الله كسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد،

---

(١) أخرجه اللالكائي (٨٧٣)، والذهبي في «سير النبلاء» (٧/ ٣١١).

(٢) أخرجه اللالكائي (٨٧٤)، قال الإمام أحمد في «الرد على الزنادقة والجهمية» (ص/ ٤٣): وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله؛ لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فإذا كان الكافر يحجب عن الله، والمؤمن يحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟ اهـ

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٧٥).

(٤) أخرجه اللالكائي (٨٨٣) وتقدم أيضًا.

(٥) هو أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري السجزي، ت سنة ٤٤٤هـ له كتاب «الإبانة الكبرى» لم يطبع، وكتاب في مسألة «الحرف والصوت» مطبوع، انظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٦٥٤)، و«شذرات الذهب» للعماد الحنبلي (٣/ ٢٧١).

وعبد الله بن المبارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي، متفقون على أن الله ﷻ بذاته فوق عرشه، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار، فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى، ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئًا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه برآء[١].

وروى الخلال في «كتاب السنة» قال: حدثنا أبو بكر المروذي قال: سألت أبا عبدالله عن أحاديث الرؤية فصححها وقال:، قد تلقتها العلماء بالقبول لنسلم الخبر كما جاء[٢].

وعن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين[٣].

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] فكلم الله موسى من وراء حجاب وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] فأخبر الله تعالى أن موسى ﷺ يراه في الآخرة وقال ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولا يكون حجابٌ إلا لرؤيةٍ، فأخبر الله أن من شاء الله ومن أراد يراه، والكفار لا يرونه.

فقال حنبل في موضع آخر: القوم يرجعون إلى التعطيل في قولهم ينكرون الرؤية قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] قال: أحاديث تروى في النظر، حديث جرير عن عبد الله وغيره: «**تنظرون إلى**

---

(١) انظر هذا النقل في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٦٥٦).

(٢) «السنة» للخلال (٢٨٣)، وانظر «طبقات الحنابلة» (١/ ٥٦).

(٣) أخرج نحوه اللالكائي (٨٨٩) عن حنبل قال: قلت لأبي عبد الله -يعني: أحمد بن حنبل- في الرؤية، قال: أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر. اهـ

ربكم»[١]، أحاديث صحاح وقال ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وهي النظر إلى الله ﷻ، ثم قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنها حق -يعني: أحاديث الرؤية- ونؤمن أن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه، ولا نرتاب.

وسمعت أبا عبد الله يقول: قالت الجهمية: إن الله لا يرى في الآخرة، ونحن نقول: إن الله يرى؛ لقوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال الله تبارك وتعالى لموسى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله أنه يرى، وقال النبي ﷺ وقال: «كلكم يخلو به ربه» و«إن الله يضع كنفه على عبده فيسأله ما عملت»[٢]، هذه الأحاديث تروى عن رسول الله ﷺ تروى صحيحةً، وعن الله تبارك وتعالى أنه يرى في الآخرة، وهذه أحاديث عن رسول الله ﷺ غير مدفوعة، والقرآن شاهد أن الله يرى في القيامة، وقول إبراهيم لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢] فثبت أن الله يسمع ويبصر، وقال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، وقال: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال أبو عبد الله: فمن دفع كتاب الله ورده، والأخبار عن رسول الله ﷺ، واخترع مقالة من نفسه، وتأول برأيه- فقد خسر خسرانًا مبينًا.

وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، فيستتاب فإن تاب وإلا قتل...

إلى آخر الوجوه التسعة عشر التي رد بها الشيخ المصنف على الرازي.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

المواضع التي يُرى الله فيها يوم القيامة

* **وقال المصنف أيضًا**[1]: الذي يجب على كل مسلم اعتقاده أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصة القيامة[2]، وبعد ما يدخلون الجنة، على ما تواترت به الأحاديث عن النبي ﷺ عند العلماء بالحديث؛ فإنه أخبر ﷺ أنا نرى ربنا كما نرى القمر ليلة البدر والشمس عند الظهيرة لا يضام في رؤيته.

ورؤيته سبحانه هي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب الذين عبدوا الله مخلصين له الدين، وإن كانوا في الرؤية على درجات على حسب قربهم من الله ومعرفتهم به.

من جَحَد رؤية الله في الآخرة كفر

والذي عليه جمهور السلف أن من جحد رؤية الله في الدار الآخرة فهو كافر، فإن كان ممن لم يبلغه العلم في ذلك، عُرِّفَ ذلك كما يُعَرف من لم تبلغه شرائع الإسلام، فإن أصر على الجحود بعد بلوغ العلم له فهو كافر.

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة قد دون العلماء فيها كتبًا مثل: كتاب «الرؤية» للدارقطني، ولأبي نعيم، وللآجري، وذكرها المصنفون في السنة، كابن بطة، واللالكائي، وابن شاهين، وقبلهم عبد الله بن أحمد بن حنبل، وحنبل بن إسحاق، والخلال، والطبراني وغيرهم، وخرجها أصحاب الصحيح، والمساند، والسنن، وغيرهم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٥).

(٢) قال في «القاموس»: العَرصة: كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء، جمعها: عِراص، وعَرَصات وأعراص. اهـ

هل يرى الكفار الله يوم القيامة

فأما مسألة رؤية الكفار، فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها -فيما بلغنا- بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، مع أني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاعنوا، ولا تهاجروا فيها؛ إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل، وهم أصحاب سنة.

والكلام فيها قريب من الكلام في مسألة محاسبة الكفار، هل يحاسبون أم لا؟ هي مسألة لا يكفَّر فيها بالاتفاق، والصحيح أيضًا أن لا يضيق فيها، ولا يهجر، وقد حكي عن أبي الحسن بن بشار أنه قال: لا يصلى خلف من يقول: إنهم يحاسبون.

والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار:

أحدها: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عَرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين، فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة، من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ﷻ لهم في الموقف الحديث المشهور.

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب -كاللص إذا رأى السلطان- ثم يحتجب عنهم؛ ليعظم عذابهم، ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم[1]

---

(١) إمام الطائفة السالمية.

وأصحابه، وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل، وإلى سهل بن عبد الله التستري(١).

وهذا مقتضى قول من فسر اللقاء في كتاب الله بالرؤية؛ إذ طائفة من أهل السنة، منهم أبو عبد الله بن بطة الإمام قالوا في قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥] وفي قوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَـَٔاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وفي قول الله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦]، وفي قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وفي قوله: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣١] إن اللقاء يدل على الرؤية والمعاينة.

وعلى هذا المعنى فقد استدل المثبتون بقوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ومن أهل السنة من قال: اللقاء إذا قرن بالتحية فهو من الرؤية، وقال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣-٤٤] أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار.

وأما الفريق الأول فقال بعضهم: ليس الدليل من القرآن على رؤية المؤمنين ربهم قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ وإنما الدليل آيات أخر مثل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وقوله: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٣] وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] إلى غير ذلك.

---

(١) والسالمية من المنتسبين للسنة لكن على طريقة ابن كلاب في الكلام. انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٢/ ٣٦٨).

أدلة القائلين برؤية الكفار لله تعالى

ومن أقوى ما يتمسك به المثبتون: ما رواه مسلم في «صحيحه» عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال: سأل الناس رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هل تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله قال: «**فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**» قال: «**فيلقى العبد فيقول: أي فلان ألم أكرمك؟ ألم أسودك**(١)**؟ ألم أزوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك ترأس وتَرْبَع**(٢)**؟ قال: فيقول: بلى يا رب قال: فظننت أنك ملاقي؟ فيقول: يا رب لا. قال: فاليوم أنساك كما نسيتني. قال: فيلقى الثاني فيقول: ألم أكرمك؟ ألم أسودك؟ ألم أزوجك؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل، وأتركك ترأس وتربع؟ قال: فيقول: بلى يا رب. قال: فظننت أنك ملاقي؟ فيقول: يا رب لا. قال: فاليوم أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث: فيقول له مثل ذلك. فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع فيقال: ألا نبعث شاهدنا عليك، فيتفكر في نفسه مَن يشهد عَلَيَّ، فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق الذي سخط الله عليه**». إلى هنا رواه مسلم(٣)، وفي رواية غيره -وهي مثل روايته سواء صحيحة- قال: «**ثم ينادي مناد ألا تتبع كل أمة ما كانت تعبد قال: فتتبع أولياء الشياطين الشياطين. قال: واتبعت اليهود والنصارى أولياءهم إلى جهنم، ثم نبقى أيها المؤمنون فيأتينا ربنا وهو ربنا، فيقول: علام هؤلاء**

---

(١) من السيادة، أي: أجعلك سيدًا.

(٢) أي: تملك، وتأخذ ربع الغنيمة على ما كان يأخذه زعماء العرب من غنائم أقوامهم من المعارك.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

قيام؟ فنقول: نحن عباد الله المؤمنون، عبدناه وهو ربنا، وهو آتينا ويثيبنا، وهذا مقامنا. فيقول: أنا ربكم فامضوا. قال: فيوضع الجسر وعليه كلاليب من النار تخطف الناس، فعند ذلك حلت الشفاعة لي، اللهم سلم، اللهم سلم. قال: فإذا جاؤوا الجسر فكل من أنفق زوجا من المال مما يملك في سبيل الله فكل خزنة الجنة يدعونه: يا عبد الله، يا مسلم هذا خير فتعال يا عبد الله يا مسلم هذا خير فتعالَ»، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله ذلك العبد لا توى عليه يدع بابا، ويلج من آخر. فضرب النبي ﷺ على منكبيه وقال: «والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون منهم». وهذا حديث صحيح[1]. وفيه أن الكافر والمنافق يلقى ربه.

ويقال: ظاهره أن الخلق جميعهم يرون ربهم، فيلقى الله العبد عند ذلك.

لكن قال ابن خزيمة، والقاضي أبو يعلى، وغيرهما: اللقاء الذي في الخبر غير الترائي، لا أن الله تراءى لمن قال له هذا القول، وهؤلاء يقولون: أخبر النبي ﷺ أن المؤمنين يرون ربهم؛ لأنهم قالوا: هل نرى ربنا؟ والضمير عائد على المؤمنين، فذكر النبي ﷺ أن الكافر يلقى ربه فيوبخه، ثم بعد ذلك تتبع كل أمة ما كانت تعبد، ثم بعد ذلك يراه المؤمنون.

يبين ذلك أن في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب، وعطاء بن يزيد، عن أبي هريرة أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فإنكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٦٤٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٢٨)، والدارقطني في «الرؤية» (١٧)، وهو على شرط مسلم، وصححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن».

فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. فيعرفونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من جاوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله، فيخرجونهم، ويعرفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل[1]، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد، ويبقى رجل بين الجنة والنار -وهو آخر أهل النار دخولًا الجنة- فيقبل بوجهه قبل النار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها[2]، فيقول: هل عسيت إن فعل بك ذلك أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك. فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك. فيقول: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا

---

(١) الحِبَّة- بكسر الحاء-: ما نبت بلا بذر، وبالفتح ما نبت ببذر. قاله في «القاموس»، وقال النووي في «شرح مسلم»: الحبة- بكسر الحاء-: بذر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول، وجمعها حِبب، بكسر الحاء المهملة وفتح الباء، وأما حميل السيل بفتح الحاء وكسر الميم، وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء، ومعناه محمول السيل، والمراد: التشبيه في سرعة النبات وطراوته. اهـ

(٢) قال النووي: أما قشبني فبقاف مفتوحة ثم شين معجمة مخففة مفتوحة، ومعناه: سمّني وآذاني وأهلكني، كذا قال الجماهير من أهل اللغة، وقال الداودي: معناه: غير جلدي وصورتي. وأما ذكاؤها، فكذا وقع في جميع روايات الحديث: «ذكاؤها» بالمد، وهو بفتح الذال المعجمة، ومعناه: لهبها واشتعالها، وشدة وهجها. والأشهر في اللغة: «ذكاها» مقصور، وذكر جماعة أن المد والقصر لغتان. اهـ

وعزتك لا أسأل غير ذلك. فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها، وما فيها من النضرة والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك؟ أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك. فيضحك الله منه؛ ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول: تمن. فيتمنى، حتى إذا انقطعت أمنيته، قال الله: من كذا وكذا، أقبلَ يذكّره ربُّه، حتى إذا انتهت به الأماني قال الله: لك ذلك ومثله معه». قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة ﵁: إن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة: لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: «لك ذلك ومثله معه» قال أبو سعيد: إني سمعته يقول: «لك ذلك وعشرة أمثاله». وفي رواية في «الصحيح» قال: وأبو سعيد مع أبي هريرة لا يرد عليه في حديثه شيئًا حتى إذا قال أبو هريرة: إن الله قال: «ذلك لك ومثله معه» قال أبو سعيد الخدري: «وعشرة أمثاله» يا أبا هريرة[1].

فهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض، وقد اتفق أبو هريرة وأبو سعيد...[2] وليس فيه ذكر الرؤية إلا بعد أن تتبع كل أمة ما كانت تعبد.

وقد روي بإسناد جيد من حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة -قال:- فينادي مناد: يا أيها الناس، ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم أن يولي كل إنسان منكم إلى من كان يعبد في الدنيا ويتولى؟ -قال:- ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، حتى يمثل لهم الشجرة والعود والحجر، ويبقى أهل الإسلام جثومًا، فيقال لهم: ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا ربًّا ما رأيناه بعد -قال:- فيقال: فبم

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢)، وأبو داود (٤٧٣٠)، والترمذي (٢٥٥٤)، والنسائي (١١٤١).

(٢) بياض بالأصل.

تعرفون ربكم إذا رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامة إن رأيناه عرفناه. قيل: وما هو؟ قالوا: يكشف عن ساق» وذكر الحديث(١). ففي هذا الحديث أن المؤمنين لم يروه قبل تجليه لهم خاصة.

وأصحاب القول الآخر يقولون: معنى هذا لم يروه مع هؤلاء الآلهة التي يتبعها الناس؛ فلذلك لم يتبعوا شيئا.

يدل على ذلك ما في الصحيحين أيضا من حديث زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قلنا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم. فهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجر وغَبَرِ أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقول: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدٍ، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فيقولون. عطشنا يا رب فاسقنا -قال:- فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم، كأنها سراب، يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله من بَرٍ وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها»

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٢٤، ٨٥١٩، ٨٦٥٤، ٨٧٧٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٩/ ص٣٥٤/ ح٩٧٦١)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب».

-وفي رواية- قال: «فيأتيهم الجبار في صورة غير الصورة التي رأوها أول مرة، قال: فما تنتظرون: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا - مرتين أو ثلاثًا؛ حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب- فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد نفاقًا ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم» قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دَحْضٌ مزلة(١)، فيه خطاطيف وكلاليب، وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان(٢)، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاود الخيل والركاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم(٣)، حتى إذا

---

(١) الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان، وهو الصراط، و«دحض» بتنوين دحض، والدال مفتوحة والحاء ساكنة، و«مزلة» بفتح الميم وكسرها لغتان مشهورتان. والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو موضع الزلق الذي تزل وتزلق فيه الأقدام وتميل.

(٢) الخطاطيف بفتح الخاء، جمع خطاف بضم الخاء، والكلاليب جمع كلاب بضم الكاف، وهما بمعنى واحد، والحسك بفتح الحاء والسين المهملتين شوك صلب حاد.

(٣) «مسلّم» بتشديد اللام، و«مخدوش مرسل» أي: يخدش بالكلاليب ثم يطلق و«مكردس» كذا، هنا، والذي في «الصحيح»: «مكدوس»، ولفظة «مكردس» وردت في رواية ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٤)، والبيهقي في «الاعتقاد» (١/ ١٩٦).

قال النووي في شرحه: وأما «مكدوس» فهو بالسين المهملة، هكذا في الأصول، وكذا نقله القاضي عياض رحمه الله عن أكثر الرواة، قال: ورواه العذري بالشين المعجمة، ومعناه بالمعجمة: السوق، وبالمهملة، كون الأشياء بعضها فوق بعض، ومنه تكدست الدواب. اهـ

وقال عياض في «إكمال المعلم» (١/ ٥٥٢): وفي الحديث الآخر: «مكردس» ويحتمل أن يكون معناه المكسور الظهر والفقار، وقد يكون مكردس بمعنى مكدوس، كردس الرجل خيله: إذا جمعها كراديس. أي: قطعًا كبارًا. اهـ

خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار»[١].

ففي هذا الحديث ما يستدل به على أنهم رأوه أول مرة، قبل أن يقول: **«ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون»**. وهي الرؤية الأولى العامة التي في الرؤية الأولى عن أبي هريرة؛ فإنه أخبر في ذلك الحديث بالرؤية واللقاء، ثم بعد ذلك يقول: **«ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون»**.

وكذلك جاء مثله في حديث صحيح من رواية العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول: ألا يتبع الناس ما كانوا يعبدون، فيمثل لصاحب الصليب صليبه، ولصاحب النار ناره، ولصاحب التصوير تصويره، فيتبعون ما كانوا يعبدون، ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين، فيقول: ألا تتبعون الناس فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا. وهو يأمرهم ويثبتهم، ثم يتوارى، ثم يطلع، فيقول: ألا تتبعون الناس؟ فيقولون: نعوذ بالله منك، الله ربنا، وهذا مكاننا حتى نرى ربنا، ويثبتهم»**. قالوا وهل نراه يا رسول الله؟ قال: **«فإنكم لا تتمارون في رؤيته تلك الساعة، ثم يتوارى، ثم يطلع عليهم فيعرفهم نفسه ثم يقول: أنا ربكم فاتبعوني، فيقوم المسلمون ويوضع الصراط»**[٢].

وأبين من هذا كله في أن الرؤية الأولى عامة لأهل الموقف: حديث أبي رزين العقيلي -الحديث الطويل- قد رواه جماعة من العلماء وتلقاه أكثر المحدثين بالقبول، وقد رواه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» وذكر أنه لم يحتج فيه إلا بالأحاديث الثابتة[٣]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١، ٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٢٧)، (١/ ٢١٧)، والترمذي (٢٥٥٧) وقال: حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

قال فيه رسول الله ﷺ: «**فتخرجون من الأصوى**[١]، **ومن مصارعكم فتنظرون إليه، وينظر إليكم**» قال: قلت: يا رسول الله كيف وهو شخص واحد، ونحن ملء الأرض ننظر إليه وينظر إلينا؟ قال: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله؟ الشمس والقمر آية منه صغيرة، ترونها في ساعة واحدة ويريانكم، ولا تضامون في رؤيتهما، ولعمر إلهك لهو على أن يراكم وترونه، أقدر منهما على أن يرياكم وتروهما**».

قلت: يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: «**تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، ولا يخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربُك بيده غرفة من الماء فينضح بها قِبَلَكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجهَ واحد منكم قطرة، فأما المؤمن فتدع وجهه مثل الرَّيطة البيضاء**[٢]، **وأما الكافر فتخطمه مثل الحمم الأسود**[٣]، **ألا ثُم ينصرف نبيكم ﷺ، فيمر على أثره الصالحون** -أو قال- **ينصرف على إثره الصالحون** قال: -**فيسلكون جسرًا من النار**»، وذكر حديث الصراط.

وقد روى أهل السنن: قطعة من حديث أبي رزين بإسناد جيد عن أبي رزين قال: قلت: يا رسول الله، أكلنا يرى ربه يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «**يا أبا رزين، أليس كلكم يرى القمر مخليا به؟**» قلت: بلى. قال: «**فالله أعظم**»[٤].

فهذا الحديث فيه أن قوله: «**تنظرون إليه وينظر إليكم**» عموم لجميع الخلق، كما دل عليه سياقه.

وروى ابن خزيمة عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «**والله ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر** -أو قال: **ليلة**- **يقول:**

---

(١) الأصوى والأصواء جمع صوى، وصوى جمع صُوَّة بضم الصاد وتشديد الواو، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض. قاله في «القاموس».

(٢) الريطة بفتح الراء: كل ثوب ليّن رقيق. كذا في «القاموس».

(٣) الحمم الأسود: أي الفحم الأسود.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجة (١٨٠)، وحسنه الألباني.

ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ما عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»(١).

فهذه أحاديث مما يستمسك بها هؤلاء.

فقد تمسك بعضهم بقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ [الملك: ٢٧] واعتقدوا أن الضمير عائد إلى الله، وهذا غلط؛ فإن الله ﷻ قال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٥-٢٧] فهذا يبين أن الذي رأوه هو الوعد، أي: الموعود به من العذاب ألا تراه يقول: ﴿وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾.

وتمسكوا بأشياء باردة فهموها من القرآن ليس فيها دلالة بحال.

أدلة القائلين بعدم رؤية الكفار لله تعالى

وأما الذين خصوا بالرؤية أهل التوحيد في الظاهر -مؤمنهم، ومنافقهم- فاستدلوا بحديث أبي هريرة وأبي سعيد المتقدمين، كما ذكرناهما.

وهؤلاء الذين يثبتون رؤيته لكافر ومنافق إنما يثبتونها مرة واحدة، أو مرتين لمنافقين رؤية تعريف، ثم يحتجب عنهم بعد ذلك في العرصة.

وأما الذين نفوا الرؤية مطلقًا على ظاهره المأثور عن المتقدمين فاتباعًا لظاهر قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، روى ابن بطة بإسناده عن أشهب قال: قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله، هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٤٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٨٤٣) من طريق ابن المبارك في «الزهد» (٣٨)، وكذا ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ص١٨٢ /ح٨٨٩٩، ٨٩٠٠)، واللالكائي في «السنة» (٨٥٣، ٨٦٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج٧/ ص٤٣/ ح٣٢).

وعن المزني قال: سمعت ابن أبي هرم يقول: قال الشافعي: في كتاب الله ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته.

وعن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل - يقول: أدركت الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا - أحاديث الرؤية - وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين، قال أبو عبد الله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فلا يكون حجاب إلا لرؤية، فأخبر الله أن من شاء الله ومن أراد فإنه يراه، والكفار لا يرونه. وقال: قال الله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

والأحاديث التي تروى في النظر إلى الله حديث جرير بن عبد الله وغيره «تنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح، وقال: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] النظر إلى الله. قال أبو عبد الله: أحاديث الرؤية نؤمن بها، ونعلم أنها حق، ونؤمن بأننا نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر وكذب بالقرآن، ورد على الله تعالى أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

قال حنبل: قلت لأبي عبد الله: في أحاديث الرؤية فقال: صحاح، هذه نؤمن بها ونقر بها، وكل ما روي عن النبي ﷺ بإسناد جيد أقررنا به. قال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

وكذلك قال أبو عبد الله الماجشون -وهو من أقران مالك- في كلام له: فورب السماء والأرض ليجعل الله رؤيته يوم القيامة للمخلصين ثوابًا فتنضر بها وجوههم دون المجرمين، وتفلج بها حجتهم على الجاحدين، جهم وشيعته، وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، لا يرونه كما زعموا أنه لا يرى، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب

أليم، كيف لم يعتبروا بقول الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥]، أفيظن أن الله يقصيهم، ويعنتهم، ويعذبهم بأمر يزعم الفاسق أنه وأولياءه فيه سواء؟

ومثل هذا الكلام كثير في كلام غير واحد من السلف مثل وكيع بن الجراح وغيره.

وقال القاضي أبو يعلى وغيره: كانت الأمة في رؤية الله بالأبصار على قولين:

١- منهم المحيل للرؤية عليه، وهم المعتزلة، والنجارية، وغيرهم من الموافقين لهم على ذلك.

٢- والفريق الآخر أهل الحق والسلف من هذه الأمة، متفقون على أن المؤمنين يرون الله في المعاد، وأن الكافرين لا يرونه، فثبت بهذا إجماع الأمة -ممن يقول بجواز الرؤية وممن ينكرها- على منع رؤية الكافرين لله، وكل قول حادث بعد الإجماع فهو باطل مردود.

وقال هو وغيره أيضًا: الأخبار الواردة في رؤية المؤمنين لله، إنما هي على طريق البشارة، فلو شاركهم الكفار في ذلك بطلت البشارة، ولا خلاف بين القائلين بالرؤية في أن رؤيته من أعظم كرامات أهل الجنة.

قال: وقول من قال: إنما يُري نفسه عقوبة لهم، وتحسيرًا على فوات دوام رؤيته، ومنعهم من ذلك -بعد علمهم بما فيها من الكرامة والسرور- يوجب أن يدخل الجنة الكفار، ويريهم ما فيها من الحور والولدان، ويطعمهم من ثمارها ويسقيهم من شرابها، ثم يمنعهم من ذلك؛ ليعرفهم قدر ما منعوا منه، ويكثر تحسرهم وتلهفهم على منع ذلك بعد العلم بفضيلته[1].

---

(١) وهذا ليس بلازم؛ لأنّ نعيم الجنة لا يزول ومن دخلها لا يخرج منها، والله حرمها على الكافرين، والحسرة حاصلة لهم بما يفتح عليهم في القبر من الباب إلى الجنة فيقال: «هذا مكانك لو كنت مؤمنًا» ثم يغلق كما في حديث القبر، فيرى ما فيها من النعيم فيتحسَّر.

والعمدة قوله سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] فإنه يعم حجبهم عن ربهم في جميع ذلك اليوم، وذلك اليوم ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] وهو يوم القيامة، فلو قيل: إنه يحجبهم في حال دون حال لكان تخصيصًا للّفظ بغير موجب، ولكان فيه تسوية بينهم وبين المؤمنين؛ فإن الرؤية لا تكون دائمة للمؤمنين، والكلام خرج مخرج بيان عقوبتهم بالحجب وجزائهم به؛ فلا يجوز أن يساويهم المؤمنون في عقاب ولا جزاء سواه، فعلم أن الكافر محجوب على الإطلاق، بخلاف المؤمن، وإذا كانوا في عَرصة القيامة محجوبين فمعلوم أنهم في النار أعظم حجبًا، وقد قال ﷻ: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] وإطلاق وصفهم بالعمى ينافي الرؤية التي هي أفضل أنواع الرؤية.

هذه المسألة ليست من القضايا الأصولية

فبالجملة فليس مقصودي بهذه الرسالة الكلام المستوفي لهذه المسألة، فإن العلم كثير، وإنما الغرض بيان أن هذه المسألة ليست من المهمات التي ينبغي كثرة الكلام فيها وإيقاع ذلك إلى العامة والخاصة، حتى يبقى شعارًا ويوجب تفريق القلوب وتشتت الأهواء.

المنهج الشرعي في اختلاف أهل السنة

وليست هذه المسألة فيما علمت مما يوجب المهاجرة والمقاطعة؛ فإن الذين تكلموا فيها قبلنا عامتهم أهل سنة واتباع، وقد اختلف فيها من لم يتهاجروا ويتقاطعوا، كما اختلف الصحابة ﭫ والناس بعدهم في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا، وقالوا فيها كلمات غليظة، كقول أم المؤمنين عائشة ﭫ: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية[1].

(١) تقدم أنه في الصحيح.

ومع هذا فما أوجب هذا النزاع تهاجرًا ولا تقاطعًا.

وكذلك ناظر الإمام أحمد أقوامًا من أهل السنة في مسألة الشهادة للعشرة بالجنة، حتى آلت المناظرة إلى ارتفاع الأصوات، وكان أحمد وغيره يرون الشهادة، ولم يهجروا من امتنع من الشهادة إلى مسائل نظير هذه كثيرة.

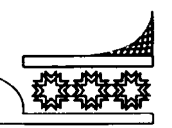
والمختلفون في هذه المسألة أَعْذَرُ من غيرهم.

أما الجمهور، فعذرهم ظاهر كما دل عليه القرآن وما نقل عن السلف، وأن عامة الأحاديث الواردة في الرؤية لم تنص إلا على رؤية المؤمنين، وأنه لم يبلغهم نص صريح برؤية الكافر، ووجدوا الرؤية المطلقة قد صارت دالة على غاية الكرامة، ونهاية النعيم.

وأما المثبتون عمومًا وتفصيلًا، فقد ذكرتُ عذرهم، وهم يقولون: قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] هذا الحجب بعد المحاسبة، فإنه قد يقال: حجبت فلانًا عني. وإن كان قد تقدم الحجبَ نوعُ رؤية، وهذا حجبٌ عامٌّ متصلٌ، وبهذا الحجب يحصل الفرق بينهم وبين المؤمنين؛ فإنه ﷻ يتجلى للمؤمنين في عرصات القيامة، بعد أن يحجب الكفار، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة، ثم يتجلى لهم في الجنة عمومًا وخصوصًا دائمًا أبدًا سرمدًا.

الرؤية أنواع كثيرة

ويقولون: إن كلام السلف مطابق لما في القرآن، ثم إن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق، قد يكون نوعًا ضعيفًا ليس من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون؛ فإن الرؤية أنواع متباينة تباينا عظيما، لا يكاد ينضبط طرفاها.



آداب ضرورية في العلم والمناظرة

وهنا آداب تجب مراعاتها:

١- منها: أن من سكت عن الكلام في هذه المسألة، ولم يدعُ إلى شيء، فإنه لا يحل هجره، وإن كان يعتقد أحد الطرفين؛ فإن البدع التي هي أعظم منها لا يهجر فيها إلا الداعية، دون الساكت، فهذه أولى.

٢- ومن ذلك: أنه لا ينبغي لأهل العلم أن يجعلوا هذه المسألة محنةً وشعارًا، يفضلون بها بين إخوانهم وأضدادهم؛ فإن مثل هذا مما يكرهه الله ورسوله، وكذلك لا يفاتحوا فيها عوام المسلمين الذين هم في عافية وسلام عن الفتن، ولكن إذا سئل الرجل عنها، أو رأى من هو أهل لتعريفه ذلك ألقى إليه مما عنده من العلم ما يرجو النفع به.

بخلاف الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة فإن الإيمان بذلك فرض واجب؛ لما قد تواتر فيها عن النبي ﷺ وصحابته وسلف الأمة.

٣- ومن ذلك: أنه ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد لوجهين:

أحدهما: أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظًا يوهم خلاف الحق، إلا أن يكون مأثورًا عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثورًا.

الثاني: أن الحكم إذا كان عامًّا، في تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل، فإنه يمنع من التخصيص؛ فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات وما يستقبحه الشرع من الحوادث

بأن يقول على الانفراد: يا خالق الكلاب، ويا مريدًا للزنا، ونحو ذلك، بخلاف ما لو قال: يا خالق كل شيء، ويا من كل شيء يجري بمشيئته.

فكذلك هنا لو قال: ما من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان أو قال: إن الناس كلهم يحشرون إلى الله، فينظر إليهم، وينظرون إليه. كان هذا اللفظ مخالفًا في الإيهام للفظ الأول، فلا يخرجنَّ أحد عن الألفاظ المأثورة، وإن كان قد يقع تنازع في بعض معناها، فإن هذا الأمر لابد منه، فالأمر كما قد أخبر به نبينا ﷺ.

والخير كل الخير في اتباع السلف الصالح، والاستكثار من معرفة حديث رسول الله ﷺ، والتفقه فيه، والاعتصام بحبل الله، وملازمة ما يدعو إلى الجماعة والألفة، ومجانبة ما يدعو إلى الخلاف والفرقة.

إلا أن يكون أمرًا بينًا، قد أمر الله ورسوله ﷺ فيه بأمر من المجانبة فعلى الرأس والعين.

وأما إذا اشتبه الأمر هل هذا القول أو الفعل مما يعاقب صاحبه عليه، أو ما لا يعاقب؟ فالواجب ترك العقوبة؛ لقول النبي ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات، فإنك إن تخطئ في العفو خير من أن تخطئ في العقوبة**» رواه أبو داود[1]، ولا سيما إذا آل الأمر إلى

---

(١) أخرجه الترمذي (١٤٢٤) والدارقطني (٣/ ٨٤)، والحاكم (٨١٦٣) والبيهقي (١٧٥١٣، ١٧٥١٤) عن عائشة مرفوعًا، وفي إسناده يزيد بن زياد الدمشقي، وهو ضعيف، قال فيه البخاري: منكر الحديث.وقال النسائي: متروك، ورواه وكيع عنه موقوفًا، وهو أصح. وقال أبو عيسى الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث محمد بن ربيعة، عن يزيد بن زياد الدمشقي عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، عن النبي ﷺ، ورواه وكيع عن يزيد بن زياد نحوه، ولم يرفعه، ورواية وكيع أصح، وقد روي نحو هذا عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، أنهم قالوا مثل ذلك، ويزيد بن زياد الدمشقي ضعيف في الحديث، ويزيد بن أبي زياد الكوفي أثبت من هذا واقدم. اهـ وقال الترمذي في «علله الكبير»: قال محمد بن إسماعيل: يزيد بن زياد منكر الحديث، ذاهب، انتهى

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. اهـ وقد رده الذهبي بقوله: قلت: قال النسائي: يزيد بن زياد ؛ شامي متروك. اهـ

=

شر طويل، وافتراق أهل السنة والجماعة؛ فإن الفساد الناشئ في هذه الفرقة أضعاف الشر الناشئ من خطأ نفر قليل في مسألة فرعية.

وإذا اشتبه على الإنسان أمر فليدع بما رواه مسلم في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يقول: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**[(١)].

وقد كتبت هذا الكتاب، وتحريت فيه الرشد، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله. اهـ

هل رأى النبي ﷺ ربه في الدنيا؟

* **قال الشيخ العلامة شمس الدين بن القيم**[(٢)]: وفي «صحيح مسلم»: عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله: هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه»[(٣)] فسمعت شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية يقول: معناه كان ثَمَّ نورٌ، وحال دون رؤيته نور، فأنى أراه؟

=

وقال البيهقي: ورواه وكيع عن يزيد بن زياد موقوفًا على عائشة، أخبرناه أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو الوليد الفقيه، حدثنا محمد بن أحمد بن زهير، حدثنا عبد الله بن هاشم، حدثنا وكيع، عن يزيد فذكره موقوفًا، تفرد به يزيد بن زياد الشامي عن الزهري، وفيه ضعف. ورواية وكيع أقرب إلى الصواب والله أعلم. ورواه رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري مرفوعًا ورشدين ضعيف. اهـ

وروي من حديث علي، ومن حديث أبي هريرة، بأسانيد ضعيفه انظر «نصب الراية» للزيلعي (٣/ ٣٠٩).

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠)، وفيه: «كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: اللهم رب جبرائيل...» الحديث.

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (ص/ ٤٧-٤٩، ط: المعتق) (ص/ ١١، ط: الكتب العلمية) وذكرت في «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٦/ ٥٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٨٢).

قال: ويدل عليه أن في بعض ألفاظ الصحيح: هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيت نورًا»(١).

وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحَّفه بعضهم فقال: «نورانيّ أَراه» على أنها ياء النسب، والكلمة كلمة واحدة، وهذا خطأ لفظًا ومعنى وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله: «أنى أراه؟» كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث(٢).

ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل.

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد»(٣) له إجماعَ الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك.

وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين حيث قال: إنه رآه، ولم يقل: بعيني رأسه. ولفظ أحمد كلفظ ابن عباس. ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر قوله ﷺ في الحديث الآخر: «حجابه النور»(٤) فهذا النور هو -والله أعلم- النور

---

(١) أخرجه مسلم بعد الحديث السابق (١٧٨)، قال النووي: أما قوله: «نور أنى أراه» فهو بتنوين «نور» وبفتح الهمزة في «أنى» وتشديد النون وفتحها، و«أراه» بفتح الهمزة، هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول والروايات، ومعناه: حجابه نور فكيف أراه؟ قال الإمام أبو عبد الله المازري رحمه الله: الضمير في «أراه» عائد على الله ﷻ، ومعناه: إن النور منعني من الرؤية. كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه. وقوله: «رأيت نورًا» معناه: رأيت النور فحسب ولم أر غيره. اهـ.

(٢) قال النووي عن المازري أنه قال: وروي «نورانيٌّ أراه» بفتح الراء، وكسر النون، وتشديد الياء، ويحتمل أن يكون معناه راجعًا إلى ما قلناه، أي: خالق النور المانع من رؤيته، فيكون من صفات الأفعال، قال القاضي عياض: هذه الرواية لم تقع إلينا، ولا رأيتها في شيء من الأصول. اهـ.

(٣) انظر: «نقض عثمان بن سعيد على المريسي العنيد» (ص/ ٤٦٠، ط: السماري)، و(٢/ ٧٣٨، ط: الألمعي).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٦)، ومسلم (١٨٩) عقب حديث أبي ذر المتقدم من حديث أبي موسى الأشعري قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: «إن الله ﷻ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، ويُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه». والسبحات بضم السين والباء، جمع سُبحة، قال أهل اللغة والشراح: ومعنى سبحات وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.

المذكور في حديث أبي ذر «رأيت نورًا». اهـ

قال الشيخ علي ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية»(١): اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه «الشفا» اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ وإنكار عائشة ﵂ أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلت. ثم قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب.

ثم قال:

وقال جماعة بقول عائشة ﵂ وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وعن ابن عباس ﵄: أنه ﷺ رآه بعينه. وروى عطاء عنه: أنه رآه بقلبه.

ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال:

وأما وجوبه لنبينا ﷺ، والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص، والمعوّل فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، وهذا القول الذي قاله القاضي عياض ﵀ هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى ﵇، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي ضر ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»، وفي رواية: «رأيت نورًا»(٢)، وقد روى مسلم أيضًا عن أبي موسى الأشعري ﵁ أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل

---

(١) (١/ ٣١٥-٣١٨، ط: الرسالة، الثالثة).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور»، وفي رواية: «النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[١] فيكون -والله أعلم- معنى قوله لأبي ذر «رأيت نورًا»: أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: «نور أنى أراه»: النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه، أي: كيف أراه والنور حجاب بيني وبينه، يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك[٢]. اهـ



(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

أدلة التوحيد في القرآن كثيرة

قوله: (وَهَذَا البَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ القُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ).

* **قال الشيخ**: أي: باب الآيات المشتملة على الصفات «في كتاب الله» القرآن «كثير، من تدبر القرآن طالبًا للهدى منه، تبين له طريق الحق»، ولا أراد أن هذا الذي سيق وأُثبت لإثبات الصفات هو الذي في القرآن كله، بل في القرآن آيات كثيرة غير محصورة هنا، ساق المصنف منها طرفًا صالحًا، وهو كثير بالنسبة إلى هذه العقيدة المختصرة. ومع أن هذه وجيزة مختصرة، فقد أتى بنوع كثير منها، وله غرض في الإكثار من الآيات:

أولًا: أنه يصير من محفوظات طالب العلم غير حفظه للقرآن.

ثانيًا: أهل البدع أثقل شيء عليهم سماع نصوص الصفات.

والمصنف كرر وأكثر في هذه العقيدة بالنسبة إليها، وإلا فالنص الواحد كافٍ، لكن لأجل كونه صواعق على الجهمية حتى تعرف الحق، ثم هذه النصوص ساقها المصنف من القرآن على إثبات الصفات، وبالآيات الكثيرة؛ لتكون صواعق عليهم[1]. اهـ



(١) قال الإمام أبو سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي» (ص/ ١٩٤، ط: السماري)، فإن كنتَ تدفع هذه الآثار بجهلك، فما تصنع في القرآن، وكيف تحتال له؟ وهو من أوله إلى آخره ناقض لمذهبك، ومكذب لدعواك، حتى بلغني عنك أنك قلت: ما شيء أنقض لدعوانا من القرآن، غير أنه لا سبيل إلى دفعه إلا مكابرة بالتأويل. اهـ

اتفاق السلف في التوحيد

* **السعدي**: اعلم أن أهل السنة والجماعة، وهم الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأهل القرون المفضلة، متفقون على إثبات جميع ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله، لا فرق بين الذاتية منها، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، ونحوها، ولا بين الفعلية، كالرضا، والغضب، والمحبة، والكراهية. وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوها، وبين الاستواء على العرش، والنـزول إلى السماء الدنيا كل ليلة وغيرها. فكلها يثبتونها من غير نفي لشيء منها ولا تأويل ولا تحريف ولا تمثيل، وهذا هو الحق وهو الصراط المستقيم وهو الطريق المنجي من عذاب الله، والهدى، والنور.

المخالفون لأهل السنة

وخالفهم في هذا الأصل طائفتان من أهل البدع:

إحداهما: الجهمية والمعتزلة على اختلاف طوائفهم، فإنهم نفوا جميع الصفات ولم يثبتوا إلا الأسماء والأحكام[1]. والآيات السابقة كلها تنقض قولهم وتبطله، وكذلك كلامهم هذا ينقض بعضه بعضًا، فإن إثبات الأسماء والأحكام بلا أوصاف تقوم بالله محال عقلًا كما أنه باطل سمعًا.

الطائفة الثانية: الأشعرية ومن تبعهم، وهم أخف حالًا وأهون من المعتزلة؛ لأنهم وافقوا أهل السنة في شيء، ووافقوا المعتزلة في شيء.

---

(١) يعني: آثار أفعاله تعالى، فيثبتون أثر الرحمة وحكمها، ولا يثبتون صفة الرحمة، وأثر العلم، ولا يثبتون صفة العلم، والمعتزلة أثبتوا الأسماء أعلامًا فقط، ونفوا الصفات وقالوا إن الصفات المذكورة إنما هي ذات الله، وليست صفات الله، والجهمية نفوا الأسماء والصفات.

وافقوا أهل السنة في إثبات الصفات السبع وهي: الحياة، والكلام، والعلم، والسمع، والبصر، والإرادة، والقدرة، ووافقوا المعتزلة في بقية الصفات.

والجميع محجوجون بالكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة والقرون المفضلة على الإثبات العام.

وأما النفي للصفات كلها أو التناقض، فإنه مخالف للكتاب والسنة، ومناف للعقل الصحيح، فلا يثبت للعبد إيمان إلا بالإيمان المحض والتسليم لما جاء به الرسول ﷺ، بلا شرط، ولا قيد والدوران مع النصوص الشرعية إثباتًا ونفيًا. اهـ



مباحث عامة حول آيات الصفات

* **الهراس**: إن الناظر في آيات الصفات التي ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يستطيع أن يستنبط منها قواعدَ وأصولًا هامة يجب الرجوع إليها في هذا الباب:

الأصل الأول: اتفق السلف على أنه يجب الإيمان بجميع الأسماء الحسنى، وما دلت عليه من الصفات، وما ينشأ عنها من الأفعال.

مثال ذلك «القدرة» مثلًا، يجب الإيمان بأنه سبحانه على كل شيء قدير، والإيمان بكمال قدرته، والإيمان بأن قدرته نشأت عنها جميع الكائنات.. وهكذا بقية الأسماء الحسنى على هذا النمط.

وعلى هذا، فما ورد في هذه الآيات التي ساقها المصنف من الأسماء الحسنى، فإنها داخلة في الإيمان بـ«الاسم»، وما فيها من ذكر «الصفات»؛ مثل: عزة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وإرادته، ومشيئته، فإنها داخلة في الإيمان بالصفات.

وما فيها من ذكر «الأفعال» المطلقة، والمقيدة، مثل: يعلم كذا، ويحكم ما يريد، ويرى، ويسمع، وينادي، ويناجي، وكلّم، ويكلم؛ فإنها داخلة في الإيمان بالأفعال.

الأصل الثاني: دلت هذه النصوص القرآنية على أن صفات الباري قسمان:

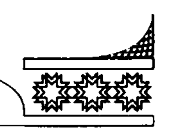
١- صفات ذاتية، لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلًا وأبدًا[١]، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، وذلك كصفات: الحياة، والعلم، والقدرة، والقوة، والعزة، والملك، والعظمة، والكبرياء، والمجد، والجلال.. إلخ.

---

(١) قال في «القاموس»: الأزل بالتحريك: القِدَم، وهو أَزَلي، أو أصله: يزلي، منسوب إلى «لم يزل» ثم أبدلت الياء ألفًا للخفة. اهـ

وقال: الأبد محركة: الدهر، والدائم والقديم الأزلي. اهـ

فالأزل هو القديم الدائم في القدم لا أول له، والأبد هو الدوام في المستقبل.



٢- صفات فعلية تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحادُ تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفًا بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعَّالًا لما يريد، ولم يزل -ولا يزال- يقول، ويتكلم، ويخلق، ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئًا فشيئًا، تبعًا لحكمته وإرادته.

فعلى المؤمن الإيمان بكل ما نسبه الله لنفسه من الأفعال المتعلقة بذاته، كالاستواء على العرش، والمجيء، والإتيان، والنزول إلى السماء الدنيا، والضحك، والرضا، والغضب، والكراهية، والمحبة المتعلقة بخلقه، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وأنواع التدبير المختلفة.

الأصل الثالث: إثبات تفرد الرب جل شأنه بكل صفة كمال، وأنه ليس له شريك أو مثيل في شيء منها.

وما ورد في الآيات السابقة من إثبات المثل الأعلى له وحده، ونفي الند، والمثل، والكفء، والسمي، والشريك عنه، يدل على ذلك، كما يدل على أنه منزه عن كل نقص، وعيب، وآفة.

الأصل الرابع: إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين الذاتية منها، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، ونحوها، والفعلية؛ كالرضا، والمحبة، والغضب، والكراهة.

وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه، واليدين، ونحوهما، وبين الاستواء على العرش والنزول، فكلها مما اتفق السلف على إثباته بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تشبيه، وتمثيل.

المخالفون لأهل السنة فريقان

والمخالف في هذا الأصل فريقان:

١- الجهمية: ينفون الأسماء والصفات جميعًا.

٢- المعتزلة: فإنهم ينفون جميع الصفات، ويثبتون الأسماء، والأحكام، فيقولون: عليم بلا علم، وقدير بلا قدرة، وحي بلا حياة.. إلخ.

وهذا القول في غاية الفساد؛ فإن إثبات موصوف بلا صفة، وإثبات ما للصفة للذات المجردة محال في العقل، كما هو باطل في الشرع.

أما الأشعرية ومن تبعهم فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات يسمونها صفات المعاني، ويدَّعون ثبوتها بالعقل، وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

ولكنهم وافقوا المعتزلة في نفي ما عدا هذه السبع من الصفات الخبرية التي صح بها الخبر.

والكل محجوجون بالكتاب، والسنة، وإجماع الصحابة، والقرون المفضلة على الإثبات العام. اهـ



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

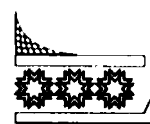
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة



الكنوز المليّة الجامعة لشروح العقيدة الواسطية

شرح جامع لحواشي وتعليقات لجلة من العلماء، وهم:

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ — الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

الشيخ محمد بن خليل هراس — الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك — الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الشيخ محمد بن صالح العثيمين

جمع وتأليف

سعد بن شايم الحضيري

المجلد الثاني

مدار الوطن للنشر



الكُنوزُ المَليَّةُ الجامعةُ

لِشُرُوح

العَقِيدَة الوَاسِطِيَّة

المجلد الثاني

ح) مدار الوطن للنشر ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
الحضيري، سعد شايم
الكنوز الملية الجامعة لشروح العقيدة الواسطية. / سعد شايم الحضيري - الرياض، ١٤٣٥هـ
٢مج
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)
١- التوحيد - مجموعات ٢- العقيدة الإسلامية - مجموعات أ - العنوان
ديوي ٢٤٠٫٨ ١٤٣٥/٩١٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٩١٣٧
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

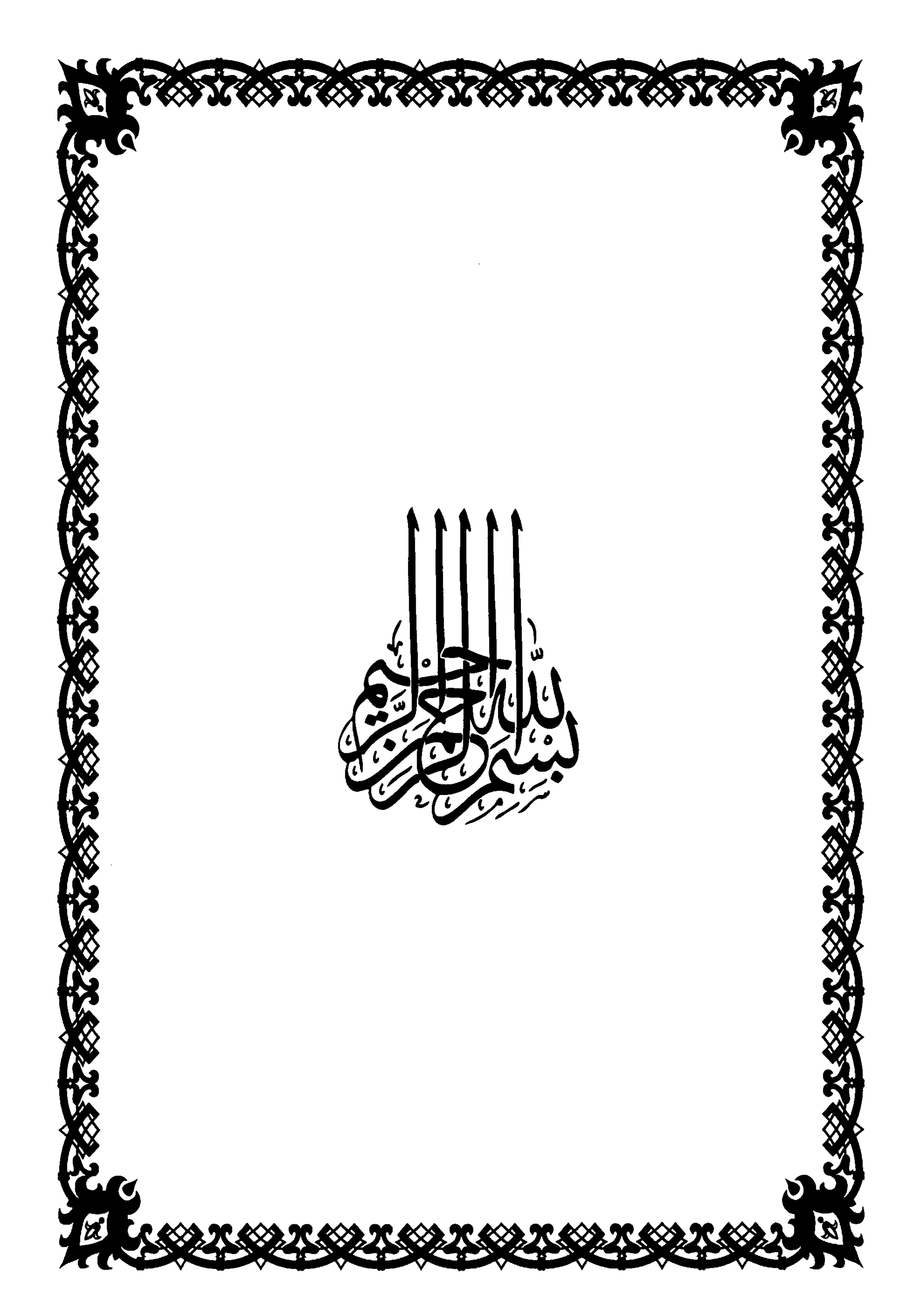
الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



الرياض - الروضة - مخرج ١١
شارع أبي سعيد الخدري
متفرع من شارع خالد بن الوليد

هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ / ٣ خطوط - ٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٠٩٦
www.madaralwatan.com
pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

فرع السويدي / هاتف: ٠١١٤٢٦٧١٧٧ فاكس: ٠١١٤٢٦٧٣٧٧
مندوب الرياض ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ مندوب الغربية ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مندوب الشرقية والدمام ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
مندوب الجنوبية ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ مندوب الشمالية والقصيم ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مسؤول التوزيع الخيري ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ - ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ لطلبات الجهات الحكومية ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧



بسم الله الرحمن الرحيم

فَصْلٌ



في الأدلة من السنَة النبوية في إثبات العقيدة

(ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ، مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك، فَمِنْ ذَلِكَ:

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).



الشَّرْح

قوله: (ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ).

❁ **الهراس**: قوله: «ثم في سنة رسول الله» عطف على قوله فيما تقدم: «وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص.. إلخ». يعنى: ودخل فيها ما وصف به الرسول ﷺ ربه فيما وردت به السنة الصحيحة. اهـ

❁ **العثيمين**: السنة لغة: الطريقة، وسنة النبي ﷺ: ما شرعه من قوله، أو فعله، أو إقراره، خبرًا كانت أو طلبًا، والإيمان بما جاء فيها واجب، كالإيمان بما جاء في القرآن، سواء في أسماء الله وصفاته أو في غيرها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. اهـ

❁ **آل الشيخ**: يعني: فيما ورد من نصوص الصفات من الأحاديث النبوية، فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة، والمراد بها السنة كما جاء في الحديث: «ألا إني أوتيت

القرآن ومثله معه»[(١)]. يعني: السنة. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

لما ذكر المصنف رحمه الله القسم الكبير، والمقدار الكثير من نصوص الكتاب العزيز، المثبتة لصفات الله تعالى، ذكر من السنة المطهرة مقدارًا كثيرًا، وقسمًا كبيرًا؛ ليكون قد جمع في صفات الله تعالى بين ما أثبته الكتاب والسنة، وإن كان أحدهما يكفي لكن بهما أبلغ. اهـ

* **ابن باز**: السنة هي الوحي الثاني، والأصل الثاني من أصول الإسلام، وهي توافق وتفسر ما جاء في القرآن، من أسماء الله وصفاته، وتثبتها على حقيقتها وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، فقد جاء فيها من الصفات كثير، كالنزول والضحك والقَدَم والفرح، وغير ذلك مما جاءت به، مما يجب أن يُقرَّ ويثبت ويعتقد حقيقة معناه على الوجه اللائق بالله تعالى، شأن جميع الصفات.

* فإن سنة رسول الله ﷺ الصحيحة تفسِّر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، كما دلّ عليه القرآن؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾، فكما جاءت الآيات بالصفات والأسماء، هكذا جاءت السنة بالأسماء والصفات، فما ثبت في السنة الصحيحة، حكمه حكم ما ثبت في القرآن، يجب إثباته لله، والإيمانُ به بأنه وصفٌ لله، واسمٌ لله على الوجه اللائق بالله سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، الباب واحد، والحكم واحد، ما جاء في السنة الصحيحة حكمه حكم ما جاء في القرآن، سواء بسواء عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٦١) بإسناد صحيح عن المقدام بن معدي كرب، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه».

وهذه الأحاديث [التي يوردها المصنف] كالتي قبلها من الآيات، دلّت كما دلَّ القرآن على إثبات الصفات والأسماء لله سبحانه، وأنّه جل وعلا مسمى بالأسماء الحسنى وموصوف بالصفات العلى، كما جاء في القرآن، فكذا في السنة، وهذه الأحاديث من جملة الأحاديث الواردة في الصفات، ومراد المؤلف أن يذكر نموذجًا من الآيات والأحاديث الواردة في الصفات حتى يعرف المسلم ما وراءها، فذكر جملة من الآيات، وجملة من الأحاديث الواردة في أسماء الله وصفاته، وأن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما دلت عليه من الأسماء والصفات، ويُمرونها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا ينكرونها، كما تفعل الجهمية والمعتزلة، ولا يؤولونها، كما يؤولونها جماعة الماتريدية والأشاعرة وغيرهم، بل يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها وإثباتها، واعتقاد ما دلت عليه من الصفات والأسماء، وينزهون الله عن مشابهة خلقه، بلا تعطيل ولا تمثيل عند أهل السنة، الآيات ثابتة، والأحاديث ثابتة، معناها صحيح، وليس هناك تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل. اهـ

❁ **الهراس**: والسنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتعويل عليه بعد كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. والمراد بالحكمة: السنة. وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال آمرًا لنساء نبيه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقال صلوات الله وسلامه عليه وآله: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1].

وحكم السنة حكم القرآن، في ثبوت العلم، واليقين، والاعتقاد، والعمل؛ فإن السنة توضيح للقرآن، وبيان للمراد منه: تفصل مجمله، وتقيّد مطلقَه، وتخصّص عمومه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

---

(١) تقدَّم قريبًا.

وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١- فريق لا يتورع عن ردها وإنكارها، إذا وردت بما يخالف مذهبه؛ بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن، والواجب في باب الاعتقاد اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢- وفريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها، كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة، إلى ما يريده من معان بالإلحاد والتحريف، وهؤلاء هم متأخرو الأشعرية، وأكثرهم توسعًا في هذا الباب الغزالي، والرازي. اهـ

منزلة السنة من القرآن

قوله: (فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ).

* آل الشيخ: فالسنة تفسر القرآن ولا تخالفه أبدًا، وتبينه: إيضاحًا له، (وتدل عليه): أي: دالة عليه، وتعبر عنه. اهـ

* ابن مانع: قال ابن عدوان:

وسنة خير المرسلين محمدٍ * تفسِّر آياتِ الكتاب المُمَجَّدِ
تُبَيِّنُه للطالبي سُبْلَ الهدى * تدل عليه بالدليل المؤكدِ
ودع عنك تزويقات قوم فإنها * بحلتها التعطيلُ يا صاح ترشدِ

اهـ

وجوب الإيمان بما جاء في السنة الصحيحة من نصوص الصفات

قوله: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحَ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانِ بِهَا كَذَلِك) .

* **الهراس**: قوله: «وما وصف الرسول به..» إلخ. يعني: أنه كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه، وبما يجب له، وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله.

قوله: «وَجَبَ الإِيمَانِ بِهَا كَذَلِك». أي: إيمانًا مثل ذلك الإيمان، خاليًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، بل إثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الرب جل شأنه. اهـ

* **السعدي**: قوله: «وجب الإيمان بها كذلك» أي: إيمانا خاليا من التعطيل والتحريف، ومن التكييف والتمثيل، بل إثباتنا لها على الوجه اللائق بعظمة الرب.

وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم، واليقين، والاعتقاد، والعمل؛ فإن السنة توضيح القرآن، أو بيان لمجمله، أو تقييد لمطلقه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] أي: السنة. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. اهـ

* **آل الشيخ**: قوله: «وجب الإيمان بها كذلك». أي: كما وجب الإيمان بالقرآن وهما الوحيان، وغلَّظ ﷺ فيمن اكتفى بالقرآن، والدلالة به ويترك السنة، فقال ﷺ: «وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[١]. اهـ

(١) رواه الإمام أحمد (١٧١٩٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٣١٩٣) بسند صحيح.

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللهُ[١]: أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله، ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن، فإن الله ﷻ أنزل على نبيه الكتاب والحكمة، وأمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، وامتن على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وقال النبي ﷺ: **«إلا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»**[٢]. وفي رواية: **«ألا إنه مثل القرآن أو أكثر»** فالحكمة التي أنزلها الله عليه مع القرآن، وعلمها لأمته، تتناول ما تكلم به في الدين من غير القرآن، من أنواع الخبر والأمر، فخبره موافق لخبر الله، وأمره موافق لأمر الله، فكما أنه يأمر بما في الكتاب، أو بما هو تفسير ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب، فهو أيضًا يخبر بما في الكتاب، وبما هو تفسير ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب، فجاءت أخباره في هذا الباب، يذكر فيها أفعال الرب، كخلقه، ورزقه، وعدله، وإحسانه، وإثابته، ومعاقبته. ويذكر فيها أنواع كلامه وتكليمه لملائكته وأنبيائه، وغيرهم من عباده، ويذكر فيها ما يذكره من رضاه، وسخطه، وحبه، وبغضه، وفرحه، وضحكه، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الباب. اهـ

❁ **وقال** رَحِمَهُ اللهُ[٣]: وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه، وتعبر عن مجمله، وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر. اهـ

❁ **وقال أيضًا**[٤]: وفي الجملة فيعلم أن سنة النبي ﷺ هي التي تفسر القران، وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه، فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من

---

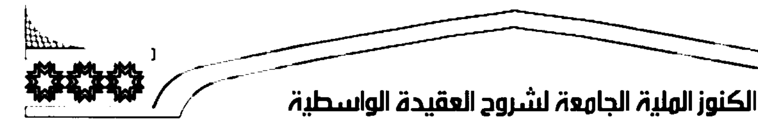
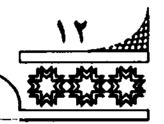
(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١٤٦).
(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٠٦)، وأبو داود (٤٦٠٤) بسند صحيح، وتقدم قريبًا.
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٣٢).
(٤) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٧٦).

ظاهر القرآن، فإن الرسول ﷺ بين للناس لفظ القرآن ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهم، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا معناها. اهـ

* **وقال أيضًا**(١): الدين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعًا ظاهرًا معلومًا هو منقول عن نبيهم نقلًا متواترًا، نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسنته مفسرة للقرآن مبينة له، كما قال تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقًا ظاهرًا مما توارثته الأمة عن نبيها، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن، فلم يكن -ولله الحمد- فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني، فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه، مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف، ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنى، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن من ألفاظها ما بدل معانيه وأحكامه اليهود والنصارى، أو مجموعهما، تبديلًا ظاهرًا مشهورًا في عامتهم، كما بدلت اليهود ما في الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وما في التوراة من الشرائع، وأمره في بعض الأخبار، وكما بدلت النصارى كثيرًا مما في التوراة والنبوات من الأخبار، ومن الشرائع التي لم يغيرها المسيح، فإن ما نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه. اهـ

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ١٧).

إثبات نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة على ما يليق بجلاله

قوله: (فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١)).

❁ آل الشيخ: هذا حديث صحيح شهير، قال ابن عبد البر ما معناه: «إنه حديث شهير تلقته الأمة بالقبول»(٢). وهذا الحديث فيه وجوب الإيمان بجمل من الصفات: ففيه إثبات صفة نزول ربنا كل ثلث الليل الآخر، على ما يليق بجلال الله وعظمته، نزول حقيقي لا يعلم كنه، ولا كيفية نزوله إلا هو، وكذلك سائر صفاته.

فإذا قال لنا المبطل الجاحد النافي: كيف ينزل ربنا؟

قلنا: كيف هو؟ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، يُحتذى حذوه، ويقاس عليه، فكما أن إثباتَ الذات إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ، لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو تعالى، فإثبات النزول إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يعلم كنهه إلا هو تعالى.

ثم كونه يخلو منه العرش أو لا في الحقيقة السكوت عنه أولى.

وفيه إثبات صفة الكلام، وصفة السمع من جهتين:

الأولى: قوله: «من يدعوني»؛ لأن دعاء من لا يسمع عبث.

والثانية: قوله: «فأستجب له»، ومن لا يسمع كيف يجيب السائل له؟!

وصفة المغفرة، وفيه إثبات كمال جوده وفضله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) انظر التمهيد (٧/ ١٢٨)، ونصه: «وهذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ». اهـ

وفيه إثبات قربه تعالى لسائليه، كما قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية.

وفيه الحث والتحريض على التعرض لنفحات مغفرة الربّ آخر الليل، فلا يفوت هذا الخير الكثير، والفضل العظيم.

وهذه الثلاثة بعضها أخص من بعض فقوله: «من يدعوني» شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

«من يسألني» هذا أخص من الذي قبله، وهذا السؤال. يعني: أي سؤال ديني أو دنيوي.

والثالث قوله: «من يستغفرني فأغفر له»، وهذا أخص من الذي قبله. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «فمن ذلك مثل قوله ﷺ..» إلخ، الكلام على هذا الحديث من جهتين:

الأولى: صحته من جهة النقل، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أنه متفق عليه. ويقول الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»: إن أحاديث النزول متواترة، تفيد القطع[1].

وعلى هذا، فلا مجال لإنكار أو جحود.

الثانية: ما يفيده هذا الحديث، وهو إخباره ﷺ بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة.. إلخ. ومعنى هذا: أن النزول صفة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل نزول الخلق، كما أن استواءه لا يماثل استواء الخلق. يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تفسيره سورة الإخلاص: «فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلم موسى بالوادي الأيمن في البقعة

---

(١) انظر «العلو للعلي الغفار» (ص/ ٧٣، ٧٩)، و«مختصره» للألباني (ص/ ١١٠، ١١٦). وعبارته: «وأحاديث نزول الباري متواترة»، قال: «وذلك متواتر أقطع به». اهـ

المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض: ائتيا طوعًا أو كرهًا- لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر»[(١)].

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله ﷻ، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيفون، ولا يمثلون، ولا ينفون، ولا يعطلون، ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعّال لما يريد، وأنه على كل شيء قدير.

ولهذا ترى خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون لعبوديته، خاضعين خاشعين، داعين متضرعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله ﷺ. اهـ

❁ **السعدي**: قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة...» إلخ، فهذا الحديث قد استفاض في الصحاح والسنن والمسانيد، واتفق على تلقيه بالقبول والتصديق أهل السنة والجماعة، بل جميع المسلمين الذين لم تغيرهم البدع، وعرفوا به عظيم رحمة ربهم، وسعة جوده، واعتنائه بعباده وتعرضه لحوائجهم الدينية والدنيوية، وأن نزوله حقيقة كيف يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيفون، ولا يمثلون، ولا ينفون، ولا يعطلون. ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل وقد علمنا أنه فعال لما يريد وعلى كل شيء قدير؛ ولهذا كان خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون بعبوديته خاضعين، خاشعين، داعين، متضرعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم إياها على لسان رسوله ﷺ، ويعلمون أن وعده حق، ويخشون أن ترد أدعيتهم بذنوبهم ومعاصيهم، فيجمعون بين الخوف والرجاء،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٠).

ويعترفون بكمال نعمة الله عليهم، فتمتلئ قلوبهم من التعظيم والإيمان، ومن التصديق والإذعان. اهـ.

* **ابن باز**: أهل السنة يثبتون هذا النزول وصفًا لله، وهو نزول يليق بالله، لا يشابه خلقه في نزولهم، فإن العبد ينزل من أعلى إلى أسفل من سطح جبل مثلًا، لكن النزول غير النزول، نزول الله غير نزول عبده، فليس النزول كالنزول..

وهكذا القول، فيقول الله، وليس القول كالقول، وليس النداء كالنداء، وليس الكلام كالكلام، صفات الله تليق به، وهو يستجيب للداعي جل وعلا، «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**» فهو الجواد الكريم ﷻ، وهو الغفور الرحيم، فيجب إثبات هذه الصفات لله على الوجه اللائق به. اهـ

* **العثيمين**: معنى النزول عند أهل السنة أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولًا حقيقيًا يليق بجلاله، ولا يعلم كيفيته إلا هو.

ومعناه عند أهل التأويل نزول أمره، ونرد عليهم بما يأتي:

١ - أنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف.

٢ - أن أمر الله ينزل كل وقت، وليس خاصًا بثلث الليل الآخر.

٣ - أن الأمر لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له... إلخ.

ونزوله سبحانه إلى السماء الدنيا لا ينافي علوه؛ لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يقاس نزوله بنزول مخلوقاته. اهـ

* قال المصنف شيخ الإسلام في شرح حديث النزول[١]: قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة، وأئمتها، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢)

ذلك وتلقيه بالقبول. ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني، كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغًا عامًّا، لم يخص به أحدًا دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكانت الصحابة والتابعون تذكره، وتأْثُره، وتبلّغه، وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة، كصحيحي البخاري ومسلم، «وموطأ مالك» «ومسند الإمام أحمد»، و«سنن أبي داود»، والترمذي، والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المسلمين، لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه، كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه- فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر ذلك مُنِع منه، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضًا في ذلك.

فإن وصفه ﷻ في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات... ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والإثبات، والله ﷻ قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين...

وكان مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا التنزيه، وقد دل عليهما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، فالاسم «الصمد» يتضمن صفات الكمال والاسم «الأحد» يتضمن نفي المثل، كما قد بسط الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة.

فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله، وكلامه، ونزوله، واستواؤه، هو كما يناسب ذاته ويليق

بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته. فقل له: وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف.

السؤال عن كيفية النزول

إذا تبين هذا فقول السائل: كيف ينزل؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف: يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟

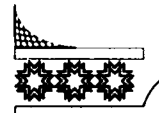
وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام مثل: مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ فإنه قد روي من غير وجه أن سائلا سأل مالكًا عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه[1].

الفرق بين العلم بمعنى الصفة والعلم بكيفيتها

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع، والبصر، والعلم، والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة، والغضب، والرضا، والفرح، والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك...

---

(١) تقدم تخريج ذلك كله في «إثبات الاستواء».



وقد سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول فقال: ينزل أمره. فقال له السائل: فمِمَّن ينزل؟ ما عندك فوق العالم شيء، فممن ينزل الأمر من العدم المحض؟ فبهت[1].. اهـ

النزول لا ينافي العلو والاستواء على العرش

* **قال المصنف أيضاً**[2]: مذهب السلف والأئمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش، لا يكون تحت المخلوقات، ولا تكون المخلوقات محيطة به قط، بل هو العلي الأعلى، العلي في دنوه، القريب في علوه؛ ولهذا ذكر غير واحد إجماع السلف على أن الله ليس في جوف السموات، ولكن طائفة من الناس قد يقولون: إنه ينزل ويكون العرش فوقه. ويقولون: إنه في جوف السماء، وإنه قد تحيط به المخلوقات وتكون أكبر منه، وهؤلاء ضلال جهال، مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول، كما أن النفاة الذين يقولون: ليس داخل العالم ولا خارجه جهال ضلال، مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول، فالحلولية والمعطلة متقابلان. اهـ

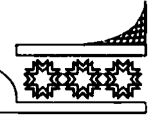
وقال في «شرح حديث النزول»[3]: القول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله، وكلامه، ونزوله، واستواؤه، هو كما يناسب ذاته، ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته، كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته. فقل له: وأنا لا أعلم كيفية

---

(١) يعني: أنت تنفي العلو، فكيف تثبت نزول الأمر، فلابد أن يكون الآمر -وهو الله- في العلو.

(٢) في درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٨٨)

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٤).



صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. فهذا إذا استعملت هذه الأسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين، وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة..

إلى أن قال: وأيضا فيقال له: وصف نفسه بالنزول، كوصفه في القرآن بأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وبأنه استوى إلى السماء وهي دخان، وبأنه نادى موسى، وناجاه في البقعة المباركة من الشجرة، وبالمجيء والإتيان في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة، وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث، فبينوا له أن القرآن يصدق معنى هذا الحديث، كما احتج به إسحاق بن راهويه على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر، أمير خراسان. قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم قال: كيف ينزل؟ قال أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق. فقال له إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم(١).

مسألة خلو العرش

ثم بعد هذا إذا نزل هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هذه مسألة أخرى تكلم فيها أهل الإثبات، فمنهم من قال: لا يخلو منه العرش، ونقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٧-٥٦٨ ط: الكتب العلمية) بأسانيد جياد.

ومنهم من أنكر ذلك وطعن في هذه الرسالة وقال: راويها عن أحمد بن حنبل مجهول لا يعرف[1].

والقول الأول معروف عند الأئمة كحماد بن زيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما قال الخلال في «كتاب السنة»: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا أحمد بن محمد المقدمي، ثنا سليمان بن حرب، قال: سأل بشرُ بنُ السري حمادَ بنَ زيد فقال: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**» يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء. ورواه ابن بطة في كتاب «الإبانة» فقال: حدثني أبو القاسم حفص بن عمر الأردبيلي، حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا سليمان بن حرب قال سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء «**ينزل الله إلى سماء الدنيا**» أيتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء[2]. وقال ابن بطة: وحدثنا أبو بكر النجاد ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا علي بن خشرم قال: قال إسحاق بن راهويه: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه. قال: نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا؟ وقد رواها اللالكائي أيضًا بإسناد منقطع واللفظ مخالف لهذا. وهذا الإسناد أصح[3]، وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتها أئمة ثقات.

---

(١) ذكره القاضي أبو يعلى في «اختلاف الروايتين والوجهين» عن الإمام أحمد (ص/ ٥٢)، وابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٥٩-٢٦٢).

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٣) بسند صحيح، وابن بطة في «الإبانة» كما في «المختار من الإبانة» (١٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٧-٥٦٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٥٢) بأسانيد جياد.

فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء[١]. فأثبت قربه إلى خلقه مع كونه فوق عرشه، وعبد الله بن طاهر -وهو من خيار من ولي الأمر بخراسان- كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل لتوهمه، أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش، وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم، فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟ يقول: فإذا كان قادرًا على ذلك، لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يُعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش، وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء، فينكر هذا وهذا.

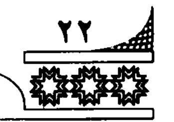
ونظيره ما رواه أبو بكر الأثرم في «السنة» قال: حدثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي، قال: حدثني الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

أراد الفضيل بن عياض رحمه الله مخالفة الجهمي الذي يقول: إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية، فلا يتصور منه إتيان، ولا مجيء، ولا نزول، ولا استواء، ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به، فقال الفضيل: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما شاء. فأمره أن يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء من الأفعال القائمة بذاته، التي يشاؤها لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه.

ومثل ذلك يروى عن الأوزاعي وغيره من السلف، أنهم قالوا في حديث النزول: يفعل الله ما يشاء. قال اللالكائي: حدثنا المسير بن عثمان، حدثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن علي الأبار قال: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا سمعت الجهمي يقول: أنا أكفر برب ينزل. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يريد. اهـ المقصود.

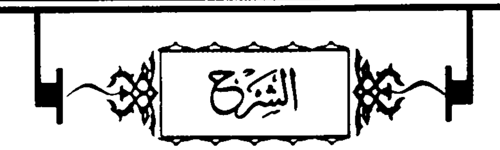
---

(١) روى البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٩) بسنده عن محمد بن سلّام قال: إن رجلًا سأل عبدالله بن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل؟ فقال ابن المبارك: ينزل كيف شاء، وقال ابن قتيبة: لا نحتم على النزول بشيء، ولكنا نبين كيف هو في اللغة، والله أعلم بما أراد. اهـ

إثباتُ صفةِ الفرحِ للهِ تعالى

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه).



❁ **قال شيخ الإسلام المصنف**[(١)]: وهذا الحديث مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيحين من غير وجه من حديث ابن مسعود[(٢)]، وأبي هريرة[(٣)]، وأنس[(٤)]، وغيرهم[(٥)]. اهـ

❁ **الهراس**: تتمة هذا الحديث، كما في البخاري وغيره: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل بأرض فلاة دويّة مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل عنها، فنام وراحلته عند رأسه، فاستيقظ وقد ذهبت، فذهب في طلبها، فلم يقدر عليها، حتى أدركه الموت من العطش، فقال: والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلي. فرجع، فنام، فاستيقظ، فإذا راحلته عند رأسه، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**».

وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله ﷻ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفةٌ حقيقةٌ لله ﷻ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته

---

(١) في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، ثاني حديث في كتاب التوبة، قبل حديث (٢٧٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٦)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح، عندما يُحْدِث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع، فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشر وبطر، فالله ﷻ منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه، التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه -وهو الرضا- وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: في هذا الحديث إثبات صفة الفرح، بل إثبات شدة فرح الله بتوبة العبد ورجوعه إلى ربه، والباعث عليه ليس إلا مجرد إحسان ومحبته للطاعة، فصار فيه الحث على الرجوع عن معاصي الله، وتوبةِ العبد إلى ربه، فالربّ تعالى هو الذي وفقه للتوبة، وحرك قلبه لها، ويسر له أسبابها، وهداه إليها، ثم مع هذا كان شديد الفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من المعاصي، مِنْ أحدكم إذا ضلت راحلته ثم وجدها، فَفَرِحُ هذا بدابته من المعلوم أنه أعظم من فَرَح كل فَرِح، وفَرَحُ ربِّ العالمين أعظم من فرحِ هذا براحلته، فرحٌ يليق به لا كفرح العباد. اهـ

❁ **العثيمين**: الفرح ثابت لله؛ لقوله ﷺ: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته...**» الحديث. وهو فرح حقيقي يليق بالله، ولا يصح تفسيره بالثواب؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف. اهـ.

❁ **ابن باز**: فالفرح وصف لله يليق بالله، يفرح لا كفرح المخلوقين، ويرضى لا كرضاهم، ويغضب لا كغضبهم، فالإنسان الذي ذهبت منه ناقته، وهو في أرض فلاة واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، ثم وجد الراحلة عند رأسه، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، فالله سبحانه أفرح بتوبة عبده من

هذا براحلته، مع أنه هو الذي تفضل بها، وهو الذي يَمُنُّ بها، ويفرح بها من عبده، فهو المنان بها والموفق لها جل وعلا ﷻ. اهـ

* **السعدي**: وهذا فرح جود وإحسان؛ لأنه ﷻ ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمته وإحسانه، ويكره لهم ضد ذلك؛ فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابًا، وبينها لعباده، وحثهم على سلوكها، وأعانهم عليها، ونهاهم عن ما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب، فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا راجعوا التوبة والإنابة فرِح بذلك أعظم فَرَح يُقَدَّر، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام، وشراب، وركوب، فأيس منها وجلس ينتظر الموت، فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها، وكاد الفرح أن يقضي عليه، وقال من الدهش وشدة الفرح: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»، فهل يوجد فرح أعظم من فرح الآيس من حياته إذا حصلت له على أكمل الوجوه؟ فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصي العباد ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات كما تقدم: أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه الرحمة والإحسان وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين. اهـ

* **وقال شيخ الإسلام المصنف**[1]: ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من رجل أضل راحلته بأرض دوية**[2] **مهلكة،**

(١) في منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٤).

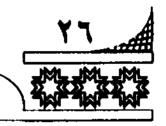
(٢) قال في «القاموس»: وأرض دَوِيَّة ويضم: غير موافقة. اهـ يعني بفتح الدال وضمها، وقال أبو السعادات في «النهاية»: الدَّوُّ: الصحراء التي لا نبات فيها، والدويَّة، منسوبة إليها. اهـ، قلت: الظاهر أنَّ المراد الصحراء الخالية والمفازة المنقطعة.

عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فقال[١] تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هو بدابته، عليها طعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته» والفرح إنما يكون بحصول المحبوب، والمذنب كالعبد الآبق من مولاه الفار منه، فإذا تاب فهو كالعائد إلى مولاه وإلى طاعته، وهذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ، يبين من محبة الله وفرحه بتوبة العبد ومن كراهته لمعاصيه، ما يبين أن ذلك أعظم من التمثيل بالعبد الآبق، فإن الإنسان إذا فقد الدابة التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة، فإنه يحصل عنده ما الله به عليم من التأذي، من جهة فقد الطعام والشراب والمركب، وكون الأرض مفازةً لا يمكن الخلاص منها، وإذا طلبها فلم يجدها يئس واطمأن إلى الموت، وإذا استيقظ فوجدها كان عنده من الفرح ما لا يمكن التعبير عنه، بوجود ما يحبه ويرضاه بعد الفقد المنافي لذلك، وهذا يبين من محبة الله للتوبة، المتضمنة للإيمان والعمل الصالح ومن كراهته لخلاف ذلك، ما يردُّ على منكر الفرق[٢] من الجهمية والقدرية، فإن الطائفتين تجعل جميع الأشياء بالنسبة إليه سواء... اهـ المقصود

---

(١) أي: نام في وقت القيلولة.

(٢) أي: الفرق بين صفتي الفرح والكراهة.

إثبات صفة الضحك لله تعالى

وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



الشرح

❁ **قال شيخ الإسلام**[(١)]: أحاديث الضحك متواترة عن النبي وقد رواها الأئمة، وروى مالك في «الموطأ» منها حديثه عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد**» وقد أخرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك، ورواه أيضا سفيان الثوري الإمام عن أبي الزناد، وحدث به[(٢)].

وقد روى صاحبا الصحيحين منها قطعة، مثل هذا الحديث، ومثل حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد الطويل المشهور وفيه: «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال له ادخل الجنة**»[(٣)]، ورواه أعلم التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وغير سعيد أيضا، ورواه عنه الزهري وعنه أصحابه. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «**يضحك الله إلى رجلين..**» إلخ، يُثبت أهلُ السنة والجماعة الضحك لله ﷻ كما أفاده هذا الحديث وغيره على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي

---

(١) في «التسعينية» (٣/ ٩١٥) وذيل «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦١٤ ط عطا).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٧٣)، والبخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، وأحمد (٩٤٨٠).

(٣) تقدمت مخرجة في فصل إثبات الرؤية.

لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح، أو يستفزهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإن الضحك إنما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمر عجيب يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث، كذلك فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر، وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا مَنَّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة- كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا.

وهذا من كمال رحمته، وإحسانه، وسعة فضله على عباده سبحانه، فإن المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمن على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله، فيدخلان الجنة جميعًا.

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا، أو القبول، أو أن الشيء حل عنده بمحل ما يُضْحَكُ منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك- فهو نفي لما أثبته رسول الله ﷺ لربه، فلا يلتفت إليه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات صفة الضحك، أن الله يضحك حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما أنه يفرح حقيقة تليق بجلاله، وتختص به، ومثله حديث: «**ضحك الله الليلة من فعالكما**»[1].

وتقدم قول أهل السنة في الصفات، أنهم يثبتونها لله تعالى من غير تمثيل، كما أنهم ينفون عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته من غير تعطيل.

وأما معناه: فإن الكافر يقتل المؤمن، ثم يَمُنُّ الله على الكافر فيسلم، فيكون هو وقتيله يدخلان الجنة. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة ﵁ في قصة إكرام الأنصاري لضيفه.

* **ابن باز**: قوله ﷺ: «**يضحك الله**» ضحكٌ يليق بالله، لا يشابه خلقه في صفاتهم وضحكهم، بل صفات الله تليق به وتناسبه جل وعلا. اهـ

* **العثيمين**: والضحك ثابت لله تعالى؛ لقوله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة**». وفسره أهل السنة والجماعة بأنه ضحك حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التأويل بالثواب.

ونرد عليهم بأنه مخالف لظاهر اللفظ، وإجماع السلف.

وصورتها أن كافرًا يقتل مسلمًا في الجهاد، ثم يسلم ذلك الكافر ويموت على الإسلام، فيدخلان الجنة كلاهما. اهـ.

* **السعدي**: وهذا أيضًا من كماله وكمال إحسانه وسعة رحمته؛ فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يَمُنُّ الله على ذلك الكافر القاتل فيهديه للإسلام فيدخلان الجنة جميعًا، وهذا من جوده المتتابع على عباده من كل وجه.

والضحك يكون من الأمور العجيبة التي تخرج عن نظائرها، وهذه الحالة المذكورة كذلك، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادئ الأمر أمرٌ غير محبوب، ثم هذا المتجرِّئ على القتل يتبادر لأذهان كثير من الناس أنه يبقى على ضلاله ويعاقب في الدنيا والآخرة، ولكن رحمة الله وإحسانه فوق ذلك كله، وفوق ما يظن الظانون ويتوهم المتوهمون، وكذلك لما دعا النبي ﷺ على أناس -من رؤساء المشركين؛ لعنادهم وأذيتهم- بالطرد عن رحمة الله أنزل الله قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية[1]. فتاب عليهم بعد ذلك، وحسن إسلام كثير منهم. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة.

الرد على المعطلة صفة الضحك

❁ **قال المصنف في «الرسالة الأكملية»**[1]: وقول القائل: إن الضحك خفة روح. ليس بصحيح؛ وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل: خفة الروح، إن أراد به وصفًا مذمومًا فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قُدِّر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**. فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله، أويضحك الرب؟ قال: نعم. قال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا»[2]. فجعل الأعرابي العاقل -بصحة فطرته- ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك. اهـ

---

(١) كما في مجموع الفتاوى (٦/ ١٢١).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

فصلٌ في إثبات صفة العَجَب لله تعالى

(وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ[1]، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ[2]).



الشَّرْح

قوله: «عَجِبَ رَبُّنَا».

❁ **الهراس**: قوله: «عجب ربنا..»، إلخ، هذا الحديث يثبت لله ﷻ صفة العَجَبِ[3]، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: «عجب ربك من شاب ليس

---

(١) وفي بعض النسخ المطبوعة: «خَيْرِهِ» قال الشيخ إسماعيل الأنصاري: ليس فيما تتبعته من المراجع سوى هذا اللفظ «غِيَرِهِ» بالغين. اهـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦١٨٧)، والطيالسي (١٠٩٢)، وابن ماجه (١٨١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤)، والطبراني (ج١٩/ ص٢٠٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٦) عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِهِ. قال: قلت: يا رسول الله، أويضحك ربنا؟ قال: نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا.
ولم أقف عليه بلفظ: «عجب»، بل الثابت بلفظ «ضحك»، وقد صح المعنى من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل» أخرجه البخاري (٣٠١٠، ٤٥٥٧)، وعنده أيضًا (٤٨٨٩)عن أبي هريرة مرفوعًا: «لقد عجب الله من فلانة وفلان» وعند مسلم (٢٠٥٤) بلفظ: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

(٣) العَجَب بفتح العين والجيم، التعجب من الشيء المستغرب. وقد تضم الواو مع سكون الجيم ويكثر إطلاقه بالضم والسكون على الكِبْر، قال في «القاموس»: وبالضم: الزهو والكِبْر، وإنكار ما يرد عليك كالعَجَب محركة. وتَعَجَّبْتُ منه، واستعْجَبْتُ منه، كعَجِبْتُ منه. اهـ وقال في «اللسان»: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده. اهـ

له صبوة»(١).

وقرأ ابن مسعود ﷺ: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ). بضم التاء على أنها ضمير الرب جل شأنه(٢).

وليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاء في الأسباب، أو جهل بحقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمتهن وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٧١)، وأبو يعلى (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٧/ ص ٣٠٩/ ح٨٥٣)، وتمام في «فوائده» (١٣٠٠) من حديث قتيبة بن سعيد، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر بسند ضعيف، فيه ابن لهيعة سيء الحفظ، لكن رواية قتيبة عنه مقبولة؛ لأنه كتب حديثه من كتب عبد الله بن وهب، وكان ابن وهب سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه، ثم عرضها قتيبة على ابن لهيعة، وحسّنه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٧٠)، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٦٥، ١٤٦٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٦) من طرق أخرى عن ابن لهيعة به. وله شاهد عن أبي هريرة. انظر «تخريج المسند» للشيخ شعيب الأرنؤوط (٢٨/ ٦٠٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلفٌ من العشرة: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] بضم التاء، «بل عَجِبْتُ» وقرأ الباقون بفتح التاء.

انظر: «المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري (ص/ ٣٧٥).

قال في «اللسان»: وقوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ قرأها حمزة والكسائي بضم التاء، وكذا قراءة عليّ بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو: (بل عجبتَ) بنصب التاء. قال الفرّاء: العَجَبُ أصل العَجَب في اللغة: أنّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ويَقِلُّ مثله، قال: عجبتُ من كذا، وعلى هذا معنى قراءة من قرأ بضم التاء؛ لأن الآدمي إذا فعل ما ينكره الله جاز أن يقول: عجبتُ، والله عز وجل قد علم ما أنكره قبل كونه، ولكن الإنكار والعَجَب الذي تلزم به الحجة عند وقوع الشيء. اهـ

قلت: وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾، فهو عز وجل عالم بكل شيء، ومحيط بكل شيء قبل كونه ووجوده، وإنما المراد علم الوقوع منهم؛ ليجازيهم عليه، فكذلك العَجَب. والله أعلم.

❁ **السعدي والهراس**: وهذا العجب الذي وصف الرسول به ربه من آثار رحمة الله، وهو من كماله تعالى، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فإذا تأخر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم استولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرج من القريب المجيب فيعجب الله منهم، وهذا محل عجب، كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء، والأسباب لحصولها قد توفرت؟ فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، والدعاء لحصول الغيث والرجاء لله من الأسباب، ووقوع الغيث بعد امتناعه مدة طويلة وحصول الضرورة يوجب أن يكون لفضل الله وإحسانه موقع كبير وأثر عجيب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ[1]﴾ [الروم: ٤٨-٤٩] الآيات. والله تعالى قدر من ألطافه وعوائده الجميلة أن الفرج مع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الضرورة لا تدوم، فإن حصل مع ذلك قوة التجاء وشدة طمع بفضل الله، ورجاء وتضرع كثير ودعاء- فتح الله عليهم من خزائن جوده ما لا يخطر بالبال. اهـ

قوله: «مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ»

❁ **الهراس**: القنوط مصدر (قنط)، وهو اليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: القنوط: شدة اليأس، وهو استبعادهم ويأسهم من حصول المطر[2]. اهـ

---

(١) أي: آيسين قنطين.

(٢) قال في «القاموس»: قَنَطَ - كنَصَرَ، وضَرَب، وحَسِبَ، وكَرُمَ- قُنوطًا -بالضم- وكفَرِحَ، قَنَطًا وقناطةً، وكَمَنَعَ وحَسِبَ -يَئِسَ، فهو قَنِطٌ، كفَرِح. وقَنَّطَه تقنيطًا: آيَسَهُ. اهـ

قوله: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ».

* ابن باز: أي: تغير الأمور، والإنسان قد يقنط وييأس من شدة الجدب، وفرج الله قريب. اهـ

* الهراس: قوله: «وقرب خيره»[١]. أي: فضله ورحمته. وقد روي: «غِيَرِهِ»[٢]، والغير: اسم من قولك: غيَّرَ الشيءَ فتغير[٣]. وفي حديث الاستسقاء: «من يكفر بالله يلق الغير»[٤]. أي: تغير الحال، وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. اهـ

* ابن مانع: قوله: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ». اسم من قولك: غيرت الشيء فتغير. قال أبو السعادات: وفي حديث الاستسقاء: «من يكفر بالله يلق الغِيَرَ» أي: تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. اهـ

* السعدي: «وقرب غيره». أي: تغييره الشدة بالرخاء. اهـ

* آل الشيخ: «وقرب غِيَرِه». أي: قرب تغييره للحال التي أنتم عليها إلى الحال التي أحسن منها، تغيير حال السوء إلى حال الخصب والفرح. اهـ

* قال شيخ الإسلام[٥]: «قرب غيره». أي: قرب تغيره من الجدب إلى الخصب. اهـ

---

(١) تقدّم أنّ هذه اللفظة لم ترد في الرواية، ولا في النسخ الخطية المعتمدة.

(٢) هذه هي الرواية المعتمدة وما سواها فخطأ.

(٣) قال في «القاموس»: وتغيَّرَ عن حاله: تحوَّل، وغيَّره: جعله غيرَ ما كان وحوَّله وبدَّله، والاسم: الغَيْرُ، وغِيَرُ الدهر -كعِنَب-: أحداثه المغيِّرة. اهـ

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٥/ ص٢٤٥/ ح٢٨)، وفي «الدعاء» (٣/ ١٧٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٤١) من حديث أنس بن مالك الطويل في الاستسقاء وفيه أن رجلًا من كنانة قام فقال قصيدة ومنها:

فَمَـن يـشكرِ الله يلـقَ المزيـدْ ** ومَـن يكفـر الله يلـقَ الغـير

وسنده ضعيف، فيه مسلم الملائي ضعيف، وسعيد بن خثيم قال ابن حجر: صدوق رمي بالتشيع له أغاليط. اهـ

(٥) في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ٧٤)

قوله: «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ».

❁ **ابن مانع**: الأَزْل: الشدة والضيق، وقد أَزِلَ الرجل يأزل أزْلًا. أي: صار في ضيق وجدب، كأنه أراد: من يأسكم وقنوطكم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «أَزْلِيْن» الأَزْلُ: شدة الضعف، والحال -والله أعلم- يعني: شديدي الحال. «قنطين»: يعني آيسين من الغيث. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «أزلين قنطين»: حالان من الضمير المجرور في «إليكم»، و«أزلين»: جمع أزِل، اسم فاعل من الأزْل، بمعنى الشدة والضيق، يقال: أزِل الرجل يأزل أزْلًا، من باب فرِح. أي: صار في ضيق وجدب[1]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات عدة صفات من صفات الله تعالى:

إحداها: العَجَب، وأن الله يَعْجَب عجبًا يليق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل.

«**ينظر إليكم**» فيه إثبات صفة النظر. «**فيظل يضحك**» فيه إثبات صفة الضحك.

«**يعلم أن فرجكم قريب**» فيه إثبات صفة العلم. اهـ

❁ **العثيمين**: والعجب ثابت لله تعالى؛ لقول الرسول ﷺ: «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره**» الحديث. والممتنع على الله من العَجَب هو ما كان سببه الجهل بطرق المتعجَّب منه؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء، أما العَجَب الذي سببه خروج الشيء عن نظائره أو عمَّا ينبغي أن يكون عليه، فإن ذلك ثابت لله.

وقد فسره أهل السنة بأنه عَجَب حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التأويل بثواب الله أو عقوبته.

ويرد عليهم بأنه خلاف ظاهر النص وإجماعِ السلف. اهـ

---

(١) قال في «القاموس»: الأَزْل: الضيق والشدة، وبالكسر: الكذب، والداهية، وبالتحريك: القِدَم. اهـ

الرد على شبهات المعطلة

* قال شيخ الإسلام في «الرسالة الأكملية»(١): وأما قوله: التعجب استعظام للمتعجب منه.

فيقال: نعم، وقد يكون مقرونًا بجهلٍ بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب؛ لخروجه عن نظائره تعظيما له، والله تعالى يعظِّم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٧]، وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ على قراءة الضم، فهنا هو عَجِبَ من كفرهم مع وضوح الأدلة.

وقال النبي ﷺ للذي آثر هو وامرأته ضيفهما-: «لقد عَجِبَ الله» وفي لفظ في الصحيح: «لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة»(٢).

وقال: «إن الرب ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. يقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا»(٣).

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٢٣).

(٢) كلا اللفظين في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٦)، وأبو داود (٢٦٠٢)، وصححه ابن حبان (٢٦٨٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني من حديث علي بن أبي طالب في دعاء ركوب الدابة.

وقال: «عجب ربك من شاب ليست له صبوة»[(١)].

وقال: «عجب ربك من راعي غنم على رأس شظية يؤذن ويقيم، فيقول الله: انظروا إلى عبدي»[(٢)]، أو كما قال ﷺ، ونحو ذلك. اهـ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا، والصبوة: جهلة الفتوَّة، قاله في «القاموس» وقال صاحب «النهاية»: أي ميل إلى الهوى، وهي المرة منه. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣١٢، ١٧٤٤٢، ١٧٤٤٣)، وأبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٧/ ص٣٠٩/ ح٨٥٥)، والبيهقي (١٩٠٥)، بسند صحيح عن عقبة بن عامر به مرفوعًا. والشَّظِيَّةُ: القطعة من الجبل، لم تنفصل منه.

إثبات صفة الرِّجْلِ والقَدَمِ لله على ما يليق به تعالى

قال المصنف: (وَقَوْلُهُ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ هَل مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١)).

الشرح

❁ **ابن باز**: قوله: «قط قط». أي: حسبي حسبي، ففيه إثبات القَدَمِ والرِّجْلِ لله على الوجه اللائق به، فهو سميع بصير، له يد، وله قدم، كلها صفات تليق به، لا يشابه خلقه فيها، ولا في سمعه، ولا في بصره، ولا في يده، ولا في قدمه، ولا في ضحكه، ولا في غير ذلك، فصفات الله وأسماؤه تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، هكذا قال أهل السنة والجماعة في جميع الصفات بابها واحد؛ خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، وغيرهم، ممن ألحد في صفلت الله، فالجهمية نفوا أسماء الله وصفاته جميعًا، والمعتزلة نفوا الصفات، وأثبتوا الأسماء المجردة من المعاني، والأشعرية وطوائف أخرى نفوا بعضًا، وأثبتوا بعضًا(٢).

والصواب هو إثبات جميع ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، كلّ ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ فهو مثل ما جاء في القرآن، يجب إثباته لله على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) أثبتوا الأسماء، وسبعة صفات وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات صفة الرِّجل، وصفة القدم لله، تبارك وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا توهم، يجب علينا أن نعلمه ونعتقده ونجزم به، كما أتى عن رسوله ﷺ.

«لا تزال جهنم يلقى فيها»: يعني: دوام اتصافها بذلك وهي تقول: هل من مزيد؟ تطلب وتسأل الزيادة، باقية ما امتلأت تطلب.

قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» وتتضايق: «فتقول: قط قط» أي: كافيني، وهو اسم فعل. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «لا تزال جهنم...» إلخ في هذا الحديث إثبات الرِّجْلِ والقَدَم لله ﷻ. اهـ

قاعدة في الصفات

❁ **آل الشيخ**: ولا يمكننا أن نحيط بخالقنا تبارك وتعالى علمًا، بل الخلق يعلمون خالقهم بما أوحاه إليهم على ألسن رسله، ولا يعلمون ما هو عليه، ومعرفة ما هو عليه من أمنع الممتنعات، بل هم ممنوعون أن يخوضوا في صفات الله تعالى، مأمورون بالتفكر في آياته، ممنوعون عن التفكر في كيفية صفاته، فإن الله لم يجعل لهم إليه سبيلًا، وأيضًا السبيل ليس حجابًا إذا كشف علموا ما هو عليه، بل لا يحيطون به علمًا، كما في الآية الكريمة. ونعرف أن القول في الصفات كالقول في الذات كما تقدم، بل ما يثبت له سبحانه يختص به ويليق به، وإن اتفق في اللفظ، وكذلك ما يضاف إلى المخلوق يختص به ويليق به، فإثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف. اهـ

الحكمة من وضع الرب رجله في النار

❁ **السعدي والهراس**: هذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه، والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها، كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. ولما كان مقتضى رحمته وعدله ألا يعذب أحدًا بغير ذنب، وكانت النار في غاية العمق والسعة، حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقا آخرين، كما ثبت بذلك الحديث(١). اهـ.

❁ **العثيمين**: القدم ثابتة لله تعالى؛ لقوله ﷺ: **«جهنم يُلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله -وفي رواية عليها قدمه- فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط»**.

وفسر أهل السنة الرِجْل والقدم بأنها حقيقية على الوجه اللائق بالله.

وفسر أهل التأويل الرجل بالطائفة. أي: الطائفة الذين يضعهم الله في النار، والقدم بالمقدَمين إلى النار.

ورُدَّ عليهم بأن تفسيرهم مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل. اهـ.

---

(١) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنة» أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، وأخرجه البخاري أيضًا (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

❁ **ابن مبارك:** قال البغوي في «شرح السنَّة»: القَدمُ والرِجْل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزَّهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كلُّ ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنَة، كاليد، والإصبع وغيرها، فالإيمان بها فرضٌ، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي يسلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطِّل، والمكيِّف مشبِّه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. انتهى(١).

مسلك السلف في نصوص الصفات

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف(٢).

وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل: له يدٌ كيدٍ، وسمعٌ كسمعٍ(٣)،

---

(١) انظر «شرح السنة» للبغوي (١/ ١٧٠-١٧١).

(٢) أخرجه اللالكائي وانظر: «سنن الترمذي» (٦٦٢)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧).

(٣) ذكر الترمذي في جامعه في الزكاة في باب ما جاء في فضل الصدقة، عقب حديث أبي هريرة مرفوعًا (٦٦١): «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن...**» الحديث. ثم قال: حديث حسن صحيح، وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ونؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال: كيف. هكذا روي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوى الحموية» (ص/ ١٠٩ طبعة أنصار السنة): فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلومًا، بل مجهولًا بمنزلة حروف المعجم، فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى،
=

[أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يدٌ، وسمع، وبصر. ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾][1].

وقال ابن عبد البر: «**أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيِّفوا شيئًا منها، وأمَّا الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقرَّ بها فهو مشبِّه؛ فسمَّاهم من أقرَّ بها معطِّلة**. انتهى[2]، والله تعالى أعلم». اهـ

قال المصنف رحمه الله[3] -في بيان المزيد المذكور في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]-: قد قيل إنها تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: ليس في محتمل للزيادة، والصحيح أنها تقول: «هل من مزيد؟» على سبيل الطلب. أي: هل من زيادة تزاد فيَّ. والمزيد ما يزيده الله فيها من الجن والإنس، كما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب**

=

وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات. وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف، فمن قال: الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف.

وأيضًا فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمرّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمرّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بها دلّت عليه حقيقة، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيف عمّا ليس بثبات لغو من القول. اهـ

(١) ما بين المعكوفين سقط من شرح ابن مبارك واستدركته من «جامع الترمذي» لأهميته في توضيح مقصود السلف في الإثبات والإمرار. انظر «جامع الترمذي» كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، عقب حديث (٦٦٢).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧)، و«عون المعبود» (١٣/ ٣١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٤٦).

العزة فيها قَدَمَه -ويروى: عليها قدمه- فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط»[١]، فإذا قالت حسبي حسبي. كانت قد اكتفت بما ألقي فيها، ولم تقل بعد ذلك: هل من مزيد؟ بل تمتلئ بما فيها؛ لانزواء بعضها إلى بعض؛ فإن الله يضيّقها على من فيها؛ لسعتها، فإنه قد وعدها لَيَمْلأَنّها من الجنة والناس أجمعين، وهي واسعة فلا تمتلئ حتى يضيّقها على مَن فيها. قال: «**وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا فيدخلهم الجنة**»[٢]. فبين أن الجنة لا يضيقها سبحانه، بل ينشئ لها خلقًا فيدخلهم الجنة؛ لأن الله يدخل الجنة من لم يعمل خيرًا؛ لأن ذلك من باب الإحسان، وأما العذاب بالنار فلا يكون إلا لمن عصى فلا يعذب أحدًا بغير ذنب». والله أعلم. اهـ

فائدة: في رد شبهات المعطلة على أدلة إثبات القدم والرجل

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي»[٣]: ثم أنشأت أيها المريسي تطعن في حديث الرسول ﷺ بعدما صدقت به، وعرفت أنه قد قاله، ثم فسرته تفسيرًا مخالفًا لتفاسير أهل الصلاة، وهو قوله: «**لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوى فتقول: قط قط**» وادّعيت أيها المريسي أن الحديث حقٌّ، ومعناه عندك: أنها لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها، فقلت: معنى قدمه: أهل الشقوة، الذين سبق لهم في علمه أنهم صائرون إليها، كما قال ابن عباس بباطل زعمك في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، قال: ما قدّموا من أعمالهم، فقد روينا أيها المريسي عن الثقات الأئمة

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) المسمى: «رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد» (١/ ٣٩٤-ط: الرشد).

المشهورين، عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القَدَم خلاف ما ادّعيت من تأويلك هذا، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ويحيى الحماني، عن وكيع، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدره إلا الله عز وجل.

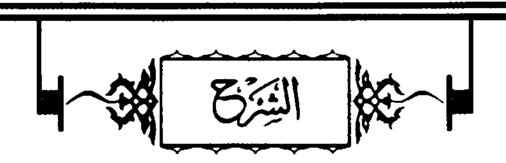
فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحًا مشهورًا[1]، فما بالك تحيد عن المشهور المنصوص من قوله، وتتعلق بالمغمور منه، الملتبس الذي يحتمل المعاني؟! وكيف تدعي أنها لا تمتلئ حتى يلقي الله فيها الأشقياء، الذين هم قدم الجبار عندك، فتمتلئ بهم في دعواك؟ وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها وإلقاء الله إياهم فيها، فاستزادت بعد ذلك؟ أفيلقيهم فيها ثانية وقد ألقاهم فيها قَبلُ فلم تمتلئ؟ كأنه في دعواك حبس عنها الأشقياء، وألقى فيها السعداء، فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعدُ حتى ملأها، لو ادّعى هذا من لم يسمع حرفًا من القرآن ما زاد. اهـ

---

(١) أخرجه أيضًا عبد الله بن أحمد (٥٧٢ - ط: الحمدان)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد»، وابن منده في «التوحيد» (١٠٠٢)، وفي «الرد على الجهمية» (١٧)، وصححه أيضًا أبو زرعة الرازي كما حكى عن ابن منده في «التوحيد»، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٤) حيث قال: والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره: الكرسي موضع القدمين، وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار. اهـ
وقال شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣٦٣): وطائفة اشتبه عليها مفسرو الكرسي بالعلم مع أن هذا لا يعرف في اللغة ألبتة، ... وهذا وإن كان من رواية جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فالثابت عن ابن عباس من رواية الثوري، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير خلاف هذا، وقال: الكرسي موضع القدمين. اهـ

إثباتُ صفةِ الكلامِ لله

قال المصنف: (وَقَوْله ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ! فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]. وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»[2]).



الشرح

* **الهراس**: في هذين الحديثين إثبات القول والنداء والتكليم لله ﷻ، وقد سبق أن بينا مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وأنهم يؤمنون بأن هذه صفات أفعال له سبحانه، تابعة لمشيئته وحكمته، فهو قال، ويقول، ونادى، وينادي، وكلم، ويكلم، وأن قوله ونداءه وتكليمه إنما يكون بحروف وأصوات، يسمعها من يناديه ويكلمه، وفي هذا رد على الأشاعرة في قولهم: إن كلامه قديم، وإنه بلا حرف ولا صوت. اهـ

قَوْله ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ».

* **آل الشيخ**: فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كلام حقيقة مسموع بالآذان، فإن آدم سمعه بأذنيه فيجيب آدم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٠، ٤٤٦٤، ٦١٦٥، ٧٠٤٥)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٧، ١٣٥١، ٣٣٩٩، ٣٤٠٠، ٦١٧٤، ٦١٩٥، ٧٠٠٥، ٧٠٧٤)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم ﷺ.

وكما تكلم في الدنيا يتكلم في الآخرة على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا التكليم في الآخرة من غير ترجمان، ولا واسطة، بل كفاحًا، فهو تكلم ويتكلم وسيتكلم، ومذهب أهل السنة أن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وهذه عبارتهم.

في هذا الحديث: إثبات صفة الكلام؛ لأن النداء نوع منه، وهو الذي سبحانه ينادي.

وفيه أنه بحرف وصوت، وفي رواية: «فيناديه» ففيه إثبات صفة الكلام، ومن أدلة ذلك: «**أما إني لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(١).

وقد جرت محاورة بين بدعي وسني، فقال البدعي: إذا قال الله لك: ما دليلك على أن الله يتكلم بحرف وصوت؟ فأجاب السنّي بقوله: أقول ها أنا ربي، أسمع كلامك بحرف وصوت. اهـ

❁ **ابن باز**: قوله ﷺ: «**يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبَّيك وسعديك، فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...**» فهذا الحديث فيه إثبات الصوت لله، وأنه سبحانه له صوت يسمع، تسمعه الملائكة، وسمعه موسى عليه السلام، وسمعه محمد ﷺ ليلة المعراج، وقوله: «**إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار**» جاء في الحديث: «**أنهم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**» وهذا بعث النار، لا ينجو إلا واحد من الألف، وتسعمائة وتسعة وتسعون بعث النار، هذا يدل على عظم الخطر؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧١) من حديث عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**».

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ قال الشيخ الألباني: صحيح. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠١٧)، والطبراني في«المعجم الكبير» (ج٩/ ص١٣٠/ ح٨٦٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧١) موقوفًا على ابن مسعود.

جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: ٢٠].

ولما سمع الصحابة هذا الأمر -من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون- عظم عليهم الأمر قال عليه الصلاة والسلام في تكملة الحديث: «**لا تخافوا إن التسعمائة والتسعة والتسعين من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد**» من أمة محمد غير يأجوج ومأجوج، فهذا يدل على أن كثرة الداخلين في النار من يأجوج ومأجوج الذين هم من أخبث الناس، ويخرجون في آخر الزمان. اهـ

❁ **السعدي**: في هذا الحديث إثبات القول من الله، والنداء لآدم، وأنه نداء حقيقة بصوت، وهذا من فضل الله لا يشكل على المؤمنين؛ فإن النداء والقول من أنواع كلامه، وكلام الله صفة من صفاته، والصفة تتبع الموصوف.

وفيه أن القول والنداء يكون في يوم القيامة، وهذا من أدلة الأفعال الاختيارية، وكم لهذه المسألة من براهين من الكتاب والسنة. اهـ

وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

❁ **ابن باز**: هذا يدل على أن التكليم عام يوم القيامة: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه». لكن أهل الشر يكلمهم كلامًا يضرهم، كلام غضب عليهم، وأهل الخير كلامًا يسرهم. اهـ

❁ **السعدي والهراس**: هذا الحديث أيضا: فيه إثبات لتكليمه لجميع العباد بلا واسطة، وتكليمه لعباده نوعان:

١- **نوع بلا واسطة**: كما في هذا الحديث، وتكليمه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان، وأما ما في هذا الحديث فإنه تكليم محاسبة يكون مع البر والفاجر.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧] فالمنفي كلام خاص، وهو الكلام الذي يسر المتكلم.

٢- ونوع بواسطة: وهو كلامه تعالى لرسله من الملائكة بأمره، ونواهيه، وأخباره لأنبيائه ورسله من البشر. اهـ

مذاهب المعطلة في صفة الكلام الإلهي

* العثيمين: مذهب الجهمية في كلام الله أنه خلق من مخلوقاته لا صفة من صفاته، وإنما أضافه الله إليه إضافة تشريف وتكريم، كما أضاف إليه البيت والناقة في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

ومذهب الأشعرية أن الكلام صفة من صفاته؛ لكنه هو المعنى القائم بالنفس، وهذه الحروف مخلوقة لتعبر عنه، والكلابية يقولون كقول الأشعرية، إلا أنهم سموا الألفاظ حكاية لا عبارة، وعلى مذهبيهما ليس كلام الله بحرف وصوت وإنما هو المعنى القائم بنفسه. اهـ

مذاهب الناس في صفة الكلام

* قال شيخ الإسلام[1]: مسألة كلام الله تعالى الناس فيها مضطربون، قد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال:

أحدها: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض، إما من العقل الفعّال[2] عند بعضهم، وإما من غيره، وهذا قول الصائبة والمتفلسفة

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٣/ ١١٣ ط المنار)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٦٣) و«شرح الطحاوية» (١/ ١٧٣).

(٢) يطلق العقل الفعّال عند الباطنية والفلاسفة على جبريل عليه السلام. انظر «الدرر السنية» (١/ ٥٢)، «درء التعارض» (٢/ ٣٠٤)، و«المنتقى من منهاج الاعتزال» (ص/ ١٠٦)، و«جلاء العينين» للشيخ نعمان الآلوسي (ص/ ٣٠٢).

الموافقين لهم، كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم، كأصحاب وحدة الوجود[١].

وثانيها: قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم، الذين يقولون: كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله، ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة.

وثالثها: قول من يقول: بأنه معنى واحد قديم قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عُبِّرَ عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عُبِّرَ عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عُبِّرَ عنه بالسريانية كان إنجيلًا، وأنه معنى واحد في الأزل. وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري، وغيره.

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية مجتمعة في الأزل. وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث، ذكره الأشعري في المقالات عن طائفة، وهو الذي يذكر عن السالمية[٢]، ونحوهم، وهؤلاء قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من النار، أو هي بعض الصوت المسموع من النار، وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، وقالوا: هذا مخالفة لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات، لكن تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، وكلامه حادث في ذاته، كما أن فعله حادث في ذاته، بعد أن لم يكن متكلمًا ولا فاعلًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم، وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته.

---

(١) قال أبو الوليد بن رشد: والذي يقوله القدماء في أمر الوحي والرؤيا إنما هو عن الله تعالى بتوسط موجود روحاني، ليس بجسم وهو واهب العقل الإنساني عندهم الذي يسمونه العقل الفعّال، وفي الشرع يسمى ملكًا. اهـ من «جلاء العينين» للآلوسي (ص/ ١٣٩).

(٢) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم، (ت ٢٩٧هـ)، وابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم (ت ٣٥٠هـ) ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع التشبيه والتصوف الغالي.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنىً قائمًا بذاته وهو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

وتاسعها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يقوم به، وهو متكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديمًا، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وبالجملة أهل السنة والجماعة - أهل الحديث، ومن انتسب إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والأشعرية والسالمية- يقولون: إن الكلام غير مخلوق. وهذا هو المتواتر عن السلف والأئمة من أهل البيت وغير أهل البيت، ولكن تنازعوا بعد ذلك على الأقوال الخمسة المتأخرة.

أما القولان الأولان قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم والصابئة المتفلسفة ونحوهم، والثاني قول الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم، كالنجارية، والضرارية.

وأما الشيعة فمتنازعون في هذه المسألة، وقدماؤهم كانوا يقولون: القرآن غير مخلوق، كما يقوله أهل السنة والحديث، وهذا هو المعروف عند أهل البيت، كعلي بن أبي طالب، وغيره مثل أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وغيرهم، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم. اهـ



إثبات علو الرب وفوقيته

قال المصنف رحمه الله: (وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اِجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اِغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا[١] وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبْرَأَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٢].

وَقَوْلِهِ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ (رواه البخاري[٣] وغيره).

وَقَوْلُهُ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذلك[٤]، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[٥].

---

(١) الحوب: بضم الحاء: الذنب الكبير. قال أبو السعادات ابن الأثير: «حوبنا» بضم الحاء: الإثم، وبالفتح مثله، وقيل: إن الضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة تميم. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٥٧)، وأبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٥)، والحاكم (١٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٤) كذا في نسخة بخط المؤلف وفي أكثر النسخ «فوق الماء»، والمثبت هو الموافق للرواية.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨)، وأبو سعيد عثمان بن سعيد في النقض على المريسي (١/ ٤٦٩): عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فوق عرشه، فوق سمواته، فوق أرضه مثل القبة» وأشار النبي ﷺ مثل القبة: «وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب».
واللفظ الذي ذكره المصنف صح موقوفًا على ابن مسعود، وله حكم الرفع، قال: «بين سماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه». أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد وإثبات صفات الرب» (٥٩٤)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٣٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩٥-٣٩٦، ح٦٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨)، وأبو الشيخ في =

وَقَوْلُهُ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1]).



* ابن باز: قوله: في رقية المريض «ربنا الذي في السماء...»، الحديث في سنده ضعف؛ إلا إنه يوجد له طرق أخرى، لا أعلم حالها، لكن لعل أبا داود اطّلع عليها فيكون من باب الحسن لغيره، وإلاّ سنده عند أبي داود ضعيف؛ لكن معناه صحيح حتى لو ما ثبت، فالآيات والأحاديث تكفي[2]. اهـ

* الهراس: الحديث الأول والثاني صريح في علوه تعالى وفوقيته، فهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وقد سبق أن قلنا: إن هذه النصوص ليس المراد منها أن السماء ظرف حاوٍ له سبحانه؛ بل (في) إما أن تكون بمعنى (على) كما قاله كثير من أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإما أن يكون المراد من السماء جهة العلو، وعلى الوجهين فهي نص في علوه تعالى على خلقه.

=

«العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩، ح٢٧٩)، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٨٣٠)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص: ١٠٤)، وصححه الذهبي في «كتاب العرش» (١٠٥)، و«كتاب العلو» (٥٤٤)، وعزاه لعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة»، وأبي بكر بن المنذر، وأبي أحمد العسال، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ، واللالكائي، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي عمر بن عبد البر، وقال: وإسناده صحيح. وصححه الألباني في «مختصر العلو» (٢٩٧).

(١) أخرجه مسلم(٥٣٧).

(٢) وله شواهد في أسانيدها ضعف انظرها في «تخريج مسند الإمام أحمد» (٣٩/ ٣٧٩-٣٨١) للشيخ شعيب الأرنؤوط ومعاونيه.

وفي حديث الرقية المذكور توسل إلى الله ﷻ بالثناء عليه بربوبيته، وإلاهيته، وتقديس اسمه وعلوه على خلقه، وعموم أمره الشرعي وأمره القدري، ثم توسل إليه برحمته التي شملت أهل سمواته جميعًا أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا منها، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوب -وهو الذنب العظيم- ثم الخطايا التي هي دونه، ثم توسل إليه بربوبيته الخاصة للطيبين من عباده- وهم الأنبياء وأتباعهم- التي كان من آثارها أن غمرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوعة إلى الله لا يكاد يرد دعاء من توسل بها؛ ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا تعلق فيه لغير الله، فهل يفقه هذا عباد القبور، من المتوسلين بالذوات والأشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك؟. اهـ

قوله: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ».

* **العثيمين**: في حديث رقية المريض من صفات الله إثبات ربوبية الله، وإثبات علوه في السماء، وتقدس أسمائه عن كل نقص، وأن له الأمر في السماء والأرض، فحكمه فيهما نافذ، وإثبات الرحمة، وإثبات الشفاء لله وهو رفع المرض. اهـ

* **آل الشيخ**: فيه إثبات علو الربّ وفوقيته، وجاء في علوه وفوقيته أكثر من ألف دليل[1].

قوله: «في السماء» إما أن يراد به مطلق العلو وتكون على بابها، وإما أن تكون بمعنى (على). أي: عليها وفوقها.

---

(١) ذكرها ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» و«الصواعق المرسلة».

قوله: «تقدس اسمك» هذا فيه إثبات أن الله تسمى بها كما قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وقال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**» فدل على أن لله أسماء، وأنها دلت على الكمال إلى الغاية، ولا يجوز أن يتسمى بها أحد.

ومذهب أهل السنَّة: إثبات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، وتقدم لكم وجوب الإيمان بها لفظها ومعناها، ويُقَرُّ ويعتقد معناها ولفظها.

معنى التقديس: التطهير، و«اسمك» مفرد مضاف، يشمل جميع الأسماء المثبتة في النصوص، وأنها كلها مقدسة، ليس المراد تقدس واحد من أسمائك فقط والآخر لا، بل جميع الأسماء كلها، ففيه إثبات الصفات، وأنها مقدسة، المعنى تقدست أسماؤك عن نقص وعيب.

وفيه إثبات كمال أسماء الله تعالى، فإن المراد جنس الأسماء؛ ولهذا في الآيات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله: «أمرك في السماء والأرض» فيه إثبات صفة الكلام؛ لأن أمره بكلامه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قوله: «كما رحمتك في السماء»: فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «اجعل رحمتك في الأرض» فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «اغفر لنا حُوبنا وخطايانا» الحوب: هي الذنوب والخطايا، وعطف الخطايا على الحوب، إما أنه نوعان، نوع ونوع إلخ، والله أعلم.

وفيه إثبات صفة السمع.

قوله: «أنت رب الطيبين» فيه إثبات صفة الطيب، فهو الذي خلق الطيبين والطيب، فهو أولى بالطيب على وجه الكمال، وعدم مماثلته للخلق بوجه.

قوله: «أنزل رحمة من رحمتك» فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ» الشفاء: هو البرء. اهـ

قوله: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!».

❁ **آل الشيخ**: في هذا إثبات علو الربّ وفوقيته.

(في) هنا بمعنى (على) وهي تجيء في العربية بمعنى الاستعلاء، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

و«السماء» المراد بها السموات. يعني: فوق السموات.

«من في السماء» يعني: من على السماء، وقد تكون على بابها، وهو الظرفية. يعني في العلو. اهـ

❁ **ابن باز**: قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**» يعني: في العلو، وهكذا قوله ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك**». يعني: في العلو، «**أنزل رحمتك**» هذا يدل على العلو، هكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الأوعال: «**والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**» مثل ما تقدم في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. اهـ

قوله: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذلك، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»

❁ **الهراس**: فيه الجمع بين الإيمان بعلوه تعالى على عرشه، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها. فسبحان من هو علي في دنوه، قريب في علوه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: وهذا أيضًا فيه إثبات علو الربّ وفوقيته من غير تمثيل. اهـ

❁ **السعدي**: فيه الجمع بين الإيمان بعلوه على عرشه، وفوق مخلوقاته، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها، وقد جمع الله بين الأمرين في عدة مواضع من كتابه. ا.هـ

❁ **ابن مبارك**: قال البخاري: باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارتفع ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: خلقهنَّ. وقال مجاهد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: علا على العرش.

قال الحافظ: وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب «الفاروق» بسنده إلى داود بن علي بن خلف[1] قال: كنا عند أبي عبدالله ابن الأعرابي –يعني: محمد بن زياد اللغوي– فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال: هو على العرش كما أخبر. فقال: يا أبا عبد الله، إنما معناه: استولى. فقال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ.

وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش؛ لأنه غالبٌ على جميع المخلوقات.

ونقل محيي السنة البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع. وقال أبو عبيد والفرَّاء وغيرهما بنحوه.

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السنة» من طريق الحسن البصري عن أمِّه عن أمِّ سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. انتهى[2].

وقال في «شرح الطحاوية»: روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» بسنده إلى مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمَّن قال: لا أعرف ربي في

---

(١) إمام الظاهرية.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٠٦).

السماء أم في الأرض. فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سمواته. قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض. قال:هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر. اهـ

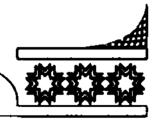
قوله: (**وَقَوْلُهُ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**)

❁ **الهراس**: تضمن هذا شهادة الرسول ﷺ بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه، فدل ذلك على أن وصف العلو من أعظم أوصاف الباري جل شأنه، حيث خصه بالسؤال عنه دون بقية الأوصاف، ودل أيضًا على أن الإيمان بعلوه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الإيمان، فمن أنكره؛ فقد حرم الإيمان الصحيح، والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطلة النفاة زعمهم أنهم أعلم بالله من رسوله، فينفون عنه الأين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلًا غيره، كما في هذا الحديث، ومرة مجيبًا لمن سأله بقوله: أين كان ربنا؟[١]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا فيه جواز السؤال عن الله بلفظ «أين؟»، وأهل التجهم والاعتزال يشهدون لمن يقول: أين الله بالكفران، والنبي ﷺ أقرها على ذلك وشهد لها

(١) تقدم تخريجه من حديث أبي رزين العقيلي ﷺ، قال: قلت يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء». أخرجه أحمد (١٦١٨٨)، والترمذي (٣٣٦٨)، وابن ماجه (١٨٣)، وصححه ابن حبان (٦١٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن. اهـ

والعماء: السحاب الرقيق. والمراد بالخلق المسؤول عنه هو هذا المخلق الموجود الآن من هذا الكون، بدليل ذكر العماء، وهو السحاب، وهو خلق من خلق الله، وفي هذا الحديث دليل على جواز السؤال عن الله تعالى بالأين.



بالإيمان، فدلك على أن مثبتي الصفات أتباع سيد ولد عدنان، ومنكريها أتباع جهم بن صفوان.

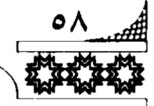
وفي هذا النص إثبات لعلو الرب وفوقيته. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «أين الله؟» فيه رد على أهل البدع المنكرين لعلو الله على خلقه، فنزهوه بجهلهم عما رضي به رسوله ﷺ، فقالوا: منزه عن الأين. وذلك جهل وضلال والحق ما جاءت به السنة. قال ابن عدوان:

وقد جاء لفظ الأين من قول صادق	*	رسول إله العالمين محمدِ
كما قد رواه مسلم في صحيحه	*	كذاك أبو داود والنَّسَئِي قدِ. اهـ

❁ **السعدي**: هذه النصوص وغيرها المصرحة بأنه تعالى في السماء إما أن (في) بمعنى (على) كما قاله كثير من أهل العلم واللغة. و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة مثل قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها. وقال طائفة من أهل العلم: إن معنى ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في جهة العلو. وعلى الوجهين: فهي نص في علو الله على خلقه.

وفي حديث الرقية المذكور توسل إلى الله بالثناء عليه بربوبيته، وألوهيته، وقدسيته، وعلوه، وعموم أمره الشرعي، وأمره القدري، فإن الله له الأمر القدري الذي ينشأ عنه جميع الموجودات والحوادث والتدابير القدرية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وله الأمر الشرعي المتضمن للشرائع التي شرعها لعباده على ألسنة رسله، فتوسل إلى الله بذلك، ثم توسل إليه برحمته التي شملت أهل السموات كلهم، أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا وافرًا منها، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوب- وهو الذنب العظيم والخطايا وما دونها- ثم بربوبيته الخاصة للطيبين، وهم الأنبياء وأتباعهم، التي من آثار ربوبيته إياهم أن غمرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة.



فهذه الوسائل المتنوعة لا يكاد يرد دعاء من توسل بها؛ فلهذا دعا الله بعدها بالشفاء، الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا فيه تعلق بغير الله، فأفضل المنن منن المولى التي لا سعي لمخلوق فيها.

وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلو الله ورسالة رسوله أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بعلوه على خلقه ومباينته لهم، وأنه على العرش استوى وأن هذا أصل الإيمان، وأن من أنكر علو الله المطلق من كل وجه فقد حرم هذا الإيمان. اهـ

جملة من الأدلة على إثبات صفة العلو

* قال شيخ الإسلام(١): أما علو الله تعالى على سائر مخلوقاته، وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلى: فالذي يدل عليه منها الكتاب قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧]؟ وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] في ستة مواضع؛ وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله إخبارًا عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] وأمثال ذلك.

والذي يدل عليه من «السنة» قصة معراج الرسول إلى ربه(٢)، ونزول الملائكة من

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٣٦).

(٢) بلغت مروياتها حدَّ التواتر القطعي، انظرها في «تفسير سورة الإسراء» في «الدر المنثور» للسيوطي، و«تفسير ابن جرير»، و«ابن كثير» وغير ذلك. وفي «زاد المعاد» لابن القيم، و«شرح الطحاوية».

عند الله، وصعودها إليه، وقوله: في الملائكة الذين يتعاقبون في الليل والنهار: «**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم، وهو أعلم بهم**»[١]. وفي حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**»[٢] وفي حديث الرقية: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»[٣] وفي حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**»[٤] وفي حديث قبض الروح: «**حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله**»[٥]. وفي «سنن أبي داود» عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال: «**ويحك أتدري ما الله؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، إن الله على عرشه، وإن عرشه على سمواته وأرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة**»[٦]. وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما خطب خطبة عظيمة يوم عرفات في أعظم جمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟**» فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: «**اللهم اشهد غير**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٤٧٢٩، ٤٧٨٦)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

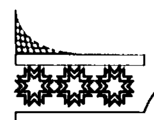
(٢) تقدم قريبًا.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٨٧٦٩، ٢٥٠٩٠)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٧٨، ١١٩٢٥)، والطبري في «تهذيب الآثار - مسند عمر» (٧٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بسند صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٢)، والبزار في «المسند» (٣٤٣٢)، والطبراني في «الكبير» (ج٢/ ص١٢٨/ ح١٥٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٨٣)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٧)، واللالكائي في «أصول السنة» (٦٥٦)، والدارقطني في «الصفات» (٣٩)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩).



مرة»[١]. وحديث الجارية لما سألها: «أين الله؟» قالت: في السماء. فأمر بعتقها، وعلل ذلك بإيمانها[٢]. وأمثاله كثيرة.

وأما الذي يدل عليه من الإجماع، ففي الصحيح[٣] عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سمواته[٤].

وروى عبد الله بن أحمد[٥] وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا في الأرض.

وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب -الإمام- سمعت حماد بن زيد -وذكر الجهمية- فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء[٦].

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي -إمام أهل البصرة علمًا ودينًا- أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم شر قولًا من اليهود والنصارى وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين، على أن الله تعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٨).

(٤) وهذا يدل على اتفاق الصحابة من نساء النبي عليه السلام وغيرهن على إقرارها على قولها: «من فوق سبع سمواته» فهو من الخبر المشهور في فضائل زينب وافتخارها به ولم يرد عليها أحد ذلك.

(٥) في: كتاب «السنة» (٢١٦) ط القحطاني.

(٦) «السنة» لعبد الله (٤١).

(٧) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣)، وقال الذهبي في «العرش» (ص/ ٢٦٤) و«العلو» (ص١١٧): رواه ابن أبي حاتم في كتابه، يعني «الرد على الجهمية».

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة - إمام الأئمة -: من لم يقل: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى به أهل القبلة، ولا أهل الذمة(١).

وروى الإمام أحمد قال: أنا سريح بن النعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان(٢).

وحكى الأوزاعي، أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، الذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق، حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش(٣)، وبصفاته السمعية، وإنما قاله بعد ظهور جهم المنكِر لكون الله فوق عرشه، النافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه.

وروى الخلال بأسانيد -كلهم أئمة- عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التصديق(٤).

---

(١) أخرجه عنه الحاكم في «علوم الحديث» (ص٨٤)، وعنه أبو عثمان الصابوني في «اعتقاد السلف» (ص٢٩)، وابن قدامة في «العلو» (١١٢)، وعلقه من طريق الحاكم الذهبي في «العرش» (٢٤١)، وقال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٤): وهذا معروف عنه رواه الحاكم في «تاريخ نيسابور»، وأبو عثمان النيسابوري في رسالته المشهورة. اهـ، وصححه في «الفتوى الحموية» (ص/ ٣٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢١٣)، ط القحطاني، والآجري في «الشريعة» (٦٥٢).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الصغرى» (ص/ ٢٢٩)، والبيهقي في «الأسماء» (٨٦٥)، والذهبي في «العرش» (١٥)، و«العلو» (ص/ ١٠٢)، و«الأربعين» (ص١٣)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ١٣١، ١٣٥).

(٤) تقدم مرارًا.

وهذا مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن أو نحوه(١).

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده(٢).

ولو يجمع ما قاله الشافعي في هذا الباب لكان فيه كفاية، ومن أصحاب الشافعي عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي له كتاب «الرد على الجهمية» وقرر فيه مسألة العلو، وأن الله تعالى فوق عرشه.

والأئمة في الحديث والفقه والسنة والتصوف المائلون إلى الشافعي ما من أحد منهم إلا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو معروف يطول ذكره(٣).

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عن أبي حنيفة يروونه بأسانيد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: لا تكفِرَنَّ أحدًا بذنب. إلى أن قال: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سموات. قلت: فإن قال: إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض. قال: هو كافر وإنه يدعى من أعلى لا من أسفل(٤).

وسئل علي بن المديني عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية؟ قال: اقرأ ما قبله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية(٥).

---

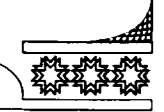
(١) تقدم مرارًا.

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ١٥٤).

(٣) كاللالكائي الطبري، وابن خزيمة، والبغوي وأبي عثمان الصابوني، وأبي الفتح بن نصر المقدسي في «الحجة»، وأبي القاسم التيمي الأصبهاني في «الحجة»، وأبي محمد الجويني، وغيرهم من فقهاء الشافعية ومنهم الذهبي، والمزي، وابن كثير، وأمم غيرهم.

(٤) انظر «شرح الفقه الأكبر» للسمرقندي (ص/ ٢٥).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» معلقًا من رواية لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي (٤٧٣ - ط: أشرف)، وفي «مختصره» للألباني (٢٢٥)، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٢٣٤).



وروي عن أبي عيسى الترمذي قال: هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان[(١)].

وأبو يوسف[(٢)] لما بلغه عن المرّيسي أنه ينكر الصفات الخبرية، وأن الله فوق عرشه، أراد ضربه فهرب، فضرب رفيقه ضربًا بشعًا. وعن أصحاب أبي حنيفة في هذا الباب ما لا يحصى.

ونقل أيضًا عن مالك: أنه نص على استتابة الدعاة إلى مذهب جهم، ونهى عن الصلاة خلفهم.

ومن أصحابه محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الإمام المشهور قال: في الكتاب الذي صنفه في «أصول السنة» باب الإيمان بالعرش قال: ومن قول أهل السنة إن الله خلق العرش وخصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ إلى أن قال: فسبحان من بعد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته[(٣)].

وأما أحمد بن حنبل وأصحابه فهم أشهر في هذا الباب.

وبه ائتم أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم -صاحب الطريقة المنسوبة إليه- قال[(٤)]:

---

(١) قاله في تفسير سورة الحديد من «جامعه» (٥/ ٤٩٢-ط: الرسالة) بعد حديث (٣٥٨٣).

(٢) الإمام صاحب أبي حنيفة، يقعوب الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) انظر: «أصول السنة» مع تخريجه «رياض الجنة» لعبد الله البخاري (ص/ ٨٨).

(٤) في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص/ ٢٠ - ط: فوقية حسين)، (ص/ ٣٤ - ط: دار ابن زيدون).

فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية والرافضة، والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي بها ندين الله: التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا محمد، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون.

وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظم، وكبير مفهَّم.

وجملة قولنا: بأنا نقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين.

إلى أن قال: باب ذكر الاستواء على العرش.

إلى أن قال: فإن قال قائل: فما تقولون في الاستواء؟ قيل له: إن الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾. وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أنه استولى ومَلَكَ وقَهَرَ، وأنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا بالاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروا، كان لا فرق بين العرش والأرض؛ لأن الله قادر على كل شيء... إلخ[1]. اهـ

---

(١) انظر: «الإبانة» للأهمية (ص/ ٣٣-٣٦) ط دار ابن زيدون، ففيه كلام واستدلال مبسوط للأشعري رحمه الله في تثبيت مذهب السلف، ورد تأويل المعتزلة والجهمية.

* وقال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية»[١]: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة- مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر[٢] في أن الله ﷻ هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء.. مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم، عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مِئِينَ، أو ألوفًا[٣].

ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء. ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟** فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: **اللهم اشهد**»[٤] غير مرة وأمثال ذلك كثيرة...إلخ وهو فصل مهم وطويل يحسن الرجوع إليه.

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢).

(٢) النص في الكلام ما بان المراد منه على وجه واحد لا يحتمل غيره، والظاهر ما كان أظهر في أحد وجهين، أو أكثر كلها محتملة.

(٣) جمع في ذلك الذهبي كتابين هما «العلو للعلي الغفار»، و«العرش».

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

إثبات معية الله لخلقه وأن قربه لا ينافي علوه وفوقيته

قال المؤلف رحمه الله: (وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ[(١)]. وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللهُمَّ رَبَّ السموات السَّبْعِ [وَربَّ الأَرْضِ][(٣)] وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ[(٤)] التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ والفُرْقَانِ[(٥)]، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ[(٦)] أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٧٩٦)، وفي «مسند الشاميين» (١٤١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٤١)، و«الشعب» (٧٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٠): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال: تفرد به عثمان بن كثير. قلت: ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. اهـ وقال المصنف: حديث حسن. وسكت عنه ابن رجب في «شرح الأربعين»، وسكت عنه البيهقي في موضعين من كتبه، فدل على صحته عنده، حيث قال في مقدمة «دلائل النبوة»، (١ /٤٧-ط: قلعجي): وعادتي في كتبي المصنفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح؛ ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه لا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مغمزًا فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار. اهـ وضعف الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٠٢)، وهذا الحديث سقط من النسخة التي بخط المصنف، فلعله أسقطه عمدًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦، ٧٥٣، ١٢١٣، ٦١١١)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر.

(٣) ليست في بعض النسخ، وهي ثابتة في صحيح مسلم كما سيأتي.

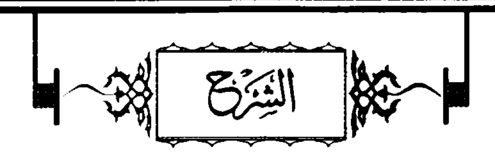
(٤) بسكون النون وكسر الزاي من الإنزال، وقيل: بفتح النون وتشديد الزاي مفتوحة من التنزيل.

(٥) في بعض النسخة المطبوعة: «والقرآن».

(٦) في بعض النسخ المطبوعة: «أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة...» إلخ.

(٧) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وَقَوْلِهِ ﷺ لَـمَّا رَفَعَ أصحابُه[1] أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اِرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا [بَصِيرًا][2] قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[3]).



قوله: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ».

❁ **ابن باز:** فهو معه بعلمه، وهو فوق السموات بذاته جل وعلا- أي: في العلو- ومعناه: معنا بعلمه وإحاطته جلَّ وعلا، فهو سبحانه فوق العرش وجميع الخلق، وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه خافية، هو مع أهل البحار، ومع أهل الأرض، ومع جميع الناس، لا يخفى عليه خافية، معهم بعلمه جل وعلا، كما قال في قصة النبي مع الصديق ؓ حين قال له النبي ﷺ وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وكما في قوله في قصة موسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فهذه معية خاصة، والعامة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فالواجب على أهل الإسلام أن يعلموا هذا الأمر، وأنّ الله مع عباده بعلمه وإحاطته، ومع أوليائه بعلمه، وكلاءته، وحفظه وعنايته، ﷻ، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فهو فوق العرش جل وعلا، وعلمه في كل مكان ﷻ.

---

(١) في بعض النسخ «الصحابة»، وفي أخرى «لأصحابه لما رفعوا».

(٢) سقطت من نسخة المؤلف، وثبتت في بقية النسخ، وهي إحدى روايات البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري ؓ مرفوعًا.

فالواجب على كل مكلف وعلى كل مسلم أن يعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بعلو الله، واستوائه على عرشه، وأنه ﷻ لا تخفى عليه خافية، وعلمه محيط بعباده أينما كانوا. اهـ

* **الهراس**: قوله: «**أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله معك حيثما كنت**» فيه دلالة على أن أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه ويشاهده، ويعلم أن الله معه حيث كان، فلا يتكلم، ولا يفعل، ولا يخوض في أمر إلا والله رقيب مطلع عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

ولا شك أن هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله، فإنه يستحيي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره؛ فتكون عونًا له على اجتناب ما حرم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات، على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقل حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه. اهـ

* **آل الشيخ: قوله**: «**معك**» أي: مع كل عبدٍ، هذا فيه إثبات صفة المعية العامة، وهي معية تليق بجلال الله وعظمته، وهو مستوٍ على العرش، معية من غير امتزاج، ولا اختلاط، ولا مماسة، معك في جميع أحوالك، ما يكون من حالة إلا والله معك، ومقتضى المعية العامة العلم، والإحاطة على خفيَّاتك وجلياتك.

وفيه من الفوائد:

١ – أن الإيمان يزيد وينقص، ثم هذه الزيادة تارة تكون عن فعل، وتارة تكون عن ترك، والنقص تارة يكون من غير اختيار، كالحائض وغيرها.

٢ – وأن كماله بشيئين:

الأول: في الكمية، وهي القيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات.

والثاني: بالكيفية، وهو التفاضل بتفاضل ما في القلوب، كما في خبر أبي بكر(١).

٣- وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان؛ ولهذا أحد تعاريف الإيمان أنه قول وعمل... إلخ، فهذا من قول القلب، علمه وإقراره أن الله معك حيثما كنت.

٤- ثم ما دل عليه من كونه أفضل، الإيمان؛ لكونه يكسب مقام الإحسان، فإن الدين مراتب ثلاث أعلاه الإحسان، كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضحه النبي ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»(٢).

٥- وفائدة أخرى: أن التقسيم الذي في حديث جبريل، يفيد أن الإحسان ليس خارجًا من الإيمان، بل منه، كما أنه من الإسلام، فإذا أفرد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌّ له مرتبة. اهـ

---

(١) لعله يقصد ما اشتهر من الأثر: «ما سبقكم -أو ما فضلكم- أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره». وهذا أثر لا يصح عن النبي ﷺ، بل قال الحفاظ: لا أصل له.
وقال العلامة ابن القيم في «المنار المنيف» (٢٤٦): ومما وضعه جهلة المنتسبين إلى السنة حديث: «ما سبقكم أبو بكر...» إلخ، وهذا من كلام أبي بكر بن عياش. اهـ
وقال التاج السبكي في «طبقات الشافعية» (٦/ ٢٨٨): لم أجد له إسنادًا. اهـ وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٠، ١٠٥): رواه الترمذي الحكيم في «النوادر» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا. وأقره السخاوي في «المقاصد» (٩٧٠)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٩٦٢): لا أصل له مرفوعًا. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مسلم (٧) من حديث ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ، فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ**».

❁ **ابن باز**: فالله فوق العرش، وهو قِبَلَ وجه المصلي، ولا منافاة، فهو معنا أينما كنا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. اهـ

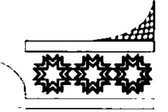
❁ **الهراس**: قوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة..» إلخ، دل على أن الله ﷻ يكون قبل وجه المصلي، قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية»: «إن الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه». اهـ

❁ **ابن مانع**: قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية»: وكذلك قوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه...**» الحديث، حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، كانت أيضًا قبل وجهه[١]. اهـ

«**اللهُمَّ رَبَّ السموات السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيم، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**».

---

(١) «الفتوى الحموية الكبرى» لابن تيمية (ص/ ١٥٠).



❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه هذا الدعاء النبوي، وفيه إثبات عدة أسماء للرب سبحانه وصفات، منها: صفة العلو في قوله: «مُنزل»، فإن النزول لا يكون إلا من أعلى.

وفيه أن القرآن والتوراة والإنجيل منزلة غير مخلوقة.

وفيه إثبات صفة السمع، وأن الله تعالى يسمع حقيقة، فلا يُدْعى إلا الذي يَسمع دعاءَ الداعي.

وفيه إثبات هذه الأسماء الأربعة الحسنى لله سبحانه، وهي المذكورة في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وفيه بيان تفسير كل من الأسماء الأربعة، وأن تفسير اسمه «الأول»: الذي ليس قبله شيء. ومعنى «الآخر»: الذي ليس بعده شيء. ومعنى «الظاهر»: الذي ليس فوقه شيء. ومعنى «الباطن»: الذي ليس دونه شيء. فلا يسوغ تفسير هذه الأسماء إلا بهذا التفسير النبوي.

ومعنى الظهور: العلو، فإن كل مكان أعلى فهو أظهر.

وقول النبي ﷺ: **«الباطن»** مثل **«أن تعلم أن الله معك»**، ومثل **«قِبَل وجهه»** فإن بطونه على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل.

وذكر ابن القيم أن الأول مقابل الآخِر، والظاهر مقابل الباطن، وأن المراد بالباطن بذاته، كما أنه الظاهر بذاته، وكما أنه الأول بذاته فهو الآخر بذاته، ولا يظن أن هذا يدل على الحلول كما ذكره بعض المبتدعة، فإن المخلوقات في يده ﷻ كالذرة، فإن المخلوقات لا تحول دونه جل وعلا، فإنه الذي لا أكبر ولا أعظم منه. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «اللهم رب السموات..» إلخ، تضمن الحديث إثبات أسمائه تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن. وهي من الأسماء الحسنى، وقد فسرها النبي ﷺ بما لا يدع مجالًا لقائلٍ، فهو أعلم الخلق جميعًا بأسماء ربه، وبالمعاني التي تدل عليها، فلا يصح أن يلتفت إلى قول غيره أيًا كان.

وفي الحديث أيضًا يعلّمنا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله كيف نثني على ربنا ﷻ قبل السؤال، فهو يثني عليه بربوبيته العامة التي انتظمت كلَّ شيء، ثم بربوبيته الخاصة، الممثلة في إنزاله هذه الكتب الثلاثة، تحمل الهدى والنور إلى عباده، ثم يعوذ، ويعتصم به سبحانه من شر نفسه، ومن شر كل ذي شر من خلقه، ثم يسأله في آخر الحديث أن يقضي عنه دينه، وأن يغنيه من فقر. اهـ

❁ **ابن باز**: في هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم أنواع من الصفات: كونه فوق العرش، وكونه رب السموات، ورب الأرض، وكونه منزل التوراة والإنجيل والقرآن، كل هذا يدل على علوه ﷻ، وأنه ينزل منه كل شيء، ينزل منه الأمر والوحي، كله ينزل منه، وهو فوق العرش جل وعلا، فوق جميع الخلق ﷻ، وكون جميع النواصي بيده يصرفها كيف يشاء ﷻ، وكونه هو الأول، فليس قبله شيء، والآخِر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، كما جاء في القرآن العظيم ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فهو الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، هو الدائم الكامل لم يزل موجودًا ﷻ، لم يسبقه شيء ولا يلحقه عدم، بل هو دائم أبدًا، وهو الظاهر الذي قد ارتفع فوق جميع الخلق، فليس فوقه شيء في الأعلى جل وعلا، فهو فوق العرش والعرش سقف المخلوقات، وهو الباطن فليس دونه شيء، لا يحجبه شيء، يعلم أحوال عباده، ويعلم ما في الضمائر، وهذا الدعاء فيه وسيلة في طلب قضاء الدين والإغناء من الفقر. اهـ

قوله: «**فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا**».

❁ **آل الشيخ**: لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر في بعض الأسفار، قال: «**أيها الناس اربَعوا على أنفسكم**». أي: اقصورا على أنفسكم والرَّبْع: القَصْر، وارفقوا بها يعني: لا ترفعوا هذا الرفع. «**فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**» فيحوجكم ذلك إلى رفع

الأصوات، وإنما يحتاج رفع الصوت للأصم الذي لا يسمع والغائب، أما القريب فليس في رفع الصوت له فائدة. اهـ

❁ **الهراس**: أفاد هذا الحديث قربه سبحانه من عباده، وأنه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا إليه أصواتهم؛ فإنه يعلم السر والنجوى.

وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة، وعلم، وسمع، ورؤية، فلا ينافي علوه على خلقه. اهـ

قوله: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

❁ **آل الشيخ**: في هذا إثبات صفة السمع، وإثبات قُرْب الربّ تعالى من داعيه، وهذا هو القرب، فإنه أتى في القرآن خاصٌّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكما في هذا الحديث، وكما في حديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[١]، والقرب لا ينقسم كما تنقسم المعية. اهـ

❁ **العثيمين**: الدليل على قرب الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله ﷺ: «**إنما تدعون سميعًا قريبًا**».

وهو قرب حقيقي يليق بالله تعالى ولا ينافي علوه؛ لأنه تعالى بكل شيء محيط، ولا يقاس بخلقه؛ لأنه ليس كمثله شيء. اهـ

❁ **ابن باز**: الحديث الذي فيه أنهم لما رفعوا أصواتهم، قال: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**» بيَّن لهم أنه سبحانه يسمع كلام عباده

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

ودعاءهم، فلا يحتاج إلى رفع الصوت المخالف للشرع، بل يكون الرفع وسطًا؛ ولهذا قال: «**لا تدعون أصمّ ولا غائبًا**»، كانوا يرفعون أصواتهم، فأمرهم النبي ﷺ ألا يفعلوا ذلك، وأن لا يبالغوا في الرفع، إلا في التلبية، هذا مستثنى، جاء رفع الصوت في التلبية[1]. أما التكبير المعتاد فيكون وسطًا، ليس فيه مبالغة في الرفع.

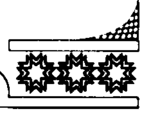
وقوله: «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا**» فهو فوق العرش، وهو مع عباده، يسمع أصواتهم، ويسمع كلامهم جل وعلا؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ ولهذا قال: «**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»، فهو سبحانه قريب لا يحتاج إلى المبالغة في رفع الأصوات بالذكر، ولكن إظهارها من باب الذكر لله لا من باب أنه يحتاج إلى ذلك، ولكنه من باب الذكر، فرفع الصوت بالذكر لإظهار ذكر الله جل وعلا، كما يرفع الناس أصواتهم بالتلبية؛ إظهارًا لذكر الله ﷻ، وإلا فهو سبحانه يعلم السِّرَّ وأخفى، ويسمع أصوات عباده وإن أخفوها، لا تخفى عليه خافية، سميع قريب، يسمع أصواتهم وإن أخفوها، ويعلم أحوالهم وإن أسروها، لا تخفى عليه خافية جل وعلا.

فالواجب على المؤمن أن يؤمن بالله، وأنه سميع قريب يعلم أحوال عباده، ويسمع أصواتهم، ويعلم دعاءهم، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، مع كونه فوق العرش، فوق جميع الخلق ﷻ، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لعقيدة أهل البدع. اهـ

---

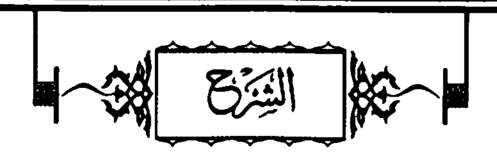
(١) كما في الحديث الصحيح: «**أفضل الحج العج والثج**» والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والشج إهراق دماء الهدي، والفرق أن التلبية شعار التوحيد، وهو من أظهر الشعائر المخالفة لهدي المشركين بتلبية الشرك.

انظر روايات الحديث وطرقه في «البدر المنير» لابن الملقن (٦/ ١٥٥-١٥٨)، و«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٠)، وصحيح سنن ابن ماجة (٢٣٨٣)، وصحيح سنن الترمذي (٨٢٧) للألباني.



إثبات رؤية الرب في القيامة وفي الجنة عيانًا بالأبصار

وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ[1] كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].



❁ **السعدي**: قد تواترت النصوص في رؤية الله لأهل الجنة، وأنهم يرون ربهم، ويتمتعون بمشاهدته. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات رؤية الرب سبحانه في القيامة عيانًا بالأبصار، ويُرى في الجنة عيانًا بالأبصار. اهـ

❁ **السعدي والهراس**: هذا الحديث الصحيح المتواتر يشهد لما دلت عليه الآيات السابقة من رؤية المؤمنين لله ﷻ في الجنة، وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهذه النصوص من الآيات والأحاديث تدل على أمرين:

أولهما: علوه تعالى على خلقه؛ لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم.

ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم. اهـ

---

(١) في بعض النسخ زيادة (يوم القيامة) وهي موافقة لرواية البخاري (٧٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير البجلي ﷺ مرفوعًا.

قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ».

❁ **الهراس**: المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي. يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحاب؛ ولهذا قال بعد ذلك: «**لا تضامون في رؤيته**». اهـ

❁ **آل الشيخ**: «**كما ترون القمر ليلة البدر**» وهذا أظهر وأجلى ما يكون في رؤية القمر ليلة أربعة عشر؛ لكبره ولارتفاعه وظهوره. أي: كما أن رؤيتكم عيانًا بالأبصار مقابلة. اهـ



قوله: «لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

❁ **آل الشيخ**: «**لا تُضَامُوْن**» بضم التاء، وتخفيف الميم. أي: لا يلحق أحد منكم ضيم، أو ضيق، أو مشقة عند رؤيته، فكلٌّ يراه من غير ضيم يلحقه، وذلك أنه جلي ظاهر، كلٌّ يراه في مكانه بخلاف الشيء الخفي.

ويروى: «**لا تَضَامُّون في رؤيته**» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض. أي: لا يحوج هذا كنظر الشيء الخفي؛ لأنه شيء أجلى. وفي رواية أخرى: «لا تضارون» أي: لا يلحقكم ضرر عند رؤيته.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأنه لم يرد في النصوص تشبيه الباري بخلقه، ورؤية الناس للقمر معلوم أنها من غير إحاطة، فلا يدركون كنهه ولا كيفيته وهو مخلوق، فالباري يرى ولا يحاط به رؤيةً، فإن الله تعالى أجل وأعظم من أن تحيط به أبصار المخلوقين؛ لضعفها كما في قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَنَفَى الأخص- وهو الإحاطة- ولا يلزم من نَفْي الأخص نَفْيُ الأعم، وهو الرؤية. اهـ

* **الهراس**: «لا تضامُّون في رؤيته» روي بتشديد الميم من التضام. بمعنى: التزاحم والتلاصق، والتاء يجوز فيها الضم والفتح، على أن الأصل تَتَضَامون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وروي بتخفيف الميم من الضيم. بمعنى: الظلم. يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا غبن. اهـ

قوله: «فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس».

* **آل الشيخ**: «صلاة قبل طلوع الشمس» وهي صلاة الفجر. «وصلاة قبل غروبها» وهي صلاة العصر. يعني: ألا تؤخروها عن وقتها التي شرعت فيها، «فافعلوا» فإن كل الصلوات الخمس فريضة، وكلٌّ من الواجبات، وواجبٌ المحافظة عليها، لكن بعضها أفضل من بعض، كما أن المحرمات بعضها أشد تحريمًا من بعض، ففيه أفضلية هاتين الصلاتين، وأفضلية المحافظة عليهما في أوقاتهما.

وكل منهما قيل: إنها الوسطى، وقد ذكر ابن كثير الأقوال، وبسط تعدادها في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وثبت عن النبي ﷺ أنها العصر.

وجاء في الحديث الآخر ما يدل على أفضليتهما: قال ﷺ: «من صلى البردين دخل الجنة»[1]، وهما العصر والفجر، وكان أول ما فرض هاتان الصلاتان في أول النهار وفي آخره.

ومناسبة ذكر هذا: أن أهل الجنة يرون الله بكرة وعشيًّا، وهذا وجه قرن هذه الجملة بما قبلها.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

وفيه ما يشعر أن أكمل المؤمنين رؤية، أشدهم محافظة على هاتين الصلاتين، وجاء في الحديث: «أن الله يتجلى لهم يوم الجمعة»(١)، وهذا لا ينافي هذه الروية؛ لأن رؤيتهم لربهم يوم الجمعة نظرٌ إليه أسبوعي، وهذه رؤية يومية، وأيضًا ذاك أخص من هذا.

وأما النساء فجاء حديث أنهن يرينه من العيد إلى العيد(٢).

ورؤيته تعالى أعظم نعيم أهل الجنة، بل ما طاب لهم نعيم إلا برؤيته تعالى، كما أن أهل الجحيم أعظم عذابهم أن حجبوا عن رؤيته، ويُرى سبحانه في عرصات القيامة. اهـ

* **الهراس والسعدي**: وفي حثه ﷺ في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر - خاصة - إشارة إلى أن من حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل، الذي

---

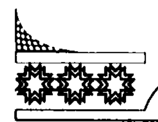
(١) أخرج الترمذي(٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٥) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دني، على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي أفضلُ منهم مجلسًا»، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله، ما نرى ربنا؟ قال: «نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قال: لا، قال: «كذلك لا تمارون في رؤية ربكم». الحديثَ وقال الترمذي: هذا حديث غريب. أي: ضعيف، وضعفه الألباني، لكن صحت الأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم كل يوم جمعة، وهو يوم المزيد، وقد استقصى الروايات العلامة ابن القيم في «حادي الأرواح» (الباب: ٦٥)، (٦٠٥-٧١٤) ط/ عالم الفوائد، فليراجع، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٦/ ٤٠١-٤٦٠).

(٢) رواه الدارقطني في «كتاب الرؤية» (٥٢) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدًا بالنظر إليه في كل جمعة، وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر»، وفي سنده مجاهيل، وقد سكت عنه ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٣٩٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٦/ ٤٠١)، والذي يظهر من كلام شيخ الإسلام، بأن هذا الحديث مثل رؤية يوم الجمعة؛ لأنها عيد الأسبوع، والعيدان للسنة، وأن ذلك لا ينافي ثبوت الرؤية للنساء في غير العيدين، كما أن إثبات رؤية الرجال يوم الجمعة لا ينافي رؤية يومية، أو كل يوم مرتين؛ لورود الأحاديث في ذلك، وهذا الذي حققه رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى» (٦/ ٤٠١-٤٦٠) فليراجع للفائدة.

يضمحل بإزائه كل نعيم، وهو يدل على تأكيد هاتين الصلاتين، كما دل على ذلك الحديث الآخر: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر**». متفق عليه[1]. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.



منهج أهل السنة والجماعة في قبول أحاديث الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ).

الشرح

قوله: «إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ».

❁ **آل الشيخ**: ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلة في أحاديث الصفات تدلنا على ما وراءها، ثم قال: «إلى أمثال هذه الأحاديث...» إلخ، يريد: أنها ليست هذه الأحاديث وحدها، بل هي قليل من كثير، ونقطة من بحر، وحصر الأحاديث التي يصف بها رسول الله ﷺ ربه ﷻ على الحقيقة لا على المجاز بما يناسبه ويليق به، يستدعي أسفارًا.

والمصنف ذكر القسم الكبير من الكتاب العزيز بالنسبة إلى هذه المختصرة، ثم ذكر القسم الكبير من السنة بالنسبة إلى هذه المختصرة؛ لتكون معك أصول تستدل بها على ما وراءها، ولتأخذها براهين لما يذكر من المسائل. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «إلى أمثال هذه الأحاديث..» إلخ، لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار، نبه على أن أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها، مما يخبر فيه الرسول ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن حكمه كذلك، وهو وجوب الإيمان بما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

ثم عاد فأكد معتقد أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات، كإيمانهم بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. اهـ

قوله: «فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ».

❁ **آل الشيخ**: الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة، والثنتان والسبعون كلها في النار، ليس الناجي غير أهل السنة والجماعة، الذين درجوا على ما درج عليه النبي ﷺ؛ ولهذا لما سئل النبي ﷺ من هم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)]. وحديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(٢)]، وما عداهم فهم على جَوْر وانحراف.

قوله: «يؤمنون بذلك كله». يعني: بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في الصفات، «كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه». يعني: القرآن، فالكتاب والسنة أخوان شقيقان يجب الإيمان بهما جميعًا؛ فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة وهي السنة، فيؤمنون بها، ويعتقدون مدلولها على ما يليق بجلال الله وعظمته. اهـ

❁ **ابن مانع**: قال ابن عدوان النجدي المتوفى سنة ١١٧٩هـ:

وَسَلِّمْ لأخبارِ الصحيحينِ يافَتى ❁ ولكنْ عنِ التمثيلِ وُفِّقْتَ أَبْعِدِ

ودعْ عنكَ تزويقاتِ قومٍ فإنها ❁ بِحُلتها التعطيلُ يا صاحِ تَرْشُدِ

ا.هـ

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩) وتقدم تفصيل تخريجه.

(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه.

وسطيةُ وخيريةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ بين فرقِ الأمةِ

قال المصنف: (بَل هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ المُرْجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ[(١)].

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ).

الشرح

❁ الهراس: ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسط بين فرق الضلال والزيغ من هذه الأمة، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومعنى ﴿وَسَطًا﴾: عدولًا خيارًا، كما ورد الحديث بذلك[(٢)].

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك، فإن من الأمم من غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل، كالنصارى الذين غلوا في المسيح والرهبان، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم، حتى قتلهم، ورد دعوتهم، كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل المسيح، ورموه بالبهتان.

---

(١) في بعض النسخ: «من القدرية، والخوارج، وغيرهم».

(٢) سيأتي تخريجه.

وأما هذه الأمة، فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها.

ومن الأمم أيضًا من استحلت كل خبيث وطيب، ومنها من حرم الطيبات غلوًا ومجاوزة.

وأما هذه الأمة، فقد أحل الله لها الطيبات، وحرم عليها الخبائث، إلى غير ذلك من الأمور التي من الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها.

فكذلك أهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم. اهـ

قوله: (بَل هُمْ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ).

❁ **آل الشيخ**: الوسط يعني: العدل الخيار في فرق هذه الأمة المحمدية التي افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، أما بقية الفرق الثنتين والسبعين فهم أهل انحراف عن الصراط المستقيم. منهم من خرج به عن الدين، ومنهم من خرج به عن بعضه، ومنهم من مال به، **كما أن الأمة هي الوسط العدل الخيار في الأمم** كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، فشهادتهم مقبولة على البقية، والبقية لا تقبل شهادتهم عليهم، وكما قال ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[1]. اهـ

❁ **السعدي**: والمراد بالوسط: العدل الخيار الذين جمعوا كل حق في أقوال الخلق، وردوا ما فيها من الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فهذه الأمة وسط بين الأمم التي

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠١٥)، والترمذي (٣٠٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم (٦٩٨٧، ٦٩٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨١٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٩/ ص ٤١٩ ح١٠١٢). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ

تميل إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك،. فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق ومن حقوقه ما جعل، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم ورد دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم ومقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها، ولم يغلوا في أحد من المخلوقين، ومن الأمم من أحلت كل طيب وخبيث، ومنهم من حرم الطيبات غلوا ومجاوزة، وهذه الأمة أحل الله لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ونحو ذلك من الأمور التي من الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها. اهـ.

❁ **ابن باز**: يمتاز أهل السنة والجماعة على غيرهم من فرق أهل الضلالة والبدع، بأنهم وسط، وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين، فلم يغلوا ولم يفرطوا، كفعل أهل البدع، فهم وسط في باب صفات الله، بين الجهمية المعطلة والمشبهة، فالجهمية نفوا صفات الباري، والمشبهة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتى شبهوا الله بخلقه، وأما أهل السنة فأثبتوها على الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل، فعقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة مستقيمة، وسط في هذا الباب وغيره، فهم وسط في باب الله كما أن الأمة وسط بين الأمم، فأهل السنة وسط في هذا الباب، يثبتون صفات الله وأسماءه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، يعني: يمرونها كما جاءت، ولا يحرفونها، ولا يعطلونها، ولا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما تفعل الجهمية والمعتزلة، بل هم يثبتونها إثباتًا بريئًا من التمثيل، وينزهون الله عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل، فالإثبات لا يحتاج إلى تمثيل، والتنزيه لا يحتاج إلى تعطيل، بل يقولون: نثبت صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق بجلال الله، من غير تحريف لها، ولا تعطيل لها، ومن غير تكييف لها، ولا تمثيل، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، فالجهمية يعطلون صفات الله وأسماءه، والمشبهة يثبتونها ويقولون: يدٌ كيدي، وصوت كصوتي، وقدم كقدمي، يمثلون، وهذا منكر عظيم، وكفر وضلال، فأهل السنة وسط بين أهل التعطيل الجهمية، وبين أهل

التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله، يثبتون أفعال الله وأنها حق، فهو جل وعلا ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، ويبرز لعباده يوم القيامة حتى يرون وجهه الكريم كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، خلافًا للجهمية المعطلة، وخلافًا للمعتزلة الذين يقولون بإثبات أسماء الله دون صفاتٍ، أسماء مجردة ليس لها معنى. اهـ

❁ **العثيمين**: هذه الأمة وسط بين الأمم، الدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

ومثال كونها وسطًا في العبادات رفع الله عن هذه الأمة من الحرج والمشقة، اللذين كانا على من قبلها، فهذه الأمة إذا عدموا الماء تيمموا وصلّوا في أي مكان، بينما الأمم الأخرى لا يصلون حتى يجدوا الماء، ولا يصلون إلا في أمكنة معينة.

ومثال كونها وسطًا في غير العبادات القِصاص في القتل، كان مفروضًا على اليهود، وممنوعًا عند النصارى، ومخيرًا بينه وبين العفو أو الدية عند هذه الأمة.

وفِرَق هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة والناجي منها من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه وكلها في النار إلا الناجية؛ لقوله ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: **«من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»**[1].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما.

وسطية أهل السنة في الأصول

وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة في أصول خمسة:

الأول: أسماء الله وصفاته، فأهل السنة وسط فيها بين أهل التعطيل وأهل التشبيه؛ لأن أهل التعطيل ينكرون صفات الله، وأهل التشبيه يثبتونها مع التشبيه، وأهل السنة والجماعة يثبتونها بلا تشبيه.

الثاني: القضاء والقدر: الذي عبر عنه المؤلف بأفعال الله، فأهل السنة وسط فيه بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له، ولا اختيار.

والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله[١].

وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن للعبد قدرة واختيارًا أودعهما الله فيه، متعلقين بقضاء الله.

الثالث: الوعيد بالعذاب، فأهل السنة وسط فيه بين الوعيدية[٢] وبين المرجئة؛ لأن الوعيدية يقولون: فاعل الكبيرة[٣] مخلد في النار. والمرجئة يقولون: لا يدخل النار، ولا يستحق ذلك. وأهل السنة يقولون: مستحق لدخول النار دون الخلود فيها.

الرابع: أسماء الإيمان والدين: فأهل السنة وسط فيه بين المرجئة من جهة، وبين المعتزلة والحرورية من جهة؛ لأن المرجئة يسمون فاعل الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان،

---

(١) أي: ليست مفعولة لله.
(٢) وهم الخوارج والمعتزلة.
(٣) أي: من المسلمين.

والمعتزلة والحرورية يسمونه غير مؤمن، لكن المعتزلة يقولون: لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتين، والحرورية يقولون: إنه كافر، وأهل السنة يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

الخامس: أصحاب النبي ﷺ: فأهل السنة وسط فيه بين الروافض والخوارج؛ لأن الروافض بالغوا في حبِّ آل النبي ﷺ وغلوا فيهم حتى أنزلوهم فوق منزلتهم، والخوارج يبغضونهم، ويسبونهم، وأهل السنة يحبون الصحابة جميعهم، وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها، من غير غلو، ولا تقصير. اهـ

قوله: (**فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَة**).

❁ **الهراس**: قوله: «فهم وسط في باب صفات الله..» إلخ، يعني: أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الصفات بين من ينفيها ويعطل الذات العلية عنها، ويحرف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصحيحة إلى ما يعتقده هو من معان بلا دليل صحيح، ولا عقل صريح، كقولهم: «رحمة الله»: إرادته الإحسان، و«يده»: قدرته، و«عينه»: حفظه ورعايته، و«استواؤه على العرش»: استيلاؤه. إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم، وتوهمهم أن قيام هذه الصفات به لا يعقل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

وقصارى أمر مَن أوَّل أن ظنوا الظنونا
فيقولون على الرحمن ما لا يعلمونا

اهـ

❁ **السعدي**: أهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم، كما تقدم بيان ذلك، وأن أهل السنة يثبتون جميع ما ثبت في النصوص من صفات الله على حقيقتها اللائقة بعظمة الباري. اهـ

الطوائف المخالفة لأهل السنة

❁ **العثيمين**: أشار المؤلف إلى طوائف من أهل البدع:

أولًا: الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، الذي أخذ التعطيل عن الجعد بن درهم، وقتل في خراسان سنة ١٢٨هـ، ومذهبهم في الصفات إنكار صفات الله، وغلاتهم ينكرون حتى الأسماء؛ ولذلك سموا بالمعطلة.

ومذهبهم في أفعال العباد أن العبد مجبور على عمله ليس له قدرة ولا اختيار، ومن ثم سموا جبرية.

ومذهبهم في الوعيد وأسماء الإيمان والدين: أن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل النار؛ ولذلك سموا مرجئة، فهم أهل الجيمات الثلاث «تجهم، وجبر، وإرجاء».

ثانيًا: المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، حين كان الحسن يقرر أن فاعل الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فاعتزله واصل وجعل يقرر أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين.

ومذهبهم في الصفات: إنكار صفات الله، كالجهمية، ومذهبهم في أفعال العباد أن العبد مستقل بفعله، يفعل بإرادة وقدرة مستقلًا عن قضاء الله وقدره، عكس الجهمية؛ ولذلك سموا قدرية.

ومذهبهم في الوعيد: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، عكس الجهمية القائلين بأنه لا يدخل النار؛ ولذلك سموا الوعيدية.

ومذهبهم في أسماء الإيمان والدين: أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين، ليس مؤمنًا، ولا كافرًا. عكس الجهمية القائلين بأنه مؤمن كامل الإيمان؛ ولذلك سموا أصحاب المنزلة بين منزلتين.

ثالثًا: الخوارج: سموا بذلك؛ لخروجهم على إمام المسلمين، ويقال لهم: الحرورية، نسبة إلى حروراء موضع بالعراق قرب الكوفة، خرجوا فيه على علي بن أبي طالب ﵁.

كانوا من أشد الناس تدينًا في الظاهر حتى قال فيهم النبي ﷺ لأصحابه: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم إلى يوم القيامة**»[(١)].

ومذهبهم في الوعيد: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، كافر يحل دمه وماله، ومن ثم استباحوا الخروج على الأئمة إذا فسقوا.

رابعا: **الروافض**: ويقال لهم الشيعة، الذين يغلون في آل بيت النبي ﷺ، ويفضلون علي بن أبي طالب ﵁ على جميع الصحابة، ومنهم من يفضله على النبي ﷺ، ومنهم من يجعله ربًّا، وسموا شيعة؛ لتشيعهم لآل البيت، وسموا روافض؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حين سألوه عن أبي بكر وعمر ﵄ فأثنى عليهما، وقال هما وزيرا جدي -يعني: النبي ﷺ- فانصرفوا عنه ورفضوه. اهـ

❁ **الهراس**: وإنما سمي أهل التعطيل جهمية، نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وقد تُوُسِّعَ في هذا اللفظ حتى أصبح يطلق على كل من نفى شيئًا من الأسماء والصفات، فهو شامل لجميع فرق النفاة، من فلاسفة، ومعتزلة، وأشعرية، وقرامطة باطنية.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣٠-٦٩٤٠، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٦).

فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، ومثلوه بعباده.

وقد رد الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فهذا يرد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد على المعطلة.

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى إثباتًا بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين؛ أعني التنزيه والإثبات، وتركوا ما أخطئوا وأساءوا فيه من التعطيل والتشبيه. اهـ

* **آل الشيخ**: هذا الباب باب الصفات باب عظيم كبير، والناس في هذا الباب ثلاث فرق:

* **الفرقة الأولى**: أهل التحريف والتعطيل، نفوا وجحدوا، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وإن كانوا يتفاوتون.

* وقابلتهم **الفرقة الثانية**: وهم أهل التشبيه والتمثيل من الرافضة وغيرهم.

* **والثالثة: أهل الوسط**، وهم أهل السنة والجماعة، توسطوا فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، إثباتًا لا يقتضي التمثيل، ونفوا عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته، نفيًا لا يقتضي التعطيل، فصاروا أهل الوسط في هذه الفرق.

فالأولون نفوا حتى غلوا في النفي، فعطلوا صفات الله سبحانه، زعمًا منهم أن إثباتها يقتضي التشبيه، أو خوفًا من التشبيه، فوقعوا في تشبيه شرٍّ منه كما يأتي.

وأهل التمثيل أثبتوا وغلوا في الإثبات، فوقعوا في التشبيه والتمثيل، قالوا: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، ونحوه.

وكل من الطائفتين يضرب النصوص بعضها ببعض، ووفق الله أهل السنة للطريق المستقيم، أهل الدين القويم، أتباع سيد المرسلين، الذين اقتدوا واتبعوا الصحابة والتابعين، وما جاء به سيد المرسلين عن رب العالمين.

الفرق بين مذهب الأشاعرة والجهمية

مذهب الأشاعرة في الصفات إثبات الأسماء جميعها، وإثبات سبع صفات، والجهمية ينكرونها جميعًا، فوافقوهم في النفي ما عدا السبع والأسماء.

وليس عند أهل السنة بحث ولا تفتيش، بل آمنوا بالجميع على ما يليق بجلال الله وعظمته، فالصدر الأول الصحابة ومن بعدهم، قَبِلُوا ما جاء به الكتاب والسنة، وآمنوا به، من غير تمثيل، ثم لما ظهرت المعطلة والمشبهة احتاج أهل السنة للكلام في الصفات والبحث فيها، فبينوا أن طريقتهم هي إثباتها مع العلم بمعانيها[١]، وأنها حق، وضللوا، وبدعوا، وكفروا أهل التعطيل وأهل التمثيل، ومن كلام بعضهم[٢]: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله تشبيه». ومن كلام بعضهم[٣]: «المعطل يعبد عدمًا، والمشبه يعبد صنمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا» وعابد العدم شر من عابد الصنم كما تقدم.

فعرفت كفر كلٍّ من الطائفتين، وعرفت أن كفر المعطلة أعظم؛ لأنه محفوف بتشبيهين، شبَّهوا أولًا، وعطَّلوا ثانيًا، ولزمهم في تعطيلهم التمثيل بالجمادات والمعدومات، بل والممتنعات. اهـ

* **ابن مانع**: قوله: «بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة». التعطيل هو نفي الصفات الإلهية عن القيام بالذات العلية، وتأويلها بلا دليل صحيح ولا عقل صريح كقولهم: رحمة الله: إرادته الإحسان والإنعام، ويده: قدرته، واستواؤه على

---

(١) على ما تقتضيه لغة القرآن، دون التعرض للكيفية.

(٢) هو الإمام نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري. انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٦)، وجاء نحوه عن إسحاق بن راهوية رَحِمَهُ اللَّهُ كما عند اللالكائي (٩٣٧).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٢٦١)، (١٢/ ٧٣).

العرش: استيلاؤه عليه. كل هذا وأمثاله من التعطيل، وما حملهم على ذلك إلا الظن الفاسد، والرأي الكاسد، ولقد أحسن القائل حيث قال:

وقصارى أمر من أَوَّلَ أنْ ظنوا الظنونا
فيقولون على الرحمن ما لا يعلمونا

والجهمية المعطلة هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وهم في هذا الباب طائفتان: نفاة، ومثبتة. فالنفاة قالوا: لا ندري أين الله. فلا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، فلم يؤمنوا بقول الله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقول النبي ﷺ للجارية: «أين الله؟»[(١)] وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

وأما المثبتة من فرقتي الضلال، فهم الذين يقولون: إن الله في كل مكان، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فإنه سبحانه فوق مخلوقاته مستو على عرشه، بائن من خلقه.

وأما أهل التمثيل المشبهة فهم الذين شبهوا الله بخلقه، ومثلوه بعباده.

وقد رد الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا يرد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد على المعطلة.

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل. اهـ



(١) تقدم تخريجه، وأنه أخرجه مسلم.

قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

❁ **السعدي**: فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها، وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار، كل هذا غلو منهم في إثبات القدر.

والقدرية قابلوهم، فنفوا تعلق قدرة الله بأفعال العباد؛ تنـزيهًا لله بزعمهم فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته.

وكل من هاتين الطائفتين ردَّتْ طائفةً كبيرة من نصوص الكتاب والسنة، وهدى الله أهل السنة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين، فآمنوا بقضاء الله وقدره، وشموله للأعيان، والأوصاف، والأفعال، التي من جملتها أفعال المكلفين وغيرهم، وآمنوا بأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعل للعباد قدرةً وإرادةً تقع بها أقوالهم وأفعالهم، على حسب اختيارهم وإرادتهم، فآمنوا بكل نصٍّ فيه تعميم قدرته ومشيئته لكل شيء، وبكل نص فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقدرتهم، وعَلِموا أن الأمرين لا يتنافيان بل يتساعدان، كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «وهم وسط في باب أفعال الله» في شمول مشيئته، وخلقه لأفعال العباد: «بين الجبرية» الذين يجعلون أفعال العبد فعل الله، وليس للعبد فعل أصلًا، وإنما هو كالميت أدرج في الأكفان، «والقدرية وغيرهم» الذين يقولون: الأفعال فعلها العبد، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل ولم يخلقها الله.

فأفعال الله تعالى قد غلا في إثباتها قوم، وهم القدرية المجبرة من الجهمية والأشاعرة ومن وافقهم، حتى جعلوا العبد مجبورًا على أفعاله، وأنه كالآلة، وكالمستدير في يد مديره، لا فعل له، ولا إرادة له، ولا قدرة، ولازم قولهم: أن أفعالهم هي أفعال الله، وغلاتهم يقولون: أفعالهم عين فعل الله.

وقابلهم قوم- وهم القدرية النافية للقدر- فأخرجوها عن أفعال الله، وأنها ليست بتكوينه، وقالوا: إن الذي يفعله العبدُ، من غير قضاء الله وقدره. فلازم قولهم: أن العبد يخلق مع الله.

فهدى الله أهل السنة، فأثبتوا أفعال الله ولم يغلوا فيها، فآمنوا أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن العبد له فعل ومشيئة وقدرة، لكنها تابعة لمشيئة الله وقدرته، ومشمولة بالخلق. اهـ

أفعال العباد

* **الهراس**: اعلم أن الناس اختلفوا في أفعال العباد، هل هي مقدورة للرب أم لا؟ فقال جهم وأتباعه- وهم الجبرية-: إن ذلك الفعل مقدور للرب لا لعبد. وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر في المقدور قدرة الرب، لا قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة -وهم القدرية أي: نفاة القدر-: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد، واختلفوا هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلًا، والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله؛ ولهذا سُمُّوا مجوس هذه الأمة.

وهدى المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

وهذه المسألة من أكبر المسائل التي تضاربت فيها آراء النُّظَّار، وقد أُلفت فيها كتب خاصة، كـ«شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لشمس الدين ابن القيم، ولم يهتد إلى الصواب فيها إلا من اعتصم بالكتاب والسنة.

مرامٌ شطَّ مَرْمَى العقلِ فيه * ودون مداه بِيدٌ لا تبيد

اهـ

قوله: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ)[١].

❊ **السعدي**: وذلك أن المرجئة جعلت الإيمان فقط تصديق القلب، وأخرجت عنه جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، وجوَّزوا على الله أن يعذب المطيعين، وأن يُنَعِّمَ العاصين.

وأما الوعيدية من القدرية فخلدوا في النار كل من مات مصرًّا على الكبائر التي دون الشرك، فانحرفت كل واحدة، وردَّت لأجل ذلك من النصوص ما ردت. وهدى الله أهل السنة والجماعة، فتوسطوا وقالوا: إن الإيمان اسم لجميع العقائد الدينية، والأعمال القلبية والبدنية، وأنه قد يبقى ناقصًا إذا تجرَّأ المؤمن على المعاصي بدون توبة، وأن الله لا يظلم من عباده أحدًا، ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب، وأنه لا يخلِّد في النار مَن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولو فعل الكبائر، كما تواترت بذلك النصوص في الكتاب والسنة. اهـ

❊ **الهراس**: قوله: «وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية...» يعني: أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع

(١) «القدرية» أي: المعتزلة، و«غيرهم» أي: الخوارج.

الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُمُّوا بذلك نسبة إلى الإرجاء- أي: التأخير- لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى كفر يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لابد في الإيمان من قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد منها لم يكن الرجل مؤمنًا.

وأما الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة، كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان. ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذب من يعذب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنه لابد في الإيمان من نطق باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق تاركها الذم والعقاب- فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولًا باطلًا مبتدعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.

وأما الوعيدية فهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب العاصي، كما يجب عليه أن يثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له، ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة.

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من القدرية، فمن مات على كبيرة عندهم، فأمره مفوض إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، كما دلت عليه الآية السابقة، وإذا عاقبه بها فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار، ويدخل الجنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: أهل السنة وسط في باب نصوص وعيد الله بالعذاب أو بالنار لعصاة الموحدين بين طرفين: المرجئة، والوعيدية.

فالمرجئة: يعطلون نصوص الوعيد، ولا يعتقدون حقيقة الوعيد، وأن عصاة المؤمنين على خطر إن لم يتجاوز الربّ عنهم، بل يُغلِّبون جانب الرجاء، ويتأخر منهم العمل.

والوعيدية من القدرية وغيرهم يثبتون نصوص الوعيد، ويغلون في إثباتها ويزيدون فيها، ويرون أن من تُوعد فيها من عصاة الموحدين فهو من المخلدين في النار، حكمه حكم الكفار والمشركين.

وأهل السنة يثبتون نصوص الوعيد، ويمرونها كما جاءت ولا يعطلونها، مع مراعاة شيء آخر وهو أن كل ذنب دون الشرك، فهو تحت المشيئة، ولا يُغلِّبون جانب الرجاء فيتأخر منهم العمل، ولا يرون أن عصاة الموحدين مثل الكفار، ولكن يخشون عليهم.

ويأتي في آخر الكتاب إيضاح هذا الباب في باب مستقل. اهـ

❁ **ابن مانع**: قال في «التعريفات»: المرجئة قوم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: المرجئة نسبة إلى الإرجاء -أي: التأخير- لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق[1].

وهم فرقتان كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في «الفرقان»:

الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان. ومع كونهم مبتدعة في القول الباطل فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لابد في الإيمان أن

---

(١) انظر «إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري» (١/ ١٣٧)، قال: المرجئة: بضم الميم وكسر الجيم ثم همزة نسبة إلى الإرجاء... إلخ.

يتكلم به بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

وأما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به. فلا شك أنهم من أكفر عباد الله، فإن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد من هذا الأركان لم يكن مؤمنًا.

وأما الوعيدية فهم القائلون بالوعيد، وهو من أصول المعتزلة، وهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، ومذهبهم باطل يرده الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**». قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**». فمذهب أهل السنة حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، كما سمعت والله أعلم[(١)]. اهـ

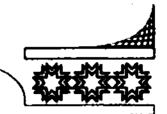
❁ **ابن باز**: أهل السنة وسط بين الوعيدية الذين يقولون: إن وعيد الله نافذ، وبين المرجئة، الذين يرجئون الأعمال، ويرون العبد إنما له قول واعتقاد، وأما عمله فليس من الإيمان، والوعيدية يمضون وعيد الله، وهم المعتزلة، يقولون: إن صاحب الكبيرة مخلّد في النار، إذا مات على المعاصي.

والمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان شيء؛ لأنهم يرون أن العمل ليس من الإيمان، فيرون قوله وتصديقه كافيًا.

وأما أهل السنة، فيقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، تضره المعاصي، لكن لا توجب خلوده في النار، كما تقوله المعتزلة، ولا يكفر كما تقوله الخوارج، ولكن المعاصي تضره، وتضعف إيمانه، وبزوالها والتوبة منها يكمل إيمانه.

---

(١) هذا النقل ملخّص من كلام شيخ الإسلام بتصرف من كتاب «الفرقان بين الحق والباطل». انظر المطبوع ضمن «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٨-٣٩).



وهكذا هم وسط بين الوعيدية -من المعتزلة أيضًا والخوارج- وبين المرجئة، فالخوارج يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، لكن لا يزيد ولا ينقص. وهكذا الوعيدية من المعتزلة، يقولون: قول وعمل واعتقاد، لكن لا يزيد ولا ينقص، فمن مات على المعاصي صار من أهل النار، خالدًا مخلدًا فيها. وتزيد الخوارج أنه يكفر بذلك، مع كونه من أهل النار.

وأما أهل السنة، فهم وسط في ذلك، يقولون: المعاصي تنقص إيمانه وتضعفه، ولكن لا يكفر بها إلا إذا استحلها، ولا يخلد في النار. خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة، قبحهم الله. اهـ

قوله: (وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ).

* **آل الشيخ**: «أسماء الإيمان والدين» كنصوص التكفير، وهذه يقال لها: مسألة الأسماء والأحكام، مثل الإسلام، والإيمان، والكفر، والفسق. والمرجئة ما بالوا بها، ولا أشفقوا، وأهل السنة أعطوها حقها، وخافوا ارتكابها.

فأهل السنة وسط بين طرفين: بين الحرورية -نسبة إلى حروراء، وهم الخوارج- والمعتزلة، وبين المرجئة -قيل: من الإرجاء وهو التأخير- والجهمية.

فالخوارج والمعتزلة طرف، والمرجئة والجهمية طرف.

* المعتزلة والخوارج قالوا: إن الإيمان قول وعمل، لكن لا يتبعض ولا يتجزأ. قالوا: إنّ تركَ المعصية وفعلَ الطاعة إيمان، فإذا فعل الموحد المعصية، أو ترك الطاعة زال عنه الإيمان كله.

ثم الخوارج تكفره، والمعتزلة تجعل له منزلة بين المنزلتين.

وافقوا أهل السنة في أصل الإيمان أنه قول وعمل، لكن خالفوهم فقالوا: لا يتبعض ولا يَتَجَزَّأ.

* والمرجئة والجهمية قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو القول فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ.

فيلزم على القول بأنه العلم بالحق والمعرفة، أن إيمان جبريل وإبليس واحد[١].

ويلزم على القول بأنه القول فقط، أن إيمان جبريل وإيمان المنافقين واحد[٢].

* وأهل السنة وسط بين هذين الطرفين، فقالوا: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، ويتبعض ويتجزأ، وأن التصديق بالقلب وحده ليس بإيمان، وأن الذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ليس بمؤمن، وأن الفاسق المِلّي لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر، وغير ذلك مما تقتضيه أصولهم. اهـ

مسألة الأسماء والأحكام

* **الهراس**: كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين -وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية- أثر كبير في ذلك النزاع.

* والمراد بالأسماء هنا: أسماء الدين، مثل مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.. إلخ.

---

(١) لأنّ إبليس عرف الحق وتركه.

(٢) لأن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

* والمراد بالأحكام: أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة، فالخوارج الحرورية، والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر.

* فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمى كافرًا أوْ لا؟

فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلون دمه وماله؛ ولهذا كفروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار.

وأما المعتزلة، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين. وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال[(١)].

واتفق الفريقان أيضا على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار، فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرًا.

---

(١) أصول المعتزلة الكبرى خمسة:

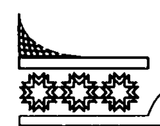
١- العدل، وهو نفي القدر.

٢- التوحيد، وهو نفي الصفات الإلهية.

٣- المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق يخرج من الإسلام ولا يدخل الكفر.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الخروج بالسيف على الولاة الظلمة والفساق.

٥- إنفاذ الوعيد، وهو تعذيب عصاة المسلمين، وتخليدهم في النار.



والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي[١].

* وأما المرجئة، فقد سبق بيان مذهبهم، وهو أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار.

* فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين هذين المذهبين، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلًا، كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان، كالمرجئة والجهمية.

وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله ﷻ عنه فيدخل الجنة ابتداء، أو يعذبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنة كما سبق، وهذا الحكم أيضًا وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول: إنه لا يستحق على المعصية عقابًا. اهـ

* **ابن مانع**: الحرورية هم الخوارج، واعلم أن الناس تنازعوا قديمًا في الأسماء والأحكام. أي: أسماء الدين مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة.

* فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا، فلم يستحلوا من دماء الفساق الموحدين وأموالهم كما استحلته الخوارج من الفاسق الملي مرتكب الكبائر؛ لأن الخوارج يرون ذلك كفرًا.

وإنما وافقوهم على حكمهم في الآخرة، وهو الخلود في النار، وأما في الدنيا فخالفوهم في الاسم فقالوا: مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أصل من أصول المعتزلة وهو خاصة مذهبهم الباطل.

* وأما مذهب المرجئة فقد تقدم أنهم قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية.

---

(١) فالخوارج تسمي العاصي كافرًا، وتستحل دمه وماله، بخلاف المعتزلة في ذلك.

* ومذهب أهل الحق خلاف هذين المذهبين، فلا يقولون بقول الخوارج والمعتزلة، ويخلدون عصاة الموحدين في النار، ولا يقولون بقول المرجئة: إن المعصية لا تضرهم. بل العبد الموحد مأمور بالطاعات، منهي عن المعاصي والمخالفات، فيثاب على طاعته ويعاقب على معصيته، إن لم يعف الله عنه، والبحث طويل لا يتسع له مثل هذه الحواشي، وإنما قصدنا بذلك تنبيه الطالب إلى مآخذ هذه المسائل. اهـ.

الفرق بين الخوارج والمعتزلة

* **السعدي**: الفرق بين الحرورية والمعتزلة: أن الحرورية -وهم الخوارج- يطلقون الكفر على العصاة من المؤمنين ويخلدونهم في النار.

وأما المعتزلة فلا يطلقون عليهم الكفر، بل يقولون: لا مسلمون ولا كفار، ولكنهم يخلدونهم في النار كالخوارج. والنصوص ترد قولهم جميعًا. اهـ.

قوله: (وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ).

* **ابن مانع**: أما عطف الجهمية على المرجئة كما في نسختنا[1] فليس للمغايرة، فإن المرجئة جهمية أيضًا، فالجهم هو الذي ابتدع التعطيل، والتَّجهُّم، والإرجاء، والجبر، قال في النونية:

«جيمٌ» و«جيمٌ» ثم «جيمٌ» معها * مقرونة مع أحرفٍ بوزان

فإذا رأيت الثور فيه يقارن * الجيمات بالتثليث شر قران

دلت على أن النحوس جميعها * سهم الذي قد فاز بالخذلان

(١) وهو الثابت في نسخة المؤلف وسائر النسخ.

«جـبرٌ» و«إرجـاءٌ» وجـيم «تجهـمٍ» * فتأمـل المجمـوع في الميـزان

فـاحكم بطالعهـا لمـن حـصلت لـه * بخلاصـه مـن ربقـة الإيـمان

والجهـم أصَّـلَها جميعًـا فاغتـدت * مقـسومة في النـاس بـالميزان

لكـن نجـا أهـلُ الحـديثِ المحـضِ * أتبـاعُ الرسـول وتـابعو القـرآن

عرفـوا الـذي قـد قـال معْ علـم بـها * قـال الرسـول فهـم أولـو العرفـان

ا.هـ.

قوله: (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ).

* **ابن مانع**: فالرافضة كفروهم والخوارج كفروا بعضهم، وأهل الحق عرفوا فضلهم كلهم، وأنهم أفضل هذه الأمة إسلامًا، وإيمانًا، وعلمًا، وحكمة ﷺ. اهـ

* **آل الشيخ**: الرافضة غَلَوا في عليٍّ وأهل البيت، حتى قال بعضهم بإلهيتهم، أو نبوتهم، أو عصمتهم، فالرافضة يغلون في أهل البيت بتعظيمهم، ويجفون بقية الصحابة إلا نفرًا قليلًا، ومسلكهم فيهم التكفير.

* ومسلك الخوارج في أصحاب رسول الله ﷺ معلوم معروف، يكفرونهم أو يفسقونهم -أهل البيت وغيرهم- لما وقع منهم من التحكيم وغيره، خصوصًا عليًا ومعاوية وأهل الشام.

* وأهل السنة والجماعة وسط، وعلى هدى مستقيم بين ضلالتين، يترضون عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرفون حقهم، وينزلونهم منازلهم، ولا يرون فيهم ما يراه الخوارج والروافض من تكفيرهم.

* وكذلك أهل السنة والجماعة توسطوا في أهل بيت رسول الله ﷺ، ورأوا أن لهم مزية؛ لقربهم من النبي ﷺ كما قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»[(١)]، ولا يرون ما يراه الروافض من الغلو في أهل البيت، ولا ما يراه الخوارج والنواصب من العداء لأهل البيت. اهـ

* **السعدي**: الرافضة تسب الصحابة وتلعنهم، وربما كفرتهم، أو كفرت بعضهم، وأما الرافضة الغالية فإنهم مع سبهم لطائفة من الصحابة وللخلفاء الثلاثة، فإنهم يغلون في علي ويدَّعون فيه الألوهية، وهم الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار.

وقابلهم الخوارج، فقاتلوه، وقاتلوا الصحابةَ، وكفروهم، واستحلوا دماء الصحابة والمسلمين.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فاعترفوا بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أعلى الأمة في كل خصلة كمال، ومع ذلك فلم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم؛ لما لهم من الحق الأكبر على جميع الأمة، كما سيأتي ذلك إن شاء الله. اهـ

* **ابن باز**: أهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة وبين الخوارج، فالرافضة غلوا، والخوارج جفوا وقاتلوا الصحابة وكفروا أكثرهم، والرافضة غلوا في أهل البيت.

أما أهل السنة والجماعة فيترضون على جميع الصحابة ﵃، ويؤمنون بعدالتهم جميعًا وأنهم خير خلق الله بعد الأنبياء عليهم السلام، ويتبرؤون من طريقة الروافض، الذين يغلون في علي ﵁، وأهل البيت ﵃، فأهل السنة لا يغلون، ولا يجفون، فهم مع الصحابة يترضون عنهم، ويعتقدون أنهم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وأنهم

---

(١) حسن صحيح بمجموع طرقه، أخرجه الإمام أحمد (١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧)، والترمذي (٣٧٥٨)، والبزار (٢١٧٥)، والحاكم (٣/ ٣٣٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وسيأتي مزيد بسط في تخريجه إن شاء الله عند قول المصنف: «ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ...» إلخ.

خير هذه الأمة، ولكن لا يغلون فيهم كما تغلوا الرافضة في عليّ ، وأهل البيت ، ويدعونهم مع الله، ويزعمون أنهم معصومون، لا هذا ولا هذا، فالرافضة غلوا، وزلوا، وضلوا، والخوارج أيضًا جفوا في حق الصحابة ، ولم يثبتوا عدالتهم.

وأهل السنة أثبتوا عدالة الصحابة ، وفضلهم، وأنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، ولكن خالفوا الرافضة في الغلو، فلم يغلوا في علي ، ولا في أهل البيت ، بل ترضوا عليهم، وعرفوا فضلهم، وأنهم من أهل الخير من استقام منهم على الحق، فهو يرجى له الخير، وعلي مثل بقية الصحابة، وهو رابع الخلفاء، وله فضله، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، لكن لا يغلى فيه، ولا يدعى مع الله، ولا يقال: إنه معصوم، ولا يقال: إنه صاحب الرسالة وأن جبريل عليه السلام خان! كل هذا باطل، لكنه من أفضل الصحابة، ومن خيرة الصحابة ، ولكن لا يجوز الغلو فيه وفي فاطمة ، ولا في الحسن، ولا في الحسين ، ولا في غيرهم، بل من استقام منهم على الحق من أهل البيت فله صفة المؤمنين، يدعى له ويترضى عليه، لكن لا يغلى فيه، بل يعرف فضلهم، وأنهم من خيرة المسلمين، ولهم منزلتهم المعروفة عند أهل السنة والجماعة، فلا يغلون في أحد من الصحابة، ولا يجفون أحدًا، بل يعرفون حقهم، وفضلهم، ومنزلتهم التي أنزلهم الله إياها، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ بهم. اهـ

* **الهراس**: المعروف أن الرافضة قبحهم الله يسبون الصحابة ، ويلعنونهم، وربما كفروهم، أو كفروا بعضهم، والغالبية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في علي وأولاده، ويعتقدون فيهم الإلهية.

وقد ظهر هؤلاء في حياة علي بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا وأسلم وأراد أن يكيد للإسلام وأهله، كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وأفسدوها على أهلها، وقد حرقهم علي بالنار؛ لإطفاء فتنتهم، وروي عنه في ذلك قوله:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا * أججت ناري ودعوت قنبرا

* وأما الخوارج، فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

* وأما أهل السنة والجماعة، فكانوا وسطًا بين غلو هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانًا، وإسلامًا، وعلمًا، وحكمة، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم، وأحبوهم؛ لعظيم سابقتهم، وحسن بلائهم في نصرة الإسلام، وجهادهم مع رسول الله ﷺ. اهـ

الفِرَق الإسلامية

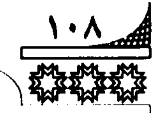
* **ابن مبارك:** قال في «فتح الباري» في أول كتاب التوحيد: قال ابن حزم في كتاب «الملل والنحل»(١): فِرَق المقرّين بملة الإسلام خمس: أهل السنة، ثم المعتزلة ومنهم القدرية، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرَّامية، ثم الرافضة ومنهم الشيعة، ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية، ثم افترقوا فرقًا كثيرة، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع، وأما في الاعتقاد ففي نُبَذٍ يسيرة، وأما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب.

فأقرب فرق المرجئة من قال: الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط، وليست العبادة من الإيمان.

وأبعدهم: الجهميَّة القائلون بأن الإيمان عقدٌ بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الوثن من غير تقية. والكُرَّامية القائلون بأن الإيمان قولٌ باللسان فقط، وإن اعتقد الكفر بقلبه. وساق الكلام على بقية الفرق، ثم قال: فأمَّا

---

(١) ذكره الحافظ بالمعنى ملخصًا، كعادته في النقل، وانظره مبسوطًا في «الفِصل في الملل والنحل» لابن حزم (٣/ ١١١ وما بعدها).



المرجئة فعمدتهم الكلام في الإيمان والكفر، فمن قال: إن العبادة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص، ولا يكفِّر مؤمنًا بذنب، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجئًا، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم.

* وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر، فمن قال: القرآن ليس بمخلوق، وأثبت القدر، ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي، ولو وافقهم في سائر مقالاتهم. وساق بقية ذلك إلى أن قال: وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمس من مثبتٍ لها ونافٍ، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية، فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطِّلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكُرَّامية، فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه، تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علوًّا كبيرًا، ونظير هذا التباين قول الجهمية: إن العبد لا قدرة له أصلًا. وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه. انتهى[1].

طريقة المخالفين للسنة في رد النصوص

وقال القرطبي[2] في شرح حديث: «أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصِم»[3]: «هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق، وردَّه بالأوجه الفاسدة، والشُّبه الموهمة، وأشدُّ ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلِّمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أُمّته، إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدليّة، وأمور صناعية، مدار أكثرها على آراء سُوفسطائية، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شُبَهٌ ربما

---

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٣-٤٢٤) ط: دار السلام.
(٢) المحدث العلامة أبو العباس القرطبي صاحب «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم».
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

يعجز عنها، وشكوكٌ يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالًا عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالمٍ بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصلٍ عنها لا يدرك حقيقة علمها.

ثمَّ إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعًا من المحال لا يرتضيها البُلهُ ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيُّز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفة الله تعالى. إلى أن قال : ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان عجز عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدركُ به، فهو عن إدراك غيره أعجز، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزَّهٌ عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال، متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه، كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين، كعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والشافعي، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعَرَض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالًا. قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وبعضهم إلى الإلحاد، وبعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلُّبهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحِكم التي استأثر بها، وقد رجع كثيرٌ من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: ركبتُ البحر الأعظم، وغصتُ في كلِّ شيءٍ نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فرارًا من التقليد، والآن فقد رجعتُ واعتقدتُ مذهب السلف. انتهى[1]. اهـ

---

(١) انظر «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٦٩٠-٦٩١) ط: ابن كثير.

فَصْلٌ



في الإيمان بعلم الله ومعيته لخلقه وأنها لا تنافي علوه وفوقيته جلَّ وعلا

قال المصنف رحمه الله: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ ﷻ فَوْقَ سمواتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ[1]؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَل القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ[2] أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ الله مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ؛ [مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ الله قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السموات وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ

---

(١) في بعض النسخ: «يعلم ما هم عليه وما هم عاملون».

(٢) في بعض النسخ زيادة «وغير المسافر».

أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ)][١].



الشرح

❁ **ابن باز**: هذا الفصل أهم فصول هذا الكتاب، وهو مطابق لما تقدم في أول الكتاب، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بأنه ﷻ فوق السماء فوق العرش بائن من خلقه، وهذا ثابت بالنص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فجميع سلف الأمة رحمهم الله تعالى آمنوا بأن الله ﷻ فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه -بائن: أي منفصل عن خلقه- ليس في خلقه شيء من ذاته، وليس في ذاته شيء من خلقه، بل هو منفصل عنهم، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره: نعرف ربنا بأنه فوق سمواته فوق عرشه بائن من خلقه، وعلمه في كل مكان[٢].

وهكذا يقول السلف جميعًا رحمهم الله: إنه سبحانه فوق السموات فوق العرش وعلمه في كل مكان.

ولا تنافي بين عموم علمه وبين علوه وفوقيته، فهو سبحانه فوق العرش، مع هذا علمه محيط بكل مكان محيط بكل شيء علمًا، كما قد جمع بين هذا وهذا في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ -يعني: يخبرهم- ﴿بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فبدأها بالعلم وختمها بالعلم، فدل

---

(١) زيادة ثابتة في كثير من النسخ، وليست في النسخة التي بخط المصنف.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٤ - ط: القحطاني)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ١٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، والذهبي في «العلو» وصححه، ووافقه الشيخ الألباني في مختصره (١٥٠).

ذلك على أن العلم غير العلو، علمه بكل شيء أمر ثابت بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهكذا علوه فوق عرشه ثابت بالنصوص، فلا تنافي بين هذا وهذا، بل يجب أن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن السماء تقله أو تظله، أو أنه في حاجة إليها، لا يجوز هذا، بل هو الذي أقام السموات وأقام العرش، وهو الذي يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، فالمخلوقات كلها قائمة به جل وعلا، فهو الممسك لها والمقيم لها، والمدبر لها، وهو الخالق لها، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق ﷻ.

فكونه معنا حق، وكونه فوق العرش حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف ولا يظن أنه مختلط بالخلق، كما تقول المعتزلة والجهمية وغيرهم من نفات الصفات، بل هو سبحانه فوق العرش، وعلمه في كل مكان، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، لا في السماء ولا في الأرض.

فيجب أن يكون المؤمن على هذه العقيدة العظيمة الثابتة في الكتاب والسنة، التي أجمع عليها سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، وأن العلو لا ينافي المعية والعلم والإحاطة، العلو شيء، والعلم بالأشياء شيء آخر، فلا يزول ولا يعزب عن علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء، مع أنه فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]. اهـ

* **السعدي**: صرح المصنف رحمه الله في هذا الفصل بمسألة العلو لله واستوائه على عرشه، وأن ذلك داخل في الإيمان بالله، وذلك لما حصل في هذه المسألة من القلاقل والمخاصمات الطويلة بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم في هذه المسألة من الأشعرية ونحوهم، فإن مسألة العلو صُنِّفت فيها المصنفات المستقلة، وأورد فيها أهل السنة من نصوص الكتاب والسنة ما لا يمكن دفعه أو دفع

بعضه، وحققوا ذلك أيضًا بالعقل الصحيح، وأن الفطر والعقول معترفة؛ بل مضطرة إلى الإيمان بعلو الله، إلا من غيرت فطرته العقائد الباطلة.

وقد بين المصنف في هذا الموضوع الجمع بين الإيمان بعلو الله، وإثبات معيته وعلمه المحيط، وحققه بكلام واضح مبين بالأمثلة المقربة للمعاني بما لا يزيد عليه. اهـ

❁ **الهراس**: صرح المؤلف هنا بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه، كما أخبر الله عن ذلك في كتابه، وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله، وكما أجمع عليه سلف الأمة الذين هم أكملها علمًا وإيمانًا، مؤكدًا بذلك ما سبق أن ذكره في هذا الصدد، ومشددًا النكير على من أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة.

الجمع بين المعية والقرب وبين العلو

ثم بين أن استواءه على عرشه لا ينافي معيته وقربه من خلقه؛ فإن المعية ليس معناها الاختلاط والمجاورة الحسية، وضرب لذلك مثلًا بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغيره أينما كان، بظهوره واتصال نوره، فإذا جاز هذا بالنسبة للقمر، وهو من أصغر مخلوقات الله، أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة، والذي هو شهيد مطلع عليهم، يسمعهم، ويراهم، ويعلم سرهم ونجواهم، بل العالم كله، سمواته وأرضه، من العرش إلى الفرش، كله بين يديه سبحانه كأنه بندقة في يد أحدنا، أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال: إنه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟! بلى، يجب الإيمان بكلٍ من علوه تعالى ومعيته، واعتقاد أن ذلك كله حق على حقيقته، من غير أن يساء فهم ذلك، أو يُحمل على معان فاسدة؛ كأن يفهم من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، معية الاختلاط والامتزاج، كما يزعمه الحلولية[1]، أو يفهم من قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، أن السماء ظرف حاوٍ له محيط به، كيف وقد وسع

---

(١) الذين يظنون أنَّ الله يحل في مخلوقاته.

كرسيه السموات والأرض جميعًا، وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؟ فسبحان من لا يبلغه وهم الواهمين، ولا تدركه أفهام العالمين. اهـ

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سمواتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلقِهِ).

❁ آل الشيخ: يعني منفصل من خلقه بائن منهم، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

وقوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا) معية تقتضي العلم والإحاطة والاطلاع.

تفسير المعية بلازمها وهو العلم

وقوله: (يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ): هذا تفسير لقوله: «وهو سبحانه معهم».

وألجأهم إلى أن يفسروها باللازم؛ لرد محذور أكبر، من أجل أنهم يتكلمون مع الجهمية القائلين بالحلول وإنكار العلو، فبينوا أنه ليس بالخلق مختلطًا، هذا مقتضى المعية[١]، وكذلك الإحاطة والقدرة وملكه وقبضه. والإيمان بذلك من أعظم الإيمان بالله ﷻ، فهو مع كمال علوه وفوقيته بكمال علمه ومعيته مع خلقه.

(١) أي الذي ألجأ السلف إلى تفسيرها بلازم المعية -وهو العلم- لرد محذور القول بالاختلاط بالخلق، وليس هذا تأويلاً، بل العلم من حقيقة المعية. وسيأتي كلام ابن القيم رحمه الله قريبًا في تحرير ذلك.

وقوله: (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ واستواؤه على عرشه هذا فيه إثبات علوه على خلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ إثبات كمال العلم. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ إثبات صفة المعية. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إثبات صفة البصر.

وقوله: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلْقِ) أي: ليس ممتزجًا بالخلق كما تقوله حلولية الجهمية، حاشا وكلا، بل معية الله تعالى لا تقتضي ذلك، فإنها وردت مطلقة في وصف الله.

وقوله: (فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) أي: لا توجبه اللغة التي نزل بها القرآن من أن المراد بها الامتزاج، بل ترد ويراد بها هذا، وترد ويراد بها هذا.

قوله: (وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ) فإنهم مجمعون على أن الله فوق عرشه، بائن من خلقه، فلو قلتَ: المعية لها معنيان؟ قلتُ لك، لكن يدل على أن المراد الأول إجماع المسلمين، ولما سئل ابن المبارك بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»[(١)].

وقوله: (وَخِلَافُ مَا فَطَرَ الله عَلَيْهِ الخَلْقَ) أي: «خلاف ما فطر الله عليه الخلقَ» عربَهم وعجَمَهم، صامتَهم وناطقَهم، فإنهم مطبقون على معرفة خالقهم ومزيل الضرّ عنهم، فوق السموات على العرش، فإنهم إذا حَزَبَ أحدَهم حازبٌ، رفع رأسه إلى السماء، حتى البهائم العُجْم إذا حزبها حازب رفعت رؤوسها إلى السماء.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله: (بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وَغَيْرِ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ) أي: «القمر آية من» جملة «آيات الله» المشاهدة في الدنيا، «من أصغر مخلوقاته» بالنسبة إلى السموات، «وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان» ويصح أن يكون مع المسافر وغير المسافر وهو في موضعه، فمعية القمر مع الماشي وغيره تخصه وهو في فَلَكِهِ، فكيف برب العالمين؟ يقول السفار: «سافرنا ومعنا القمر» وهو ليس مختلطًا بهم، بل في فَلَكِهِ، والعرب تقول: «ما زلنا نسير والقمر معنا» ولا يريدون أنه حالٌّ فيهم ممازجٌ.

وإذا كانت معية القمر تطلقها العرب ولا يريدون ما تقدم، فلأن لا تفيد النصوص ذلك في حق الله بطريق الأولى، فإن الشخص يكون معه القمر وليس فيه القمر وليس معه إلا نوره. ويقال: «فلان مع فلان» إذا كان يميل إليه وإن كان بينهما مسافة بعيدة، ويقال: «هذه المرأة مع فلان» وإن كان بينهما مسافة، «وفلان مع الأمير» كذلك، فبطريق الأولى رب العالمين، فكما أن ذاته لا كذوات المخلوقات، فكذلك صفاته، بل هي معية موافقة مطابقة لائقة به.

فالمراد شيء واحد وهو: أن المعية لا تقتضي امتزاجًا واختلاطًا، فإنه صح في لغة العرب أنه معهم من قولهم: «سرنا والقمر معنا». اهـ

وقوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ).

«مطلع» أي: مشرف «عليهم». وكلٌّ حق على حقيقته، هو على العرش حق على حقيقته، وهو معنا حق على حقيقته، فهما شيئان متوافقان لا يتنافيان أبدًا، فليس معنى قوله: «حق على حقيقته» كما يتبادر في الذهن من صفات المخلوقين، فبين صفات الله وصفات المخلوقين أعظم تباين يوجد. «لا يحتاج إلى تحريف». أي الذي يسميه المحرفون تأويلًا.

وقوله: (وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ) أي: «يصان عن الظنون الكاذبة» والأفهام الفاسدة، فإن بالظنون الكاذبة يكثر الاختلاف. (مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ) قوله (تُقِلَّه) أي: تحمله، وأنها لو سقطت لسقط تعالى الله وتقدس.

قوله: «أو تظله» أي: تكون له كالظلة تعالى الله وتقدس.

قوله: (وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السموات وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ).

❁ قال الشيخ: قوله «فإن الله» هذه فاء التعليل «قد وسع كرسيه» الكرسي: موضع القدمين، وجاء في الحديث: «ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة»[1] وهو صغير النسبة إلى العرش كما في الحديث: «ما الكرسي في العرش إلى كحلقة»[2] فكيف يظن أن السموات تقله أو تظله سبحانه؟! بل السموات السبع كلها كالخردلة في يد أحدنا كما في الحديث[3].

---

(١) صححه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من حديث أبي ذر وفيه: قلت: يا رسول الله، فأي ما أنزل الله عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي» ثم قال: «يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» الحديث، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩) و«مختصر العلو» للذهبي.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) كما في أثر موقوف على ابن عباس قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الله عز وجل، إلا كخردلة في يد أحدكم» رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٩٠)، وابن بطة في «الإبانة» (ج٣/ ص٢٠٨ ح ٣٠٨).

فيظهر بهذا أن جميع مخلوقاته مفتقرة محتاجة إليه، من العرش إلى الثَّرى، ولولا إقامته لها لانْدَكَّ بعضها على بعض، فهو تعالى الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، من عرشه حتى الحضيض، بل كل المخلوقات مفتقرة إليه، فلا قامت إلا بأمره وقدرته وإمساكه، فكيف يظن أنه محتاج إليها وهو الغني الكامل بذاته؟ اهـ

معاني كلمة (مع)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]: «كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة، أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني، دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي. لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة» اهـ.

وقال أيضًا: «الحقيقة» هو اللفظ المستعمل فيما وضع له وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيه. فالحقيقة، أو المجاز هي من عوارض الألفاظ في اصطلاح أهل الأصول وقد يجعلونه من عوارض المعاني لكن الأول أشهر. اهـ[2]

تفسير المعية بالعلم ليس من المجاز

* **قال العلامة ابن القيم** [3]: مما ادُّعِيَ فيه المجازُ: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥]، وقوله:

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠٠).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص/ ٤٧٦-ط: إبراهيم السيد)، (٣/ ١٢٤٠ وما بعدها -ط: أضواء السلف).

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية ونحو ذلك.

قالت المجازية: هذا كله مجاز يمتنع حمله على الحقيقة، إذ حقيقته المخالطة والمجاورة وهي منتفية قطعًا، فإذًا معناها معية العلم والقدرة والإحاطة، ومعية النصر والتأييد والمعونة، وكذلك القرب.

قال أصحاب الحقيقة: والجواب عن ذلك من وجوه:

* أحدها: لا تخلو هذه الألفاظ إما أن يكون ظاهرها أن ذاته تعالى في كل مكان، أو لا يكون ذلك ظاهرها، فإن كان ذلك ظاهرها فهو قول طوائف من إخوان هؤلاء، وهم الجهمية الأولى، الذين كانوا يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ويحتجون بهذه الآيات وما أشبهها.

وهؤلاء الجهمية المستأخرون[1] الذين يقولون: ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله. عاجزون عن الرد على سلفهم الأول، وسلفهم خير منهم فإنهم أثبتوا له وجودًا بكل مكان، وهؤلاء نفوا أن يكون داخل العالم أو خارجه، والرسل وأتباعهم أثبتوا أنه خارج العالم، فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

* إلى أن قال: الوجه الثاني: أن الله سبحانه قد بين في القرآن غاية البيان، أنه فوق سمواته، وأنه مستوٍ على عرشه، وأنه بائن عن خلقه، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب، إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه وعلوه على عرشه، هذه نصوص محكمة، فيجب رد المتشابه إليها، فتمسكتم بالمتشابه، ورددتم المحكم متشابهًا، وجعلتم الكل مجازًا.

---

(١) يعني: الأشاعرة.

* الوجه الثالث: أن الله تعالى قد بيّن في غير موضع أنه خلق السموات والأرض وما بينهما، وأن له ملك السموات والأرض وما بينهما، وأن الأرض قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه يمسك السموات والأرض، وهذه نصوص صريحة في أن الرب تعالى ليس هو عين هذه المخلوقات، ولا صفة من صفاتها ولا جزءًا منها، فإن الخالق غير المخلوق، وليس بداخل فيها محصور، بل هي صريحة في أنه مباين لها، وأنه ليس حالًّا فيها ولا محلًّا لها، فهي هادية للقلوب، عاصمة لها أن يفهم من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أن الله سبحانه عين المخلوقات، أو حال فيها، أو محل لها.

* الوجه الرابع: أنه ليس ظاهر اللفظ، ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة (مع) على هذا بوجه من الوجوه، فضلًا أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه، فإن (مع) في كلامهم لصحبته اللائقة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فكون نفسِ الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، فيصح أن يقال: زوجته معه، وبينهما شقة بعيدة، وكذلك يقال: مع فلان دار كذا وضيعة كذا. فتأمل نصوص المعية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]، وقوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤] وأضعاف ذلك، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقًا وامتزاجًا؟ فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك؟ حتى يدَّعى أنها مجاز لا حقيقة،

فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم، ولا ملاصقة لهم، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وذلك الاقتران في كل موضع بحسبه، يلزمه لوازم بحسب متعلقه.

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وإذا كان ذلك خاصًا، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة.

أنواع المعية

فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي[(١)]، بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة، وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: «**والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه**»[(٢)] فعلُوُّه لا يناقض معيتَه، ومعيتُه لا تبطل علوَّه، بل كلاهما حق.

فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) الاشتراك اللفظي: أن تشترك المسميات باللفظ، وتختلف بالمعاني، وكلها حقائق لذلك اللفظ. كلفظة العين تطلق حقيقة على ذوات مختلفة كعين الماء، والذهب، والعين الباصرة.

(٢) تقدم تخريجه.

ومن العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

فنبَّه سبحانه بالثلاثة على العدد الذي يجمع الشفع والوتر، ولا يمكن أهله أن ينقسموا في النجوى قسمين، ونبه بالخمسة على العدد الذي يجمعها، ويمكن أهله أن ينقسموا فيها قسمين، فيكون مع كل العددين، فالمشتركون في النجوى إما شفع فقط، أو وتر فقط، أو كلا القسمين، وأقل أقسام الوتر المتناجين ثلاثة، وأقل أنواع الشفع اثنان، وأقل أقسام النوعين إذا اجتمعا خمسة، فذكر أدنى مراتب طائفة الوتر، وأدنى مراتب النوعين إذا اجتمعا، ثم ذكر معيته العامة لما هو أدنى من ذلك أو أكثر.

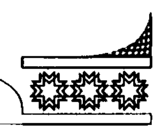
وتأمل كيف جعل نفسه رابع الثلاثة، وسادس الخمسة؛ إذ هو غيرهم سبحانه بالحقيقة، لا يجتمعون معه في جنس ولا فصل، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] فإنهم ساووا بينه وبين الاثنين في الإلهية، والعرب تقول: رابع أربعة، وخامس خمسة، وثالث ثلاثة؛ لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف، كما قال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] رسول الله وصِدِّيقُهُ، فإن كان من غير جنسه قالوا: رابع ثلاثة، وخامس أربعة، وسادس خمسة.

وقال تعالى في المعية الخاصة لموسى وأخيه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال في العامة ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] فتأمل كيف أفرد ضمير نفسه، حيث أفرد موسى وأخاه عن فرعون، وكيف جمع الضمير لما أدخل فرعون معهما في الذكر، فجعل الخاص مع المعية الخاصة، والعام مع المعية العامة... اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: قال أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد في شرح الموطأ»[(٢)] لَمَّا شَرحَ حديث النزول، قال: هذا حديث لم يختلفْ أهلُ العلم في صحتِه،

---

(١) «جامع المسائل» لابن تيمية (٣/ ١٥٧ -ت: عزير شمس).
(٢) انظر «التمهيد» (٧/ ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤).



وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة. وهذا أشهرُ عند العامة والخاصة، وأَعرَفُ من أن يحتاجَ إلى أكثر من حكايتِه، لأنه اضطرارٌ، لم يُؤَنِّبْهم عليه أحدٌ، ولا أنكرَه عليهم مسلمٌ.

وقال أبو عمر أيضًا: أجمعَ علماءُ الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾: هو على العرش، وعِلمُه في كل مكان. وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتَجُّ بقوله.

وقال أيضًا: أهل السنة مُجمِعون على الإقرارِ بالصفاتِ الواردة في الكتاب والسنة، وحَمْلِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئًا من ذلك، وأما الجهمية، والمعتزلة، والخوارج فكلُّهم يُنكِرها، ولا يَحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أنّ من أقرَّ بها مُشبِّه، وهم عند مَن أقرَّ بها نَافُونَ للمعبود.

وقال الشيخ أبو بكر الآجُرِّي في كتاب «الشريعة»[(١)] في باب التحذير من مذهب الحلولية: الذي يذهب إليه أهلُ العلم أن الله على عرشِه فوقَ سمواته، وعِلمُه محيط بكل شيء، قد أحاطَ بجميع ما خلقَ في السموات العُلى، وبجميع ما في سبع أرضين، يُرفَع إليه أعمالُ العباد.

فإن قال قائل: فما معنى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية التي يحتجون بها؟ قيل له: علمُه، والله على عرشِه وعلمُه يُحيط بهم، هكذا فسَّره أهلُ العلم، والآية يدلُّ أوّلُها وآخرُها على أنه العلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن بَطَّة في كتاب «الإبانة»[(٢)]: باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقِه، وعِلمُه محيط بخلقه: أجمعَ المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشِه فوقَ سمواته بائنٌ من خلقهِ، فأما قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فهو كما قالت

---

(١) انظر «الشريعة» (ص/ ٢٨٨).

(٢) انظر «المختار من الإبانة» (تتمة الرد على الجهمية) (٣/ ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤).

العلماء: عِلْمُه، وأما قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه أنه هو الله في السموات وهو الله في الأرض، وتصديقُه في كتاب الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

واحتجَّ الجهمي بقول الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فقال: إن الله معنا وفينا. وقد فسَّر العلماءُ أن ذلك علمه، ثم قال في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فهؤلاء وأمثالُهم الذين هم من أعلم الناس بأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وكلٌّ منهم له من المصنَّفات المشهورة ما فيه العلم بأقوال السلف وآثارِهم، ما يعلم أنهم أعلم بذلك من غيرهم، وقد حَكَوا إجماعَ السلف كما ترى.

التأويل

الوجه الثاني: أن يقال: الكلام في الآيات والأحاديث كلِّها على طريقةٍ واحدة، والتأويل الذي ذمَّه السلفُ والأئمة هو تحريف الكلام عن مواضعه، وإخراجُ كلامِ الله ورسوله عما دَلَّ عليه وبيَّنه الله به، وقد حَدَّه طائفةٌ بأنه صَرْفُ الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل.

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحوها من الآيات ليس ظاهرُها، ولا مدلولُها، ولا مقتضاها، ولا معناها أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين ممتزجًا بهم، ولا إلى جانبهم متيامنًا، أو متياسرًا، ونحو ذلك؛ لوجوه:

* أحدها: أنه لم يَقُل أحد من أهل اللغة: إنَّ المعيَّةَ تقتضي الممازجةَ والمخالطةَ، ولا تُوجبُ التيامنَ، ولا التياسُرَ ونحو ذلك من المعاني المنفيَّةِ عن الله مع خَلْقِه، وإنما تقتضي المصاحبة والمقارنةَ المطلقةَ.

* الثاني: أنه حيث ذُكِر في القرآن لفظ المعيّة فإنه لم يَدُلَّ على الممازجة والمخالطة، كما في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، فليس معنى ذلك أن ذاتَ المؤمنين ممتزجةٌ بذاته.

* وكذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمۡ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾، والمجاهد معهم ليست ذاتُه ممتزجةً بذواتهم ولا مماسَّةً لذواتِهم.

* وقال تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، وليس المراد أن ذاتَه تمتزجُ بذواتهم، ولا مماسَّة لها.

* وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾.

وهذا كثير في كتاب الله، وليس في شيء من ذلك أن معنى المعيَّة أن يكون أحدهما حالًّا في الآخر، ولا ممتزجًا به، ولا مختلطًا به.

فمن قال: إن ظاهرَ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ ونحو ذلك، أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين وممتزجًا بهم، وحالًّا فيهم، أو مماسًّا لهم، ونحو ذلك، فقد افترى على القرآن وعلى لغة العرب، وادَّعى أن هذا الكفر هو ظاهر القرآن، وهو كَذِبٌ على الله ورسوله بلا حجة، ولا برهانٍ.

وغاية ما يُقال: أن لفظ (مع) ظرفٌ أو ظرفُ مكانٍ، فيقتضي أن يكون المتعلق بهذا الظرف مكانًا من المضاف إليه، كما في قول القائل: هذا فوقَ هذا، فإن (فوق) من ظروف المكان، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون المكان عن يمين المضاف إليه، أو عن شمالِه، ولا يقتضي أن يكون عن يمينه وشمالِه جميعًا، بل أكثرُ ما يَقتضي مطلق المكان، فإذا قُدِّرَ أنه فوقَ المضاف إليه لم يكن هذا مخالفًا لظاهر المعية.

ومن قال: إنه لابُدَّ في المعية من أن يكون ما مع الشيء متيامنًا، أو متياسرًا، أو إلى جانبه، ونحو ذلك، فقد غَلِطَ غَلَطًا بيِّنًا.

وهذا كما أن قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌۚ ﴾ ليس ظاهرُه أن ذاتَه في السموات والأرض، بل ظاهرُه أنه إله أهلِ السماءِ، وإله أهل الأرض، فأهلُ السماء يَألَهُونَه، وأهلُ الأرض يألهونَه.

وكذلك قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ليس ظاهره أن نفس الله في السموات والأرض، فإنه لم يقل: هو في السموات والأرض. بل قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فالظرفُ مذكورٌ بعدَ جملةٍ لا بعدَ مفردٍ، فهو متعلق بما في اسم (الله) من معنى الفعل، هو الله في السموات: أي المعبود الإله في السموات، والإله المعبود في الأرض، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾، بخلاف قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، فإنه لم يذكر ما يتعلق به قوله ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ غير نفسِه.

وكذلك الأثر الذي يُروَى عن ابن عباس أنه قال: «الحجر الأسودُ يمينُ الله في الأرض، فمن صافحَه واستلَمه فكأنما صافحَ اللهَ وقَبَّلَ يمينَه»[(١)]، فمن قال: إن هذا يحتاج إلى تأويل فقد أخطأ، فإنه ليس ظاهر هذا أن الحجر هو صفةُ الله، فإنه قال: «يمين الله في الأرض»، فقيَّده بكونه «في الأرض»، وهذا بيِّن أنه ليس هو صفةَ الله. ثم قال: «فمن صافحَه وقَبَّلَه فكأنما صافحَ الله وقَبَّل يمينَه»، والمشبَّهُ غيرُ المشبَّهِ به، فقد صرَّح بأن المستلم له لم يصافحِ الله، وإنما هو مشبَّهٌ بذلك.

* الوجه الثالث أن يقال: إخبارُ الله في القرآن أنه مع عبادِه جاءَ عامًّا وخاصًّا.

* فالعام كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. ففتَحَ الكلامَ بالعلم وختَمه بالعلم.

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٢٣ ط: الجبوري)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٢٣)، وقال شيخ الإسلام في «الرد على البكري» (٢/ ٥٩٣): هذا معروف عن ابن عباس وقد روي مرفوعًا، ولم يثبت بهذا اللفظ. اهـ

* وأما الخاصّ فكقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾، فهذا بيّن أنه ليس مع الفجّار والظّالمين، ولو كان بذاتِه في كل مكان لكان مخالفًا لهذه الآية.

وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، فهو مع موسى وهارون دون فرعون وقومه.

وكقوله عن النبي ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، فهو مع النبي ﷺ وصاحبه، لا مع الكفّار كأبي جهل وأمثالِه.

فلو كانت المعيَّةُ معناها الاختلاط والامتزاج، وكان في كل مكانٍ بذاته، لم يَجُزْ أن يكون في المعيَّةِ تخصيصٌ، فمن زَعَم أن معناها الامتزاج والاختلاط، وأن ظاهرها أن يكون في كل مكانٍ فقد أخطأ.

ولكن المعية وإن دلَّت على المصاحبة والمقارنة فهي في كل مكانٍ بحسب ما دلَّ عليه السياقُ.

فلما كان في تلك الآيتين قد افتتح الآية بالعلم وختمَها بالعلم، دَلَّ ذلك على أن من حُكْمِ المعية أنه عليم بكل شيء.

وهنا لَمَّا كان السياقُ يدلُّ على أن المقصودَ الإعانةُ والنصر دل على أن من حُكْمِ المعيَّة النصر والمعونة، فقول القائل: أنا معك. معناه: أني مصاحبك ومقارِنُك، وإذا كان كذلك اقتضَى أنّي أعلم حالك، وقد يقتضِي إذًا أنِّي أُعِينك، وأنصرك على أعدائك.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم أنتَ الصاحبُ في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، اللهم اصحَبْنا في سفرِنا، واخْلُفْنا في أهلنا»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢) بمعناه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل» وإذا رجع قالهن وزاد: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون».

وهذا وأمثالُه بيَّن أن لفظ المعية في القرآن ليس فيه هذا التأويل المتنازع فيه، وهو صَرْفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يَقترِن بذلك، فإن هذا إنما يكون إذا كان ظاهرُ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يقتضي أن يكون الله ممتزجًا بنا حَالًّا في أجوافِنا، أو أن يكون إلى جوانبنا، وليس هذا مدلولَ لفظ المعية أصلًا، فبطل ما قال، بل يُقال:

الجواب الثاني: وهو أن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يَدُلُّ على نقيض قولِ الجهمية، فإنه ذكر نفسه وذكر أنه معهم، ولفظ الخطاب -إذا قيل: هم، وأنتم، ومعكم، ونحو ذلك- يتناول ما يتناوله الاسمُ الظاهر، واسمهُم يتناول جميعَ ذاتهم وصفاتِهم وأبعاضهم، وذلك يمتنع أن يكون في أحدهم شيءٌ من غيره، فإذا كان هو معهم دلَّ ذلك على أنه منفصل عنهم بائن منهم خارج عنهم، كما في نظائرِه، بل قوله: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونحو ذلك يقتضي أنه مغايرٌ للناس مباين لهم؛ لأنَّ الربَّ مُغايرٌ للمربوب، فإذا قيل: هو معهم اقتضى أنه مغايرٌ لهم، ولمسمَّى (مع) الذي هو معنى الظرف اللفظي، فإنه إذا قيل: هذا فوق هذا. اقتضى أنه مغايرٌ مباينٌ لما هو فوقه ولنفس المسمَّى بلفظ فوقه، ولفظُ (مع) هو من هذا الجنس ظرفٌ من الظروف، فيقتضي ذلك أن يكون المتعلق بهذا الظرف مغايرًا مباينًا له ولما أضيف إليه الظرف، ولا نزاع أن الشيء إذا كان فوق الشيء جاز أن يقال: هو معه، وقد يُجعَل الأعلى مع الأسفل، كما يقال: هذا الحِمْلُ معي. وقد يُجعَل الأسفل مع الأعلى، كما يقال: هذا المركوب معي. وقد يقال لما هو مباينٌ منفصلٌ عنه، كما يقال: هذه الغاشية معي. وقد يقال: سِرْنا البارحةَ والقمرُ معنا. وأمثال ذلك مما يقتضي المباينة والانفصال.

فعُلِم بذلك أن كونه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لا ينفي أن يكون الربّ مباينًا لهم، ولا يقتضي أن يكون على جوانبهم، بل غايتُه أن يكون بحيث هو مضافٌ إليه مما يُسمِّيه النحاةُ ظرفًا، كالفوق، ونحوه، فلا يكون بين قوله: فوقهم، وقوله: معهم، منافاة، بل يكون لفظ المعية دلَّ على مطلق أنه حيث يضاف إليهم، ولفظ الفوقية دلَّ على خصوص ذلك، ولو معية هي فوقية، ليست تيامنًا ولا تياسُرًا.

وحقيقة الأمر أن لفظ (مع) في الأصل معناه واحدٌ، وهو المصاحبة والمقارنة والمشاركة في مسمى (مع) الذي هو معنى الظرف، وهو ظرف إضافي. فقوله: هذا معه. بمنزلة قوله: هذا مصاحبٌ له مفارقٌ له. وهو يقتضي مطلقَ المصاحبة والمقارنة لا نوعًا منهم إلا بتفصيل وتخصيص(١).

وكذلك إذا قيل: هو يقتضي مطلق الموافقة أو المشاركة فيما قد يُسمَّى مكانًا ونحو ذلك من الأسماء، فإنه لا يدلُّ إلا على مطلق هذه الموافقة، لكن قد يكون من لوازم ذلك موالاة أحدهما للآخر محبةً ونصرةً، كما يقال: فلان معي وفلان عليَّ، إذ كان من شأن المتحابين قربُ كلٍّ منهما إلى الآخر حتى يتفقا في محل واحد، وقد يكون من لوازم ذلك معرفة كل منهما بالآخر أو معاونته؛ إذ من شأن المجتمعين من الآدميين في محل أن يعرف أحدهما الآخر ومعاونته له.

وهذا كما أن لفظ العلم في الأصل إنما يقتضي معرفة المعلوم، ثم قد يكون من لوازم ذلك ما يقتضيه العلم من محاسبة الشخص، ومجازاته، ونحو ذلك، كما في قوله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]، وكما في قوله: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور: ٦٣-٦٤].

وكذلك السمع، والبصر، مثل قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ

(١) قال في «منهاج السنة» (٨/ ٣٧٥): لفظ (مع) في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أنّ الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الاستعمال. اهـ

وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. فهذا ونحوه- وإن ذُكِر فيه لفظ السمع والرؤية- فالمقصود لوازم ذلك، من إحصاء ذلك، والجزاء عليه بالثواب والعقاب، وقد يكون المقصود بذلك قبول الدعاء، كقول الخليل: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده. كما يُعنَى بالنظر نظر الرحمة والمحبة، كقوله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧].

فهذه الأمور لما كانت من لوازم العلم والسمع والبصر، ومن شأنه إحصاء الأعمال، والجزاء عليها، ونحو ذلك، صارت متضمنة لهذا المعنى. وكذلك المصاحبة لما كان لها لوازم -مثل معرفة الصاحب بحال صاحبه، وموالاته له، وموافقته له- دخلت هذه المعاني فيها حيث دلَّ عليه السياق.

ولفظ (مع) في الأصل يدل على المصاحبة، ويدل على لوازم هذا المعنى، من العلم الذي يتضمن الإحصاءَ، والجزاء على الأعمال عمومًا، ومن الموالاة والمعونة والنصر الذي يختص المؤمنين، ونحو ذلك، فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ذكر بعد أن أخبر بخلق السموات والأرض واستوائِه على العرش، أنه يعلم ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يصعد فيها، وأنه مع الخلق أينما كانوا، وأنه بكل شيء عليم، فدلّ هذا السياق على أنه مع كونه استوى على العرش يعلم باطن الخلق وظاهرهم، وهو معهم، لا يغيب عنه شيء من أمرهم.

وكذلك قال النبي ﷺ في حديث العباس بن عبد المطلب لما ذكر السموات والعرش قال: «**والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك قال عبد الله بن مسعود: «ما بين السماء إلى السماء كذا وكذا» إلى أن قال: «والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه»(١).

وكذلك ما ذكره في سورة المجادلة من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، فافتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم.

ومثل هذا قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨].

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقوله عن الرسول: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، فقد عُلِمَ أن حكم المعية هنا ومقصودها ليس عامًّا لجميع المخلوقات كالعلم والقدرة، بل مختصًّا بالمتقين المحسنين دون الفجار الظالمين، وبموسى وهارون دون فرعون وقومه، وبالنبي وصِدِّيقه دونَ مشركي قومِه، فهذه الأمور التي فيها خصوصٌ وعمومٌ تضمَّنها لفظ المعية ودلَّ عليها، كما دلَّ لفظ العلم والسمع والبصر على ما تقدم، وهي في نفسها تقتضي من المصاحبة والمقارنة ما هو معناها في الأصل، ولا تقتضي ممازجة ولا مخالطة ولا تيامنًا ولا تياسرًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

هل المعية تقتضي القرب؟

بل إذا قيل: إنها تتضمن قُربَه من خلقِه، فقربُه ثابت بنصوصٍ صريحة أصرح من لفظ المعية، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقو له تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه لما كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير: «أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[(١)]. وهو سبحانه قريب في عُلُوِّه، عليٌّ في دُنُوِّه.

وقد تكلمنا على قربه من خلقه وقربِ عبادِه منه بكلام مبسوط، وذكرنا أقوال الناس كلهم في ذلك في غير هذا الموضع، وبَيَّنَّا أن قربَه لا يُنافِي عُلُوَّه. اهـ المقصود[(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٦ وما بعدها) فقد ذكر فصلًا طويلًا في ذلك، وسيأتي شيء من ذلك في الفصل التالي.

فَصلٌ

في إثبات صفة قرب الله الخاص وأنه لا ينافي علوه وفوقيته

قال المصنف: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيب؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»(١). وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).


الشرح

❁ **السعدي**: خص المصنف هذين الأمرين، وذلك لشدة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته؛ ليكون العبد مراقبًا لله إذا آمن بقربه إيمانًا تامًّا كثير اللهج بذكره ودعائه منيبًا إليه على الدوام، إذا آمن بإجابته للسائلين وإثابته للمطيعين. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وقد دخل في ذلك الإيمان..» إلخ، يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه من أنه قريب مجيب، فهو سبحانه قريب ممن يدعوه ويناجيه، يسمع دعاءه ونجواه، ويجيب دعاءه متى شاء، وكيف شاء، فهو تعالى قريب قرب العلم والإحاطة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦]. وبهذا يتبين أنه لا منافاة أصلًا بين ما ذكر في الكتاب والسنة من قربه تعالى ومعيته، وبين ما فيهما من علوه تعالى وفوقيته، فهذه كلها نعوت له على ما يليق به سبحانه، ليس كمثله في شيء منها. اهـ

---

(١) تقدم أنه أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا.

❁ **ابن باز**: بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه دخل في الإيمان بالله وأسمائه وصفاته المتقدم ذكره في المقدمة، دخل في ذلك أيضًا الإيمان بأنه قريب مجيب جَلَّ وَعَلَا، فكونه عاليًا فوق العرش، لا يمنع من كونه قريبًا مجيبًا جَلَّ وَعَلَا، فهو عليّ في دنوه، قريب في علوه، كما ذكر المؤلف، فهو قريب مجيب، وهو العلي الأعلى جَلَّ وَعَلَا فوق العرش، فوق جميع السموات، فوق جميع الخلائق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فهو سبحانه قريب من داعيه، مجيب لعباده جل وعلا، إذا اقتضت حكمته إجابتهم.

وهكذا قوله ﷺ: «**إن الذي تدعونه قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» لما سمع بعض أصحابه يرفعون أصواتهم في السفر، قال: «**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب**». وفي لفظ: «**إنما تدعون سميعًا، بصيرًا، قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». فهو سبحانه مع علوه وكونه فوق العرش لا يمنع ذلك من كونه قريبًا مجيبًا يسمع دعاء الداعي، فهو سميع الدعاء قريب الإجابة، سميع قريب جَلَّ وَعَلَا، وقد كرر ذلك في آيات كثيرة في وصفه بأنه سميع، ويسمع السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، وهكذا في الأحاديث فما ذكر من علوه وفوقيته لا ينافي ما ذكره من دنوه وقربه ومعيته، فهو مع عباده بعلمه واطلاعه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وهو مع أوليائه بعلمه وحفظه وكلاءته، ونصره وتأييده، جَلَّ وَعَلَا.

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة الإيمان بذلك، وأنه سميع قريب، وأن علوه جل وعلا فوق العرش لا ينافي قربه من عباده وسماعه دعاءهم جل وعلا، فهو سميع قريب، وهو عليّ عظيم جل وعلا، كما قال: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. اهـ



❁ **قال الشيخ**: قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيب كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٦]).

يعني: دخل في الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، فإن الإيمان بالله يشمل الإيمان بذاته وأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأشياء من جملتها «**الإيمان بأنه قريب**» من سائليه، «**مجيب**» لداعيه، أي: قربه وإجابته.

وفي قوله ﷺ -لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر-: «**أيها الناس: اربَعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وهذا القرب هو القرب الخاص، قربه من عابديه ومن سائليه- يعني: سواء كان ذلك الدعاء دعاء عبادة، أو دعاء مسألة- والقرب لم يرد في الكتاب والسنة إلا لهذين: للعابدين وللسائلين، وجاء في الحديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»(١).

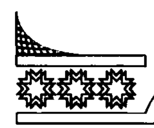
وقوله: (وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوْقِيَّتِهِ) أي: «**ما ذكر في الكتاب والسنة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر**» في الكتاب والسنة «**من علوه وفوقيته**»، بل كلٌّ من هذا وهذا حق على حقيقته، فله سبحانه كمال القرب وكمال المعية، مع كمال العلو والفوقية.

وقوله: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ): يعني: ليست نعوته كنعوت الخلق، ولا تصل تقديرات الخلق إلى معرفة كُنْهِ صفاته، والمخلوق هو الذي نعوته ليست كذلك.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

وهذا الذي ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من أن القرب نوع واحد، وهو القرب الخاص للعابدين والسائلين هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، كما سيأتي النقل عنه قريبًا، وذهب آخرون إلى أنّه -كالمعية- نوعان، خاص وعام، وهو ما قرره الشراح هنا -السعدي والهراس- وغيرهما، وقد بسطت النقل في هذه المسألة في تعليقي على «المنحة الإلهية في شرح الواسطية» للدكتور علي الغرابي رحمه الله (ص/ ١٦٦-١٦٩ ط: دار الحجاز، الأولى).



وقوله: (وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ). يعني: وهو مع كمال علوه قريب، ومع كمال قربه عليٌّ، ولا منافاة بين هذا وهذا، فهو سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يشق عليه شيء، بل السموات في يده كالخردلة في يد أحدنا. اهـ

الجمع بين العلو والقرب

❁ **السعدي**: ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الجمع بين الإيمان بعلو الله وقربه ومعيته؛ لئلا يظن الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين، وأنه إذا قيل: إنه العلي فوق خلقه كيف يكون معهم وقريبًا منهم؟ فأجاب بما تضمنه هذا الأصل الثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته.

ومن نعوته اللازمة: العلو المطلق والقرب العام والخاص، وأن القرب والعلو في حقه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه، فهو العلي في دنوه القريب في علوه. وهذا الأصل ينفعك في كل ما ورد عليك من صفات الله الثابتة، فأثبتها ولا تتوقف، فإن الذي أثبتها اللهُ الذي هو أعلم بنفسه، ورسولُه الذي هو أعلم الخلق، وأورعهم، وأنصحهم للخلق، فإن خطر ببالك تمثيلًا، أو استبعادًا فتفطن لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وتذكر أيضًا أن الكلام على الصفات مثل الكلام على الذات، فكما أنه لا نظير له ولا مثيل له في ذلك فكذلك في صفاته. اهـ

قال العلامة ابن القيم(١): وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فهذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين، فقالت طائفة: نحن أقرب إليه بالعلم، والقدرة، والإحاطة. وعلى هذا فيكون المراد قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص/ ٤٨٠ - ط: سيد إبراهيم)، و(٣/ ١٢٤٩ - ط: أضواء السلف).

والقول الثاني: أن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم، فيقول الملِكُ نحن قتلناهم وهزمناهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] وجبرائيل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه إذ هو بأمره.

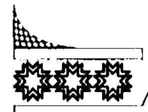
وهذا القول أصح من الأول لوجوه:

أحدها: أنه سبحانه قيد القرب في الآية بالظرف، وهو قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] كالعامل في الظرف ما في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [ق: ١٦] من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين، ولا كان في ذكر التقييد به فائدة، فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق.

الثاني: أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وقريب منه قوله تعالى في أول السورة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤] ونحو قوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

الثالث: أن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصًا لا عامًّا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن، ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب في الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصًّا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل قريبة.

والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قطعًا، وقد بينا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسان، ومن أهل سؤاله بإجابته.



ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه، لمّا تقرّب إليه بإحسانه تقرب تعالى إليه، فإنه «من تقرب منه شبرًا يتقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعًا»[1]، فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته، قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل، وهو فوق عرشه، فإن علوه سبحانه على سمواته من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عاليًا، ولا يكون فوقه شيء ألبتة، كما قال أعلم الخلق به: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»[2] وهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: «أيها الناس، اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[3] فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمواته على عرشه مطَّلِع على خلقه، يرى أعمالهم ويعلم ما في بواطنهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهِّل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده، والأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته، أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش. اهـ

---

(١) كما صح في الحديث القدسي المخرّج عند البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥، ٧٥٧٣)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) تقدم تخريجه.

فَصلٌ

القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مَنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عنه، بَل إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلا المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ).



❁ **السعدي**: ووجه ذلك: أنه داخل في الإيمان بالله وبكتبه الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف: أنه من الإيمان بالله؛ لأنه وصفه، والكلام صفة للمتكلم، فالله تعالى موصوف بأنه متكلم إذا شاء بما شاء وأنه لم يزل -ولا يزال- يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفد ولا يبيد، ونوع الكلام أزلي أبدي، ومفرداته لا تزال تقع شيئًا فشيئًا بحسب حكمة الله تعالى، والله تعالى أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ إضافة الصفة لموصوفها، فدل على أنه كلامه لفظه ومعناه ووصفه. وإذا كان كذلك كان غير مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق من المعتزلة فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفا للمخلوق. اهـ

❁ **الهراس**: وأما كون الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالكتب، فإن الإيمان بها إيمانًا صحيحًا يقتضي إيمان العبد بأن الله تكلم بها بألفاظها ومعانيها، وأنها

جميعًا كلامه هو لا كلام غيره، فهو الذي تكلم بالتوراة بالعبرانية، وبالإنجيل بالسريانية، وبالقرآن بلسان عربي مبين.

قوله: «ومن الإيمان بالله وكتبه..» إلخ، جعل المصنف الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالله؛ لأنه صفة من صفاته، فلا يتم الإيمان به سبحانه إلا بها، إذ الكلام لا يكون إلا صفة للمتكلم، والله سبحانه موصوف بأنه متكلم بما شاء متى شاء، وأنه لم يزل- ولا يزال- يتكلم، بمعنى أن نوع كلامه قديم وإن كانت آحاده لا تزال تقع شيئًا بعد شيء بحسب حكمته.

وقد قلنا فيما سبق: إن الإضافة في قولنا: القرآن كلام الله. هي من إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أن القرآن صفة الرب سبحانه، وأنه تكلم به حقيقة بألفاظه ومعانيه، بصوت نفسه.

فمن زعم أن القرآن مخلوق من المعتزلة، فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفًا لمخلوق، وكان أيضًا متجنيًا على اللغة، فليس فيها متكلم بمعنى خالق للكلام. اهـ

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالله وَكُتُبِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ).

❁ **آل الشيخ**: أي: «**القرآن**» الموجود الذي في المصاحف «**كلامُ الله منزَّل**» من الله. يعني: أن الله نزله بواسطة جبريل، وجبريل سمعه من رب العالمين، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، وبلَّغه العالمين، هذا هو طرق ورثة سيد المرسلين -بخلاف ورثة فرعون اللعين- نزل به الروح الأمين، بلسان عربي مبين، ولا منافاة بين هذا، وبين كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

وقوله: «غير مخلوق»، والقول بأنه مضاف إلى الله إضافة خلق، هو قول الجهمية والمعتزلة، قالوا: إنه مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، إما في الشجرة، أو على لسان القارئ، فمن ذلك الجسم بدأ لا من الله، ولا يقوم بالله عندهم كلام ولا إرادة. اهـ

❁ **ابن باز**: من الإيمان بالله: الإيمان بأن القرآن كلام الله ﷻ، وأيضًا من الإيمان بكتب الله الإيمان بأنَّ القرآن -وهو كتابه المنزل على عبده ورسوله خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام، وهو كلام الله حروفه ومعانيه- يجب الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنّ كونه يكتب في المصاحف، ويقرأ ويحفظ لا ينافي ذلك، فهو محفوظ في الصدور مكتوب في الصحف، مسموع بالآذان، وهو مع هذا كلام الله جل وعلا، حروفه ومعانيه، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو تعبير عنه، كما تقول الأشاعرة وغيرهم من الكلابية[١] وغيرهم، بل هو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس عبارة عن كلام الله ولا حكاية، بل هو نفسه كلام الله، فقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ كلام الله، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كلام الله، ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ كلام الله، وجميع الآيات، وجميع الكلم كلها كلام الله من أوله إلى آخره، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ هذا كلام الله، ومعانيه، من الحياة، والقيومية، والحفظ، والكلاءة، كل هذا كلامه ﷻ، ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ ﴾، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾، ﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾، فكلام الله سبحانه يشمل الحروف والمعاني عند أهل السنة والجماعة. اهـ

---

(١) سيأتي التعريف بهم قريبًا.

قوله: (مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً).

❁ **الهراس**: معنى قول السلف: «منه بدأ، وإليه يعود». هو من البدء. يعني: أن الله هو الذي تكلم به ابتداء، لم يبتدأ من غيره، ويحتمل أن يكون من البُدُوِّ؛ بمعنى الظهور. يعني: أنه هو الذي تكلم به وظهر منه، لم يظهر من غيره.

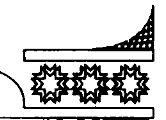
ومعنى: «إليه يعود». أي: يرجع إليه وصفًا؛ لأنه وصفُه القائم به، وقيل: معناه يعود إليه في آخر الزمان، حين يرفع من المصاحف والصدور، كما ورد في أشراط الساعة[1]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «منه بدأ» قولًا؛ ولهذا في الآيات ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]. «وإليه يعود» في آخر الزمان،كما جاء في الأحاديث أنهم إذا نسوا الآيات أو الشيء، أنهم يرجعون إلى المصاحف، فلا يجدون شيئًا، ثم يرفع -بعد تعطله، وترك العمل به في آخر الزمن- إلى من تكلم به، من الصدور ومن المصاحف، يرفع من صدور من يقرؤه، وإذا نُظر في المصاحف فإذا هم لا يجدونه فيها.

قوله: «وأن الله تكلم به حقيقة» لا مجازًا. اهـ

---

(١) عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية...» الحديث. أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصححه الألباني وابن باز وغيرهم.
وعن عبد الله بن مسعود قال: أكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع! قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول. أخرجه الدارمي في «المسند» (٣٣٨٤) وبنحوه أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٢٤٢)، وسعيد بن منصور (٥٧)، وعبد الرزاق (٥٩٨١)، والطبراني في «الكبير» (ج/١٥٣/٨٦٩٨-٨٧٠٠)، والحاكم (٤/ ٥٠٤)، وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» مختصرًا (٨/ ١٠٨) بلفظ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «تعلموا القرآن قبل أن يرفع» والموقوف أصح.
وقال شيخ الإسلام: وعن ابن مسعود وغيره أنه قال يسرى على القرآن، فلا يبقى في المصاحف منه آية، ولا في الصدور منه آية. انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٤)، (٣٥/ ١٦٥).



قوله: (وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ الله حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ).

❁ **آل الشيخ**: «وأن هذا القرآن» الذي هو المكتوب «الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة» هو كلام رب العالمين «لا كلام غيره» وعبارة أهل السنة: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن هذا القرآن كلام الله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ الله، أَوْ عِبَارَةٌ عنه). أطلقته الكلابية. يعني: أنه يشبهه، وإلا ليس كلام الله.

وبعضٌ[1] تحاشى كلمة حكاية وقال: هو «عبارة عنه». أي: عن كلام الله، وإلا ليس كلام الله كما أطلقته الأشاعرة.

وهذا كله بناءً على القول بالكلام النفسي وأنه شيء واحد، لا فرق بين أمره ونهيه، وخبره واستفهامه، وتوراته وإنجيله، وهم الذين ألف المصنف في الرد عليهم «التسعينية»[2]، وهذا القول أشر من قول الجهمية، وقد أضحكوا الأمم وخرجوا به

---

(١) المراد بهذا البعض هو الشيخ أبو الحسن الأشعري وأتباعه، وأما الكلابية فهم الذين يقولون: حكاية عن كلام الله، هذا ما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. انظر: «إبطال التحليل» (الفتاوى الكبرى) (٦/ ٦٣٢ ط: عطا)، و«الرسالة الكيلانية» في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٧٥). وعكس ذلك الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٩٣).

فائدة: كلمة «بعض» اسم يدل على قسم من كلٍ، ويستعمل مضافًا أو معرفًا بـ«أل» على الأشهر، أو منونًا دون تعريف، وذهب الأصمعي وصاحبه أبو حاتم السجستاني والزجاج وصاحب «القاموس» وغيرهم إلى أنه معرفة لا تدخل عليه «أل»! قال أبو حاتم: العرب لا تقول: الكل ولا البعض -يعني بإدخال «أل» التعريف- قال: وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتبهما، لقلة علمهما بهذا النحو، فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب اهـ. وقال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في «بعض» و«كل» وإن أبى الأصمعي ذلك. اهـ انظر: «القاموس المحيط» و«لسان العرب» مادة «بعض».

(٢) سيأتي -إن شاء الله- نقل بعض كلامه من التسعينية.

عن المعقول، والأشاعرة فرع عن الكلابية في هذه المسألة، والماتريدية قولهم يقارب قول الأشاعرة، إلا أن بين القولين فروقًا عديدة، بعض المؤلفين صرح بكثير منها. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ الله) كما هو قول الكلابية، (أَوْ عِبَارَةٌ عنه) كما هو قول الأشعرية. اهـ

❁ **الهراس**: ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام الله، كما تقوله الكلابية[1]، أو أنه عبارة عنه، كما تقوله الأشعرية، فقد قال بنصف قول المعتزلة؛ حيث فرق بين الألفاظ والمعاني، فجعل الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة، كما أنه ضاهى النصارى في قولهم بحلول اللاهوت، وهو الكلمة في الناسوت -وهو جسد عيسى ﷺ- إذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة القديمة في هذه الألفاظ المخلوقة، فجعل الألفاظ ناسوتًا لها.

والقرآن كلام الله؛ حيث تصرف، فمهما كتبناه في المصاحف، أو تلوناه بالألسنة لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأن الكلام كما قال المصنف إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا. اهـ

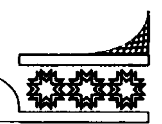
قوله: (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ، أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ الله تَعَالَى حَقِيقَةً).

❁ **ابن مانع**: كما هو قول أهل السنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: أي «إذا قرأه الناس» أو حفظوه في صدورهم «أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة»، فالصوت صوت

---

(١) الكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ت ٢٤٠هـ، وقد ورثهم الأشاعرة في مقالات التعطيل والتأويل.



القارئ، والمداد والورق مخلوق، وأما هذا المحفوظ فهو كلام الله، هذا المسموع هو كلام الله، هذا المرسوم هو كلام الله، هذا المتلو هو كلام الله تعالى.

فله أربع مراتب:

١ - الوجود الذهني، وهو حفظه في الصدور.

٢- والوجود العيني.

٣- والوجود النطقي.

٤- والوجود السمعي، فما في الصدور منه هو كلام الله، وهذا الذي تراه في المصاحف هو كلام الله، والذي تتلفظ به هو كلام الله، والذي تسمعه هو كلام الله.

والمراد أنه بكل مراتبه ووجوهه لا يخرج عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، سواء وجوده في المصحف، أو التلاوة، أو غير ذلك، فهو كلام الله موجود في المصاحف، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، متلو باللسان، والورق والمداد مخلوق، والصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري.

قوله: **(فَإِنَّ الكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤْدِيًا)** عن غيره، فالذي يقوله الأول ينسب إليه، وقد جاء في القرآن إضافة القرآن إلى الله، كقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾. والكلام في لغة العرب إذا أضيف فالمراد إلى من قاله مبتدئًا، فإنك إذا قلت: قال الشافعي، فالمراد أنه أول من قال هذا القول، وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٤٠] فهذا جاء في موضعين فالمراد التبليغ.

فإن قيل: أضافه إلى الرسول؟ قيل: نعم، فيه أن الرسول في آية: جبريل، وآيةٍ أنه: محمدﷺ. فيدل على أنه ليس كلامه، إنما بلَّغه عن غيره، فإضافته إلى مبلِّغه إضافة تبليغ، لا إضافة قول وابتداء لأحدهما دون الآخر. اهـ

قوله: (وَهُوَ كَلامُ الله، حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ).

* **آل الشيخ**: القرآن «كلام الله حروفه ومعانيه» جميعًا. «ليس كلامُ الله الحروفَ» فقط «دون المعاني» كما يقول طوائف من أهل الكلام والحديث: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية لها معانٍ تقوم بذات المتكلم.

«ولا المعاني» فقط «دون الحروف» كما تقوله الكلابية والأشاعرة، بل هو كلام الله -مجموع الأمرين- حروفه، ومعانيه. اهـ

* **ابن مانع**: قوله: «لَيْسَ كَلامُ الله الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي» وهذا قول المعتزلة[1]. «وَلا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ» وهذا قول الأشاعرة. اهـ.

* **السعدي**: من زعم أن القرآن الموجود بيننا عبارة عن كلام الله، أو حكاية عنه كما قاله الكلابية والأشعرية- فقد قال بنصف قول المعتزلة. فالقرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظًا في الصدور، أو متلوًّا بالألسنة، أو مكتوبًا في المصاحف، فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله كما قال المصنف: «فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا».

وقول السلف: «كلام الله منه بدأ» أي: هو الذي تكلم به وظهر منه، لم يبد من غيره وقولهم: «إليه يعود» أي: يرجع. أي: يوصف الله به. وقيل: إن المراد بذلك ما ورد من أن من أشراط الساعة أن يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، ولكن الأول أولى.

وهذه المسألة -مسألة الكلام- عظيمة تكلم فيها الناس على اختلاف طرائقهم، ولكن المصنف رَحِمَهُ اللهُ ذكر في هذا الفصل كلامًا في الكلام جامعًا، نافعًا، مأخوذًا من الأدلة الشرعية عقلية ونقلية.

---

(١) لكنَّهم يقولون: هو مخلوق، وإضافته إلى الله إضافة ملك وتشريف لا إضافة صفة، كبيت الله وناقة الله. كلها على سبيل المجاز المقصود منه التشريف. هذا قولهم، خلطوا بين الصفات والذوات!!

وأما كون هذا داخلًا في الإيمان بكتبه، فإن الإيمان بالكتب وخصوصًا القرآن يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلم يتم إيمانه.

أقسام الناس المؤمنين بالقرآن

واعلم أن المؤمنين بالقرآن على قسمين: كاملين، وناقصين.

* أما الكاملون: فإنهم أقبلوا على القرآن فتفهموا معانيه، ثم آمنوا بها واعتقدوها كلها، وتخلقوا بأخلاقها، وعملوا بها دل عليه، امتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، ولم يفرِّقوا بين نصوصه، كحال أهل البدع الذين آمنوا ببعض دون بعض.

* وأما الناقصون: فهم قسمان: قسم مبتدعون، وقسم فاسقون ظالمون.

* أما المبتدعون: فكل من ابتدع بدعة ترك لها شيئًا من كتاب الله وسنة رسول الله، وهؤلاء على مراتبهم في البدعة، بحسب ما خالفوا فيه.

* وأما الفاسقون: فهم الذين عرفوا أنه يجب عليهم الإيمان بالكتاب، والعمل به، فاعترفوا بذلك، ولكن أعمالهم ناقضت أقوالهم، فتجرؤوا على مخالفة الكتاب بترك كثير من واجباته، والاقتحام على كثير مما نهى عنه، من غير أن يجحدوه، ولكن نفوسهم الأمارة بالسوء غلبتهم واستولت عليهم.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن آمن بكتابه إيمانًا صحيحًا، حتى نكون لجميع نصوصه معتقدين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، إنه جواد كريم. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام في «التسعينية»**[١]: الصواب الذي عليه سلف الأمة- كالإمام أحمد، والبخاري صاحب «الصحيح» في كتاب «خلق أفعال العباد»، وغيره، وسائر

(١) كما في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٤٦٦).

الأئمة قبلهم وبعدهم- اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلامًا لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما، وأن الله تعالى متكلم بصوت، كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد- لا صوت القارئ ولا غيره- وأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمُه، وقدرتُه، وحياتُه علمَ المخلوق، وقدرتَه، وحياتَه، فكذلك لا يشبه كلامُه كلامَ المخلوق، ولا معانيَه تشبه معانيه، ولا حروفُه تشبه حروفَه، ولا صوتُ الرب يشبه صوتَ العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته. اهـ

* وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ(١): قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] وهو منزل من الله، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١١٤]. فأخبر سبحانه أنهم يعلمون ذلك، والعلم لا يكون إلا حقًا. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ١-٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه: ١٢٩] ونحو ذلك وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]. فأخبر سبحانه أنه منزل من الله، ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه، بخلاف نزول الملائكة، والمطر، والحديد، وغير ذلك.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٩٦ وما بعدها).

ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؛ فإن من قال: إنه مخلوق، يقول: إنه خُلِقَ في بعض المخلوقات القائمة بنفسها. فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ، لم ينزل من الله، فإخبار الله تعالى أنه منزَّل من الله، يناقض أن يكون قد نزل من غير الله؛ ولهذا فسر الإمام أحمد قوله: «منه بدأ» أي: هو المتكلم به. وقال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن عنه.

وأيضًا فلو كان مخلوقًا في غيره لم يكن كلامه، بل كان يكون كلامًا لذلك المخلوق فيه، وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الإرادة، والمحبة، والمشيئة، والرضا، والغضب، والمقت، وغير ذلك من الأمور، لو كان مخلوقًا في غيره لم يكن الرب تعالى متصفًا به، بل كان يكون صفة لذلك المحل، فإن المعنى إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل، ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق- أو الخالق- موصوفًا بصفة موجودة قائمة بغيره؛ لأن ذلك فطري، فما وصف به نفسه من الأفعال اللازمة يمتنع أن يوصف الموصوف بأمر لم يقم به. وهذا مبسوط في مواضع أخر.

ولم يقل السلف: إن النبي سمعه من الله تعالى. كما يقول ذلك بعض المتأخرين قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي القرآن**» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «**حسبك**» فنظرت فإذا عيناه تذرفان من البكاء[1].

والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٢، ٥٠٤٩، ٥٠٥٠، ٥٠٥٥، ٥٠٥٦)، ومسلم (٨٠٠).

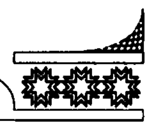
ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢]، فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس -وهو الروح الأمين، وهو جبريل- من الله بالحق، ولم يقل أحد من السلف: إن النبي ﷺ سمعه من الله، وإنما قال ذلك بعض المتأخرين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧-١٩]، هو كقوله تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [القصص: ٣]، وقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: ٣] ونحو ذلك مما يكون الرب فعله بملائكته، فإن لفظ (نحن) هو للواحد المطاع الذي له أعوان يطيعونه، فالرب تعالى خلق الملائكة وغيرها، تطيعه الملائكة أعظمَ مما يطيع المخلوقَ أعوانُه، فهو سبحانه أحق باسم (نحن) و(فعلنا) ونحو ذلك من كل ما يستعمل، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه فقال ابن عباس: أنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد بن جبير: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرؤه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فإذا قرأه رسولنا وفي لفظ: فإذا قرأه جبريل فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أي: نقرؤه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[١]».

وقد بيّن الله تعالى أنواع تكليمه لعباده في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] فبين سبحانه أن التكليم تارة يكون وحيًا، وتارة من وراء حجاب -كما كلم موسى- وتارة يرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٥، ٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم (٤٤٨).



رسولًا فيوحي الرسول بإذن الله ما يشاء، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج: ٧٥] فإذا أرسل الله تعالى رسولًا كان ذلك مما يكلم به عباده، فيتلوه عليهم، وينبئهم به، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ ﴾ [التوبة: ٩٤] وإنما نبأهم بواسطة الرسول، والرسول مبلغ به، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾ [الجن: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] والرسول أمر أمته بالتبليغ عنه، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)]، وقال ﷺ لما خطب المسلمين: «**ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[(٣)]، وفي السنن عن جابر قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[(٤)]، وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم: إنه قديم، لم يقل واحدًا من القولين أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة، ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله. ولما ظهر من قال: إنه مخلوق قالوا ردًّا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مفترى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم (٢٦٩٩) عن أبي بكرة مرفوعًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٣٦) عن أنس مرفوعًا، وصححه الألباني، وله طرق كثيرة، منها عن ابن مسعود عند ابن ماجه (٢٣٢)، والترمذي (٢٦٥٧). انظر كتاب الشيخ عبد المحسن العباد «طرق حديث: «نضر الله امرأ...»».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١) بسند صحيح، وصححه الألباني.

-كما ظنه بعض الناس- فإن أحدًا من المسلمين لم يقل: إنه مفترى. بل هذا كفر ظاهر، يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق، خلقه الله في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: منه بدأ، وإليه يعود.

أول من أحدث المقالات في القرآن

وأول من عرف أنه قال مخلوق: الجعد بن درهم، وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول، فمنهم من قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرب، ومعنى القرآن كله، والتوراة، والإنجيل، وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد، الذي لا يتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به بل هو مخلوق، خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار؛ فإنه من المعلوم بصريح العقل أن معنى آية الكرسي ليس معنى آية الدين، ولا معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة؟ وخطابه لملائكته، وحسابه لعباده يوم القيامة، وغير ذلك من كلامه؟

ومنهم من قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته؛ لم يزل- ولا يزال- موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل -ولا يزال- يقول: ﴿يَـٰنُوحُ﴾، ﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، كما قد بسطت أقوالهم في غير هذا الموضع.

مذاهب السلف

ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله. ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم، أو غير مخلوق. فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم، أو غير مخلوق. بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**»[١]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] والمداد[٢] الذي يكتب به القرآن مخلوق، والصوت الذي يقرأ به هو صوت العبد، والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة، فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الباري، والصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارئ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، وقال النبي ﷺ «**زينوا القرآن بأصواتكم**»[٣]. فبين أن الأصوات التي يقرأ بها القرآن أصواتنا، والقرآن كلام الله؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة: يحسّنه الإنسان بصوته، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «**لو علمت إنك تسمع لحبرته لك تحبيرا**»[٤]. فكان ما قاله أحمد وغيره من أئمة السنة، من أن الصوت صوت العبد، موافقًا للكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩) من حديث ابن عمر، واللفظ لمسلم.

(٢) المداد: هو الحبر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وعلقه البخاري جازمًا في كتاب التوحيد من صحيحه، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٠٥٨) عن بريدة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ ١٤٨٣)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٩٣): ولابن سعد بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث أنس، عن أبي بردة نحوه.

وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ ﴾ [الحجرات: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ [الكهف: ١٠٩] ففرق سبحانه بين المداد الذي يكتب به كلماته وبين كلماته، فالبحر وغيره من المداد الذي يكتب به الكلمات مخلوق، وكلمات الله غير مخلوقة، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ ﴾ [لقمان: ٢٧] فالأبحر إذا قُدِّرَتْ مِدادًا تنفد، وكلمات الله لا تنفد؛ ولهذا قال أئمة السنة: لم يزل الله متكلمًا كيف شاء، وبما شاء. كما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما.

هذا وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢]، ﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥]، وذكر سبحانه نداءه لموسى ﷺ في سورة طه، ومريم، والطواسيم الثلاث[١]، وفي سورة ﴿والنازعات﴾، وأخبر أنه ناداه في وقت بعينه، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا ﴾ [القصص: ٤٦]، واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم

---

(١) هي سور الشعراء والنمل والقصص، سميت بذلك لأنها مفتتحة بحروف (ط س).

بلا صوت، أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم. ولا إن ذلك النداء قديم. ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به. بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به، وبين أصوات العباد.

وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية، كما قال الإمام أحمد، لما سئل عمن قال: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل، وذكر بعض الآثار المروية في أنه سبحانه يتكلم بصوت.

وقد ذكر من صنَّفَ في السنة من ذلك قطعةً، وعلى ذلك ترجم عليه البخاري في صحيحه بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾[1] [سبأ: ٢٣] وقد ذكر البخاري في «كتاب خلق الأفعال» مما يبين به الفرق بين الصوتين آثارًا متعددة. وكانت محنة البخاري مع أصحابه- محمد بن يحيى الذهلي، وغيره- بعد موت أحمد بسنين، ولم يتكلم أحمد في البخاري إلا بالثناء عليه، ومن نقل عن أحمد أنه تكلم في البخاري بسوء فقد افترى عليه.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه «الفصول في الأصول» قال: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حامد الإسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق. فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعًا من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذي نتلوه

---

(١) في كتاب التوحيد من «صحيحه» (٩٧/ ٣٢)، في أثناء أبواب ذكر صفة الكلام لله تعالى، قال: «باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾، ولم يقل: ماذا خلق ربكم؟»، ثم أعقبه بقوله: «باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، وقال معمر: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: يلقى عليك، وتلقاه أنت، أي تأخذه عنهم، ومثله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ...» ثم أسند بعض الأحاديث.

نحن بألسنتنا، وفيما بين الدَّفتين[١]، وما في صدورنا مسموعًا، ومكتوبًا، ومحفوظًا، وكل حرف منه، كالباء والتاء، كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر، عليه لعائن الله والناس أجمعين.

وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين إلى السنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن، هل يقال إنه مخلوق؟ ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة، كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق. وقالوا: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع.

وأما صوت العبد فلم يتنازعوا أنه مخلوق[٢]، فإن المبلغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلّغ غيره، كما يقال: روى الحديث بلفظه. وإنما يبلغه بصوت نفسه، لا بصوت صاحب الكلام.

و(اللفظ) في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظًا، وكذلك التلاوة، والقراءة مصدران، لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم، فإذا قيل: لفظي- أو اللفظ- بالقرآن مخلوق، أشعر أن هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق. وإذا قيل: لفظي غير مخلوق. أشعر أن شيئًا مما يضاف إليه غير مخلوق، وصوته وحركته مخلوقان، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق. والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى، وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعهما، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى، فالتلاوة هي المتلو، وإذا أريد بها حركة العبد، فالتلاوة ليست هي المتلو وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها أنها المتلو ولا أنها غيره.

---

(١) مثنى دفة، بفتح الدال، قال في «القاموس»: الدَّف بالفتح: الجنب من كل شيء، أو صفحته كالدَّفة. اهـ. والمراد هنا: جانبا المصحف وغلافاه.

(٢) والفرق بينهما: أنَّ من قال: لفظي مخلوق، يحتمل أنه يريد الملفوظ به وهو القرآن، وهو غير مخلوق، ويحتمل أن يريد الصوت الملفوظ، فلما أوهم أحدهما منع منه أحمد وغيره؛ لأنه وسيلة للمبتدعة على أهل السنة، وأما من قال: صوتي مخلوق فلا يحتمل ضلالًا فلا بأس به.

ولم يكن أحد من السلف يريد بالتلاوة مجرد قراءة العباد، وبالمتلو مجرد معنى واحد يقوم بذات الباري تعالى، بل الذي كانوا عليه أن القرآن كلام الله، تكلم الله به بحروفه ومعانيه، ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، بل قد كفَّر الله من جعله قولَ البشر(١)، مع أنه سبحانه أضافه تارة إلى رسول من البشر، وتارة إلى رسول من الملائكة فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، فالرسول هنا محمد ﷺ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩-٢٧]، فالرسول هنا جبريل.

وأضافه سبحانه إلى كل منهما باسم رسول؛ لأن ذلك يدل على أنه مبلغ له عن غيره، وأنه رسول فيه لم يحدث هو شيئًا منه، إذ لو كان قد أحدث منه شيئًا لم يكن رسولًا فيما أحدثه، بل كان منشئًا له من تلقاء نفسه، وهو سبحانه يضيفه إلى رسول من الملائكة تارةً، ومن البشر تارةً، فلو كانت الإضافة لكونه أنشأ حروفه لتناقض الخبران، فإن إنشاء أحدهما له يناقض إنشاء الآخر له. وقد كفَّر الله تعالى من قال: إنه قول البشر. فمن قال: إن القرآن -أو شيئًا منه- قول بشر أو ملك فقد كذب.

ومن قال: إنه قول رسول من البشر ومن الملائكة، بلَّغَه عن مرسله، ليس قولًا أنشأه، فقد صدق، ولم يقل أحد من السلف: إن جبريل أحدث ألفاظ، ولا محمدًا ﷺ، ولا إن الله تعالى خَلَقَها في الهواء، أو غيره من المخلوقات، ولا إن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ. بل هذه الأقوال هي من أقوال بعض المتأخرين.

---

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ الآيات.

وقد بُسِطَ الكلام في غير هذا الموضع على تنازع المبتدعين الذين اختلفوا في الكتاب وبين فساد أقوالهم، وأن القول السديد هو قول السلف، وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن كان عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب، لم يعرفوا القول السديد قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة، إلا بتحريف بعض المحرفين لها؛ ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالًا مبتدعة: إما قولين، وإما ثلاثة، وإما أربعة، وإما خمسة. والقول الذي كان عليه السلف، ودل عليه الكتاب والسنة لا يذكره؛ لأنه لا يعرفه؛ ولهذا تجد الفاضل من هؤلاء حائرًا مقِرًّا بالحيرة على نفسه، وعلى من سبقه من هؤلاء المختلفين؛ لأنه لم يجد فيما قالوه قولًا صحيحًا.

وكان أول من ابتدع الأقوال الجهمية المحضة النفاة، الذين لا يثبتون الأسماء والصفات، فكانوا يقولون أولًا: إن الله تعالى لا يتكلم، بل خلق كلامًا في غيره وجعل غيره يعبر عنه، وإن قوله تعالى ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠] وقول النبي ﷺ: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا بقي ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**»(١) معناه أن ملكًا يقول ذلك عنه، كما يقال: نادى السلطان. أي: أمر مناديًا ينادي عنه، فإذا تلي عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من أنه يقول ويتكلم، قالوا: هذا مجاز، كقول العربي: امتلأ الحوض وقال: قطني(٢).

وقالت(٣): اتساع بطنه(٤). ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

(٢) الرجز من شواهد شروح الألفية وغيرها ولم ينسب لقائلٍ وشطره الثاني: مهلًا رويدًا قد ملأت بطني.

(٣) أي: العرب.

(٤) كذا، ولعلها (انساع بطنه). أي: جرى وسال، قال في «القاموس»: ساع الماء والشراب، يسيعه سيعًا وسيوعًا: جرى واضطرب على وجه الأرض. اهـ

فلما عرف السلف حقيقته، وأنه مضاهٍ لقول المتفلسفة المعطلة الذين يقولون: إن الله تعالى لم يتكلم، وإنما أضافت الرسل إليه الكلام بلسان الحال- كفَّروهم، وبينوا ضلالهم، ومما قالوا لهم: إن المنادي عن غيره - كمنادي السلطان - يقول: أَمَرَ السلطان بكذا، خرج مرسومه بكذا. لا يقول: إني آمركم بكذا، وأنهاكم عن كذا، والله تعالى يقول في تكليمه لموسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، ويقول تعالى إذا نزل ثلث الليل الغابر: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟**»[(١)] وإذا كان القائل ملكًا قال - كما في الحديث الذي في الصحيحين- «**إذا أحب الله العبد نادى في السماء: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، وينادي في السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض**»[(٢)] فقال جبريل في ندائه عن الله تعالى: «**إن الله يحب فلانا فأحبوه**» وفي نداء الرب يقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**».

فإن قيل: فقد روي أنه يأمر مناديًا فينادي. قيل: هذا ليس في الصحيح، فإن صحَّ أمكن الجمع بين الخبرين بأن ينادي هو ويأمر مناديًا ينادي، أما أن يعارض بهذا النقل النقل الصحيح المستفيض، الذي اتفق أهل العلم بالحديث على صحته، وتلقيه بالقبول، مع أنه صريح في أن الله تعالى هو الذي يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟**» فلا يجوز.

وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى، فلا يسميه شيئًا، ولا حيًا، ولا غير ذلك، إلا على سبيل المجاز، قال: لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهًا.

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وكان جهم مُجبرًا[١] يقول: إن العبد لا يفعل شيئًا. فلهذا نقل عنه أنه سمى الله قادرًا[٢]؛ لأن العبد عنده ليس بقادر.

حقيقة قول المعتزلة في الكلام

ثم إن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد[٣] على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم[٤]، فأثبتوا أسماء الله تعالى، ولم يثبتوا صفاته، وقالوا: نقول إن الله متكلم حقيقةً، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة؛ لِئَلّا يضاف إليهم أنهم يقولون: إنه غير متكلم. **لكن معنى كونه سبحانه متكلما عندهم أنه خلق الكلام في غيره**، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة، وأولئك ينفون أن يكون متكلمًا حقيقة. وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، فإنه لا يُعْقَل متكلمٌ إلا من قام به الكلام، ولا مريدٌ إلا من قامت به الإرادة، ولا محبٌ، ولا راض، ولا مبغضٌ، ولا رحيمٌ، إلا من قامت به الإرادة، والمحبة، والرضا، والبغض، والرحمة.

وقد وافقهم على ذلك كثير ممن انتسب في الفقه إلى أبي حنيفة من المعتزلة[٥].

وغيرهم من أئمة المسلمين[٦] ليس فيهم من يقول بقول المعتزلة، لا في نفي الصفات، ولا في القدر، ولا المنزلة بين المنزلتين ولا إنفاذ الوعيد.

---

(١) وهو رأس الجبرية القائلين بأن العبد مجبور على أفعاله، ليس له قدرة ولا اختيار.

(٢) أي: أثبت هذا الاسم فقط.

(٣) عمرو بن عبيد بن باب البصري، رأس القدرية في وقته، كان مظهرًا للزهد والعبادة على زندقته وإلحاده في القدر والاعتزال. ت ١٤٤هـ.

(٤) في التعطيل.

(٥) كالمريسي، بشر بن غياث، ت ٢١٨هـ، ومحمد بن شجاع الثلجي، ت ٢٦٦هـ.

(٦) يعني: الأئمة المقتدى بهم في الأمة.

حقيقة المتكلم بالقرآن

ثم تنازع المعتزلة والكلابية في حقيقة (المتكلم) فقالت المعتزلة: المتكلم من فعل الكلام ولو أنه أحدثه في غيره؛ ليقولوا إن الله يخلق الكلام في غيره وهو متكلم به.

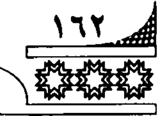
وقالت الكلابية: المتكلم من قام به الكلام، وإن لم يكن متكلمًا بمشيئته وقدرته، ولا فعل فعلًا أصلًا. بل جعلوا المتكلم بمنزلة الحي الذي قامت به الحياة، وإن لم تكن حياته بمشيئته ولا قدرته ولا حاصلة بفعل من أفعاله.

وأما السلف وأتباعهم وجمهور العقلاء، فالمتكلم المعروف عندهم من قام به الكلام وتكلم بمشيئته وقدرته. لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام، ولا يعقل متكلم بغير مشيئته وقدرته، فكان كل من تينك الطائفتين المبتدعتين أخذت بعض وصف المتكلم، المعتزلة أخذوا أنه فاعل، والكُلابية أخذوا أنه محل الكلام، ثم زعمت المعتزلة أنه يكون فاعلًا للكلام في غيره، وزعموا هم ومن وافقهم من أتباع الكلابية كأبي الحسن[١] وغيره، أن الفاعل لا يقوم به الفعل، وكان هذا مما أنكره السلف وجمهور العقلاء، وقالوا: لا يكون الفاعل إلا من قام به الفعل، وأنه يفرق بين الفاعل والفعل والمفعول، وذكر البخاري في «كتاب خلق أفعال العباد» إجماع العلماء على ذلك[٢]. اهـ

---

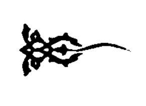
(١) الأشعري.

(٢) قال أبو عبد الله البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص/ ٩٧ - ط: عمرو عبد المنعم): ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك اختلاف، إلى زمن مالك، والثوري، وحماد بن زيد، وعلماء الأمصار ثم بعدهم ابن عيينة في أهل الحجاز، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي في محدثي أهل البصرة، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وذووهم، وابن المبارك في متبعيه، ويزيد بن هارون في الواسطيين، إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة، والعراقين وأهل الشام ومصر، ومحدثي أهل خراسان منهم محمد بن يوسف في متابيه، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك في مجتبيه، وإسماعيل بن أبي إدريس مع أهل المدينة، وأبو مسهر في الشاميين، ونعيم بن حماد مع المصريين، وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة، والحميدي من قريش، ومن اتبع الرسول من المكيين، وإسحاق بن إبراهيم وأبو عبيد في أهل اللغة، وهؤلاء المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم أن القرآن كلام الله إلا من شذ فيها، أو أغفل الطريق الواضح، فعمي عليه، فإنه مرده إلى الكتاب والسنة. اهـ



فَصلٌ

الإيمان برؤية المؤمنين لربهم رؤية حقيقية عيانًا بأبصارهم، في عرصات القيامة، وفي الجنة



قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذا الفصل في رؤية المؤمنين لربهم، تقدم أن المؤمنين بالجملة يؤمنون بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أمر الجنة، والنار، والملائكة، والصحف، والميزان، والحساب، والجزاء، وغير هذا من شؤون الآخرة، كل هذا يؤمن به أهل السنة والجماعة على سبيل العموم، ومن ذلك الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، هذا من أخبار يوم القيامة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة **«عيانًا بأبصارهم»** عيانًا مصدر عاين يعاين عيانًا، ومعاينة، مثل: قاتل قتالًا ومقاتلة، وحاسب حسابًا ومحاسبة، وجادل جدالًا ومجادلة، فهم يرون ربهم عيانًا -يعني: بالأبصار- رؤية واضحة، ليس فيها شك ولا شبهة، **«كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، وكما ترون الشمس ضحوًا ليس دونها سحاب»** كما أخبر النبي ﷺ بهذا، أما الكفار فلا يرون ذلك، بل يحجبون، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

والمؤمنون يرونه رؤيتين:

١- رؤية في الموقف، رؤية خاصة بهم دون أهل الموقف.

٢- ثم يرونه كما يشاء الله ﷻ في الجنة، في الأوقات التي يكشف لهم فيها الحجاب عن وجهه الكريم، فلهم في الجنة أوقات معينة يرونه فيها على حسب منازلهم في أوقات متكررة. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «**وقد دخل أيضا فيما ذكرناه..**» إلخ، تقدم الكلام على رؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الجنة، كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الصريحة، فلا حاجة بنا إلى إعادة الكلام فيها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «**يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم**» رؤية حقيقية «**كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**» وذلك لظهور الباري لكل أحد. «**وكما يرون القمر**» في الدنيا «**ليلة البدر لا يضامون في رؤيته**» كما في الحديث: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**»[1]. قوله: «**لا تُضَامُون**» بضم التاء وتخفيف الميم. أي: لا يلحقكم ضيم ومشقة في ذلك، وفي رواية: «**لا تَضَامُّون**» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض، كنظر الشيء الخفي. كما أن رؤية القمر ليلة البدر ظاهرة، وذلك لظهور البدر لكل أحد، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأن الله تعالى لا مثل له. اهـ

❁ **ابن مانع**: «**قوله: «لا يضامون في رؤيته» وفي الحديث: «لا تضامون في رؤيته»**» قال في «النهاية»: يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض، وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير البجلي.

وقد اتفق أهل الحق على أن المؤمنين يرونه يوم القيامة من فوقهم كما قال في «الكافية الشافية»:

ويرونـــه ســـبحانه مـــن فـــوقهم * نظـرَ العيـانِ كـما يُـرى القمـرانِ

هـــذا تـــواترَ عـــن رســـولِ الله لم * ينكـــرْه إلا فاســـدُ الإيـــمانِ

اهـ

قوله: (يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

* **الهراس**: قوله: «يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة» قد يوهم أن هذه الرؤية أيضًا خاصة بالمؤمنين، ولكن الحق أنها عامة لجميع أهل الموقف، حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم[١]، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، الآية.

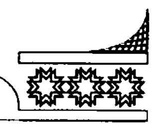
* **ابن مانع والهراس**: والعرصات: جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. اهـ

* قال العلامة ابن القيم[٢]: قد دل القرآن والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة وأئمةِ الإسلام، وأهلِ الحديث -عصابة الإسلام، ونُزُل الإيمان، وخاصةِ رسول الله ﷺ- على أن الله ﷻ يُرى يوم القيامة بالأبصار عِيانًا، كما يُرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما ترى الشمس في الظهيرة، فإن كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة

---

(١) تقدّم كلام الشيخ ابن باز وأنّ ذلك خاص بالمؤمنين، فهي من المسائل الخلافية.

(٢) في آخر الباب الخامس والستين من كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٧١٣-ط: عالم الفوائد) وهو باب عقده لجمع أدلة إثبات رؤية الله يوم القيامة.



-وإنَّ له والله حقَّ الحقيقةِ- فلا يمكن أن يروه إلا مِن فوقهم؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أَو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقةٌ -كما يقوله أفراخ الصابئة، والفلاسفة، والمجوس، والفرعونية- بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلّغها هو الذي بلغ الدين، فلا يجوز أن يجعل الله ورسوله عضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارُها والشهادةُ بأن محمدًا رسول الله أبدًا، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

و المنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يُرى في الدنيا ويحاضَر ويسامَر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة أَلْبَتَّة، ولا يكلِّم عبادَه.

وما أخبر الله به ورسوله، وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذبُ الفريقين، وبالله التوفيق. اهـ



فَصلٌ

في الإيمان بما يكون بعد الموت واليوم الآخر

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إلا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ).



❁ **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، من أمر الآخرة، والجنة والنار والحساب والجزاء، كل هذا يؤمن به أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، أهل السنة يؤمنون بذلك، خلافًا لأهل البدع، فيؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، وأن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

الآخرة، ويضل الله الظالمين، كما قال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾، فالمؤمن يقول: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي عليه الصلاة والسلام، وأما المرتاب الكافر، فيقول: هاه، لا أدري، المنافق والكافر، المنافق الذي أظهر الإسلام وهو كافر، والكافر الصريح، فيقول: ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء، إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «ومن الإيمان باليوم الآخر..» إلخ، إذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإن الإيمان به إيمانًا تامًّا كاملًا لا يتحقق إلا إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

والضابط في ذلك أنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر؛ فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله.

وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة، فينكرون هذه الأمور، من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك؛ بدعوى أنها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلا عن طريقه، وهم يردون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات، فيؤولونها بما يصرفها عن معانيها. اهـ

❁ **العثيمين**: اليوم الآخر يوم القيامة، ويدخل في الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وغير ذلك، والإيمان به واجب، ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة. اهـ



❁ **آل الشيخ**: قوله: (الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ): هذا هو الأصل الخامس من أركان الإيمان الستة، وهو يعم ويشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت، وغير ذلك من أحوال البرزخ وما بعده، فإن هنا ثلاث دور، دار الدنيا، ودار الآخرة، ودار بين الدارين وهي البرزخ والحاجب.

الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومنه ما يحصل للميت في القبر، وهو مجمع عليه ويجب الإيمان به، والإيمان به من جملة الإيمان باليوم الآخر. اهـ

❁ **السعدي**: وهذا ضابط جامع يدخل فيه الإيمان بالنصوص الواردة في حالة المحتضر، وفي القبر، والقيامة، والجنة والنار، وجميع ما احتوت عليه هذه الأمور من التفاصيل التي صنفت فيها المصنفات المطولة والمختصرة، وكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر. اهـ



قوله: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ).

❁ **العثيمين**: فتنة القبر سؤال الملكين الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولك: فتنت الذهب: إذا عرضته على النار وعرفت جودته من رداءته. فيؤمنون أن المقبور يفتن، ويفتن الميت ولو لم يقبر. اهـ

❁ **الهراس**: والإضافة في قوله: «بفتنة القبر» على معنى (في)؛ أي: بالفتنة التي تكون في القبر.

وأصل الفتنة: وضع الذهب ونحوه على النار؛ لتخليصه من الأوضار والعناصر الغريبة، ثم استعملت في الاختبار والامتحان. اهـ

قوله: (وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ).

❁ **آل الشيخ**: تواترت عن النبي ﷺ الأخبار والأحاديث فيه وثبوته، وهو في الحقيقة روضة من رياض الجنة، لأهل الطاعة، أو حفرة من حفر النار لأهل المعصية، روضة لمن كان على الصراط المستقيم في الدنيا، أو حفرة لمن كان على الشك والريب والزيغ عن الصراط المستقيم والقول الثابت في الحياة الدنيا.

ثم العذاب والنعيم في البرزخ للروح والجسد جميعًا؛ لأنهما اللذان تساعدا على الطاعة أو على المعصية، للروح بالأصالة وللجسد بالتبع، بكيفية الله أعلم بها، فإن الروح قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتصال به كما يأتي. اهـ

❁ **الهراس**: وأما عذاب القبر ونعيمه، فيدل عليه قوله تعالى في حق آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله سبحانه عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»[١]. اهـ

❁ **العثيمين**: قول أهل السنة في نعيم القبر وعذابه: أنه حق ثابت؛ لقوله تعالى في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾. وقوله في المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٢] [فصلت: ٣٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من طريق عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، بسند ضعيف جدًّا.
وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ
قال الشيخ الألباني: ضعيف جدًّا. اهـ وقال في «فتاوى رابغ»: حديث ضعيف، لكن معناه مأخوذ من أحاديث صحيحة. اهـ انظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ١٦٠)

(٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم، وهذا قول حسن، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾، أي: تقول الملائكة للمؤمنين -عند الاحتضار- نحن كنا أولياءكم- أي: قرناءكم- في الحياة الدنيا، نسددكم =

ولقوله ﷺ في الكافر حين يُسأل في قبره فيجيب: «فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار». وقوله في المؤمن إذا سئل في قبره فأجاب: «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة»(١). والعذاب أو النعيم على الروح فقط، وقد يتصل بالبدن أحيانًا، والعذاب على الكافرين مستمر، أما على المؤمنين فبحسب ذنوبهم والنعيم للمؤمنين خاصة والظاهر استمراره. اهـ

صفة فتنة القبر

قوله: (فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ).

* آل الشيخ: «الناس يفتنون» ويختبرون «في قبورهم» عن أعمالهم في الدنيا، وإن كان الله سبحانه قد علم ما هو كائن من الخلق قبل أن يخلقهم، فيأتيه ملكان عظيمان هائلان فظيعٌ منظرهما، وغليظةٌ أصواتهما، أحدهما اسمه منكر والآخر اسمه نكير، فهما بمنظَرٍ ومسمَعٍ لا يقوى على إجابتهما إلا أهل التثبيت.

والسؤال يكون عن مسائل القبر الثلاث، فيثبت بها قوم، ويزاغ بها آخرون. اهـ

=

ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. اهـ

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) وابن ماجه (١٥٤٨، ١٥٤٩) والنسائي (٤/ ٧٨) والحاكم (١/ ٣٧) بسند صحيح عن البراء ابن عازب ﷺ. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

❁ **العثيمين**: فتنة القبر: سؤالُ الملكين الميتَ عن ربه ودينه ونبيه، فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما المرتاب أو الكافر فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

والفتنة عامة لكل ميت، إلا الشهيد ومن مات مرابطًا في سبيل الله، وكذلك الرسل لا يُسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم.

واختلف في غير المكلف الصغير فقيل: يسأل. لعموم الأدلة. وقيل: لا. لعدم تكليفه.

واسم الملكين منكر ونكير، تقدم في غير هذا الموضع أن هذين الاسمين غير ثابتين[١]. اهـ



(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٧٨٠)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٨٩)، والآجري في «الشريعة» (٨٥٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر أحدكم -أو الإنسان- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا، قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، وينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم كنومة العروس، الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه عز وجل من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا، قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا، وكنت أقوله. فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك». وإسناده على شرط مسلم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: إسناده حسن، ووافقه الأرناؤوط في تخريج الطحاوية.

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي**).

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] من كان في الدنيا على الثبات والحجة والبرهان، «**فيقول المؤمن**» الذي كان على ثقة ويقين ثابت في الدنيا: «**ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي**». لأنه كان عاش على الإيمان بذلك؛ ولهذا يقال له في الجواب على هذا عشت... إلخ.

وقوله: (**وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**).

وأما المرتاب الذي على الزيغ والميل، فله الزيغ والميل عند هذه الفتنة فالمرتاب الذي هو على ريبٍ وشكٍّ في الدنيا فهو بعكس ذلك عند هذه الفتنة العظيمة، يكون له الريب والشك، يقول «سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» دينه دين المدينة، وهو ما كان عليه أهل مدينته. يعني: فلولا أنه وجدهم عليه ما دان، ليس معه إيمان واصِلٌ إلى قلبه ومصدقته جوارحه.

وقوله: (**فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلا الإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ**).

يضرب بمرزبة بمطرقة عظيمة من حديد، فيصيح المضروب «صيحة يسمعها كل شيء» من خلق الله إلا الإنسان، «ولو سمعها الإنسان لصعق» لسقط مغشيًّا عليه، أو ميتًا من فظيع تلك الصيحة، وفي الحديث: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»(١). لكن من رحمة الله، ولطفه، وحكمته في عمارة هذه الدار، أن الإنسان لا يسمع ما لأهل القبور، فلو سمع لما استقام لهم حياة، ولا قر لهم قرار على وجه الأرض. اهـ

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧).

قوله: (فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ).

* **ابن مانع والهراس**: المرزبة، بالتخفيف: المطرقة الكبيرة، ويقال لها: إرْزَبَّة بالهمزة والتشديد. اهـ.

* **قال المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ويقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. فينتهرانه انتهارة شديدة - وهي آخر فتنه التي يفتن بها المؤمن - فيقولان له: كما قالا أولًا. وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب[2]، وأنس بن مالك[3]، وأبي هريرة[4]، وغيرهم رضي الله عنهم[5].

وهي عامة للمكلفين، إلا النبيين فقد اختلف فيهم.

وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين. فقيل: لا يفتنون؛ لأن المحنة إنما تكون للمكلفين. وهذا قول القاضي وابن عقيل. وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت. وقيل: يلقنون، ويفتنون أيضًا. وهذا قول أبي حكيم، وأبي الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحابه، وهو مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم (٨٦٤)، وابن حبان (٧٨٠) وتقدم سياقه في الحاشية قبلُ.

(٥) منهم علي بن أبي طالب عند الترمذي (٣٣٥٥)، وزيد بن ثابت عند مسلم (٢٨٦٧)، وابن عباس عند البخاري (٢١٨)، وأبو أيوب عند البخاري (١٣٧٥)، وعائشة عند البخاري (١٣٧١)، وأبو سعيد عند أحمد (١٠٦١٧) وغيرهم.

* وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

لكن من أهل الكلام من يقول: هذا إنما يكون على البدن فقط، كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية. ومنهم من يقول: بل هو على النفس فقط؛ بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن، ولا نعيم، كما يقول ذلك ابن ميسرة وابن حزم[(٢)].

ومنهم من يقول: بل البدن ينعَّم ويعذَّب بلا حياة فيه، كما قاله طائفة من أهل الحديث، وابنُ الزاغوني يميل إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم، وقد بسط الكلام على هذا في مواضع.

والمقصود هنا: أن كثيرًا من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت، ولا ثواب ولا عقاب، ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث، كما أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقًا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن. وهو غلط، بل القرآن قد بيَّن في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن، وبيَّن النعيم والعذاب في البرزخ، وهو ﷺ في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى والصغرى، كما في سورة الواقعة فإنه ذكر في أوَّلها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجًا ثلاثة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١-٧]. ثم إنه في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦٢).

(٢) انظر «المحلى» (١/ ٢١-٢٢)، و«الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٦٧-٦٨ ط: أولى)، وانظر كتاب «الروح» لابن القيم (١/ ١٢٣ - ط: عالم الفوائد) ففيه الرد المفصل على ابن حزم.

آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤] فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم، وأنهم لا يمكنهم رجعها، وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينئذ. وفي سورة القيامة: ذكر أيضا القيامتين، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] ثم قال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] وهي نفس الإنسان.

وقد قيل: إن النفس تكون لوامة وغير لوامة. وليس كذلك، بل نفس كل إنسان لوامة، فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم، إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، فهذا إثبات النفس.

ثم ذكر معاد البدن فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٣-٦]. ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٥].

ثم ذكر الموت فقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] وهذا إثبات للنفس، وأنها تبلغ التراقي، كما قال هناك: ﴿بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] والتراقي متصلة بالحلقوم... إلخ.

هل يتكلم الميت في قبره؟

وقال أيضًا[١]: وأما سؤال السائل هل يتكلم الميت في قبره فجوابه أنه يتكلم، وقد يسمع أيضا من كلمه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنهم يسمعون قرع نعالهم»[٢] وثبت عنه في الصحيح أن الميت يسأل في قبره، فيقال له: «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ويقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: هو عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه»[٣]. وهذا تأويل قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقد صح عن النبي ﷺ أنها نزلت في عذاب القبر[٤]، وكذلك يتكلم المنافق فيقول: «هاه هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان»[٥]. وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر مثل الذي أسمع»[٦]. وثبت عنه في الصحيح «أنه نادى المشركين يوم بدر لما ألقاهم في القليب وقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[٧]. والآثار في هذا كثيرة منتشرة، والله أعلم. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٧٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠) عن أنس.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب.
(٥) تقدم أيضًا.
(٦) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) عن أنس.
(٧) أخرجه البخاري (٣٠٦٥، ٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥) عن أنس عن أبي طلحة.

عودة الروح إلى البدن في القبر

* قال شيخ الإسلام المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا[(٢)]؛ وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وإن كانت أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الميت يوسع له في قبره، ويسأل، ونحو ذلك. وإن كان التراب قد لا يتغير فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه، وهل يسمى ذلك موتًا؟ فيه قولان. قيل يسمى ذلك موتًا. وتأولوا على ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] قيل: إن الحياة الأولى في هذه الدار والحياة الثانية في القبر، والموتة الثانية في القبر.

والصحيح أن هذه الآية، كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فالموتة الأولى قبل هذه الحياة، والموتة الثانية بعد هذه الحياة. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت. قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. فالروح تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وتفارقه متى شاء الله تعالى، لا يتوقت ذلك بمرة ولا مرتين والنوم أخو الموت. ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**». وكان إذا استيقظ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور**»[(٣)] فقد سمى النوم موتًا، والاستيقاظ حياة، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٧٤).

(٢) يعني: عودها بعد النوم هذا في الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٥، ٧٣٩٥) عن أبي ذر.

ﭐلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ [الزمر: ٤٢]، فبيّن أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»[(١)].

والنائم يحصل له في منامه لذة وألم، وذلك يحصل للروح والبدن، حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه، فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنه أطعم شيئًا طيبًا، فيصبح وطعمه في فمه، وهذا موجود، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به -والذي إلى جنبه لا يحس به- حتى قد يصيح النائم من شدة الألم أو الفزع الذي يحصل له، ويسمع اليقظان صياحه، وقد يتكلم إما بقرآن، وإما بذكر، وإما بجواب، واليقظان يسمع ذلك، وهو نائمٌ عينه مغمضة، ولو خوطب لم يسمع، فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول ﷺ أنه يسمع قرع نعالهم؟ وقال: «**ما أنتم أسمع لما أقول منهم**». والقلب يشبه القبر؛ ولهذا قال ﷺ لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: «**ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا**»[(٢)] وفي لفظ: «**قلوبهم وقبورهم نارًا**»[(٣)] وفرق بينهما في قوله: ﴿بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠] وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال: ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه. بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم، وهو نعيم حقيقي، وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل؛ لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠، ٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١، ٤١١١، ٤٥٣٣، ٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧) عن علي.

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١٣٣٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢٩٠)، وحسنه الألباني في تعليقه على ابن خزيمة.

والتراب لا يتغير، ونحو ذلك. مع أن هذه المسألة لها بسط يطول، وشرح لا تحتمله هذه الورقة، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ

* **قال شيخ الإسلام المصنف**(١): وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان، ثم تعاد إلى البدن فتسأل وهي في البدن. وكذلك ما وصف النبي ﷺ من حال الميت في قبره، وسؤال منكر ونكير له، والأحاديث في ذلك كثيرة.

والناس في مثل هذا على ثلاثة أقوال:

١- منهم من ينكر إقعاد الميت مطلقًا؛ لأنه قد أحاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه، وقد يكون في صخر يطبق عليه، وقد يوضع على بدنه ما يكشف فيوجد بحاله، ونحو ذلك؛ ولهذا صار بعض الناس إلى أن عذاب القبر إنما هو على الروح فقط، كما يقوله ابن ميسرة وابن حزم، وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة.

٢- وصار آخرون إلى أن نفس البدن يقعد، على ما فهموه من النصوص.

٣- وصار آخرون يحتجون بالقدرة وبخبر الصادق، ولا ينظرون إلى ما يعلم بالحس والمشاهدة، وقدرة الله حق، وخبر الصادق حق، لكن الشأن في فهمهم. وإذا عرف أن النائم يكون نائما، وتقعد روحه، وتقوم، وتمشي، وتذهب، وتتكلم، وتفعل أفعالًا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضة وفمه مطبق وأعضاءه ساكنة، وقد يتحرك بدنه؛ لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم، ويمشي، ويتكلم، ويصيح؛ لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد،

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢٤).

وتجلس، وتسأل، وتنعم، وتعذب، وتصيح، وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا في قبره. وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يرى خارجًا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قوي الأمر، لكن هذا ليس لازمًا في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر. وقد عرف أن أبدانًا كثيرة لا يأكلها التراب، كأبدان الأنبياء، وغير الأنبياء من الصديقين، وشهداء أحد، وغير شهداء أحد، والأخبار بذلك متواترة، لكن المقصود أن ما ذكره النبي ﷺ من إقعاد الميت مطلقًا هو متناول لقعودهم ببواطنهم، وإن كان ظاهر البدن مضطجعًا. اهـ

امتحان غير المكلفين

قال المصنف[١]: وإذا مات الطفل فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره.

أحدهما: أنه لا يمتحن، وأن المحنة إنما تكون على من كلف في الدنيا، قاله طائفة، منهم القاضي أبو يعلى، وابن عقيل.

والثاني: أنهم يمتحنون، ذكره أبو حكيم الهمداني، وأبو الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي.

وعلى هذا التفصيل تلقين الصغير والمجنون، من قال: إنه يمتحن في القبر لقنه، ومن قال: لا يمتحن لم يلقنه. وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ صلى

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٧٧).

على طفل. فقال: «**اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**»[١] وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة. كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة، واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد، والله أعلم[٢].

وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة وإن كانت درجاتهم متفاضلة، والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم - إذا كانت لهم أعمال- فإن إبراهيم ابن النبي ﷺ، ليس هو كغيره.

والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات وإن كان القلم مرفوعًا عنهم في السيئات، كما ثبت في الصحيح: أن النبي ﷺ رفعت إليه امرأة صبيًّا من محفة فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**» رواه مسلم في «صحيحه»[٣]. وفي السنن أنه قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٤] وكانوا يصومون الصغار يوم عاشوراء وغيره فالصبي يثاب على صلاته، وصومه، وحجه، وغير ذلك من أعماله، ويفضل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يفعل به إكراما لأبويه، كما أنه في النعم الدنيوية قد ينتفع بما يكسبه وبما يعطيه أبواه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك. وأرواح المؤمنين في الجنة كما جاءت بذلك

---

(١) لو ثبت هذا الحديث لكان فيصلًا في المسألة، لكنه لم يصح، فقد رواه مالك في «الموطأ» (٦١٠) موقوفًا على أبي هريرة، ولفظه: «اللهم أعذه من عذاب القبر»، وليس فيه ذكر فتنة القبر. وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»: وعذاب القبر غير فتنة القبر. اهـ، وروي مرفوعًا عند البيهقي في «عذاب القبر» (١٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٧٤)، والصواب وقفه، وقال شيخ الإسلام في «جامع المسائل» (٣/ ٢٣٨): ثبت عن أبي هريرة وروي مرفوعًا. اهـ

(٢) وقال شيخ المصنف في «جامع المسائل» (٣/ ٢٣٨) القول الثاني: يمتحنون في قبورهم ويلَقَّنون، وهو قول أكثرهم وهو أصح... اهـ

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٦) عن ابن عباس.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧) من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده مرفوعًا، وأخرجه أبو داود (٤٩٥) بسند حسن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

الآثار، وهو كما قال النبي ﷺ: «نَسَمَةُ المؤمن تَعْلَقُ من الجنة»[١] أي: تأكل. ولم يوقت في ذلك وقت قبل يوم القيامة.

والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان.

وأهل الجنة الذين يدخلونها على صورة أبيهم آدم ﷺ، طول أحدهم ستون ذراعًا، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

وقد قال بعض الناس: إن أطفال الكفار يكونون خدم أهل الجنة. ولا أصل لهذا القول.

وقد ثبت في الصحيحين أن الجنة يبقى فيها فضل عن أهل الدنيا، فينشئ الله لها خلقًا آخر فيسكنهم الجنة، فإذا كان يسكن من ينشئه من الجنة من غير ولد آدم في فضول الجنة، فكيف بمن دخلها من ولد آدم وأسكن في غير فضولها؟ فليسوا أحق بأن يكونوا من أهل الجنة، ممن ينشأ بعد ذلك ويسكن فضولها.

والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خلق من خلق الجنة، ليسوا من أبناء الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة على صورة آدم أبناء ثلاث وثلاثين[٢]، في طول ستين ذراعًا[٣]، كما تقدم.

---

(١) أخرجه الإمام مالك (٥٦٨)، والإمام أحمد (١٥٧٧٦، ١٥٧٧٧، ١٥٧٨٧، ١٥٧٩٢)، واللفظ له، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٣٩-١٤٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٣٧٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ ١١٩-١٢٣)، وابن ماجة (١٤٤٩)، والبيهقي في «البعث» (٢٢٦)، والنسائي (٢٠٧٣)، وصححه ابن حبان (٤٦٥٧) من حديث كعب بن مالك مرفوعًا، وفي لفظ «نَسَمَةَ المؤمن طائر يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جسده يوم يبعثه».
قال ابن الأثير: النَّسَمَة: الروح والنفس. و«يعلق» أي يأكل. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي (٢٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين، أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين»، وصححه الألباني.

وقد روي أن العرض سبعة أذرع[(١)]، والله أعلم. اهـ

وقال أيضًا[(٢)]: أما من ليس مكلفًا- كالصغير والمجنون- فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ على قولين للعلماء.

أحدهما: أنه يمتحن، وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهرواني، وغيرهما.

والثاني: أنه لا يمتحن في قبره، كما ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل وغيرهما. قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا. ومن قال بالأول: يستدل بما في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط فقال: **«اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر»**[(٣)] وهذا يدل على أنه يفتن.

وأيضا: فهذا مبني على أن أطفال الكفار الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، فإن المنصوص عن الأئمة- كالإمام أحمد وغيره- التوقف في أطفال المشركين، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**[(٤)]، وثبت في «صحيح البخاري» من حديث سمرة أن

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٢٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١١٤)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ١٠٣)، وابن أبي الدنيا والبيهقي، من طريق علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكَحَّلِين، أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم، ستون ذراعًا في عرض سبع أذرع» وهذا سند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، ومع ذلك حسنه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٩) وصحح إسناده أحمد شاكر في تخريج المسند.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٨٠).

(٣) تقدم أنه موقوف.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٣، ٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠) عن ابن عباس.

منهم من يدخل الجنة(١). وثبت في «صحيح مسلم» أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا(٢)، فإن كان الأطفال وغيرهم فيهم شقي وسعيد، فإذا كان ذلك لامتحانهم في الدنيا لم يمنع امتحانهم في القبور، لكن هذا مبني على أنه لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقًا. ولو شهد لهم مطلقًا فالطفل الذي ولد بين المسلمين قد يكون منافقًا بين مؤمنين، والله أعلم. اهـ

قال الشيخ أيضًا(٣): وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: الله أعلم بما كانوا عاملين، كما أجاب بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح(٤).

وطائفة من أهل الحديث وغيرهم قالوا: إنهم كلهم في النار. وذكر أنه من نصوص أحمد، وهو غلط على أحمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٥) مطولًا في حديث الرؤيا، وفيه: **«وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان حوله فكل مولود مات على الفطرة»** قال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال: **«وأولاد المشركين»**.

قلت: ودخولهم مشروط بمن مات على الفطرة، فقد يفتن الصبي فيلقن الكفر والشرك، ويشب على ذلك جازمًا بما يخالف الفطرة، ثم يموت ولم يبلغ، بل ناهز الاحتلام. فالظاهر أنه هذا حكمه حكم والديه، كما في قوله عليه السلام: **«فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»** فيكون غلامًا كافرًا حكمًا وحقيقةً، بخلاف من لم يدرك شيئًا، كمن مات في المهد وقربه ممن لم يفتن فهؤلاء الله أعلم بما كانوا عاملين، فمن كان على الفطرة وعلم الله منه ذلك فهو في الجنة، ومن علم الله منه الكفر لو بلغ فهو من أهل النار. كما في خبر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام الآتي ذكره في كلام المصنف، وكذا في كل مولود مات في المهد وقريبًا منه، ممن لم يعرب عنه لسانه، والله أعلم بما كانوا عاملين. هذا في أحكام الآخرة، وأما في الدنيا فكل غلام له حكم والديه على ما هو مسطور في باب السبي من كتب الفقه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨)، وأخرجه البخاري (٤٧٢٧) بلفظ: **«وأما الغلام فكان كافرًا»**.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٤، ٦٥٩٨، ٦٦٠٠)، ومسلم (٢٦٥٩) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن ذراري المشركين، فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**.

وطائفة جزموا بأنهم كلهم في الجنة، واختار ذلك أبو الفرج ابن الجوزي وغيره واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي ﷺ، لما رأى إبراهيم الخليل وعنده أطفال المؤمنين، قيل: يا رسول الله، وأطفال المشركين؟ قال: «**وأطفال المشركين**»[(١)].

والصواب أن يقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث: «**أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون وينهون فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار**»[(٢)]. وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة. والتكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء، وهي الجنة والنار.

وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، الآية.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه حديث تجلي الله لعباده في الموقف إذا قيل: «**ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون. فيتبع المشركون آلهتهم، ويبقى المؤمنون فيتجلى لهم الرب في غير الصورة التي يعرفون، فينكرونه، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفونها، فيسجد له المؤمنون، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون، وذكر قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**[(٣)] [القلم: ٤٢] الآية».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٣٠١)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٤١)، وابن حبان (٧٣٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٤١) عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني من رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**» ورووه أيضًا عن أبي هريرة بنحوه وزاد: «**ومن لم يدخلها يسحب إليها**» وصححه البيهقي في «الاعتقاد» (١٦٩)، وعبد الحق الإشبيلي في كتاب «العاقبة» (٣١٧)، ورد ذكر الصبي الهالك صغيرًا في حديث معاذ بنحو هذا الحديث، أخرجه الطبراني (٢/ ١٥٨) بسند ضعيف جدًا.

(٣) تقدم تخريجه.

والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع، والله أعلم. اهـ

*** فرع:**

وسئل الشيخ المصنف: عن أطفال المؤمنين، هل يدومون على حالتهم التي ماتوا عليها؟ أم يكبرون ويتزوجون؟ وكذلك البنات هل يتزوجن؟

فأجاب: الحمد لله، إذا دخلوا الجنة دخلوها كما يدخلها الكبار على صورة أبيهم آدم طوله ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع، ويتزوجون كما يتزوج الكبار.

ومن مات من النساء ولم يتزوجن فإنها تزوج في الآخرة.

وكذلك من مات من الرجال فإنه يتزوج في الآخرة، والله تعالى أعلم. اهـ[(١)]

حال العبد في القبر بعد الامتحان

*** آل الشيخ:** قوله: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ) أي: سؤال الملكين الفتَّانَيْنِ اللذين هما بالمنظر الفظيع، وكذلك انتهارهم المسؤول، «إما نعيم»، وهذا هو نعيم البرزخ لأهل التثبيت، «وإما عذاب» -والعياذ بالله- لغير المثبَّت، فالكافر في جحيم.

والبرزخ: هو الفاصل بين شيئين، فقبر الإنسان هو دار البرزخ بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، والعذاب والنعيم فيه لأهله، للأرواح والأجساد جميعًا، فالأحكام في البرزخ للأرواح، والأجسامُ تبعٌ لها، وفي الدنيا للأبدان، والأرواحُ تبعٌ لها، وفي الآخرة لهما جميعًا، واتصال الروح بالجسد له خمس مراتب. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٠).

تعلق الروح بالبدن

* **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

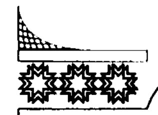
الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا، بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة. وقد ذكرنا من الأحاديث والآثار ما يدل على ردّها إليه وقت سلام المسلّم، وهذا الرد إعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

والخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا. اهـ[1]

* **قال الشيخ**: قوله: (إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى) أي: هذا النعيم للمُثَبَّت، والجحيم للكافر، يستمر إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فإن القيامة قيامتان، صغرى وهي الموت فإنَّ مَن مات فقد قامت قيامته، وكبرى. اهـ



(١) كتاب «الروح» (ص/ ٤٣ - ط: الكتب العلمية)، (١/ ١٢٤ - ط: عالم الفوائد).



* **السعدي**: قوله: (فيؤمنون بفتنة القبر) إلخ. وهذا الابتلاء والامتحان قد سبقت لكل عبد مقدماته في الدنيا، فأما من كان مؤمنا إيمانًا صحيحًا ثبته الله، ولقنه الجواب الصحيح للملكين، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فذكر: أن تثبيته لهم جزاء لهم على إيمانهم في الدنيا. فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح وإن كان عاميًا أو أعجميًا. وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول فإنه يستعجم عليه الجواب، ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا يحس به الإنس والجن بمشاعرهم؛ لأن الله تعالى جعله من الغيب، ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة. اهـ.

الجمع بين أخبار توسيع القبر وتضييقه مع بقائه المشاهد على حاله

* **العثيمين**: التوفيق بين ما ثبت من توسيع القبر للمؤمن وتضييقه على الكافر، مع أنه لو فتح لوجد بحاله من وجهين:

الأول: أن ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يُعَارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

الثاني: أن أحوال القبر من أمور الآخرة، التي اقتضت حكمة الله أن يحجبها عن حواس الخلق وعقولهم؛ امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا؛ لتباين ما بين الدنيا والآخرة. اهـ.



القيامة الكبرى

قوله: (وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ).

❁ **آل الشيخ**: وهذه هي القيامة الكبرى كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

«**حفاة**» لا نعال لهم، وأين النعال يومئذ؟ «**عراة**» وأين الثياب يومئذ؟ «**غرلًا**» غير مختونين، وهذا كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. «**وتدنو منهم الشمس**» فتكون قرب ميل، ويزاد في حرارتها، وكلهم تَصْلاه الشمس غير السبعة، ويكون كل إنسان في ظل صدقته، وما أثبتت النصوص أنهم يُظلون وإلا فلا ظل. «**ويلجمهم العرق**»: يبلغ موضع اللجام من الفرس وهو الفم، وذلك لهول ذلك اليوم وكربه. اهـ

❁ **العثيمين**: القيامة قيامتان: صغرى كالموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وكبرى وهي المقصودة هنا، وهي قيام الناس بعد البعث للحساب والجزاء. وسميت بذلك لقيام الناس فيها، وقيام العدل، وقيام الأشهاد، ودليل ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: «**إنكم تحشرون حفاة عراة غرلًا**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة غرلًا**» قالت عائشة: فقلت، يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: «**الأمر أشد من أن يهمهم ذاك**».

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون وجميع أهل الأديان السماوية على إثبات يوم القيامة، فمن أنكره، أو شك فيه، فهو كافر.

وللقيامة علامات تسمى الأشراط، كخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وجعلت لها هذه الأشراط؛ لأنها يوم عظيم وهام، فكان لها تلك المقدمات. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وتقوم القيامة..» إلخ، يعني: القيامة الكبرى، وهذا الوصف للتخصيص، احترز به عن القيامة الصغرى التي تكون عند الموت، كما في الخبر: «**من مات فقد قامت قيامته**»(١).

وذلك أن الله ﷻ إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا أمر إسرافيل ﷺ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي التكوير والانفطار، وهذا هو آخر أيام الدنيا.

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطرًا كمنيِّ الرجال أربعين يومًا، فينبت منه الناس في قبورهم من عجب أذنابهم، وكل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب. حتى إذا تم خلقهم وتركيبهم أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾، ويقول المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت» من حديث أنس مرفوعًا بسند ضعفه العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٦٤) والألباني في «الضعيفة» (١١٦٦).
ورواه الدولابي في «الكنى» (٢/ ٨٩) موقوفًا من قول المغيرة بسند جيد بلفظ: «إنما قيامة أحدكم موته»
ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٢٥) عن عمر بن عبد العزيز موقوفًا بلفظ: «من وافته منيته فقد قامت قيامته». وسنده جيد.
انظر: «تبييض الصحيفة» لمحمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله (ص/ ١٢٨).

ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلًا غير مختتنين، جمع أغرل، وهو الأقلف، والغرلة: القلفة.

وأول من يكتسي يوم القيامة إبراهيم، كما في الحديث(١).

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويلجمهم العرق، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته، كل على قدر عمله، ويكون أناس في ظل الله ﷻ.

فإذا اشتد بهم الأمر، وعظم الكرب استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، وكل رسول يحيلهم على من بعده؛ حتى يأتوا نبينا ﷺ، فيقول: «أنا لها»، ويشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء. اهـ

❁ **العثيمين**: من الأشياء التي ذكر المؤلف أنها تكون يوم القيامة: دنو الشمس من الخلق بقدر ميل أو ميلين، فيعرق الناس بقدر أعمالهم: منهم من يصل عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يلجمه، ومنهم من يكون بين ذلك، ومن الناس من يَسْلَم من الشمس، فيظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، مثل الشاب إذا نشأ في طاعة الله، والرجل المعلق قلبه بالمساجد. اهـ

❁ **ابن باز**: بعد فتنة القبر يبقى الإنسان إمّا في نعيم، وإمّا في عذاب، فالمؤمن في نعيم تنقل روحه إلى الجنة، والكافر تنقل روحه إلى النار، كما قال سبحانه في أهل النار من آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس ؓ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلًا ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، إلى آخر الآية ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول، كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] فتقوم القيامة الكبرى، ويقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلًا، يرد الله إليهم أجسامهم، ويبعثون كما خلقهم، حفاة لا نعال لهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلًا غير مختونين، يقومون لرب العالمين ويحاسب الله الخلائق جل وعلا. اهـ

البعث والنشور

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم أحد إلا في الأرض منه شيء. قال: «فيرسل الله ماء من تحت العرش كمني الرجال، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى»، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]. قال: «ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسدها، حتى تدخل فيه، ثم يقومون، فيحيون حياة رجل واحد قياما لرب العالمين...» الحديث(١).

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. «**ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق**». قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(٢).

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٧)، والحاكم في «مستدركه» (٨٥١٩، ٨٧٧٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه البيهقي في «الشعب» (٣٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

وعن عبد الله بن عمرو في حديث الدجال وفيه: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا**[١]، قال: **وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**[٢]، قال: **فيصعق، ويصعق الناس ثم يرسل الله** -أو قال: **ينزل الله**- **مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**».. الحديث[٣].

قوله: «كأنه الطل»، قال ابن الأثير: الطل: الذي ينزل من السماء في الصحو، والطل أيضا: أضعف المطر. وقال القاضي عياض: والأشبه والأصح هنا اللفظة الأولى- يعني: الطل بالطاء المهملة- لقوله في الحديث الآخر: «**كمني الرجال**»، والطل: المطر الرقيق[٤].

وعن ابن عباس ﵄ أن العاص بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم ففتته بيده فقال: يا محمد، يحيى الله هذا بعد ما رَمَّ؟! قال النبي ﷺ: «**نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**»[٥].



---

(١) اللِّيت بكسر اللام: صفحة العنق. قاله في «القاموس».

(٢) أي: يطيّن حوض إبله.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٤) «المشارق» (١/ ٣١٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (ج٢٣/ ص٢١)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» وصححه الحافظ الضياء في «المختارة» (٨٢).

انظر «الدر المنثور» للسيوطي، وتفسير ابن كثير (سورة يس آية ٧٨).

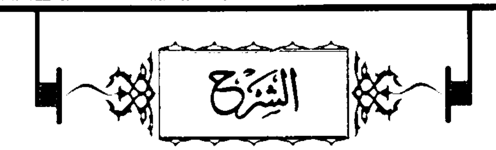
نصب الموازين ووزن الأعمال والحساب

قال المصنف رحمه الله: وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَيُوزن فيها[١] أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

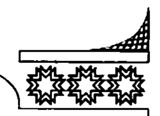
وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتٍ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرون بِهَا، ويجزون بها).



❁ **ابن باز:** يحاسب الله الخلائق جل وعلا، وتنصب الموازين، وتوزن فيها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فهو السعيد، ومن خفت موازينه فهو الهالك، وتنشر الصحف وتوزع بينهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره كما بين في القرآن.

---

(١) في بعض النسخ: «فتنصب الموازين فتوزن بها...».



وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنهم ليس لهم حسنات، ولكن تحصى عليهم أعمالهم، ويُقرون بها، ويجزون بها، يعني: يساقون إلى النار، تحصى عليهم أعمالهم، ويعترفون بها ويقرعون بها، ثم يساقون إلى النار كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر: ٧١]، زمرة بعد زمرة- نسأل الله العافية- بأعمالهم الخبيثة وكفرهم بالله ﷻ.

وأما أهل الجنة فيساقون إلى الجنة مكرمين وفدًا زمرًا، بعد خلاصهم من الموقف، وبعد مرورهم على الصراط، وبعد خلاصهم من العرصة التي يوقفون عليها، يساقون إلى الجنة وفدًا كل يصل إلى منزله، وهو أعلم به من منزله من الدنيا، ويقصدون منازلهم التي أعدها الله لهم بعد انتهائهم من العرصة التي سيأتي ذكرها.

والمقصود أن هذا شأن يوم القيامة، يوم عظيم مقداره خمسون ألف سنة، يوم عسير على الكافرين، يسير على المؤمنين، وفي وسطه تنتهي الناس: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٌ مُّسۡتَقَرًّا وَأَحۡسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ينتهون إلى الجنة قبل المقيل، فأهل الجنة في مقيلهم في الجنة، وأهل النار في مقيلهم في النار- نسأل الله العافية- وقد فُرغ من حسابهم، وربك جل وعلا هو الحكم العدل، لا يظلم مثقال ذرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٍ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، انظر بعد ذلك كم يكون مثاقيل الذر؟ إذا تصدقت بريال، أو لقمة، أو ثمرة، كم فيها من مثقال ذرة؟ لقمة واحدة تعطيها للفقير، أو تمرة، كم تزن من ذرة؟ فكيف بمن يتصدق بالأموال الجزيلة والطعام الكثير، سوف يجد ذلك إذا أخلص لله وصدق في ذلك، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ويروى عن ابن عمر أنه تصدق بحبة عنب فقيل له في ذلك، فقال: كم

تزن هذه من مثاقيل الذر[(١)].

المقصود أن الإنسان لا يحتقر الصدقة ولو قلّت حسب طاقته، فقد جاءت امرأة سائلة إلى بيت النبي ﷺ ومعها ابنتان لها، قالت عائشة: فلم تجد في البيت إلا ثلاث تمرات فأخذتها وسلمتها للمرأة السائلة فدفعت المرأة لكل واحدة من ابنتيها تمرة وأخذت الثالثة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثالثة- صارتا أسرع منها، أكلتا تمرتيهما وطلبتا الثالثة- فشقتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بشأنها، فقال: «**إن الله سبحانه قد أوجب لها بها الجنة**»[(٢)]. يعني: بهذه الرحمة، فإنها رحمت ابنتيها وشقت التمرة بينهما ولم تأكل شيئًا، هذا يدل على أن الصدقة- ولو بالقليل- عن إخلاص وصدق، فيه خير كثير، المهم أن تتصدق بما تيسر، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، نسأل الله أن يوفق الجميع. اهـ

الميزان

❁ **العثيمين**: من الأشياء التي ذكر المؤلف أنها تكون يوم القيامة: الموازين جمع ميزان يضعها الله لتوزن فيها أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. والميزان حقيقي له كفتان، خلافًا للمعتزلة القائلين بأنه العدل لا ميزان حقيقي. وقد ذكر في القرآن مجموعًا وفي السنة مجموعًا ومفردًا، فقيل: إنه ميزان واحد وجمع باعتبار الموزون. وقيل: متعدد بحسب الأمم أو الأفراد، وأفرد باعتبار الجنس. اهـ

---

(١) ورد مثله عن عائشة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» (١٨٨١)، والقرطبي في تفسير سورة الزلزلة.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨، ٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٣٠).

❁ **الهراس**: وهناك تنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية، كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد -وهي أعراض- أجساما لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. اهـ

الجمع بين وزن الأعمال والعاملين والصحائف

❁ **ابن باز**: الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة، يكون بالعمل لا بذات العامل ولا بالصحيفة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الإيمان بنصب الموازين من الإيمان باليوم الآخر؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل أنواعًا منها هذا، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك معروفة. «**فتوزن فيها أعمال العباد**» نفس الحسنات والسيئات.

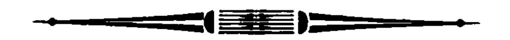
ولا ينافي هذا ما جاء في وزن الصحائف والأبدان، فإن خفتها وثقلها إنما هي بالأعمال، كما قاله ابن كثير.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ولو بحبة واحدة، بأن رجحت حسناته بسيئاته فإنه ناجٍ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ من الموحدين فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عامله بالعدل. ومن عذبه، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾، خلود مؤبد للكافرين، أما الموحد فلا يخلد في النار. اهـ

حقيقة الميزان

* قال شيخ الإسلام(١): الميزان هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ و﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(٢). وقال عن ساقي عبد الله بن مسعود: «لهما في الميزان أثقل من أُحد» وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة، وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما: في الرجل الذي يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سِجِلًّا كل سجل منها مدُّ البصر، فيوضع في كِفَّةٍ، ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله. قال النبي ﷺ «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»(٣). وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات، وبالعكس فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا.

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب. اهـ



---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٥)، و«الدعاء» (١٤٨٢)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥١)، وصححه ابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (٩، ١٩٣٧)، وحسنه الترمذي والإشبيلي والألباني.

قوله: (وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أومن وراء ظهره).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «**وتنشر**»: يعني: تُفَلُّ «**الدواوين**» جمع ديوان، وهي الورقة التي قيدت فيها أعمال العبد -حسناته وسيئاته التي كتبتها الحفظة - كما في الآية: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. «**وهي**» هنا «**صحائف الأعمال**» صحائف أعمال العباد وأقوالهم الصادرة منهم، المترتب عليها الثواب والعقاب، للنظر والاطلاع على ما فيها لعاملها، فيقرؤها من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ مسطورة. «**فآخذ كتابه بيمينه**» وهم أهل السعادة. «**وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره**» وهم أهل الشقاوة، والعياذ بالله. اهـ

❁ **الهراس**: ثم تنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، وأما من أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره(١)، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١١-١٢]، ويقول:

---

(١) ظاهر كلام الشيخ هراس أن الذي يعطى كتابه وراء ظهره غير الذي يعطاه بشماله؛ لأنه عطفه بـ(أو) التي تقتضي المغايرة. وهو قول له حظ من النظر، وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري فقال: دعوى «أن الذي يؤتى كتابه من وراء ظهره غير الذي يؤتاه بشماله، تنافي ما قرره ابن كثير من تفسيره حيث قال: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، أي: بشماله من وراء ظهره، تُثنى يده إلى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك، ولو أتى المؤلف بالآيات على ترتيبها في المصحف لأصاب ولسلم مما وقع فيه. اهـ

قلت: الذي أشار إليه الهراس ذكره بعض السلف.

قال العلامة السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٢): قال سعيد بن المسيب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره. وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، قال: تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع، أو يدخلها من صدره، أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه. وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه، ثم حكى قولًا بالوقوف، قال: ولا قائل بأنه يأخذه بشماله. وقال يوسف بن عمرو من المالكية: اختلف في عصاة الموحدين، فقيل: يأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل
=

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

فقد قال الراغب: أي: عمله الذي طار عنه من خير وشر[(١)].

ولكن الظاهر أن المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا، وما كتب له فيها من رزق وعمل[(٢)]، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ [الأعراف: ٣٧]، يعني: ما كتب عليهم فيه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: ﴿أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ يعني: ما طار له، وما قدّر له ملازمٌ له ملازمةً لا انفكاك له منه بحال، فهو لازم في عنقه، وهو ما قُدِّرَ وكُتِبَ له في الأزل. ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يعني: مفلولًا بمقتضى ذلك، ولا حجة له في ذلك على القدر، فإن الحجة قائمة على العباد: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾،

=

بشمائلهم، وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار، فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها. وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها، والله أعلم. اهـ

قلت: والقول بأن عصاة الموحدين يأخذون كتبهم بأيمانهم هو الأرجح إن شاء الله تعالى؛ لأن الله قسّم المصطفين من هذه الأمة المسلمة ثلاثة أقسام فقال: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ ثم بيّن مآلهم في الآخرة بأنهم قسمان: أصحاب اليمين والسابقون، ثم ذكر أصحاب الشمال ووصفهم بوصف الكفار من إنكار البعث والنشور فدل على أن عصاة الموحدين لا يخرجون عن أصحاب اليمين، وهم الآخذون كتبهم بأيمانهم، والله أعلم. اللهم اجعلنا من السابقين أصحاب اليمين.

(١) واختاره الحافظ ابن كثير في تفسيره.

(٢) وهو اختيار أبي عبيدة وابن قتيبة. انظر «زاد المسير» (٥/ ١٥).

وفي الآية الأخرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]. وينقسم الناس حينئذ إلى قسمين: آخذ كتابه بيمينه، وهم أهل السعادة والنجاة، وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره.

فمن أوتي كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين، ومن أوتي كتابه بشماله فهو من أهل الشقاوة، كما في الآيات ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] وكما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

والإيمان بنشر الصحائف وأخذ الصحائف بالأيمان أو الشمائل، الإيمان بذلك من جملة الإيمان باليوم الآخر. اهـ

* **العثيمين**: نشر الدواوين أي: فتحها وتوزيعها، وهي صحائف الأعمال التي كتبتها الملائكة على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا (١٣) ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. فآخذ كتابه بيمينه وهو المؤمن، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾. وفي آية أخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾.

والجمع بين هذه والتي قبلها، إما باختلاف الناس، وإما بكون الذي يأخذها بشماله تخلع يده من وراء ظهره. اهـ

قوله: (وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ).

* آل الشيخ: الإيمان بالمحاسبة على الأعمال حسناتها وسيئاتها وعددها من جملة الإيمان باليوم الآخر، والحسابُ من أشهر وأهم وأعظم أمور الآخرة، فإن الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان يشمل الإيمان بالمحاسبة. اهـ

* الهراس: المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدموه من خير وشر، أحصاه الله ونسوه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وفي الحديث الصحيح: «من نوقش الحساب عذب». فقالت عائشة ﵂: يا رسول الله، أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**»[١]. اهـ

* العثيمين: الحساب: وهو محاسبة الخلائق على أعمالهم، وكيفيته بالنسبة للمؤمن أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه ثم يقول: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وبالنسبة للكافر أنه يوقف على عمله ويقرر به، ثم ينادى على رؤوس الأشهاد. ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء. ومن الناس من يدخل الجنة بلا حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، ومنهم عكّاشة بن محصن. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**[٢]: والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة، لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣، ٤٦٥٥، ٦١٧١، ٦١٧٢)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٢٩).

وقال أيضًا[١]: والحساب يراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذا يتضمن المناقشة، ويراد به عرض الأعمال على العامل وتعريفه بها؛ ولهذا لما تنازع أهل السنة في الكفار هل يحاسبون أم لا؟ كان فصل الخطاب: إثبات الحساب بمعنى عد الأعمال وإحصائها وعرضها عليهم، لا بمعنى إثبات حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم. اهـ

قوله: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

* **آل الشيخ**: «**يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه**» وخطاياه، حتى يقر بها ويعرفها، يقول: فعلت في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا. «**كما وصف ذلك في الكتاب والسنة**» وعلى تفاصيل في الخلوة، فيستر ويغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله. ومحاسبة المسلمين تتضمن: وزن حسناتهم وسيئاتهم، وتوقيفهم على سيئاتهم، فصارت المحاسبة تتضمن: تقريرهم ومجازاتهم. والمسلمون بِعَرْضَةِ المجازاة عليها، عدلٌ بالنسبة إلى السيئات، والعفو عنه تجاوزًا. اهـ

* **الهراس**: أما قوله: «ويخلو بعبده المؤمن». فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما [عن النبي ﷺ]: «**إن الله ﷻ يدني منه عبده المؤمن، فيضع عليه كَنَفَهُ، ويحاسبه فيما بينه وبينه، ويقرره بذنوبه، فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ ألم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، وأيقن أنه قد هلك؛ قال له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**»[٢]. اهـ

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

قوله: (وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسِيئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرون بِهَا).

❁ **آل الشيخ**: «يقررون بها» أنهم فعلوها «ويجزون بها» فلا يُعذَّبُ أحدٌ إلا مقرًّا معترفًا بذنبه، حتى تنطق أبعاضهم بذلك من كمال عدله.

هذه المسألة -المحاسبة للكفار-: من أهل العلم من قال: ليس لهم حسنات يحاسبون عليها. ومنهم من قال: يحاسبون كما يحاسب المسلمون. والإطلاق في الطرفين غلط، لا يصح إطلاق أنهم يحاسبون، ولا يصح إطلاق أنهم لا يحاسبون، فالذي يُثْبِت أنهم يحاسبون ويُطْلِق، يتأول أنهم يحاسبون مثل المسلمين الذين توزن حسناتهم وسيئاتهم واحدةً واحدة، وكذلك إذا قيل: إنهم لا يحاسبون، فإن هذا الإطلاق يشمل أنهم لا تعد أعمالهم ولا تحصى... إلخ، وإن لم يقصده القائل. فالصحيح: قول المصنف المتقدم.

وأما المسلمون فيحاسبون؛ لأن لهم حسنات صحيحة ثابتة، فمن زادت حسناته دخل الجنة، ومن نقصت: إما أن يعفو الربّ ويتجاوز عنه، أو يعذبه على قدر سيئاته. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «فإنه لا حسنات لهم». يعني: الكفار. لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]. والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء، وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر. اهـ

محاسبة الكفار

* سئل شيخ الإسلام عن الكفار: هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟

فأجاب[١]: هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم، وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي[٢].

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابًا من أبي لهب، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابًا من بعض -لكثرة سيئاته وقلة حسناته- كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٥).

(٢) من السالمية.

* **وقال المصنف** رحمه الله[1]: الكلام في مسألة محاسبة الكفار هل يحاسبون أم لا؟ هي مسألة لا يكفَّر فيها بالاتفاق، والصحيح أيضًا أن لا يُضَيَّق فيها ولا يهجر، وقد حكي عن أبي الحسن بن بشار أنه قال: لا يصلى خلف من يقول: إنهم يحاسبون.

والصواب الذي عليه الجمهور أنه يصلى خلف الفريقين، بل يكاد الخلاف بينهم يرتفع عند التحقيق، مع أنه قد اختلف فيها أصحاب الإمام أحمد، وإن كان أكثرهم يقولون: لا يحاسبون، واختلف فيها غيرهم من أهل العلم وأهل الكلام.

وذلك أن الحساب قد يراد به الإحاطة بالأعمال، وكتابتها في الصحف، وعرضها على الكفار، وتوبيخهم على ما عملوه، وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ونقصه، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق.

وقد يراد بالحساب وزن الحسنات بالسيئات؛ ليتبين أيهما أرجح، فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه، لا ليتبين رجحان حسنات له.

وقد يراد بالحساب أن الله هل هو الذي يكلمهم أم لا؟ فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة، وإن كان من العلماء من أنكر تكليمهم جملة. اهـ

مراتب المعاد

قال العلامة السفاريني[2]: اعلم أن مراتب المعاد: البعث والنشور، ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان..

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦).

(٢) في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٤).

قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.

قال العلامة الشيخ مرعي في «بهجته»: الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي، لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم[1].

وقال القرطبي في «تذكرته»: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ٦-١١]، والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب ما ذكرناه، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف: ٩] إلى غير ذلك من الآيات.. وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

قال في «البهجة»: في هذا أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك ارتضاه الأئمة.

قال القرطبي في «تذكرته»: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة حتى لا ترتفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية.

---

(١) هم المعتزلة.

قال: وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كانت لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى فلا تقاومها؛ إظهارًا بفضل المتقين، وذل الكافرين.

والحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزنًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومن قال: توزن أعمالهم؛ لوروده في ظواهر عموم الآيات والأحاديث، يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنًا نافعًا، كما في قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي: كالهباء في عدل نفعه، وحصول فائدته.

والحق أن مؤمني الجن كالإنس في الوزن، وكافرهم ككافرهم.

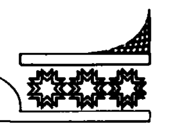
وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**(١) وأخرجه الإمام عبد الله بن المبارك في «الزهد»، والآجري في «الشريعة» عن سلمان موقوفًا(٢)، وأخرج البزار، والبيهقي في «البعث» عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفة الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سَعِدَ فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا»**(٣)، وذكر الثعلبي وغيره، وابن جرير في

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٨٩٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦١٩)، وقال: إسناده صحيح وله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي. اهـ

(٣) أخرجه البزار (١٣/ ٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٧)، وضعفه ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٩٠)، والهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٣)، والبوصيري في «إتحاف المهرة» (٨/ ١٦٠)، وقال الألباني في تخريج «شرح الطحاوية» (ص/ ٤١٩)، وضعيف الترغيب والترهيب (٢١٩): موضوع.



تفسيره، وابن أبي الدنيا عن حذيفة ﷺ أنه قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل ﷺ. وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل ﷺ. وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ قال: الميزان له لسان وكفتان. فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري. وصرح بذلك علماؤنا والأشعريةُ وغيرُهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه، وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﷺ قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار.

قال: وإن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط... اهـ



الحوض المورود

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي عَرَصَات القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ [محمدٍ] ﷺ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا).



❋ آل الشيخ: قوله: «في عَرَصات القيامة»: العَرَصات: جمع عرْصة، والعرْصة المجتمع فيه سعة وانفساح، ومنه عرصة الدار وهو المتسع الذي حواليها الذي يراد للاجتماع فيه، ومنه قول الشاعر:

فلما حوتها عرصة الدار سلمت * ....[1]

وعرصات القيامة: متسع القيامة، وهي المواضع التي يجتمع فيها الخلق، وهي الأرض كلها، تُمد مد الأديم العُكَاظِيّ[2].

---

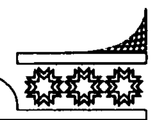
(١) القائل أحمد بن مشرف والبيت بتمامه في ديوانه (ص/ ٢):

فلما حوتها عرصة الدار سلمت ** سلام حبيب زائر ذي تودد

والعرصة بفتح العين وسكون الراء، وجمعها عرصات بفتح العين والراء.

قال في «القاموس»: العَرْصة: كل بقعة بين الدور واسعة، ليس فيها بناء، جمعها عِراص وعَرَصَات وأعْرَاص. اهـ

(٢) الأديم الجلد، والعكاظي منسوب إلى سوق عكاظ قرب الطائف. قال في «اللسان» و«القاموس»: أديم عكاظي منسوب إلى عكاظ، وهو مما حمل إلى عكاظ فبيع بها. اهـ



قوله: «**الحوض المورود للنبي ﷺ**»: والحوض الكوثر لنبينا محمد ﷺ، وجاء في الحديث صفته وآنيته والشرب منه، وأهل الشرب. «**ماؤه أشد بياضًا من اللبن**»، وطعمه «**أحلى**» طعمًا «**من العسل**»، و«**آنيته**» التي عليه «**عدد نجوم السماء**»، مسافةُ «**طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا**». أي: يستمر به رِيُّه أبدًا لا يظمأ حتى يدخل الجنة، فإذا دخل الجنة فَرِيٌّ على رِيٍّ، وأحاديث الحوض معلومة، كثيرة، شهيرة، ثابتة عن النبي ﷺ. فالإيمان بالحوض وصفاته المذكورة من الإيمان باليوم الآخر، كما سبق، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت. اهـ

❁ **ابن باز**: هذا بحث الحوض المورود والصراط الموعود، الحوض المورود هذا للنبي ﷺ، وهو الكوثر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. يعني: يصب فيه من الكوثر. وإلا فالكوثر في الجنة، هذا حوض يصب فيه ميزابان من الكوثر، يرد عليه المؤمنون من أتباع محمد ﷺ طوله شهر وعرضه شهر، آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة، فالمؤمنون يردونه ويشربون منه، وهم أتباع النبي ﷺ، ويذاد عنه أقوام، فيسأل فيقول: «**يا رب لماذا؟ فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم**». فيمنعون من وروده، ويقول: «**بعدًا بعدًا، لمن بدل بعدي**»[1]، هذا يدل على أن هذا الحوض يختص به المؤمنون الذين ماتوا على اتباع النبي ﷺ وعلى دينه.

أما المرتدون الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ، أو في غير ذلك من الأوقات عن دينهم فإنهم لا يَرِدُون عليه الحوض، وهكذا كل كافر لا يرد على الحوض، إنما يرد المؤمنون خاصة من أتباعه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس مرفوعًا.

وللأنبياء أحواض غير حوضه عليه الصلاة والسلام لكن حوضه أكملها وأتمها، ويذاد عن حوضه من ليس من آله كما تذاد الإبل الغريبة، فلا يرده إلا المؤمنون الصادقون، أما المرتدون فلا حظ لهم فيه. اهـ

❁ **العثيمين**: الحوض المورود للنبي ﷺ في عرصات القيامة أي: مواقفها يرده المؤمنون من أمته، ومن شرب منه لم يظمأ أبدًا، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، ولكل نبي حوض يرده المؤمنون من أمته، لكن الحوض الأعظم حوض النبي ﷺ، وقد أنكر المعتزلة وجود الحوض، وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث من إثباته. اهـ

الأحاديث الواردة في الحوض متواترة

❁ **الهراس**: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، فمن أنكره فأخلق به أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر، وقد ورد في أحاديث: «**إن لكل نبي حوضًا**»[1]. ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها، وأحلاها، وأكثرها واردًا، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه. اهـ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٧/ ص ٢١٢/ح٦٨٨١)، و«مسند الشاميين» (٢٦٤٧) عن الحسن، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**إن لكل نبي حوضًا ترده أمته، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة**».
وأعله الترمذي فقال: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح. اهـ
والمرسل أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٤)، والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩).

* قال الشيخ علي بن أبي العز في «شرح الطحاوية»: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير- تغمده الله برحمته- في آخر «تاريخه الكبير»(١)، المسمى بـ«البداية والنهاية». فمنها: ما رواه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**(٢).

وعنه أيضا، عن النبي ﷺ قال: **«ليردن علي ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصيحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»**. رواه مسلم(٣).

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه أنزلت علي آنفا سورة»** فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. حتى ختمها، ثم قال لهم: **«هل تدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هو نهر أعطانيه ربي عَزَّ وَجَلَّ في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

---

(١) وهو الذيل المعروف بـ«النهاية في الفتن والملاحم»، طبع مفردًا، وانظر: «البداية والنهاية» طبعة دار ابن كثير (١٧/ ٢٣٥-٢٦٥).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي -سقانا الله منه يوم القيامة- من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة النافرة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأخلِق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذّب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها.... إلخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

ورواه مسلم، ولفظه: «هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»، والباقي مثله[١].

ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط[٢].

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض»[٣]. والفرط: الذي يسبق إلى الماء.

وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، مَنْ مَرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم». قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعتَ من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد: «فأقول: إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»[٤]. سحقًا. أي: بعدًا.

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٢)، ومسلم (٤٠٠).

(٢) قاله ابن كثير في «النهاية» (١٧/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٣، ٦٥٨٤، ٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠، ٢٢٩١).

وفي بعض الأحاديث: «أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض[١] من اللؤلؤ قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر»[٢]، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. وقد ورد في أحاديث: «إن لكل نبي حوضًا، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها، وأحلاها، وأكثرها واردًا»[٣]. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في «التذكرة»: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان. وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب «كشف علم الآخرة»: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى. فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر. اهـ

---

(١) الحال: التراب اللين، والرضراض: ما دقَّ من الحصى.

(٢) أخرجه مطولاً أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده ضعيف، ضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٦٢)، وأحمد شاكر في «تخريج المسند».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٤٥) من حديث سمرة بن جندب نحوه، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه (٤٣٠١)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» بسند ضعيف جدًا عن أبي سعيد الخدري، وله شواهد مرسلة ومسندة في أسانيدها مقال يصح الحديث بمجموعها، وصححه ابن كثير في «النهاية» وقال بعد إيراد مرسل الحسن البصري: وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن، صححه يحيى بن سعيد القطان وغيرهم، وقد أفتى شيخنا الحافظ المزي بصحة هذا الحديث بهذه الطرق. اهـ

هل الحوض غير الكوثر

وعن أنس بن مالك قال: أغفى النبي ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسما، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت علي آنفا سورة»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها قال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة، عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(١).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «هو مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا»(٢).

ومن هذين الحديثين يظهر أن الكوثر والحوض شيء واحد، وهو قول طائفة من السلف، وهو ظاهر صنيع البخاري رحمه الله حيث قال في كتاب الرقاق: باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ثم ذكر أحاديث الحوض تسعة عشر حديثًا، ومن حديث أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. اهـ

وقد ذهب إليه جمع من العلماء، منهم الشيخ حافظ الحكمي في «سلم الوصول» حيث قال:

وحوض خير الخلق حق وبهِ * يشرب في الأخرى جميع حزبه

(١) أخرجه أحمد (١١٩٩٦)، ومسلم (٤٠٠، ٢٣٠٤)، وأبو داود (٧٨٤، ٤٧٤٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٥٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

ثم قال في «شرحه»[١]: وحوض خير الخلق نبينا محمد ﷺ- وهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷻ- حق لا مرية فيه. اهـ

والظاهر من صنيع السفاريني التفريق بين الحوض والكوثر؛ إذ قال في نظمه:

كذا الصراط ثم حوض المصطفى * فيا هَنا لِمَن به نال الشفا

فكن مطيعًا واقْفُ أهل الطاعة * في الحوض والكوثر والشفاعة. اهـ

وهو الذي اختاره الشيخ ابن عثيمين إذ قال رحمه الله: مادة هذا الحوض تأتي من الكوثر، والكوثر نهرٌ أعطاه الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ في الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، يصب منه ميزابان؛ ولهذا تَرِدُهُ الأمَّة كلها وهو باقٍ؛ لأنه يصب عليه هذان الميزابان[٢]. اهـ

قلت: وهو الأصح إن شاء الله، وأن الكوثر نهر في الجنة ويصب في الحوض في عرصات يوم القيامة لما صح بسند جيد عند ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (٧٢٢) عن أبي برزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله، فيه ميزابان مثعبان من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، فيه أباريق عدد نجوم السماء»** ولما روى البخاري في كتاب الرقاق من «صحيحه» باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] من حديث أنس بن مالك: عن النبي ﷺ قال: **«بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر»**[٣].

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٨٧١).

(٢) في «شرح الواسطية» (٢/ ١٥٧) و«شرح السفارينية» (ص/ ٤٨٥ ط البصيرة).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢١٠).

قال الحافظ ابن حجر[١]: أشار البخاري إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض، كما جاء صريحًا في هذا الحديث. اهـ

قلت: ويؤيده حديث ابن مسعود أنَّ النبي ﷺ قال: **«ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض»** الحديث[٢].

مكان الحوض

قال الحافظ ابن حجر[٣]: وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث النضر بن أنس، عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: **«أنا فاعل»**، فقلت: أين أطلبك؟ قال: **«اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»** قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الميزان»**، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الحوض»**. وقال أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة»: ذهب صاحب «القوت» وغيرُه إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس.

والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا..

قال ابن حجر: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي، أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشًا، فيرِدُ المؤمنون الحوضَ

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٦٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في أسانيدهم كلهم عن عثمان بن عمير وهو ضعيف. اهـ، وضعفه أحمد شاكر والأرنؤوط في «تخريج المسند».

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٦).

وتتساقط الكفار في النار، بعد أن يقولوا: ربنا عطِشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا تَرِدُون؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر: «**أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة**»[١]، وله شاهد من حديث ثوبان[٢]، وهو حجة على القرطبي لا له؛ لأنه قد تقدم أن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة؛ لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «**ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض**»[٣]. اهـ

قلت: والظاهر من صنيع المصنف شيخ الإسلام هنا أن الحوض قبل الصراط؛ لأنه ذكره قبل الصراط، وذهب إلى هذا الحافظ ابن كثير في «النهاية» حيث قال: إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط، أو بعده؟

قلت: إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم. فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين، فيبعد حجبهم عن الحوض، لا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ: «**أعرفكم غرًّا محجلين من آثار الوضوء**». ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه -والله أعلم- أن الحوض قبل الصراط، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨-٣٩٩) (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني في «الكبير» (ج٣/ ص٤٠٨/ ح ٩٨٧٦) في حديث طويل عثمان به عمير ضعيف، وضعفه الهيثمي في المجمع، وقال ابن كثير: غريب جدًا. اهـ

يوم القيامة قال: «**أنا فاعل**» قال: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**»، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قال: فإن لم ألقك؟ قال: «**فأنا عند الحوض، لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة**».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضًا، وهذا لا أعلم به قائلاً، اللهم إلا أن يكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يذاد عنه أحد، والله ﷻ أعلم.

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل، أو بعد ذلك؟ هذا مما يحتمل كلًّا من الأمرين، ولم أر في ذلك شيئًا فاصلاً، فالله أعلم أي ذلك يكون.

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة» أيضًا: واختلف في كون الحوض قبل الميزان. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل، قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم على الميزان والصراط، قال أبو حامد الغزالي في كتاب علم كشف الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله، قال القرطبي: هو كما قال، ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقري عنه، ثم قال: وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط من جاز عليه سلم، كما سيأتي.

قلت: وهذا التوجيه قد أسلفناه، ولله الحمد.

قال القرطبي: وقد ظن بعض الناس أن في تحديد الحوض تارة بجرباء وأذرح، وتارة بما بين الكعبة إلى كذا، وتارة بغير ذلك اضطرابًا! قال: وليس الأمر كذلك، فإنه عليه الصلاة والسلام حدث أصحابه مرات متعددة، فخاطب في كل مرة القوم بما يعرفون من الأماكن، وقد جاء في الصحيح تحديده بشهر في شهر، قال: ولا يخطر في بالك

أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء كالفضة، ولم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تطهر لنزول الجبار ﷻ لفصل القضاء. قال: ورد في الحديث: أن على كل جانب منه واحدًا من الخلفاء الأربعة، فعلى الركن الأول أبو بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث عثمان، وعلى الرابع علي ﷺ.

قلت: وقد رويناه في «الغيلانيات»، ولا يصح إسناده؛ لضعف بعض رجاله. اهـ



الصراط المنصوب على متن جهنم

قوله: (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ).

❁ **الهراس**: أصل الصراط: الطريق الواسع. قيل: سمي بذلك؛ لأنه يسترط السابلة. أي: يبتلعهم إذا سلكوه، وقد يستعمل في الطريق المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والصراط الأخروي الذي هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين الجنة والنار حق لا ريب فيه؛ لورود خبر الصادق به، ومن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في وصفه أنه: أدق من الشعرة، وأحد من السيف[١]. اهـ

---

(١) ورد هذا في كلام بعض الصحابة، كما أخرجه مسلم (١٨٣) في حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الرؤية والبعث والشفاعة وفيه: قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف. اهـ
وصح فيما رواه الحاكم (٢/ ٢٧٦) موقوفًا على ابن مسعود: قال: والصراط كحد السيف دحض مزلة.
وصح عن سلمان عن النبي ﷺ بلفظ: «ويوضع الصراط مثل حد الموسى». أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٣٧) من حديث عائشة وفيه: «ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف ...» وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف.

=

* قال الشيخ: الإيمان بالصراط، والإيمان بنصبه على متن جهنم من الإيمان باليوم الآخر. والصراط: هو الطريق، وسمي الصراط طريقًا؛ لأنه يُعبر منه إلى الجنة، يَمر على وسط النار حتى ينتهي إلى الجنة، ولا يُمرُّ إلى الجنة إلا منه.

والصراط صراطان: حسي وهو هذا، ومعنوي وهو في الدنيا. والثبات على الحسي حسب الثبات على المعنوي في الدنيا، وجاء في الأحاديث أنه أَدقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف، وأَحرُّ من الجمر، وأنه دحض مزلة.

والقوى الحسية لا استطاعة لها على المرور عليه، لا يمر معه إلا بالقوى المعنوية الإيمانية، وهو بحسب الاستقامة على هذا الصراط المعنوي في الدنيا.

والمرور عليه على حسب الأعمال ثباتًا وسقوطًا، وسرعة وإبطاء، واستقامة سواء بسواء؛ ولهذا قال: «على قدر أعمالهم». لا على قدر أجسامهم، كما أن الصراط في الدنيا أحظى الناس به أقواهم إيمانًا لا أجسامًا. اهـ



=

ورواه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٤٦) عن أنس بأسانيد ضعيفة، ضعفها البيهقي وابن حجر في الفتح (١١/ ٤٥٤)، والسخاوي في «الأجوبة المضيئة» لكن مجموع هذه الطرق وما صح عن سلمان مرفوعًا، وعن أبي سعيد، وابن مسعود يدل على أن لهذا الوصف أصلاً صحيحًا. ولعل هذا الضيق والدقة على غير المتقين الأبرار قال ابن كثير في «النهاية»: وعن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة -وهو الجسر- يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وبعض الناس مثل الوادي الواسع. رواه ابن أبي الدنيا، وهذا الكلام صحيح -إن شاء الله- وقال غيره: بلغني أن الصراط إنما يراه أدق من الشعرة وأحد من السيف الهالك الذي ليس بناجٍ، ويكون على بعض الناس أوسع من القاع والميدان المتسع يمضي كيف شاء. اهـ

قوله: (يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالفَرَسِ الجَوَادُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ).

❁ **العثيمين**: الصراط: وهو الجسر المنصوب على جهنم، أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، يمرون عليه على قدر أعمالهم كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، فيعذب بقدر عمله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الناس في سرعة المرور على الصراط على أقسام، فأهل السير: هم الذين استقاموا على الطريق المعنوي ولم يتثاقلوا عنه. «**فمنهم من يمر**» عليه «**كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف**» حتى إن منهم من إذا عبر خُطف خطفًا «**ويلقى في جهنم**».

فإن «**الجسر**» هو الصراط «**عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم**» قد حف به كلاليب، هو مثل السير على الصراط المعنوي، وهي شُبهُ الترددِ والتثاقل والسير بالهُوَينا، فكما أن الكلاليب في هذا الصراط المعنوي في الدنيا من الشبهات والشهوات تخطفهم، فتلك الكلاليب تخطف الناس على قدر ما تخطفهم الشبهات والشهوات في تلك الأعمال وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدنيا خطفتهم في الآخرة، ومن خُطف سقط في جهنم. اهـ

المرور على الصراط لأهل الإسلام دون الكفار

قوله: (فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ).

❁ ابن عثيمين: أي: «دخل الجنة» بكل حال، ولا يرد إلى النار أبدًا. والظاهر أن المرور إنما هو لأهل الإسلام، وأن الذي يخطف هو صاحب المعاصي والشبهات والشهوات؛ لأن الكفار لم يدخلوا في هذا الصراط المعنوي في الدنيا. اهـ

❁ ابن باز: الصراط منصوب على متن جهنم، هذا الصراط طريق منصوب على متن جهنم من سقط منه سقط في جهنم، وهذا يرده كل من دخل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فالمؤمنون يردونه وينجون، وغير المؤمنين لا يرده أصلاً، ولا يمر عليه، بل يساق إلى جهنم -نسأل الله العافية- ويرده أناس ويمرون عليه، فمن المؤمنين مَنْ يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجود الخيل والركاب، تجري بهم أعمالهم، وعلى حسب أعمالهم، ومنهم من يمر عليه حبوًا وزحفًا، يقوم تارة ويسقط أخرى، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم- نسأل الله العافية- كل واحد على حسب الأعمال التي مات عليها، ولا ينجو إلا المؤمنون الصادقون، وما سواهم فإلى النار، نسأل الله العافية.

وبعض الناس يمر ويخدش ويسلم وينجو، وبعضهم يسقط، ويعذب بذنبه، على قدر معاصيه، ثم يخرجه الله من النار إلى الجنة، ولا يخلد في النار إلا الكفار، أما المسلمون العصاة الساقطون فيها فهؤلاء يعذبون تعذيبًا مؤقتًا على حسب معاصيهم، ثم يأذن الله للشفعاء فيشفعون، ومنهم نبينا محمد ﷺ، أعظمهم شفاعة عليه الصلاة والسلام، فيحد الله له حدًّا من هؤلاء العصاء، فيشفع فيهم، فيخرجون من النار، ثم يشفع، ثم يشفع، ثم يشفع، أربع شفاعات، كل شفاعة يحد الله حدًّا فيخرجهم من النار، ويبقى في النار من هذه الأمة من عصاتها قوم لم تشملهم الشفاعة فيخرجهم الله

بعد ذلك بفضل رحمته ﷻ، يخرجهم من النار ويلقون في نهر الحياة- نهر يقال له: نهر الحياة- فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أذن لهم في دخول الجنة، وبهذا يعلم المؤمن أن الواجب عليه الحرص على أسباب السلامة، وأن هذه أخطار عظيمة لا من جهة الحوض ولا من جهة الصراط، فالواجب عليه أن يسأل الله حسن الخاتمة، وأن يجتهد في الثبات على الحق والاستقامة عليه والحذر من عقاب الله ﷻ، والحرص على التوبة كلما زلت قدمه بارتكاب ذنب بادر بالتوبة، فإنه ليس بمعصوم، لكن يلزم التوبة كلما حس بتقصير أو ذنب بادر بالتوبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]، فالمؤمن يحاسب نفسه دائمًا، ويراقب، وينظر، ولا يعجب به، ولا يَمنُّ بعمله، بل يجاهد نفسه لعله ينجو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، يقول ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه، ليس فيهم من يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل(١). ويقول إبراهيم بن يزيد التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا(٢).

فالواجب الحذر وعدم المن بالعمل والعجب بالعمل، إنما يتقبل الله من المتقين، فالإنسان يجاهد نفسه، ويعرف أنه محل نقص ومحل التقصير، حتى يجتهد ويعرف الحق، ويلزم التوبة حتى يلقى ربه وهو عنه راضٍ. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧)، والخلال في «السنة» (١٠٨٠)، وعلقه البخاري جازمًا في كتاب الإيمان من «صحيحه»، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٣٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٧٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٢٨٥)، وعلقه البخاري في كتاب الإيمان من «صحيحه»، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

* قال المصنف(١): وأما الورود المذكور في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بأنه المرور على الصراط(٢).

والصراط هو الجسر، فلابد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن. اهـ

* وقال(٣): ولفظ الورود يحتمل العبور والدخول، وأيضًا فالورود والدخول قد يراد ورود أعلاها.

وقد ثبت في الصحيح أنهم إذا عبروا على الصراط منهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل(٤).

وفسر النبي ﷺ الورود بهذا، وهذا عام لجميع الخلق، فلما قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] لم تكن هذه معارضة صحيحة لما أخبر به، فبين لها النبي ﷺ بعد أن زجرها أن الله قال ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ [مريم: ٧٢] فتلك النجاة هي المعنى الذي أراده بقوله: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»(٥). اهـ

* **وقال أيضًا**(٦): وأما الورود فهو مرور الناس على الصراط، كما فسره في الحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله، وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يُجزى به العصاة وينفى عن المتقين. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٧٩).
(٢) لم أجده.
(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٢٣٠).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**»، قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾».
(٦) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١ / ٢٢٩).

القصاص

قوله: (فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ).

* **العثيمين**: إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض قصاصًا تزول به الأحقاد والبغضاء؛ ليدخلوا الجنة إخوانًا متصافين. اهـ

* **آل الشيخ**: قوله: «**قنطرة**» الظاهر أنها جسر يقفون عليه «**بين الجنة والنار**». والسر في الوقوف على هذه القنطرة «**ليُقتص لبعضهم من بعض**» فإنه لابد من أخذ الحقوق فلا أحد يدخل الجنة أو النار حتى تؤخذ الحقوق التي له، أو التي عليه ويؤديها، فلا يدخلونها من تلك القنطرة حتى يُهذبوا وينقوا.

«**فإذا هذبوا ونقوا**» من درن الذنوب وأرجاس المعاصي، ويصلحون لمجاورة الرب الكريم في دار الخلد، «**أُذن لهم في دخول الجنة**» لأن الجنة دار طيبة في جوار الطيب سبحانه، ولا يدخلها إلا طيب، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فالفاء للسببية فلا يدخلها أحد عنده دَرَنٌ: ذنب أو مظلمة. اهـ

قال المصنف[١]: وفي الصحيح: «**أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة**»[٢]. فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية كما قال تعالى: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. اهـ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠، ٦٥٣٥) عن أبي سعيد بمعناه.

استفتاح الجنة وأول من يدخلها

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ).

يعني: يطلب فتحها ودخولها نبينا «محمد ﷺ»، فلا أحد يطلب ويسأل فتحها ليدخل فيها قبل نبينا محمد ﷺ. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ». يعني: أول من يحرك حلقها طالبًا أن يفتح له بابها، كما قال ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فأدخلها ويدخلها معي فقراء أمتي»**(١). اهـ

❁ **ابن باز**: يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: أول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ نبينا عليه السلام، والله جل وعلا أمر أن لا يفتح بابها لأحد قبله، فهو أول من يستفتح بابها، وأول من يقرع بابها، ويقول له الخازن: أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك. اللهم صل عليه وسلم، وأول من يدخل الجنة من الأمم بعد الأنبياء عليهم السلام أمته، فأفضل الأمم أمة محمد ﷺ، وهي أول من يدخل الجنة. اهـ

قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ).

❁ **الهراس**: يعني: بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون فقراء هذه الأمة أول الناس دخولًا الجنة. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤٦، ٢٦٩٢)، والدارمي (٤٧)، والترمذي (٣٦١٦) من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حسن غريب. أي: ضعيف وهو كما قال: فيه زمعة بن صالح ضعيف، وضعفه الألباني أيضًا.
وقوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» صحيح له شاهد عن أبي هريرة. أخرجه أحمد (١٠٩٨٥)، وأبو داود (٤٦٧٥) بإسناد حسن، وله شواهد أخرى.

❁ **قال الشيخ**: فإنها أول الأمم دخولًا، وإن كانت آخرها وجودًا، كما عرف ذلك من الأحاديث الصحاح، كما في قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**»(١)، وذلك لأن الله شرع لهذه الأمة أعمالًا لم تشرع لمن قبلهم، تفضلًا عليهم بأن كانوا هم أول الأمم دخولًا الجنة، وليس أنهم أكثر الأمم أعمالًا، ففي هذا فضيلة هذه الأمة كونها آخر الأمم وجودًا وأولها دخولًا الجنة. اهـ

فضل النبي ﷺ وأمته

قال المصنف(٢): وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقًا وأول الأمم بعثًا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه - يعني: يوم الجمعة - فهدانا الله له، الناس لنا تبع فيه، غدًا لليهود وبعد غد للنصارى**»(٣). وقال ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**»(٤)، وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيقول: بك أمرت ألّا أفتح لأحد قبلك**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٩٥٦، ٦٨٨٧، ٧٤٩٥)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٦٢).

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

(٥) أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس.

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليًّا لله إلا من آمن به، وبما جاء به، واتبعه باطنًا وظاهرًا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم. اهـ



الإيمان بالشفاعة يوم القيامة وشفاعات النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله: (وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّة، وَهَاتَانِ الشفاعتان خَاصَّتَانِ لَهُ.

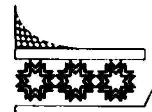
وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهم، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُ الله مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَل بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ الله لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمْ الجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةِ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ العِلمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ اِبْتَغَاهُ وَجَدَه).



تعريف الشفاعة

❁ **العثيمين**: الشفاعة: وهي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، ولا تكون إلا بإذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له. اهـ



* **آل الشيخ**: اشتقاق الشفاعة من الشفع، خلاف الوتر. والشفع: الاثنان، سمي شفعًا؛ لأن طالب الحاجة يكون اثنين بعد أن كان واحدًا.

* **الهراس**: أصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا: إذا ضمه إليه، وسمي الشافع شافعًا؛ لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له. اهـ

* **السعدي**: ذكر المصنف رحمه الله هذا الكلام النفيس المتعلق باليوم الآخر المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، وهو كلام واضح جامع، وأحال على الكتاب والسنة في بقية تفاصيل اليوم الآخر، وقد كتب أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر وبالجنة والنار تفاصيل ذلك شيئًا كثيرًا وتصانيف طوالًا مبسوطة مستقلة، وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر.

واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، كما هو ثابت بالسمع، فإن الله نبه العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب، وذكرهم ما هو مستقر في العقول الصحيحة، من أنه لا يليق بحكمة الله وحمده أن يترك الناس سدى، وأن يكونوا خلقوا عبثًا لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، وأن العقول الصحيحة تنكر ذلك أشد الإنكار. وكذلك نبههم على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إثابة الطائعين، وتعجيل بعض ثوابهم، وعقوبة الطاغين وإذاقتهم بعض ما وعدوا به، وهذا شيء مشاهد محسوس متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك، ولا يزال الله يري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق لأولي العقول والألباب. وأما تفاصيل الجزاء ومقاديرها، فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن النبي ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ومن الحكمة في محاسبة الخلق على أعمالهم، ووزنها، وظهورها مكتوبة في الصحف مع إحاطة علم الله بذلك؛ ليري عباده كمال حمده، وكمال عدله، وسعة رحمته، وعظمة ملكه؛ ولهذا قيد ملكه ليوم الدين في عدة مواضع من كتابه مع أن ملكه عام مطلق لهذه المعاني وغيرها. اهـ

قوله: (وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ).

❁ **ابن باز**: للنبي ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة:

١- الشفاعة العظمى، في أهل الموقف حتى يقضى بينهم ويحاسبوا، وذلك بعد أن يتراجع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عنها: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم. إذا اشتد الموقف يفزع الناس إلى آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ أي: من المشقة والشدة. فيقول عليه الصلاة والسلام: لست هناكم، إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ويذكر خطيئته، وهي أكله من الشجرة، وهو قد تاب منها، ولكن من شدة ورع الأنبياء وخوفهم وكمال إيمانهم عليهم الصلاة والسلام، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا عليه الصلاة والسلام، فيقولون: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض -يعني: بعدما وقع الشرك فيهم- وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك. فيقول مثل ما قال آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ويذكر دعوته على أمته، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيأتون إبراهيم فيقولون مثل ذلك، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته الثلاث التي كذبها في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣][(١)]، فيقول: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام، فيقول مثل قولهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده

(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثنتين في ذات الله وواحدة في شأن سارة، قال: إنها أخته». أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام. فيأتون عيسى، فيقولون له: اشفع لنا إلى ربك، فيعتذر عيسى، ويقول لهم مثل ما قال من قبله: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى محمد، عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: فيأتوني، فأقول: أنا لها، أنا لها- اللهم صل وسلم عليه- ثم يتقدم إلى ربه، فيسجد تحت العرش بين يدي ربه، ويحمده بمحامد عظيمة يفتحها الله عليه ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم [(١)].

٢- ويشفع في أهل الجنة حتى يدخلوها.

٣- ثم يشفع شفاعة أخرى في أناس دخلوا النار بذنوبهم ومعاصيهم، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد له حدًّا، فيخرجهم من النار، أربع مرات، عليه الصلاة والسلام، كما جاء في «الصحيح»[(٢)].

ويشفع الأنبياء والمؤمنون والأفراط[(٣)]، مثلما قال المؤلف: تفاصيل يوم القيامة أمر عظيم، ويبقى في النار جملة من الموحدين لم تعمهم الشفاعات من الموحدين الذين دخلوها بذنوبهم، فيخرجهم الله من النار برحمته جل وعلا بغير شفاعة أحد، هم البقية، وقد امتحشوا واحترقوا بالنار، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ﷻ، ولا يبقى في النار من الموحدين أحد، ما يبقى فيها إلا الكفار الذين كتب الله عليهم الخلود فيها لكفرهم بالله، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال في حقهم: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٢) عن أنس.
(٣) هم من مات من أولاد المؤمنين قبل البلوغ.

تعالى في حقهم: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]، وقال تعالى في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧]، نعوذ بالله، وقال في حقهم: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ أي في الدنيا ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]، هذه حالهم، وهذه نهايتهم العذاب السرمدي أبد الآباد، لا تنتهي النار، ولا يخرجون منها، نسأل الله تعالى العافية.

أما تفاصيل يوم القيامة، وما يتعلق بالميزان، وبحال الميزان وبثقله، وتوزيع الصحف، وما يصيبهم من الكرب العظيم، إلى غير ذلك، كل هذا موجود بعضه في القرآن وبعضه في الأحاديث الصحيحة من أراده وجده. اهـ

❁ **آل الشيخ**: والإيمان بالشفاعات من جملة الإيمان باليوم الآخر.

وللنبي ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات بالنسبة إلى الشفاعات العمومية، وإلا هناك شفاعات غير ما ذكره المصنف، كشفاعته في عَمِّه؛ لتخفيف العذاب لا إخراجه، فثنتان مختصتان به، وواحدة مشتركة. اهـ

❁ **الهراس**: والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفيُ الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن، قال تعالى عن الملائكة: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]. فبين الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قولَه وعملَه.

الرد على من نفى الشفاعة

وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠].. إلخ، فإن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة في أهل

الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه. اهـ



تفصيل شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة

قوله: (أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ).

❁ **الهراس:** هذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[1] [الإسراء: ٧٩]، يعني: يحمده عليه أهل الموقف جميعًا. وقد أمرنا نبينا ﷺ إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته**»[2]. اهـ

❁ **آل الشيخ: الشفاعة الأولى:**

«**يشفع**» إلى الله «**في أهل الموقف حتى يقضى بينهم**» فيستريحوا من كرب الموقف الذي تقدم من صفته قرب الشمس والعرق... إلخ. «**بعد أن تتراجع الأنبياء -آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم- عن الشفاعة**» كلٌّ من هؤلاء يعتذر «**حتى تنتهي إليه**»، فيقول ﷺ: «**أنا لها**»، قال ﷺ: «**فيفتح عليَّ من المحامد ما لا أحسنه**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) عن أنس في حديث الشفاعة الطويل، وفي آخره بعد ذكر شفاعته في إخراج عصاة الموحدين من النار، قال في الرابعة: «ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن» أي: وجب عليه الخلود، ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤، ٤٧١٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٤)، وأبو داود (٥٢٩)، وغيرهم من حديث جابر.

الآن، قال: **فيقال اسال تعط، واشفع تشفع...»**[١] إلخ، وهي التي في الحديث: «**وأُعطيتُ الشفاعة**»[٢]، وهذه الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي أوتيه ﷺ. يعني: الذي يحمده الأولون والآخرون. يعني: الذي يُغبط به، الذي فيه فضل ومرتبة عليا، فإن هذا المقام ليس لأحد سواه، بل هو مختص به ﷺ.

وقيل: إنه إجلاسه معه على العرش، جاء في الحديث أنه يقعد مع الله تعالى على العرش كما ثبتت به السنة[٣]، ويكون هذا أيضًا من المقام المحمود. والظاهر أنه لا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر.

(٣) يعني ما رواه الإمام أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني من حديث ابن مسعود، وفيه: فقال رجل من الأنصار يا رسول الله هل وعدك ربك فيها؟ فقال: «**ما شاء الله ربي، وما أطمعني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة**»، فقال الأنصاري: يا رسول الله وما ذاك المقام المحمود؟ قال: «**ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، فيقول: اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعده مستقبل العرش، ثم أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد، فيغبطني فيه الأولون والآخرون...**» الحديث، وفي سنده ضعف، وصحَّ عن السلف إثبات ذلك فقد. رواه ابن أبي شيبة في المصنف» (٣١٦٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٦٥)، والخلال في «السنة» (٢٤١، ٢٤٢)، وابن جرير في «تفسيره» (٨/ ١٣٢) موقوفًا على مجاهد، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: يجلسه على العرش، وقال ابن جرير في «تفسيره» (٨/ ١٣٤): ما قاله مجاهد من أن الله يُقْعِد محمدًا على عرشه، قولٌ غير مدفوع صحتُه، لا من جهة خبر ولا نظر. اهـ، ورواه الخلال في «السنة» في باب ذكر المقام المحمود (٢٣٦) عن عبد الله بن سلام، قال: إن محمدًا ﷺ يوم القيامة بين يدي الرب عز وجل على كرسي الرب تبارك وتعالى.

وحديث مجاهد رواه الخلال من طريق محمد بن أحمد بن واصل المقري، ثم قال: فسمعته يقول: من رد حديث مجاهد فهو جهمي، ثم رواه الخلال عن أبي داود السجستاني صاحب السنن ثم قال: وسمعت أبا داود يقول: من أنكر هذا فهو عندنا متهم، ما زال الناس يحدثون بهذا، يريدون مغايظة الجهمية، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيئًا. ثم رواه من طريق أبي بكر يحيى بن أبي طالب ثم قال: قال أبو بكر من رده فقد رد على الله عز وجل، ومن كذب بفضيلة النبي ﷺ فقد كفر بالله العظيم.

ثم قال: وأخبرني أحمد بن أصرم المزني بهذا الحديث، وقال: من رد هذا فهو متهم على الله ورسوله وهو عندنا كافر، وزعم أن من قال بهذا ثنوي، فقد زعم أن العلماء والتابعين ثنوية، ومن قال بهذا فهو زنديق يقتل.

=

منافاة بين القولين، فيتقدم فيشفع بإذن الرب جل وعلا في أهل الموقف؛ ليحاسبوا، فإن الرب تعالى لا يأتي الخلق في الفصل إلا بعد شفاعته ﷺ. فإن أهل الموقف إذا اشتد بهم الكرب العظيم ينظرون ويتراجعون[1]: من هو الذي يشفع لنا عند ربنا؛ ليفرج عنا من كرب هذا الموقف؟ فيذكرون أباهم آدم... إلخ. اهـ

قوله: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ).

❁ **الهراس**: يعني: أنهم وقد استحقوا دخول الجنة لا يؤذن لهم بدخولها إلا بعد شفاعته. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فإن أهل الجنة الذين استوجبوها بسبب الأعمال الصالحة لا يدخلونها إلا بعد استفتاحها، فيشفع لهم أن يدخلوا الجنة، وكذلك أهل الجنة من سائر الأمم. اهـ

=

ثم قال الخلال: قال أبو بكر بن حماد المقرئ: من ذكرت عنده هذه الأحاديث فسكت فهو متهم على الإسلام، فكيف من طعن فيها؟! وقال أبو جعفر الدقيقي: من ردها فهو عندنا جهمي، وحكم من رد هذا أن يتقى. وقال عباس الدوري: لا يردها إلا متهم.

وقال إسحاق بن راهويه: الإيمان بهذا الحديث والتسليم له. وقال إسحاق لأبي علي القوهستاني: من رد هذا الحديث فهو جهمي. وقال عبد الوهاب الوراق للذي رد فضيلة النبي ﷺ يقعده على العرش: فهو متهم على الإسلام. وقال إبراهيم الأصبهاني: هذا الحديث حدث به العلماء منذ ستين ومائة سنة، ولا يرده إلا أهل البدع. قال: وسألت حمدان بن علي عن هذا الحديث، فقال: كتبته منذ خمسين سنة وما رأيت أحدًا يرده إلا أهل البدع، وقال إبراهيم الحربي: حدثنا هارون بن معروف وما ينكر هذا إلا أهل البدع... إلى آخر ما ذكر من العلماء الذين يثبتون هذا الأثر.

(١) أي: يتراجعون الحديث بينهم.

قوله: (وَهَاتَانِ الشفاعتان خَاصَّتَانِ لَهُ).

❁ **الهراس**: يعني: الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.

وتنضم إليهما ثالثة، وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين، كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحضاح من نار، كما ورد بذلك الحديث(١). اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**وهاتان الشفاعتان خاصتان له**) الأولى: الشفاعة في محاسبة الخلائق، وهذه الثانية في الذين استحقوا دخول الجنة بفضل الله ورحمته وتوفيقه لهم للأعمال الصالحة في حياتهم، وموتهم على الإيمان. اهـ

قوله: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهم فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا).

❁ **الهراس**: هذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإن مذهبهم أن من استحق النار لابد أن يدخلها، ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها. والأحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «**وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار**» من عصاة الموحدين خاصة، «**وهذه الشفاعة**» هو فيها سيد الشفعاء وأكملهم فيها، وليست مختصة، بل هي «**له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع**» الأنبياء، والرسل،

---

(١) يعني: حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».
أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩)، ونحوه من حديث أبي سعيد أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

والأولياء، والملائكة، والأَفْراط، وغيرهم ممن أذن الله لهم أن يشفعوا كما جاء في النصوص، وهذه هي التي ينكرها المعتزلة.

وأما أهل السنة فإن قولهم فيها هو ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو أن أحكامهم في الدنيا حكم المسلمين، إن قام عليهم حَدٌّ أقيم عليهم، وفي الآخرة مُعرَّضون للوعيد ومَخُوْفٌ عليهم، ومع ذلك يؤمنون بالأخبار المتواترة عن النبي ﷺ في الآخرة من الشفاعة للعصاة.

فيشفع ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها منهم أن يخرج منها قبل أن يُطهَّروا من أوضار الذنوب[1]، فإذا طُهِّروا أُخرجوا، إذا كانوا ماتوا على التوحيد، كما بُيِّنَ في الأحاديث أن من مات على التوحيد غير مشرك فالشفاعة تتناوله، قال ﷺ: «**وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله- من لا يشرك بالله شيئًا**»[2]. اهـ

أقسام الشفاعة

❁ **العثيمين**: تنقسم الشفاعة إلى قسمين خاصة بالنبي ﷺ، وعامة له ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

❁ فالخاصة بالنبي ﷺ ذكر المؤلف منها نوعين: الأول: الشفاعة العظمى، حيث يشفع في أهل الموقف إلى الله؛ ليقضي بينهم بعد أن تطلب الشفاعة من آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى -عليهم الصلاة والسلام- فلا يشفعون حتى تنتهي إلى النبي ﷺ فيشفع، فيقبل الله منه، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) الأوضار: الأوساخ. كما في «لسان العرب».

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الثاني: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها.

* وأما الشفاعة العامة فذكر المؤلف منها نوعين:

الأول: الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها.

الثاني: الشفاعة فيمن دخلها منهم أن يخرج منها؛

وهذان النوعان ينكرهما المعتزلة والخوارج بناء على قولهم: إن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ويخرج الله أقوامًا من النار بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة. اهـ

* **ابن باز**: الشفاعات التي تقع يوم القيامة ست شفاعات معروفة من الأدلة الشرعية منها ثلاث شفاعات تختص بالنبي ﷺ وهي:

الأولى: الشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

الثانية: الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها.

الثالثة: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب حتى يجعل في ضحضاح من النار، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي وبأبي طالب عمه، وأما ما سواه من الكفار فلا شفاعة فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الرابعة والخامسة: شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

السادسة: شفاعته في رفع درجات أهل الجنة، وهذه الشفاعة الأخيرة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والملائكة وصغار الموتى من أطفال المسلمين، وكلها خاصة بأهل التوحيد، وأما الكفار فيخلدون في نار جهنم ولا يذوقون فيها الموت كما قال سبحانه تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، ونحوها من الآيات. وأما من دخلها من

العصاة الموحدين فإنه لا يخلد فيها بل يخرج منها بعد التطهير والتمحيص، وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أن العصاة يموتون فيها، ثم يخرجون منها كالحمم، فينبتون فيها كما ينبت الحب في حميل السيل[١]. اهـ

إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والرد على منكريها

* **قال شيخ الإسلام**[٢]: الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر؛ إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها، ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب.

ومذهب سلف الأمة، وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأيضًا: فالأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الشفاعة، فيها استشفاع أهل الموقف؛ ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه نوع شفاعة للكفار.

وأيضًا: ففي «الصحيح» عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: **«نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**[٣]، وعن عبد الله بن الحارث قال: سمعت العباس يقول: قلت يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: **«نعم، وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح»**[٤]. وعن

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ١١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩).

(٤) نفس التخريج السابق.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ. ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»[١]. فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب، بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابًا، كما في «الصحيح» أيضًا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[٢]، وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذابًا منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**»[٣]. اهـ

* **وقال المصنف** رحمه الله[٤]: وقد اتفق المسلمون على أنَّ النبي ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته، لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليس بمنزلة الإيمان بهم وطاعتهم، فإن الإيمان بهم وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقًا وعامًّا، فكل من مات مؤمنًا بالله ورسوله مطيعًا لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعًا، ومن مات كافرًا بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعًا.

وأما الشفاعة والدعاء، فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهًا، فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ، ثم الخليل إبراهيم، وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وقد كان ﷺ أراد أن يستغفر لأبي طالب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢).

(٣) أخرجه أحمد (١١١١٥، ١١٧٥٦)، وعبد بن حميد (٨٧٥)، والبزار والحاكم (٨٧٣٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
وأخرجه البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) من حديث النعمان بن بشير.

(٤) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص/ ٢-١٦-ط: المدخلي).

اقتداء بإبراهيم، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ (١١٤) وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤-١١٥].

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يَلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله ﷻ: إني حرّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: انظر ما تحت رجليك فينظر، فإذا هو بذيخ[1] متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**». فهذا لما مات مشركًا لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره، وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: ٤-٥] فقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم ومن اتبعه، إلا في قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرنَّ لك، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وكذلك سيد الشفعاء محمد ﷺ، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**». وفي رواية أن النبي ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: «**استأذنت ربي أن**

(١) الذيخ: ذكر الضباع.

أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت».

وعن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «**لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[(١)] فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك**». أخرجاه في الصحيحين. وزاد مسلم: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك**»[(٢)]...

وقوله هنا ﷺ لا أملك لك من الله شيئًا، كقول إبراهيم لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤].

وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعةٌ في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين. وقد قيل: إن بعض أهل البدعة ينكرها.

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم. وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج

---

(١) هو الذهب والفضة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٧)، ومسلم (١٨٣١).

والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها. وعند هؤلاء ما ثَمَّ إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب.

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرّون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قومًا بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قومًا بلا شفاعة...

ومذهب أهل السنة والجماعة -وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم- أن له ﷺ شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر. ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محبًّا له معظمًا له لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به؛ ولهذا لما كان أبو طالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به لم يمكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولا بغيرها.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**[(١)].

وعنه في «صحيح مسلم» قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله تعالى- من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠) عن أنس.

وفي «السنن» عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا**» وفي لفظ قال: «**ومن لقي الله لا يشرك به شيئًا فهو في شفاعتي**»[١].

وهذا الأصل -وهو التوحيد- هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد ذكر الله ﷻ عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. اهـ المقصود.

وقال أيضًا[٢]: وهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون وأبطلها القرآن رأيت من هؤلاء المتفلسفة نفاة الصفات، كابن سينا، ومن ضاهاهم في بعض الأمور التي يجعلونها علوما مضنونا بها على غير أهلها- قد أثبتوا هذه الشفاعة الشركية، وهذه الوسائط الإفكية، مع أن القرآن العزيز مملوء من ذم أهلها، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٢٣، ٢٤٠٤٨)، والطيالسي (١٠٩١)، والترمذي (٢٤٤١)، وابن ماجه (٤٣١٧)، وصححه ابن حبان (٧٢٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٨٤-٣٨٧)، والحاكم (٣٦، ٢٢١، ٢٢٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٤٣٩-٤٤٦/ ح١٤٥٥٢، ١٤٥٥٩، ١٤٥٦٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٧)، وسكت عليه. وصححه الألباني.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ١٤٧).

بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، فنفي أن يكون لغيره معه ملك، أو شريك في الملك، أو مظاهرة له، ولم يثبت من الشفاعة النافعة إلا ما كان بإذنه، وهذه الشفاعة التي يؤمن بها المؤمنون، كشفاعة نبينا محمد ﷺ يوم القيامة، فإنه باتفاق أهل السنة والجماعة له شفاعات في القيامة، حتى يشفع في أهل الكبائر من أمته، كما استفاضت بذلك الأحاديث الصحيحة، كما كان يدعو لهم ويشفع لهم في حياته، وكذلك يشفع غيرُه ممن يأذن الله له في الشفاعة، لكن ليست هي الشفاعة التي يثبتها أصناف المشركين من غير أهل الكتاب، والصابئين، ومن ضاهاهم من أهل الكتاب، كالنصارى، ومن ضاهاهم من هذه الأمة، كالمتفلسفة الملاحدة والإسماعيلية، وكأهل المضنون به(١) وغيرهم، فإنهم جعلوا الشفاعة تنفع بدون دعاء الشافع لله، وبدون إذن الرب له في الشفاعة- كما تقدم- والله تعالى يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأمثال ذلك في كتاب الله ﷻ. اهـ

---

(١) يعني: الفلاسفة الباطنية، وقد ألف لهم أبو حامد الغزالي كتاب «المضنون به على غير أهله» قال فيه شيخ الإسلام في «النبوات» (ص/ ٣٩٨): صنف الكتب المضنون بها على غير أهلها وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا. اهـ

الإجماع على الشفاعة لعصاة الموحدين

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ(١): أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة، بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة.

ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- واستفاضت به السنن، من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضًا لعموم الخلق.

فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يَشْرَكُهُ فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ﷻ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، فزعموا أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقًا. اهـ

إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعة

❁ **قال الشيخ**: قوله: (وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَل بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ) أي: يخرج الله من النار أقوامًا ممن استحق النار من الموحدين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته بمحضِ فضلٍ من الله ورحمته، كما جاءت بذلك النصوص الثابتة عن النبي ﷺ، وذلك لسبق الرحمة الغضب كما في الحديث: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»(٢). اهـ

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص/ ٢٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة.

سعة الجنة وإنشاء أقوام لها

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ).

أي: ينشئ الله لها أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط؛ لأنها وُعِدَت ملأها، فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته، كما أن الأولين يدخلون الجنة بفضله ورحمته، أبلغ من أن يعفى عن أناس؛ لأن الجنة وعدت ملأها وليس فيها تضايق كالنار.

والفرق بين هذه وهذه، مِنْ سَبْقِ الرحمة للغضب من إدخال قومٍ الجنة بغير شفاعة، وأن النار لا تُدخل إلا بذنوب فتمتلئ كما في الحديث، وهذا لِمَا سَبَق من سَبْقِ الرحمةِ الغضبَ، فإن جانب الفضل والرحمة، أغلب من جانب العدل والغضب، وأما النار فلا تمتلئ، بل لا تزال تطلب الزيادة حتى يكمل أهلها فيها، ولا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله، فينزوي بعضها إلى بعض، فيصيرون ملأها بضيق، فتقول: قط قط، ولا ينشئ الله لها كما أنشأ للجنة.

تنبيه على وهم في حديث

ولنعرف أنه جاء في حديث أبي هريرة انقلاب على بعض الرواة: «**أنه ينشئ للنار من يشاء فيُلقون فيها**»، وهذا انقلاب[1]، بل صواب الحديث وصحيحه الثابت: «أن

(١) وقعت هذه الرواية في «صحيح البخاري» (٧٤٤٩) بلفظ: «... فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها...» الحديث، وهو خطأ انقلب على الراوي. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٣٦ - ط: السلفية): قال أبو الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أنَّ الله ينشئ للجنة خلقًا، وأما النار فيضع فيها قدمه، قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا. انتهى... وقد قال جماعة من الأئمة إن هذا الموضع مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه. وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني، واحتج بقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ثم قال: وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب. انتهى. ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح، ولكن لا يعذبون، كما في الخزنة. اهـ

الله ينشئ للجنة خلقًا فيسكنهم فضل الجنة»[١]. اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة، ويبقى في الجنة فضل، فينشئ الله لها خلقًا آخر يدخلهم الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ. اهـ

علوم الآخرة مفصلة في القرآن والسنة

قوله: (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةِ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ العِلمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ اِبْتَغَاهُ وَجَدَه).

❁ قال الشيخ: يقول: وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة ما أُعدّ فيها من الحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك كلها معلومة مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، وفي الآثار من العلم المأثور عن الأنبياء. وفي العلم الموروث عن النبي محمد ﷺ، من ذلك ما يشفي ويكفي مما تضمنه الكتاب والسنة، بل في القرآن والسنة أعظم وأكثر مما سواهما من الكتب، بل ما جاء عن النبي ﷺ أشمل مما جاء في الكتب السابقة وأخبار الماضين، فمن ابتغاه تطلّبه وتتبعه في مظانه فيها وجده مبينًا موضحًا في كتب التفاسير والسنن والصحاح وغيرها من كتب الحديث، فإن في ذلك من التفاصيل شيء كثير.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٩).

وكأن المصنف رأى أنه أَقلّ في المقام، ولكن المقام لا يتحمل وينبغي أن يُتطلّب، فأحال بقوله: «وتفاصيل ذلك...» إلخ. اهـ

❁ **الهراس**: اعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، كما هو ثابت بالسمع، وقد نبه الله العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦]، فإنه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سدى مهملين، ولا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. فإن العقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره أشد الإنكار، وكذلك نبههم الله على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إكرام الطائعين، وخذلان الطاغين.

وأما تفاصيل الأجزية ومقاديرها فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله. اهـ

الإيمان بالقدر

قال المصنف رحمه الله: (وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ؛ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

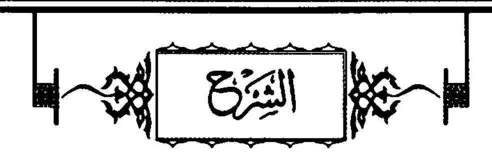
وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ؛ إِلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ. لا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لا يُرِيدُ.

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاه).



❁ **ابن باز**: هذا البحث من أنفس البحوث، ومن أجمعها، وهو بحث نفيس عظيم فيما يتعلق بالقدر، وقد بسطه المؤلف وأوضحه، كما بسط ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله أيضًا في «شفا العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، فالمؤلف هنا بين أمر القدر بيانًا شافيًا جيدًا، فمن أصول أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية: الإيمان بالقدر خيره وشره، فالفرقة الناجية تؤمن بالقدر خيره وشره من جميع الوجوه، وإيمانها بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين، فالإيمان بالقدر يتضمن أربعة أشياء، ويقال: له أربع مراتب، من استكملها استكمل الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم، وأنّ الله علم الأشياء كلها.

والثانية: الكتابة.

والثالثة: المشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

والرابعة: الخلق والإيجاد، وأن الله خالق الأشياء كلها، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى، ليس له شريك في الخلق والتدبير، فهذه مراتب القدر، أربع مراتب، «علم الله بالأشياء»، فعلمه محيط بكل شيء، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا علمه القديم؛ إذ لم يزل موصوفًا به أزلاً وأبدًا، لا يعزب عن علمه شيء: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١]، فجميع الحوادث والكائنات في الدنيا

والآخرة كلها معلومة له، لا تخفى عليه خافية جل وعلا، وهي مكتوبة -أيضًا مع العلم- كتابةً، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء**»(١)، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء، جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. اهـ

❁ **السعدي**: اعلم أن الإيمان بالقدر أمره عظيم وشأنه مهم جدًّا، وهو أحد أركان الإيمان الستة وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال، فضلًا عن المنكرين من الملحدين وغيرهم. وقد فصله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النفيس، الذي لا يوجد له نظير في تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه، وهو مجموع من نصوص الكتاب والسنة، ومن العقيدة السلفية الخالصة.

فذكر: أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة.

وذلك: أنه ثبتت نصوص الكتاب والسنة بإحاطة علم الله بجميع الموجودات السابقة والحاضرة والمستقبلة من أعيان وأوصاف وأفعال للمكلفين وغيرهم.

وثبتت النصوص أيضا: أن الله أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها باللوحِ المحفوظ في نصوصٍ لا يمكن إحصاؤها.

وثبتت النصوص أيضا: أن مشيئة الله عامة وإرادته القدرية شاملة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير، ولا عين، ولا فعل، ولا وصف، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والنصوص على شمول قدرة الله ومشيئته لكل حادث لا تحصى. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو.

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ). أي: تؤمن الفرقة الناجية- من النار، والناجية من بين الفرق أهلُ السنة والجماعة -بالقدر، وهذا آخر أصول الإيمان الستة المتقدم ذكرها في أول هذه العقيدة المختصرة، وتقدم لك ما يتعلق بالخمسة الأُوَلِ، وهذا الفصل مما يتعلق بالسادس وهو القدر، والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الأصول الستة، وما بعد ذلك شرحٌ، منه ما هو ببسط ومنها دون ذلك، فالذي تكلم فيه ووقع فيه النزاع وكثر بين أهل السنة والمبتدعين أطال فيها، والتي لم يتنازع فيها ذكر منها كالإشارة. ولم يقل: «فصل: ومن أصول أهل السنة، الإيمان بقدرة الله، والإيمان بكتب الله، والإيمان برسل الله». وذلك لأن المبتدعة لم يكن لهم كلام فيه ولا نزاع، إنما ذكر الذي فيه النـزاع القدر مسألة الإيمان به، فإن القدرية النفاةَ والمجبرةَ، انحرفوا عن الصراط المستقيم فاحتيج لبعض التطويل في ذلك.

والقدر: من التقدير وهو التهيئة. اهـ

منزلة الإيمان بالقدر من الدين

❁ **العثيمين**: الإيمان بالقضاء والقدر واجب، ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر: أن تؤمن بأن كل ما في الكون من موجودات ومعدومات عامة وخاصة، فإنه بمشيئة الله وخلقه، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. اهـ



---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما.

❁ **آل الشيخ**: قوله: (خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) كما جاء في بعض ألفاظ الحديث، قدر مقادير الخلائق بما يلائم الخلق من أمور دينهم ودنياهم، جميع ما كان في الأديان والأبدان، والخير والشر، والصحة والمرض، ونحو ذلك، فهو بقضاء الله وقدره، فما من خير في الأديان والأبدان، فهو بقضاء الله وقدره، وما من شر في الأديان والأبدان فهو بقضاء الله وقدره. اهـ

مراتبُ القدَرِ

قوله: (وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالخَلقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلقِ).

❁ **آل الشيخ**: كل درجة واحدة منهما تتضمن شيئين، فمن آمن بها كلها حقيقة فقد آمن بالقدر، ومن كفر بها أو ببعضها فقد كفر بالقدر.

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون من خير وشر، جارين عليه من خير أو شر، عَلِمَه بعِلْمِه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق سعتها وضيقها، والآجال طول الأعمار وقصرها، والأجسام صحتها وسقمها، وكذا وكذا، إلى ما لا يحصى، والآثار، وجميع تفاصيل ما هو صائر منهم، عَلِمه بعلْمِه القديم، فعَلِم تفاصيل ما هو صادر منهم، وما هو جار منهم، وما هم صائرون إليه.

وهذا الشيء الأول من هذه الدرجة الأولى: الإيمان بعلم الله الأشياء، أنه علمها في الأزل علمًا تفصيليًّا.

والشيء الثاني من الدرجة الأولى: الإيمان بالكتابة، أنه كتب ما هو عالم، ورسم أن الخلق عاملوه، ويأتي الشيئان، فتجتمع حقيقة الإيمان بالقدر في هذه الأربعة، فصار الإيمان بالقدر في الحقيقة ينتظم الإيمان بأربعة أشياء. اهـ

❁ **الهراس**: الدرجة الأولى تتضمن:

أولًا: الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلًا وأبدًا كلَّ ما سيعمله الخلق فيما لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال.

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف، ويقع من أفعال وأحداث، فهو مطابق لما علمه الله ﷻ أزلًا.

ثانيًا: أنَّ الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ. اهـ

درجات الإيمان بالقضاء والقدر

❁ **العثيمين**: للإيمان بالقدر درجتان كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى تتضمن العلم والكتابة، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

فالعلم أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا.

والكتابة هي أن تؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ بحسب علمه وهي أنواع.

النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ودليلها قوله ﷺ: «**إن الله لما خلق القلم قال له: اكتب، قال: رب وماذا**

أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[١].

النوع الثاني: الكتابة العمرية، وهي ما يكتبه الملك الموكل بالأرحام على الجنين في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر، فيؤمر الملك بكتب، رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. ودليله حديث ابن مسعود ﷺ الثابت في الصحيحين، وهذه الدرجة ينكرها غلاة القدرية قديمًا.

وأما الدرجة الثانية فتتضمن شيئين: المشيئة، والخلق. ودليل المشيئة قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. ودليل الخلق قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾.

فأما المشيئة فهي أن تؤمن بمشيئة الله العامة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، سواء في ذلك أفعاله أو أفعال الخلق، كما قال تعالى في أفعاله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾. وقال في أفعال خلقه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

وأما الخلق فهو أن تؤمن أن الله خالق كل شيء، سواء من فعله أو أفعال عباده.

دليل الخلق في فعله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

ودليل الخلق في أفعال العباد قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

ووجه كونه خالقًا لأفعال العباد: أن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة، وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، والبزار (٢٦٨٧)، والطيالسي (٥٧٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٦٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨، ٥٩، ١٩٤٩) بإسناد حسن من حديث عبادة بن الصامت. وقال الترمذي: حسن غريب.

مراتب القدر

❁ **ابن باز**: مراتب القدر أربع، وإن شئت سميتها أشياء بدلًا من مراتب، كما سماها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأولى: علم الله بجميع الأشياء، وعلمه بجميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، وغير ذلك فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلًا وأبدًا، لا يغيب عن علمه شيء، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الثانية: كتابته لجميع الأشياء، فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ الآية.

الثالثة: مشيئة الله النافذة في كل شيء وقدرته على كل شيء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الرابعة: الإيمان بأن الله خالق الأشياء وموجدها، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، والمراد بالعالمين جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. اهـ



أولية خلق القلم

قوله: (فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).

❁ **آل الشيخ**: هذا من جملة الأحاديث المثبتة للقدر، وأول ما خلق الله القلم بالنسبة إلى هذا الكون المشاهد، وإلا فالعرش موجود مخلوق قبله، كما في الأحاديث. اهـ

❁ **الهراس**: فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال، والأوصاف، والأفعال ودقيق الأمور وجليلها، قد أمر القلم بكتابته، كما قال ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف: «**أوَّلَ ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»(٢).

و (أولَ) هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال) أي: قال له ذلك أولَ ما خلقه، وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره (القلم)؛ ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم أيهما خلق أولًا؟

وحكى العلامة ابن القيم في ذلك قولين، واختار أن العرش مخلوق قبل القلم، قال في (النونية):

والناس مختلفون في القلم الذي ❁ كُتِبَ القضاء به من الديانِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق ...» الحديث.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

هل كان قبل العرش أو هو بعده؟ * قولان عند أبي العلا الهمداني

والحقُّ أن العرشَ قبلُ لأنه * وقت الكتابة كان ذا أركان

وكتابة القلم الشريف تعقبت * إيجاده من غير فصل زمانِ[(١)]

وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[(٢)]. اهـ

* **قال المصنف**[(٣)]: والله سبحانه قدر وكتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[(٤)]. وفي البخاري عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض**» وفي رواية: «**ثم خلق السموات والأرض**»[(٥)]. فقد قدر سبحانه ما يريد أن يخلقه من هذا العالم، حين كان عرشه على الماء إلى يوم القيامة كما في «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: ما أكتب؟ فقال: اكتب ما يكون إلى**

---

(١) أي: تعقَّبت إيجاد القلم هذا على أنَّ كلمة «أولَّ» منصوبة على الظرفية.

(٢) يعني: قوله: كنت خلف النبي ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**». رواه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، واللفظ لهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١٣٦).

(٤) تقدم أن عند مسلم (٢٦٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣١٩١، ٧٤١٨).

يوم القيامة»[١]. وأحاديث تقديره سبحانه وكتابته لما يريد أن يخلقه كثيرة جدًّا. روى ابن أبي حاتم عن الضحاك، أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فقال: قال ابن عباس: إن الله قدر المقادير بقدرته، ودبر الأمور بحكمته، وعلم ما العباد صائرون إليه، وما هو خالق وكائن من خلقه، فخلق الله لذلك جنة ونارًا، فجعل الجنة لأوليائه، وعرفهم، وأحبهم، وتولاهم، ووفَّقهم، وعصمهم، وترك أهل النار استحوذ عليهم إبليس، وأضلهم، وأزلهم، فخلق لكل شيء ما يشاكله في خلقه ما يصلحه من رزقه في بر أو في بحر، فجعل للبعير خلقًا لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب، وكذلك كل دابة خلق الله له منها ما يشاكلها في خلقها، فخلقه مؤتلف لما خلقه له غير مختلف. قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، ثنا يحيى بن زكريا بن مهران القزاز، نا حبان بن عبيد الله، قال: سألت الضحاك عن هذه الآية ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] قال الضحاك: قال ابن عباس فذكره.

وقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا طلحة بن سنان، عن عاصم، عن الحسن قال: من كذب بالقدر فقد كذب بالحق، خلق الله خلقًا، وأجّل أجلًا، وقدّر رزقًا، وقدر مصيبة، وقدر بلاء، وقدر عافية، فمن كفر بالقدر فقد كفر بالقرآن.

وقال: حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جريح، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلِّمَ في القدر. فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩] أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين.

---

(١) تقدم قريبًا.

* **وقال أيضًا**: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا سهل الخياط، ثنا أبو صالح الحداني، نا حبان بن عبيد الله، قال: سألت الضحاك عن قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢]. قال: قال ابن عباس: إن الله خلق العرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم فأمره ليجري بإذنه، وعظمُ القلم كقدر ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بما يا رب أجري؟ فقال. «**بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر، أو نبات، أو نفس، أو أثر يعني به العمل، أو رزق، أو أجل**». فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش. اهـ

---

* **قال الشيخ**: قوله: (**فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ**).

أي: فما أصاب الإنسان مما علم الله وكتبه لم يكن ليخطئه، ولو اجتمع أهل السموات والأرض، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذا نتيجة وحقيقة الإيمان بالقدر. جفت الأقلام التي كتبت بها المقادير، وطُويت الصحف على ما كتب فيها، فلا تغيير ولا تبديل.

وقوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]).

أي: قبل أن نبرأ الأرض، وقيل: الأنفس. وقيل: المصيبة، والحقيقة: أنه يعود إليها كلها، والصحيح أنه عام في كل شيء، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾. فهذان شيئان تتضمنهما هذه الدرجة. اهـ

الإجمال والتفصيل في القدر

قوله: (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «وهذا التقدير» أي: قَدَر الكتابة التي هي الثاني من أنواع القدر «**التابع لعلمه سبحانه**»، فإن الكتابة تابعة لعلمه سبحانه، «**يكون في مواضع جملةً**»: يعني: أنه أقسام وأنواع، بعضها جملة، وبعضها تفصيل لبعض، منها ما هو كتابته جملة، ومنها ما كتابته تفصيلًا، ولكن ما بعد الجملة يكون تابعًا للجملة. اهـ

❁ **ابن باز**: القدر له تفصيل، فالقدر السابق قدر قد حصل منه قدر مفصّل، وهو التقدير للجنين في بطن أمه، والتقدير الذي يكون في ليلة القدر، والتقدير الذي وقع حين خلق آدم ومسح الله ذريته من ظهره، وهذا تقدير مفصل، التقدير العمري، والتقدير السنوي في ليلة القدر، والتقدير اليومي، كلها تفاصيل للقدر السابق، لا يخرج جنين ولا غيره عمّا كتب له في القدر السابق؛ ولهذا لما قال الصحابة: يا رسول الله، إذا كانت مقاعدنا من الجنة والنار معلومة، وكل شيء مقدّر، ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسَّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1] [الليل: ٤-١٠].

هذا بحث عظيم ينبغي حفظه وضبطه؛ لأن به تخالف جميع فرق البدع والضلالة، بهذا الاعتقاد تخالف القدرية النفاة، والمجبرة، جميعهم تخالفهم، وتعتقد اعتقاد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. اهـ



(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

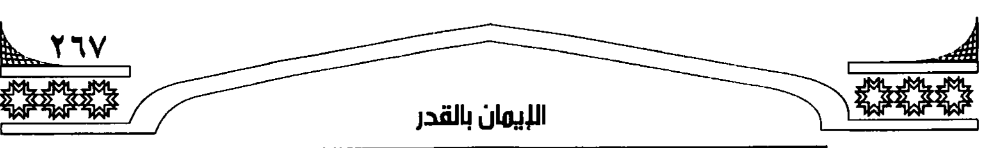
قوله: (فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد وَنَحْوَ ذَلِكَ).

❋ آل الشيخ: أي: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وهذا الكتاب الأول، ليس فيه تغيير أبدًا، ألا ترى أنه قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] هذا هو الجملة، ومن هذه الجملة تفاصيل، منها عند تخليق الجنين، وجاء أنه يقال لَمَلَكِ الأرحام: ارجع فانظر إلى قصة هذه النطفة. هذا نوع من أنواع التفصيل من الجملة الأولى، وهو راجع إليها.

ومنه ما يكون في ليلة القدر، وكذلك الذي في خبر ابن عباس ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة... إلخ[1]، فهذا كله تفصيل من القدر. اهـ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (ج١٠/ ص٢٦٠، ح١٠٦٠٥) بسند حسن عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس قال: لوددت أن عندي رجلًا من أهل القدر فوجأت رأسه. قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء».
ورواه بنحوه الحاكم في المستدرك (٣٧٧١)، واللالكائي في «أصول السنة» (١٢٢٥) والطبري (٢٣/ ٤٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٢) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» من طريق أخرى موقوفًا بلفظ: «إن مما خلق الله لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوته حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل مرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾».. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين ورجال هذه ثقات. اهـ
وقد روي مرفوعًا لكنه لا يصح، قال الشيخ الألباني في «تخريج شرح الطحاوية»: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وفيه زياد بن عبد الله -وهو البكائي- عن ليث -وهو ابن أبي سليم- وكلاهما ضعيف. وقد رواه الطبراني من طريق أخرى نحوه، عن ابن عباس موقوفًا عليه، وإسناده يحتمل التحسين، فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب، وهو الكوفي قال فيه أبو حاتم: شيخ. وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ
قلت: وأثر ابن عباس له حكم الرفع؛ لأنه لا يقال بالرأي.



* **الهراس**: وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملة،؛ كما في اللوح المحفوظ؛ فإن فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلًا يخص كل فرد، كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين، يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. اهـ

فهذا تقدير خاص.

قال المصنف(١): والتقدير والكتابة تكون تفصيلًا بعد جملة، فالله تعالى لما قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، لم يظهر ذلك التقدير للملائكة، ولما خلق آدم قبل أن ينفخ فيه الروح أظهر لهم ما قدّره، كما يظهر لهم ذلك من كل مولود، كما في الصحيح، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**» وفي طريق آخر وفي رواية «**ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**»(٢).

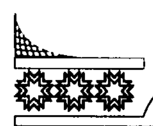
فأخبر ﷺ في هذا الحديث الصحيح: أن الملك يؤمر بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، بعد خلق جسد ابن آدم، وقبل نفخ الروح فيه. فكان ما كتبه الله من نبوة محمد ﷺ الذي هو سيد ولد آدم بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه من هذا الجنس، كما في الحديث الآخر الذي في المسند وغيره عن العرباض بن سارية، عن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»(٣) وهذا وأمثاله من وجود الأعيان في الصحف. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

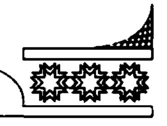
(٣) أخرجه أحمد (١٧١٥٠، ١٧١٦٣)، والبزار (٤١٩٩)، والطبراني في «تفسيره» (٢٠٧١، ٢٠٧٣)، والحاكم (٤١٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٣)، و«الشعب» (١٣٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٨٩، ٩٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.



❁ **آل الشيخ**: قوله: (**فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ**). يعني الكتابة قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا- يعني: الذين خرجوا في زمن الصحابة، كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد، وأتباعهما- يقولون: لا قدر. يعني: أن الأمر أُنُف -مستأنف-. وقال الإمام الشافعي: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوه كفروا. يعني: أن كفرهم من هذه الناحية أشهر، فإنهم إن جحدوا العلم فقد جحدوا سابق علم الله. ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: القدر: قدرة الله. واستحسنه ابن عقيل. ومراده أن هذه جملة هامة عظيمة في هذا الباب، وفي ضمنها بطلان ما سلكوه من إنكار أن الله على كل شيءٍ قدير. ومراد أحمد - رحمة الله عليه- يعني: من آمن بالقدرة فإنها حجة على القدر، ومن أنكر قدرة الله على الأشياء فقد أنكر قدر الله. يعني: فمن أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله. يعني: وأي شيء يستنكر مِنْ كَتْب الله تعالى إذا كان قد علمه فما المانع من الكتابة؟! وحديث: «**إن الأمر أنف**»[1] يعني: يستأنف الله ما يقضيه إذا أراده. يعني: يجد له قدرًا، يعني وأن لا قدر سابق. «**يتقفرون العلم**»: يعني يخوضون فيما لم يسبقهم إليه أحد، وفي رواية: «**يفقرون**» يعني: يتكلفون؛ لكونهم بحثوا فيما لم يتعبد الخلق العلم بها، بل تعبدوا بالسكوت عنها.

---

(١) رواه مسلم (٨) وغيره عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قِبَلَنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب..ثم ذكر حديث جبريل الطويل، وفيه: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».



قوله: (وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ) أي: في زمن الشيخ ومن يليه، فالذين في زمن المصنف نفاة لا ينكرون هذا، بل ينكرون غيره من أنواع القدر، أو المُجْبِرَةُ، وهم أكثر من النافية. اهـ

* **الهراس**: وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، مثل معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وكانوا يقولون: إن الأمر أنف.

ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ

مجمل مذهب السلف في القدر

* **قال المصنف**[(١)]: مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٤٩).

المخالفون في القدر

وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف: أي مستأنف.

وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان، في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية، في أواخر عصر عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم وأنكروا مقالتهم، كما قال عبد الله بن عمر -لما أخبر عنهم-: إذا لقيت أولئك فأخبرهم، أني بريء منهم[١]. وأنهم برآء مني. وكذلك كلام ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير، حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون.

ثم كثر خوض الناس في القدر، فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق، لكن ينكرون عموم مشيئة الله، وعموم خلقه وقدرته[٢]، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره، فما شاءه فقد أمر به، وما لم يشأه لم يأمر به. فلزمهم أن يقولوا: إنه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء. وأنكروا أن يكون الله تعالى خالقًا لأفعال العباد، أو قادرا عليها، أو أن يخص بعض عباده من النعم بما يقتضي إيمانهم به وطاعتهم له.

وزعموا أن نعمته - التي يمكن بها الإيمان والعمل الصالح - على الكفار كأبي لهب، وأبي جهل، مثل نعمته بذلك على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، بمنزلة رجل

---

(١) تقدم تخريجه وأنه في صحيح مسلم (٨).

(٢) وهذه مقالة المعتزلة وأصلهم الذي يسمونه «العدل».

دفع لأولاده مالًا فقسمه بينهم بالسوية، لكن هؤلاء أحدثوا أعمالهم الصالحة، وهؤلاء أحدثوا أعمالهم الفاسدة، من غير نعمة خص الله بها المؤمنين وهذا قول باطل. وقد قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]. وقد أمرنا الله أن نقول في صلاتنا: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. وقال أهل الجنة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال الخليل، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨]. وقال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ [إبراهيم: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] ونصوص الكتاب والسنة وسلف الأمة المبينة لهذه الأصول كثيرة، مع ما في ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك. اهـ

أصناف المنازعين في القدر

* **قال المصنف أيضًا**[1]: وإنما نازع في ذلك غلاة القدرية وظنوا أن تقدم العلم يمنع الأمر والنهي، وصاروا فريقين:

١- فريق أقروا بالأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب، وهؤلاء نبغوا في أواخر عصر الصحابة، فلما سمع الصحابة بدعهم تبرؤوا منهم كما تبرؤوا منهم، ورد عليهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم، وقد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٨٨).

نص الأئمة، كمالك، والشافعي، وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم.

٢- والفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه، لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضي له بالسعادة دخل الجنة بلا عمل أصلًا، ومن قضي عليه بالشقاوة شقي بلا عمل، فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات، وإنما يقوله كثير من جهال الناس.

وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلًا، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير.

وأما جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات.

وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون ليس للعبد قدرة ولا إرادة حقيقية، ولا هو فاعل حقيقة، وكل هؤلاء مبتدعة ضلال.

وشر من هؤلاء من يجعل خلق الأفعال وإرادة الله الكائنات مانعةً من الأمر والنهي، كالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، ومضمون قولهم تعطيل جميع ما جاءت به الرسل كلهم من الأمر والنهي. اهـ

أقسام القدر التفصيلية

* **ابن باز**: أقسام القدر أربعة:

الأول: التقدير العام، وهو تقدير الرب لجميع الأشياء بمعنى: علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لما كان منها. ويدل على هذا النوع دلائل كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ الآية، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[1].

القسم الثاني: تقدير عمري، وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابة شقاوته وسعادته، وقد دل عليه حديث ابن مسعود المخرج في الصحيحين مرفوعًا: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد...**» الحديث[2].

الثالث: التقدير السنوي، وذلك يكون في ليلة القدر، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قيل: يكتب في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت، وعز، وذل، وغير ذلك. روي هذا عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف.

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

الرابع: التقدير اليومي، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ولأثر عن ابن عباس: إن لله لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم كذا وكذا نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل ما يشاء. أخرجه ابن جرير، وفي إسناده أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف، ورمي بالرفض، فلا يعتمد عليه[(١)]. وأخرج ابن جرير عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه، وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ وتفسير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين». علقه البخاري عن أبي الدرداء موقوفًا[(٢)]. اهـ

المشيئة والقدرة

قوله: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ؛ إِلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ).

* **آل الشيخ**: تقدم أن الإيمان بالقدر على درجتين، وتقدمت الدرجة الأولى، وأنها تتضمن شيئين، وأن أحدهما: أن الله عَلِم... إلخ، والثاني: أنه كتب ما علمه في اللوح

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مرفوعًا ابن ماجه (٢٠٢)، والبزار (٤١٠٠)، وابن حبان (٦٨٩)، والطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» (٣١٤٠)، و«مسند الشاميين» (٢٢٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٦٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وفي «الآحاد» (٢٣١٦)، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (١/ ٢٨): هذا إسناد حسن. اهـ وحسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجة» (١٩٨)، و«ظلال الجنة» (٣٠١).
والمعلق الموقوف ذكره البخاري في تفسير سورة الرحمن من صحيحه.
قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٢): قال الدارقطني: وقد روي موقوفًا وهو الصواب. اهـ

المحفوظ... إلخ. وهذه الدرجة الثانية، وهي تتضمن شيئين: الأول الإيمان بالإرادة والمشيئة، والثاني: الإيمان بخلق الله الكائنات بقدرته ﷻ.

قوله: «**فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، و**» حقيقة ذلك وإيضاحه: «**هو الإيمان بأن ما شاء الله كان**»، ولا يريد شيئًا إلا يكون بكل حال، «**وما لم يشأ لم يكن**». وهذه كلمة المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ومقتضى أن ما شاء الله كان أن ما لم يشأ لا يكون. «**وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد**» فما من شيء واقع إلا وقد شاءه الله ولابد، وما لم يشأ فلا يكون أبدًا، ولا يكون شيء طاعة أو معصية إلا الله شاءه. «**وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات**» التي لم تفعل والممكن وجوده. أما المستحيلات فليست شيئًا حتى تشمل بالعلم والقدرة[(١)].

«**فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه**» وموجده، هذا من مضمون: ما شاء الله كان. «**لا خالق غيره، ولا ربّ سواه**» فشاء ما في الكون وأوجده بقدرته ومشيئته، فصار ما في الكون بهذين الشيئين.

فصار الإيمان بالقدر ينتظم أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بعلم الله القديم.

الثاني: الإيمان بأن ما علمه كتبه في السابق.

الثالث: الإيمان بأن ما شاء الله كان.

---

(١) وعلى هذا لا يقال: هل يقدر الله على إيجاد المستحيل؛ لأن المستحيل ليس شيئًا حتى يدخل في المعلومات والمقدورات، وهذا هو الجواب الصحيح، وليس كقول بعضهم: إنه لا يقدر على ذلك. أو قول بعضهم: إنه قادر عليه، كابن حزم حيث قال في «المحلى» (١/ ٣٣): وقدرته عز وجل وقوته حق لا يعجز عن شيء ولا عن كل ما يسأل عنه السائل من محال أو غيره مما لا يكون أبدًا. اهـ

الرابع: الإيمان بأن ما من موجود إلا الله موجده، وأن اللهَ كوَّن ما في الوجود: أجزاءَه، وأفعالَه، وصفاتِه. فما من موجود من الموجودات إلا وهو مشمول بهذه الأربعة: الإيمان بعلمه تعالى السابق، والإيمان بأن الله كتب في الأزل ما عَلِمه كائنًا، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، والإيمان بأنه ما من موجود إلا وهو موجده. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وأما الدرجة الثانية من القدر..» إلخ، فهي تتضمن شيئين أيضا:

أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائن، سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.

وثانيهما: الإيمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقة له، لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. اهـ

❁ **ابن باز**: الدرجة الثانية تشتمل على شيئين أيضًا: المشيئة، والخلق والإيجاد. فمشيئة الله نافذة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق لكل شيء جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، فهو سبحانه علم الأشياء وكتبها، وهو الخالق لها، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ

الفرق بين المشيئة والإرادة

❁ **ابن باز**: المشيئة بمعنى الإرادة الكونية. يعني أن مشيئته نافذة لا يردها شيء، ما شاء الله كان، من موت، أو حياة، أو عز قوم، أو ذل قوم، أو زوال ملك، أو ثبات ملك، أو ولادة أو عدمها، كل ذلك نافذ ما شاء الله، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلى غير ذلك.

والإرادة قسمان:

١- إرادة كونية: كالمشيئة النافذة، التي لا يردها راد، مثل المشيئة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١]، فهذه إرادة كونية نافذة كالمشيئة لا راد لها.

٢- أما الإرادة الشرعية: التي بمعنى المحبة والرضا فهذه تقع، وقد لا تقع، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٦-٢٧]، فهذه إرادة شرعية قد تقع، وقد لا تقع، يريد الله أن يهدي الناس جميعًا، يريد أن يتوب عليهم، لكن إرادة شرعية، أكثر الخلق ما تيب عليهم، أكثرهم يموت على الكفر.

فالإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، فالله أراد شرعًا للإنسان أن يقبل الحق، ويتبع الرسل، وأن يطيع الله، ثم منهم من أطاع ومنهم من عصى، فمن أطاعه فله الجنة، ومن عصاه فله النار، كما قال جل وعلا: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣-١٤]، كلهم موعودون، فمن أطاع باختياره وإرادته فله الجنة، ومن عصاه فله النار.

هذه الإرادة الشرعية، أما الكونية فلا يخالفها أحد، ما أراد الله أنه يقع كونًا فإنه يقع، من هلاك قوم وعزهم، أو موت فلان، أو حياته، أو زوال ملك فلان، أو بقائه، أو غير ذلك، فالإرادة الكونية مثل المشيئة مرادها نافذ. اهـ

* **ابن مانع**: الإرادة نوعان: إحداهما: الإرادة الكونية المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. والثانية: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق بها النوع الأول من الإرادة. وفي أوائل فتح المجيد بحث مفيد في الفرق بين الإرادتين فليراجعه طالب التحقيق. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**[1]: الإرادة نوعان:

١- نوع بمعنى المشيئة لما خلق، فهذا متناول لكل حادث دون ما لا يحدث.

٢- ونوع بمعنى المحبة لما أمر به، فهذا إنما يتعلق بالطاعات.

وإذا كان كذلك، فما وقع من المعاصي فهو مراد بالمعنى الأول فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما وقع فقد شاء كونَه. والزجرُ عنها مراد بالمعنى الثاني، فإنه يحب النهي عن المنكر، ويرضاه، ويثيب فاعله، بخلاف المنكر نفسه فإنه لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يثيب فاعله.

ثم الزجر إنما يكون عما لم يقع، والعقوبة تكون على ما وقع، فإذا وقعت سرقة بالقضاء والقدر، وقد أمر الله سبحانه بإقامة الحد فيها، فإقامة الحد مأمور به، يحبه ويرضاه ويريده إرادة أمر، لا إرادة خلق، فإن أعان عليه كان قد أراده خلقًا، وكان حينئذ إقامة الحد مرادة شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا، قد شاءها وأحبها، وإن لم يقع كان ما وقع من المعصية قد شاءه خلقًا ولم يرده ولم يحبه شرعًا. ويذكر أن رجلًا سرق، فقال لعمر: سرقت بقضاء الله وقدره. فقال له: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره.

وهكذا يقال لمن تعدى حدود الله، وأعان العباد على عقوبته الشرعية، كما يعين المسلمين على جهاد الكفار: إن الجميع واقع بقضاء الله وقدره، لكن ما أمر به يحبه، ويرضاه، ويريده شرعًا ودينًا، كما شاءه خلقًا وكونًا، بخلاف ما نهى عنه. اهـ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٣٤).

الفرق بين الأمور الشرعية والأمور الكونية

قال المصنف رحمه الله[(١)]: الإرادة، والإذن، والكتاب، والحكم، والقضاء، والتحريم، وغيرها، كالأمر والبعث والإرسال، ينقسم في كتاب الله إلى نوعين:

أحدهما: ما يتعلق بالأمور الدينية التي يحبها الله تعالى ويرضاها، ويثيب أصحابها، ويدخلهم الجنة، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين وعباده الصالحين.

والثاني: ما يتعلق بالحوادث الكونية، التي قدّرها الله وقضاها، مما يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم، ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية، فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته، مقهورة بحكمته، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه، له الخلق والأمر، وكل ما سواه مربوب له مدبر مقهور، لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً، ولا نشورًا، بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات، والله غني عنه، كما أنه الغني عن جميع المخلوقات، وهذا الشهود في نفسه حق، لكن طائفة قصرت عنه -وهم القدرية المجوسية[(٢)]- وطائفة وقفت عنده، وهم القدرية المشركية[(٣)].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٨).

(٢) هم المعتزلة نفاة القدر.

(٣) هم الجبرية الذين يحتجون بالقدر على فعل المعاصي، كحال المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية.

أما الأولون: فهم الذين زعموا أن في المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله ومشيئته وخلقه، كأفعال العباد، وغلاتهم أنكروا علمه القديم وكتابه السابق، وهؤلاء هم أول من حَدَثَ من القدرية في هذه الأمة، فرد عليهم الصحابة وسلف الأمة وتبرؤوا منهم.

وأما الطائفة الثانية فهم شر منهم، وهم طوائف من أهل السلوك، والإرادة، والتأله، والتصوف، والفقر، ونحوهم، يشهدون هذه الحقيقة، ورأوا أن الله خالق المخلوقات كلها، فهو خالق أفعال العباد، ومريد جميع الكائنات، ولم يميزوا بعد ذلك بين إيمان وكفر، ولا عرفان ولا نكر، ولا حق ولا باطل، ولا مهتدٍ ولا ضال، ولا راشد ولا غوي، ولا نبي ولا متنبئ، ولا ولي لله ولا عدو، ولا مرضي لله ولا مسخوط، ولا محبوب لله ولا ممقوت، ولا بين العدل والظلم، ولا بين البِر والعقوق، ولا بين أعمال أهل الجنة وأعمال أهل النار، ولا بين الأبرار والفجار، حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاء السابق، والمشيئة النافذة، والقدرة الشاملة، والخلق العام، فشهدوا المشتَرَك بين المخلوقات وعَمُوا عن الفارق بينهما، وصاروا ممن يخاطَب بقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ومنه قول النبي ﷺ: **«أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يتجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، وذرأ، وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقا يطرق بخير، يا رحمن»**(١)، فالكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ليست هي أمره ونهيه الشرعيين، فإن الفجار عصوا أمره ونهيه، بل هي التي بها يكوِّن الكائنات.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٧)، وسنده صحيح.

وأما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره ونهيه الشرعيين فمثل الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال ﷺ: «**واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»(١).

وأما قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥] فإنه يعم النوعين.. إلخ.

فصل في تقدير أهل الجنة وأهل النار

قال المصنف رحمه الله(٢): هذا المعنى مشهور عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، مثل ما في «موطأ مالك» و«سنن أبي داود» والنسائي وغيره عن مسلم بن يسار، وفي لفظ عن نعيم بن ربيعة أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية فقال عمر عن رسول الله ﷺ، وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**» فقال رجل: يا رسول الله فَفِيْمَ العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر في خطبة النبي ﷺ بعرفة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٦٥).

(٣) أخرجه مالك (١٥٩٣)، وأحمد (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥) وقال: هذا حديث حسن، والبزار (١١١٢٦)، والحاكم (٧٤)، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وقال الذهبي: فيه إرسال. ورواه الحاكم من طريق مالك (٣٢٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

=

وفي حديث الحكم بن سنان، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله قبض قبضة فقال: إلى الجنة برحمتي وقبض قبضة فقال: إلى النار ولا أبالي**»[(١)] وهذا الحديث ونحوه فيه فصلان:

أحدهما: القدر السابق، وهو أن الله سبحانه عَلِمَ أهلَ الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال، وهذا حق يجب الإيمان به، بل قد نص الأئمة- كمالك، والشافعي، وأحمد- أن من جحد هذا فقد كفر، بل يجب الإيمان أن الله علم ما سيكون كله، قبل أن يكون، ويجب الإيمان بما أخبر به من أنه كتب ذلك وأخبر به قبل أن يكون، كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[(٢)]، وفي «صحيح البخاري» وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان الله**

=

ورواه الحاكم (٤٠٠١) من طريق مالك أيضًا وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والإرسال الذي أشار إليه الذهبي آنفًا قد حكاه الترمذي فقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في الإسناد بين مسلم وبين عمر رجلاً. اهـ

وعلق عليه الحافظ عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الكبرى» (٤/ ١٠٨) مصححًا للحديث: الرجل المذكور بين مسلم وعمر هو نعيم بن ربيعة، ذكر ذلك أبو جعفر الطحاوي، ووصل الحديث، قال أبو جعفر: فجاز لنا إدخال هذا الحديث في الأحاديث المتصلة. اهـ

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٢، ٣٤٥٣)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٨)، وفيه ضعف، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٦): فيه الحكم بن سنان الباهلي، قال أبو حاتم: عنده وهم كثير وليس بالقوي، ومحله الصدق، كتب حديثه، وضعفه الجمهور. اهـ

وله شاهد أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٦٤، ٢٠٦٦٨)، بسند صحيح على شرط مسلم، عن أبي نضرة قال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى -يعني: بيده الأخرى- فقال: هذه لهذه ولا أبالي**»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٨٤).

(٢) تقدم تخريجه.

ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض» -وفي لفظ- «ثم خلق السموات والأرض»(١).

وفي «المسند» عن العرباض بن سارية، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»(٢).

وفي حديث ميسرة الفجر: قلت: يا رسول الله، متى كتبتَ نبيًّا؟ وفي لفظ: متى كنتَ نبيًا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»(٣).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ- وهو الصادق المصدوق -: «**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح - قال: فوالذي نفسي بيده -أو قال: فوالذي لا إله غيره - إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار**»(٤).

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد في جنازة. فقال: «**ما منكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة**». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٥/ ص ٢٨/ ح١٧٢٢٠) وله شواهد عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) تقدم.

بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠]»[1].

وفي الصحيح أيضًا: أنه قيل له: يا رسول الله، أعُلِمَ أهلُ الجنة من أهل النار؟ فقال: «نعم». فقيل له: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[2].

فبيّن النبي ﷺ أن الله علم أهل الجنة من أهل النار، وأنه كتب ذلك، ونهاهم أن يتَّكِلوا على هذا الكتاب ويدَعُوا العمل، كما يفعله الملحدون. وقال: «**كل ميسر لما خلق له وإن أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة**» وهذا من أحسن ما يكون من البيان، وذلك أن الله ﷻ يعلم الأمور على ما هي عليه، وهو قد جعل للأشياء أسبابًا تكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، كما يعلم أن هذا يولد له بأن يطأ امرأة فيحبلها، فلو قال هذا: إذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة إلى الوطء. كان أحمق؛ لأن الله علم أن سيكون بما يقدره من الوطء، وكذلك إذا علم أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب، فلو قال: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر. كان جاهلًا ضالًّا؛ لأن الله علم أن سيكون بذلك، وكذلك إذا علم الله أن هذا يشبع بالأكل، وهذا يروى بالشرب، وهذا يموت بالقتل، فلابد من الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها.

وكذلك إذا علم أن هذا يكون سعيدًا في الآخرة، وهذا شقيًّا في الآخرة، قلنا ذلك؛ لأنه يعمل بعمل الأشقياء، فالله علم أنه يشقى بهذا العمل، فلو قيل: هو شَقِيَ وإن لم يعمل. كان باطلًا؛ لأن الله لا يدخل النار أحدًا إلا بذنبه، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فأقسم أنه يملؤها من إبليس وأتباعه، ومن اتبع إبليس، فقد عصى الله تعالى، ولا يعاقب الله العبد على ما علم أنه يعمله حتى يعمله؛

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٦، ٤٩٤٩، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٨) من حديث جابر.

وهذا لما سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين. قال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[(١)] يعني: أن الله يعلم ما يعملون لو بلغوا، وقد روي: «**أنهم في القيامة يبعث إليهم رسول فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار**»[(٢)] فيظهر ما علمه فيهم من الطاعة والمعصية.

وكذلك الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به وطاعته، فمن قُدِّر أن يكون منهم يسره للإيمان والطاعة.

فمن قال: أنا أدخل الجنة، سواء كنت مؤمنًا أو كافرًا، إذا علم أني من أهلها. كان مفتريًا على الله في ذلك، فإن الله إنما علم أنه يدخلها بالإيمان، فإذا لم يكن معه إيمان لم يكن هذا هو الذي علم الله أنه يدخل الجنة، بل من لم يكن مؤمنًا، بل كافرًا، فإن الله يعلم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة؛ ولهذا أمر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب. ومن قال: أنا لا أدعو ولا أسأل، اتكالًا على القدر. كان مخطئا أيضا؛ لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته، ورحمته، وهداه، ونصره، ورزقه.

وإذا قدر للعبد خيرًا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله، وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم، فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسبَّبات.

ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لابد من ريح مربية بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له، بل لابد من أن الله شاء خلقه، فتحبل المرأة وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع.

وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»**[1]، وقد قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] فهذه باء السبب أي: بسبب أعمالكم. والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة كما يقال: اشتريت هذا بهذا. أي: ليس العمل عوضًا وثمنًا كافيًا في دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات وبرحمته يأتي بالخيرات وبفضله يضاعف البركات.

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس:

١- فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله، ورسله، ودينه.

٢- وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله، كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك. وهؤلاء جهال ضلال، فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به؛ ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: **«يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»**[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة، وأخرجاه عن عائشة أيضًا البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر مرفوعًا.

فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم، فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤوا فلها، لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وفي الحديث الصحيح عن الله تعالى أنه قال: **«يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان منهم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي شيئًا، إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**[1].

وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم، وأرسل إليهم رسولًا يبين لهم ما يسعدهم وما يشقيهم، ثم إنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فمنَّ عليهم بالإيمان والعمل الصالح، فخلقه بفضله، وإرساله الرسول بفضله، وهدايته لهم بفضله، وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هي بفضله، فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله، وإن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم ووعد بذلك، كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى:

---

(١) تقدم قريبًا.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. فهو واقع لا محالة، واجب بحكم إيجابه ووعده؛ لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئًا، أو يحرمون عليه شيئًا، بل هم أعجز من ذلك وأقل من ذلك، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، كما في الحديث المتقدم «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

وفي الحديث الصحيح «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتن أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات من ليلته دخل الجنة**»[١]، فقوله «**أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**» اعتراف بإنعام الرب وذنب العبد، كما قال بعض السلف: إني أصبح بين نعمة تنزل من الله عليَّ، وبين ذنب يصعد مني إلى الله، فأريد أن أحدث للنعمة شكرًا، وللذنب استغفارًا.

فمن أعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ناظرًا إلى القدر فقد ضل، ومن طلب القيام بالأمر والنهي معرضًا عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فنعبده اتباعًا للأمر، ونستعينه إيمانًا بالقدر وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦، ٦٣٢٣) من حديث شداد بن أوس.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ وترجم عليه النووي: باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

فأمره النبي ﷺ بشيئين:

١- أن يحرص على ما ينفعه، وهو امتثال الأمر، وهو العبادة، وهو طاعة الله ورسوله ﷺ.

٢- وأن يستعين بالله، وهو يتضمن الإيمان بالقدر، أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فمن ظن أنه يطيع الله بلا معونته كما يزعم القدرية المجوسية(١) فقد جحد قدرة الله التامة، ومشيئته النافذة، وخلقه لكل شيء.

ومن ظن أنه إذا أعين على ما يريد، ويسر له ذلك كان محمودًا، سواء وافق الأمر الشرعي، أو خالفه فقد جحد دين الله، وكذّب بكتبه ورسله، ووعده ووعيده، واستحق من غضبه وعقابه أعظم ما يستحقه الأول.

فإن العبد قد يريد ما يرضاه الله ويحبه، ويأمر به، ويقرب إليه، وقد يريد ما يبغضه الله، ويكرهه، ويسخطه، وينهى عنه، ويعذب صاحبه، فكل من هذين قد يسر له ذلك، كما قال النبي ﷺ: «**كل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة**»، وقد قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]، بين سبحانه أنه ليس كل من ابتلاه في الدنيا يكون قد أهانه، بل هو يبتلي عبده بالسراء والضراء، فالمؤمن يكون صبارًا

---

(١) وهم المعتزلة.

شكورًا، فيكون هذا وهذا خيرًا له، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»[(١)].

والمنافق هلوع جزوع، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ إلى قوله ﴿جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

ولما كان العبد ميسرًا لما لا ينفعه -بل يضره- من معصية الله، والبطر، والطغيان، وقد يقصد عبادة الله وطاعته والعمل الصالح، فلا يتأتى له ذلك، أمر في كل صلاة بأن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال: أثنى علي عبدي. فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[(٢)].

وقال بعض السلف: أنزل الله ﷻ مائة كتاب وأربعة كتب جمع علمها في الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. وجمع الأربعة في القرآن، وعلم القرآن في المفصل، وعلم المفصل في الفاتحة، وعلم الفاتحة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي.

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة.

فكل عمل يعمله العبد ولا يكون طاعة لله وعبادة وعملًا صالحًا فهو باطل، فإن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان لله، وإن نال بذلك العمل رئاسة ومالًا فغاية المترئس أن يكون كفرعون وغاية المتمول أن يكون كقارون.

وقد ذكر الله في سورة القصص من قصة فرعون وقارون ما فيه عبرة لأولي الألباب.

وكل عمل لا يعين اللهُ العبدَ عليه فإنه لا يكون ولا ينفع، فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا ينفع ولا يدوم، فلذلك أمر العبد أن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أحوال العبد مع الشرع والقدر

والعبد له في المقدور حالان: حال قبل القدر، وحال بعده. فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به، وإن كان بفعله -وهو نعمة- حمد الله على ذلك، وإن كان ذنبًا استغفر إليه من ذلك.

وله في المأمور حالان: حال قبل الفعل، وهو العزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك، وحال بعد الفعل، وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما أنعم به من الخير، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] أمره أن يصبر على المصائب المقدرة، ويستغفر من الذنب، وإن كان استغفار كل عبد بحسبه، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقال يوسف: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، فذكر الصبر على المصائب والتقوى بترك المعائب، وقال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل**

الشيطان»[١]، فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر، ولا يتحسر على الماضي، بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالنظر إلى القدر عند المصائب، والاستغفار عند المعائب، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. والله ﷻ أعلم. اهـ



(١) تقدم.

الجمع بين القدر والشرع

قال المصنف: (وَمَعَ ذَلِك فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِه، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَالله خَالِقُ أَفْعَالِهِم، وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَالله خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ «مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ»[1].

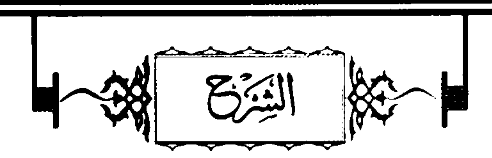
---

(١) حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة، منهم جابر، وابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، وسهل بن سعد، وعائشة ﷺ، من طرق يشد بعضها بعضًا، وأصحها حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم» أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨)، والبيهقي في «القدر» (٤١٥) وقال: ولهذا الحديث شواهد عن ابن عمر وأبي هريرة وفيها ذكرناه كفاية. اهـ وحسنه الألباني.

وبعده في الصحة حديث ابن عمر أخرجه الإمام أحمد (٥٥٨٤)، وأبو داود (٤٦٩١)، والحاكم (١/ ٨٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٣)، وفي «القدر» (٤٠٧-٤٠٩) وسكت عنه، من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

وحسنه الشيخ الألباني، وله شواهد من حديث حذيفة عند أحمد (٢٣٤٥٦)، وأبي داود (٤٦٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول السنة» (١١٥٥)، والبيهقي في «القدر» (٤١٢-٤١٤) وسكت عنه أبو داود والبيهقي.

وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا).



❁ الهراس: يجب الإيمان بالأمر الشرعي، وأن الله تعالى كلف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

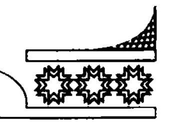
ولا منافاة أصلًا بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء، وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي؛ فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل؛ ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، كما أنه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعي المتعلق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله؛ فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ



❁ آل الشيخ: قوله: (وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ) يعني: ومع ما تقرر لك من الأصل العظيم -وهو الإيمان بالقدر، وأنه أحد أركان الإيمان الستة، وما اشتملت عليه الأشياء الأربعة السابقة- يأتي بعد ذلك عدم منافاة القدر للشرع، وأنهما أخوان مصطحبان، لا ينافي أحدهما الآخر، وأنه ما ضاق به صدرُ إلا المبتدعة، نظروا بعين واحدة وأغضوا عينًا، أخذوا جانبًا من النصوص وتركوا جانبًا، وهدى الله أهل السنة والجماعة فنظروا بالعينين جميعًا، وآمنوا بالشرع والقدر جميعًا.



فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته ومعصية رسله، فوجب الإيمان بشرعه وقدره جميعًا، بأن يؤمن أن هذا شرعه، ويمتثله، ويفعله، فإذا امتثل صار من أهل السعادة، والقدر لا حجة فيه، وهو تام وماض، ولا راد له، وسبق أن لا يكون الخلق على طريق واحد، بل أن يكون الخلق متفاوتين، كما قال: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩] كجنة ونار؛ لتسكنا، وهو اللائق بجلاله، وسواه ليس بكمال.

ولا منافاة بين الشرع والقدر، فإنها ضاقت أعطان القدرية ولم تتسع للشرع والقدر جميعًا.

فالقدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم أثبتوا الحكمة والشرع، وغلوا فيهما ونفوا القدر أو بعضه، وقالوا: إن الأمر والنهي بيد الإنسان، فإنها زعمت أنها إذا أثبتت القدر صارت معطلة للشرع.

وقابلها طائفة القدرية الجبرية، فغلبت جانب القدر، وغلت فيه، وعطلت جانب الشرع، وقالوا: إن العبد مجبور لا فعل له، وإنما هو كالأشجار في مهب الريح... إلخ.

وأهل السنة قالوا: له فعل صحيح واختيار صحيح، ويحمد على فعل الخير، ويذم ويعاقب على فعل الشر.

فهدى الله أهل الحق أهل السنة والجماعة، فآمنوا بالشرع والقدر وقالوا: ما في الكون كله خلق لله، فالأفعال فعل للمخلوق، خلقٌ للربّ، فأفعالهم نسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد، ونسبتها إلى العبد نسبة فعل.

فالشرع والقدر متلازمان ولا حجة في القدر على الشرع، بل قد ركز الله في عقول العباد معرفة النافع من الضار، وأحدهم يعرف الضار ويجتنبه، والنافع فيأتيه. اهـ

❁ **العثيمين**: لا يجوز الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على الكتاب الأول وندع العمل؟ فقال رسول الله ﷺ:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، وتلا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ (١). اهـ.

وقال الشيخ المصنف رحمه الله (٢): مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا رب غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله، منهيٌّ عن معصية الله ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقًّا للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله، وقدره، ومشيئته، وقدرته، لكن يحب الطاعة، ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها، ويكرمهم، ويبغض المعصية، وينهى عنها، ويعاقب أهلها، ويهينهم. وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي: ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه، فلابد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره.

فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابهًا للمشركين، ومن نظر إلى الأمر والنهي، وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهًا للمجوسيين، ومن آمن بهذا وبهذا، فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره- فهو من المؤمنين، فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٦٣).

فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واحتج، فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدميًّا، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيًّا، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس. فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين. اهـ

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ).

❁ **آل الشيخ**: فرق بين المحبة والإرادة، لا كما زعمه المبتدعة الذين يقولون: ما شاءه فقد أحبه، بل يريد ﷻ أشياء لا يحبها، وقد أراد كُفْرَ إبليس وكُفْرَ الكفار[1]، ومع ذلك لا يحبه؛ لكونه ظلمًا وفسادًا، فهو سبحانه لا يحب الكافرين، ومع ذلك أفعالهم بقدرته وقضائه، يحبه قدرًا، ولا يحبه شرعًا[2]، فإنه يحب ذلك لا يحب المفعول، يحب القضاء والقدر في أهل الشقاء، وما يترتب عليه مبغوض له، فعلمه وقضاؤه كله جميل، والله يحب كل جميل. اهـ

❁ **ابن مانع**: اعلم أن الذي عليه الأئمة المحققون، ودل عليه الكتاب والسنة أن المشيئة والمحبة ليستا واحدًا، ولا هما متلازمتان، بل قد يشاء ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه. فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه. والثاني كمحبته لإيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله، فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ

---

(١) أي: أراده إرادة كونية بمعنى المشيئة.

(٢) الظاهر من كلام العلامة آل الشيخ أنه يفرِّق بين المحبة، ويجعلها كالإرادة قدرية وشرعية، والله أعلم.

أفعال العباد حقيقة وهي مخلوقة لله تعالى

قوله: (وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ).

❁ **ابن باز**: العباد لهم أفعال هم لها فاعلون -أي: لهم أفعال حقيقة منسوبة لهم- فالعبد هو المصلي، والصائم، وهو الحاج، وهو الزاني والسارق، وهو البائع والمشتري، وهو الناكح والمطلِّق، إلى غير ذلك، لهم أفعال، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فيحب الخير وأهله، ويكره الشر وأهله، ويحب الإيمان والتقوى ويكره الفساد، والكفر، والضلال، وكل عبد ميسر لما خلق له. لمّا سأل الصحابة النبي ﷺ: إن كانت الأمور مقدرة ومكتوبة ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»[١]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: إذا عرف ما تقدم من القدر والإيمان به، وعرف أن الله أمر بطاعته وطاعة رسله، وأنه لا تعارض بين القدر والشرع، وأن أهل السنة آمنوا بهما جميعًا، فاعلم أن العباد لهم أفعال حقيقية تقول: صلَّى زيد، زنى زيد. وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم، فهي منه خلق وإيجاد، ففرق بين الخلق والفعل.

فأفعال العباد لها نسبتان: نسبة فعل وعمل، ونسبة خلق وإيجاد. فنسبة الخلق لله ونسبة الفعل إليهم، خلافًا للأشاعرة، فعندهم القول بالكسب[٢].

---

(١) تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص/ ١٢١): «لفظ الكسب تطبقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة والحديث على معنى.

=

وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ، وإن كان مدبَّرًا، بل هو حقيقة إذا صلى فهو المصلي، وإذا قتل، فهل القاتل غير مَنْ فَعَل القتل؟! فالفعل

=

فكسب القدرية هو: وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته، من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده.

وكسب الجبرية: لفظ لا معنى له، ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال وأطالوا فيه المقال، فقال القاضي: الكسب ما وجدوا عليه قدرة محدثة. وقيل: إنه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث. وقيل: إنه المقدور بالقدرة الحادثة. قالوا: ولسنا نريد بقولنا: ما وجدوا عليه قدرة محدثة، أنها قدرة على وجوده، فإن القادر على وجوده هو الله وحده، وإنما نعني بذلك أن للكسب تعلقًا بالقدرة الحادثة، لا من باب الحدوث والوجود. وقال الإسفرائيني: حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرته من حيث صح انفراده به، وحقيقة الفعل وقوعه بقدرته، وحقيقة الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع انفراده به، ويختص القديم تعالى بالخلق، ويشترك القديم والمحدَث في الفعل، ويختص المحدث بالكسب. قلت: مراده أن إطلاق لفظ الخلق لا يجوز إلا على الله وحده، وإطلاق لفظ الكسب يختص بالمحدَث، وإطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه والعبد. وقال أيضًا: كل فعل يقع على التعاون كان كسبًا من المستعين. قلت: يريد أن الخالق يستقل بالخلق والإيجاد، والكاسب إنما يقع منه الفعل على وجهه المعاونة والمشاركة منه ومن غيره، لا يمكنه أن يستقل بإيجاد شيء ألبتة، وقال آخرون: قدرة المكتسب تتعلق بمقدوره على وجه ما، وقدرة الخالق تتعلق به من جميع الوجوه.

وقال الأشعري وابن الباقلاني: الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبًا دون كونه موجودًا أو محدثًا، فكونه كسبًا وصف للوجود، بمثابة كونه معلومًا.

ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بأن قال: الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب؛ ولهذا قال كثير من العقلاء: إن هذا من محالات الكلام، وإنه شقيق أحوال أبي هاشم، وطفرة النظام، والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه القائلون به كلامًا، وشيء من ذلك غير معقول ولا متصور.

والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع المقدور ولا صفة من صفاته، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه، وتابعه على ذلك عامة أصحابه، والقاضي أبو بكر يوافقه مرة، ومرة يقول: القدرة الحادثة لا تؤثر في إثبات الذات وأحداثها، ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالًا له، ثم تارة يقول: تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى، ولم يمتنع من إثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه.

وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطرابًا عظيمًا واختلفت عباراتهم فيه اختلافًا كثيرًا. اهـ

إنها يضاف إلى من باشره، كما تقول: قام زيد، كَفَر زيد، قعد زيد. هذا هو المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فما صدر من المخلوق فهو فعل له، ليس فعلًا لرب العالمين. اهـ

❁ **الهراس**: وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلا لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصف بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: (وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) أي: فليس بمجبر على أعماله؛ لأنه يعملها بإرادته واختياره، فيثاب على الطاعة، ويستحق العقاب على المعصية، وما أحسن قول ابن عدوان ناظم هذه العقيدة، حيث قال:

وللعبد يا ذا قدرة وإرادة ❁ على العمل افهم فهم غير مبلد

فيفعل يا ذا باختيار وقدرة ❁ وليس بمجبور ولا بمضهد

اهـ.

❁ **آل الشيخ**: **قوله: (وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) أي: لهم تصور واختيار وفعل.**

وقوله: (وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]).

كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فهي لرب العالمين خلق وإيجاد وتكوين، وللمخلوق فعل وتصور، فهي قضاء الله وقدره، وهي للعبد فعل، فجانب الخلق إلى الله، وجانب الفعل إلى من صدر منه وباشره، كما تقدم، وكما يأتي.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، دل على أن للعبد مشيئة حقيقية، ودل على أن له استقامة، ودل على أن العبد لا يملكها استقلالًا، فوجود وتصور المشيئة من العبد لا يكون إلا بمشيئة الله، فإرادته تابعة لإرادة الله، ومشيئته تابعة لمشيئة الله. اهـ

❁ **العثيمين**: للعبد مشيئة وقدرة لقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ﴾. وقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾. فأثبت الله للعبد مشيئة واستطاعة- وهي القدرة- إلا أنهما تابعتان لمشيئة الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. اهـ

❁ **السعدي**: ثبتت النصوص: أن العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم، وأن أعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم التي خلقها الله لهم، وخالق السبب التام خالق للمسبَّب، وبهذا ينحل عن العبد الإشكال، ويتسع قلبه للجمع بين إثبات عموم مشيئة الله وقدرته، وشمولها لأفعال العباد، مع وقوعها شرعًا وحسًّا وعقلًا باختيارهم.

فمتى جمع العبد المراتب الأربع[1]، وآمن بها إيمانا صحيحًا كان هو المؤمن بالقدر حقًّا الذي يعلم أن الله بكل شيء عليم، وعلمه بالحوادث قد أودعه في اللوح المحفوظ، والحوادث كلها تجري على ما علمه الله وكتبه، وتقع بأسباب ربطها العزيز الحكيم بمسبباتها، والأسباب والمسبَّبات من قضاء الله وقدره؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ لأصحابه: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار**». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**». ثم قرأ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]. متفق عليه[2].

---

(١) يعني: مراتب القدر المتقدم ذكرها، وهي العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

(٢) تقدم.

وتوضيح ذلك: أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي، كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب واقع باختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه ونص عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة، ومثابون عليها ومذمومون إن كانت سيئة، ومعاقبون عليها. فقد تبين بلا ريب، واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدة.

ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها- وإن كانت كذلك- واقعة منهم، واعترض معترض فقال: كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: فهي بقدرتهم وإرادتهم. وهذا يعترف به كل أحد. ويقال أيضًا: ومن خلق قدرتهم، ومشيئتهم، وإرادتهم؟

فالجواب الذي يعترف به كل أحد: أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال، هو الخالق للأفعال. فهذا هو الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «**وأما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة**».

وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم ولم يعنهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويتوكلوا عليه، فولاهم ما تولوه لأنفسهم.

ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرفت هنا طائفتان من الناس:

١- طائفة يقال لهم: الجبرية، غلوا في إثبات القدر، وتوهموا أن العبد ليس له فعل حقيقة، وأنه لا يمكن أن يثبت للعبد عموم المشيئة ويثبت للعبد اختيارًا.

٢- والطائفة الأخرى القدرية، قابلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم، وتوهموا أنه لا يمكن مع ذلك أن تدخل في قضاء الله وقدره.

فلم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين، فرد كل منهما قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيَّدة بالعقل الصحيح.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فآمنوا بجميع الكتاب والسنة، وآمنوا بقضائه وقدره وشمولهما لكل موجود، وبشرعه وأمره، وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون؛ فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة بربهم؛ لعلمهم أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن له في عباده المؤمنين إلطافًا وتيسيرًا، لا ينال إلا بقوة الإيمان والتوكل، وأوجب لهم إيمانهم بالشرع، والأمر والنهي، والأسباب، وأنها مرتبطة بمسبَّباتها شرعًا وقدرًا، الجِدَّ والاجتهادَ في فعل الأسباب النافعة الدينية والدنيوية، وبذلك تعرف أن الإيمان الصحيح سبب لكل خير. اهـ

أفعال العباد خلق لله تعالى

* **قال المصنف**[1]: ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها -مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء- أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]. والقرآن قد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٥٩).

أخبر بأن العباد يؤمنون ويكفرون، ويفعلون ويعملون ويكسبون، ويطيعون ويعصون، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويحجون ويعتمرون، ويقتلون ويزنون ويسرقون، ويصدقون ويكذبون، ويأكلون ويشربون، ويقاتلون ويحاربون، فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار، ولا مريد ولا قادر. ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازًا، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة، والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله.

وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه، فحكي عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلًا، وليس بقادر أصلًا، وكان الجهم غاليًا في تعطيل الصفات، فكان ينفي أن يسمى الله تعالى ، فلا يسمى شيئًا، ولا حيًّا، ولا عالمًا، ولا سميعًا، ولا بصيرًا، إلا على وجه المجاز، وحكي عنه أنه كان يسمي الله تعالى قادرًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر، فلا تشتبه بهذا الاسم على قوله.

وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة. ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئةٍ لا رحمة معها، وحكي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين، وأنه كان يخرج إلى الجَذْمَى[1] فينظر إليهم ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء؟! وكان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم ليس لهم فعل ولا اختيار.

وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات، وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية، بعد حدوث القدرية، والمعتزلة، وغيرهم، فإن القدرية حدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة، فلما حدثت مقالته المقابِلة لمقالة القدرية، أنكرها السلف والأئمة، كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم، وبدّعوا الطائفتين، حتى في لفظ (الجبر) أنكروا على من قال: جبر. وعلى من قال: لم يجبر. والآثار بذلك معروفة عن

(١) أي: مرضى الجذام، قال في «المنجد»: الجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء، وسمي بذلك؛ لتجذّم الأصابع وتقطعها. اهـ

الأوزاعي، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من سلف الأمة وأئمتها؛ كما ذكر طرفًا من ذلك أبو بكر الخلال في كتاب «السنة»، هو وغيره ممن يجمع أقوال السلف، وقال الأوزاعي، والزبيدي، وغيرهما: ليس في الكتاب والسنة لفظ: (جبر)، وإنما في السنة لفظ (جبل) كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم، والأناة». فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقين جبلت عليهما». فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب[1]، فقال الأوزاعي والزبيدي وغيرهما من السلف: لفظ (الجبل) جاءت به السنة، فيقال جبل الله فلانًا على كذا؛ وأما لفظ (الجبر) فلم يرد. وأنكر الأوزاعي، والزبيدي، والثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم لفظ (الجبر) في النفي والإثبات. وذلك لأن لفظ (الجبر) مجمل فإنه يقال: جبر الأب ابنته على النكاح، وجبر الحاكم الرجل على بيع ماله؛ لوفاء دينه، ومعنى: ذلك أكرهه، ليس معناه أنه جعله مريدًا لذلك مختارًا محبًّا له راضيًا به، قالوا: ومن قال: إنّ الله جبر العباد بهذا المعنى -الإكراه- فهو مبطل، فإنّ الله أعلى وأجل قدرًا من أن يجبر أحدًا، وإنما يجبر غيرَه العاجزُ عن أن يجعله مريدًا للفعل، مختارًا له، محبًّا له، راضيًا به، والله سبحانه قادر على ذلك، فهو الذي جعل المريد للفعل المحب له الراضي به مريدًا له، محبًّا له راضيًا به، فكيف يقال: أجبره وأكرهه، كما يجبر المخلوقُ المخلوقَ؟ مثلما يجبر السلطان، والحاكم، والأب، وغيرهم من يجبرون، إما بحق وإما بباطل، وإجبارهم هو إكراههم لغيرهم على الفعل، والإكراه قد يكون إكراهًا بحق، وقد يكون إكراهًا بباطل، والله تعالى قادر على إحداث إرادة للعبد ولاختياره وجعله فاعلًا بقدرته ومشيئته، فهو أعلى وأقدر من أن يجبر غيره ويكرهه

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٨٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٢)، وأبو داود (٥٢٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٦، ٨٣٠٦)، وابن حبان (٧٢٠٣)، وأبو يعلى (٦٨٤٨، ٦٨٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٠٢)، و«الدلائل» (٥/ ٣٢٧-٣٢٨)، و«الشعب» (٧٣٣٢، ٨٠٥٣، ٨٥٦٠)، وسنده صحيح.

على أمر شاءه منه، بل إذا شاء جعله فاعلًا له بمشيئته كما أنه قادر على أن يجعله فاعلًا للشيء مع كراهته له، فيكون مريدًا له حتى يفعله مع بغضه له، كما قد يشرب المريض الدواء مع كراهته له، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وقال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم، سواء كانوا مع ذلك فعلوه طوعًا، أو كانوا كارهين له فعلوه كرها، وهو سبحانه لا يكرههم على ما لا يريدوه كما يكره المخلوق المخلوق، حيث يكرهه على أمر وإن لم يرده، وليس هو قادرًا أن يجعله مريدًا له، فاعلا له لا مع الكراهة ولا مع عدمها؛ فلهذا يقال للعبد: إنه جبر غيره على الفعل، والله أعلى وأجل وأقدر من أن يقال بأنه جبر بهذا المعنى.

وأما السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأنه لا حجة لأحد على الله في ترك مأمور ولا فعل محظور، فهم أيضًا متفقون على أن الله حكيم رحيم، وأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»[١]، وقد أخبر عن حكمته في خلقه وأمره مما أخبر به في كتابه وسنة رسوله، والجهم بن صفوان ومن اتبعه ينكرون حكمته ورحمته، ويقولون: ليس في أفعاله وأوامره «لام كي»، لا يفعل شيئًا لشيء، ولا يأمر بشرع شيء لشيء، وكثير من المثبتين للقدر من أهل الكلام[٢] ومن وافقهم، سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب، وإن خالفوه في بعض ذلك، إما نزاعًا لفظيًّا، وإما نزاعًا لا يعقل[٣]، وإما نزاعًا معنويًّا... اهـ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) بمعناه.
(٢) يعني: الأشاعرة.
(٣) يعني القول بالكسب.

قوله: (وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ).

❁ **ابن مانع**: أي: لأنهم أثبتوا خالقًا لما اعتقدوا شرًّا غير الله. قال في «التدمرية»[(١)]: إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقًا لغير الله، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا: إنهم خلقوا أفعالهم. وقال في «النونية»:

فالنـــاس كلهـــم أقـــروا أنـــه * هـــو وحـــده الخـــلاق لـــيس اثنـــان
إلا المجـــوسَ فـــإنهم قـــالوا بـــأن * الـــشرَّ خالقُـــه إلـــهٌ ثـــانِ

❁ **العثيمين**: مجوس هذه الأمة القدرية، الذين يقولون: إن العبد مستقل بفعله. سموا بذلك؛ لأنهم يشبهون المجوس القائلين بأن للعالم خالقين: النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر. وكذلك القدرية قالوا: إن للحوادث خالقين: فالحوادث التي من فعل العبد يخلقها العبد، والتي من فعل الله يخلقها الله. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: هَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يكذب بها عامة القدرية. أي: النفاة من المعتزلة وغيرهم، الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[(٢)]، وإنما سموا مجوس هذه الأمة؛ لمضارعة مذهبهم لمذهب المجوس؛ لإخراج المجوس بعض مخلوقات الله عن الله، فإن المجوس هم القائلون بالأصلين: النور، والظلمة. وأن النور خلق الخير، وأن الظلمة خلقت الشر، فهؤلاء ضارعوهم، أخرجوا أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله، ورأوا أن العبد هو الذي يفعل الطاعات والمعاصي ويخلقها، والذي ألجأهم - زعمًا منهم- لإثبات الشرع، غلوٌّ منهم في أفعال العباد. قالوا: لو كانت خلقًا لله لكان ذلك للعبد ظلمًا، ويريدون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باء العوض، وهؤلاء

---

(١) انظر «التدمرية» في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٩٨).

(٢) حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة وتقدم تخريجه.

مشبهة الأفعال، وضعوا أوضاعًا جعلوا الخالق فيها مثل المخلوق، والباء للسبب كما في الحديث: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله» الحديث(١) . اهـ

❁ **ابن باز**: الدرجة الأولى وهي علم الله، قد كان ينكرها غلاة القدرية قديمًا، ثم رجعوا عن ذلك، ومنكروها اليوم قليل، كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فعلم الله الأشياء وكتابته لها، وأما الدرجة الثانية، كونه خلق الأشياء، وكون مشيئته نافذة، يكذِّب به عامة القدرية وغيرهم، وقد سماهم النبي ﷺ: «**مجوس هذه الأمة**» المجوس هم الذين يقولون: إن للعالم خالقين: النور وهو خالق الخير، والظلمة وهو خالق الشر. وهؤلاء من جنس الذين أشركوا العباد في الأفعال وقالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، وأنها ليست مقدرة عليهم، بل هم الذين يفعلونها، والله ليس خالقًا لها، وهذا من جهلهم وضلالهم، وهم المعتزلة والقدرية النفاة، وهم بهذا قد كذّبوا الله ورسوله، وصاروا بهذا كافرين. اهـ

قوله: (**وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ**).

❁ **آل الشيخ**: قالوا: لا قدرة له، ولا اختيار، فهذا مسلك الجبرية، ومنهم الجهمية ومِنْ مَسْلك المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وإن كان قد رجع عما كان قد قال به أوّلًا، والمنتسبون ليسوا على ما كان عليه، فإنه صرح أنه على مذهب أهل السنة.

(**وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ الله وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا**) فينفون الحكمة. والخلاصة: أن القدرية النافية أثبتوا الفعل للعبد ولم يثبتوا أنها خلق لله، وقابلهم المجبرة في ذلك، فالكل منهم رد النصوص من الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن ينجي أحدًا منكم عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سددوا».

وهدى الله أهل السنة، فآمنوا بالشرع والقدر جميعًا، ووفَّقوا بين النصوص. اهـ

❁ **ابن باز**: ومن القدرية، المجبرةُ -وهم الجهمية وأشباههم- الذين يقولون: إن العبد مجبور، ليس له فعل ولا له اختيار، فهو مجبور، وهؤلاء أيضًا ضالون، وهم الجهمية، نفاة الصفات، جمعوا مع القول بنفي الصفات القولَ بالجبر، وأن العبد مجبور ليس له فعل ولا اختيار، وهؤلاء كلهم طوائف ضالة، الجهمية، والمعتزلة، والقدرية النفاة، ومنهم الشيعة الإمامية؛ لأنهم معتزلة نفاة للقدر. اهـ

❁ **العثيمين**: هذه الدرجة- وهي المشيئة والخلق- ضل فيها طائفتان:

الأولى: القدرية، حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته، ليس لله في فعله مشيئة ولا خلق.

الثانية: الجبرية، حيث زعموا أن العبد مجبور على فعله، ليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الرد على الطائفتين

والرد على الطائفة الأولى القدرية بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

والرد على الطائفة الثانية الجبرية بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾. ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. فأثبت للإنسان مشيئة وقدرة.

قوله: (**ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها**).

الجبرية يخرجون عن أحكام الله، حِكَمَها ومصالحها، وجه ذلك أن الجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختيارًا وفعله بدون اختيار، كلاهما عندهم مجبر عليه كما سبق وإذا كان كذلك صار ثوابه على الطاعة، وعقابه على المعصية لا حكمة له؛ إذ الفعل جاء بدون اختياره، وما كان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثواب، ولا يذم عليه فيستحق العقاب. اهـ

* **الهراس**: ضل في القدر طائفتان، كما تقدم:

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمة،؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفًا، وهؤلاء ضلوا بالتفريط وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله؛ ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل، كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق. كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون. اهـ

أصناف الطوائف المخالفة في القدر

* **قال المصنف في «التدمرية»[1]**: من المعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، بقضائه وشرعه. وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١١١وما بعدها)، و«التدمرية» (ص/ ٢٠٧ وما بعدها - ط: السعدي).

فالمجوسية: الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة: وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا تناقضًا من الرب ﷻ وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر ذلك عن مثل إبليس مقدمهم، كما نقله أهل المقالات، ونقل عن أهل الكتاب(١).

والمقصود أن هذا مما تقوَّله أهل الضلال، وأما أهل الهدى والفلاح، فيؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأحاط بكل شيء علمًا، وكل شيء أحصاه في إمام(٢) مبين.

ويتضمن إثبات هذا الأصل من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته، وربوبيته، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه- ما هو من أصول الإيمان.

ومع هذا لا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسبَّبات، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦]، فأخبر أنه

---

(١) يعني: المناظرة بين إبليس والملائكة في اعتراضه على التكليف، ذكرها الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٩-١٣)، وإنها مذكورة في كتب أهل الكتاب، لكن المصنف ردها في «الفتاوى» (٨/ ١١٤) وقال: ليس لها إسناد يعتمد عليه. اهـ

(٢) أي: في كتاب كما في بعض النسخ.

يفعل بالأسباب، ومن قال: إنه يفعل عندها لا بها[١] فقد خالف ما جاء به القرآن، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع، وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان، التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة العبد، كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك[٢] فقد أشرك بالله، وأضاف فعله إلى غيره، وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسبَّبه، ولابد له من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه، فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩] أي: فتعلمون أن خالق الأزواج واحد...

والمقصود هنا: أنه لابد من الإيمان بالقدر؛ فإن الإيمان بالقدر من تمام التوحيد، كما قال ابن عباس: هو نظام التوحيد.

فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه[٣].

ولابد من الإيمان بالشرع، وهو الإيمان بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل كتبه، والإنسان مضطر إلى شرع في حياته الدنيا، فإنه لابد له من حركة يجلب بها منفعته، وحركة يدفع بها مضرته، والشرع هو الذي يميز بين الأفعال التي تنفعه والأفعال التي تضره، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن للآدميين أن يعيشوا بلا شرع يميزون به بين ما يفعلونه ويتركونه.

وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم، بل الإنسان المنفرد لابد له من فعل وترك، فإن الإنسان همام حارث، كما قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء حارث

---

(١) هذا قول متكلمي الأشاعرة.

(٢) هذا قول المعتزلة.

(٣) في بعض النسخ: نقض توحيده.

وهمام»[١] وهو معنى قولهم متحرك بالإرادات. فإذا كان له إرادة فهو متحرك بها، ولابد أن يعرف ما يريده هل هو نافع له أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده؟ وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب، وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم، وبعضهم يعرفونه بالاستدلال، كالذي يهتدون به بعقولهم، وبعضه لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم لهم...

فقد تبين بضرورةِ العقلِ فسادُ قول من ينظر إلى القدر، ويعرض عن الأمر والنهي، والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور، ويترك المحظور، ويصبر على المقدور، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال في قصة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فالتقوى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] فأمره مع الاستغفار بالصبر؛ فإن العباد لابد لهم من الاستغفار، أولهم وآخرهم، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[٢]. وقال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»[٣]، وكان يقول: «اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني؛ اللهم اغفر لي خطئي وعمدي، وهزلي وجدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر»[٤]. وقد ذكر عن

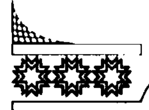
---

(١) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي في «الصغرى» (٦/ ٢١٨)، و«الكبرى» (٤٤٠٦)، وأبو يعلى (٧١٦٩، ٧١٧٠، ٧١٧١)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/ ح٩٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٣٠)، (٩/ ٣٠٦)، والآداب (٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩) عن أبي موسى.



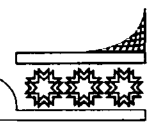
آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه، فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه. وعن إبليس أبي الجن -لعنه الله- أنه أصرَّ، متعلقًا بالقدر فلعنه وأقصاه، فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه فما ظلم، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]. ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ١-٣] وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره: «**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**»(١)، وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] قال النبي ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه**»(٢) وجماع ذلك أنه لابد له في الأمر من أصلين ولابد له في القدر من أصلين.

---

(١) أخرجه بمعناه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٦)، وفي «المعجم» (٢٩١) بسند شديد الضعف فيه كذاب.

قال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: رواه أبو يعلى الموصلي، وابن أبي عاصم بسند ضعيف. اهـ، وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٥٦٠): وهذا إسناد موضوع. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (١٤٦٢)، وأبو يعلى (٧٧٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٤)، والبزار (١١٦٣، ١١٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٤٤)، و«الدعوات» (١٨٧)، والحاكم (١٨٦٢، ١٨٦٣، ٤١٢١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني.



ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فلا يزال يجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك، ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود؛ ولهذا كان من المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار، فكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فقاموا بالليل، وختموه بالاستغفار، وآخر سورة نزلت قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣]، وفي الصحيح أنه كان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[(١)] يتأول القرآن.

وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر، وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه، ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى لما قال: «**يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، فبكم وجدت مكتوبًا علي من قبل أن أخلق: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] قال: بكذا وكذا. فحج آدم موسى**»[(٢)] وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل الذنب، فإن آدم قد كان تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك[(٣)]. وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب، وأن يستغفروا من المعائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] فمن راعى الأمر

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧، ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) فلذلك احتج آدم بالقدر؛ لأن المصائب تقابل بالتسليم للقدر.

والقدر كما ذكر، كان عابدًا لله، مطيعًا له مستعينًا به متوكلًا عليه، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣-٤] فالعبادة لله، والاستعانة به، وكان النبي ﷺ يقول عند الأضحية: «اللهم منك ولك»[1]. فما لم يكن بالله لا يكون؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وما لم يكن بالله فلا ينفع ولا يدوم. اهـ

خلاصة مذهب السلف في القدر

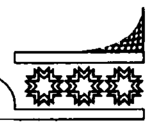
* **الهراس**: وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد:

ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء، من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها.

وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة.

وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وَفْقًا لما عَلِمَهُ منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ.

(١) أخرجه أحمد (١٥٠٢٢)، وأبو داود (٢٧٩٥)، وابن ماجه (٣١٢١)، والدارمي (١٩٤٦)، والبيهقي (٩/ ٢٨٧)، والطحاوي (٤/ ١٧٧)، وصححه ابن خزيمة (٢٨٩٩)، والحاكم (١/ ٤٦٧)، على شرط مسلم ووافقه الذهبي.



وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلًا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها. اهـ

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

❁ **السعدي**: من فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

١- أنه يوجب للعبد سكون القلب، وطمأنينته، وقوته وشجاعته؛ لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه يسلي العبد عن المصائب، ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزق الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعض السلف[١]: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

٢- ومن فوائده: أنه يوجب للعبد شهود منة الله عليه، فيما يمن به عليه من فعل الخيرات وأنواع الطاعات، لا يعجب بنفسه، ولا يُدِلُّ بعمله؛ لعلمه أن الله تعالى هو الذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة، وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وكَلَه إلى نفسه لضعف وعجز عن العمل، وعن الثبات عليه.

كما أنه سبب لشكر نعم الله، فما ينعم عليه من نعم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة. اهـ

(١) رواه ابن جرير (٢٨/ ١٢٣) عن علقمة.

هل في القدر تغيير وتبديل

سئل المصنف رحمه الله[1]: عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، والإثبات في اللوح المحفوظ، والكتاب الذي جاء في الصحيح «أن الله تعالى كتب كتابا فهو عنده على عرشه»[2] الحديث. وقد جاء: «جف القلم»[3] فما معنى ذلك في المحو والإثبات؟. وهل شرع في الدعاء أن يقول: اللهم إن كنت كتبتني كذا فامحني واكتبني كذا، فإنك قلت: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ﴾ وهل صح أن عمر كان يدعو بمثل هذا؟ وهل الصحيح عندكم أن العمر يزيد بصلة الرحم كما جاء في الحديث؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب رحمه الله:

الحمد لله رب العالمين، أما قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ فالأجل الأول هو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره، والأجل المسمى عنده هو أجل القيامة العامة؛ ولهذا قال: ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ فإن وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كما قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. بخلاف ما إذا قال: مسمى، كقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢] إذ لم يقيد بأنه مسمى عنده فقد يعرفه العباد.

وأما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما قال في الصحيحين عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥٣) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٧٦) عن أبي هريرة.

-وهو الصادق المصدوق-: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**»[١] فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يُعْلِمَه الله لمن شاء من عباده، وأما أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو.

وأما قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١] فقد قيل: إن المراد الجنس. أي: ما يعمر من عمر إنسان، ولا ينقص من عمر إنسان، ثم التعمير والتقصير يراد به شيئان:

أحدهما: أن هذا يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن المعمَّر يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن التعمير زيادة بالنسبة إلى آخر.

وقد يراد بالنقص النقص من العمر المكتوب، كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢] وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر، بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان. فيقال لهؤلاء: تلك البركة- وهي الزيادة في العمل والنفع- هي أيضًا مقدرة مكتوبة، وتتناول لجميع الأشياء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) عن أنس، وأخرجه البخاري (٥٩٨٥) عن أبي هريرة.

والجواب المحقق: إن الله يكتب للعبد أجلا في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب. ونظير هذا ما في الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ: «أن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته، فأراه إياهم، فرأى فيهم رجلًا له بصيص[١]، فقال من هذا يا رب؟ فقال ابنك داود، قال: فكم عمره؟ قال أربعون سنة، قال: وكم عمري؟ قال: ألف سنة. قال: فقد وهبت له من عمري ستين سنة، فكتب عليه كتاب وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال: قد بقي من عمري ستون سنة. قالوا: وهبتها لابنك داود، فأنكر ذلك، فأخرجوا الكتاب». قال النبي ﷺ: «فنسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته»[٢]، وروي أنه كمل لآدم عمره، ولداود عمره. فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة، ثم جعله ستين، وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللهم إن كنت كتبتني شقيًّا فامحني واكتبني سعيدًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت[٣]. والله سبحانه عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو يعلم ما كتبه له، وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف، ولا يبدو له ما لم يكن عالما به، فلا محو فيه ولا إثبات[٤].

---

(١) في الرواية: «وبيص» وهو اللمعان.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٤٧)، وأبو يعلى (٦٥٨٠) من حديث أبي هريرة، وصححه ابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم (٢١٤، ٤١٣٢)، والألباني.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠٤٧٨-٢٠٤٨١)، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور»، والدولابي في «الكنى» (١/ ١٥٥)، وجاء نحوه عن ابن مسعود أخرجه الطبري (٢٠٤٨٢، ٢٠٤٨٤)، وابن المنذر، والطبراني، كما في «الدر المنثور».

(٤) قال ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٠ - ط: شاكر): وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء، ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذي لا يغيَّر منه شيء، ثم روى (٢٠٤٧٣-٢٠٤٧٥) عن ابن عباس
=

وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين، والله ﷻ أعلم. اهـ

* وقال أيضًا[١]: قاعدة علم الله السابق يحيط بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، فلا محو فيه، ولا تغيير، ولا إثبات، ولا نقص، ولا زيادة، وأما اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره، فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين. وأما الصحف التي بأيدي الملائكة كما في الصحيحين من قوله ﷺ: «**فيؤمر بكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد**»[٢] فهل يصل فيها المحو والإثبات، فإنه قد يقدر له من العمر مدة لم يعمل شيئًا يزيد به على ذلك مما علمهم الله أن يفعله، مثل أن يصل رحمه ففي الصحيحين: «**من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٣]. أو غير ذلك من الأسباب، كما روى الترمذي: «**إن الله أرى آدم ابنه داود فأعجبه، فسأل عن عمره فقال: أربعين سنة. فوهبه آدم من عمره ستين سنة، وكتب عليه بذلك كتابًا، ثم بعد ذلك أنكر ونسى، فجحد فجحدت ذريته**»[٤] فقد علم أن الله قدر له أربعين سنة بلا سبب، وعلم أنه يحصل له ستون بسبب هبة أبيه له، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] فيكون المراد طول الأعمار وقصرها. اهـ

=

وعكرمة في هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، قالا: كتابان، كتاب يمحو منه ما يشاء، ويثبت، وعنده أم الكتاب. وقال آخرون: بل معنى ذلك يمحو الله كل ما شاء، ويثبت كل ما أراد... إلخ، ثم ذكر قول عمر وابن مسعود المذكور آنفًا.

(١) «مختصر الفتاوي المصرية» لابن تيمية (ص/ ٢٤٩-ط: دار التقوى).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

فَصلٌ

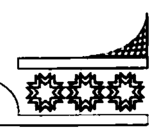
في الإيمان وأنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ، بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

وَلا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسْلامَ بِالكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ -كَمَا تَقُولُه المُعْتَزِلَةُ- بَل الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا. والنهبة بضم النون وسكون الهاء أخذ الشيء واغتنامه عيانًا وقهرًا.



وَيَقُولُون: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذا بحث عظيم من عقائد أهل السنة والجماعة، أنّ الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل بالقلب والجوارح. هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للمرجئة والمعتزلة والخوارج أيضًا، لكن الخوارج يوافقون على هذا الحد، لكن عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهكذا المعتزلة عندهم لا يزيد ولا ينقص، بل إما يوجد كله أو يذهب كله؛ ولهذا كفروا العاصي، وخلدوه في النار، والمعتزلة وافقتهم على ذلك في حكم الآخرة، وجعلوا العاصي مخلدًا في النار.

والمرجئة أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إنه قول فقط، أو تصديق فقط، أو التصديق والقول. وكل الطوائف المذكورة كلها غالطة وضالة عن السبيل، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أنه قول وعمل: قول بالقلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. فالمحبة لله، والخوف منه، والإخلاص له، عمل قلبي، والتصديق بالقول عمل قلبي، والتسبيح والتهليل والذكر عمل جارحي، والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، من عمل الجوارح، هكذا أهل السنة عندهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

قوله: (**قول وعمل**) يدخل فيه الخوارج والمعتزلة.

وقوله: (**يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية**) إخراج للمعتزلة والخوارج والرد عليهم، وإخراج المرجئة بقوله: (**قول وعمل**).

فالواجب على المؤمن أن يعتقد هذه العقيدة ويعمل بمقتضاها. اهـ

* **العثيمين**: الإيمان لغة: التصديق. واصطلاحًا: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب: تصديقه وإقراره، وعمل القلب: إرادته وتوكله، ونحو ذلك من حركاته.

وقول اللسان: نطقه. وعمل الجوارح: الفعل والترك.

والدليل على أن الإيمان يشمل ذلك كله قول النبي ﷺ: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته»**[1].. الخ. وهذا قول القلب. وقوله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[2]. فقول: لا إله إلا الله قول اللسان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح، والحياء عمل القلب. اهـ

* **قال المصنف**[3]: ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب- الذي هو الانقياد - تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، فالنفاق يقع كثيرًا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته والكفر، هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر. اهـ

* **الهراس**: قوله: (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ**).

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له عن أبي هريرة، وعند البخاري: «وستون شعبة».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣٨).

سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه. فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا. اهـ

زيادة الإيمان ونقصانه

* **العثيمين**: قوله: (وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ).

الإيمان يزيد وينقص؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾. وقول النبي ﷺ في النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»(١). وسبب زيادته الطاعة، وهي امتثال أمر الله، واجتناب نهيه، وسبب نقصه معصية الله بالخروج عن طاعته. اهـ.

* **آل الشيخ**: قوله: (يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ) أي: يزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي. وزيادته ونقصانه تارة من جهة الشرع، وتارة من جهة العمل، وتارة لا من هذا، ولا من هذا.

فالأول: إذا شُرِّع شيء صار من الإيمان وزاد بذلك وقت التشريع، فالذين ماتوا من المسلمين في أول الهجرة آمنوا بالإيمان جميعه، والذي نزل بعد ذلك زيادة في الإيمان.

والثاني من جهة العامل والعمل: إذا زاد خصلة من خصال الإيمان زاد إيمانه، وإذا عصى نقص إيمانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠) عن أبي سعيد.

والثالث: المرأة إذا حاضت، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»(١)، ولا تأثم عليه، فهذا نقصان من الإيمان الواجب، ومع ذلك هو نقص ولا تأثم، وتارة نقصانه بالمعاصي، كما تقدم.

ويتبعض، ويتجزأ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا الحد مختص بقول أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك المرجئة والجهمية، والمعتزلة والخوارج.

فالمرجئة والجهمية(٢) يقولون: هو تصديق فقط، أو قول فقط، أو هما معًا، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يدخلون أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، فإيمان جبريل وفرعون سواء.

والنصوص من الكتاب والسنة ظاهرة أنه منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم لبيت المقدس. اهـ

❁ **الهراس**: ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان، كان الإيمان قابلا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم، وأعمال قلوبهم، وأعمال جوارحهم.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠) عن أبي سعيد.

(٢) على اختلاف طوائفهم.

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات.

والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرمات، وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير، فازداد به إيمانه، وتم يقينه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحال ببعضهم ألا يكون معه إلا إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن[١].

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص، كما يروى عن أبي حنيفة وغيره، فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة، قال ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[٢]. اهـ

* **وقال شيخ الإسلام المصنف**[٣]: الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به.

---

(١) كحال المؤمنين الأوائل، الذين ماتوا في أوائل البعثة النبوية، فإنهم ماتوا على إيمان مجمل للبعث والدين.

(٢) تقدم أنه متفق عليه.

(٣) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص/ ٥١٩-ط: محي الدين).

فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد.

وإذا كان كذلك فالسب إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز، ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس فإنه سمع أمر الله له، فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة، فصار كافرا. وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون، ممن لم يصدر عنه تكذيب، أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر، فيتحيرون.

ولو أنهم هدوا لما هدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل -أعني في الأصل قولًا في القلب وعملًا في القلب- فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره، فيصدق القلب أخباره تصديقًا يوجب حالًا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنًا إلا بمجموع الأمرين، فمتى ترك الانقياد كان مستكبرًا فصار من الكافرين، وإذا كان مصدقًا فالكفر أعم من التكذيب، يكون تكذيبًا وجهلًا، ويكون استكبارًا وظلمًا؛ ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب.

ولهذا كان كفر من يعلم -مثل اليهود، ونحوهم- من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل -مثل النصارى، ونحوهم- ضلالًا وهو الجهل، ألا ترى أن نفرًا من اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي. ولم يتبعوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق؟ ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرًا وأمرًا، فإنه يحتاج إلى

مقام ثان، وهو تصديقه خبر الله، وانقياده لأمر الله؟ فإذا قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره، والانقياد لأمره، فإذا قال: «وأشهد أن محمدًا رسول الله» تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله، فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار، فلما كان التصديق لابد منه في كلا الشهادتين وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول، ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان، وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه، وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرًا وباطنًا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله ﷻ كإبليس، وهذا مما يبين لك أن الاستهزاء بالله وبرسوله ينافي الانقياد له؛ لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته فصار الانقياد له من تصديقه في خبره، فمن لم ينقد لأمره فهو إما مكذب له، أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح، ومن استخف به واستهزأ بقلبه امتنع أن يكون منقادًا لأمره، فإن الانقياد إجلال وإكرام والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان، فمتى حصل في القلب أحدهما انتفى الآخر، فعلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد.

والعبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه، فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه، أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم، وأبى أن يذعن لله وينقاد، فهو إما جاحد أو معاند؛ ولهذا قالوا: من عصى مستكبرا كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفره الخوارج، فإن العاصي المستكبر، وإن كان مصدقًا بأن الله ربه، فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق.

وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلًا لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها بغير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية، أو لخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم أن الله

حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشد كفرًا ممن قَبْلَه، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون- مع العلم بجميع ما يصدق به- تمردًا أو إتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه؛ لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك، ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق، وأنفر عنه. فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع، بل عقوبته أشد، وفي مثله قيل: **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**، وهو إبليس ومن سلك سبيله.

وبهذا يظهر الفرق بين العاصي، فإنه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه، ويحب أنه يفعله، لكن الشهوة والنفرة منعته من الموافقة، فقد أتى من الإيمان بالتصديق والخضوع والانقياد، وذلك قول وعمل، لكن لم يكمل العمل. اهـ



الإيمان عند المعتزلة والخوارج

* **قال الشيخ**: والمعتزلة والخوارج يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ، فمن أتى بمعصية يكفر ويخرج من الإيمان، وهم يجعلون العفو ذنبًا، والذنب كفرًا.

* المعتزلة والخوارج يوافقون المرجئة والجهمية في أنه لا يزيد ولا ينقص، وبنوا عليه أصلًا، وهو أنه إذا زال زال بالكلية، وإذا وجد وجد بالتمام، ويوافقون أهل السنة والجماعة في أنه قول وعمل، ويخالفون أهل السنة في أنه يتبعض ويتجزأ.

* وأهل السنة يقولون: إنه يزيد من ناحية الصلاح والتصديق -من ناحية العمل وما في القلوب- فالتصديق الذي في قلب أبي بكر ليس مثل غيره.

وكذلك النقصان من ناحية المعاصي نظير البصر[1]، زيدٌ مثلًا يعرف فلانًا من نصف كيلو، وعمرو، ويُميِّز أنه رجل لا امرأة، وخالد يرى الشخص، لكن لا يميز أرجل أو امرأة.

وأدلة الزيادة والنقصان في القرآن معلومة، والسنة كذلك، منها: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين»[2].

فالإيمان يكسب القلب لينًا؛ لأجل كمال حياته فيزيد، والمعصية تُظلِم بالقلب فيقسو فينقص الإيمان، وفي الآية: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. اهـ

قوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]).

* **آل الشيخ**: فأهل السنة مع القول بهذا الحد للإيمان لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر. يعني: كونه تصدر منه معصية- أو معاصٍ- فليس كافرًا بذلك.

فعند أهل السنة: أن من خصال الإيمان ما يزول كله بزوالها، كأركان الإسلام والإيمان.

---

(١) أي: اختلاف ما في القلوب والبصائر، يختلف كاختلاف بصر العين من حيث القوة والضعف.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

ومنها ما يزول كماله الواجب، كفعل بعض المعاصي والكبائر التي لا توصل إلى الكفر.

ومنها ما يزول كماله المندوب بترك مندوبات الإيمان.

فالأعمال مع الإيمان بمنزلة الشجرة إذا زال الأصل زالت الشجرة، وكذا الإيمان، فإن قطع شيء من أوراقها وأغصانها كانت ناقصة، فهي بعد ذهاب الورق شجرة، وبعد ذهاب الأغصان شجرة، لكن كاملة وناقصة، فأهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج؛ بناءً على أصلهم السابق أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، فبزوال خصلة منه يزول كله، فيخرج من ربقة الإيمان، فيكفرونه بمطلق المعصية أو الكبيرة. اهـ

❁ **الهراس**: ومع أن الإيمان المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات، فهي ليست كلها بدرجة واحدة، بل العقائد أصل في الإيمان، فمن أنكر شيئًا مما يجب اعتقاده في الله، أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر، أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا والقتل.. إلخ، فهو كافر، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي) أي: مع وجود المعاصي منهم، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] سماه أخاه مع وجود القتل، وجعل الأخوَّة الإيمانية بينهما.

(وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

أي: وكذلك سماهم إخوة لهم مع وجود التقاتل، فدل على أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع وجود المعاصي، فظهر بهاتين الآيتين وأمثالهما ضلال الخوارج وأمثالهم.

ومن جملة ما استدل به الخوارج قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية وأشباهها.

والرد على الخوارج من غير ما تقدم: أنه كان في زمن النبي ﷺ مَن صدر منه معاص، من الزنا، والسرقة، والسكر، وغير ذلك، وثبتت لهم أحكام الإسلام من توريثهم، ومن دَفْنهم مع المسلمين، ومن الصلاة عليهم، وغير ذلك، ولم يكونوا كفارًا.

وهذا من أعظم الضلال تكفير عصاة الموحدين، وأن الإيمان لا يقبل التبعض والتجزؤ. اهـ

❁ **العثيمين**: الكبيرة: كل ذنب قرن بعقوبة خاصة، كالزنا، والسرقة، وعقوق الوالدين، والغش، ومحبة السوء للمسلمين، وغير ذلك. وحكم فاعلها من حيث الاسم أنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وليس خارجًا من الإيمان؛ لقوله تعالى في القاتل عمدًا: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾. فجعل الله المقتول أخًا للقاتل، ولو كان خارجًا من الإيمان ما كان المقتول أخًا له، ولقوله تعالى في الطائفتين المقتتلتين: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾. فجعل الله الطائفتين المقتتلتين مع فعلهما الكبيرة إخوة للطائفة الثالثة المصلحة بينهما.

حكم فاعل الكبيرة

وحكم فاعل الكبيرة من حيث الجزاء أنه مستحق للجزاء المرتب عليها ولا يخلد في النار، وأمره إلى الله إن شاء عذبه بما يستحق، وإن شاء غفر له؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾.

الذي خالف أهل السنة في فاعل الكبيرة ثلاث طوائف:

١- المرجئة: قالوا: إن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا عقاب عليه.

٢- الخوارج: قالوا: إنه كافر مخلد في النار.

٣- المعتزلة: قالوا: لا مؤمن، ولا كافر، في منزلة بين منزلتين، وهو مخلد في النار. اهـ



قوله: (وَلا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسْلامَ بِالكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ المُعْتَزِلَةُ).

❁ **ابن مانع**: الفاسق الملي أي: الذي على ملة الإسلام، ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره كعبادة غير الله، وإنكار ما علم مجيئه من الدين بالضرورة، وغير ذلك، مما هو معلوم في نواقض الإسلام وموجبات الردة، أعاذنا الله منها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الفاسق الملي الذي من أهل ملتنا، وهو فاسق لا يسلب اسم الإيمان بالكلية ويقال: ليس بمؤمن، كما تقوله المعتزلة، فالمعتزلة يقولون -بأصل الخوارج-: إنهم خرجوا من الملة. تتفق مع الخوارج في خروجه من الإيمان، ولكن الخوارج يقولون: يخرج من الإسلام والإيمان، ويدخل في الكفران. والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ويقفون، يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وردوا بذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأهل السنة بخلاف القولين: -القول بخروجه من الإيمان والوقوف، والقول بدخوله في الكفر- بريئون من مقالة الطائفتين، ويقولون: إنه تحت المشيئة كما في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فعصاة الموحدين تحت المشيئة، إن شاء الرب عذبهم على قدر جرائمهم وطهرهم منها، وإن شاء تجاوز وعفا، وسمح عنهم، وأدخلهم برحمته الجنة.

قوله: (وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُ المُعْتَزِلَةُ) أي: أهل السنة لا يقولون بخلوده في النار، كما تقوله المعتزلة والخوارج، فالمعتزلة متفقون مع الخوارج في حكمه في الآخرة أنه مخلد في النار.

وهذه المسألة يقال لها: مسألة أسماء الدين وأحكامه. وحد الإيمان سبق لك ما هو حدُّه عند أهل السنة وعند الخوارج والمرجئة، وتقدم أن الأخوة تبقى معهم ولو على المعاصي.

وقوله: (بَل الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]) أي: الفاسق الملي، الذي يجاهر بالمعاصي ويكابر بها، يحكم عليه بالفسق، ويتغلظ بحسبها، ومن تكرر منه حبس عليها، يدخل في اسم الإيمان لا كما يقوله هؤلاء، ولا هؤلاء، كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ووجه دلالتها أنه لو أعتق رقبة فاسقة ذات معاص أجزأت بإجماع أهل العلم، فصار داخلًا في هذه الآية، وهو قوله: ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾.

قوله: (وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ). أي: الفاسق الملي لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ لعصيانه، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، فإن الفاسق الملي لا يَجِلُ قلبُه، وليس ممن إذا تليت عليه الآيات زادته إيمانًا على الحقيقة، فما دخل في الإيمان الذي يستحق أن يثنى عليه ويمدح به، إنما يثنى على من أتى بالإيمان الكامل، فالفاسق ما دخل في هذا، إذ لو كان ممن إذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما دخل في المعاصي. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: القرآنية السمعية ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فلم يدخل في هذا، فإنه ليس بمؤمن الإيمان المطلق. فالفاسق لا يخرج من الإيمان بالكلية، وإن خرج من الإيمان المُثْنَى به لا يخرج عن الثاني وهو مطلق الإيمان، والمُثنى به هنا هو الواجب، فإيمانه ناقص؛ إذ لو كان مؤمنًا الإيمان الواجب لزجره عنها، فإنه لم يباشرها إلا عن نقص إيمانه. اهـ

* **العثيمين**: الفاسق لا يدخل في اسم الإيمان المطلق- أي: الكامل- كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. وإنما يدخل في مطلق الإيمان- أي: في أقل ما يقع عليه الاسم- كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فالمؤمن هنا يشمل الفاسق وغيره. اهـ.

---

* **آل الشيخ**: قوله: (**وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**[1]).

فهذا الحديث فيه نفي الإيمان عن أهل الكبائر. وقول بعض السلف: إن الإيمان يخرج كالظلة فوقه، المراد به: خرج ما يستحق به الثناء عليه. اهـ

* **ابن باز**: من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الفاسق الملي المنتسب لملة الإسلام اسمَ الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، فسلب الإيمان كالخوارج، ولا يخلدونه في النار كالمعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، مثل ما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ومثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، يدخل في خطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أما في مقام المدح والثناء، فلا يدخل في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ولا يدخل في قوله ﷺ: **«لا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**، **«ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية»**[2]، **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»** إلخ، لأنه ناقص الإيمان، قوله: «وهو مؤمن». يعني: الإيمان الكامل،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٤٣، ٥٢٥٦، ٦٣٩٠، ٦٤٢٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤، ١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣) عن ابن مسعود.

فالمؤمنون الكمَّل يخرج منهم الفسقة، ووصف الإيمان -وهو المسلم الذي يخاطب به الإيمان- يدخل فيه الفاسق، يدخل في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وفي قوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وفي قوله: «المسلم أخو المسلم»[1] يدخل في هذا الفاسق وغير الفاسق، لكن إذا جاء الإيمان مطلقًا مع المدح لم يدخل فيه الفاسق، ومع الإطلاق يدخل الفاسق، كما مرَّ، مثل قوله: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، سمَّاه أخًا وهو قاتل، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد بغى بعضهم على بعض، ومع ذلك سمَّاهم إخوة.

والخلاصة: أن الفاسق يدخل في الإيمان المطلق، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾، وأشباه ذلك، ولا يدخل في الإيمان الكامل الذي مدح أهله مثل ما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٣]، وقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...» إلخ الحديث؛ لأن فسقه بالمعصية أزال عنه كمال الإيمان، فيسمى مسلمًا، ويسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يسمى مؤمنًا بإيمانه فاسقًا بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق (مؤمن)، ولا يسلب مطلق الاسم، فلا يقال: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقال: ليس بمؤمن إلا بهذا القصد، بنية أنه ليس بمؤمن كامل، وبهذا يرد على المعتزلة والخوارج، ويصير المؤمن على عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الذي ضلّت فيه أفهام وزلت فيه أقدام، والله المستعان. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

❁ **ابن عثيمين**: وقوله: (**وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلا يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ**) أي: كأن قائلًا قال: إذا كان الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، فهل تقولون: إنه مؤمن، أو تقولون: إنه كافر؟

فنقول: لا نقول: إن العاصي كافر. ولا نقول: إنه مؤمن ويُطْلَق. بل يقيد، فنقول: هو مؤمن في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، ناقص الإيمان؛ لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحق أن يثنى عليه به، لا نفي لأصل الإيمان عنه، كأن قائلًا قال: إذا كان الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، فهل تقولون: إنه مؤمن، أو تقولون: إنه كافر؟

فنقول: لا نقول: إن العاصي كافر. ولا نقول: إنه مؤمن ويُطْلَق. بل يقيد، فنقول: هو مؤمن في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، ناقص الإيمان؛ لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحق أن يثنى عليه به، لا نفي لأصل الإيمان عنه. ولعل قائلًا أن يقول: كيف يدخل الفاسق في الآيات في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؟

فيقال: إن آية ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على وجه إثبات الإيمان له، لا على وجه المدح والكمال. وعدم دخوله في آية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنها على وجه المدح والكمال كما تقدم.

والضابط: أنه إذا ذكرت الآيات التي فيها الأحكام، فالمطلق يدخل فيها. اهـ

❁ **الهراس**: الفاسق الملي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها، فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمن فاسق، لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة الكفار منهم.. إلخ.

فائدة: الإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمان صحيح معتد به، وجد معه إسلام، وكذلك العكس؛ ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذكرا معًا مقترنين أريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخص مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه، كما في قوله تعالى: ﴿۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]. فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أن كلًّا منها أخص مما قبله. اهـ



خاتمة

❁ **السعدي**: قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يسلبون الفاسق المِلِّي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار...» الخ. وهذا تحقيق مذهب السلف الذي باينوا فيه الخوارج المارقين الذين يسلبون العصاة اسم الإيمان ويخلدونهم، وباينوا فيه المعتزلة الذين وافقوا الخوارج في المعنى وخالفوهم في اللفظ.

وأما الكتاب والسنة فإنهما دلّا من وجوه كثيرة، على أن العبد يكون فيه خير وشر، وإيمان وخصال كفر أو نفاق، لا تخرجه عن الإيمان بالكلية، وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٣] ونحو ذلك من النصوص. وأما مطلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص؛ فإنه قد ثبت في الكتاب والسنة إطلاقه على العصاة من المؤمنين، وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. ومن المعلوم دخول أي مؤمن كان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال.

ويقال أيضا في توضيح ذلك: إن الإيمان الممدوح الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الإيمان الكامل والإيمان الذي يقال لصاحبه: إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا.

ويقال أيضًا: الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجزئ على الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، ونحوها من الفواحش، هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو الناقص.

وهذا وجه الحديث الذي ذكره المصنف «لا يزني الزاني...» إلى أخره.

ويقال أيضا: الإيمان الذي يمنع دخول النار هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون ناقصًا.

وقد تواترت الأحاديث بخروج من في قلبه حبة خردل من إيمان[١].

ويقال أيضًا: الأحكام الأصولية والفروعية تدور مع عللها وأسبابها، وإذا وجد في العبد أسباب متعارضة عَمِلَ كل سبب في مسبَّبِهِ، فالطاعات سبب لدخول الجنة، والثواب والمعاصي سبب لدخول النار والعقاب، فأعملْ كل واحد في مقتضاه. ولكن لما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه، وفضله على العباد قد غمرهم وتنوع عليهم من كل وجه، كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المستقر الذي يضمحل ضده من كل وجه، وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مآله إلى الخلود في دار النعيم. اهـ

تنازع الناس في اسم الإيمان والمؤمن

* قال المصنف رحمه الله في كتاب «الإيمان الأوسط»[٢] ما ملخصه: تنازع الناس في اسم المؤمن والإيمان نزاعًا كثيرًا، منه لفظي، وكثير منه معنوي، فإن أئمة الفقهاء لم ينازعوا في شيء مما ذكرناه من الأحكام، وإن كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض، ولكن تنازعوا في الأسماء كتنازعهم في الإيمان هل يزيد وينقص؟ وهل يستثنى فيه أم لا؟ وهل الأعمال من الإيمان أم لا؟ وهل الفاسق الملي مؤمن كامل الإيمان أم لا؟

والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص- يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية- وأنه يجوز الاستثناء فيه، كما قال عمير بن حبيب الخطمي[٣] وغيره

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١٥٨١)، وصحيح مسلم (٥٠).
(٢) (ص/ ٣٦٦ وما بعدها - ط: الزهراني).
(٣) كان من أهل بيعة الرضوان.

من الصحابة: الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه[(١)]. فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهم[(٢)]. وربما قال بعضهم وكثير من المتأخرين: قول، وعمل، ونية. وربما قال آخر: قول، وعمل، ونية، واتباع السنة. وربما قال: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. أي: بالجوارح. وروى بعضهم هذا مرفوعًا إلى النبي ﷺ في النسخة المنسوبة إلى أبي الصلت الهروي، عن علي بن أبي موسى الرضا، وذلك من الموضوعات على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بحديثه[(٣)].

وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولًا إلا بالتقييد. كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٤)، وفي «المصنف» (٣٠٣٢٧) أو (٣٠٩٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥)، والخلال في «السنة» (١١٤١، ١٥٨٢)، وابن أبي زمين في «السنة» (١٤٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٩٢)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٤٢٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٢٥).

(٢) جاءت آثار كثيرة عن الصحابة، عن عمر، وأبي الدرداء، وابن عباس، وأبي هريرة، ومعاذ، وحذيفة، وغيرهم انظرها في «السنة» للخلال (٤/ ٤٧، ٥/ ٤٨-٥٠)، و«السنة» لابن أبي زمنين (ص/ ١٧٦-١٧٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٨٤٣-٨٤٦)، وحكاه البيهقي في «الاعتقاد» (١/ ١٨٠) عن الخلفاء الراشدين وجماعات من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٧)، وفي «الاعتقاد» (١/ ١٨٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤٠٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٣٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٣)، (١١/ ٤٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٢٨)، وضعفه العقيلي والبوصيري، وقال الألباني: موضوع، لكن الظاهر من صنيع البيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٨) تصحيحه.

فقول السلف يتضمن القول والعمل، الباطن والظاهر، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك قال بعضهم: ونية.

ثم بيَّن آخرون أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولًا إلا بموافقة السنة، وهذا حق أيضًا، فإن أولئك قالوا: قول وعمل؛ ليبينوا اشتماله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال. وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسمًا لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله، والتوكل على الله، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها.

وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه -وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم-: إنه يزيد وينقص.

وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل، فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت. ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته.

المرجئة

وأنكر حماد بن أبي سليمان ومن اتبعه تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه؛ وهؤلاء من مرجئة الفقهاء.

وأما إبراهيم النخعي - إمام أهل الكوفة شيخ حماد بن أبي سليمان – وأمثاله، ومن قبله من أصحاب ابن مسعود- كعلقمة، والأسود- فكانوا من أشد الناس مخالفة للمرجئة، وكانوا يستثنون في الإيمان، لكن حماد بن أبي سليمان خالف سلفه، واتبعه من اتبعه، ودخل في هذا طوائف من أهل الكوفة ومن بعدهم.

ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء، وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحدًا منهم نطق بتكفيرهم، بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك؛ وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة.

ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيرًا لهؤلاء، أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم، فقد غلط غلطًا عظيمًا، والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة، إنما هو تكفير الجهمية المشبهة وأمثال هؤلاء.

ولم يكفر أحمد الخوارج، ولا القدرية إذا أقروا بالعلم، وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة، لكن حكي عنه في تكفيرهم روايتان.

وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم، مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال: إنه جهمي كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج، والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة.

وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره، ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالًا مبتدعين، وظلمة فاسقين.

وهؤلاء المعروفون -مثل حماد بن أبي سليمان، وأبي حنيفة، وغيرهما من فقهاء الكوفة- كانوا يجعلون قول اللسان، واعتقاد القلب من الإيمان- وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله- لم يختلف قولهم في ذلك، ولا نقل عنهم أنهم قالوا: الإيمان مجرد تصديق القلب. لكن هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان، ذكروا أنه قال: الإيمان مجرد

معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه، واشتد نكيرهم لذلك، حتى أطلق وكيع بن الجراح، وأحمد بن حنبل، وغيرهما كفر من قال ذلك، فإنه من أقوال الجهمية، وقالوا: إن فرعون، وإبليس، وأبا طالب، واليهود، وأمثالهم عرفوا بقلوبهم، وجحدوا بألسنتهم، فقد كانوا مؤمنين؟! وذكروا قول الله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقالوا: إبليس لم يكذب خبرًا ولم يجحد، فإن الله أمره بلا رسول، ولكن عصى واستكبر، وكان كافرًا من غير تكذيب في الباطن، وتحقيق هذا مبسوط في غير هذا الموضع.

وحدث بعد هؤلاء قول الكرامية: إن الإيمان قول اللسان دون تصديق القلب. مع قولهم: إن مثل هذا يعذب في الآخرة، ويخلد في النار.

وقال أبو عبد الله الصالحي[١]: إن الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته، لكن له لوازم، فإذا ذهبت دلَّ ذلك على عدم تصديق القلب، وإن كل قول أو عمل ظاهر دلَّ الشرع على أنه كفر كان ذلك؛ لأنه دليل على عدم تصديق القلب ومعرفته، وليس الكفر إلا تلك الخصلة الواحدة، وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة، وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري، وعليه أصحابه، كالقاضي أبي بكر، وأبي المعالي، وأمثالهما؛ ولهذا عدهم أهل المقالات من المرجئة.

والقول الآخر عنه[٢] كقول السلف وأهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل. وهو اختيار طائفة من أصحابه، ومع هذا فهو وجمهور أصحابه على قول أهل الحديث في الاستثناء في الإيمان.

---

(١) صالح بن عمر الصالحي صاحب فرقة الصالحية من غلاة المرجئة، ذكر عنه الشهرستاني في «الملل» (ص/ ١٤٤)، والبغدادي في «الفرق» (ص/ ١٩٥) شنائع في تعريف الإيمان!!.

(٢) أي: عن الأشعري.

والإيمان المطلق عنده، ما يحصل به الموافاة، والاستثناء عنده يعود إلى ذلك، لا إلى الكمال والنقصان والحال. وقد منع أن يطلق القول بأن الإيمان مخلوق، أو غير مخلوق، وصنف في ذلك مصنفا معروفًا عند أهل السنة في كتاب «المقالات»، وقال: إنه يقول بقولهم.

وقد ذهب طائفة من متأخري أصحاب أبي حنيفة -كأبي منصور الماتريدي، وأمثاله- إلى نظير هذا القول في الأصل، وقالوا: إن الإيمان هو ما في القلب، وأن القول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا، لكن هؤلاء يقولون بالاستثناء ونحو ذلك كما عرف من أصلهم.

وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان -من الخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم- أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: **«يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان»**[1].

ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان.

وقالت المرجئة والجهمية: ليس الإيمان إلا شيئًا واحدًا لا يتبعض، إما مجرد تصديق القلب، كقول الجهمية، أو تصديق القلب واللسان، كقول المرجئة.

قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءا منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان، وهو قول المعتزلة، والخوارج، لكن قد يكون له لوازم ودلائل، فيستدل بعدمها على عدمه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨١)، ومسلم (٥٠).

وكان كل من الطائفتين بعد السلف والجماعة وأهل الحديث متناقضين، حيث قالوا(١): الإيمان قول وعمل، وقالوا: مع ذلك لا يزول بزوال بعض الأعمال. حتى إن ابن الخطيب(٢) وأمثاله جعلوا الشافعي متناقضًا في ذلك، فإن الشافعي كان من أئمة السنة، وله في الرد على المرجئة كلام مشهور، وقد ذكر في كتاب الطهارة من «الأم» إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم على قول أهل السنة، فلما صنف ابن الخطيب تصنيفًا فيه، وهو يقول في الإيمان بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي، ورآه متناقضًا...إلخ.



---

(١) يعني: السلف.

(٢) هو أبو عبد الله فخر الدين الرازي.

فَصلٌ

موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة رضي الله عنهم

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمْ الله بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»(١).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلحُ الحُدَيْبِيَّةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ.

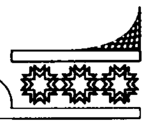
وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله قَالَ لأَهْلِ بَدْر وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَر: «اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا، وسيأتي بقصته إن شاء الله.



وَبِأَنَّهُ «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[١]؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيِّ ﷺ؛ بَل لَقَدْ رضيَ عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلفٍ وَأَرْبَعمِائَة[٢]).

الشَّرْح

❁ **ابن باز:** هذا الفصل من أفضل فصول الكتاب، ومن أهم فصول هذا الكتاب «العقيدة الواسطية» في شأن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فيه الرد على الرافضة، والرد على النواصب، وفيه بيان فضلهم ومنزلتهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وهو فصل عظيم أجاد فيه المؤلف وأحسن بعبارات واضحة بيّنة.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فقلوبهم سالمة، يحبونهم ويترضون عنهم؛ لأن حبهم دين، فأهل السنة والجماعة يحبونهم في الله، وقلوبهم سالمة نحوهم، بل مملوءة بحبهم، وألسنتهم سالمة، فلا يسبونهم ولا يعيبونهم، بل يترضون عنهم، ويدعون لهم، طاعةً لله، قال الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**»، فأهل السنة والجماعة هذه صفتهم، قلوبهم وألسنتهم سالمة لأصحاب رسول الله ﷺ، فهم ﷺ زبدة الأمة بعد الأنبياء عليهم السلام، لا كان ولا يكون مثلهم رضي الله عنهم وأرضاهم. اهـ

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) صح الحديث في ذلك عن البراء بن عازب عند البخاري (٣٥٧٧، ٤١٥٠، ٤١٥١)، وعن جابر بن عبد الله عند البخاري (٣٥٧٦، ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦)، وعن عبد الله بن أبي أوفى عند البخاري (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧).

* **الهراس**: يقول المؤلف: إن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقدًا ولا بغضًا ولا احتقارًا، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]... الآية. فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وثنائهم عليهم، وهم أهل لذلك الحب والتكريم؛ لفضلهم، وسبقهم، وعظيم سابقتهم، واختصاصهم بالرسول ﷺ، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم ﷺ، فما وصل لأحد علم ولا خبر إلا بواسطتهم، وهم يوقرونهم أيضا طاعة للنبي ﷺ؛ حيث نهى عن سبهم والغض منهم، وبين أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم، وصادق إيمانهم. اهـ

* **آل الشيخ**: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سلامةُ قلوبِهم وطهارتُها لأصحابِ رسول الله ﷺ، سلامة قلوبهم من الغل، والحقد، والبغض، والعداوة، واعتقاد السوء في الصحابة. وسلامة ألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فألسنتهم سالمة من أن تتلوث بالطعن والوقيعة في أعراض أصحاب رسول الله ﷺ، بل هم أحب طائفة إليهم. يعني: خلافًا للروافض الذين قلوبهم مفعمة[1] من بغض أصحاب رسول الله ﷺ وعداوتهم، وألسنتهم مسلقة في سب أصحاب رسول الله ﷺ، فمن مذهب الروافض تكفير أصحاب رسول الله ﷺ إلا بضعة عشر، فمذهبهم في أصحاب رسول الله ﷺ أشنع مذهب وأفظعه؛ ولهذا صاروا أشر من اليهود والنصارى في هذا الباب، فإنهم لو سئلوا مَنْ شَرُّكم؟ لقالوا: أصحاب محمد ﷺ، واليهود لو سئلوا: من خيركم؟ لقالوا: أصحاب موسى، والنصارى لو سئلوا من خيركم؟ لقالوا: أصحاب عيسى.

---

(١) أي: ممتلئة. فعُمَ الإناء -ككرُم- أي: امتلأ، وأفعَمَ الإناءَ: ملأه. قاله في «القاموس».

وذهب بعض أهل العلم إلى تكفير الروافض[(١)]، واستدل بقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]. هذا التكفير في بدعة التفضيل من دون بدعة التخوين[(٢)]، وأيضًا هناك شيء آخر، وهو عبادة الأوثان، والعياذ بالله. اهـ

❁ **العثيمين**: الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ، أو رآه- ولو لحظة- مؤمنًا به، ومات على ذلك. وموقف أهل السنة من الصحابة محبتهم، والثناء عليهم بما يستحقون، وسلامة قلوبهم من البغضاء والحقد عليهم، وسلامة ألسنتهم من قول ما فيه نقص أو شتم للصحابة، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. وقال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)]. اهـ

---

(١) وهو قول للإمام مالك وطائفة من العلماء. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٦-٢٩٨)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦٢)، قال ابن كثير: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة؛ لأنهم يغيظونهم، ومن غاضه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. اهـ

(٢) أي قولهم بأنَّ جبريل عليه السلام أرسل بالنبوة لعليّ بن أبي طالب، لكنه خان الأمانة فجعلها لمحمد ﷺ! وهذا القول كفر بإجماع العلماء.

(٣) تقدم تخريجه من الصحيحين. والمُد -كما في «القاموس» وشرحه-: بالضم: مكيال وهو رطلان عند أهل العراق، أو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وقيل: هو ربع صاع، أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدَّ يده بهما، وهو قدر مُد النبي ﷺ، والصاع: أربعة أمداد، وفي حديث فضل الصحابة: «ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة، وجمع المد: أمداد ومددة -كعنبة- ومداد. اهـ

قال القرطبي (١٧/ ٢٩٧): قال أبو عبيد: معناه: لم يدرك مد أحدهم إذا تصدق به، ولا نصف المد. فالنصيف هو النصف هنا، وكذلك يقال للعُشر: عَشير، وللخمس: خَميس... إلخ.

* **قال شيخ الإسلام المصنف**[(١)]: الأصحاب: جمع صاحب: والصاحب اسم فاعل من صَحِبَه يَصْبَحُهُ، وذلك يقع على قليل الصحابة[(٢)] وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا، وصحبته سنةً، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] قد قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أن صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فما فوقها، وقد أوصى الله به إحسانًا ما دام صاحبا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[(٣)]، وقد دخل في ذلك قليل الصحبة وكثيرها، وقليل الجوار وكثيره.

وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: «كل من صحب النبي ﷺ سنة، أو شهرًا، أو يومًا، أو رآه مؤمنًا به، فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك».

فإن قيل: فلم نهى خالدًا عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضا؟ وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**».

قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين، الذين صحبوه في وقتٍ كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من

﴿١﴾ «الصارم المسلول» (ص/ ٥٧٧-ط: دار ابن حزم).

﴿٢﴾ الصحابة اسم فاعل، ومصدر صَحِب يصحب صَحابةً بفتح الصاد وكسرها وصُحبة بضم الصاد، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبان وصِحاب وصَحابة وصِحابة وصَحْب. قاله في «القاموس».

﴿٣﴾ أخرجه أحمد (٦٥٦٦)، وعبد بن حميد (٣٤٢)، والدارمي (٢/ ٢١٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٢٣٨٨)، والترمذي (١٩٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (٢٨٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٤١، ٩٥٤٢)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٩)، وابن حبان (٥١٨، ٥١٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٣)، (٢/ ١٠١)، و(٤/ ١٦٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي مرفوعًا.

الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.

وقوله: «**لا تسبوا أصحابي**» خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**أيها الناس إني أتيتكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» أو كما قال، بأبي هو وأمي ﷺ. قال ذلك لما غامر[1] بعض الصحابة أبا بكر، وذاك الرجل من فضلاء أصحابه[2] ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبته وانفرد بها عنه. اهـ



(١) غامر: أي خاصم.

(٢) هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في حديث أبي الدرداء في «صحيح البخاري» (٣٦٦١، ٤٦٤٠)، وفيه أنه كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمرَ، فانصرف مغضبًا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أمّا صاحبكم فقد غامر**» فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثًا. ثم إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ حتى سلم وجلس، وغضب رسول الله ﷺ، وجعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر -يعني: على عمر- فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**» فما أوذي بعدها.

قوله: (كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾).

❁ **السعدي**: وهذا الدعاء الصادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله، وثنائهم عليهم؛ لأن من دعا في أمر من الأمور فهو ساع في تحقيقه، مجتهد في تكميله، متضرع لربه أن يتم ذلك له، وأولى من دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحققوه، وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم. ونفي الغل من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم، فهم يحبون الصحابة؛ لفضلهم، وسبقهم، واختصاصهم بالرسول، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم، فما وصل لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: قوله: «كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ» يعني: أهل السنة والجماعة. بسلامة قلوبهم، في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: من بعد المهاجرين والأنصار. فمن بعد البعثة المسلمون على ثلاث طبقات: مهاجرين، وأنصار، وتابعين إلى يوم القيامة. فمن صفة الطبقة الثالثة: أنهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ فإن الآية الأولى في المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، والآية بعدها في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فأثنى الله على من جاء بعد المهاجرين والأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]. فهذا وصف أهل السنة، وهذه مقالتهم، يدعون للصحابة بالمغفرة كما يسألونها لأنفسهم، فمدحهم الله بهذه المقالة، وهي باقية في أهل السنة إلى يوم القيامة، والرافضة ليسوا كذلك، بل يقعون فيهم أشد الوقيعة، بل يكفرونهم إلا النفر القليل؛ ولهذا استدل مالك بالآية على منعهم الفيء.

ثم وصفهم بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ والغل في قلوب الروافض، حتى صاروا- في هذا الباب- يظهر منهم عند ذكر الصحابة من الأقوال والأعمال مضحكات، من شدة الغيظ في قلوبهم. وبهذا ينبغي لولاة الأمور أن لا يجعلوا لهم رفادة ولا شيئًا أبدًا، اللهم إلا أن يزول رفضهم أولًا، بما يُظهِرون أولًا، فيُعْطون. اهـ

قوله: (وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ[1]: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»).

❁ **السعدي**: فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمر، وخصوصًا في هذا الأمر الخاص، وأن يوقروا أصحابه، ويحترموهم، ويعتقدوا أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم، كما في هذا الحديث، وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

وذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة على الأمة الإيمان بها، وأن يدينوا الله بها ويحبوا الصحابة لأجلها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قَوْله: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» الخطاب مع خالد بن الوليد ﵁ وأصحابه في قصة بني جذيمة، لما قتلوا مَن قتلوا -ظنًّا منهم أنهم لم يسلموا- أنكر عليه عبدُ الرحمن بن عوف ﵁ قتلَه لهم، فسبه خالد، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» يعني: عبد الرحمن بن عوف. مع أن خالدًا وأصحابه من الصحابة، لكن عبد الرحمن أسبق صحبة، فما الظن فيمن بعده في الزمن والفضل؟! لو أنفق مثل جبل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم من البر ونحوه ينفقه، «ولا نصيفه» لغة في النصف، وذلك أن تفاوت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري ﵁ مرفوعًا، وتقدم.

الأعمال إنما هو بالنسبة إلى ما في القلوب، لما فيها من صريح الإيمان والصدق ما لا يكون لمن بعدهم.

فلأجل الآية، ولأجل طاعة النبي ﷺ في هذا الحديث، الذي فيه أعظم تغاير بين الصحابة ومن بعدهم، كان مسلك أهل السنة في الصحابة هو ما تقدم. اهـ

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[1]: قوله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي»** خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام. وإن كان سبب الحديث سب خالد بن الوليد رضي الله عنه عبدَ الرحمن بن عوف، فإن من لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه قط كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد. اهـ.

تفاوت الصحابة في الرتب والفضائل

قوله: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

* **العثيمين**: تختلف مراتب الصحابة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

وسبب اختلاف مراتبهم قوة الإيمان، والعلم والعمل الصالح، والسبق إلى الإسلام.

وأفضلهم جنسًا المهاجرون، ثم الأنصار؛ لأن الله قدم المهاجرين عليهم، فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾، ولأنهم جمعوا بين الهجرة من ديارهم وأموالهم والنصرة. اهـ

(١) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٠٩- ٥١٠).

* آل الشيخ: وفضائل الصحابة جمة، جاءت نصوص عامة لجميعهم، وجاءت نصوص خاصة، منها ما هو تفضيل لهم عمومًا، ومنها خصوص طائفة على طائفة بالتفضيل، مثل المهاجرين فضلوا على الأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ومنها ما هو تفضيل أشخاص على أشخاص، وأهل السنة يقبلون ذلك كله ويعرفون لكل واحد من الصحابة فضله. اهـ



تفضيل السابقين على التابعين

قوله: (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلحُ الحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ).

* الهراس: لورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]. وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية، فذلك هو المشهور، وقد صح أن سورة الفتح نزلت عَقِيبه.

وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الإسلام، وقوته، وانتشاره، ودخول الناس فيه. اهـ

سبب تسمية صلح الحديبية فتحًا

* السعدي: وقيل لصلح الحديبية: فتح؛ لما ترتب عليه من المصالح والخير الكثير، ودخول الكثير في الإسلام؛ ولهذا كان من أسلم قبل ذلك، وأنفق، وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده؛ لما حصل لهم من السبق في الإسلام وقت ضعف المسلمين، وكثرة الأعداء، ووجود الموانع الكثيرة والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام. اهـ

* **قال الشيخ:** الفتح هو صلح الحديبية، سماه الله فتحًا، فإن الناس دخلوا في الدين، وكانوا في غزوة بيعة الرضوان ألفًا وأربعمائة، وبعدها كانوا نحوًا من عشرة آلاف، فإن الصحابة لما اجتمعوا بالكفار، وبينوا لهم، وقاتلوا كانوا أفضل ممن أنفق من بعده وقاتل.

فمن كان قبل صلح الحديبية من الصحابة بادروا، ولم يبالوا بكثرة الأعداء، فأنفقوا وقاتلوا مع الشدة والقلة، وبذلوا المهج والنفس والنفيس، ومَنْ بعدهم أنفقوا وقاتلوا، ولكن مع الكثرة والقوة، فبهذا كانوا أفضل. فالأولون في ضيق العيش، وشدة العدون وقلة النصرة. فهذا جنس المراتب، فجنس من أنفق من قبل الفتح وقاتل أفضل وأرفع على من أنفق من بعده وقاتل؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ فهؤلاء أفضل، ومنهم السابقون، وإنما كانوا أفضل؛ لأنهم كانوا سابقين؛ ولأنهم اختاروا الإسلام وقت القلة والشدة، ففرق بين من دخل في حال الضيق والشدة، ممن دخل وقد كثر الناصر والداخل في الدين، فإن النبي ﷺ حين صالح أهل الحديبية ليأمن الناسُ، فدخل بذلك خلق كثير؛ ولهذا كان ما بين صلح الحديبية وبين فتح مكة سنتان، وفي الحديبية عددهم ألف وزيادة، وفي فتح مكة عشرة آلاف. اهـ

تفضيل المهاجرين على الأنصار إجمالًا

قوله: (وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ).

❁ **السعدي والهراس**: وهذا لأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة؛ ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدم الله المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر(١).

وهذا التفضيل للجملة على الجملة، لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين. اهـ

❁ **الهراس**: وقد روي عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة: نحن المهاجرون، وأول الناس إسلاما، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء(٢). اهـ

---

(١) قال تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

(٢) هذا الأثر صحيح في المعنى، أما من حيث الرواية ففيه ثلاث جمل بعضها صحيح ثابت، وبعضها لا. أما الثابت فقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقد أخرجه البخاري (٣٦٦٨) من حديث عائشة.

وقوله: نحن المهاجرون أول الناس إسلامًا. أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١١٧٠٣) من حديث موسى بن عقبة، وعروة بن الزبير مرسلًا.

وأما قوله: قُدمنا في القرآن عليكم، فلم أجد لها ذكرًا في كتب الرواية، وإنما ذكرها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٢٣٢) معلقة بلا سند.

❁ **قال الشيخ**: أهل السنة يرون أن الكل له فضيلة وخير، ولكن يرون أن المهاجرين أفضل؛ لأن الله قدم المهاجرين على الأنصار في مواطن الثناء عليهم في عدة آيات - والله لا يقدم إلا الأفضل - كما في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٨-٩].وإنما قدموا المهاجرين؛ لأجل النصوص، فالمهاجرون أقدم في الفضيلة لكون الله قدمهم، فالتقديم يفيد التفضيل كما تقدم، والحكمة في ذلك أنهم باشروا من الشدائد ما لم يباشره الأنصار، ولكونهم فارقوا مألوفاتهم من المساكن والأوطان والأموال والعشائر وغير ذلك، كله نصرة لله ورسوله، وبعضهم فارق والديه، كما في قصة سعد، وقصتها معروفة. والأنصار آووا المسلمين، ونصروهم بالمال والأبدان، ولكن في أوطانهم وعشائرهم فكانوا في الفضل دون المهاجرين، فبهذا يعرف سبب تفضيلهم وسبقهم أيضًا، رضي الله عن الكل وأرضاهم. اهـ

تفضيل أهل بدر

قوله: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَر: «اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(١)]).

❁ **العثيمين**: أهل بدر هم الذين قاتلوا في غزوة بدر من المسلمين، وعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، والفضيلة التي حصلت لهم أن الله اطلع عليهم وقال: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». ومعناه: أن ما يحصل منهم من المعاصي يغفره الله بسبب الحسنة الكبيرة التي نالوها في غزوة بدر، ويتضمن هذا بشارة بأنه لن يرتد أحد منهم عن الإسلام. اهـ

❁ **آل الشيخ**: وبدر: ماء معروف، غير بعيد من المدينة، وجرت فيه الوقعة الشهيرة، وهو المذكور في الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وكان الذين شهدوها من الصحابة ثلاثمائة وبضعة عشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩، ٧٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**» قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنتُ امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**». قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

وقوله: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» يعني: فيؤمنون بأن النبي ﷺ قال ذلك، وبأنهم ممتازون بهذه الفضيلة على غيرهم من الصحابة، فهي رتبة عالية؛ لشهودهم هذا المشهد الكبير، الذي فرَّق فيه بين الحق والباطل.

لكن لابد من معرفة معنى ذلك، فليس معناه عند أهل العلم أنه مرخص لهم في الكفر والمعاصي، لكن من ثواب الله لأهل بدر أن المعاصي المتجددة إذا وقعت من أحدهم فإنه يوفق للتوبة، وكذلك توفيقه للحسنات، كله من ثواب الله، فهذا معنى التكفير في باقي العمر بعد ذلك. فلا تظن أن الواحد من البدريين مأذون له في المعاصي، بل إيمانهم أعظم من غيرهم، وعصيان من انقطع إلى الله أعظم؛ لامتيازه بالمعرفة، والشكر في حقه آكد، لكن مغفرة ذلك من أجل ما جرى على أيديهم من النفع، أي وما عملتم من عملٍ لا يصل إلى الكفر مغفورٌ لكم، والكفر لو قدر وجوده من بدري حبط عمله(١)، وهم متفاوتون في الأجر، فلِعُمَر من سنامه ما ليس لغيره. اهـ

فضيلة أهل بيعة الرضوان

قوله: (وَبِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ(٢)).

❁ **الهراس**: قوله: (وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة..) إلخ، فلإخباره ﷺ بذلك؛ ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ..﴾ الآية فهذا الرضا مانع من إرادة تعذيبهم، ومستلزم لإكرامهم ومثوبتهم. اهـ

---

(١) لكن الله عصمهم من ذلك.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٥)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٠٧)، وصححه ابن حبان (٤٨٠٢) من حديث جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه مسلم (٢٤٩٥) بلفظ: أن عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية».

❁ **آل الشيخ**: أهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وذلك سنة ست، فلما صَدَّ المشركون النبي ﷺ عن البيت وهم هذا العدد، أخذ النبي ﷺ عليهم أن لا يفروا، فبايعوه تلك البيعة، فرضي الله عنهم، كما أخبر به النبي ﷺ في قوله: «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**»، وهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان. أما قوله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فالمراد المرور على الصراط، فإنه منصوب على متن جهنم، وجميع الخلق يعبرون عليه، فالورود أعم من الدخول، فالدخول أخص، فلا يلزم من الورود الدخول. اهـ

قوله: (بَل لَقَدْ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلفٍ وَأَرْبَعمِائَة).

❁ **السعدي**: أي: في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وكان عددهم يتراوح ما بين ألف أو أربعمائة أو خمسمائة.

فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يُشهَد لهم بالجنة، والنجاة من النار، على وجه أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ كما أنه أخص من هؤلاء الأشخاص الذين شهد لهم ﷺ بالجنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: كل منهم قد ﷺ ، وغير خافٍ أن الرضا درجة فوق المغفرة كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨] المعروفة في صلح الحديبية، فإن النبي ﷺ في سنة ست خرج قاصدًا مكة في ذي القعدة معتمرًا، ولما بلغه أن قريشًا يريدون أن يصدوه عن العمرة، عزم على أن من قاتله أن النبي ﷺ يقاتلهم، فبايعهم تحت الشجرة على ألا يفروا إذا لقوا قريشًا في مكة، فصالحهم النبي ﷺ أن يعتمر من القابلة.

المقصود أنهم بايعوه تحت الشجرة، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فيؤمن أهل السنة أن الله رضي عنهم.

فهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان، لهم مزية على من لم يحصل له ذلك، هذه فضيلة عمومية لأهل بيعة الرضوان، كما أن موقعة بدر عمومية لأهل بدر على غيرهم، وكذلك فضيلة المهاجرين على من ليسوا مهاجرين كذلك، ومنها باعتبار تفضيل العشرة، فهي خاصة لهم بالنسبة إلى غيرهم وعامتهم. وفي الصحابة من له فضائل خاصة به، كأبي بكر، وعمر وغيرهم، وكذلك الملازمون له في الصحبة، وهذا غالب فيهم ليس في كل فرد منهم، بل من اجتمع بالرسول ﷺ ولو لحظة وهو مؤمن به فإنه من الصحابة. اهـ

* **العثيمين**: أهل بيعة الرضوان هم: الذين بايعوا النبي ﷺ عام الحديبية على قتال قريش، وألا يفروا حتى الموت.

وسببها ما أشيع من أن عثمان قتلته قريش، حين أرسله النبي ﷺ إليهم للمفاوضة.

وسميت بيعة الرضوان؛ لأن الله رضي عنهم بها، وعددهم نحو ألف وأربعمائة.

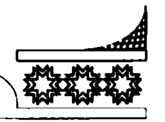
والفضيلة التي حصلت لهم هي:

١- رضا الله عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

٢- سلامتهم من دخول النار؛ لأن النبي ﷺ أخبر أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة. اهـ

* قال الشيخ المصنف رحمه الله في وصف الصحابة رضي الله عنهم[1]: وهؤلاء هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]،

---
(١) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٧ وما بعدها).



وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٥]، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم الذين يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء.

ولا ريب أن الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا نقيض مذهب الرافضة.

وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨] هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا الله لهم.

وروى أيضا بإسناده عن مالك بن أنس أنه قال: من سب السلف فليس له في الفيء نصيب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآية[1].

وهذا معروف من مالك وغير مالك من أهل العلم، كأبي عبيد القاسم بن سلام[2]، وكذلك ذكره أبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد، وغيره من الفقهاء.

وروى أيضا عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله بالاستغفار لأصحاب النبي ﷺ وهو يعلم أنهم يقتتلون.

---

(١) قال في الإبانة لابن بطة (ص/ ٩): قال مالك بن أنس: الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم. أو قال: نصيب في الإسلام. وقد أورد ابن تيمية الأثر الأول مختصرًا في «الصارم المسلول» (ص/ ٧٤ - محيي الدين عبد الحميد).

(٢) والحميدي عبد الله بن الزبير في كتاب «السنة» له، وهو مطبوع في ذيل «المسند» للحميدي.

وقال عروة: قالت لي عائشة ﵂: يا ابن أختي أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم[(١)]!

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٢)].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[(٣)].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا، عن جابر بن عبد الله قال: قيل لعائشة: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر، وعمر. فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر[(٤)].

وروى ابن بطة بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا معاوية، حدثنا رجاء، عن مجاهد، عن ابن عباس﵄، قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون[(٥)].

ومن طريق أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، وطريق غيره عن وكيع وأبي نعيم، ثلاثتهم عن الثوري، عن نسير بن ذعلوق: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لا تسبوا

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) هذا الحديث من زيادات رزين كما في «جامع الأصول» (٦٣٦٦)، وليس في «صحيح مسلم». ولعل الشيخ ذهب وهله إلى حديث عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم!. أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨، ١٧٤١)، وأورد ابن تيمية هذا الأثر في «الصارم المسلول» (ص٥٧٤): عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم سيقتتلون. رواه الإمام أحمد.

أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة -يعني: مع رسول الله ﷺ- خير من عمل أحدكم أربعين سنة. وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره[(١)]

وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الفتح: ١٨-٢١].

والذين بايعوه تحت الشجرة بالحديبية عند جبل التنعيم[(٢)] كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة، وغزا بهم خيبر، ففتحها الله عليهم في أول سنة سبع، وقسمها بينهم، ومنع الأعراب المتخلفين

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥، ٢٠، ١٧٢٩، ١٧٣٦)، وذكره ابن تيمية في «الصارم المسلول» (ص ٥٨٠)، فقال: «وإلى هذا أشار ابن عمر، قال نسير بن ذعلوق: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله. رواه اللالكائي».

(٢) كذا، ولعلها: الغميم. فقد روى أحمد (٣/ ٤٢٠، ٤٨٦)، وأبو داود (٣/ ١٠١) عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذ الناس يهزون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفًا على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح...» الحديث.
وفي «المسند» (٣/ ١٢٢) عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة، في السلاح، من قبل جبل التنعيم، فدعا عليهم فأخذوا، ونزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: يعني: جبل التنعيم من مكة. قال في «تاج العروس»: التنعيم على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المشرفة، وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت الشريف، سمي به لأن على يمينه جبل نعيم كزبير، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان بالفتح. وانظر «معجم البلدان»، مادة «التنعيم» و«معجم ما استعجم».

عن الحديبية من ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥].

وقد أخبر سبحانه أنه رضي عنهم، وأنه علم ما في قلوبهم، وأنه أثابهم فتحًا قريبًا.

وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان بعد موت النبي ﷺ، لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم؛ لأن الله تعالى بين فضلهم في القرآن بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، ففضل المنفقين المقاتلين قبل الفتح، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية؛ ولهذا سئل النبي ﷺ: أوفتح هو؟ فقال «نعم»[(١)].

وأهل العلم يعلمون أن فيه[(٢)] أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣]، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، هذا لك فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين المقاتلين بعده؛ ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

---

(١) تقدّم في حديث مجمع بن جارية الأنصاري ﷺ، وفي «صحيح البخاري» (٣٥٧٧، ٤١٥٠) عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية... إلخ.

(٢) في بعض النسخ: «وقد اتفق الناس على أن فيه نزل».

وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة؛ ولأن النسخ ليس من فعلهم الذي يفضلون به؛ ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة تحت الشجرة، ولكن فيه سبق الذين أدركوا ذلك على من لم يدركه، كما أن الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات الخمس، هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد، أو قبل أن يفرض، هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض صيام شهر رمضان، هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض الحج، هم سابقون على من تأخر عنهم، والذين أسلموا قبل تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل تحريم الربا كذلك، فشرائع الإسلام من الإيجاب والتحريم كانت تنزل شيئًا فشيئًا، وكل من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق على من تأخر عنه، وله بذلك فضيلة، ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من أسلم بعده هي من هذا الباب.

وليس مثل هذا مما يتميز به السابقون الأولون عن التابعين؛ إذ ليس بعض هذه الشرائع بأولى بجعله خيرًا من بعض؛ ولأن القرآن والسنة قد دلا على تقديم أهل الحديبية، فوجب أن تفسر هذه الآية بما يوافق سائر النصوص.

وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وبايع النبي ﷺ بيده عن عثمان؛ لأنه كان غائبا قد أرسله إلى أهل مكة؛ ليبلغهم رسالته، وبسببه بايع النبي ﷺ الناس لما بلغه أنهم قتلوه.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»**[1].

---

(١) تقدم.

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، فجمع بينهم وبين الرسول في التوبة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٥]، فأثبت الموالاة بينهم.

وقال للمؤمنين: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٦]، وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة: ٧١]، فأثبت الموالاة بينهم، وأمر بموالاتهم، والرافضة تتبرأ منهم، ولا تتولاهم، وأصل الموالاة المحبة، وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضونهم ولا يحبونهم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: الله كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنين. والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين وأولهم، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ١-٣]، والذين رآهم النبي ﷺ يدخلون في دين الله أفواجا هم الذين كانوا على عصره.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]، وإنما أيده في حياته بالصحابة. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥]. وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به، خلاف الصنف الذي يفتري الكذب، أو يكذب بالحق لما جاءه.

والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن حق، هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء.

وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله، وتكذيبًا بالحق من المنتسبين إلى التشيع؛ ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر، وادعى النبوة في غير النبي ﷺ، وادعى العصمة في الأئمة، ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف، واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]. قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٥]، فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم -اليهود، والنصارى- وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى.

وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون[(١)] القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

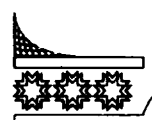
وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرًا عظيمًا، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، ومكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، لهم منه المغفرة والأجر العظيم.

وهذا يستدل به من وجهين: يستدل به على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات؛ لأن الوعد لهم لا لغيرهم، ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم، ولهم مغفرة وأجر عظيم؛ لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان: آية النور وآية الفتح.

---

(١) لفظ الرواية «خير الناس». أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.

وأخرجه مسلم عن أبي هريرة (٢٥٣٤)، وعمران بن حصين (٢٥٣٥) بلفظ: «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم...» إلخ.



ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان، فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف، وتمكن الدين والأمن بعد الخوف، لما قهروا فارس والروم، وفتحوا الشام، والعراق، ومصر، وخراسان، وإفريقية، ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئًا من بلاد الكفار، بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان، وكان بعضهم يخاف بعضًا.

وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومن كان معهم في زمن الاستخلاف، والتمكين، والأمن.

والذين كانوا في زمن الاستخلاف، والتمكين، والأمن، وأدركوا زمن الفتنة -كعلي، وطلحة، والزبير، وأبي موسى الأشعري، ومعاوية، وعمرو بن العاص- دخلوا في الآية؛ لأنهم استخلفوا(١)، ومُكِّنوا، وأَمِنوا.

وأما من حدث في زمن الفتنة- كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام في زمن الفتنة والافتراق، وكالخوارج المارقين- فهؤلاء لم يتناولهم النص، فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية؛ لأنهم أولًا: ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا، ولم يحصل لهم من الاستخلاف، والتمكين، والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة، بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩]، ولم يقل: وعدهم كلهم؟ قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، ولم يقل: وعدكم.

و(مِن) تكون لبيان الجنس، فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، فإنه لا يقتضي أن يكون من الأوثان ما ليس برجس.

(١) أي: خلفوا في الأرض وملكوها بعد أهلها، وليس المعنى أنهم كلهم صاروا خلفاء وملوكًا.

وإذا قلت: ثوب من حرير، فهو كقولك: ثوب حرير. وكذلك قولك: باب من حديد، كقولك: باب حديد. وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه، وإن كان الذي يتصوره كليًّا، فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركًا فيه في الوجود، فإذا كانت (من) لبيان الجنس كان التقدير: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين.

وكذلك إذا قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس والصنف ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين.

ولما قال لأزواج النبي ﷺ: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١]، لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله، وتعمل صالحًا.

ولما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفًا بهذه الصفة، ويجوز أن يقال: إنهم لو عملوا سوءًا بجهالة، ثم تابوا من بعده، وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم.

ولهذا تدخل (مِن) هذه في النفي؛ لتحقيق نفي الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ ﴾ [الطور: ٢١]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٧]. ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقًا أو تقديرًا أفادت نفي الجنس قطعًا، فالتحقيق ما ذكر، والتقدير: كقوله تعالى: ﴿إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله ﴿لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ ﴾ [البقرة: ٢] ونحو ذلك.

بخلاف ما إذا لم تكن (من) موجودة، كقولك: ما رأيت رجلًا، فإنها ظاهرة؛ لنفي الجنس، ولكن قد يجوز أن ينفى بها الواحد من الجنس، كما قال سيبويه: يجوز أن يقال:

ما رأيت رجلا، بل رجلين، فتبين أنه يجوز إرادة الواحد، وإن كان الظاهر نفي الجنس، بخلاف ما إذا دخلت (من) فإنها تنفي نفي الجنس قطعًا.

ولهذا لو قال لعبيده: من أعطاني منكم ألفًا فهو حر، فأعطاه كل واحد ألفًا، عتقوا كلهم، وكذلك لو قال لنسائه: من أبرأتني منكن من صداقها فهي طالق، فأبرأنه كلهن، طلقن كلهن. فإن المقصود بقوله: منكم. بيان جنس المعطى والمبرئ، لا إثبات هذا الحكم لبعض العبيد والأزواج[1].

فإن قيل: فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين، قيل: المنافقون لم يكونوا متصفين بهذه الصفات، ولم يكونوا مع الرسول والمؤمنين، ولم يكونوا منهم، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢-٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠-١١]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ

---

(١) قال ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص/ ٤٢١) في ذكر معاني (من): «بيان الجنس، وكثيرًا ما تقع بعد (ما) و(مهما)، وهما بها أولى، لإفراط إبهامهما، نحو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، الشاهد في غير الأولى، فإن تلك للابتداء، وقيل زائدة، ونحو ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، وفي كتاب «المصاحف» لابن الأنباري: أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩] في الطعن على بعض الصحابة، والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعيض. أي: الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وكلهم محسن ومتقٍ، و﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] فالمقول فيهم ذلك كلهم كفار». اهـ

فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [النساء: ١٤٠-١٤١]. إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦]. وقال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [التوبة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤]، فأخبر أن المنافقين ليسوا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب: وهؤلاء لا يوجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام أكثر منهم في الرافضة ومن انضوى إليهم.

وقد قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ﴾ [الحديد: ١٣]، فدل هذا على أن المنافقين لم يكونوا داخلين في الذين آمنوا معه، والذين كانوا منافقين، منهم من تاب عن نفاقه وانتهى عنه، بدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١]، فلما لم يغره الله بهم ولم يقتلهم تقتيلا، بل كانوا يجاورونه بالمدينة، دل ذلك على أنهم انتهوا.

والذين كانوا معه بالحديبية كلهم بايعه تحت الشجرة، إلا الجد بن قيس، فإنه اختبأ تحت جمل أحمر (١).

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٦) عن أبي الزبير، عن جابر. قلت له: أفرأيت يوم الشجرة؟ قال: كنت آخذًا بيد عمر بن الخطاب حتى بايعناه. قلت: كم كنتم؟ قال: كنا أربع عشر مائة فبايعناه كلنا إلا الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعير، ونحرنا يومئذ سبعين من البدن لكل سبعة جزور.
وانظر خبر اختباء الجد بن قيس وعدم بيعته في: «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٠٠)؛ «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٣٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٣٢ - ط: المعارف)، «تفسير الطبري» (٢٦/ ٥٤-٥٥).

وكذا جاء في الحديث: «كلهم يدخل الجنة، إلا صاحب الجمل الأحمر»(١).

وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين، أذلاء، مقهورين، لا سيما في آخر أيام النبي ﷺ، وفي غزوة تبوك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]، فأخبر أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم.

فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعز المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعز كان أعظم إيمانا، ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - الخلفاء الراشدين، وغيرهم - كانوا أعز الناس، وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين، فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهم، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم... وأيضًا فقد يقال في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النور: ٥٥]: إن ذلك وصف للجملة بوصف يتضمن حالهم عند الاجتماع، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، والمغفرة والأجر في الآخرة يحصل لكل واحد واحد، فلابد أن يتصف بسبب ذلك- وهو الإيمان والعمل الصالح- إذ قد يكون في الجملة منافقٌ(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٠) عن جابر بن عبد الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من يصعد الثنية ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل». قال: فكان أول من صعدها خيلنا -خيل بني الخزرج- ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «وكلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان الرجل ينشد ضالة له. قال النووي في «شرحه» (١٧/ ١٢٦-١٢٧): «وهذه الثنية عند الحديبية، قال القاضي: قيل: هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق». وانظر «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢٦٥، ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) يعني قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ وأن ﴿مِنْهُم ﴾ لبيان جنس المؤمنين حقيقةً وأنهم كلهم موعودون بالمغفرة فردًا فردًا، وجيء بقوله: ﴿مِنْهُم ﴾ لأنه قد يكون في جملة المؤمنين منافقون.



وفي الجملة فكل ما في القرآن من خطاب المؤمنين، والمتقين، والمحسنين، ومدحهم، والثناء عليهم، فهم أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة، كما استفاض عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1]. اهـ

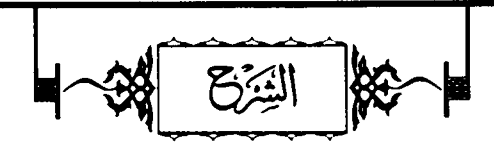


(١) تقدم.

الشهادة للصحابة بالجنة، وبيان أفضل الصحابة

قال المصنف رحمه الله: (وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ- مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلَافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).



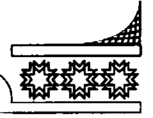
الشرح

الشهادة بالجنة للصحابة

قوله: (وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ).

❁ **السعدي**: وهذا من أعظم الفضائل تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة، وهو من جملة براهين رسالته ﷺ، فإن جميع من عينه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها[1] لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به رضي الله عنهم. اهـ

(١) كالشهادة في سبيل الله، والاستقامة على الإسلام.



❁ قال الشيخ: «نشهد بالجنة» بالتعيين «لمن شهد له رسول الله ﷺ» هذا أصل من أصول أهل السنة؛ لأنه شهد له الرسول بوحي من الله فنجزم، وبشهادة المعصوم له عُرِف أنه لا يأتي عليه ما ينقض هذه.

وقوله: (كَالعَشَرَةِ وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس).

«كالعشرة»، جاء في بعض الأحاديث تعدادهم في حديث واحد، ومتفرقة، والعشرة هم: أبو بكر الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وطلحة، وأبو عبيدة. ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة»[1]، فنشهد ونجزم أنهم من أهل الجنة.

قوله: «وثابت بن قيس بن شماس» وله قصة شهيرة، فإنه كان يخطب للنبي ﷺ، وكان ثقيل السمع ولما نزلت: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، خشي أن يكون ممن يرفع صوته في القرآن فاحتبس في بيته يبكي، ففقده النبي ﷺ وسأل عنه، فقيل له: إنه لما نزلت هذه الآية احتبس في بيته وخشي أن يكون ممن رفع صوته فحبط عمله، وأنه من أهل النار، فأرسل إليه النبي ﷺ وبشره بالجنة، وقال: «أخبروه أنه من أهل الجنة»[2]. اهـ

(١) أخرجه أحمد (١٦٣١، ١٦٣٧)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧) من حديث سعيد بن زيد، وأخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩١) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٣، ٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

* **ابن باز**: وكذلك يشهدون لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعبد الله بن سلام، وعُكَّاشة بن محصن، وجماعة شهد لهم النبي ﷺ، من ثبت أن النبي ﷺ شهد له يشهد له. اهـ

قوله: (وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ).

* **الهراس**: وأما غيرهم؛ فكثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام، وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة. اهـ

* **آل الشيخ**: كعكَّاشة بن محصن[١]، ومعاذ للحديث[٢]، وبلال[٣]؛ ولذلك قال المصنف وغيرهم من الصحابة فكل ما ثبت لأحد نصٌّ أنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة.

ثم هنا مرتبة بين الشهود الكلي والتعيين، كأهل بيعة الرضوان وكأهل بدر، فإنه يشهد لهم بمثل هذا، فهي عمومية من وجه، خصوصية من دون غيرهم من المسلمين،

(١) كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بن محصن ﷺ فقال للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٣، ٦٥٤١، ٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦) عن بريدة الأسلمي.

(٢) أخرجه الحاكم (٥١٧٠)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ ص٢٩/ ح٤٠)، و«الصغير» (٥٥٦) من حديث يحيى بن بكير قال: سمعت مالك بن أنس يقول: مات معاذ بن جبل وهو بن ثمان وعشرين سنة. وقائل يقول: اثنتين وثلاثين، وقال رسول الله ﷺ: «معاذ بن جبل أمام العلماء برتوة يوم القيامة» قال ابن بكير: والرتوة المنزلة. اهـ

وفي سنده ضعف، وله شواهد يرتقي بها للصحة؛ ولذلك صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٨٠)، و«السلسلة الصحيحة» (١٠٩١)

(٣) لقول النبي ﷺ لبلال ﷺ: «سمعت دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة». رواه البخاري (١١٤٩، ١٠٩٨)، ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة.

وعموم من حيث إنه لم يقل في واحد بعينه بل يقال فيهم ذلك عمومًا. ومن لم يشهد له بالتعيين من الصحابة أو غيرهم فلا نشهد له به وإن بلغ ما بلغ؛ لأنه لا يُدرى عن الخواتيم، للحديث في ذلك[١]، بخلاف الشهادة بالصلاح والخير، كما جاء عن علي لما سئل وهو على المنبر[٢].

والرؤيا تثبت الخيرية إذا تواترت ولا يشهد له بمجردها؛ لأنه لا يدرى ما خاتمته، وكذلك السوء[٣]. فلا يقال فلانٌ من أهل الجنة، بل يرجى له أنه من أهل الجنة رجاء قريبًا من الجزم.

وأما الجزم لغير معين فجائز، كما تقول: من مات من أهل التوحيد فهو من أهل الجنة، فنشهد شهادة عمومية لكل من مات على التوحيد أنه من أهل الجنة على أحد تقادير ثلاثة[٤].

---

(١) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «وإن الرجل منكم ليعمل، حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة». رواه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٤٢٠٧، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٩، ٨٨٠، ٩٢٦، ٩٣٢، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٥٢، ١٠٦٠)، والطوسي في «مستخرجه» (١٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٧١، ٧٢، ٢٣٩١)، والطبراني في «الكبير» (ج١/ ص١٠٧/ ح١٧٨)، وفي «الأوسط» (٩٩٢، ٢٧٢٨، ٣٤١٦، ٣٤٢٠، ٣٦٧٣، ٤٧٧٢، ٥٦٠١، ٦٩٢٦، ٧٣٨٢، ٧٦٢٢)، والبزار (٤٨٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٦١٣) من عدة طرق متواترة أنه قال: «إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر».

(٣) قال محمد بن واسع: الرؤيا بشرى للمؤمن ولا تغره. انظر شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٩)، وقال المروذي: أدخلت إبراهيم الحميدي على أبي عبد الله (أحمد بن حنبل) وكان رجلاً صالحًا، فقال: إنّ أمي رأت لك كذا وكذا، وذكرت الجنة! فقال: يا أخي إنَّ سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا! وخرج سهل إلى سفك الدماء! وقال أحمد: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. اهـ «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٤٣٦).

(٤) إما أن يُدخلَه الله الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإما أن يدخل النار على قدر ذنبه ثم يدخل الجنة، وإما أن يدخل النار ثم يخرج منها بشفاعةٍ، أو بفضل الله ورحمته.

وكذلك النار لا نشهد لأحد إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، فمن شهد له الرسول ﷺ أنه من أهل النار، فنشهد أنه من أهل النار، كأبي لهب، وأبي طالب، وأما على العموم فنشهد لمن مات على الكفر أنه من أهل النار الخالدين المخلدين. فنشهد شهادة عمومية أن من مات على الكفر مصيره إلى النار، فالكافر وإن بلغ كفره من الكفر ما بلغ، لا نقول: إنه من أهل النار؛ لأنا لا ندري ما باطنه، ولا ندري ما يموت عليه[(١)]. اهـ

❁ **العثيمين**: الشهادة بالجنة على نوعين: عامة وخاصة.

فالعامة: أن نشهد لعموم المؤمنين بالجنة دون شخص بعينه، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾.

والخاصة أن نشهد لشخص معين بالجنة، وهذا يتوقف على دليل من الكتاب والسنة، فمن شهد له النبي ﷺ شهدنا له مثل: العشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، وغيرهم من الصحابة.

وكذلك الشهادة بالنار على نوعين: عامة، وخاصة.

فالعامة أن نشهد على عموم الكفار بأنهم في النار، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا﴾. والخاصة أن نشهد لشخص معين بالنار، وهذا يتوقف على دليل من الكتاب والسنة، مثل أبي لهب وامرأته، ومثل أبي طالب، وعمرو بن لحي الخزاعي. اهـ

---

(١) هذه بالنسبة للشهادة لمعين بالنار؛ لأن حقيقة أمره غيب، ولا نشهد في أمور الآخرة. أما في أحكام الدنيا فنشهد بالظاهر، فمن ظهر لنا منه الكفر شهدنا عليه به وعاملناه بمقتضاه فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يستغفر له بناء على ذلك.

وأما حديث سعيد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال للأعرابي: «حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار». رواه ابن ماجه (١٥٧٣)، والبزار (١٠٨٩)، وعبد الرزاق (١٩٦٨٧)، والطبراني (ج١/ ص١٤٥/ ح٣٢٦)، وصححه البوصيري والألباني، فإن هذا من باب التبشير. أي الإخبار. وهناك فرق بين التبشير والجزم والقطع، كما يبشر المؤمن بالجنة دون قطعٍ وجزمٍ بكونه من أهلها.

قوله: (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ)[1].

* **الهراس**: فقد ورد أن عليًّا ﷺ قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير، وكان يقول: ما مات رسول الله ﷺ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر. اهـ

* **آل الشيخ**: أي: كذلك يُقِرُّ أهل السنة والجماعة، «بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَغَيْرِهِ، مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ». قال المصنف: صَحَّ عن علي من نحو ثمانين طريقًا، حين سئل مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقال: أبو بكر. قيل: ثم من؟ قال: ثم عمر. حتى إنه سئل عن ذلك وهو على منبر الكوفة، بل هي من المتواتر. ومقصده بيان أن الذين ينتسبون إلى أنهم يعظمونه- وهم الشيعة- لا يعبؤون بأقواله، مع أنهم لا يعبؤون بالكتاب والسنة في ذلك.

تفضيل عثمان بن عفان على عليّ بن أبي طالب ﷺ

قوله: «وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﷺ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ» أي: أهل السنة «يُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ ﷺ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ» وهم لا يجتمعون على تقديم أحدهما، إلا أنه أفضل.

وهذه المسألة يقال لها: مسألة التفضيل، فإن أهل السنة يقدمون أبا بكر، ثم عمر، فإن النصوص يستفاد منها بعد خلافة أبي بكر وعمر، ولكن بعض أهل السنة قال بالنص، وبعضهم قال بإجماعهم عليهم. اهـ

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

قوله: (وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ).

❁ **السعدي**: أي: في الخلافة وخلافة أحد الاثنين لم يكن إلا بعد مشاورة جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم والقصة مشهورة. اهـ

❁ **ابن باز**: الواجب حب الصحابة في الله، والترضي عنهم، والكف عن مساوئهم فيما شجر بينهم، والإيمان بأنهم خير القرون، وأن أفضلهم الخلفاء الراشدون، الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. وإن كان بعض الصحابة قد تنازع في تقديم عثمان على علي، أو العكس، ولكن استقر أمر أهل السنة أن عثمان هو الثالث، وأن عليًّا هو الرابع في الخلافة والفضل، فهكذا ينبغي لأهل السنة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد. اهـ

الخلاف في التفضيل بين عثمان وعلي

قوله: (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اِخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﭬ بَعْدَ اِتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا لَكِنِ اِسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ).

❁ **العثيمين**: وأفضل الصحابة عينًا أبو بكر، ثم عمر بالإجماع، ثم عثمان، ثم علي على رأي جمهور أهل السنة الذي استقر عليه أمرهم، بعدما وقع الخلاف في المفاضلة بين علي وعثمان، فقدم قوم عثمان وسكتوا وقدم قوم عليًّا ثم عثمان وتوقف قوم في التفضيل. ولا يضلل من قال بأن عليًّا أفضل من عثمان؛ لأنه قد قال به البعض من أهل السنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: بعض أهل السنة والجماعة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﭬ في وقت من الأوقات، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان

وسكتوا، أو ربّعوا بعلي وقدَّم قوم عليًّا، وقوم توقفوا، ثم استقر الأمر -أمر أهل السنة- على تقديم عثمان على علي، وزال الاختلاف، ورجع الأمر إلى نصابه.

وقوله: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ- التَّفْضِيلُ بَيْنَ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّل المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) لأنها مسألة تفضيل، والتفضيل أمره أسهل من غيره. اهـ



ترتيب الخلفاء الأربعة الواجب اعتقاده

قوله: (لَكِن الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

❁ **آل الشيخ**: مسألة الخلافة هي التي فيها من القدح في الصحابة، بل القدح في الأمة ما لا يخفى. يعني: أن هناك فرقًا بين مسألة الخلافة والتفضيل. فمسألة الخلافة ما جرى فيها خلاف يذكر، أما مسألة التفضيل، فجرى كما تقدم ثم زال.

أما أبو بكر وعمر فلا خلاف في خلافتهما وفضلهما على سائر الصحابة ومن بعدهم أبدًا، ولكن بعض أهل العلم قال: بالنص، وبعضهم، قال: بإجماعهم عليهما. وكذلك خلافة عثمان.

أما فضيلة عثمان على علي، فجرى فيها خلاف وزال، ولكن استقر، هذا هو تفضيله.

ومن تفضيل عثمان على عليّ تقديمه عليه في الخلافة، فإنه لا يقدم في الخلافة إلا الأفضل. اهـ

* **السعدي**: يريد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الخلاف الكائن بين الأمة على وجهين:

أحدهما: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية، التي إذا اجتهد فيها الحاكم، من قاضٍ، ومفتٍ، ومصنفٍ، ومعلم، فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

الوجه الثاني: الخلاف في المسائل الأصولية، كمسائل صفات الباري، والقدر، والإيمان، ونحوها، وهذا يضلل فيها المخالف؛ لما دل عليه الكتاب والسنة؛ ولما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فمسألة الخلافة وتقديم علي فيها على عثمان يعد من البدع التي من اعتقدها فهو في الغالب متشيع، وقد أزرى بالمهاجرين والأنصار كما قال ذلك غير واحد من السلف. وأما التفضيل بينهما فإنها مسألة خفيفة من جنس مسائل الخلاف في المسائل الاجتهادية. اهـ.

* **الهراس**: مذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على علي، وبعض أهل السنة يفضل عليًّا؛ لأنه يرى أن ما ورد من الآثار في مزايا علي ومناقبه أكثر، وبعضهم يتوقف في ذلك، وعلى كل حال، فمسألة التفضيل ليست كما قال المؤلف من مسائل الأصول التي يضلل فيها المخالف، وإنما هي مسألة فرعية يتسع لها الخلاف.

* وأما مسألة الخلافة، فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة من الستة، الذين عينهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة، وأن عليًّا كان أحق بالخلافة منه، فهو مبتدع، ضال، يغلب عليه التشيع، مع ما في قوله من إزراء بالمهاجرين والأنصار. اهـ

* **العثيمين**: الخلفاء الأربعة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وترتيبهم في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. ويضلل من خالف في خلافة واحد منهم، أو خالف في ترتيبهم؛ لأنه مخالف لإجماع الصحابة وإجماع أهل السنة.

وثبتت خلافة أبي بكر بإشارة من النبي ﷺ إليها حيث قدمه في الصلاة وفي إمارة الحج، وبكونه أفضل الصحابة، فكان أحقهم بالخلافة.

وثبتت خلافة عمر بعهد أبي بكر إليه بها، وبكونه أفضل الصحابة بعد أبي بكر.

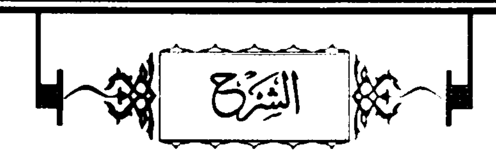
وثبتت خلافة عثمان باتفاق أهل الشورى عليه.

وثبتت خلافة علي بمبايعة أهل الحل والعقد له، وبكونه أفضل الصحابة بعد عثمان. اهـ



تولي آل البيت

(وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وَقَالَ أَيْضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلهِ وَلِقَرَابَتِي». وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»).



الشرح

قوله: (وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ).

❁ **آل الشيخ**: «وَيُحِبُّونَ» أي: أهل السنة والجماعة. «آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» يعني: قرابته بني هاشم. «وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ» التولي: المحبة، والترضي، والذب عنهم، ونحو ذلك، يعني: يذبون عنهم وينصرونهم عندما يحتاجون إلى ذلك، ويحمونهم عندما يحتاجون إلى حماية، ويعرفون لهم فضائلهم ومناقبهم، بل أهل السنة والجماعة يتولونهم زيادة على ما يتولون به سائر المؤمنين، فهم يرون أن المسلم يُذَبُّ عنه... إلخ، فهم اشتركوا معهم في ذلك واختصوا بقرب رسول الله ﷺ. اهـ

❁ **الهراس**: أهل بيته ﷺ هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله ﷺ: «إنهم لم يفارقونا جاهليةً ولا إسلامًا»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٧٤١)، والنسائي في «الصغرى» (٤١٣٧)، وفي «الكبرى» (٤٤٣٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٢٧٣٢) من حديث جبير بن مطعم.

فأهل السنة والجماعة يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ؛ كما يحبونهم؛ لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرة دين الله ﷻ. اهـ.

قوله: (وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1]).

❁ **ابن مانع والهراس**: قال الزمخشري: خُمٌّ بضم الخاء: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة. وذكر صاحب «المشارق» أن خمًّا اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها، والغيضة: الشجر الملتف. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: غدير خم: موضع معروف بين مكة والمدينة، في منزلٍ نزله في رجوعه من حجة الوداع لما رجع من مكة، خطبهم فيه خطبة شهيرة قبل موته بشهرين «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي» يعني: أن تعرفوا لهم حقهم وحرمتهم ومكانتهم من رسول الله، وأن ترعوا لهم حقهم ولا تحرموهم، قاله مزيدَ حثٍ وتذكير لهم على أنه يُراعى لهم حقيقة.

وهذا خلافًا للنواصب الذين نصبوا لهم العداوة، وهذا حيث كان في خلافة بني أمية، جفوا أهل البيت، والمنصف يعطي كل ذي حق حقه.

فدل على أن أهل بيت رسول الله ﷺ يُحَبُّون لأمرين:

أحدهما: إسلامهم، والثاني: لقربهم من المصطفى ﷺ، والمراد المُسْلم منهم، أما الكافر فلا، فإن أبا لهب عمُّ النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم مرفوعًا.

فالمراد المسلمون الموحدون الذين هم على سنته ﷺ.

أما من حاد عما جاء به النبي ﷺ فلا، وقربه من النبي ﷺ يدعوه أن يكون أسرع الناس إجابة له ﷺ.

أما من كان من الكفار فإنه أبعد الناس عن النبي ﷺ وأسوؤهم كفرًا، فالذين يكفرون من ذرية عبد المطلب يتغلظ كفرهم، ألا ترى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وهذه الخطبة ألف فيها ابن جرير مجلدين، لكن ما ذَكَر ورواه، مشتمل على أشياء لا تثبت من أجل الشيعة، ويُعْرف أن عنده شيئًا من التشيع الذي لم يصل إلى البدعة.

المقصود: أن من جملة ما حفظ عنه ﷺ هذا الحديث، وقال ﷺ: **«إني تارك فيكم ثقلين: أولها: كتاب الله، وثانيهما: أهل بيتي»**(١). اهـ

المنحرفون في موالاة أهل البيت

* **العثيمين**: الذين ضلوا في أهل البيت طائفتان:

الأولى: الروافض؛ حيث غلوا فيهم، وأنزلوهم فوق منزلتهم، حتى ادعى بعضهم أن عليًا إله.

الثانية: النواصب، وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة لآل البيت، وآذوهم بالقول وبالفعل. اهـ

* **السعدي**: محبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة من وجوه:

١ - منها: لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم.

---

(١) رواه مسلم (٤٤٢٥) من حديث زيد بن أرقم.

٢- ومنها: لما تميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصال نسبه.

٣- ومنها: لما حث عليه، ورغب فيه.

٤- ومنها: لما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ. اهـ

قوله: (وَقَالَ أَيْضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ، وَقَدْ اِشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله، وَلِقَرَابَتِي(١)»).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ» يعني: يقصر في حقهم، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله، ولقرابتي»، فدل على أنه واجب من واجبات الإيمان محبة قرابة النبي ﷺ في الله؛ لكونهم مسلمين، وواجب محبتهم من جهة أخرى وهي قرابتهم من النبي ﷺ، وهي أخص. اهـ

---

(١) حسن صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦، ١٧٥٧)، وفي «المسند» (١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧)، والترمذي (٣٧٥٨)، والبزار(٢١٧٥)، والحاكم (٣/ ٣٣٣) من طريق يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس، عن النبي ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ

وعن عبد الله بن الحارث، عن عبد المطلب بن ربيعة، قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.

ورواه ابن ماجه (١٤٠)، والحاكم (٤/ ٧٥) من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي سبرة النخعي، عن محمد بن كعب القرظي، عن العباس وهذا سند رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، محمد بن كعب القرظي لم يسمع من العباس فلعله سمعه من عبد الله بن ربيعة- كما تقدم- أو من عبدالله بن عباس، فإن له رواية أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (ج١١/ ص ٤٣٣/ ح١٢٢٢٨) عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: جاء العباس، فذكر الحديث. قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٢): وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي».

* **الهراس**: وأما قوله ﷺ لعمه: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله، ولقرابتي». فمعناه: لا يتم إيمان أحد حتى يحب أهل بيت رسول الله ﷺ لله، أولًا: لأنهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه، وثانيًا: لمكانهم من رسول الله، واتصال نسبهم به. اهـ

اصطفاء الله تعالى محمداً ﷺ وقبيلة من بني آدم

(وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اِصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[(١)]).

* **آل الشيخ**: قوله: «اِصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ» يعني: من ذرية إبراهيم، يعني: اتخذ من العرب بني إسماعيل، ولهذا عرفنا أن بني هاشم أهل بيت رسول الله ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة من صفوة، كما أن كنانة صفوة بني إسماعيل، وقريشًا صفوة كنانة، وبني هاشم صفوة قريش، فأهل بيته هم صفوة الناس، فبنو إسماعيل صفوة، وكنانة صفوة من صفوة... إلخ، فالنبي ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة، من صفوة، من صفوة. وصفوة الشيء: هو خالصه، أصلها اصتفى من صفا الشيء اختاره، وصفوة الشيء خيرته[(٢)]. اهـ

* **السعدي**: فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم».

(٢) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ١٢٣): الاصطفاء الاختيار، افتعال، من صفوة الشيء، وهي خياره، وأصله: اصتفى، وإنما قلبت تاءُ الافتعال طاءً، مناسبة للصاد لكونها حرف إطباق. اهـ

موالاة أزواج النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ الله ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضِدَه عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»).



قوله: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ الله ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ).

* **الهراس**: أزواجه ﷺ هن من تزوجهن بنكاح، فأولهن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، تزوجها بمكة قبل البعثة، وكانت سنه خمسًا وعشرين، وكانت هي تكبره بخمسة عشر عامًا، ولم يتزوج عليها حتى توفيت، وقد رزق منها بكل أولاده إلا إبراهيم، وكانت أول من آمن به وقواه على احتمال أعباء الرسالة، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة.

٢- فتزوج بعدها سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

٣- وعقد على عائشة رضي الله عنها، وكانت بنت ست سنين، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهي بنت تسع.

٤- ومن زوجاته أيضا أم سلمة رضي الله عنها، تزوجها بعد زوجها أبي سلمة.

٥- وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، أو على الأصح زوجه الله إياها.

٦- وجويرية بنت الحارث.

٧- وصفية بنت حيي.

٨- وحفصة بنت عمر.

٩- وزينب بنت خزيمة.

وكلهن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه ﷺ في الآخرة.

وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة ﵄. اهـ

❋ **آل الشيخ**: والتولي نشر الجميل بمحبتهن، والذب عنهن، ومراعاة حقهن، والنصر عندما يحتاج لذلك. والأزواج: جمع زوج، والأفصح زوج بدون تاء[1]. والمراد: اللاتي تُوفي وهن في عصمته، أو تُوفِّين وهن في عصمته، بخلاف من فارقنه في حياته. فأهل السنة يتولون أزواج رسول الله ﷺ، كما يتولون أهل بيت رسول الله ﷺ، خلافًا للنواصب. والتولي -كما تقدم-: الترضي عنهن، والذب عنهن، وتبرئتهن فُرُش المصطفى ﷺ خير الخلق، وأطهرِ الخلق ﷺ.

---

(١) أي: ويجوز بالهاء (زوجة) قال في «القاموس»: الزوج البعل، والزوجة. اهـ
وفي شرحه: قال في «المصباح»: الرجل زوج المرأة، وهي زوجه، والجمع منها أزواج. قال أبو حاتم: وأهل نجد يقولون في المرأة: زوجة، بالهاء.
وعكس ابن السكيت، فقال: وأهل الحجاز يقولون للمرأة: زوج، بغير هاء، وسائر العرب: زوجة، بالهاء، وجمعها زوجات. وقال الجوهري: ويقال أيضًا: هي زوجته، واحتج بقول الفرزدق:

وإنّ الَّذي يَسْعَى يُحَرِّشُ زَوْجَتي ** كَسَاعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا

وقوله: (أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) المراد: أمَّهات المؤمنين في الحرمة، وعدم التزوج بهن بعده فقط، ليس المراد كشفهن الوجه للناس، أو إذا أرضعت، فإنه ﷺ أبوهم الأكبر الذي على يديه تربيتهم بغذاء القلوب، وفي قراءة: «وهو أبٌ لهم». اهـ

فضل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

قوله: (خُصُوصًا خَدِيجَةَ رضي الله عنها أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضِدَه عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ).

* **السعدي**: فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها، إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية القبطية. اهـ

* **آل الشيخ**: خديجة بنت خويلد لها من المزية ما لا يخفى، فهي «أم أكثر أولاده» -أم فاطمة- «وأول من آمن به وعاضده على أمره» أي: دينه، وهي التي جاء إليها لما جاءه الملك وقال: «زمِّلوني»، وأخبرها بما أتاه والقصة معروفة[1]، وأول امرأة آمنت به، «وكان لها منه المنزلة العالية». اهـ

فضل عائشة رضي الله عنها

قوله: (وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنها الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[2]).

* **آل الشيخ**: يعني: وخصوصًا أيضًا الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، يعني: عظيمة التصديق، فأبوها الصديق الأكبر، وهي صديقة النساء التي لها المزايا الخاصة من نزول الآيات في حقها والعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣-٤٩٥٧، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١، ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى رضي الله عنه.

والثريد: هو الخبز مع اللحم، وباتفاقٍ أنها أعلم نساء الصحابة. وقول المصنف: «**خصوصًا**» وخص منهن اثنتين هما أفضل النساء على الإطلاق، فأهل السنة والجماعة يقولون: جميع أزواج النبي ﷺ وبالأخص هاتين؛ لكونهما أخص أزواج النبي ﷺ. اهـ

المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما

❁ **السعدي**: وعائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ. وقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ والتحقيق: أن لكل واحدة منهن من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى، فلخديجة من السبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول الأمر وتثبيته، وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة رضي الله عنهما. اهـ

❁ **آل الشيخ**: وقد اخُتِلف أيهما أفضل عائشة، أو خديجة؟ واستدلوا على فضل خديجة بما ذكر. وقومٌ قالوا: عائشة أفضل بالحديث. ومسألة التفضيل شيء سهل، والصواب والحق أن عائشة أفضل من خديجة في الأشياء التي امتازت بها، وخديجة أفضل في الأشياء التي امتازت بها، وهذا ينبغي سلوكه في مسائل التفضيل، والصِّدِّيقة أعطيت من مِنَّة التصديق شيئًا كثيرًا ما ليس لغيرها وأن الصِّدِّيق كثير التصديق.

والمصنف رحمه الله ما تعرض لهذا هنا؛ لأن هذا مختصر، ومسلكه في المسألة مبين في مصنفاته. والتحقيق: -كما ذكره المصنف في غير هذه العقيدة المختصرة- أن الصواب أن لا يقال: خديجة أفضل مطلقًا، ولا عائشة أفضل مطلقًا، بل عائشة أفضل في أشياء، وخديجة أفضل في أشياء، عائشة فيها آيات تتلى في المساجد، فهي بها أفضل، ومن جهة كون خديجة أم أكثر أولاده فيقال هذه أفضل من وجه، وبهذا تجتمع النصوص، وهذا له نظائر يفاضل بينها، ويحتج كل طرف بحجج.

ومسألة التفضيل أمرها سهل فلا يضلل فيها كما تقدم، ومسائل الخلاف في الفضل وعدمه كثيرًا ما يدخله الهوى النفساني، وبعضه قد لا يدخله الهوى، وكونها مسألة هوى لا يُوسَّع البحث فيها مخافة أن يدخل في تأييد هواه. وحديث: «لا تخيروا

بين الأنبياء»[(١)]: النهي في قوله: «**لا تخيروا**» إذا كان التخيير على وجه التعصب، مثل ما فعل الأنصاري واليهودي، أو أنه قاله على وجه التواضع. اهـ

❁ **العثيمين**: زوجات النبي ﷺ أفضل نساء الأمة؛ لمكانتهن عند رسول الله ﷺ، ولأنهن أمهات المؤمنين، ولأنهن زوجات النبي ﷺ في الآخرة، ولطهارتهن من الرجس؛ ولذلك يكفر من قذف واحدة منهن؛ لأن ذلك يستلزم نقص النبي ﷺ وتدنيس فراشه، وأفضلهن خديجة وعائشة، وكل واحدة منهما أفضل من الأخرى من وجه، فمزية خديجة أنها أول من آمن بالرسول ﷺ، وأنها عاضدته على أمره في أول رسالته، وأنها أم أكثر أولاده، بل كلهم إلا إبراهيم، وأن لها منزلة عالية عنده، فكان يذكرها دائمًا، ولم يتزوج عليها حتى ماتت. ومزية عائشة: حسن عشرتها مع النبي ﷺ في آخر أمره، وأن الله برأها في كتابه مما رماها به أهل الإفك، وأنزل فيها آيات تتلى إلى يوم القيامة، وأنها حفظت من هدي النبي ﷺ وسنته ما لم تحفظه امرأة سواها، وأنها نشرت العلم الكثير بين الأمة، وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا سواها، فكانت تربيتها الزوجية على يده، وأن النبي ﷺ قال فيها: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». اهـ



---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢، ٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

البراءة من سب الصحابة وآل البيت والإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم



قال المصنف رحمه الله: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ. وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْه، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أخطؤوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ: مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ نَظَرَ

فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).



قوله: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ).

❁ **آل الشيخ**: من أصول أهل السنة والجماعة التبرؤ من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة، فإنهم لا يقرون لأصحاب رسول الله ﷺ بقول ولا عمل، فقلوبهم مفعمة(١) من البغض لأصحابه، وألسنتهم متلوثة بالسب في أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل السنة يحبونهم ويترضون عنهم.

الرافضة مسلكهم في الصحابة أخبث مسلك، يكفرون الصحابة إلا نفرًا قليلًا، وتكفيرهم الصحابة هو أصل مذهبهم لكن ضموا إليه الشرك والاعتزال. اهـ

❁ **الهراس**: يريد أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في علي وأهل بيته، وبغض من عداه من كبار الصحابة، وسبهم، وتكفيرهم. وأول من سماهم بذلك زيد بن علي رحمه الله؛ لأنهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر؛ ليبايعوه أبى ذلك، فتفرقوا عنه، فقال: «رفضتموني»، فمن يومئذ قيل لهم: رافضة.

وهم فرق كثيرة: منهم الغالية، ومنهم دون ذلك. اهـ

---

(١) أي: ممتلئة.

قوله: (وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ).

❁ **الهراس**: ويتبرؤون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصبوا أهل بيت النبوة العداء؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهؤلاء وجود الآن. اهـ

❁ **السعدي**: وأما النواصب فهم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي ﷺ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة، ومن زمن طويل ليس لهم وجود. اهـ

❁ **ابن باز**: ينبغي لأهل السنة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد، وأن يتبرؤوا من طريقة الروافض الذين يسبون الصحابة ويؤذونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، فينبغي لأهل السنة أن يبتعدوا عن هذا الخُلُق الذميم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «**وأهل السنة والجماعة**» يتبرؤون من «**طريقة النواصب الذين**» ينصبون العداوة لأهل بيت رسول الله ﷺ، «**يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل**» فهم في مقابلة الروافض في الغلو في أهل البيت، والنواصب يجفونهم ويبغضونهم.

وأصل النصب: للأغراض الشخصية للميل إلى رؤساء بني أمية، ناشئ عن المنازعة في مُلْكِ من مُلْكِ مصر، في مُلْكِ بني أمية ومن يواليهم، فينصبون لأهل البيت العداوة، لأجل ذلك، ويمكن أن يوجد إخوان النواصب، فمن كان كذلك فهو ناصبي مبتدع ضال.

فالحامل على النصب الشهوة، والرفض أعظم منه والحامل عليه الشبهة، والشبهة أعظم من الشهوة.

فالنواصب والروافض في أهل البيت في طرفي نقيض: الروافض يغلون في أهل البيت، ويكفرون باقي الصحابة، والنواصب يجفون، وأهل السنة وسط بين غلو هؤلاء، وبين غلو أولئك، ورأوا أن لهم مزية؛ لقربهم من النبي ﷺ، كما قال ﷺ:

«والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله؛ ولقرابتي»[١]. وأهل السنة طريقتهم: الترضي عنهم جميعًا، ويعرفون لأهل البيت قدرهم القدر الشرعي. فالخوارج والنواصب متفقون في مزيد العداوة لأهل البيت، والخوارج لا يقتصرون على عداوة أهل البيت، بل عمومًا. والذي باشرهم هو عليٌّ، فهم يعادونه ويكفرونه ومن معه من الصحابة، يقولون: إنك حكَّمت الرجال وكَفَرتَ. والنواصب قابلوا الروافض، جفوا أهل البيت وأبغضوهم. اهـ

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[٢]: وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل، ولا من أهل الأهواء ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعًا، ويتولون السابقين والأولين كلَّهم، ويعرفون قدر الصحابة، وفضلهم، ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم، ولا يرضون بما فعله المختار[٣] ونحوه من الكذابين ولا ما فعله الحجاج[٤] ونحوه من الظالمين ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة، لا عثمان، ولا علي، ولا غيرهما، وهذا كان متفقًا عليه في الصدر الأول، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به، حتى إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه، كيف وقد ثبت عن علي من وجوه متواترة أنه كان يقول: «**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر**»[٥]؟ ولكن كان طائفة من شيعة علي تقدمه على عثمان، وهذه المسألة أخفى من تلك؛ ولهذا كان أئمة أهل السنة كلهم متفقين على تقديم أبي بكر وعمر من وجوه متواترة، كما هو مذهب أبي حنيفة،

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٧١).
(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان من رؤوس الروافض، ادعى أنه يوحى إليه.
(٤) الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من رؤوس النواصب الظلمة.
(٥) تقدم تخريجه.

والشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسائر أئمة المسلمين، من أهل الفقه والحديث والزهد والتفسير، من المتقدمين والمتأخرين. وأما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك، وكان طائفة من الكوفيين يقدمون عليًّا، وهي أحدى الروايتين عن سفيان الثوري، ثم قيل: إنه رجع عن ذلك لما اجتمع به أيوب السختياني، وقال: من قدم عليًّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار.

وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر، أو تقديم طلحة، أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًّا، وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي. اهـ



حكم من سب أزواج النبي ﷺ

* قال شيخ الإسلام[١]:

فأما من سب أزواج النبي ﷺ، فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف. وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم، فروي عن مالك: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧].

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أُتِيَ المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا؛ لأن الذي شتم عائشة رد القرآن. وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي: كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى المدينة السلام، يفرق على سائر ولد الصحابة، وكان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام، اضرب عنقه. فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا. فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه، وأنا حاضر[٢]. رواه اللالكائي.

---

(١) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٦٨ -ط: دار ابن حزم)، (٣/ ١٠٥٠ وما بعدها - ط: رمادي، والمؤتمن).

(٢) اللهم اغفر له، وأدخله الجنة، وارفعه بهذا الصنيع في نزل الأبرار.

وروي عن محمد بن زيد، أخي الحسن بن زيد، أنه قدم عليه رجل من العراق، فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا، ومن بني الآباء. فقال: هذا سَمَّى جدي قرنان(١)، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتله. وأما من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كَسَابِّ غيرهن من الصحابة على ما سيأتي

والثاني: وهو الأصح: أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة ﵂. وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية والأمر فيه ظاهر.

حكم من سب الصحابة ﵃

فأما من سب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ -من أهل بيته، وغيرهم- فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب نكالًا، وتوقّف عن قتله وكفره.

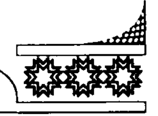
قال أبو طالب: سألت أحمد عمن شتم أصحاب النبي ﷺ؟ قال: القتل أجبن عنه، ولكن أضربه ضربًا نكالًا.

و قال عبد الله: سألت أبي عمَّن شتم أصحاب النبي ﷺ قال: أرى أن يضرب. قلت: له حدٌّ؟ فلم يقف على الحد، إلا أنه قال: يضرب، وقال: ما أراه على الإسلام.

وقال: سألت أبي: من الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر ﵄.

وقال في الرسالة التي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الإصطخري وغيره: وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر وعلي بعد

(١) القرنان: الديوث المشارك في قرينته، وهي زوجته. قاله في «القاموس».



عثمان، ووقف قوم، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه؛ بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبِلَ منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلَّده في الحبس، حتى يموت أو يراجع.

وحكى الإمام أحمد هذا عمن أدركه من أهل العلم، وحكاه الكرماني عنه وعن إسحاق، والحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: مالهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية. وقال لي: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام.

فقد نص ﵀ على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حبس حتى يموت، أو يراجع، وقال: «ما أراه على الإسلام» وقال: «واتهمه على الإسلام» وقال: أجبن عن قتله.

وقال إسحاق بن راهويه: من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس.

وهذا قول كثير من أصحابنا، منهم ابن أبي موسى، قال: ومن سب السلف فمن الروافض فليس بكفؤ، ولا يزوج، ومن رمى عائشة ﵂ بما برأها الله منه فقد مرق من الدين، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة إلا أن يتوب ويظهر توبته. وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين.

قال الحارث بن عتبة: إن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟ قال: أبغضه قال: وإن أبغضت رجلا سببته؟ قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطًا.

وقال إبراهيم بن ميسرة: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط، إلا رجلًا شتم معاوية فضربه أسواطًا. رواهما اللالكائي. وقد تقدم عنه أنه كتب في رجل

سبه: لا يقتل إلا من سب النبي ﷺ، ولكن أجلده فوق رأسه أسواطًا، ولولا أني رجوت أن ذلك خير له لم أفعل.

وروى الإمام أحمد: ثنا أبو معاوية، ثنا عاصم الأحول قال: أُتيت برجل قد سب عثمان، قال: فضربته عشرة أسواط. قال: ثم عاد لما قال فضربته عشرة أخرى. قال: فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطًا.

وهو المشهور من مذهب مالك، قال مالك: من شتم النبي ﷺ قتل ومن سب أصحابه أدب.

وقال عبد الملك بن حبيب: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبًا شديدًا، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل، إلا في سب النبي ﷺ.

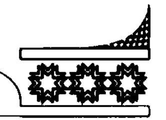
وقال ابن المنذر: لا أعلم أحدًا يوجب قتل من سب من بعد النبي ﷺ.

وقال القاضي أبو يعلى: الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحلًّا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلًّا فسق ولم يكفر، سواء كفرهم، أو طعن في دينهم مع إسلامهم.

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكفر الرافضة.

قال محمد بن يوسف الفريابي، وسئل عمن شتم أبا بكر؟ قال: كافر. قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا. وسأله: كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته.

وقال أحمد بن يونس: لو أن يهوديًّا ذبح شاة وذبح رافضي، لأكلت ذبيحة اليهودي ولم آكل ذبيحة الرافضي؛ لأنه مرتد عن الإسلام.



وكذلك قال أبو بكر بن هاني: لا تؤكل ذبيحة الروافض والقدرية، كما لا تؤكل ذبيحة المرتد، مع أنه تؤكل ذبيحة الكتابي؛ لأن هؤلاء يقامون مقام المرتد وأهل الذمة يقرون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية.

وكذلك قال عبد الله بن إدريس من أعيان أئمة الكوفة: ليس لرافضي شفعة إلا لمسلم.

وقال فضيل بن مرزوق: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل من الرافضة: والله إن قتلك لقربة إلى الله، وما أمتنع من ذلك إلا بالجوار، وفي رواية قال: رحمك الله، قذفت، إنما تقول هذا تمزح؟ قال: لا والله ما هو بالمزاح ولكنه الجد. قال: وسمعته يقول: لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم.

وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان، وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة، الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم.

وقال أبو بكر عبد العزيز في «المقنع»: فأما الرافضي، فإن كان يسب فقد كفر، فلا يزوج.

ولفظ بعضهم- وهو الذي نصره القاضي أبو يعلى- أنه إن سبهم سبًّا يقدح في دينهم وعدالتهم كفر بذلك، وإن سبهم سبًّا لا يقدح -مثل أن يسب أبا أحدهم، أو يسبه سبًّا يقصد به غيظه، ونحو ذلك- لم يكفر.

قال أحمد في رواية أبي طالب، في الرجل يشتم عثمان: هذا زندقة. وقال في رواية المروذي: من شتم أبا بكر، وعمر، وعائشة، ما أراه على الإسلام.

قال القاضي أبو يعلى: فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة، وتوقف في رواية عبد الله وأبي طالب عن قتله وكمال الحد، وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره.

قال: فيحتمل أن يحمل قوله: «ما أراه على الإسلام» إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف، ويُحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك، بل فعله مع اعتقاده لتحريمه، كمن يأتي المعاصي.

قال: ويحتمل قوله: «ما أراه على الإسلام» على سبٍّ يطعن في عدالتهم، نحو قوله: ظلموا وفسقوا بعد النبي ﷺ، وأخذوا الأمر بغير حق، ويُحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم، نحو قوله: كان فيهم قلة علم، وقلة معرفة بالسياسة، والشجاعة، وكان فيهم شح، ومحبة للدنيا، ونحو ذلك. قال: ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان: إحداهما يكفر، والثانية يفسق. وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره حكوا في تكفيرهم روايتين.

قال القاضي: ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها منه كفر بلا خلاف.

ونحن نرتب الكلام في فصلين أحدهما: في سبهم مطلقًا، والثاني: في تفصيل أحكام الساب.

أما الأول فسب أصحاب رسول الله ﷺ حرام بالكتاب والسنة.

أما الأول فلأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتابا وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهم صدور المؤمنين، فإنهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] حيث ذكرتْ، ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم؛ لأن الله سبحانه رضي عنهم رضًا مطلقًا بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]،

والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن ﷺ لم يسخط عليه أبدًا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ سواء كان ظرفًا محضًا، أو كانت ظرفًا فيها معنى التعليل، فإن ذلك لتعلق الرضا بهم، فإنه يسمى رضًا أيضًا، كما في تعلق العلم، والمشيئة، والقدرة، وغير ذلك من صفات الله سبحانه. وقيل: بل الظرف يتعلق بجنس الرضا، وإنه يرضى عن المؤمن بعد أن يطيعه، ويسخط عن الكافر بعد أن يعصيه، ويحب من اتبع الرسول بعد اتباعه له وكذلك أمثال هذا، وهذا قول جمهور السلف، وأهل الحديث وكثيرٍ من أهل الكلام، وهو الأظهر.

وعلى هذا فقد بين في مواضع أخر، أن هؤلاء الذين ﷺ هم من أهل الثواب في الآخرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**».

وأيضًا فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك.

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، ولأنه ﷻ قال: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهم أول من وُوْجِهَ بهذا الخطاب، فهم مرادون بلا ريب، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

فجعل سبحانه ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى للمهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، مستغفرين للسابقين، وداعين الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، فعلم أن الاستغفار لهم وطهارة القلب من الغِلِّ لهم أمر يحبه الله ويرضاه، ويثني على فاعله، كما أنه قد أمر بذلك رسوله في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ومحبة الشيء كراهة لضده، فيكون الله يكره السب لهم، الذي هو ضد الاستغفار، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة. وهذا معنى قول عائشة ﵂: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم. رواه مسلم[(١)].

وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، إن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون. رواه الإمام أحمد[(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، قال: ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ -إلى قوله- وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر: ٨] فهؤلاء المهاجرين وهذه منزلة قد مضيت: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ -إلى قوله- وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ [الحشر: ٩]

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨)، وابن بطة في «الشرح والإبانة» (٤٦)، واللالكائي (٢٣٣٩)، وصحح إسناده شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٢٢).

قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] قد مضت هاتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت[1] يقول: أن تستغفروا لهم، ولأن من جاز سبه بعينه- أو بغيره- لم يجز الاستغفار له.

كما لا يجوز الاستغفار للمشركين؛ لقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

وكما لا يجوز أن يستغفر لجنس العاصين مسمين باسم المعصية؛ لأن ذلك لا سبيل إليه؛ ولأنه شرع لنا أن نسأل الله أن لا يجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا، والسب باللسان أعظم من الغل الذي لا سب معه، ولو كان الغل عليهم والسب لهم جائزًا، لم يشرع لنا أن نسأله ترك ما لا يضر فعله، ولأنه وصف مستحقي الفيء بهذه الصفة كما وصف السابقين بالهجرة والنصرة، فعلم أن ذلك صفة لهم وشرط فيهم، ولو كان السب جائزًا لم يشترط في استحقاق الفيء ترك أمر جائز، كما لا يشترط ترك سائر المباحات، بل لو لم يكن الاستغفار لهم واجبًا لم يكن شرطًا في استحقاق الفيء؛ لأن استحقاق الفيء لا يشترط فيه ما ليس بواجب بل هذا دليل على أن الاستغفار لهم داخل في عقد الدين وأصله.

* وأما السنة ففي الصحيحين: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ولا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[2].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٤)، واللالكائي (٢٣٥٤)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) تقدم.

و في رواية لمسلم، واستشهد بها البخاري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو اتفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُد أحدكم ولا نصيفه**».

وفي رواية للبرقاني في «صحيحه»: «**لا تسبوا أصحابي دعوا لي أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كلَّ يوم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(١).

والأصحاب: جمع صاحب: والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا وصحبته سنة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] قد قيل: هو الرفيق في السفر. وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أن صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فما فوقها، وقد أوصى الله به إحسانًا ما دام صاحبًا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»(٢) وقد دخل في ذلك قليل الصحبة وكثيرها وقليل الجوار وكثيره.

وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهرًا أو يومًا أو رآه مؤمنًا به فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك.

فإن قيل: فلم نهى خالدًا عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضا؟ وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

---

(١) قال المحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ١٧): أخرجه أبو بكر البرقاني على شرطهما. اهـ وقال المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٢٥٤٣): أخرجه أبو بكر البرقاني، والروياني في «المستخرج» عن أبي سعيد، وهو صحيح. اهـ، وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٤): زاد البرقاني في «المصافحة»: من كل يوم. وهي زيادة حسنة. اهـ وقال في «جزء حديث: لا تسبوا أصحابي» (ص/ ٦٠): رواه البرقاني في «المصافحة» وقال البرقاني: استحسنت قوله فيه «كل يوم» مع حسن إسناده. اهـ

(٢) تقدم أنه في «المسند» لأحمد (٢٠٠٩) بسند صحيح.

قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح، وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.

وقوله: «**لا تسبوا أصحابي**» خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**أيها الناس إني أتيتكم فقلت: إني رسول الله إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»(١) أو كما قال بأبي هو وأمي ﷺ. قال ذلك لما غامر(٢) بعض الصحابة أبا بكر، وذاك الرجل من فضلاء أصحابه، ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبة انفرد بها عنه.

وعن محمد بن طلحة المدني، عن عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختارني، واختار لي أصحابًا، جعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»(٣) وهذا محفوظ بهذا

---

(١) تقدم أنه عند البخاري (٣٦٦١).

(٢) غامر أي: خاصم.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٠)، والخلال في «السنة» (٨٣٤)، واللالكائي في «السنة» (٢٣٤١)، والأصبهاني في «الحجة» (٣٦٧)، والآجري في «الشريعة» (١٩٨٩، ١٩٩٠)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٧٤/ ح١٣٧٩٤)، وفي «الأوسط» (٤٥٦)، وقال: تفرد به محمد بن طلحة التيمي. اهـ، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (١٦٢٨)، والحاكم (٦٦٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨٢٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٤٢٤)، قال ابن الجوزي: والمراد بالعدل الفريضة، والصرف النافلة. اهـ، وقيل: الصرف التوبة، والعدل الفدية.

الإسناد. وقد روى ابن ماجه بهذا الإسناد حديثًا، وقال أبو حاتم في محمد هذا: محله الصدق يكتب حديثه، ولا يحتج به على انفراده، ومعنى هذا الكلام أنه يصلح للاعتبار بحديثه، والاستشهاد به، فإذا عضده آخر مثله جاز أن يحتج به، ولا يحتج به على انفراده.

وعن عبد الله بن مغفل قال: قال: قال رسول الله ﷺ: **«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا من بعدي، من أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»** رواه الترمذي وغيره من حديث عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد عنه، وقال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه(١).

وروى هذا المعنى من حديث أنس أيضًا، لفظه **«من سب أصحابي فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله»** رواه ابن البناء(٢).

وعن عطاء بن أبي رباح عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«لعن الله من سب أصحابي»** رواه أبو أحمد الزبيري: حدثنا محمد بن خالد عنه.

وقد روى عن ابن عمر مرفوعا من وجه آخر. ورواهما اللالكائي(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، والإمام أحمد في «الفضائل» (٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٢) بسند ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٣٤٧، ٢٣٤٨)، والإمام أحمد في «الفضائل» (١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠١)، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٤٣٤/ ح١٣٥٨٨)، وقال الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٨٣) عن حديث عطاء: حديث حسن، وإسناده مرسل صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير محمد بن خالد وهو صدوق. اهـ

وقال علي بن عاصم: أنبأ أبو قحذم حدثني أبو قلابة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» رواه اللالكائي(١).

ولما جاء فيه من الوعيد قال إبراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر(٢). وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾(٣) [النساء: ٣١].

وإذا كان شتمهم بهذه المثابة فأقل ما فيه التعزير؛ لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة، وقد قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»(٤)، وهذا مما لا نعلم فيه خلافًا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم، وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول.



---

(١) أخرجه اللالكائي (٢١٠)، والطبراني في «الكبير» (ج٢/ ص٩٣/ ح١٤٢٧)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (١٨٦)، والحارث بن أبي أسامة كما في «البغية» (٧٤٢)، و«المطالب العالية» (٢٩٥٦)، و«إتحاف الخيرة» (٢٢٠).

وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٧٨): رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. اهـ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٥).

(٢) أخرجه اللالكائي (٧/ ١٢٦٢).

(٣) أخرجه اللالكائي (٧/ ١٢٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) عن أنس.

حجة من نفى القتل والتكفير عمن سب الصحابة

ثم من قال: لا أقتل بشتم غير النبي ﷺ. فإنه يستدل بقصة أبي بكر، وهو أن رجلًا أغلظ له -وفي رواية شتمه- فقال له أبو برزة: أقتله؟ فانتهره وقال: ليس هذا لأحد بعد النبي ﷺ[1]. وبأنه كتب إلى المهاجر بن أبي أمية: إن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود[2]. ولأن الله تعالى ميز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين، فجعل الأول ملعونًا في الدنيا والآخرة وقال في الثاني: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]، ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل، وإنما هو موجب للعقوبة في الجملة، فيكون عليه عقوبة مطلقة، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل؛ ولأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنًا بعد إحصان، أو رجل قتل نفسًا فيقتل بها**»[3].

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر؛ لأن بعض من كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان ربما سب بعضهم بعضًا، ولم يكفُر أحد بذلك؛ ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم بأعيانهم، فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٤)، والطيالسي (٤)، والحميدي (٦)، وأبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي (٤٠٧١)، والبزار (٤٩)، وأبو يعلى (٨٠-٨٢)، والحاكم (٨٠٤٦)، وصححه الذهبي ووافقه الألباني.

(٢) رواه سيف بن عمر التميمي في كتاب «الردة والفتوح» عن شيوخه. وسيف بن عمر ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب «الردة» ويقال له: الضبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه. اهـ

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٣٧، ٤٣٨)، والطيالسي (٧٢)، والشافعي (٢/ ٩٦)، والدارمي (٢٢٩٧)، وأبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، والبزار (٣٨١)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٣٢١)، والبيهقي (٨/ ١٨-١٩، ١٩٤)، وصححه ابن الجارود في «المنتقى» (٨٣٦)، والحاكم (٤/ ٣٥٠) على شرطهما، وحسنه الترمذي من حديث عثمان بن عفان، وقد أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود بمعناه.

حجة من قال بكفر وقتل ساب الصحابة

و أما من قال: «يقتل الساب» أو قال: «يكفر» فلهم دلالات احتجوا بها منها: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ [الفتح: ٢٩] فلابد أن يغيظ بهم الكفار وإذا كان الكفار يغاظون بهم، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به، وأخزاهم، وكَبَتَهم على كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كبتوا به جزاء لكفرهم إلا كافر؛ لأن المؤمن لا يكبت جزاء للكفر.

يوضح ذلك أن قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ ﴾ [الفتح: ٢٩] تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب؛ لأن الكفر مناسب؛ لأن يغاظ صاحبه، فإذا كان هو الموجب لأن يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد، فمن غاظه الله بأصحاب محمد فقد وجد في حقه ذلك وهو الكفر.

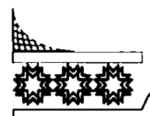
قال عبد الله بن إدريس الأودي الإمام: ما آمنُ أن يكونوا قد ضارعوا الكفار -يعني: الرافضة- لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾.

وهذا معنى قول الإمام أحمد: ما أراه على الإسلام.

ومن ذلك: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد أذاني، ومن آذاني فقد أذى الله**»(١)، وقال: «**فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**»(٢) وأذى الله ورسوله كفر موجب للقتل، وبهذا يظهر الفرق بين أذاهم قبل استقرار الصحبة وأذى سائر المسلمين، وبين أذاهم بعد صحبتهم له فإنه على عهد قد كان الرجل ممن يظهر الإسلام يمكن أن يكون

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.



منافقًا، ويمكن أن يكون مرتدًّا، فأما إذا مات مقيمًا على الصحبة النبي ﷺ وهو غير مزنون[١] بنفاق فأذاه أذى مصحوبه، قال عبد الله بن مسعود: اعتبروا الناس بأخدانهم[٢]. وقالوا:

عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قرينِهِ * فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

وقال مالك رحمه الله: إنما هؤلاء أقوم أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين، أو كما قال[٣].

وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله، ويذب عن رسول الله بنفسه وماله، ويعينه على إظهار دين الله، وإعلاء كلمة الله، وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة، وهو حينئذ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته، ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه، ومعلوم أن رجلًا لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه، وعد ذلك أذى له، وإلى هذا أشار ابن عمر، قال نسير بن ذعلوق: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: «**لا تسبوا أصحاب محمد؛ فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله**» رواه اللالكائي[٤].

---

(١) أي: متهم بنفاق. قال في «القاموس»: زنَّ فلانًا بخير أو شر: ظنه به، كأزنه، وأزنته بكذا: اتهمته به. اهـ وفي «أساس البلاغة» للزمخشري: فلان يزن بكذا، يتهم به، وزننته به وأزننته. اهـ

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠٥)، والطبراني في «الكبير» (ج٨/ ص١٠٥/ ح٨٨٢٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج٢/ ص٤٣٩/ ح٣٨٢)، (ج٢/ ص٤٧٧/ ح٥٠١).

(٣) روى اللالكائي (٢٨١٢) عن الفريابي، أن بعض الخلفاء أخذ رجلين من الرافضة، فقال لهما: والله لئن لم تخبراني بالذي يحملكما على تنقص أبي بكر وعمر لأقتلنكما، فأبيا، فقدَّ أحدهما فضرب عنقه، ثم قال للآخر: والله لئن لم تخبرني لألحقنك بصاحبك، قال: فتؤمنّي؟ قال: نعم، قال: فإنا أردنا النبي ﷺ فقلنا: لا تبايعنا الناس عليه، فقصدنا هذين الرجلين، فتابعنا الناس على ذلك.

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول السنة» (٢٣٥٠)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥)، وابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٦) بسند صحيح، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، وحسنه الألباني.

وكأنه أخذه من قول النبي ﷺ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه**»[(١)] وهذا تفاوت عظيم جدًّا.

ومن ذلك: ما روي عن علي رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» رواه مسلم[(٢)].

ومن ذلك: ما خرجاه في الصحيحين، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[(٣)]، وفي لفظه قال في الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»[(٤)].

وفي الصحيحين أيضًا عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منا فق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»[(٥)].

ولمسلم عن أبي هريرة النبي ﷺ قال: «**لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر**»[(٦)].

وروى مسلم في صحيحه أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**»[(٧)].

فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقًا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وإنما خص الأنصار -والله أعلم- لأنهم هم الذين تبوؤا الدار والإيمان من

---

(١) تقدم تخريجه من الصحيحين.
(٢) أخرجه مسلم (٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء بن عازب.
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء بن عازب.
(٦) أخرجه مسلم (٧٦).
(٧) أخرجه مسلم (٧٧).

قبل المهاجرين، وآووا رسول الله ﷺ، ونصروه، ومنعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله، وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال، وكان المهاجرين- إذ ذاك- قليلًا، غرباء، فقراء، مستضعفين، ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمنًا يحب الله ورسوله لم يملك أن لا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم وأراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن يعرف الناس قدر الأنصار؛ لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلون، وأن الأمر سيكون في المهاجرين، فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله بما أمكنه، فهو شريكهم في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق.

ومن هذا: ما رواه طلحة بن مصرف قال: كان يقال: بغض بني هاشم نفاق، وبغض أبي بكر وعمر نفاق، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة[(١)].

ومن ذلك: ما رواه كثير النَّوَّاء، عن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: **«يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام»**. هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه. وفي «السنة» من وجوه صحيحة عن يحيى بن عقيل: ثنا كثير ورواه أيضا من حديث أبي شهاب عبد ربه بن نافع الحناط، عن كثير النواء، عن إبراهيم بن الحسن، عن أبيه، عن جده يرفعه قال: **«يجيء قوم قبل قيام الساعة يسمون الرافضة براء من الإسلام»** وكثير النواء يضعفونه[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (١٨٩٥)، واللالكائي (٢٣٨٩)، والخلال في «السنة» (٣٥٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٨٠٨)، وفي «السنة» (١٢٦٨، ١٢٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٧٨)، والبزار (٤٩٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٧٩، ٢٨٥)، وإسناده ضعيف فيه كثير النَّوَّاء، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢)، والألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٥٤٦)، وأحمد شاكر في «تخريج المسند» (١/ ١٣٦).



وروى أبو يحيى الحماني عن أبي جناب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني -أو النخعي- عن عمه عن علي قال: قال لي النبي عليه الصلاة والسلام: «**يا علي أنت وشيعك في الجنة وإن قوما لهم نَبَزٌ**[١] **يقال لهم الرافضة، إن أدركتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون**» قال علي: ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ورواه عبد الله بن أحمد: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا أبو يحيى[٢].

ورواه أبو بكر الأثرم في «سننه»: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي جناب، عن أبي سليمان الهمداني، عن رجل من قومه قال: قال علي: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة؟ وإنك من أهل الجنة، إنه سيكون بعدنا قوم لهم نَبَزٌ يقال لهم: الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون**». قال: وقال علي رضي الله عنه: سيكون بعدنا قوم سيكون ينتحلون مودتنا يكذبون علينا، مارقة، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٣].

ورواه أبو القاسم البغوي: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا محمد بن حازم، عن أبي جناب الكلبي، عن أبي سليمان الهمداني، عن علي رضي الله عنه قال: «يخرج في آخر الزمان قوم لهم نَبَزٌ، يقال لهم: الرافضة، يعرفون به وينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر، وأينما أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون»[٤].

وقال سويد: حدثنا مروان بن معاوية، عن حماد بن كيسان، عن أبيه -وكانت أخته سُرِّية[٥] لعلي رضي الله عنه- قال: سمعت عليا يقول: «يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يسمون

---

(١) النبز: بفتح النون وسكون الباء: اللمز، وبفتحهما: اللقب. قاله في «القاموس».

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٧٢ ط. القحطاني)، وسنده ضعيف، أبو جناب الكلبي ضعيف مدلس، وأبو سليمان الهمداني، مجهول العين، والمتن منكر.

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٣) من طريق الأثرم به، وسنده ضعيف منقطع.

(٤) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٧)، وسنده ضعيف كسابقيه.

(٥) السُّرِّيَّة بضم السين وكسر الراء وفتح الياء وتشديدهنَّ: الأمة التي يطؤها سيدها.

الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم فإنهم مشركون»[١] فهذا الموقوف على علي ﷺ شاهد في المعنى لذلك المرفوع.

وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث أم سلمة، وفي إسناده سوار بن مصعب، وهو متروك[٢].

وروى ابن بطة بإسناده عن أنس قال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله اختارني واختار أصحابي، فجعلهم أنصاري، وجعلهم أصهاري، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم يبغضوهم، ألا فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تصلوا معهم ولا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة**» وفي هذا الحديث نظر[٣].

وروى ما هو أغرب من هذا وأضعف رواه ابن البناء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولا تسبوا أصحابي، فإن كفارتهم القتل**»[٤].

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (١٥٠٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨٠)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦٠٥) وسنده تالف.

(٣) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٦٩)، والخطيب في «الكفاية» (٩٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٦٢) وقال: قال ابن حبان: خبر باطل لا أصل له. اهـ

(٤) لم أقف عليه، وليس فيه غرابة؛ فإن معناه: لا تسبوهم لما يبدر منهم، فإنَّ القتل كفارة لخطاياهم إن وجدت، ويشهد لهذا حديث سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «بحسب أصحابي القتل». أخرجه أحمد (١٥٨٧٦)، وابن أبي شيبة (٣٨٥٠٩)، والبزار (٢٧٦٧)، والطبراني (ج٧/ ص٣٧٣/ ح٨١١٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٩٣)، وفي «الآحاد والمثاني» (١٣٠٧)، والحارث بن أبي أسامة (٧٦٠ - بغية)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٦)، وعن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بعدي فتن يكون فيها ويكون» فقلنا: إن أدركنا ذلك هلكنا؟ قال: «بحسب أصحابي القتل». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٩١)، والبزار (١٢٦١)، والطبراني في «الكبير» (ج١/ ص١٥٠/ ح٣٤٦) واللفظ له. وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٤٢٠).
قال السندي في حاشية المسند: قوله: «بحسب أصحابي» الباء زائدة. أي: يكفيهم القتل. أي: إذا وقع من أحد ذنب، ثم قتل فهو يكفي جزاء لذنبه. اهـ

وأيضًا فإن هذا مأثور عن أصحاب النبي ﷺ فروى أبو الأحوص، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم قال: بلغ عليَّ بنَ أبي طالب أن عبد الله بن السوداء[١] يبغض أبا بكر وعمر فهم يقتله، فقيل له: تقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت؟ فقال: لا يساكنني في دار أبدًا[٢].

وفي رواية عن شباك قال: بلغ عليًّا أن ابن السوداء يبغض أبا بكر وعمر قال: فدعاه ودعا بالسيف- أو قال: فهم بقتله- فكلم فيه فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه. فنفاه إلى المدائن[٣]. وهذا محفوظ عن أبي الأحوص وقد رواه النجاد، وابن بطة، واللالكائي، وغيرهم، ومراسيل إبراهيم جياد.

ولا يظهر عن علي ﷺ أنه يريد قتل رجل إلا وقتله حلال عنده، ويشبه -والله أعلم- أن يكون إنما تركه خوف الفتنة بقتله، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يمسك عن قتل بعض المنافقين، فإن الناس تشتتت قلوبهم عَقِبَ فتنة عثمان ﷺ، وصار في عسكره من أهل الفتنة أقوام لهم عشائر، لو أراد الانتصار منهم لغضبت لهم عشائرهم، وبسبب هذا وشبهه كانت فتنة الجمل.

وعن سلمة بن كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: يا أبت، لو كنتَ سمعتَ رجلًا يسب عمر بن الخطاب ﷺ ما كنت تصنع به؟ قال: كنت أضرب عنقه، هكذا رواه الأعمش عنه، ورواه الثوري عنه، ولفظه: قلت لأبي: يا أبت لو أتيت برجل يشهد على عمر بن الخطاب ﷺ بالكفر أكنت تضرب عنقه؟ قال: نعم. رواه الإمام أحمد وغيره[٤]، ورواه ابن عيينة، عن خلف بن حوشب، عن سعيد بن عبد

---

(١) هو رأس الفتنة والتشيع عبد الله بن سبأ اليهودي، المنافق، أظهر الإسلام كيدًا لأهل الإسلام، ثم أظهر التشيع.

(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٨٠).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٣٧٩).

(٤) أخرجه الخلال في «السنة» (٣٠٤).

الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: لو أتيت برجل يسب أبا بكر ما كنت صانعًا؟ قال: أضرب عنقه. قلت: فعمر؟ قال: أضرب عنقه[١]. وعبد الرحمن بن أبزى من أصحاب النبي ﷺ أدركه وصلى خلفه، وأقره عمر ﵁ عاملًا على مكة وقال: هو ممن رفعه الله بالقرآن. بعد أن قيل له: إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب الله[٢]، واستعمله علي ﵁ على خراسان.

وروى قيس بن الربيع، عن وائل، عن البهي قال: وقع بين عبيد الله بن عمر[٣] وبين المقداد[٤] كلام، فشتم عبيد الله المقداد فقال عمر: «علي بالحداد أقطع لسانه لا يجترئ أحد بعده يشتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ». وفي رواية: «فهم عمر بقطع لسانه فكلمه فيه أصحاب محمد ﷺ، فقال: «ذروني أقطع لسان ابني لا يجترئ أحد بعده يسب أحدًا من أصحاب محمد ﷺ». رواه حنبل، وابن بطة، واللالكائي، وغيرهم[٥] ولعل عمر إنما كف عنه لما شفع فيه أصحاب الحق، وهم أصحاب النبي ﷺ، ولعل المقداد كان فيهم.

وعن عمر بن الخطاب أنه أُتِيَ بأعرابي يهجو الأنصار فقال: لولا أن له صحبة لكفيتكموه. رواه أبو ذر الهروي[٦].

---

(١) أخرجه اللالكائي (١٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصغر من عبد الله.

(٤) هو المقداد بن الأسود من فضلاء الصحابة.

(٥) أخرجه اللالكائي (٢٣٧٦).

(٦) أخرجه أبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٦٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال السيوطي في «مناهل الصفا في تخريج الشفا» (١٣٦٢)، وأخرجه محمد بن قدامة المروزي في كتاب الخوارج عن أبي سعيد بسند رجاله ثقات. اهـ

ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال: سمعت عليًّا يقول: «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمرﷺ إلا جلدته حد المفتري»[١]. وعن علمقة بن قيس قال: خطبنا علي ﷺ فقال: «إنه بلغني أن قوما يفضلونني على أبي بكر عمر، ولو كنت تقدمت[٢] في هذا لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، ومن قال شيئًا من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري، خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر». رواهما عبد الله بن أحمد[٣]. وروى ذلك ابن بطة واللالكائي من حديث سويد بن غفلة عن علي في خطبة طويلة خطبها[٤].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن أبي ليلى قال: تداروا[٥] في أبي بكر وعمر، فقال رجل من عطارد[٦]: عمر أفضل من أبي بكر. فقال الجارود[٧]: بل أبو بكر أفضل منه. قال: فبلغ ذلك عمر، قال: فجعل يضربه ضربًا بالدرة، حتى شغر برجله[٨]، ثم أقبل إلى الجارود فقال: «إليك عنى». ثم قال عمر: «أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام في كذا وكذا». ثم قال عمر: «من قال غير

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٤٩)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣١٢) بسند ضعيف.

(٢) أي: لو حذرتكم قبل هذا الوقت.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٤٨٤)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٤)، واللالكائي (٢٦٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٢٨٠)، وقال: ولأصل الحديث طرق كثيرة جدًّا. اهـ

(٤) أخرجه الإمام أبو إسحاق الفزاري في «المغازي» (٦٤٧)، واللالكائي (٤٤٥٦).

(٥) أي: تدارؤوا بهمزة قال في «القاموس»: تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة. اهـ أي: دفع بعضهم حجة بعض في المجادلة.

(٦) قبيلة من بني عبد القيس بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(٧) أبو المنذر بشر بن حنش العبدي، سيد عبد القيس، صحابي لقب بالجارود؛ لأنه غزا قومًا في الجاهلية فجردهم واستأصلهم، واستشهد في معركة نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني.

(٨) أي: رفعها.

هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري»[(١)].

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري، من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، أو من يفضل عمر على أبي بكر -مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب- علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير.

تكفير المالهة لعلي والمغلطة لجبريل

أمَّا مَن اقترن بسبه دعوى أن عليًّا إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نُقِصَ منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

السبب فيما دون العدالة والقدح في الدين

وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم -مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك- فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٣٩٦)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٦٥)، واللالكائي (٢٤٤٨).

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلا نفرًا قليلًا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره؛ لأنه مكذِّبٌ لما نصَّه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] -وخيرها هو القرن الأول- كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارهم، وكفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك ممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في «النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب»[١].

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل؛ لأنها من تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها. اهـ



(١) مطبوع، وقد ذكر فيه أخبارًا كثيرة من ذلك، ومؤلفه هو الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الضياء المقدسي، صاحب «المختارة في الأحاديث الصحيحة».

وجوب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة من حروب وفتن

قوله: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ).

* **آل الشيخ**: (يمسكون). أي: يكفون. و(شجر). أي: وقع من النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب بينهما؛ لأن تلك الأمور اجتهادية وهم على قسمين: مجتهد مصيب، ومجتهد مريد للحق مخطئ، فاته أجر الإصابة، وصار له أجر الاجتهاد، مع العلم والقول أن أَوْلى الطائفتين علي رضي الله عنه ومن معه.

هذه طريقة أهل السنة يمسكون عما شجر بين الصحابة -في الحروب والوقائع- إذا جاء الخوض ويكفون، فلا يكونون في هذا الجانب ولا في هذا الجانب.

هذا من أصول أهل السنة: الكفُّ عمَّا كان بين الصحابة، وعدم الخوض فيها، وعدم الكلام وتُتْرك. اهـ

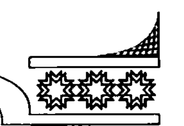
* **ابن باز**: فالواجب حبهم في الله، والترضي عنهم، والكف عن مساوئهم فيما شجر بينهم. اهـ

موقف أهل السنة في الخلاف والفتن التي حصلت بين الصحابة رضي الله عنهم

* **العثيمين**: موقفهم في ذلك أن ما جرى بينهم فإنه باجتهاد من الطرفين، وليس عن سوء قصد، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وليس ما جرى بينهم صادرًا عن إرادة علو ولا فساد في الأرض؛ لأن حال الصحابة رضي الله عنهم تأبى ذلك؛ فإنهم أوفر الناس عقولًا، وأقواهم إيمانًا، وأشدهم طلبًا للحق، كما قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني»[1].

---

(١) تقدم تخريجه من الصحيحين.



وعلى هذا فطريق السلامة أن نسكت عن الخوض فيما جرى بينهم، ونرد أمرهم إلى الله؛ لأن ذلك أسلم من وقوع عداوة أو حقد على أحدهم. اهـ

* **ابن مانع**: هذا هو الحق الذي يجب المصير إليه، ولقد ضل كثير من المؤرخين المتنطعين فجعلوا أنفسهم كأنهم حكام بين أصحاب رسول الله ﷺ، فصوبوا وخطَّؤوا بلا دليل، بل باتباع الهوى وضعف الدين، ولقد أحسن ابن عدوان النجدي بقوله حيث قال:

وتُمْسِكُ عمَّا كان بين صِحابِهِ * وما صح معذورون فيه فقل قدِ
فإما لهم أجران أو أجر يا فتى * فلا تبغِ قولًا غير ذلك تهتدِ
وليسوا بمعصومين فاسمع مقالَنا * ولكن لهم ما يوجب العفو فاهتدِ
فقد صح عن خير الخلائق أنهم * لَخيرُ القرونِ، افهم بغير ترددِ

اهـ.

* **الهراس**: ويمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة ﷺ، لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبير بعد مقتل عثمان، وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، ويرون أن الآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذب، أو محرف عن وجهه، وأما الصحيح منها فيعذرونهم فيه، ويقولون: إنهم متأولون مجتهدون.



الموقف من الآثار الواردة في اختلاف الصحابة ومساوئهم

* آل الشيخ: قوله: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ).

* آل الشيخ: «فِي مَسَاوِيهِمْ» أي: في عيوبهم «مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ» أي: كذب من أصله، ولا أصل له بحال أبدًا، هذا مسلك أهل السنة والجماعة، «وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ» أي: ومنها ما له أصل، لكن ما بقي على أصله، بل غُيِّر. وهذا في القول العام في الصحابة، فإنهم لا يجتمعون على ضلالة.

قوله: (وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ، إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ).

«وَالصَّحِيحُ مِنْهُ» أي: الذي يثبت منه وهو الأقل، وهذا خاص بالأفراد «هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ، إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ» فيكون لهم أجران ﷺ «وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ» والخطأ مغفور لهم، فأعمالهم مترددة بين أن يكون لهم فيها أجران أو أجر، مثل الحاكم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد[1]. اهـ

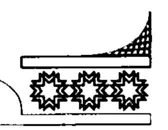
* العثيمين: موقفهم من الآثار الواردة في مساوئ بعضهم على قسمين:

الأول صحيح، لكنهم معذورون فيه؛ لأنه واقع عن اجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ له أجر، وإن أصاب فله أجران.

الثاني غير صحيح: إما لكونه كذبًا من أصله، وإما لكونه زيد فيه أو نقص أوغير عن وجهه، وهذا القسم لا يقدح فيهم؛ لأنه مردود. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة، عن النبي ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».



الصحابة غير معصومين في أفرادهم، وإنما العصمة في إجماعهم وجملتهم



قوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ).

❋ قال الشيخ: أي: وأهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن كل فرد منهم معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عقلًا، وغير مستحيلة.

قوله: (بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ) فهذا من التجويز الوقوعي، لا أنه يجوز لهم في الأحكام. أي: تجوز عليهم، لا أنها تجوز لهم. فالذنوب متصورة من أحدهم، والعصمة إنما هي لجميعهم أن يكونوا مجتمعين على ضلالة. اهـ

أسباب مغفرة الذنوب إن وقعت

قوله: (وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ).

❋ قال الشيخ: أي: لهم من السوابق إلى الإسلام وقوة الإيمان واليقين والجهاد.

وقوله: (وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ) كما في حديث: «خير الناس قرني...» الحديث، و«خير أمتي قرني...» الحديث.

وقوله: (وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ).

قد ثبت بقول رسول الله ﷺ مخاطبًا خالدًا ومن معه، وكان منهم: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا**» ما بلغ مثل مُدٍّ مَنْ تقدَّمه من الصحابة، فكيف بمن بعد الصحابة، ومن بعدهم فمن بعدهم؟!

والمد من أحدهم من البرِّ ونحوه إذا تصدق به، كان خيرًا وأفضل عند الله من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم، فهذه فضيلة ومنقبة لهم، بل قال ذلك النبي ﷺ لبعض الصحابة السابق منهم، فكيف بمن بعد الصحابة، ومن بعدهم؟! فهذا بَوْنٌ بعيد وتفاوت عظيم.

وهذا يبين لك أن الأعمال لا تتفاوت وتتفاضل إلا بتفاضل ما في القلوب، وصدور العمل معتمد على النية، والإخلاص، وسماح النفس، فالصحابة أكمل الناس إيمانًا وإخلاصًا وعلمًا، وأيضًا صحبتهم الرسول ﷺ التي امتازوا بها عن غيرهم. فقاتل الله الروافض.

وقوله: (ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ).

تقدم لك أن الفرد منهم غير معصوم، إذا قدرنا أن واحدًا منهم قد صدر منه ذنب وثبت، وهو غير معصوم، فإنه تَعْرِضُه هذه الأمور:

الأول: التوبة، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها، فهم أسرع شيء إلى المبادرة بالتوبة والإقلاع عما صار منهم، بل هذا ممكن قريب، وهو الأحرى بهم ﵃، ثم الشخص قد يكون بعد الذنب والتوبة أكمل منه قبله.

الثاني: كثرة الأعمال ورجحانها على السيئات، كما في قصة أهل بدر، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وفي الحديث: «**وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها**»(١).

الثالث: **أو غفر له بفضل سابقته وجهاده مع النبي ﷺ**، فإن صاحب السابقة يغفر له ما لا يغفر لغيره، فإنها شيء كبير من الفضل؛ ولهذا نوّه الله عن أهل السبق في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الرابع: **أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ**، هذا للعصاة من أمته، فإن شفاعته هي دعوته لأمته، فإنه ﷺ أخبر أن شفاعته نائلة العصاة من أمته كما في الحديث: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله- من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»(٢)، فأولى الناس بهذه الشفاعة من العصاة الصحابة، لامتيازهم على الأمة، وَلِمَ لا يكونون أولى وهم خير القرون؟!

الخامس: **أو ابتلي ببلاء** من مصائب ببدنه، أو أهله، أو ماله، فإنها ليست حسنات، بل مكفِّرات، وهي نوعُ امتحان، ولكنها غالبًا تسبب إما عملًا صالحًا وهو الصبر، أو سوءًا وهو الجزع، فإن المصائب مكفِّرات للذنوب مطهِّرات، والصحابة أولى الناس بها، فإنهم ليسوا أهل ترافات، بل هم أحرى بالمصائب المنكبات كما في الحديث: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣)، والترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٢٦)، و«الزهد» (٨٦٩)، والبزار (٤٠٢٢) بأسانيد صحيحة بالمتابعات من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) رواه مسلم (١٩٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٦٠٧)، وأبو داود (٣٠٩٠)، والترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٨١)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه ابن حبان (٢٩٠٠)، والحاكم (١٢٠) عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: يا
=

فهذه خمسة أسباب لمغفرة الذنب، إذا صدر عن أحد من الصحابة فهو بعُرْضَةِ خمسة أشياء، والمصنف ذكر في بعض مؤلفاته كـ«منهاج السنة» عشرة أسباب في تكفير الذنوب(١).

وقوله: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الُمحَقَّقةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ) يعني: الأسباب العشرة التي ذكر منها هنا خمسة. فَإِذَا كَانَ هَذَا في «الذنوب المحقّقة» أنها بعرضة هذه الأسباب «فكيف بالأمور» التي ليست محقَّقةً، بل اجتهاد، وليست ذنوبًا محضة «التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا» في الحصول على الخير والعمل به «فلهم أجران» أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة.

وقوله: (وَإِنْ أخطؤوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ) أي: إن فاتهم أجر الإصابة، ما فاتهم أجر الاجتهاد والحرص على الخير. اهـ

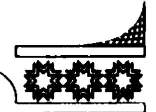
* الهراس: وهم مع ذلك لا يدّعون لهم العصمة من كبار الذنوب وصغارها، ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات، فهم بشهادة رسول الله ﷺ: «خير القرون»، وأفضلها، ومُدُّ أحدهم أو نصيفه أفضل من جبل أُحد ذهبًا يتصدق به مَن بعدهم، فسيئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة. اهـ

* العثيمين: الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، فإنهم يمكن أن تقع منهم المعصية كما تقع من غيرهم، لكنهم أقرب الناس إلى المغفرة للأسباب الآتية:

=

رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين. اهـ

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٧-٥٠١)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٩٩٠-١٠٣ - ط: الرسالة، الثالثة).



١- تحقيق الإيمان والعمل الصالح.

٢- السبق إلى الإسلام والفضيلة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنهم «**خير القرون**».

٣- الأعمال الجليلة التي لم تحصل لغيرهم، كغزوة بدر وبيعة الرضوان.

٤- التوبة من الذنب، فإن التوبة تجبُّ ما قبلها.

٥- الحسنات التي تمحو السيئات.

٦- البلاء، وهو المكاره التي تصيب الإنسان، فإن البلاء يكفر الذنوب.

٧- دعاء المؤمنين لهم.

٨- شفاعة النبي ﷺ التي هم أحق الناس بها.

وعلى هذا فالذي يُنكَرُ من فعل بعضهم قليلٌ منغمر في محاسنهم؛ لأنهم خير الخلق بعد الأنبياء، وصفوة هذه الأمة التي هي خير الأمم، ما كان ولا يكون مثلهم. اهـ

❁ **السعدي**: وهذه الأمور [المحاسن] إذا قوبلت بالمساوئ إن فرض أن هناك مساوئ اضمحلت المساوئ معها، ولا يقاربهم أحد في شيء من ذلك رضي الله عنهم. اهـ

قوله: (**ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ**).

فإذا ثبت عن أحد منهم، فهو كنقطة في بحار استهلكت، فلم يبق لها عين ولا أثر، والخطأ يعني الذي خلاف الاجتهاد وما إلى ذلك. يعني: فبطريق الأولى أن تكون مغفورة في جنب هذه الفضائل، بل في جنب واحدة من هذه الفضائل.

وقوله: «مِنَ الإِيمَانِ بِالله..» إلخ (مِنْ) لبيان الجنس في جنس ما منَّ الله به عليهم، إذا نسبت هذا إلى هذا، فلا كمية ولا كيفية. اهـ

❁ **الهراس**: يريد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن ينفي عن الصحابة رضي الله عنهم أن يكون أحدهم قد مات مصرًّا على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب، بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلًا فلا يخلو عن أحد هذه الأمور التي ذكرها، فإما أن يكون قد تاب منه قبل الموت، أو أتى بحسنات تذهبه وتمحوه، أو غفر له بفضل سالفته في الإسلام، كما غفر لأهل بدر وأصحاب الشجرة، أو بشفاعة رسول الله ﷺ، وهم أسعد الناس بشفاعته، وأحقهم بها، أو ابتلي ببلاء في الدنيا في نفسه أو ماله أو ولده فكفر عنه به.

فإذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم بالنسبة إلى ما ارتكبوه من الذنوب المحققة، فكيف في الأمور التي هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفور؟

ثم إذا قيس هذا الذي أخطؤوا فيه إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل لم يعد أن يكون قطرة في بحر.

فالله الذي اختار نبيه ﷺ هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم. اهـ

❁ **ابن باز**: فالواجب على أهل الإيمان بعدهم هو السير على منهاجهم، ويؤمنون بأن الصحابة كلهم خير الأمة وأفضلها، وأن ما قد ينقل عن بعضهم من أشياء تنتقد فهو نزر قليل في جنب ما أعطاهم الله من الخير العظيم في جنب فضائلهم وأعمالهم العظيمة، فهو إما يكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشافعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا من مرض أو غيره كفِّر به عنه.

هكذا أهل السنة والجماعة، في هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله، فينبغي للمؤمن أن يحفظ هذا الفصل جيدًا، وأن يعمل بمعناه، وأن تكون عقيدته راسخة حتى

يخالف بها جميع أهل البدع من الروافض والنواصب، وغيرهم من أهل البدع الذي ساءت ظنونهم أو غلوا في أهل البيت، كالروافض، أو ساءت ظنونهم وجفوا في حقهم، كالخوارج والمعتزلة وأشباههم، ممن ساءت أقوالهم وأعمالهم في أصحاب رسول الله ﷺ، نسأل الله أن يرضى عنهم، ويجعلنا من أتباعهم بإحسان. اهـ



كمال حال الصحابة

قوله: (وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

❁ **قال الشيخ:** أي: من عرف ذلك في سيرتهم، عرف صدق ما جاء في الأحاديث، أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، كما تقدم «خير القرون قرني» كما في حديث عمران وابن مسعود رضي الله عنهما، ومنه: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**»[1]. ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل من صريح الإيمان بالله ورسوله، وسبقهم إلى الخير والأعمال الصالحة تبين له ما يأتي: عَلِم يقينًا أن الصحابة خير وأفضل الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم رضي الله عنهم، وأنهم الصفوة الخيار من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٠١٥، ٢٠٠٢٥، ٢٠٠٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣١)، والطحاوي في «المشكل» (٤١٦١)، والطبري (٥/٦٦)، (٢٤/١٠٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ ح١٠٣٠، ١٠٣٨)، و«الأوسط» (٣٨١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٤٩٥) عن حكيم بن معاوية عن أبيه. وإسناده حسن.

❁ **السعدي**: وهذا كلام نفيس في غاية النفاسة، ولا زيادة عليه في التحقيق، وإقامة البرهان على كمال فضل الصحابة ﷺ، لا يحتاج إلى شرح أو بيان. اهـ.

❁ **الهراس**: ومن تأمل كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في شأن الصحابة عجب أشد العجب مما يرميه به الجهلة المتعصبون، وادعائهم عليه أنه يتهجم على أقدارهم، ويغض من شأنهم، ويخرق إجماعهم.. إلى آخر ما قالوه من مزاعم ومفتريات. اهـ

خلاصة مذهب أهل السنة في الصحابة

❁ **ابن باز**: خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وعما شجر بينهم هو سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعًا، وإظهار محاسنهم، وإخفاء مساوئهم -أي: إخفاء مساوئ من نسب إليه شيء من ذلك- والإمساك عما شجر بينهم، واعتقاد أنهم في ذلك بين أمرين: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر الاجتهاد، وخطؤه مغفور.

وإذا قدر أن لبعضهم سيئات وقعت عن غير اجتهاد، فلهم من الحسنات ما يغمرها ويمحوها.

وليس في بيان خطأ من أخطأ منهم في حكم من الأحكام شيء من إظهار المساوئ، بل ذلك مما يفرضه الواجب ويوجبه النصح للأمة. اهـ



فصل

في كرامات الأولياء

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، وَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).



❁ **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة -كما قال المؤلف- التصديق بكرامات الأولياء، وما ذكر الله عنهم، وما ذكره رسول الله ﷺ، وما جرى بعد ذلك.

والكرامة: هي الخارق للعادة، يجري على أيديهم، شيء يخرق العادة، ليس في العادة وجوده على يد المخلوق، يقال لها كرامة، إذا كان الشخص من أولياء الله المؤمنين الصادقين، فإن كان من غيرهم، فهو من خوارق السحرة، ومن خوارق الشياطين، أما ما كان على يد المؤمنين فهذا من كرامات الأولياء ولا تكون كرامة إلا إذا عرف بالاستقامة على دين الله، مثل ما قال الشيخ رحمه الله: لو طار في الهواء، أو مشي على الماء ما يعد وليًّا[1]، حتى يوزن بميزان الكتاب والسنة، فإن استقام على الكتاب والسنة فهو من أولياء الله، وإلا فهو من أولياء الشيطان، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ

(١) انظر «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص/ ٤٥)، وذكر في «الفتاوى» (٢٥/ ٣١٤) اتفاق العلماء على ذلك.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ومنهم أهل الكهف أكرمهم الله ثلاث مائة عام نُوَّمًا وازدادوا تسعًا، ثم أماتهم الله بعد ذلك، هذه آية من آيات الله؛ لإيمانهم وتقواهم، جعلهم الله آية وعبرة، وكما جرى لعباد بن بشر وأسيد بن خضير، الصحابيين الجليلين، في عهد النبي ﷺ، خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاءت لهما أسواطهما، كل واحد صار سوطه سراجًا ينير له الطريق، حتى وصل كل واحد إلى بيته وأهله[(١)]. ومن ذلك قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رئيس دوس، لما أسلم تأخر عليه قومه، قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعل لي آية لعلهم يهتدون، فسأل الله له أن يجعل له آية يهتدي بها قومه، فجعل الله بين عينيه مثل السراج، لما أتى قومه، فقال: يا ربي في غير وجهي، فجعلها الله في سوطه إذا رفع سوطه أنار نورًا، فهدى الله به قومه بأسبابه، وجاء بهم مسلمين[(٢)].

والمقصود: أن الشيء الخارق للعادة إن كان صاحبه متقيًا لله معروفًا بالخير فهي كرامة، وإن كان بخلاف ذلك فهي من مخاريق السحرة والشياطين، وأهل السنة يتبعون في هذا الكتاب والسنة. اهـ

❁ **الهراس**: وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع- قديمًا وحديثًا- على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم.

والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه؛ معونة له على أمر ديني أو دنيوي. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٩، ٣٨٠٥)، والحاكم (٣/ ٢٨٨) وصححه.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٥/ ٢٢٤) من طريق ابن إسحاق بسنده، وابن سعد (٤/ ١/ ١٧٥) من طريق الواقدي بسنده، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٦٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» (٣٥٠٠) عن ابن إسحاق معلقًا، وأخرجه ابن عبد البر (٥/ ٢٢٣) من طريق هشام الكلبي، وسنده ساقط، وعنه ذكرها ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٠٢).
وعلى كلٍّ فهذه القصة ضعيفة تدور على مرسل ضعيف، ومعضلٍ وساقطٍ.

تعريف الولي والكرامة

* العثيمين: الولي: كل مؤمن تقي. أي: قائم بطاعة الله على الوجه المطلوب شرعًا.

والكرامة: أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه؛ تكريمًا له أو نصرة لدين الله.

وفوائدها:

١- بيان قدرة الله.

٢- نصرة الدين أو تكريم الولي.

٣- زيادة الإيمان، والتثبيت للولي الذي ظهرت على يده وغيره.

٤- أنها من البشرى لذلك الولي.

٥- أنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه؛ لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق.

والفرق بينها وبين المعجزة أنها تحصل للولي والمعجزة للنبي.

أنواع الكرامات

والكرامة نوعان:

١- في العلوم والمكاشفات: بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحصل لغيره، أو يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا

المحصورة في العراق، فقال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا ساريةُ، فسمعه القائد فاعتصم بالجبل(١).

٢- في القدرة والتأثيرات: بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره، كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء(٢). اهـ

❁ **العثيمين**: قول أهل السنة في كرامات الأولياء أنها ثابتة واقعة، ودليلهم في ذلك ما ذكره الله في القرآن عن أصحاب الكهف وغيرهم، وما يشاهده الناس في كل زمان ومكان.

وخالف فيها المعتزلة محتجين بأن إثباتها يوجب اشتباه الولي بالنبي والساحر بالولي.

والرد عليهم بأمرين:

١- أن الكرامة ثابتة بالشرع والمشاهدة، فإنكارها مكابرة.

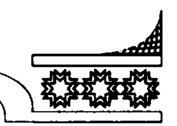
٢- أن ما ادعوه من اشتباه الولي بالنبي غير صحيح؛ لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ؛ ولأن النبي يقول إنه نبي، فيؤيده الله بالمعجزة، والولي لا يقول إنه نبي.

وكذلك ما ادعوه من اشتباه الساحر بالولي غير صحيح؛ لأن الولي مؤمن تقي تأتيه الكرامة من الله بدون عمل لها، ولا يمكن معارضتها، وأما الساحر فكافر منحرف، يحصل له أثر سحره بما يتعاطاه من أسبابه، ويمكن أن يعارض بسحر آخر. اهـ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «السنة» (٩/ ١٢١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٧٠)، و«الاعتقاد» (ص/ ٣١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٤)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٥٠٩، ٥١٢).
وقال ابن حجر في «الإصابة»: إسناده حسن، ونقله عن تلميذه السخاوي في «المقاصد» (١٣٣٣)، وصححها الألباني في «الصحيحة» (١١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٣، ١٦٣).



❁ قال الشيخ: قوله: (وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) من حمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة.

أقسام الناس في إثبات الكرامات

وقد انقسم الناس في كرامات الأولياء إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم: أنكروها بالكلية، وهم المعتزلة.

٢- وقسم: أثبتوها، وغلوا في إثباتها، حتى جعلوا من صدرت منه فهو ولي لله، وأنها من الدلالة على أنه يصلح أن يُعبد من دون الله، وهم القبوريون.

٣- وقسم توسطوا، فأثبتوا كرامات الأولياء وتثبَّتوا فيمن صدرت منه.

وهذا هو الصواب: إثبات جنسها، وأنَّ من جرت على يده يوزن بالكتاب والسنة، فإن كان من أهل الاستقامة فهي كرامة، وولاية، وعلامة، ولا تدل على أنه يصلح للعبادة. وإن كان بخلاف ذلك فهي من الأمور الشيطانية.

إنكار المعتزلة للكرامات

والذي حدى المعتزلة على إنكار الكرامات أنهم يقولون: إن تعريف النبي: هو من صدر عن يده خارق. قالوا: فإذا قلنا: إن لهم كرامات التبس الولي بالنبي، فلم يتميز هذا من هذا، فأنكروا الكرامات لذلك.

ونقول: هذا من تعريف النبي كرامة، لكن مع شيء آخر، وهو إنزال الوحي عليه. وأهل السنة أثبتوها وصَدَّقوا بأن ما جرى لهم من ذلك فهو كرامة، وقالوا: إن من صدرت عنه فليس له مزية على غيره وفضيلة، فليست الكرامة هي الميزان في علو الدرجة في الولاية، وأن من ظهرت له كرامة أنه أفضل ممن لم يظهر له كرامة، بل من ليس له كرامة أفضل بكثير ممن له كرامة، بل هي من نوع الحظ والبخت يعطيها الله من يشاء.

ثم هي قد تكون لمن جرت له، فتنة وشر تنقصه في دينه، وقد تكون خيرًا، وقد تزيده ولا تنقصه، وتحمله على فعل الطاعات، فهي كالنعمة، من الناس من تزيده، ومنهم من تنقصه. اهـ

الفرق بين الكرامة والمعجزة

❁ **الهراس**: ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.

ويتضمن وقوع هذه الكرامات حِكَمًا ومصالح كثيرة، أهمها:

* أولا: أنها كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد، وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.

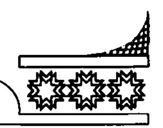
فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم في تلك المدة الطويلة، مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب، حتى عجب من ذلك زكريا ﷺ، وسألها: أنى لك هذا. وكذلك حملها بعيسى بلا أب، وولادتها إياه، وكلامه في المهد، وغير ذلك.

ثانيًا: أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.

ثالثًا: أن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا؛ فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم، وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات.

هذا، ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والمشاهدة أكبر دليلٍ.



وأنكرت الفلاسفة كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء، وأنكرت الكرامات أيضا المعتزلة، وبعض الأشاعرة؛ بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة؛ لأن الكرامة -كما قلنا- لا تقترن بدعوى الرسالة.

لكن يجب التنبه إلى أن ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون، من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوفة من أعمال ومخاريق شيطانية، كدخول النار، وضرب أنفسهم بالسلاح، والإمساك بالثعابين، والإخبار بالغيب.. إلى غير ذلك، ليس من الكرامات في شيء؛ فإن الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق، وهؤلاء أولياء الشيطان. اهـ

قوله: (وَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا).

❁ آل الشيخ: كقصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، لما فارقوا قومهم في ذات الله، وأووا إلى الغار ثلاثمائة وتسع سنوات، لا يأكلون هذه المدة الطويلة.

المقصود: أن جنس هذا من كرامات الأولياء كونهم بقوا هذه المدة بلا طعام ولا شراب. وكما جرى لابن مريم من إبراء الأكمه والأبرص. اهـ

❁ آل الشيخ: قوله: (وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ) كقصة خالد حين حسا السم، وقصة الذين خاضوا البحر ولم يغرقوا.

وفي التابعين أكثر، والسبب: أن الصحابة أقل حاجة إليها؛ لأنها لتأييد الحق وبيان فضله، وهم لا يحتاجون إليها، وليعرف أنها كرامة يكرم الله بها أولياءه، وهي لا تدل على أنه أفضل من الآخر، وأنها من جنس الحظ من المال أو العلم أو الفهم، هي بنفسها كرامة إنما تدل على فضله، لا على أفضليته على غيره، شبه البخت والحظ، بل إن زادت صاحبها

صارت نعمة، وإن كانت أوقفت شيئًا من سيره أو أنقصته، فهي نعمة من جانب، وابتلاء من جانب، كما قال تعالى عن سليمان: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

فحقيقة الخارق: هو أن يوجد منه شيء ليس من عادته ولا استطاعته، كأن يقطع في لحظة ما جنسه يقطع في يوم، أو نحو ذلك، كالطيران في الهواء.

وقوله: (وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) وهم على طبقتين: أبرار وأصحاب يمين، ولا تكون له دائمًا في كل وقت، وإذا عرفت أنهم في هذا الزمان كادوا أن يفقدوا، والأكثر فيهم من التخليط ما فيهم، وليس المراد أنه لا يقع منهم زلة، بل تقع ولكن يرجعون وليسوا معصومين، هذا هو المراد، والله أعلم.

وللمصنف كرامات مع أهل زمانه. اهـ

* **السعدي**: تواترت نصوص الكتاب والسنة والوقائع- قديمًا وحديثًا- في وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لأنبيائهم. وكرامتهم في الحقيقة تفيد ثلاث قضايا:

* أعظمها: الدلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه كما أن لله سننًا وأسبابًا تقتضي مسبَّباتَها الموضوعة لها شرعًا وقدرًا، فإن لله أيضًا سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم، فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه، الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله، والتدبير والتقدير كله لله، وأن لله سننًا لا يعلمها بشر ولا ملك.

فمن ذلك: قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة العظيمة، وقيض أسبابًا متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم، كما ذكر الله في قصتهم.

ومنها: ما أكرم الله به مريم بنت عمران وأنه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وكذلك: حملها وولادتها بعيسى، على ذلك الوصف الذي ذكر الله، وكلامه في المهد؛ هذا فيه كرامة لمريم ومعجزة لعيسى عليه السلام.

وهبته تعالى الولد لإبراهيم من سارة وهي عجوز عقيم على كِبَرِهِ، كما وهب لزكريا يحيى على كبره وعقم زوجته معجزة للنبي، وكرامة لزوجته.

وقد أطال المؤلف النفس وبسط الكلام في هذا الموضوع في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وذكر قصصًا كثيرة متوافرة تدل على هذه القضية.

* القضية الثانية: أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيرًا كثيرًا من جملتها الكرامات.

* القضية الثالثة: أن الكرامات لأولياء الله هي من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤]. وهي كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات.

ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في كل وقت وزمان، وقد رأى الناس منها عجائب لأمور كثيرة ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسفة، وليس غريبًا عليهم؛ فإنه فرع عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره.

وقد أنكرها أيضًا طائفة من أهل الكلام المذموم؛ ظنًّا منهم أن في إثباتها إبطالًا لمعجزات الأنبياء. وهذا وهم باطل، أبطله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «النبوات» وغيره من كتبه.

فأهل السنة والجماعة يعترفون بكرامات الله لأوليائه، إجمالًا وتفصيلًا، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل كلما ورد عن المعصوم ﷺ، وكلما تحقق وقوعه، ولكن قد أدخل كثير من الناس بالكرامات أمورًا كثيرة اخترعوها وافتروها، وأهل السنة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والكذب المفترى، وأعرفهم بالطرق التي يتبين بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين. اهـ.

* **ابن مانع**: كرامات أولياء الله المتقين من عباد الله الصالحين من الأولين والآخرين ثابتة بالكتاب والسنة، وقد أخبر الله بها في كتابه وعرف عباده بما أكرم به أصحاب الكهف، ومريم بنت عمران، وآصف بن برخيا، وكذلك ثبت في كتب السنة ما أكرم به عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهم مما صح، وهو مفصل في «لوائح الأنوار»(١) وغيرها، ومن أراد تفصيل ما أشرنا إليه فليراجع «اللوائح» و«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«شرح الخمسين حديثًا» لابن رجب، وغيرها؛ حيث إن هذه الحاشية لا تتسع لبسط ذلك.

وقد عد أهل السنة من أنكر كرامات الأولياء، وخوارق العادات من أهل البدع المخالفة الدليل.

«**تنبيه**»: لا تظن أيها القارئ أن أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسالمون الحيات ويمسكونها، ويدخلون النار تخييلًا، ويضربون أنفسهم بالسلاح كذبًا وتدجيلًا من أولياء الله، بل هم من أولياء الشيطان، نعوذ بالله من أفعالهم، ونبرأ إلى الله منهم ومن أحوالهم. اهـ.

الفرق بين المعجزة والكرامة والخوارق الشيطانية

* **ابن باز**: الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية الخارقة للعادة على يد السحرة والمشعوذين:

* أَنَّ المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله؛ لتصديق ما بعثهم به، ويؤيدهم بها سبحانه، كانشقاق القمر ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة لرسولٍ على الإطلاق، وكحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة.

---

(١) «لوائح الأنوار المضية في شرح الدرة المضية» للشيخ محمد السفاريني.

* وأما الكرامة: فهي ما يجري الله على أيدي أوليائه المؤمنين، من خوارق العادات، كالعلم، والقدرة، وغير ذلك، كالظلة التي وقعت على أسيد بن الحضير حين قراءته القرآن، وكإضاءة النور لعباد بن بشر وأسيد بن حضير حين انصرفا من عند النبي ﷺ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف سوطه.

* وشرط كونها كرامة، أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة مستقيمًا على الإيمان ومتابعة الشريعة، فإن كان خلاف ذلك فالجاري على يده من الخوارق من الأحوال الشيطانية.

* ثم ليعلم أن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم؛ لأن الكرامة إنما تقع لأسباب، منها: تقوية إيمان العبد وتثبيته؛ ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئًا من الكرامات؛ لقوة إيمانهم، وكمال يقينهم.

ومنها إقامة الحجة على العدو، كما حصل لخالد لما أكل السم، وكان قد حاصر حصنًا فامتنعوا عليه حتى يأكله، فأكله وفتح الحصن.

ومثل ذلك ما جرى لأبي مسلم الخراساني، لما ألقاه الأسود العنسي في النار، فأنجاه الله من ذلك؛ لحاجته إلى تلك الكرامة، وكقصة أم أيمن لما خرجت مهاجرة واشتد بها العطش سمعت حسًّا من فوقها، فرفعت رأسها فإذا هي بدلو من ماء فشربت منها ثم رفعت.

* وقد تكون الكرامة ابتلاء، فيسعد بها قوم، ويشقى بها آخرون، وقد يسعد بها صاحبها إن شكر، وقد يهلك إن أعجب ولم يستقم. اهـ.

ثبوت الكرامات

* قال المصنف رحمه الله[1]: وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرًا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابًا أو ملبوسًا عليه، وأيضًا فإنها لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره من الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض: أنبتي، فتنبت، وأنه يقتل واحدًا ثم يحيه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة؛ ولهذا أتفق أئمة الدين: على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية، بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي، الذي بعث الله به رسوله ﷺ. اهـ

أنواع الخوارق

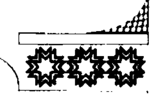
* وقال رحمه الله[2]: الخوارق: منها ما هو من جنس العلم، كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك، كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى عن جنس ما يعطاه الناس في الظاهر، من العلم، والسلطان، والمال، والغنى.

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور، إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه، ويقربه إليه، ويرفع درجته، ويأمره الله به ورسوله -ازداد بذلك رفعة، وقربًا إلى الله ورسوله، وعلت درجته، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله- كالشرك،

---

(١) «مختصر الفتاوي المصرية» لابن تيمية (ص/ ٧٦٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٨).



والظلم، والفواحش- استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين؛ ولهذا كثيرًا ما يعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، ويسلب العالم علمه.

وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية؛ فإن كثيرًا من هؤلاء يرتد عن الإسلام.

وكثير منهم لا يعرف أن هذه شيطانية، بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله ﷻ إذا أعطى عبدًا خرْق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبدًا ملكًا ومالًا وتصرفًا لم يحاسبه عليه، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمورٍ بها ولا منهيٍّ عنها، فهذا يكون من عموم الأولياء وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك.

ولما كانت الخوارق كثيرًا ما تنقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب، كالزنا والسرقة وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها، ولا يجعلها همته ولا يتبجح بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها، فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر، وتقول: هنيئًا لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي، فيذهب ذلك.

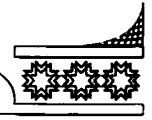
وأعرف من يقصد صيد الطير، فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه، وهو لم يفتح، وبالعكس،

وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار، أو تحضر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

وأعرف من يخاطبه مخاطب، ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا أو شمالًا، ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي، أو نومه، أو ذهابه حصل له ما أراد، من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة، وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان.

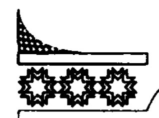
وهذا باب واسع، لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبيه: زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به، ويؤمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله ﷻ مكرمًا له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينًا له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه، ولا هو كريم عنده؛ ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه؛ لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.

* وأيضًا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة، والقراءة، والذكر، وقيام الليل، والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك، مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات،



كالحيات، والزنابير، والخنافس، والدم، وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلًا طويلًا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا، أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه، ويتكلفه ليس له فيه محبة، ولا ذوق، ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد- فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]. فالقرآن هو ذكر الرحمن قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] يعني: تركت العمل بها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ كتابه، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية. اهـ





فصلٌ

من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع هدي النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل

قال المصنف: (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اِتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنْ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

وَيَعْلَمُونَ أَنْ أَصْدَقَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اِسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ، وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ).



* آل الشيخ: قوله: «ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اِتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا» اعتقادًا في الاعتقادات، وأقوالًا في الأقوال، وأفعالاً في الأفعال، فما أثر

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي (٩٥)، وصححه ابن حبان (٥)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح.

عنه وما جاء عنه أقسام: قسم من قوله، وقسم من فعله، وقسم من إقراره، فنتبع ما قال، ونقرر ما قرر، ونفعل ما فعل، فهذا أصل عظيم وباب كبير من أبواب الدين.
وكذلك من أصول أهل السنة مع ذلك اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومعرفة ما هم عليه بهديهم، كما قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**»[1] الحديث، وقوله: «اتباع وصية رسول الله ﷺ»، هذا من عطف الخاص على العام.

فمن أصولهم أيضًا اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها**» يعني: شدوا بها، و«**عضوا عليها بالنواجذ**» يعني: أمسكوا عليها بالنواجذ الأربع، فإن الشرع النفيس لا يكتفي بإمساكه باليد فقط.

التحذير من البدع

«**وإياكم ومحدثات الأمور**»، حرَّض على التمسك بما تقدم، وحذر مما أحدث بعده مما يتعبد به، فإن الذي لم يكن على زمنه وأصحابه والسلف الصالح والصدر الأول، فما جاء به فهو البدعة المحضة، لو كان خيرًا لسبقونا إليه، «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»، فإذا لم يكن في القرآن، ولم يكن في المأثور عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين والصدر الأول فهو بدعة، فإن كل بدعة ضلالة والبدعة في قول عمر: «نعمت البدعة» مراده من حيث اللغة وإلا فأصلها معروف زمن النبي ﷺ.

أما تقسيم بعضهم البدعة إلى خمسة أقسام، فهذا غير مسلَّم، بل البدعة التي لا يسوغها الشرع فهي بدعة ضلالة، وما كان لها ما يخولها من الدين، ويدل عليها فليست بدعة ضلالة، بل بدعة لغوية. اهـ

---

(١) تقدم قريبًا.



❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: اتباع آثار النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وآثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ امتثالًا لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...**» الحديث. والخلفاء الراشدون هم الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته في العلم والإيمان والدعوة إلى الحق، وأولى الناس بهذا الوصف الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ. اهـ

❁ **ابن باز**: مراد المصنف بذلك اتباع ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو عمل، أو تقرير، وذلك هو اتباع السنة والتمسك بها.

وأوجه السنة ثلاثة: قول وعمل وتقرير، وأما آثاره الحسية كموضع جلوسه وما هو عليه، وما وطئه بقدمه الشريفة أو استند إليه أو اضطجع عليه ونحو ذلك، فلا يشرع اتباعه في ذلك، بل تتبع هذه الآثار من وسائل الغلو فيه، وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على ابن عمر ذلك، وقطع عمر الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها لما علم أن الناس يقصدونها خوفًا من الفتنة، ولما بلغه أن ناسًا يقصدون مسجدًا صلى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر ذلك، وقال ما معناه: إنما أهلك من كان قبلكم مثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يقصدها.

وأما ما صلى فيه صلوات التشريع فالصلاة فيه مشروعة كمسجده ﷺ والكعبة ومسجد قباء، والموضع الذي صلى فيه في بيت عتبان لما طلب منه ذلك ليتخذه مصلى، فأجابه النبي ﷺ على ذلك، وهكذا التبرك بشعره ﷺ وريقه وعرقه وما ماسَّ جسده كله لا بأس به؛ لأن السنة قد صحت بذلك، وقد قسم ﷺ في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه، ولما قد جعل الله فيه من البركة، وليس هذا من الغلو الممنوع، وإنما الغلو الممنوع هو أن يعتقد فيه ﷺ ما لا يجوز أو يصرف له شيئًا من العبادة.

التبرك بغير النبي ﷺ

وأما التبرك بغيره ﷺ فالصحيح منعه لأمرين:

أحدهما: أن غيره لا يقاس به؛ لما جعل الله فيه من الخير والبركة، بخلاف غيره فلا يتحقق فيه ذلك.

الأمر الثاني: أن ذلك ربما يوقع في الغلو وأنواع الشرك، فوجب سد الذرائع بالمنع من ذلك، وإنما جاز في حق النبي ﷺ لمجيء النص به.

وهناك أمر ثالث أيضًا وهو: أن الصحابة لم يفعلوا مثل ذلك مع غير النبي ﷺ، لا مع الصديق ولا مع عمر ولا مع غيرهما، ولو كان ذلك سائغًا أو قربة لسبقونا إليه، ولم يجمعوا على تركه، فلما تركوه علم أن الحق ترك ذلك وعدم إلحاق غير النبي ﷺ به في ذلك. اهـ.



مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة وأصول الاستدلال

قوله: (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلامِ كَلامُ الله، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ الله عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ، وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ).

❁ **ابن مانع**: وأما الأصل الأول فهو القرآن، وأما الثاني فهو سنة النبي ﷺ. اهـ

❁ **الهراس**: هذا بيان المنهج لأهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

* أولها: كتاب الله ﷻ، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

* وثانيها: سنة رسول الله ﷺ، وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هدي أحد من الناس.

* وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقالات.

وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردوه، أيًّا كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضل سالكه، ولا يشقى من اتبعه، وسط بين من يتلاعب بالنصوص، فيتأول الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غث وسمين، وصحيح وسقيم. اهـ

* **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة: اتباع آثار الرسول ﷺ وما كان عليه خلفاؤه الراشدون، وأهل السنة، هذه طريقتهم، السير على منهج الرسول ﷺ وعلى آثاره وآثار خلفائه الراشدين، هذه سنة أهل السنة والجماعة؛ ولهذا يقال لهم: أهل الكتاب والسنة، ويقال: أهل الجماعة، والجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وسموا أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على الكتاب والسنة، وصدقوا بهما، ووزنوا الأمور بهما، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على تعظيم الكتاب والسنة، والأخذ بهما.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس، من أقوال وأفعال، الأصل الأول الكتاب، والأصل الثاني السنة الصحيحة، والأصل الثالث: الإجماع المنضبط، إجماع السلف، وإجماع الصحابة، فكل قول وعمل يفعله الناس، يوزن بهذه الأصول، فما وافقها قبل، وما خالفها رد على صاحبه كائنًا من كان. اهـ

* **السعدي**: لما ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأصول المعينة، ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم، أصوله وفروعه، وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النافعة -الكتابَ والسنةَ- واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلمًا واتباعًا للكتاب والسنة، وهم الصحابة ﷺ عمومًا والخلفاء الراشدون خصوصًا، فسلكوا إلى الله مستصحبين لهذه الأصول الجليلة، وما جاءهم مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوه بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة، فاستقامت طريقتهم وسلموا من بدع الأقوال، المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات، كما سلموا من بدع الأعمال؛ إذ لم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله. اهـ

❁ **العثيمين**: الأمور التي يزنون بها أهل السنة والجماعة ما كان عليه الناس من العقائد والأعمال والأخلاق هي الكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب هو القرآن، والسنة قول النبي ﷺ وفعله وإقراره، والإجماع هو اتفاق العلماء المجتهدين من هذه الأمة بعد النبي ﷺ على حكم شرعي، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

ولم يذكر المؤلف القياس؛ لأن مرده إلى هذه الأصول الثلاثة. اهـ.



فصل



في طريقة أهل السنة والجماعة في العمل والسلوك

قال المصنف: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا.

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[١].

وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ»[٢].

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ.

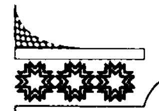
وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[٣] وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير

(٣) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٤)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو يعلى (٥٩٢٦)، وابن حبان (٤٧٩) من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وله شواهد كثيرة. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.



بِالمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذه الكلمات التي ذكرها المؤلف عن أهل السنة والجماعة، كلمات عظيمة، تكتب بماء الذهب، وينبغي على كل مؤمن أن يعتقدها، وأن يستقيم عليها، وأن يسير عليها؛ لأنها هي قول أهل السنة والجماعة؛ ولأن القرآن العظيم والسنة المطهرة قد دلا على ذلك، فأهل السنة والجماعة موصوفون بكل خير، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة مقتدين بالشرع، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

هكذا يرون إقامة صلاة الجمعة والأعياد والجمع والجهاد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا؛ لما في هذا من استقامة الجهاد، وأمن البلاد، واتحاد الكلمة، ووزره ومعاصيه عليه، ولو كان عنده بعض المعاصي، فيصلون معه الجمع والجماعات ويجاهدون معه كما جرى في عهد بني أمية وبني العباس وغيرهم.

ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويدعون إلى أن تصل من قطعك وتعفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك، ويعتقدون ما قاله النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**». وقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**». وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» كل هذا يعتقده أهل السنة والجماعة، وهم في كل ما يقولون

ويفعلون متقيدون بالكتاب والسنة، ليس لهم هدف آخر، بل أقوالهم وأعمالهم مقيدة بالكتاب والسنة؛ ولهذا سموا أهل السنة، وسُموا أهل الجماعة، وسموا أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم اجتمعوا على ذلك وتعاقدوا على ذلك، وتعاونوا على ذلك، فهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الكتاب والسنة، كما بيّن ذلك أهل العلم. اهـ

❁ **الهراس**: جمع المؤلف في هذا الفصل جماع مكارم الأخلاق التي يتخلق بها أهل السنة والجماعة، من الأمر بالمعروف -وهو ما عرف حسنه بالشرع والعقل- والنهي عن المنكر -وهو كل قبيح عقلًا وشرعًا- على حسب ما توجبه الشريعة من تلك الفريضة، كما يفهم من قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ومن شهود الجمع، والجماعات، والحج، والجهاد مع الأمراء أيًا كانوا؛ لقوله ﷺ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»(٢).

ومن النصح لكل مسلم؛ لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(٣). ومن فهم صحيح لما توجبه الأخوة الإيمانية من تعاطف، وتواد، وتناصر، كما في هذه الأحاديث التي يشبه فيها الرسول المؤمنين بالبنيان المرصوص المتماسك اللبنات، أو بالجسد المترابط الأعضاء من دعوة إلى الخير، وإلى مكارم الأخلاق، فهم يدعون إلى الصبر على المصائب، والشكر على النعماء، والرضا بقضاء الله وقدره.. إلى غير ذلك مما ذكره. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٩٤، ٢٥٣٣)، والدارقطني (١٧٦٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٠٨٠) من حديث مكحول عن أبي هريرة به، واللفظ للدارقطني والبيهقي. وهذا الإسناد ضعيف منقطع؛ لأن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة، وبذلك أعله الحفاظ.

انظر: «إرواء الغليل» (٥٢٧)، و«خلاصة الأحكام» للنووي (٢/ ٩٩٢، ٩٩٣)، و«نصب الراية» (٢/ ٢٦)، و«البدر المنير» (٤/ ٤٥٥-٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري.

قوله: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ).

* آل الشيخ: يعني: أهل السنة والجماعة «مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ» العظيمة والهامة، وعملهم بهذه الأصول والعقائد القيمة المتقدم ذكرها «يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ» فإنه أصل عظيم وعبادة عظمى من أجل الطاعات، كما أنها مفتقرة أن تفعل ابتغاء وجه الله الكريم.

والمعروف: هو ما عرف بالشرع أنه ينبغي، سواء من الواجب أو المندوب. «وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» والمنكر: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل قبحه، فكل ما أنكره الشرع والعقل فهو منكر، وكل ما استحسنه الشرع والعقل، فهو معروف، والمعروف: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل حسنه.

* والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب عظيم كبير من أبواب الجهاد، فهو من الدين بمكان؛ ولهذا في النصوص شرعية الأمر به. وقيل: إنه ركن سادس من أركان الدين لأثر ورد. والمعروف كلمة شاملة وهو: كل ما جاء به الشرع، وأعظمه التوحيد. والمنكر: اسم لكل ما نهى عنه الشرع، وأعظمه الكفر، فما أنكرته العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والشرائع المنزلة، فهو منكر، والمعروف بعكسه.

فأعلى المعروف التوحيد، وأدناه المستحبات، فإن بكُلِّها مما يأمر به أهل السنة والجماعة، فبعضها -مما يأمرون به- حتم ووجوب ويقاتلون عليه، ومنها ما يأمرون به أمر حتم ووجوب، ولكن ليس مثل الأول، ومنها ما يأمرون به أمر ندب لا وجوب.

فالأمر بالمعروف عند أهل السنة درجات -طبقات- منها مما هو من أركان الدين كالأمر بالتوحيد، ومنها ما هو من واجبات الدين، ومنها ما هو من المندوبات، فهو درجات، منه ما هو مندوب كالأمر بالمندوبات، وفوقه الأمر بالواجبات، وفوق ذلك الذي يفتقر الدين إلى صحته.

فأهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف الذي أعلاه وأعظمه التوحيد، ويفرضون الفرضيات ويأمرون بالمستحبات، وينهون عن الشرك أصغره وأكبره وينكرونه، وينهون عن الكبائر، وينهون عن المكروهات والمحرمات والصغائر.

والمنكرات يكفي معرفتها جملة، بخلاف الواجبات فإنها جملة وتفصيلًا. اهـ

طريقة أهل السنة والجماعة في الأمر والنهي

* **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة، والمعروف ما عرف حسنه شرعًا، والمنكر ما عرف قبحه شرعًا؛ فما به أَمَر الشارع فهو معروف، وما نهى عنه فهو منكر.

شروط الأمر بالمعروف

وللأمر بالمعروف شروط:

١- أن يكون المتولي لذلك عالمًا بالمعروف وبالمنكر.

٢- أن لا يخاف ضررًا على نفسه.

٣- أن لا يترتب على ذلك مفسدة أكبر. اهـ

* **السعدي**: قوله: «**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة**» أي: باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبع القدرة والمصلحة، ويسلكون أقرب طريق يحصل به المقصود، بالرفق والسهولة متقربين بنصيحة الخلق إلى الله، قاصدين نفع الخلق وإيصالهم إلى كل خير، وكفِّهم عن كل شر، ساعين في ذلك بحسب وسعهم. اهـ

ضابط الأمر والنهي

❁ **آل الشيخ**: قوله: «على ما توجبه الشريعة»، فإن قومًا يرونه لكن لا على ما توجبه الشريعة، كالذي عليه الخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج على الأئمة، وقتال الأئمة على شيء من المعاصي التي لا تنافي الدين.

فقوله: «على ما توجبه الشريعة» قيد، يعني لا مطلقًا، فإن قومًا تصدوا له وزعموه، ولكن خرجوا عن حد الشريعة، فإن منهم من رأى الخروج على المسلمين على غير ما توجبه الشريعة، فالخوارج أمروا بالمعروف حتى جوزوا الخروج على الأئمة، وأما أهل السنة والجماعة فهم على ما توجبه الشريعة.

شروط الأمر والنهي

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد له من أمرين: الإخلاص والمتابعة، فمن لم يخلص أمره ونهيه فهو مشرك.

ومن أخلص ولكن ما تابع فهو مبتدع، كالمعتزلة والخوارج، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أصولهم، لكنهم لم يتابعوا في ذلك ما جاء به الرسول ويُفْرِطُون في ذلك، حتى جوزوا الخروج على الأئمة العصاة، وسمَّوا قتالهم ولاة المسلمين أمرًا بالمعروف، والمصنف احترز بهذا القيد فقال: «على ما توجبه الشريعة»، فإن كثيرًا ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر خارج عن هذا القيد، فلا يُزاد في ذلك، فيَدْخل في سلك هؤلاء، ولا يُنقص فيدخل في سلك الإباحية أو أهل الشهوات. اهـ

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* قال شيخ الإسلام[(١)]: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين... وقوله سبحانه في صفة نبينا ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو لبيان كمال رسالته فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث؛ ولهذا روى عنه ﷺ انه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»[(٢)]...

وكذلك وصف الله هذه الأمة بما وصف به نبيها، حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]...

فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم وأعظمهم أحسانًا إليهم لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف، ونهوا عن كل منكر، لكلِّ أحد وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق... والله ﷻ -كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر- فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]...

---

(١) في «الاستقامة» (٢/ ١٩٨وما بعدها) باختصار.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٦٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٥٧١)، والبزار (٨٩٤٩) بسند حسن من حديث أبي هريرة.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن... فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه، أثِمَ كل قادر بحسب قدرته إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[١]، وإذ كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أُمِرنا به.

المنهج الشرعي في الأمر والنهي

والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أوالمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع.

فحيث كانت مفسدةُ الأمر والنهي أعظمَ من مصلحته لم يكن مما أمر الله به؛ وإن كان قد تُرِكَ واجبٌ وفُعِلَ محرم؛ إذِ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضال.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد.

وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد.

* فأما القلب؛ فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: **«وذلك أدنى أو أضعف الإيمان»**، وقال: **«ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»**(١)، وقيل لابن مسعود رضي الله عنه: من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا(٢). وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مُجَخِّيًا، في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الصحيحين: **«تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير»**(٣)، الحديث.

المنحرفون في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهنا يغلط فريقان من الناس:

١- **فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي**؛ تأويلًا لهذه الآية، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود.

(٢) هذا الأثر معروف عن حذيفة بن اليمان، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٧٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٨٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٥٣)، والحميدي (٣)، وابن أبي (١٥/ ١٧٤-١٧٥)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والبزار (٦٥)، وأبو يعلى (١٣٢)، وصححه ابن حبان (٣٠٤) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

٢- **والفريق الثاني**: من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقهٍ، ولا حكم، ولا صبر، ولا نظر فيما يصلح من ذلك، وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني سألتُ عنها -أي: الآية- رسولَ الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، ورأيت أمرًا لا يدان لكَ به، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوامِّ، فإن من ورائكَ أيامَ الصبرِ الصبرُ فيهن مثلُ قبضٍ على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**»[(١)]، فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتَدٍ في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسَه للأمر والنهي، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم، ممن غلِط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك، فكان فساده أعظم من صلاحه.

ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال: «**أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠١٤)، زاد الترمذي وأبو داود: قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم». وإسناده صحيح، ويفسر هذا حديثُ عبد الله بن عمرو قال: شبّك رسول الله ﷺ أصابعه، وقال: كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا؟ قال: فكيف يا رسول؟ قال: «تأخذ ما تعرف، وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك، وتدعهم عوامّهم» رواه البخاري كما في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (١٤٣٥)، وجامع الأصول (٧٤٥٦)، والحاكم (٢/ ١٧١)، وقال: صحيح ولم يخرجا سياقه، وأبو يعلى (٥٥٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٢٩٩، ٢٧٧٦)، والذي في البخاري (٤٧٨-٤٨٠) ذكر التشبيك فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٢) عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم».

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء كالمعتزلة، فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم.

وجماع ذلك: داخل في القاعدة العامة، فيما اذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهى -وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة- فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به؛ بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته.

لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا لم يجز أن يؤمروا بمعروف، ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر، فإن كان المعروف أكثرَ أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر.

ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب، نهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر، وسعيًا في معصية الله ورسوله ﷺ.

* وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما.

فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المنكر والمعروف متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة(١).

وأما من جهة النوع، فيؤمر بالمعروف مطلقًا، وينهى عن المنكر مطلقًا(٢).

وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها، ويذم مذمومها، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه.

* وإذا اشتبه الأمر، استثبت المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يُقْدِم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصيًا، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أُبَيٍّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من الأعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك، بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدًا يقتل أصحابه؛ ولهذا لما خاطب(٣) الناس -في قصة الإفك- بما خاطبهم به واعتذر منه وقال له سعد بن معاذ قوله -الذي أحسن فيه- حَمِيَ له سعد بن عبادة، مع حسن إيمانه وصدقه وتعصَّبَ لكلٍ منهم قبيلُه، حتى كادت تكون فتنة(٤).

---

(١) يعني: في قضايا الأعيان إذا كانت واقعة من أشخاص معينين أو جهات معينة فيراعى في ذلك المصالح والمفاسد.

(٢) يعني: الكلام في نوع المنكر والتحذير منه دون تعيين الفاعلين ومواجهتهم، كالتحذير من الربا أو الزنا، ونحو ذلك، وكذلك الأمر بالمعروف. فهذا يفعل مطلقًا؛ لأن ذلك مصلحة راجحة لا مفسدة معها، إلا نادرًا، والنادر لا حكم له.

(٣) في نسخة: (خطب).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) عن عائشة.

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته لهذا وكراهته لهذا موافقًا لحب الله وبغضه وإرادته وكراهته الشرعيتين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فأما حب القلب، وبغضه، وإرادته، وكراهته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل.

فإن من الناس من يكون حبه، وبغضه، وإرادته، وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله ﷺ، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، فإن أصل الهوى هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها.

والهوى نفسه -وهو الحب والبغض الذي في النفس- لا يلام العبد عليه، فإنَّ ذلك لا يملكه، وإنما يلام على اتِّباعه، كما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال النبي ﷺ: «**ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

---

(١) أخرجه البزار (٨٠ - كشف) من حديث أنس، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٨٦٥) من حديث أبي هريرة، وله طرق وشواهد خرَّجها الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٢)، وقال في «صحيح الجامع» (٥٣٥٠): حسن، وقال في «المشكاة» (٥١٢٢): حسن بشواهده. اهـ

والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض، ووجد وإرادة، وغير ذلك، فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إِلَهَهُ هواه...

ولما كان العمل لابد فيه من شيئين: النية، والحركة، كما قال النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء حارث وهمام**»[1] فكل أحد حارث وهمام، له عمل ونية، لكن النية المحمودة التي يتقبلها الله ويثيب عليها هي أن يراد الله وحده بذلك العمل، والعمل المحمود هو الصالح، وهو المأمور به..

وإذا كان هذا حد كل عمل صالح فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يجب أن يكون كذلك، هذا في حق الآمر الناهي بنفسه، ولا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعلمٍ وفقهٍ، كما قال عمر بن عبد العزيز: من عبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وكما في حديث معاذ بن جبل ﷺ: «**العلم إمام العمل والعمل تابعه**»[2].

وهذا ظاهر فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلًا، وضلالًا، واتباعًا للهوى، كما تقدم.

وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الاسلام، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٠٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي (٦/٢١٨)، وفي «الكبرى» (٤٤٠٦)، وأبو يعلى (٧١٦٩-١٧٧١)، والطبراني في «الكبرى» (ج٢٢/ ح٩٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٠٩٠) وهو صحيح.

(٢) أخرجه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «جامع فضل العلم» (٢٠٣)، والآجري في «أخلاق العلماء» (٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٣٩)، وروي مرفوعًا لكنه لا يصح، انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني (٥٢٩٣)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٤٧).

ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الى حصول المقصود، ولابد في ذلك من الرفق كما قال النبي ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه**»[(١)]، وقال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[(٢)]، وقال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»[(٣)].

ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فلابد أن يحصل له أذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ولهذا أمر الله الرسل -وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بالصبر، فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحَبًا في هذه الأحوال، وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف -ورووه مرفوعًا، ذكره القاضي أبو يعلى في «المعتمد»: «**لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهي عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه**»[(٤)]... اهـ ملخصًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤، ٦٢٥٧، ٦٣٩٥، ٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥، ٢٥٩٣) عن عائشة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة.

(٤) أخرجه أبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٣٢) عن المروذي، عن أبي عبد الله بن الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان الثوري بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع هؤلاء المحتسبة، فندخل على هؤلاء الخبيثين، ونتسلق الحيطان؟ قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم؛ لكيلا يفروا. فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وعاب فعالنا، فقال رجل: من أدخل هذا؟ قلت: إنما أدخل إلى الطبيب؛ لأخبره بدائي. فانتفض سفيان وقال: إنما أهلكنا أنَّا نحن سقمى ونسمى أطباء. ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. اهـ

لزوم الجماعة مع الأئمة وإن كانوا فجارًا

قوله: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا).

* قال الشيخ: أي: كذلك أهل السنة يرون «إقامة الحج» فإنهم في ذلك كالأئمة للناس. يعني: مع ولاتهم المسلمين، بأن يكونوا هم المتولين منهم أعمال الحج، واتباع المسير فيها، والذهاب إليها، وتدبير أمرها، أو من يقوم مقامهم، كنوابهم الذين يتولون إقامة الحج بالمسلمين في سيرهم ونزولهم، وظعنهم وإقامتهم ونحو ذلك. والجهاد كما في الحديث: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا»[1]، و«الجهاد» جهاد الكفار أعداء الله. يعني: مع ولاة الأمور، فإنهم الذين يتولون إقامة الجهاد في سبيل الله، كما أنهم يتولون فَيئَه، وخُمُسَه، ونحو ذلك، فكذلك يتولون إقامته، وتدبيره، وأمره، وشؤونه، فلا ينازعون فيه، فإنه لا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

وقوله: (وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا) أي: إقامة الجُمَع مع الأئمة والصلاة خلفهم واجبة ولو كانوا عصاة فجارًا، فإنه تصح الصلاة خلفهم، والمراد إذا كان مسجد واحد يصلي به إمام فاجر، فإن الصلاة خلفه أهون من ترك الصلاة مع الجماعة، وهذا بخلاف الصلوات الخمس فإنها لا تجب في مسجد واحد، وأما الجمعة فتجب في مسجد واحد على قول من لا يرى التعدد إلا لمسوغ شرعي.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣)، وسنن الدارقطني (٢/ ٥٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٠٨٣) بسند ضعيف من حديث أبي هريرة ﷺ: قال: رسول الله ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر».

ويقيمون الأعياد مع الأئمة، فيُصلَّى مع الأئمة الأمراء. يعني: كون الأئمة هم الذين يتولون إقامة ذلك.

قوله: (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ) أي: ويحافظون على الجمع والجماعات، هذا مما عليه أهل السنة، الصلوات الخمس مع الجماعة، وكذلك الجمع، وقد همَّ النبي ﷺ بإحراق من لم يشهد الجماعة، والجمعة أهم وآكد. يحافظون على الجماعات. يعني: وراء كل مسلم، بخلاف الروافض، فإنهم لا يرون إقامتها إلا وراء معصوم، وينتظرون محمد العسكري وقيل: إنهم مُعِدُّون له بغلة وفرسًا- متى خرج صلوا وراءه، وهذا أصل فاسد ومردود عليهم، فإنهم أنفسهم غير معصومين، بل تقع منهم المعاصي، بل والكفر، فكيف يرون أن لا يصلوا إلا وراء معصوم؟! اهـ

* **السعدي**: وذلك لأن غرضهم الوحيد: تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد أو تقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه قولًا وفعلًا، فيشاركون الولاة الظلمة في الخير، ويفارقونهم في الشر، ويحرصون على الاتفاق، وينهون عن الافتراق. اهـ

* **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النصح لولاة الأمور وإقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد معهم أبرارًا كانوا أو فجارًا، والتزام السمع والطاعة لهم ما لم يأمروا بمعصية الله. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**[1]: من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، «**فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم**» كما أخبر بذلك النبي ﷺ[2]؛

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٤٥٤) عن أبي بكرة بسند فيه ضعف، لكنه يصح بشواهد، فقد أخرجه البزار (١٧٢٠-١٧٢٢ كشف)، والترمذي في «العلل» (٢/ ٩٥٥-٩٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٨٦)، والطبراني في «الصغير» (١٣٢)، و«الأوسط» (١٩٦٩)، وصححه ابن حبان (٤٥١٧)، من طرق عن أنس بن مالك.

=

لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور، فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ **«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»**[1] فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في «سننه» من قوله ﷺ: **«الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل»**[2] وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة»**[3]، إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد، مع الأمراء، أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين

=

وأخرجه مسدد كما في «المطالب العالية» (٢٢٩٣)، وابن حبان (٤٥١٨) من حديث ابن مسعود، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٧/ ح٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٩٦) عن عمرو بن النعمان بن مقرن، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٣/ ح٥٦) عن عبد الله بن عمرو بسند ضعيف، فهو صحيح بهذه الشواهد. انظر: تخريج المسند للأرنؤوط (٣٤/ ١٠٥)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٤٩) للشيخ الألباني.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٢) في الجهاد: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛ لقول النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» ثم ذكر الحديث مسندًا. وأخرجه أيضًا (٣١١٩)، ومسلم (١٨٧٣) من حديث عروة البارقي.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٢٣٦٧ - ط: الأعظمي) وعنه أبو داود (٢٥٣٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨٢٦١)، وكذا أبو يعلى (٤٣١١، ٤٣١٢)، وفي سنده ضعف. انظر: «ضعيف سنن أبي داود (الأم)» (٢/ ٣١١).

(٣) حديث متواتر، أخرجه الشيخان عن جماعة من الصحابة منها حديث معاوية أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧).

عن السنة والجماعة، هذا مع إخباره ﷺ بأنه «سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم فليس مني، ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض»[1]. فإذا أحاط المرء علمًا بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم، علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار هذه الأمة -قديمًا وحديثًا- وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا، وإن لم يكونوا أبرارًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ



(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٧٠٢)، والبزار (١٦٠٨ زوائده)، والطحاوي في «المشكل» (١٣٤٦) من حديث ابن عمر، وله شاهد عن جابر أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧١٩) وعنه (١٤٤٤١)، وعبد بن حميد (١١٣٨) وصححه ابن حبان (٤٥١٤)، والحاكم (٤/ ٤٢٢)، وله شواهد أخرى. انظر في «تخريج المسند» للأرناؤوط (٩/ ٥١٤، ٢٢/ ٣٣٢، ٣٠/ ٢٩٩، ٣٤/ ٥٥٢-٥٥٣، ٣٨/ ٢٩٦).

* **قال شيخ الإسلام**(١): ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور، صُليَ خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره. بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد.

وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر، كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرى، فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم، وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله، ولم يقل أحمد: إنه لا تصح إلا خلف من أعرف حاله.

ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق(٢) إلى ديار مصر، وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع، وكانوا باطنية ملاحدة، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية - أمر أصحابه أن لا يصلوا إلا خلف من يعرفونه؛ لأجل ذلك، ثم بعد موته فتحها ملوك السنة، مثل صلاح الدين(٣) وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر.

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٠).

(٢) هو الشيخ عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي أبو عمرو الحنبلي (ت بمصر سنة ٥٦٤هـ). انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٦)، و«الأعلام» للزركلي (٤/ ٢١٤).

(٣) الأمير يوسف بن أيوب الأيوبي (ت ٥٨٩هـ).

فالصلاة خلف المستور[١] جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال: إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله، فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله ابن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعًا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد[٢] وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال. اهـ

من منهاج أهل السنة والجماعة النصيحة

قوله: (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[٣]).

* **العثيمين**: من طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النصح لجميع الأمة وبث المحبة والأُلفة والتعاون بين المسلمين، مطبّقين في ذلك قول النبي ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»، وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**[٤]. اهـ

(١) أي: الذي لا يعرف عنه بدعة ضلالة ولا فجور.

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي الملحد المتنبئ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

❁ آل الشيخ: أهل السنة والجماعة يدينون بالنصيحة لجميع الأمة المحمدية. والمراد بالنصيحة: خلوص السريرة للمؤمنين من قولهم: ذهب ناصح. وخلوصها سلامتها وخلوها من غل أو حقد أو دغل، فهي صافية طاهرة نقية، ساعية في الخير للمسلمين، ساعية في دفع الضر عنهم، فهي تعتمد شيئين: السلامة من الغش، وبذل المجهود.

فمن كان مدخول القصد للمسلمين فهذا عادم النصيحة، ومن كان سالم القصد وقصَّر فهذا غير ناصح، فهي بذل المجهود مع خلوص السريرة للمسلمين، بحيث يحب لهم الخير والدخول فيه، ويكره لهم الشر، ويؤثِّر ذلك فيه.

فأهل السنة يدينون بالنصيحة للأمة المحمدية كلِّهم، خاصتهم وعامتهم، في دينهم، وإرشادهم، وهدايتهم، وإنقاذهم من المهلكات، وكذلك السعي لهم في ذلك، ومحبته لهم، وفي معاشهم ومصالحهم كلها، ولهذا في الحديث: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

ويعملون بمقتضى ما اعتقدوه، فمتى تخلف العمل بموجب ما اعتقدوه دل على تخلف الاعتقاد، ومتى ضعف دل على ضعف الاعتقاد، فكل من اعتقد شيئًا حقيقة، ولم يكن على ذلك مكدِّر لا غبار وشبهة ولا شهوة، فإنه لا يتخلف عنه بحال عن أي عمل.

وهذه مسألة هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟ قولان لأهل العلم: طائفة من أهل العلم: ذهبوا إلى أنه يستلزم الهداية. وقوم قالوا: لا يستلزم الهداية، واستدلوا بقصة بلعامَ وعلماءِ اليهود وغيرهم ممن علم وتخلف منه العمل. وفصَّل المسألة شيخ الإسلام وابن القيم[(٢)]، فقالا: العلم التام السالم من مكدِّرٍ -شبهةٍ أو شهوةٍ- لا يتخلف عنه العمل أبدًا.

---

(١) رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري مرفوعًا.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٢٩)، (٧/ ٢٤، ٥٣٨) لشيخ الإسلام، و«شفاء العليل» لابن القيم (٢/ ١٧٣)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٨-١١٣)، فقد أطال البحث فيها فليراجع ولولا طوله لنقلنا هنا.

وقوله: «كالبنيان يشد بعضه بعضًا» يعني: أن اتفاق المؤمنين بعضهم ببعض كالبنيان، وهذا في أمور دينهم ودنياهم، بحيث يستقيم ويثبت، فإذا كان هذا شأن البنيان بعضه مع بعض، كان واجبًا على المسلم أن ينصح أخاه، فإن هذا كالبنيان يشد بعضه بعضًا في دينه ودنياه، يشد قويُّه ضعيفَه، فإن البنيان منه القوي، ومنه الضعيف، فإذا تماسك وشد بعضه بعضًا ولصق بعضه ببعض استقام كله؛ فإن من المؤمنين من ليس كامل الإيمان قويَّه، فلو تُرِك وحده لسقط، فإذا كان مع جماعة المسلمين تقوَّى بهم وصار منهم ومثلهم، وتقوَّى من ضعفه بجماعتهم، ومنهم من هو ضعيف الإيمان لا يستقيم استقامة تامة.

وقوله: «وشبك بين أصابعه» الكريمة إشارة إلى حقيقة ذلك، وأن المؤمنين كالأصابع المتداخل بعضها في بعض.

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[(١)]).

أي: ويعتقد أهل السنة معنى قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادهم» فإنه من أعظم الأصول العظيمة الحب في الله، «توادهم»: تحاببهم، و«توادهم» أصله تواددهم وهو التحابُّ، فالتوادد: هو التحاب، وفي الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...» إلى قوله: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»[(٢)]، يعني: المحبة الدينية التي هي لله.

قوله: «وتراحمهم» التراحم هو: رحمة بعضهم بعضًا، كما وصف الله المؤمنين في قوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٢١، ٦٠٤١)، ومسلم (٤٣)، وتمامه: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرأ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

قوله: «**وتعاطفهم**» والتعاطف يعني: عطف بعضهم على بعض بالمنافع والمصالح، ويلجأ إليه ونحو ذلك من رجوع بعضهم على بعض، ورفق بعضهم ببعض.

قوله: «**كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**» رجع بعضه إلى بعض، ووجع من أجل ما اشتكى، فينعطف عليه الجسد و«يتداعَى»، يعني: ينادي بعضه بعضًا هلُمَّ نحمل معه الألم، بل ونكون معه بالسوية نحمل كما حمل، ولو كان الألم في بَضْعة[1] من الجسد، سهر ذلك الجسد كله، «**بالحمى**» وهي شدة الحرارة، «**والسهر**»: عدم النوم، فمثلًا الوجع يكون في الأصبع الواحد، فيتألم منها سائر الجسد ويشتكي، ويناله من الوجع -وهو في طرف الأنملة- فيسهر. اهـ

[تتمة]

* قال النووي في شرح حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[2]:

وأما شرح هذا الحديث فقال الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله: النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، قال: ويقال: هو من وجيز الاسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن المعنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه. قال: وقيل: النصيحة مأخوذة من نَصَحَ الرجل ثوبه، إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له، بما يسده من خلل الثوب، قال: وقيل: إنها مأخوذة من نَصَحْتُ العسل، إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط.

---

(١) بضعة: أي قطعة بفتح الباء، وتكسر.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

قال: ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله: «الحج عرفة». أي عماده ومعظمه عرفة.

* وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلامًا نفيسًا، أنا أضم بعضه إلى بعض مختصرًا، قالوا: أما النصيحة لله تعالى، فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه ﷻ من جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء[1] إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف في جمع الناس، أو من أمكن منهم عليها.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح.

* وأما النصيحة لكتابه ﷻ ، فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته.

* وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه،

---

(١) أي: الدعوة.

وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها، وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها؛ لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

* وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم. وتألف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح.

وهذا كله على أنَّ المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاه أيضًا الخطابي، ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم.

* وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خَلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم[1] بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم

(١) أي: تعهدهم.

وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم، بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف ﷺ من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه، والله أعلم. هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ في هذا الحديث: أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. قال: والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين. قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة. والله أعلم. اهـ[1]



الصبر والشكر والرضا

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ).

* **آل الشيخ**: أهل السنة والجماعة يحثون على الصبر، والصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على المصائب.

قوله: «والشكر عند الرخاء» كذلك أهل السنة والجماعة يأمرون به.

والشكر: هو الاعتراف بها في الباطن، كون الله أنعم بها، وهو أعم من القول باللسان.

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢ / ٣٧).

وأركانه ثلاثة:

١ - اعترافه بنعمة الله عليه.

٢- والثناء عليه بها.

٣- والاستعانة بها على مرضاته.

والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء هما الإيمان.

الصبر نصف الإيمان، وذلك أن العبد متقلب بين نعم يجب عليه شكرها، وبين صبر عن المعاصي يجب عليه اجتنابها، والدين كله في هذين الشيئين:

١ - فعل المأمور، وهو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر.

٢- وترك المحظور، وهو الصبر عن المعاصي.

وهذان الأمران من الدين بمكان، بل الدين أمران: صبر، وشكر. فإذا قام عند المصائب بالصبر، وعند النعم بحقها وهو الشكر، صار عابدًا لله حقًّا.

وأعظم أنواع الصبر، الصبر عن المعاصي، وهو أشقها، وعلى المصائب، ويفهم من كلام ابن القيم أن الصبر على الطاعات أفضل، وذلك أن الطاعات مرادة بالذات، أما المعاصي فليست مرادة بالذات، وإنما هو الطاعة لله، والصبر على الطاعة: إلزام النفس على فعلٍ.

قوله: «والرضا بمر القضاء».

ومن أصول أهل السنة: «**الرضا**»، والرضا: قد يكون بمعنى التسليم، وربما أنه أشهر معنى من التسليم، فهو من الكلمات التي هي أقرب إلى الذهن من التسليم.

قوله: «بمُرِّ القضاء» هذا يرجع إلى الصبر ولكنه غيره.

حالة الرضا: أن يستوي عنده البلاء وعدمه.

والرضا مرتبة أعلى من مرتبة الصبر، وهذه المرتبة المندوب فيها أفضل من الواجب، وهذا من المراتب التي المندوبات فيها أفضل من الواجبات، وإلا فالأصل أن الواجب أفضل من المندوب إلا في أمور منها هذا، كما في الحديث: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»(١)، فإنه دالّ على أن الفرض أفضل من المستحب، فالرضا هنا أفضل من الواجب وهو الصبر(٢).

والصبر عند المصائب عزيز في الناس، ثم الرضا عزيز.

وللعبد عند المصيبة أربعة أحوال ممكنة:

١- الجزع. ٢- الصبر.

٣- الرضا. ٤- الاستشعار بأنها نعمة.

وهذه تكاد أن تكون تذكر ولا توجد فالصابر قليل، وأقل منه الرضا، وأقل منه الشكر. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

(٢) الحقيقة أنَّ الرضا هنا جزء من الصبر ليس قسيمًا له، فلولا وجود الصبر فيه لما كان رضا؛ لأن العبد لا يكون راضيًا بمر القضاء إلا إذا كان صابرًا، فالتفاضل هنا في حال العبد الجامع لهذين الوصفين، ليس لمجرد الرضا دون الصبر، ولا يتصور وجود الرضا دون الصبر.



حكم الصبر والرضا والشكر

* **قال شيخ الإسلام**[١]: الصبر واجب باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه.

وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾ إلى قوله ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤-١١٥]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] الآية، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به والعمل به لابد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر كما قال معاذ بن جبل ﷺ: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم[٢]. فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩).

(٢) تقدم تخريجه.

الجسد. ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له[١].

* وأما الرضا، فقد تنازع العلماء والمشايخ[٢]، من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب، أو مستحب؟ على قولين:

فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين، قال عمر بن عبد العزيز: الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن.

ولهذا لم يجئ في القرآن إلا مدح الراضين، لا إيجاب ذلك، وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب، كالمرض، والفقر، والزلزال، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالبأساء في الأموال، والضراء في الأبدان، والزلزال في القلوب. اهـ المقصود

---

* قال الشيخ: قوله: (وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ). يعني: إلى خلق كريم، وعمل حسن، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٣]، أي: لِمَا رُكِزَ في القلوب استحسانه. فكل خلق وفعل حسن دلّ على

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٠)، و«المصنف» (٣١٠٧٩، ٣٥٦٤٥ ط: عوامة) والعدني في «الإيمان» (١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠)، ووكيع بن الجراح في «الزهد» (١٩٩)، وأبو القاسم الجوهري في «مسند الموطأ» (١/ ٥)، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة» (٣٠٩)، واللالكائي في «السنة» (١٥٦٩).

(٢) أي: مشايخ الزهد والتصوف.

(٣) أخرجه الحاكم (٤٢٢١)، والبيهقي (٢١٣٠١)، وتمام في «الفوائد» (٢٧٦) عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي لفظ أصح: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**». أخرجه الإمام أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والطحاوي في «المشكل» (٤٤٣٢)، والبيهقي (٢١٣٠٣)، وصححه باللفظين الشيخ الألباني.

حسنها الشرع والفطرة والعقل، فأهل السنة يعتقدون حسنه، ويعملون به، ويأمرون به، وكل خلق وفعل يستنكر في الفطر والعقول، يكرهونه وينهون عنه. فهم يدعون إلى كل خلق عالٍ نفيس، وعمل حسن. اهـ

وقوله: (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»)[1].

ويقبلونه ويعملون بموجبه، ويُحسِّنون أخلاقهم مع إخوانهم المسلمين، ويسعون ويَجِدُّون في تحسين أخلاقهم مهما أمكنهم، ويحثون الغير على ذلك، فهو يَجِدُّ في أن يكون حسن الخلق ويوصي غيره.

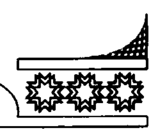
والخُلُق: هو صورة الإنسان الباطنة، والخَلْق: هو صورته الظاهرة. اهـ

* **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كالصدق، والبر، والإحسان، إلى الخلق، والشكر عند النعم، والصبر على البلاء، وحسن الجوار والصحبة، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة شرعًا وعرفًا. اهـ

قوله: (وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ).

* **آل الشيخ**: أي: يندبون إلى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ - أي: قطعك من الأرحام- لا تقطعه حين يقطع؛ ليبوء بإثم الذي مِنْ قِبَلِه، وتنجو من تلك القطيعة، فلا تقابله. فمن

(١) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٤)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو يعلى (٥٩٢٦)، وابن حبان (٤٧٩) من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وله شواهد كثيرة. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.



كان ذا رحم فلا تقطعه كما قطعك، وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[١]، وقال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»[٢]، وقطيعة الأرحام ليس فيها انقسام[٣].

وتمام الصلة الحقيقية: بأن تكون أنت الواصل ولو لم يصلك، فإذا فعلت الخير، فالخير ما يجر إلا إلى خير، وهو أن يتقي الله فلا يقطعك.

قوله: «**وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ**» أي: وتعطي من حرمك أن يعطيك إذا كان له حق عليك، يندبون إلى أن لا تقابله بمثل ما فعل، فإن أهل السنة يندبون إلى خير الأمرين، فمن عاملك بالحرمان فيما ينبغي أن يعطيك، فأنت لا تقابله بالحرمان، بل ابذل له، ولا تقابله بما قابلك به.

قوله: «**وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**» وكذلك من أساء إليك، وتعدّى عليك، وظلمك، تعفو عنه ولا تقابله بمثل فعله، وإن كان جائزًا، وهو من باب القصاص، قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[الشورى: ٤١] لكن الأفضل أن تعفو عنه، فدرجة العفو درجة عليا.

والظالم له عند أهل السنة مرتبتان: المقاصة والعدل، والمسامحة والفضل. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾[النحل: ١٢٦]، ثم قال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣]. اهـ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥).

(٣) أي: يجب عليك صلتها على كل حال، سواء وصلوك أم قطعوك.

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ).

❁ **قال الشيخ**: «وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ» وهو فعل الجميل معهما، وضده العقوق وهو من المحرمات، وبر الوالدين من الواجبات، والأمر ببرهما جاء قرنه بحق الله تعالى فإنه أعظم حق بعد حق الله وحقِ الرسول ﷺ، فالوالدان أصلك، وهما سبب إيجادك، فأعظم حق عليك حق الذي خلقك، ثم بعد ذلك حق النبي ﷺ؛ لأنه سبب نجاتك، وبعد ذلك حق الوالدين كما في الآيات التي فيها قَرْن حق الوالدين بحقه تعالى.

ومن بر الوالدين بعد الوفاة: الدعاء، والصدقة- وهذا ثوابه لهما- وأن توقف وتجعل المثوبة لهما، ومودة أصدقائهما، ففي الحديث: هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**»[1].

فبين ﷺ فعل بعض هذه الأوجه، وحديث: «**من بر الرجل والديه أن يبر ما يود**» أو ما هذا معناه[2].

قوله: «**وَصِلَةِ الأَرْحَامِ**»، بأن تصل الأرحام. أي: القرابات، بأن تفعل معها الخير، فالصلة من الوصل، بأن تبقى بعضها منضم مع بعض بالخير والنصح، هذا واجب لكل مسلم، فإن كان رحمًا فهو أولى، وفي الحديث: «**ليس الواصل بالمكافئ**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٥٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وصححه ابن حبان (٤١٨)، وضعفه آخرون.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**».

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١) عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

قوله: «**وَحُسْنِ الجِوَارِ**»، ويأمرون أيضًا بحسن الجوار. يعني: معاملة الجار بالجميل بالمعاملة الحسنة، بكفّ الأذى، وإيراد الخير له، والصفح والستر عما يصير منه إن صار، فحقه كبير عظيم، فإذا كان مسلمًا اجتمع له حق الإسلام وحق الجوار، فإن كان قريبًا فهو آكد، وفي الحديث: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[١]، وحسن الجوار حتى مع الذمي إذا تُصُوِّر أن يكون في دار ذمة.

قوله: «**وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى**». اليتيم: الذي مات أبوه قبل بلوغه، وما بعد البلوغ فليس بيتيم، فاليتيم فَقَدَ مَنْ يعوله ويقوم به، فالإحسان من حيث هو له محله، ولكن من آكد محالِّه اليتامى، وجاء في حق اليتيم أحاديث، منها: «**كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة**»[٢].

قوله: «**وَالمَسَاكِينِ**». أي: الإحسان إلى المحاويج، ودخل فيهم المحاويج سواء كان يجد بعض الكفاية أو لا، فأهل السنة والجماعة يأمرون بالإحسان إليهم بما يدفع مسكنتهم.

قوله: «**وَابْنِ السَّبِيلِ**». يعني: المسافر، فإنه مَحَلٌّ للإحسان، وذلك أنه في سفر قد فارق أهله ووطنه، فهو بحاجة إلى من يحسن إليه.

قوله: «**وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ**» والنصوص جاءت في الرفق بالمملوك ومواساته، وأنه لا يُكلَّف ما شَقَّ، وفي الحديث: «**إخوانكم خَوَلُكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٣]. فهو إنسان آدمي مثلك، فجعل لك عليه الرق نعمة لك، وابتلاء، وامتحانًا، فمتعين عليك الرفق به عند جهله وغشمه، فجاء في الشرع الرفق به؛ لكونه

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٣) رواه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر.

تحت يدك؛ ولهذا هو ليس بمملوك من كل جهة، فيرفق بهم وفي معاملتهم وطعامهم وشرابهم، وسائر ما يحتاجون إليه، كل هذا مما يأمر به أهل السنة والجماعة، وأدلته، ومكانته، وفضله من الكتاب والسنة معلوم. اهـ

النهي عن مساوئ الأخلاق

قوله: (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ وَالْخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ).

❁ **قال الشيخ**: أي وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفخر. أي: الافتخار، وذلك بذكر الفضيلة مفتخرًا بها على غيره، والفخر لا ينبغي، فإذا كان لدين فهي نعمة يستعين بها على شكر الله[١].

قوله: «وعن الخيلاء»: هي الكبر والتعاظم، فإن المتكبر يتخيل نفسه أعظم مما هي عليه، ويراها أكبر مما هي عليه.

قوله: «والبغي والاستطالة». أي: الارتفاع عليهم بيده، أو بكلام، أو نحو ذلك، والتعالي عليهم سواء «وينهون عن وَالاسْتِطَالَة عَلَى الخَلقِ بحق». عند أسباب ذلك «أو بغير حق» الترفع والزيادة عليهم سواء بحق، أو بغير حق، ولا سيما إذا صار فخرًا بغير مفخر[٢]،

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٤): «الافتخار نوعان: محمود ومذموم. فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعًا عليهم، والمحمود أظهار الأحوال السنية والمقامات الرفيعة، لا على وجه الفخر، بل على وجه التعظيم للنعمة والفرح بها وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ولا فخر». وقال سعد رضي الله عنه: «أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله» اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٦٤): «نهى سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق: وهي الفخر والبغي؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى». اهـ

فلا توجب نعم الله معصية الله بها، بل توجب طاعة الله بها، وفي الحديث: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(١)، ولما بيَّن ﷺ ما هو عليه من السيادة قال: «**ولا فخر**»(٢) بل على وجه التحدث بنعمة الله، وفي الحديث: «**ليتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء**(٣) **بأنفه**»(٤)، وفي الحديث الآخر: «**إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية**(٥) **إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب**»(٦).

والكبر على قسمين: قسم يكون له ملك، وقسم عائل كما في الحديث(٧) فهو محرم على كل أحد. اهـ



---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٨)، وأبو داود (٤٨٩٥)، والترمذي (٣٩٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٢) من حديث عياض بن غنم، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٠٩٨٧)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه ابن حبان (٦٢٤٢) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ولا فخر**».

(٣) الجعل: دويبة كالخنفساء.

(٤) رواه الترمذي (٣٩٥٤)، وحسنه الألباني

(٥) «عبية» بضم العين المهملة وكسرها وكسر الباء الموحدة وفتح الياء التحتانية المشددتين. أي: نخوة الجاهلية وكبرها وفخرها. انظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/ ١٤٨)، و«تحفة الأحوذي» (٨/ ١٢٦)، و«عون المعبود» (١٤/ ٢١)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢٩٠)، و«النهاية» (عبب).

(٦) أخرجه أحمد (٨٧٣٦) وعبد بن حميد (٧٩٥) والترمذي (٣٢٧٠) وصححه ابن خزيمة (٢٧٨١) وابن حبان (٣٨٢٨) من حديثي ابن عمر وأبي هريرة.

(٧) رواه مسلم (١٠٧)عنه عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا).

❁ **آل الشيخ**: سَفْسَافِهَا ورذائلها. أي: مراذل الأخلاق، وسفالات الأخلاق، فهم ينهون عن كل خلق دنيء رذيل. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «**سفسافها**»: السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء وهو ضد المعالي والمكارم. اهـ.

❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النهي عن مساوئ الأخلاق، كالكذب، والعقوق، والإساءة إلى الخلق، والتسخط من القضاء، والكفر بالنعمة، والإساءة إلى الجيران والأصحاب، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة شرعًا أو عرفًا. اهـ.

لزوم الكتاب والسنة

قوله: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

❁ **آل الشيخ**: «**وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا**» الذي تقدم «**وغيره**» مما هو من أنواع الحق من أصولهم وعقائدهم. «**فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة**» مُعَوَّلُهم ومستندهم الكتاب والسنة. كل ما تقدم إيضاحه وشرحه عن أهل السنة، إنما هم أبدًا متبعون فيه للكتاب والسنة، وحبل القياد في يد الكتاب والسنة، يسيرون حيث سار الكتاب والسنة، لا استحسان منهم لشيء، ولا نظر لشيء. اهـ



فصل

في أن طريقة أهل السنة والجماعة هي طريقة الإسلام

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ.

وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ.

وَهُمْ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةً، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَاللهُ أَعْلَمَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



❁ قال الشيخ: قوله: (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ).

كثير من الناس سلكوا طرقًا -كالتيجانية[١]، وغيرها- فعندما يكون للناس طرائق، فإن أهل السنة طريقتهم شيء واحد: و«**هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ**» ظاهرًا وباطنًا، فكأن المصنف بين لهم طريقًا، لكن لا كطريق أهل الطرائق، فقط طريق واحد وهو دين الإسلام، فأهل السنة ليس لهم دين غير دين الإسلام هذه طريقتهم ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: «**لكن**» استدراك مما تقدّم، وهو قوله: «**وطريقتهم هي دين الإسلام**» وهذا الاستدراك إنما هو لإرادة شيء مقدر [وهو] وجه قول أهل السنة فقال: **لَـمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ**، فهو واقع لا محالة **فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**[٢]، **وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ**

(١) أحد الطرق الصوفية الغالية في البدع والشرك وعبادة غير الله من الأولياء والصالحين، أنشأها أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني (١١٥٠-١٢٣٠هـ) في فاس ثم في أفريقيا بعامة.
انظر عنها «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية» للشيخ عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله، وكتاب «الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية» للدكتور محمد تقي الدين الهلالي، و«الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٨٨)عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار**»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**الجماعة**». قال الشيخ الألباني: صحيح.
وله شواهد منها عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة**» أخرجه ابن ماجه أيضًا (٣٩٩٣)، قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني: صحيح.
وعن معاوية بن أبى سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة، وهى الجماعة، وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه**». أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) بسند حسن.

الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[١].

وقوله: (صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ).

هذا جواب قوله لما ذكر، كأن قائلًا قال: إذا كانت طريقتهم هي دين الإسلام، أليس هذا من الطرق التي يلقبون بها، فلم لا يكتفى بذلك وأن يقال لهم: المسلمون؟ وإذا كانت طريقتهم هي الكتاب والسنة، فلم لم يقل: المسلمون؟

قيل: الجواب أنه لما كان المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، قيل لهم: أهل السنة والجماعة. ولما تفرق الناس إلى ثلاث وسبعين فرقة، ولما لم يكن متمسكًا بالكتاب والسنة سوى فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، لقبوا أهل السنة والجماعة، يعني: أنهم تمسكوا واتحدوا في هذا الطريق، يعني: أنه ليس شيئًا خفيًا، ولا من الطرق، بل هو هذا الطريق البيِّن الواضح.

[جواب ثانٍ] وقيل أيضًا: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، المحض فقط من الثلاث والسبعين هي فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، فكأنهم قيل لهم: هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه، فإن من انتسب إلى الإسلام فيهم بدع، منها ما تخرجهم عن الإسلام، ومنها ما لا تخرجهم من الإسلام، ليس كل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. اهـ

وله شواهد وطرق ذكرها الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٠٣، ٢٠٤، ١٣٤٨)، والكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ح٢).

من انتسب إلى الإسلام فهذه عقيدته، لا، بل هذه عقيدة فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

وإنما قال ذلك؛ لأن الناس اشتهروا بالطرائق التي تشعبت بالناس كالتيجانية وغيرها، منها ما هو في زمن المصنف وبعده، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنة والجماعة. يعني: إنما لقبوا بذلك؛ لكون أهل السنة تمسكوا بذلك لا فلانية، ولا فلانية، أهل سنة الرسول ﷺ، ومجتمعين على إيثار ما جاء به النبي ﷺ. اهـ

مذهب الإمام أحمد في العقيدة هو السنة والجماعة

* قال شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية[1]: الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماما في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة -العلماء الصلحاء- قال: المذهب لمالك والشافعي والظهور لأحمد بن حنبل، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض. اهـ

وقال فيها أيضًا[2]: قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[3]، فهذا الاعتقاد:

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٠).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٩).

(٣) تقدم تخريجه.

هو المأثور عن النبي وأصحابه ﷺ وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك.

وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته. وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك، فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال: من صمت نجا. اهـ



طبقات أهل السنة والجماعة

قوله: (وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ).

❁ **العثيمين**: الصديقون هم الصادقون باعتقادهم وقولهم وعملهم، والمصدقون بالحق.

والشهداء: هم الذين قتلوا في سبيل الله. وقيل: العلماء.

والصالحون: هم الذين صلحت قلوبهم وجوارحهم بما قاموا به من الأعمال الصالحة. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله: «وفيهم الصديقون..» إلخ، فالصديق صيغة مبالغة من الصدق، يراد به الكثير التصديق، وأبو بكر رضي الله عنه هو الصديق الأول لهذه الأمة.

وأما الشهداء، فهو جمع شهيد، وهو من قتل في المعركة. اهـ

❁ **قال الشيخ:** هؤلاء طبقاتٌ من الخلق، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فإنهم طبقات بعد الأنبياء، وهذه المذكورة في الآية على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وفيها أربع طبقات، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وأفضل هذه الأصناف: الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، فالأنبياء مكانتهم شيء معروف، وما سواهم كلهم من هذه الأمة، فطبقات المكلفين المؤهلين للشرع ثمانية عشر مذكورة في مُصنَّف[1].

المقصود أنه في أهل السنة والجماعة من فيهم هاتان الصفتان.

والصديقون: جمع صديق، والصديق: فعيل من صيغ المبالغة، يعني: كثير وعظيم التصديق بالحق، وهم في هذه الأمة كثير، ورئيسهم وأفضلهم صديق هذه الأمة أبو بكر الصديق ﷺ، وهو أعظمهم وأكبرهم.

وفي أهل السنة والجماعة الشهداء، جمع شهيد، وأفضل الجهاد القتل في سبيل الله.

فكلهم موجودون في هذه الأمة. يعني: أهل السنة والجماعة موجود فيهم الصديقون والشهداء.

قوله: (وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ).

أي: وفي أهل السنة «أعلام الهدى» المعنوية، الأعلام: جمع علم، وهو في لغة العرب: الجبل الكبير العظيم على الطريق، سمي علمًا؛ لأنه علم على الطريق التي يعلم به الجهات والطرقات.

يعني: في أهل السنة أئمة كبار يهتدى بهم في الدين كما يُهتدى بالجبال الكبار.

---

(١) هو «طريق الهجرتين» لابن القيم ذكرها (ص/ ٤٥٣).

وفي أهل السنة «**مصابيح الدجى**» المصابيح: جمع مصباح التي تستضيء بنورهم الأمة، وذاك العلماء الكبار، وهم الذين يضيء علمهم ويزول الجهل بضيائها، وقيل لهم ذلك؛ لأنه يهتدى بهم في ظلمات الجهل، وهم كالسرج في الظلم يستضاء بهم، وذلك لما أوتوه من العلم الموروث.

كلهم في أهل السنة موجودون.

و«**أولو**» يعني: أصحاب، **المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ**.

قوله: (**وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ**).

❁ **قال الشيخ**: الأبدال: هم أناس صلحاء في الأمة تجاب دعواتهم، فيدفع الله بدعواتهم عن المسلمين، فبوجودهم في الناس يرحم الله بدعائهم الناس، وسموا أبدالًا؛ لأنه كلما مات منهم واحد أبدل بآخر، أخذه بعض الناس من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [الحج: ٤٠]، يعني: في أهل السنة رجال أهل صلاح وخير لا يزالون في الناس، يرحم الله بسببهم المسلمين ببركة دعائهم، والمصنف ذكر هذه؛ لأحاديث جاءت في هذا، ولكنها ضعيفة، فالمصنف ذكرها يعضد بعضها بعضًا: «**لا يزال في أمتي أبدال**»(١). اهـ

---

(١) لم أجده، لكن ورد في ذكر الأبدال أحاديث أشهرها:

١- حديث عبادة بن الصامت:

أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٢) عن عبد الوهاب بن عطاء عن الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت مرفوعًا أنه ﷺ قال: «**الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً**». قال الإمام أحمد عقب تخريجه مستنكرًا له: «فيه كلام غير هذا، وهو منكر». يعني: حديث الحسن بن ذكوان.

٢- حديث علي بن أبي طالب: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب، وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما ما مات رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب**». أخرجه أحمد (٨٩٦)، ومن طريقه الضياء في المختارة (٢/ ١١٠)، والطبراني في =

❁ العثيمين: الأبدال هم الذين يخلف بعضهم بعضًا في نصر الدين والدفاع عنه كلما ذهب منهم واحد خلفه آخر بدله، وكل هؤلاء الأصناف الأربعة موجودون في أهل السنة والجماعة. اهـ

=

«الأوسط» (٥/ ٣٩)، والحاكم (٤/ ٥٩٦)، وهذا الحديث -أعني رفعه- معلول؛ لأن شريحًا لم يدرك عليًا فهو منقطع، واختلف فيه على عياش بن عباس في إسناده؛ ولذا أعله الطبراني، والهيثمي (٧/ ٣١٧) وقد روي موقوفًا على علي بن أبي طالب من وجه أصح فقد أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٤٩)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٢٣٥)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص/ ٣٠)، والضياء في «المختارة» (٢/ ح٤٨٥، ٤٨٦) من طرق عن الزهري عن صفوان بن عبد الله بن صفوان الجمحي عن علي بن أبي طالب بنحوه موقوفًا؛ ولهذا لما ذكر الضياء في «المختارة» هذا الاختلاف في رفعه، ووقفه قال: الموقوف أولى. اهـ قلت: ولكن له حكم الرفع.

٣- حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي، قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم: الأبدال، إنهم لم يدركوها بصلاة، ولا بصوم، ولا صدقة» قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: «بالسخاء والنصيحة للمسلمين». أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨١/ ح١٠٣٩) من طريق ثابت بن عياش الأحدب، عن أبي رجاء الثعالبي، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود فذكره، وهو حديث منكر معلول بثابت بن عياش وشيخه، فإنهما مجهولان، وقد تفردا به، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٣): رواه الطبراني من رواية ثابت بن عياش الأحدب، عن أبي رجاء، وكلاهما لم أعرفه. اهـ

٤- حديث عوف بن مالك مرفوعًا: «فيهم -أهل الشام- الأبدال، فبهم تنصرون وبهم ترزقون». أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٨/ ٦٥) من طريق عمرو بن واقد، عن يزيد بن أبي مالك، عن شهر بن حوشب قال: لما فتحت مصر، سبوا أهل الشام، فأخرج عوف بن مالك رأسه من برنس ثم قال: يا أهل مصر، لا تسبوا أهل الشام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فيهم الأبدال...» فذكره، وهذا معلول أيضًا؛ لأن عمرو بن واقد متروك، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٢): ضعفه جمهور الأئمة ويزيد بن أبي مالك ليس بالقوي.

قال ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (ص١٣٦): ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله ﷺ وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر». ذكره أحمد، ولا يصح أيضًا، فإنه منقطع. اهـ والله أعلم.

* **الهراس**: وأما الأبدال، فهم جمع بدل، وهم الذين يَخْلُفُ بعضهم بعضًا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه، كما في الحديث: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»(١). والله أعلم. اهـ

* **ابن مانع**: قال ابن الأثير في حديث علي: «الأبدال في الشام»(٢): هم الأولياء والعباد. الواحد بدل، كحِمْل وأحمال، وبَدَل كجَمَل، سموا بذلك؛ لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر.

ولو قيل: إن الأبدال هم الذين يجددون الدين كما في الحديث، لما كان بعيدًا. وليس مراده بالأبدال ما اشتهر على لسان عباد القبور حيث يقولون: الأقطاب والنجباء والأبدال والغوث، فيضلون بهذه الأسماء الجهال زاعمين أن لها حقيقة، ما هي والله إلا خرافات لا حقيقة لها، سوى العقائد الفاسدة الزائغة الشركية. نسأل الله السلامة والعافية من كل بدعة وضلالة، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم بمنه وكرمه. اهـ

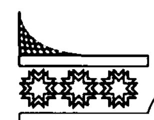
* **ابن باز**: وفيهم الأبدال، وهم الذين يبدل بعضهم بعضًا، وينوب بعضهم عن بعض كلما هلك عالم جاء بعده عالم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هذا حال هذه الأمة، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**» يعني حتى يقرب قيامها بمجيء الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات حتى لا يبقى إلا الأشرار، فعليهم تقوم الساعة. اهـ

* **ابن مبارك**: قوله: «**وفيهم الأبدال**» أي: العلماء الزهَّاد، وقال في «القاموس»: والأبدالُ: قومٌ بهم يُقيمُ اللهُ ﷻ الأرض، وهم سبعون، أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٨٥٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».. قال الزين العراقي: وسنده صحيح، وصححه الألباني.

(٢) سيأتي تخريجه قريبًا.



وقال تقي الدين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: أمَّا الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن فيهم -يعني: أهل الشام- الأبدال الأربعين، كلَّما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا**»[٢]، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله، ولابد أن يقيم الله فيهم من تقوم به الحجة خلفًا عن الرسل، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحقُّ الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى، ومن يدخل فيهم من السابقين المقرَّبين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة، ولا تعيين العدد، إلى أن قال: فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ؛ فإنَّ الإيمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه؛ أنه قال: «**تمرق مارقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[٣]. فكان عليٌّ وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام؟ هذا باطل قطعًا، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط، فمن تكلم بغير علم دخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ومن يتكلم بقِسطٍ وعدلٍ دخل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

---

(١) تحرف في الأصل إلى: «عز الدين بن عبد السلام»، وهذا النقل إنما هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٢)، فلعله سبق قلم، أو سهو من الناسخ، وانظر «منهاج السنة» (١/ ٩٤)، و«الفرقان» (ص/ ٧٢-٧٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٥).

والذين تكلموا باسم البدل فسَّروه بمعانٍ منها: أنهم أبدال الأنبياء، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا بأهل بقعة من الأرض، فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعانٍ باطلة مثل قولهم: إن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان. انتهى ملخصًا.

والمقصود أن لفظة الأبدال يراد بها حق وباطل، فمراد شيخ الإسلام وغيره من العلماء: أنهم العلماء العاملون، الداعون إلى دين الله، المتبعون لسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

وأما الجهال وأهل الغلو فمرادهم أن أهل الأرض يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم، ويكشفوا ضُرَّهم، ويشفعوا لهم عند ربهم، وهذا هو دين المشركين الذي أُنزِلت الكتب وأُرسلت الرسلُ للنهي عنه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧] ا.هـ.

* **قال شيخ الإسلام**[١]: كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب- مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد- فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلا، وأنهم بالشام، وهو في المسند من حديث علي ﷺ وهو حديث منقطع ليس بثابت، ومعلوم أن عليًا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي. اهـ

* **وقال شيخ الإسلام أيضًا**[٢]: أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة، مثل الغوث الذي بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح، ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال. فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد، عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن فيهم** -يعني: أهل الشام- **الأبدال الأربعين رجلًا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا**»[٣] ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ، وقد قالها إما آثرًا لها عن غيره، أو ذاكرًا.

وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله، ومن الباطل ما يوجب رده، وصار كثير من الناس

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٦٧).
(٢) كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣).
(٣) تقدم أنه ضعيف.

على طرفي نقيض: قوم كذبوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الحق، وإنما الصواب التصديق بالحق، والتكذيب بالباطل.

ثم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين، بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصي عدده إلا رب العالمين، لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف، ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين، بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده، وليسوا بمحصورين بعدد، ولا محدودين بأمد.

فأما لفظ (الغوث)، و(الغياث) فلا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بِمَلَكٍ مقرَّب ولا نبي مرسل...

وأما (الأوتاد) فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد. يعني بذلك: أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به، كما يثبت الأرض بأوتادها. وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء، فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة، ومن كان بدونه كان بحسبه، وليس ذلك محصورًا في أربعة ولا أقل ولا أكثر؛ بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض.

وأما (القطب) فيوجد أيضًا في كلامهم: فلان من الأقطاب، أو فلان قطب. فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنًا أو ظاهرًا فهو قطب ذلك الأمر ومداره، سواء كان الدائر عليه أمر داره، أو دربه، أو قريته، أو مدينته، أمر دينها أو دنياها، باطنًا أو ظاهرًا، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر، لكن الممدوح من ذلك من كان مدارًا لصلاح الدنيا والدين، دون مجرد صلاح الدنيا، فهذا هو القطب في عرفهم، فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقًا.

وكذلك لفظ (البدل) جاء في كلام كثير منهم فأما الحديث المرفوع، فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ، فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»(١). فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام، ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة- مثل عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، ونحوهما- كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية- وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما- فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام، هذا باطل قطعًا، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدّرا. والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط.

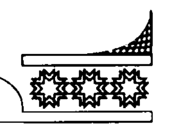
والذين تكلموا باسم (البدل) فسروه بمعان: منها: أنهم أبدال الأنبياء. ومنها: أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا. ومنها: أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين، ولا بأقل، ولا بأكثر، ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض، وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم (النجباء).

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم. فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب، وهو معدوم العين والأثر، شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة.

وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم، فذلك باطل، بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين، ولا بأقل، ولا بأكثر...

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥).

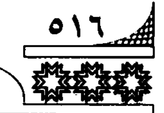


وكذا لفظ (خاتم الأولياء) لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة، كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء، كابن حموية، وابن عربي، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعًا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنهما، ثم عمر، اللذان ما طلعت شمس، ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما. اهـ

الأئمة كلهم من أهل السنة والجماعة

* قال الشيخ: قوله: (وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ).

مثل الأئمة الأربعة أئمة المذاهب، وغيرهم من الأئمة قبلهم بأزمان وبعدهم. ووجود الأئمة فيهم دليل أنهم من أهل السنة وليسوا من أهل البدعة، وصاحب البدعة لا يثنى عليه، بل يذم. ومن شأن أَئِمَّة الدِّين طلب الهدى واتباعه، والأئمة ليسوا محصورين في الأربعة، لكن الأربعة اشتهروا أكثر، فإن الأئمة الأربعة كونهم أهل هدى وخير وعلم، لا نزاع بين المسلمين أنهم أئمة، وليسوا معصومين في جميع أقوالهم، فإن المعصومين الرسل، فإنه ليس شرطًا أن لا يوجد في أحد زلة، لا. اهـ

الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة

وقوله: (وَهُمُ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)).

❁ **آل الشيخ**: أي: أهل السنة والجماعة «**الطائفة**» الباقية وجودها في الناس «**المنصورة**» وهم الفرقة الثالثة والسبعون «**الذين قال فيهم النبي ﷺ**» المثنى عليهم في حديث : «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**» معنى ظاهرين: عالين منصورين، عالين كما في الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، فإن الشيء كلما كان منصورًا صار جليًا، فالظهور تبع للنصر والتأييد، وكلما كان أقل نصرة صار أقل ظهورًا. «**لا يضرهم من خذلهم**» يعني: ترك نصرتهم «**ولا من خالفهم**» وضادهم وعاداهم «**حتى تقوم الساعة**». فإن الله ﷻ عنايته أن تلك الطائفة يحفظ الله بهم الدين، وتقوم بهم الحجج على الأمة. اهـ

❁ **العثيمين**: الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» وفي رواية: «**حتى تقوم الساعة**». والمراد بقيام الساعة قرب قيامها بالفعل، وإنما أولناه بذلك؛ لأجل أن يصح الجمع بينه وبين حديث: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**»(٢). وأهل السنة والجماعة هم خيار الخلق بعد الأنبياء، فلا يمكن أن تدركهم الساعة. فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٧) عن ابن مسعود.

[فائدة]

* قال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من «صحيحه»: باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» وهم أهل العلم: حدثنا عبيد الله ابن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»، حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، أخبرني حميد، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة، أو: حتى يأتي أمر الله**». اهـ

قال ابن حجر: قوله: «وهم أهل العلم» هو من كلام المصنف، وأخرج الترمذي حديث الباب ثم قال: سمعت محمد بن إسماعيل -هو البخاري- يقول: سمعت علي بن المديني يقول: هم أصحاب الحديث، وذكر في كتاب خلق أفعال العباد عقب حديث أبي سعيد في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: هم الطائفة المذكورة في حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي...**» ثم ساقه وقال: وجاء نحوه عن أبي هريرة، ومعاوية، وجابر، وسلمة بن نفيل، وقرة بن إياس. انتهى. وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، ومن طريق يزيد بن هارون مثله. اهـ

قوله: (نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ).

❁ **آل الشيخ**: يعني: من تلك الطائفة المنصورة ظاهرًا وباطنًا، هذا دعاء من المصنف أن يجعله الله منهم وأصحابه، ومن أراد صار حريصًا على هداية الناس. «وَأَنْ لا يُزِيغَ» أي: لا يميل «قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب» أي: يعطي «لنا من لدنه رحمة» يعني: من عنده، منًّا منه وفضلًا. اهـ

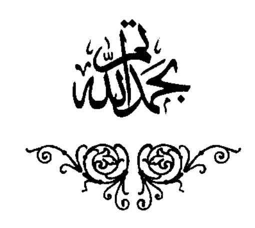
(وَاللهُ أَعْلَمَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).

اللهم اجعلنا منهم وألزمنا سنتهم وألحقنا بهم في دار

كرامتك ووالدينا ومشايخنا وإخواننا وأصحابنا وأهلنا وذريتنا

برحمتك يا أرحم الراحمين

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

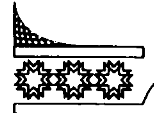
الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**



الموضوع الصفحة